سِلْسِلَةُ تُرَاثِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ ١

الشَّرْحُ الثَّمِينُ عَلَى كِتَابِ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ العلامة
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحِ الْقُصَيِّرِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النسخة الأولى

شَرْحُ كِتَابِ

رِيَاضِ الصَّالِحِينَ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ:

عَبْدِاللّٰهِ بْنِ صَالِحٍ الْقُصَيِّرِ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

باب الإِخلاصِ وإحضار النيَّة في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفيَّة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة: ٥].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ ﴾ [الحج: ٣٧].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

١ - وعَنْ أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ أبي حفْصٍ عُمرَ بنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بن رياحِ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بنِ غالبٍ القُرَشِيِّ العدويِّ. ﵁، قالَ: سمعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «**إِنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى، فمنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إِلَى الله ورَسُولِهِ فهجرتُه إلى الله ورسُولِهِ، ومنْ كانَت هجْرَتُه لدُنْيَا يُصيبُها، أَو امرَأَةٍ يَنْكحُها فهْجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَر إليْهِ**» متَّفَقٌ عَلَى صحَّتِهِ. رواهُ إِماما المُحَدِّثِين: أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعيل بْن إِبْراهيمَ بْن الْمُغيرة بْن برْدزْبَهْ الْجُعْفِيُّ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو الحُسَيْنِ مُسْلمُ بْن الْحَجَّاجِ بْنِ مُسلمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ ﵄ في صَحيحيهِما اللَّذَيْنِ هما أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَة.

الشرح:

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الله -تباركَ وتعالى- قد خلقنا ورزقنا لعبادته، لنعبده -سبحانه وتعالى- بما شرع، وعلى الوجه الذي شرع متبعين لنبيه محمد ﷺ الذي أرسله الله تعالى لِيُطاع ويُتبع، فتكفل الله عَزَّ وَجَلَّ بأمرين: الخَلق، والرَّزق لنؤدي نحن الثالث وهو: العِبادة؛ أن نعبد الله جلَّ وعلا بما شرع؛ فالعبادة هي أعظْم الحقوق لأنها حقُّ الله جلَّ وعلا، فإن حقَّ الله تعالى على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحقّ العباد على الله إذا أدوا حقَّه أن لا يعذبهم بل يُثيبهم ويكرمهم.

فمن عبد الله تعالى في الحياة الدنيا صار أهلًا لكرامة الله عَزَّ وَجَلَّ، ومثوبته في الحياة الدنيا، وفي البرزخ بعد الموت، وفي الآخرة، ومن عصى الله تعالى صار أهلًا لعقوبته في عاجل الأمر وآجله.

فأنت ما خُلقت لتعمر الأرض ولا تزرع، ولا تصنع، وإنما خُلقت لعبادة الله جلَّ وعلا، فالله تعالى لم يخلقنا عبثًا ولم يتركنا سدى، بل خلقنا ليأمرنا وينهانا وينظر هل نمتثل أمره بفعله؟ وهل نمتثل نهيه بتركه أم لا؟ كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ [الملك:٢] يختبركم، ﴿ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.

قال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإسراء].

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات].

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ شركاء ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة]؛ يعني: أنه لا شريك له.

فالإخلاص هو أنك تفعل طاعة الله جلَّ وعلا تبتغي وجه الله وترجو ثوابه، وتترك معصية الله عَزَّ وَجَلَّ تتقي سخط الله تعالى وعقابه هكذا.

ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾؛ يعني: بما شرع وعلى الوجه الذي شرع، ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ مائلين على طريق الاستقامة مستقيمين عليه، ﴿ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الصلاة هي آية الإسلام الذي لا يصلي ليس بمسلم، لأن الإيمان في القلب وعنوانه أمران: الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والصلاة: فهي توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ بالأقوال والأفعال والأحوال.

والثاني: الزكاة ؛وهي قرينة الصلاة في كتاب الله وهي توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ بالأموال هكذا.

﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥]، الدين المستقيم.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥]، ولهذا قال النبي ﷺ: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات »، النِّيَّة في القلب محلها القلب، فالعمل الذي لم ينو ما يسمى عبادة، لو فرضنا إنسان فرغ من طعامه ثم وقف على مغسلة اليدين ليغسل يديه بعد الطعام ثم توضأ وهو لم يرد الوضوء فهذا عمل غير مقصود، لا له ولا عليه، لكن إذا توضأ يريد الوضوء بما تشرع له الطهارة فوضوءه عبادة مقصودة هكذا.

إنسان ينوي العمل عند مباشرته هذا أول شيء، وينوي التقرب من الله عَزَّ وَجَلَّ فيصير عنده ثلاث نيات: نيَّة العمل أنه مقصود العمل الوضوء، الصَّلاة، الزَّكاة، الصَّوم، الحَج، الصَّدقة، الإحْسان، فعل المعروف، الذِّكر، الدُّعاء.

والثاني: نية المعمول له فهو الله جلَّ وعلا أنك تعمل هذا ابتغاء مرضاة الله، ابتغاء وجه الله جلَّ وعلا.

والثالث: أنك تتبع النبي ﷺ فتعمل مثل ما عمل، كما قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، قال: «خذوا عني مناسككم»، قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه» في رواية: «مقبلًا على الله بقلبه غُفر له ما تقدم من ذنبه».

ولذلك قال ﷺ: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات»، ومعلوم أن نية الصلاة غير نية الزكاة، ونية الزكاة غير نية الصَّوم، ونية الصَّوم غير نية الهجر، ونية الفريضة غير نية السُّنَّة، ونية الفعل غير نية الترك.

فالنيات تميز بين أنواع العبادات: الفريضة والمستحبة، الصلاة، الزكاة وهكذا.

فلابد من هذا الإنسان يكون عنده نية، حِسبة، ولذلك قال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ [النساء:١١٤] حديث بعضهم لبعض، ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء:١١٤].

فجعل الأجر مترتب على ابتغاء مرضاة الله، لأن الإنسان قد يشير بالصدقة لقرابة المتصدق عليه، أو لعصبيته، أو يسعى في الإصلاح كذلك ما يكون عنده حسبه، يكون عنده أمر دنيوي مقصود.

ولهذا قال ﷺ: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى**»، من خرج للجهاد في سبيل الله يبتغي ما عند الله كُتب له ثواب الجهاد والجنة والرضا، ومن خرج ليُرى مقامه لعصبيه، للغنيمة ما له أجر إلا ما نوى حتى لو ما نوى إلا عود سواك أو نعل أو غير ذلك لابد من النية «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى**».

ولذلك ضرب النبي ﷺ مثلين على هذا.

الهجرة: الانتقال من بلد الشرك لبلد الإسلام، «**فمنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إِلَى الله ورَسُولِهِ**» لحفظ الدين ودرء الفتنة، وتكثير سواد المسلمين، والتفقه في الدين وكذا وكذا، « **فهجرتُه إلى الله ورسُولِهِ**» حُكمًا وثوابًا، من يهاجر في سبيل الله له أجرٌ عظيم.

«**ومنْ كانَت هجْرَتُه لدُنْيَا يُصيبُها، أَو امرَأَةٍ يَنْكحُها فهْجْرَتُهُ إلى مَا هَاجَر إليْهِ**» ، ما يستحق الذكر هذا لأنه طلبٌ دنيوي ما هو أخروي.

والأجر مترتب على طلب الآخرة مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ مثل مثوبة الله تعالى، ورضاه.

يحتاج الإنسان أن يستحضر النية عند كل أمر، ولهذا قال السلف: انْو في كل شيءٍ الخير، قال الآخر: إني أحتسب عند الله نومتي وقومتي، إني أنام أستعين بالراحة على طاعة الله، وأقوم أبتغي مرضاة الله جلَّ وعلا هكذا، انو في كل شيءٍ الخير.

قيل لأحد السلف: هذه جنازة تعال نصلي عليها، قال: دعني حتى أنوي، إني أنوي القيراط والقيراطين ما أروح مجاملة، لأنه إذا راح مجاملة ما صار له أجر يحتاج الإنسان دائمًا يستحضر النية، وأنك تفعل الطاعة ابتغاء مرضاة الله، وتترك المعصية خوفًا من الله جلَّ وعلا هكذا يكون الإنسان، فلابد من هذا والنية عمل القلب، والقلب لا يخلو من النية أبدًا.

ولذلك الإنسان لو عمَّر مئة سنة ما يستحق الجنة إلا مئة سنة، لماذا الله جعل الجنة لأهل الإيمان خالدين فيها أبدًا، لأنهم ناوين العبادة ما عاشوا، لو عاشوا الدنيا كلها.

والكفار ناوين المعصية والكفر ما عاشوا فلذلك جعل الله تعالى لأهل الإيمان الجنة خالدين فيها أبدًا، وجعل النار للكفار خالدين فيها أبدًا بحسن نياتهم.

فلذلك الإنسان ما يفرط أبدًا، انو في كل شيء الخير حتى السواك عند الصلاة، لأن النبي ﷺ يقول: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، وفي حديثٍ آخر: «عند كل وضوء»، فلو ما تجد سواك ادخل اصبعك في أسنانك ادلكهم بالماء يكفيك هذا.

فتكون اتبعت السُّنة بل ليمكنك، لكن إنك لا تبالي بالسُّنة يمضي عليك أسبوع، أسبوعين هذا دليل عدم اهتمامك بالسُّنة ورخص السنة عليك أنك لا تبالي حصَّلت أجر أو ما حصَّلت أجر هذا غلط، هذه غفلة.

والثاني: كل الناس يفعلون بعض الأشياء ما يريدوا بها وجه الله، يريدون حاجات، تجده له سنين ما راح لشخص صار له حاجة دنيوية قال: والله إحنا جايين لك لله أول شيء، وهو ما نوى يكذب.

فلذلك لابد من النية، نية التقرب إلى الله جلَّ وعلا بفعل الطاعة، ونية السَّلامة من غضب الله وعقابه ترك المعصية حتى يؤجر، الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، ومن لم ينو إلا حبلًا ما له إلا هذا، ومن نوى الأجر والقيراط لمثل جبل أحد له ذلك في حضور الجنازة وتشييعها حتى تدفن انظر كيف الناس، فرق بين هذا وهذا، فلذلك لابد من النية.

والهجرة انتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام أحد ينتقل لأجل الدنيا، وأحد ينتقل لأجل الآخرة، فلذلك من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيةً وقصدًا فهجرته إلى الله ورسوله حكمًا وثوابًا، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ.

٢ – وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ ﵂ قالت: قالَ رسول الله ﷺ: يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ. قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بَأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنهُمْ،؟ قَالَ: يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: هذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

٣ – وعَنْ عَائِشَة ﵂ قَالَت قالَ النَّبِيُّ ﷺ: لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرتُمْ فانْفِرُوا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَعْنَاهُ: لا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلامٍ.

٤ – وعَنْ أبي عَبْدِ اللهِ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ ﵄ قَالَ: كُنَّا مَع النَّبِيِّ ﷺ في غَزَاة فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كانُوا معكُم حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ وَفِي روايَةٍ: إِلاَّ شَرِكُوكُمْ في الأَجْرِ رَواهُ مُسْلِمٌ.

ورواهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنسٍ ﵁ قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَقْوَامًا خلْفَنَا بالمدِينةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

هذه الأحاديث الثلاثة ثابتة عن النبي ﷺ أمثلة تطبيقية على أثر النية في مستقبل الإنسان حسنةً كانت النية أو سيئة، فإن كانت حسنة أثمرت ثماراتٍ حسنة، وإن كانت سيئة صارت لها عواقب سيئة في الدنيا والآخرة إلا أن يعفو الله عَزَّ وَجَلَّ أو يوفق العبد للتوبة قبل الممات.

في الحديث الأول تقول عائشة أم المؤمنين ابنة أبي بكر الصديق ﵂: إن النبي ﷺ قال: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ**»، جيش عرمرم كثير يقصد الكعبة للإساءة إليها، للأذى لهدم الكعبة متى؟ الله أعلم، هذا في مستقبل الزمان ومن أنباء الغيب التي أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ، وأكثر أهل العلم –رحمة الله علينا وعليهم– أن هذا يكون في آخر الزَّمان قبل خروج الدجال أعاذنا الله وإياكم من فتنته.

وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يخرج رجلًا صالحًا من آل بيت النبي ﷺ من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اسمه المهدي، وهو يوافق اسم النبي اسمه محمد بن عبدالله، وكنيته أبو القاسم، هذا الرجل يصلحه الله عَزَّ وَجَلَّ ويجمع عليه كلمة المسلمين، ويرفع راية الجهاد فيغزوه على الجيش في مكة، ويهلك الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الجيش، أين يهلكه؟ بعض الشراح على أنه بعد ميقات ذي الحليفة باتجاه مكة شرفها الله في البيداء أرض مستوية بعد الميقات، فيهلكه الله في هذا المكان، ولذلك قال ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ» هذا بقصد الإساءة إلى الكعبة ومن عندها.

«فَإِذَا كَانُوا ببيْداءَ مِنَ الأَرْضِ» البيداء هي هذا المكان، لأن النبي ﷺ اتجه مع هذا المكان إلى مكة في حجة الوداع، ولَبى بالعمرة والحج قارنًا واختلف الناس في تلبياتهم المفرد والقارن والمُتمتع، ومما ذُكر أنه لبى ﷺ حين علا شرف البيداء، والمعنى أنه ﷺ واصل التلبية بعد إحرامه من ميقاته، فكلٌّ سمع وأخبر بما سمع.

فدلَّ ذلك على أن البيداء بعد الميقات في الطريق إلى مكة شرفها الله.

قال ﷺ:«يُخْسَفُ بأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ»؛ يعني: هذا الجيش يَهلك في مكانٍ واحد مهلكًا واحدًا بعقوبة من الله عَزَّ وَجَلَّ إما خسف مثل ما جاء في الحديث أو عقوبة سماوية تزلزل الأرض وتذهب بهم أيضًا.

فاستدركت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله كَيْفَ يُخْسَفُ بَأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ وفيهم من جاء يتفرج عليهم، من جاء يبيع عليهم ويشري منهم يستغلهم للتجارة كيف ما لهم ذنب؟!

الجيش قاصد البلد الحرام، والله تعالى قال: من ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج]، لكن هل المساكين الذين جاؤوا إما يتفرجون عليهم ولا يبيعون ويشترون معهم، ولا لأغراضٍ أخرى كيف يهلكون معهم؟

فقال ﷺ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُون عَلَى نِيَّاتِهِمْ» فالجيش هذا كله يبعث على نية الإلحاد في الحرم لأنهم جاؤوا للإلحاد في الحرم و الله تعالى قال: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

وفي التفسير أن مكة -شرفها الله- سميت بكة؛ لأنها تبك، تدق أعناق الجبابرة ما أرادها جبارٌ بسوءٍ إلا دقَّ الله عنقه وأهلكه مثل قصة أبرهة النجاشي.

فهؤلاء الذي أرادوا الإلحاد في الحرم يهلكون يخسف بأولهم وآخراهم على نية الإلحاد، ويبعثون يوم القيامة على الإلحاد فتكون عقوبتهم هذه العقوبة الغليظة ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

أما هؤلاء الذين جاؤوا مُتَعرِّضين لهم الذي يتفرج عليهم، والذي يبيع ويشري معهم، والذي كذا، والذي كذا، والذي مارًا في الطريق ولفت نظره الاجتماع والجمع الكبير؛ فهؤلاء يهلكون مهلكهم الخسف لكن يبعثون على نياتهم، ما يبعثون على نية الإلحاد في الحرم، لأنهم ما شاركوهم بالنية، فيدل على هذا شؤم مخالطة أهل المعاصي، وأن العقوبة إذا نزلت تخلط تعم العاصي وغير العاصي.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**إنَّ النَّاسَ إذا رأَوُا المنْكرَ فلم يغيِّروهُ أوشَكَ أن يعمَّهم اللهُ بعقابِ من عندِهِ**»؛ يعني: ظهر المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقابٍ منه.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف]، وبنو إسرائيل الذين احتالوا على أخذ السمك حجروه يوم السبت، وأخذوه يوم الأحد عوقبوا عقوبة عامة، لأن منهم من تجرأ واحتال، احتيال القردة فهلك بهذا، ومنهم من لم يغر على حرمات الله وحقه ولم يُنكر عليهم، فبعثوا خنازير ما عنده غيْره على أنثاه أشبهوا هذا الظاهر.

فالذين أشبهوا القردة في الظاهر مسخوا قردة، والذين لم يغاروا على حرمات الله مسخوا خنازير، والذين نهوا عن السوء أنجاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بكرامةٍ منه.

وعلى خطر السكوت على إنكار المنكر أنه ما ينكر المنكر، وخطر صحبة أهل المنكر، وأنهم لو نزلت بهم عقوبة تعمه معهم.

ومثل هذا أن الإنسان قد يموت فجأة وهو معهم فيبعث على هذه الحال يهلك ملك الظالمين، ويبعث على هذه الطريقة، لا تصاحب الأشرار، ولذلك قال ﷺ: «**لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**».

قال الله جلَّ وعلا: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾ [النساء:١٤٠].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام:٦٨].

لو قُدِّر أنك دعيت لمناسبة أي مناسبة روحت بسلامة صدر وإجابة دعوى، وثقة بالداعي، وربما تراعي صلة رحم أو غير ذلك فحدث في هذا منكر اطلع بسرعة لا تبقى ولا دقيقة واحدة حتى لو نزلت عقوبة فيهم ما تعمك معهم.

ولهذا جاء في الحديث في آخر الزَّمان ناس يطلعون رحلة يعني: مخيم، ويصير عندهم معازف ويشربون الخمر، وعندهم غنم ورعي يقولوا لراعي الغنم: تجينا بكرة، فإذا جاء إليهم وإذا هم قد مسخوا قردةً وخنازير.

ولهذا وصف الله عباد الرحمن: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان:٧٢].

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان:٧٢]، الزُّور الباطن المائل عن الحق أي شيءٍ مائل عن الحق.

ومن هذا أنك في المجلس إذا صار فيه غيبة أو نميمة أو بَهت تقول: يا جماعة اتقوا الله ما أنتم ملزمين بهذا، هذا حرام عليكم، فإن أطاعوا وامتثلوا فذاك ولك أجرك، وإن لم يقبلوا اخرج عنهم، لو كان أباك وأمك، لأنك منهي عن جلوس حال المعصية الظاهرة.

لو كانت المعصية وسوسة في الصدر بين الإنسان وبين نفسه ما عليك منه، ما يعلم ما في الصدور إلا العليم بذات الصدور جلَّ وعلا، لكن ظاهر وتُقِرُّه لا، فاحذر.

ولذا جاء عن النبي ﷺ: أنه إذا نزلت العقوبة أو عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ أصاب من فيهم، ثم يبعثون على نياتهم مريد السوء يبعث عن نيته السوء، والغافل والمتساهل والذي لا يدري عن الموضوع يبعث على نيته التي جاء من أجلها يريد أن يبيع، يريد أن يشري، يريد كذا، يريد كذا، لكن الخطورة العلم أنك تدري أنهم على سوء، ويريدوا السوء ويُجَهروا بالسوء، وتجلس معهم ما غرت على حرمات الله والله تعالى يغار أن يأتي العبد ما حرَّم الله عليه.

فَتَفكَّر في ما جرى في مجلسٍ كان مما حرَّم الله، إن استطعت أن تناههم انهاهم، فإن امتثلوا فلك ولهم، وإن لم يمتثلوا أديت الذي عليك واخرج معهم، أسرع في الخروج لا يفاجئك الأجر وأنت في هذا الموطن المشئوم.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف] .

وأخبر تعالى أنه لا يهلك القرى بظلمٍ وأهلها مصلحون، كن من المصلحين إن قُبِلَ منك فذاك، وإن لم يكن منك اخرج لا تتساهل لأنك ما تدري ما بالغيب، اللحظة التي بعد لحظتك هذه ما تدري ماذا فيها؟، فاحذر، احذر.

هذا الحديث فيه موعظة بليغة جدًّا، وسدَّد الله أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واستفصلت من النبي ﷺ عن هذا الأمر، قالت: كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ..؟ من جاء يبيع ويشري، من جاء يشرف ما هذا الشيء؟، هذا الجيش أين ذاهب؟ ماذا يريد؟

من له من قرابة منهم وكذا، فقال ﷺ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُون عَلَى نِيَّاتِهِمْ»، فَنيَّة المعصية تشمل العاصي، ونية الغفلة تصيب الغافل، ومن لا يدري عن شيء ما يضره هذا، المهم أنه أصابته العقوبة وهذا خطر.

أصابته العقوبة ولنفرض جاء الأجل ما هذا؟ هذا تراه نوع من العقوبة، لم؟ لأنه انقطع عمله الصالح، وأنه صار في الظاهر هلك مهلك الظالمين كلاهما مما يُحذر، لا تسبب أنت في هلاك نفسك.

لكنك تدري أنهم سيعاقبون لا تتسبب، جلست معهم وأنت تدري أنهم سيعاقبون لانتهاكهم حرمات الله، والله تعالى يغار على محارمه، فأنت تسببت لنفسك بالهلاك، وعجَّلت بأجلك، والكل بقدرٍ سابق وعلمٍ من الله عَزَّ وَجَلَّ سابق، ومشيئة نافذة، ولله الحكمة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

لكن احذر، احذر، واحذر أن تكون المعصية في بيتك، تجنب أسباب توفير المعصية في بيتك، وانْهَ أهل البيت عن المعاصي، وبيِّن لهم خطر هذا، وأقل ما تُبتلى به البيوت اليوم هو أنه توجد آلات لهم ومنها الجوالات بالنغمات التي تزعجنا بأصوات موسيقى وأجراس كنائس، فهذه تخرج الملائكة من البيت، وما من مكان تخرج منه الملائكة -عليهم السلام- إلا تحله الشياطين، وإذا حلَّت الشياطين ما تدروا كيف يكون البيت؟

أقل هذا الازعاج والتشويش، والشجار بين أفراد الأسرة يتهاوشون الغلمان ويجرح واحد الثاني، ولا أنت في عافية لا أنت ولا الأم، وتجر واحد إلا الثاني في رفع الموسيقى التلفاز، الأجهزة هذه، تراه منكر، التصوير الذي ما له داعي تراه منكر، من صوَّر صورة كُلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ.

ويقال لأهل الصور: انفخوا فيها، فيعذَّب حتى ينفخ فيها وليس بنافخ، قال ﷺ: «**إن أهل هذه الصور يُعذبون يقال: أحيوا ما خلقتم**».

فأنت في عافية، لا تسبب لنفسك ولا لأهلك.

وكن دائمًا النبي ﷺ في بيتك، ترى بيت النبي ﷺ ما هو معصوم، فكانت توجد به التصاليب، صورة الصلبان، وتوجد به التماثيل، ويوجد به الكلب، يأتي به الطفل الصغير، كل هذا امتنع جبرائيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- من دخول بيت النبي ﷺ بيت عائشة بالذات خاصة، وعد النبي أن يجيء بيت عائشة وما جاء، فلما خرج النبي ﷺ يلتمسه ما يتأخر الملك، قال: أن في البيت جرو كلب تحت المنضدة، أدخله الحسن أو الحسين وهو طفل صغير.

وإن فيه تمثال تمر بالجرو والكلب أن يخرج، وبرأس التمثال أن يقطع حتى يكون كأصل الشجر، وكان ﷺ يطمس التصاليب يحكه، صورة الصليب يحكه، لأنه كذب على الله تعالى، و كذب على عيسى بن مريم، وكان يطمس التصاليب.

وبعث عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**».

ولما دخل من السفر ﷺ وعند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِبته وابن حِبه، وإذا هي مسكينة جعلت قماشة على سهوة دريشة سترة يعني فيه تصاوير تلون وجه النبي ﷺ، تغير واحمر وهتك، قال: «**إن أهل هذه الصور يوم القيامة يعذبون يقال: أحيوا ما خلقتم**».

وهي ما جعلته زينة هي سترة فقط، لكنه مرفوع لو كان يداس بالرجلين أو تحت الفراش يمتهن صح لكن مرفوع، لابد للمسلم أن يكون يقظًا والمسلم كما أخبر النبي ﷺ كيِّس عاقل فطن ذكي وحذِر، احذر.

والعقوبات تتنوع قد يكون التماس غاز، كهرباء، قد يكون حريق غاز، قد يكون كذا، قد يكون كذا، وأقلها شجار إذا دخلت بيتك والموسيقى تعزف تجد العيال مختلفين ويتهاوشون، ولو نشبت معهم.

انتبه أنت لهذا، كن كيِّسًا فطنًا، كن حازمًا لبيبًا، وكن غيورًا على حرمات الله، وكن مشفقًا على أهل بيتك، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وأنت صاحب سلطة في بيتك.

لو كان الإنسان مغلوب على نفسه، ويخشى من الفتنة، اطلع وروح المسجد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما تشاجر ما جلس قدامها يلاحيها حتى ينتهي الموضوع بالطلاق، ذهب ونام في المسجد.

ما جلس قدام المرء لأنه يدخل الشيطان بينهم، ويوسوس بينهم الفتنة والشر حتى يُفرِّق بينهم، كل واحد ينتصر لنفسه، وربما يحضر معه الشيطان شياطين، ويضعف أهل البيت.

وكان النبي ﷺ في مجلس، وفيه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع النبي ﷺ صديق الأمة، وأفضل الأمة بعد النبي ﷺ، بل أفضل أتباع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فكان رجل يسب الصديق، يتكلم عليه ويقدح في حقه، والصديق ساكت، فبعد مدة غاظ الصديق فردَّ عليه، فقام النبي ﷺ وذهب، فتبعه الصديق قال: يا رسول –بأبي أنت وأمي—كنت جالس وانت كذا، قال: أنك لما كنت جالس كان الملك يذب عنك، يدافع عنك، فلما أنت تكلمت ذهب الملك، وحضر الشيطان ما أحضر مجلس فيه الشيطان، انظروا كيف؟

فلابد أن المسلم يكون كيِّسًا فطنًا حازمًا لبيبًا، ولا يلدغ مؤمنٌ من جحرٍ مرتين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

٣ - وعَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَت قالَ النَّبيُّ ﷺ: لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلكنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرتُمْ فانْفِرُوا مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

وَمَعْنَاهُ: لا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلامٍ.

٤ - وعَنْ أبي عَبْدِ اللهِ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَع النَّبِيِّ ﷺ في غَزَاة فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كانُوا معكُم حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ وَفِي روايَةٍ: إِلاَّ شَرِكُوكُمْ في الأَجْرِ رَواهُ مُسْلِمٌ.

ورواهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَقْوَامًا خلْفَنَا بالمدِينةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالهجرة: هي الانتقال من بلد يظهر فيه الشرك إلى بلد الإسلام.

أو بلدٍ تظهر فيه البدعة إلى بلدٍ تظهر في السنة أو بلدٍ تظهر في كبائر الذنوب إلى بلدٍ لا تظهر فيه كبائر الذنوب من أجل الأمن من عقوبة الله جلَّ وعلا لمن أظهر المعصية وأقرَّها، ومن أجل الثبات على الدين.

ولذلك كان النبي ﷺ يأذن لأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أن يهاجروا من مكة إلى الحبشة قال: «**إن عندهم ملكٌ لا يُظلم أحد عنده**»، وهم ذهبوا من أجل أمل فرارًا من أذى قريش لهم، كانت هجرتان؛ يعني: دفعتين هاجروا من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، ولم يرجعوا إلا حين استقر النبي ﷺ بالمدينة.

ولما الأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أسلموا وبايعوا النبي ﷺ بيعتي العقبة الأولى، والثانية شرعت الهجرة للمدينة من أجل تكثير سواد المسلمين، ومن أجل التفقه في الدين، ومن أجل السلامة من أذى المشركين، فكان المسلمون يتوافدون من جهات الجزيرة على المدينة، من هاجر فله ما للمهاجرين وعليه ما عليهم، ومن لم يهاجر لا يسألون عنه.

فكانت الهجرة واجبة من مكة إلى المدينة حتى أظهر الله تعالى الإسلام، وأعز أهله، وجرى صلح الحديبية مقدمة الفتح سنة ٦ من الهجرة، ثم فتح الله تعالى مكة البلد الحرام على النبي ﷺ عام ٨ من الهجرة، فعندئذٍ قال ﷺ: «**لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**»؛ يعني: من مكة إلى المدينة، «**وَلكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**» اهجروا ما نهى الله عنه.

قال ﷺ: «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»، فيهجر المسلم المعصية، ويهجر العصاة إذا كان الهجر ينفعه في دينه أو ينفع العاصي أنه يتوب إلى الله في الذنب ويرجع إلى رشده، وهذه الهجرة باقية إلى يوم القيامة حتى تظهر علامات الساعة الكبرى، لأن الهجرة باقية ما (٠٥:٠٥) إلى العدو، ولا تنقطع الهجرة حتى تطلع الشمس من مغربها، علامة كبرى من علامات الساعة العظيمة، فإذا طلعت الشمس من مغربها انقطعت الهجرة، وختم على القلوب، فالمؤمن لا يكفر والكافر لا يؤمن، ثم بعد ذلك ما شاء الله من الوقت تقوم الساعة.

ولذا قال ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**»؛ يعني: من مكة إلى المدينة.

لكن الهجرة الأخرى هجرة المعاصي، وهجرة العصاة، وهجرة البلد التي تظهر فيها المعاصي، وتظهر فيها البدع والمنكرات باقية هذه، ومع ذلك فعلى المسلم أنه يكون مستعدًا للجهاد في سبيل الله حتى ولاية الأمر، لنشرًا لدين الله تعالى، ودفعًا عن حرمات المسلمين وشعائر الدين والملة، فهذا جهادٌ مشروع باقي إلى قبيل قيام الساعة.

هذا الجهاد ومن شرطه الولاية العامة، وإلا كان كلٌّ يدعي يجاهد ويقتل الناس.

لكن لابد من الولاية العامة التي تنظر في شؤون المسلمين، والأمن، والسلم، وتنبذ العهد، وتنظر في شأن الأسرى، وتكف الناس بعضهم عن ظلم بعض، وتقيم أمن الطرق وغير ذلك من المصالح العظيمة، فينوي المسلم الجهاد، ومن لم يغزو، ولم يحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق، لأن الجهاد شريعة من شرائع الإسلام حتى يعده بعض أهل العلم الشريعة السادسة بعد الحج، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله عز وجل ونحو هذا.

ولذلك قال ﷺ: «**ولكن جهادٌ ونية**» إن تيسر الجهاد فجاهد؛ بمعنى أنه وجدت الولاية وحصلت الحاجة، وتوفرت القدرة، فلابد من هذا الجهاد، إذا توفرت الثلاثة الولاية العامة التي تنظر في شؤون المسلمين ومصالحهم والدفع عنهم، ونشر الإسلام، وحماية حرمات المسلمين، وأعراضهم، في نفس الوقت يكون فيه قدرة على الجهاد إمكانات.

والثالث: أنه يصير جهاد لدعوة الخلق إلى الحق، وإلزام من لم يدخل الإسلام بالإسلام هذه أغراض الجهاد في سبيل الله.

ولذلك قال ﷺ: ولكن جهاد ونية، ويعتبر الجهاد في هذه الحال فرض كفاية إذا قام به من يكفي يحصل به المقصود من أهل الإسلام سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يكن به أن يحصل المقصود ويسقط الفرد عن أهل الإسلام، لأنه يتحتم على الجميع هذا معنى فرض الكفاية.

والذي يقوم بفرض الكفاية له فضيلتان: الأولى المبادرة إلى الطاعات واستبقاء الخيرات فيكون أسوةً لغيره، والثاني أنه يسقط الإثم عن بقية الأمة، وهذا مثل الأذان، ومثل الصلاة على الجنائز، ومثل: الإصلاح بين الناس، كل هذه من فروض الكفايات، ما تعين على الشخص بعينه إلا إذا لم يوجد من يقوم بها هذه فروض الكفايات.

ويكون الجهاد فرض عين في ثلاث أحوال:

الأولى: إذا دعا ولي الأمر للجهاد النفير العام، ومن ذلك قال ﷺ: «**وإذا استنفرتم فانفروا**».

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ﴾ [التوبة:٣٩].

وقال: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التوبة:٤١]، وصم الله الذين لا ينفرون إذا دعوا للنفير مع القدرة بالنفاق، والموالاة للكفار.

ففي هذه الحال إذا استنفر ولي الأمر العام الناس وجب عليهم النفير حتى يجتمع لديه من يحصل له المقصود والدفع.

والحالة الثانية: يجب فيها الجهاد عينًا على الشخص مثل هذه أنه إذا اعتُدي على البلد الذي هو فيه صارت حرمات المسلمين وأعراضهم في خطر، فيدب جميع الناس للجهاد دفاعًا عن بلدهم حتى النساء والأطفال، فالنساء من سطوح البيوت والأطفال كذلك يساعدون الرجال والجيش.

فإذا استنفر الناس من ولي الأمر وجب الجهاد عينًا على كل قادر، وإذا اعتدي على بلد المسلمين واقتحم وجب عليهم عينًا كل شخص بنفسه.

والثالثة: إذا كان أحد له تخصص في نوع من السلاح، نوع من الذخيرة، فيه سياسة، فيه فكرة وعبقرية وتخطيط مثل هذا يجب عليه هو شخصيًا لماذا؟ لأن وجوده ينفع المسلمين، ولا يكون حمل على المسلمين على الجيش.

ففي هذه الأحوال الثلاث يكون الواجب عينًا على المسلم، وما سوى ذلك فهم فروض الكفاية إذا قام به من يكفي ويحصل المقصود سقط الإثم عن الباقي، وإذا تواطأ الناس على تركه أثموا جميعًا.

وفي هذا المعنى جاء الحديث الثاني: إن النبي ﷺ دعا إلى النفير العام لغزوة تبوك لقتال الروم، وكان في قيدٍ شديد يشبه وقتنا هذا قيدٍ شديد يشبه وقتنا هذا، ومسافة بعيدة، وضيق ذات يد من المسلمين، فتخلف المنافقون، وتخلف بعض المسلمين لأعذارٍ شرعية، وتخلف أناسٌ لغير عذرٍ شرعي تساهلًا وعلى نية الخروج.

لكن مضت الأيام ولم يخرجوا هجرهم النبي ﷺ بعد ما رجع خمسين ليلة حتى نزل عفو الله تعالى عنهم، ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ يعني: خُلِّف أمرهم حتى ينزل فيهم القرآن، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾، [التوبة:١١٨] فتابوا إلى الله توبةً نصوحة قَبِلَ الله توبتهم، وأنزل هذه الآيات فيهم، وأخبر بالصدق في توبتهم، وحضَّ المؤمنين على أن يقتدوا بهم في صدقهم، ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة].

ففي هذه الغزوة قال ﷺ وهم في تبوك: «**إن رجالًا خلفنا في المدينة ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا شاركوكم في الأجر**» وهم بين أهلهم.

في رواية: «**ما دخلنا شعبًا ولا قطعنا واديًا إلا كانوا معنا حسبهم المرض**» هذا عذرهم.

فصاروا مجاهدين وهم عند أهلهم، لماذا؟ لأن نياتهم صالحة، لكنهم ما استطاعوا الخروج، أحد مريض، وأحد ما عنده راحلة، والمسافة بعيدة جدًّا، وأحد ما عنده مؤونة للجهاد نفقة، والناس في ضيق ذات يد وعسرة فعذرهم الله تعالى، وكتب لهم ثواب المجاهدين، وهم بين أهليهم.

وهذا دليل حسن النية وأن الإنسان إذا كانت نيته صالحة فإن الله تعالى يعطيه على نيته إذا كان له عذر، ويبلغ مبلغ المجاهدين، ويصل للدرجة العالية في الجنة قد لا يصل إليها بعمل، بحسن نيته.

فدل ذلك على فضل حُسن النية، وأن النية مثل ما يقول العامة: مطية توصل إلى الغرض، وأن الله يعلم الصادق من الكاذب، ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٣٥].

فلذلك ينبغي للإنسان إذا رأى الخير أو دعي إليه أو تيسر سببه، أنه يسرع إليه ويبادر بقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ﴾ [البقرة:١٤٨]، ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحديد:٢١].

ويبذل ما يستطيع، فإذا ما تمكن يعلم الله منه الصدق أنه لو قدر لفعل، لكنه عاجز يعلم الله عز وجل عجزه فيعطيه الله عزَّ وجلَّ على نيته، ولو كان لم يشارك ولم يساهم، لأنه معذور عند الله جلَّ وعلا.

﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران].

يحذر المسلم نية السوء وعمل السوء، وإذا دعي للخير يساهم ويسارع ويبادر قبل الشواغل والصوارف فإن عجز يعلم الله من قلبه الصدق، لأنه لو قدر لخرج لساهم، لبذل ما يستطيع حتى يعطيه الله عز وجل على نيته، وقد تكون نيته خيرٌ من عمله، لأن العمل قد يقصر والنية ما تقصر، فهذه من ثمرات النية الصالحة.

وإذ قال بعض السلف: انْو في كل شيءٍ الخير، قال الآخر: إني أحتسب نومتي وقومتي، نومتي أستعين بها على العمل الصالح في اليقظة، وقيامي لأني أقوم لتحري العمل الصالح من طلب الرزق ومن النفقة الواجبة، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، وصلة الرحم، والإحسان إلى مستحقه، وطلب العلم، والتفقه في الدين، والإعانة على الخير، كل هذا يكون الإنسان دائم يحرص على شغل قلبه بالنية الصالحة حتى يؤجر حتى لا يكون القلب محل للنية الفاسدة، فإن النية الفاسدة يعشعش فيها الشيطان ويبيض ويفرخ، ويحصل آخر شيء النفاق والكفر والردة والعياذ بالله.

يحذر الإنسان، لهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء:٣٦] ، لا تنفذ إلى قلبك شيء من سمعك ومن بصرك إلا ما يعينك على الخير، ويرغبك في الخير، واحذر الشر وأسبابه وأهله، وكل ما يوصل إليه.

والله أعلم، وصلى الله و سلم على نبينا محمد.

٥ - وَعَنْ أبي يَزِيدَ مَعْنِ بْن يَزِيدَ بْنِ الأَخْنسِ ﷺ، وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدّهُ صَحَابِيُّونَ، قَال: كَانَ أبي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا. فَقَالَ: وَاللهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصمْتُهُ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: لَكَ مَا نويْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخذْتَ يَا مَعْنُ رواهُ البخاريُّ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد و على آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الحديث من أمثلة قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئٍ ما نوى**».

فهذا شاب من فقراء الصحابة ﷺ، وأبوه عنده نوع من الغنى، وعلم أن والده وضع دراهم معن عند رجلٍ في المسجد يتحرى بها أهل الصدقة، فذهب الولد إلى الرجل الذي عنده مال وقال: أعطني المال، المال يسير أصلًا، يعني: إني أنا أحق به، أنا عليّ نفقة واجبة، وأبي ما يدري، وتجب عليه نفقتي إذا عجزت، لأن الوالد تجب عليه نفقة الولد إذا عجز، والولد مستقر في بيته.

فأعطاه إياه، وانتفع بها الولد، فلما علم الأب قال: والله ما نويت كذا، أنا نويت أتصدق على الفقراء والمحتاجين، يعني: ما أدري عن حالتك، ولا أدري الصدقة هل هي وقعت موقعها أم لا؟

فترافعا إلى النبي ﷺ؛ يعني: استفتيا النبي ﷺ في المسألة هذه، ذهب الوالد والولد إلى النبي ﷺ وأخبراه بما جرى، فالولد يقول: أنا محتاج إلى هذه النفقة، النفقة عليّ أولى من الصدقة، والأب يقول: أنا ما أدري عنك وأنا نويت يتصدق على المساكين، فكأن الصدقة وقعت الآن في غير يد المساكين، فهما يستفتيان النبي ﷺ.

فقال النبي ﷺ: «**لك ما نويت يا يزيد**» الأب، أنت مادام نويت الصدقة فالصدقة وقعت موقعها، لأن النفقة على الولد أوجب على الصدقة، ولك ما أخذت يا معن لأنك أخذتها من حاجة، ما أخذتها تكثرًا، وهي ليست زكاة مال، فهي صدقة عامة.

فتحققت نية الأب بالصدقة، وربما أنه يكتب له الأجر مرتين لأنه أنفقها على من يستحق عليه وجوبًا، والولد أخذها بوجهٍ شرعي لحاجته، وهذا من شأن الصحابة ﷺ وأدبهم في تحري وقوع العبادة على الوجه الصحيح.

ومن ذلك أنه لما كانت غزوة أحد ودعا النبي ﷺ المسلمين إلى الجهاد والنفير، قال جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري رضي الله عنهما لأبيه: أنا أخرج للجهاد، نحن اثنان وأنت عندك عائلة وكبير سن وأعرج، ممن عذر الله تعالى، وأنا أخرج، أنا شاب وأنا تزوجت، وأخرج، قال الوالد: لا، أنا أخرج أنا أحبَّ عليّ إني أخرج ولو كنت معذورًا، أخرج مع رسول الله ﷺ، وأُبلي بلاءً حسنًا في نصرة الإسلام، في نصرة النبي ﷺ، وأنا كبير قد اقترب أجلي، وأنت شاب فيه رجاء خير، دعني أنا أخرج يقول الأب.

فترافعا إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ للأب: أنت ممن عذر الله، لأنك أعرج والله تعالى:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور:٦١] فدع ولدك يخرج للجهاد، قال: لا، يا رسول الله أنا أريد أنا أطأ بعرجتي هذه الجنة، رجلي العرجة هذه يريد أن أطأ بها أرض الجنة.

وهذه فرصتي ما أضيع الفرصة، كلٌّ منهم متعلق، الولد بار بأبيه، والأب مشفق لأنه في نهاية عمر وكذا وفرصة حصلت، فلم يكن من النبي ﷺ بُد إلا أن يقرع بينهما قرعة فتكون قسمة قدرية، فقال: هات سهمك يا عبدالله الوالد، وهات سهمك يا جابر.

فأقرع بينهما فخرج سهم الوالد أنه هو الذي يخرج إلى الجهاد في سبيل الله، وأوصى الوالد ولده بخير، وقال له: أني لأراني إلا سأقتل في هذه المعركة، فالله الله في ديني، أنا عليّ دين، دين نخل استدنته من يهودي أَبرِأ ذمتي أول شيء من ثمر النخل إذا استوى، واعتن بأخواتك له ثمان أخوات ما لهن أم.

فأوصى بذلك خيرًا، وخرج عبدالله الوالد وجاهد مع النبي ﷺ وقتل، فكان من أول القتلى وصار من الشهداء في قصةٍ تطول.

لكن هذا الذي جرى بين الوالد والولد بأدب واحترام، وتحري للخير، وعدم إيثار بالقربة، حتى القربة العبادة، ولا أنا أريدها.

يريد الأجر من الله ﷻ فتشاحا في العبادة أيهما الذي يخرج الأول؟

وقسم الله بينهما قسمة قدرية بالقرعة، قضى الله ﷻ أنه الوالد يكون هو الذي يخرج ويستشهد في سبيل الله، ووفى الولد فإنه قد تعاهد النخل ولما جاء الجذاذ جمع التمر وقال لليهودي: خذ، فقال اليهودي: هذا ما يكفيه حقي لازم تعطيني حقي كاملًا، وأخبر جابر النبي ﷺ بهذا وطلب منه أن يشفع عند اليهودي، فشفع النبي ﷺ عند اليهودي ولم يقبل، قال: لا، أريد حقي كاملًا، ولو لم تفي الثمرة بالمبلغ يكملي.

فطاف النبي ﷺ على ثمر جابر ودعا بالبركة، وقال لليهودي: اكتل، فكتال من التمر حتى أخذ حقه وبقي لجابر خير.

هذا من بر جابر بأبيه، والثانية: أنه تزوج جابر وأخذ امرأةً ثيبًا وهو شاب تكبره بالسن، فقال النبي ﷺ: هلا بكرًا مثلك، فقال: إن النبي استشهد وترك ثمان بنات ولا أحببت أن آتي لهن بسفيهة مثلهن، أريد امرأة عاقلة ترعاهن، تمشطهن وتراعيهن وكذا وكذا، فدعا لهن بالسلام والبركة وبارك الله له.

فهذا من تنافس الصحابة حتى الوالد والولد على القُرَب، وعلى الإيثار بالقرب كل إنسان يريد أنه يكون هو السابق إلى الخيرات، وإلى المغفرة والجنات ﭫ وأرضاهم.

ودلَّ على أن الأعمال بالنيات، فنية يزيد بلغت وإن كان ما وصل المال للفقير المستحق، ونية الولد بلغت لأنه أخذ المال بوجه حق لحاجته، فدل على أن الأعمال بالنيات، وأن الإنسان إذا نوى الخير حصَّله إما بالنية والعمل أو بالنية والنية كافية لأن نية المؤمن خيرٌ من عمله وأيسر، والنية ما يعتريها النقص هكذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

وعن أبي يَزيدَ مَعْنِ بنِ يَزيدَ بنِ الأخنسِ - ﭫ - وهو وأبوه وَجَدُّه صحابيُّون، قَالَ: كَانَ أبي يَزيدُ أخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ في الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فأَخذْتُها فَأَتَيْتُهُ بِهَا. فقالَ: واللهِ، مَا إيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إلى رسولِ اللهِ - ﷺ - فقَالَ: «لكَ مَا نَوَيْتَ يَا يزيدُ، ولَكَ ما أخَذْتَ يَا مَعْنُ». رواهُ البخاريُّ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذا الحديث من أمثلة قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**» فهذا شاب من فقراء الصحابة ﭫ، وأبوه عنده نوع من الغنى، وعلم أن والده وضع دراهم مال عند رجلٍ في المسجد يتحرى بها أهل الصدقة، فذهب الولد إلى الرجل الذي عنده المال وقال: أعطني المال، المال يسير أصلا، يعني إني أنا أحق به، أنا علي نفقة واجبة وأبي ما يدري وتجب عليه نفقتي إذا عجزت، لأن الوالد تجب عليه نفقة الولد إذا عجز، والولد مستقل في بيت، فأعطاها إياه، وانتفع بها الولد، فلما علم الأب قال: والله ما نويت كذا، يعني نويت أن أتصدق على الفقراء وعلى المحتاجين، يعني ما أدري عن حالتك، ولا أدري الصدقة هل هي وقعت موقعها أو لا، فترافعا إلى النبي ﷺ، عني استفتيا النبي ﷺ في المسألة هذه، ذهب الوالد والولد إلى النبي ﷺ وأخبره بما جرى، فالولد يقول: أنا محتاج لهذه النفقة والصدقة، النفقة علي أولى من الصدقة، والأب يقول أنا ما أدري عنك وأنا نويت الصدقة على المساكين، فكأن الصدقة وقعت الآن في غير يد المساكين، فهما يستفتيان النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "لك ما نويت يا يزيد" الأب أنت نويت الصدقة فالصدقة وقعت موقعها، فإن النفقة على الولد أوجب من الصدقة. "ولك ما أخذت يا معن" لأنك أخذتها من حاجة، ما أخذتها تكثرا، وهي ليست زكاة مال هي صدقة عامة، فتحققت نية الأب بالصدقة وربما إنه يكتب له الأجر مرتين لأنه أنفقها على من يستحق عليه وجوبا، والولد أخذها بوجهٍ شرعي لحاجته، وهذا من شأن الصحابة ﭫ وأدبهم في تحري وقوع العبادة على الوجه الصحيح.

ومن ذلك إنه لما كانت "غزوة أُحد" ودعا النبي ﷺ المسلمين للجهاد والنفير، قال جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، ﭬ: أنا أخرج للجهاد. الولد يقول لأبيه: أنا أخرج للجهاد، نحن اثنان وأنت عندك

عائلة وكبير سن وأعرج، وممن عذره الله تعالى، وأنا أخرج فأنا شاب ولا تزوجت وأخرج، قال الوالد: لا أنا أخرج، أنا أحب علي إني أخرج ولو كنت معذورا أخرج مع رسول الله ﷺ، وأُبلي بلاءً حسنًا في نُصرة الإسلام نصرة النبي ﷺ، وأنا كبير قد اقترب أجلي، وأنت شاب في رجاء خير، فدعني أنا أخرج يقول الأب: فترافعا إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ للأب: أنت ممن عذر الله لأنك أعرج، والله تعالى يقول: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ ﴾ [النور:٦١] يعني فدع ولدك يخرج للجهاد، قال: "لا يا رسول الله، أنا أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة" رجلي العرجاء هذه أريد أن أطأ بها أرض الجنة، وهذه فرصتي ما أضيع الفرصة هذه، كل منهم متعلق الولد بار بأبيه، والأب مشفق لأنه في نهاية عمره وكذا وفرصة حصلت فلم يكن من النبي ﷺ بد إلا أن يُقرع بينهما قرعة، فتكون القسمة قدرية، فقال: هات سهمك يا عبد الله، الوالد، وهات سهمك يا جابر، قرعة، فأقرع بينهما فخرج سهم الوالد، أنه هو الذي يخرج للجهاد في سبيل الله، وأوصى الوالد ولده بخير وقال له: إني لا أُراني إلا سأُقتل في هذه المعركة، فالله الله في ديني أنا علي دين للنخل استدنته من يهودي لأبرئ ذمتي أول شيء من ثمرة النخل إذا استوى، واعتني بأخواتك له ثمان أخوات ما لهم أم، فأوصاه بذلك خيرا، وخرج عبد الله الوالد وجاهد مع النبي ﷺ وقُتل فكان من أول القتلى، وصار من الشهداء في قصة تطول.

لكن هذا الذي جرى بين الوالد والولد بأدب واحترام وتحري للخير، وعدم إيثار بالقربة، يعني حتى القربة العبادة وإلا أنا أريدها يعني يريد الأجر من الله عز وجل، فتشاحا في العبادة، أيهما الذي يخرج الأول، وقسم الله بينهما قسمة قدرية بالقرعة، فقضى الله عز وجل أن الوالد يكون هو الذي يخرج ويستشهد في سبيله، ووفى الولد فإنه قد تعاهد النخل، ولما جاء الجذاذ جمع التمر وقال اليهودي: خذ، فقال اليهودي: هذا ما يكفيني حقي، لازم تعطيني حقي كاملا.

وأخبر جابر النبي ﷺ بهذا، وطلب منه أن يشفع عند اليهودي، فشفع النبي ﷺ، ولم يقبله، قال: لا أريد حقي كاملا، ولو لم تفي الثمرة بالمبلغ يكمل لي، فطاف النبي ﷺ على ثمر جابر، ودعا بالبركة، وقال لليهودي: اكتال، فاكتال من التمر حتى أخذ حقه وبقي لجابر خير، هذا من بر جابر بأبيه.

والثانية: إنه تزوج جابر وأخذ امرأةً ثيبا وهو شاب، تكبره في السن، فقال النبي ﷺ: "هلا بكرا"؟ يعني مثلك؟ فقال: إن أبي اُستشهد وترك ثمان بنات ولا أحببت أن ائت لهن بسفيهة مثلهن، أريد امرأة عاقلة ترعهن، تمشطهن، وتراعيهم، وكذا وكذا، فدعا له النبي ﷺ بالبركة وبارك الله له، فهذا من تنافس الصحابة حتى الوالد والولد على القرب، وعدم الإيثار بالقرب، لأن كل إنسان يريد إنه يكون هو السابق إلى الخيرات، وإلى المغفرة والجنات، رضي الله عنهم وأرضاهم، ودل على أن الأعمال بالنيات، فنية يزيد بلغت وإن كان ما وصل المال للفقير المستحق، ونية الولد بلغت لأنه أخذ المال بوجه حق لحاجته، فدل على أن الأعمال بالنيات، وأن الإنسان إذا نوى الخير حصله، إما بالنية والعمل، أو بالنية والنية كافية لأن نية المؤمن خيرا من عمله، وأيسر، والنية ما يعتريها النقص، هكذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

٦- وعن أبي إسحاق سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ مالِكِ بنِ أُهَيْب بن عبدِ منافِ بنِ زُهرَةَ بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤيٍّ القُرشِيِّ الزُّهريِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَحَدِ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قَالَ: جاءنِي رسولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بي، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنِّي قَدْ بَلَغَ بي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَى، وَأنَا ذُو مالٍ وَلا يَرِثُني إلا ابْنَةٌ لي، أفأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لا»، قُلْتُ: فالشَّطْرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ: «لا»، قُلْتُ: فالثُّلُثُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ والثُّلُثُ كَثيرٌ - أَوْ كبيرٌ - إنَّكَ إنْ تَذَرْ وَرَثَتَكَ أغنِيَاءَ خيرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يتكفَّفُونَ النَّاسَ، وَإنَّكَ لَنْ تُنفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغي بِهَا وَجهَ اللهِ إلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ في فِيِّ امْرَأَتِكَ»، قَالَ: فَقُلتُ: يَا رسولَ اللهِ، أُخلَّفُ بعدَ أصْحَابي؟ قَالَ: «إنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتعملَ عَمَلًا تَبتَغي بِهِ وَجْهَ اللهِ إلاَّ ازْدَدتَ بِهِ دَرَجةً ورِفعَةً، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتّى يَنتَفِعَ بِكَ أقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخرونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابي هِجْرَتَهُمْ ولاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أعقَابِهِمْ، لكنِ البَائِسُ سَعدُ بْنُ خَوْلَةَ» يَرْثي لَهُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ ماتَ بمَكَّة. مُتَّفَقٌ عليهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا الحديث المتفق على صحته اشتمل على جملة أحكام حكيمة، وفوائد كريمة، منها: مشروعية زيارة المريض إذا أمكن، فإنها تكون زيارة لمريض، فتحقق فيها مواساة المريض، والاعتبار بحاله، والزهد في الدنيا، والدعاء له، إلى غير ذلك من المصالح، مع فضل زيارة الأخ في الله، ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعاد سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكة في "حجة الوداع"، وفيها من الفوائد: أن المريض إذا زاره أحد من أهل العلم يستفتيه فيما يُشكل عليه من أمر طهارته، ومن أمر عبادته، وفي شأن وصيته، وتركته، وغير ذلك مما يتعلق بأحواله، ولذلك سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استفتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصيته، وفي تركته، فقال: إنه يريد أن يوصي بثلثي ماله، يعني في وجوه البر والخير، فأبى عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، وقال له: "**إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خيرًا من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**".

يعني: احتسب فيما تتركه لورثتك من التركة، ولا تضايقهم، أو تضيق عليهم.

ولو كان لك رغبة في الخير، فإن الإنسان ينبغي له أن يتحرى وجوه الخير فيما أغناه الله به طول حياته، ما يكون هذا عند الموت واليأس من المال، أو قد يكون في نوع من الشح على الورثة، أو التشفي في أحد منهم، فإنه قد جاء وعيد في ذلك، في حديث صحيح عن النبي ﷺ، قال: "**إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله تعالى ستين سَنة، ثم يجور في وصيته فيدخل النار**" يعني: بسبب الجور، بحيث إنه يحابي أحد من الورثة من زوجة، أو ولد، أو غير ذلك، أو يحتال لحرمان أحد.

قال سعد: "**فالشطر**" يعني النصف كان يريد أن يوصي بثلثي ماله، والآن تنازل قال: الشطر: النصف. قال له النبي ﷺ: "**لا**"، قال: فالثلث، فقال ﷺ: "**الثلث والثلث كثير**" يعني ينبغي أن تكون وصية بأقل من الثلث، ولذلك أوصى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وغيرهم من الصحابة بالربع، غضوا من الثلث لهذا الحديث قال: "**الثلث**" : لا بأس يعني به، لكن "**والثلث كثير**".

ولهذا قال بعض السلف: وددت أن الناس غضوا. نقصوا يعني عن الثلث، لأن النبي ﷺ قال: "**الثلث كثير**" فاستفتى سعد رضي الله عنه النبي ﷺ بشأن ماله، وورثته، ووصيته، فأرشده النبي ﷺ، وبَين له فضل النفقة في الحياة، قال له: "**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها**" يعني مع الاحتساب "**حتى ما تجعله في فِيّ امرأتك**" وفي هذا إشارة إلى حُسن المعاشرة للزوجة، وأن الإنسان يتعامل مع زوجته، والزوجة مع زوجها بلطف، وسلامة صدر، وحُسن معاشرة، ونوع من الإكرام، وإظهار الحفاوى والشفقة، حتى قال: "**تجعله في فِيّ امرأتك**" يعني ما يتقرب به إلى الله أن الإنسان أخذ التمرة، أو يأخذ اللقمة ويجعلها في فيّ امرته، تأنيسا لها، وتطييبا لخاطرها، وإشعارها بمنزلتها عنده، وهكذا، وهذا من حسن المعاشرة بالمعروف، وهذا من جليل الأعمال الصالحة، "**حتى ما تجعله في فِيّ امرتك**" هكذا، وأن الإنسان كل ما عمره الله في الإسلام ممتعًا بعقله فإن هذه من صدقة الله عليه، ونعمة الله عليه، فإن المؤمن لا يزيده عمرا إلا خيرا، يكفيه النية الصالحة، واللهج بذِكر الله جل وعلا، مع ما يفتح الله عز وجل له من أبواب الخير، ومن أداء الشرائع العظيمة، وأركان الإسلام، وتحقيق أركان الإيمان، ووجوه البر والخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وغير ذلك من خصال الخير.

ففهم سعد رضي الله عنه من النبي ﷺ: أنه سيطول عمره، وسيرزق بذرية، لأنه في ذاك الوقت ما كان له إلا ابنة واحدة، فلذلك قال: يا رسول الله أُخلف بعد أصحابي. أعيش يعني بعد جملة من أصحابي أسناني ومن أكبر مني؟ فنبهه النبي ﷺ: "**لعلك أن تُخلف، وإنك لن تُخلف فتعمل عملًا**" يعني هذه المدة التي زادك الله إياها بالحياة بعد أصحابك إلا ازددت بها درجة ورفعة، فكل ما تبتغي به من العمل الصالح وجه الله جل وعلا تؤجر عليه، ترتفع درجتك عند الله تعالى به، ويكون من الإحسان إلى مستحقه، ومن اغتنام الحياة فيما يقرب إلى الله جل وعلا، ولهذا ثبت عن النبي ﷺ في الصحيح: أن أفضل المسلمين في الإسلام من يُعمر في الإسلام، بتسبيح الله تعالى، وتقديسه، وقال: "**خيركم من طال عمره وحسُن عمله**".

فكل يوم يفسح الله لك في الأجل مع عقلك فهي من نِعم الله عليك، وقد تكون من حُجج الله تعالى عليك، فيحمد الإنسان ربه على ذلك.

وكان النبي ﷺ كلما استيقظ من منامه قال: "**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي رد علي روحي، وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره**" يشكر الله على هذه النعمة المهلة مهلة الأجل لأجل أن يستفيد من صالح العمل، ومن الاستغفار من التقصير والزلل وقصور العمل، فأخبره النبي ﷺ أنه سيُخلف يعني، وهذا مما أوحاه الله تعالى إليه عليه الصلاة والسلام، وقال: "**لعلك أن تُخلف فينتفع بك أقوام**" يعني أهل الإسلام، "**ويُضر بك آخرون**" من يموت على الكفر، ولذلك عُمر رضي الله عنه سعد حتى فتح الله على يديه أبواب بلال فارس، في واقعة القادسية المشهورة في زمن عمر رضي الله عنه، وروى من سُنن النبي ﷺ وهديه الشيء الكثير الذي نقله إلى أصاغر الصحابة، وأكابر التابعين، وغيرهم، فانتفع به المؤمنون، وتضرر به من مات على الكفر، فتحقق نبوءة النبي ﷺ له في شأنه.

قال سعد رضي الله عنه: لكن البائس سعد بن خولة واحد من أصحاب النبي ﷺ، كان قد هاجر إلى المدينة من مكة، كان مهاجر مثل سعد بن أبي وقاص، أو غيره، ومرض ومات بمكة، قدر الله له أن يمرض من مكة وأن يموت، ولذلك النبي ﷺ أشفق على سعد بن أبي وقاص.

قال: "**اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم**" تممها عليهم، ومن حرص النبي ﷺ على الصحابة المهاجرين رضي الله عنهم: أنه لم يُرخص لهم في حجة الوداع بالبقاء بمكة بعد الصدر بعد الفراغ من مناسك الحج اليوم الثالث عشر، إلا ثلاثة أيام للحوائج التي نابتهم، وهذا من أقوى أدلة الجمهور من أهل العلم -رحمة الله عليهم- على أن المسافر إذا علم أو قرر أنه يقيم إقامةً عارضة أثناء سفره في بلد أربعة أيام فأكثر، فإنه ينبغي أن يأخذ أحكام المقيم ما يأخذ أحكام المسافر، فما زاد عن أربعة أيام فهو يُعد إقامة ولو عارضة، فينبغي أن يأخذ المقيم هذه المدة أحكام المقيمين لا أحكام المسافرين، ولم يرخص النبي ﷺ للصحابة أن يقيموا بمكة بعد الصدر بعد يوم الثالث عشر إلا ثلاثة أيام للحاجة، فدل على أن أربعة أيام فأكثر تكون إقامة عارضة، وخشي النبي ﷺ على الصحابة المهاجرين أن يُبتلى أحدهم بمرض، ويموت في دار هجرته، فكأن هجرته ما تكون تامة وكاملة.

ولهذا ابن عباس رضي الله عنهما وكان وزيرًا لعلي رضي الله عنه في أيام خلافته بالكوفة، كان على بيت المال، وكان مستشارا له، ومناظرا عنه، لما رجع ابن عباس من العراق بعد استشهاد علي رضي الله عنه، ما أراد أن يبقى في مكة، مع حرصه على أن يكون في مكة شرفها الله من أجل نشر العلم في الحرم، لكن لأنه قد هوجر به هاجر به أبواه من مكة إلى المدينة، فخشي أن تنتقض هجرته أو تنقص، فأقام بالطائف قريبا من مكة، وينزل إلى مكة شرفها الله بين وقتٍ وآخر للتعليم والفتية حتى توفي بالطائف رضي الله عنه، عام ثمان وستين للهجرة، فاختار بلدا قريبة من مكة وليست من البلد التي هاجر منها أو هوجر به منها إلى المدينة، حتى لا تنقص هجرته، لقول النبي ﷺ: "**اللهم أتمم لأصحابي هجرتهم**".

وتأسف النبي ﷺ على صاحبه سعد بن خولة أن مات بمكة، وكان قد هاجر منها، مع أن الموت أمر قدري وعرض له في سفر، فلذلك دعا النبي ﷺ لأصحابه أن الله يتم لهم هجرتهم، وأن لا تنقص عليهم، هذه مهمات من أحكام هذا الحديث وفوائده، رزق الله الجميع الفقه في الدين، والإخلاص لوجهه سبحانه وتعالى فيما يؤتون وما يذرون، وأعانهم على كل خيرٍ وبر، وأعاذهم من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

٧- وعنْ أبي هريرةَ عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ: «إنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلى أجْسَامِكُمْ، ولا إِلى صُوَرِكُمْ، وَلَكن يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكمْ وأعمالكم». رواه مسلم.

٨- وعن أبي موسى عبدِ اللهِ بنِ قيسٍ الأشعريِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله - ﷺ - عَنِ الرَّجُلِ يُقاتِلُ شَجَاعَةً، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً، ويُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذلِكَ في سبيلِ الله؟ فقال رَسُول الله - ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهوَ في سبيلِ اللهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

٩- وعن أبي بَكرَةَ نُفيع بنِ الحارثِ الثقفيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبيَّ - ﷺ - قَالَ: «إِذَا التَقَى المُسلِمَان بسَيْفَيهِمَا فالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ في النّارِ». قُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، هذا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المقْتُولِ؟ قَالَ: «إنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قتلِ صَاحِبِهِ». مُتَّفَقٌ عليهِ..

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه الأحاديث في بيان فضل النية الصالحة، وسلامة الصدر، وحُسن القصد، وأن الله تعالى ينظر إلى ذلك من قلب العبد ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٩ - ٣٠].

فالقلب هو محل نظر الله جل وعلا من العبد، لا الصورة، ولا الجسم، ولا الملابس، ولا الأموال، فإذا اشتمل القلب على النية الصالحة، والإخلاص لله تعالى، والتعلق به، ومحبة طاعته، وبغض معصيته، والحرص على التأسي بالنبي ﷺ، فهذا هو الذي يرضي الله جل وعلا، ويثيب عليه، ويقرب العبد به درجاتٍ عنده، ويرفع مقامه في الدنيا والآخرة، حتى يختاره الله تعالى إلى جواره ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وإذا صار القلب مشتمل على سوء القصد، والنية الفاسدة، وغل الصدر، وطلب الدنيا في أمر الآخرة فهذا لا يبالي به الله تعالى، ولا يبالي بصاحبه.

بل أن الأحرى أن الله تعالى يكله إلى نفسه فيشقى في عاجل أمره وآجله، إلا أن يتوب ويتداركه الله تعالى بتوبة، ولذلك قال ﷺ في الحديث الأول: "**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**" وفي الحديث الآخر: "**وأعمالكم**" يعني الموافقة للشرع.

وفي الحديث الثاني كذلك: دلالة على فضل سلامة القصد، وأن الرجل قد يدخل الحرب والجهاد في سبيل الله، لكن يختلف من شخص إلى آخر، فأحد فيه نحرة عصبية، وأحد يقاتل رياءً ليُمدح ويُشهر، وأحد يقاتل من أجل الدنيا من أجل الغنيمة، يعني كل الثلاثة ما عندهم حسبة بأنهم يقاتلون القتال الشرعي المشروع، الذي يرجون به الشهادة في سبيل الله، ودخول الجنة، كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن حرام الأنصاري، ﷺ، لما دعا النبي ﷺ للجهاد في "أُحد" عزم على القتال وهو رجل كبير في السن، وأعرج، وأراد ابنه أن يقوم بالواجب عنه، فأبى، فترافعا إلى النبي ﷺ يستفتيان، فقال النبي ﷺ: "**إنك ممن عذر الله**" كبير، وأعرج، وولدك يقوم مقامك، فقال: لا يا رسول الله إني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فأقرع بينهما النبي ﷺ، فخرج سهم الوالد، وجاهد في سبيل الله، وقُتل، فكان من الشهداء الأبرار.

هذه النية الصالحة، أما إرادة الدنيا، وإرادة الشهرة، وإرادة النعرة القبلية والعصبية، فهذه ما تفيد أصحابها شيئا، بل إنه يفوت بها الأجر ويحصل بها الوزر.

وفي الحديث الثالث: قال النبي ﷺ: "**إذا التقى المسلمان بسيفيهما**" يعني يتحاربان يتقاتلان، "**فالقاتل والمقتول في النار**" يعني كلاهما، قيل: يا رسول الله هذا القاتل، يعني لأنه قتل يكون في النار، لكن المقتول ظاهر الحال أنه مغلوب على أمره؟ قال: "**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**" لو تمكن لقتل صاحبه، والمعنى: بغير حق، أما أن يقاتل مع ولي الأمر العام فئة باغية لو قتل صاحبه ولو كان مسلما فهو مأجور، لأنه تحت الولاية العامة، والله تعالى قال: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٩].

فقال: "**إنه كان حريصا على قتل صاحبه**" لأنه يعلم أنه على غير حق، فصار الأول في النار لسوء نيته، ولمباشرته القتل، وصار الثاني في النار لسوء نيته، ولو أنه ما قتل سُبق وقُتل، فدل ذلك على أن الأساس ومحل نظر الرب جل وعلا من الشخص هو القلب، ولذلك قال ﷺ: "**إنما الأعمال بالنيات،**

وإنما لكل امرئ ما نوى"، وقال: "**لن تعمل عملًا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعله في فِيّ امرأتك**".

وبَين ﷺ أن كل شيء بالحسبة، بالنية الصالحة، ونية المؤمن خير من عمله لأنها دائمة وتكون شاغلة للقلب دائمة، ولأنها لا يتعرض لها النقص، بينما العمل يحصل له النقص والخلل، ويصير في وقت ودون وقت، فلذلك قيل: نية المؤمن خير من عمله. فيشغل المسلم قلبه دائما بالنية الصالحة، مع سلامة الصدر تجاه عباد الله الصالحين ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وبشر النبي ﷺ أصحابه برجل يدخل عليهم من باب ثلاث مرات ثلاثة أيام كل يوم يقول: يدخل عليكم من هذا الباب رجل أعجمي. فدخل فإذا هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فلما سُئل عن هذا العمل الذي أدخله الله به الجنة مع أن ظاهر الحال مثل بقية الصحابة في الأعمال رضي الله عنهم؟ قال: إني لم أبت ليلة وفي قلبي غل على مسلم. قيل: هذا الذي لا نطيق، فهذا فضل من الله جل وعلا سلامة الصدر، فينبغي للمسلم أن يحرص على سلامة الصدر، وعلى النية في الخير، وعلى الحذر من نية السوء وسوء الظن، وغير ذلك من الأمور التي مدارها على الدنيا وحضوض النفوس.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١٠- وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قالَ رَسُول الله - ﷺ: «صَلاةُ الرَّجلِ في جمَاعَةٍ تَزيدُ عَلَى صَلاتهِ في سُوقِهِ وبيتهِ بضْعًا وعِشرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أنَّ أَحدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ لا يُرِيدُ إلاَّ الصَّلاةَ، لاَ يَنْهَزُهُ إلاَّ الصَلاةُ: لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بها خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فإذا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ في الصَّلاةِ مَا كَانَتِ الصَّلاةُ هِي تَحْبِسُهُ، وَالمَلائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ في مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيهِ، مَا لَم يُؤْذِ فيه، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ». مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا الحديث من الأحاديث الدالة على وجوب إخلاص النية لله جل وعلا في العبادة، وأن الإنسان يفعل ما يفعل من طاعة الله، ويترك ما يترك من معصية الله حسبة، ونية، ورغبة فيما عند الله جل وعلا من الثواب العظيم والأجر الكريم، ورهبة من العذاب الأليم، فتكون جميع عباداته مبنية على نيةٍ صحيحة، خالصة لله تعالى، مع إتباع السُنة إتباع النبي ﷺ على سُنته، ومن ذلك أمر الصلاة، فإن الله تبارك وتعالى أمر بالصلاة في آي عديدة من القرآن العظيم يقول: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣]، ويقول: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].الآيات إلى قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [المؤمنون:٩] يعني في السراء والضراء وفي الأمن والخوف وفي الحضر والسفر وفي الصحة والمرض ما يضيعون الصلاة يحافظون عليها، ولذلك لم يرضَ الله جل وعلا لهم منزلة إلا جواره في الجنة، قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون: ١٠ - ١١] والمعنى: أن لهم مثل ما أن الوارث له نصيبه من تركة مورثه إذا مات، فالجنة لهم، مورثة لهم بالمحافظة على الصلوات وسائر الطاعات، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ ليس الجنة فقط بل أخص منزل في الجنة وهو أعلى الجنة، نسأل الله الفردوس الأعلى.

فإن النبي ﷺ قال: "**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تُفجر أنهار الجنة، وسقفه عرش الرحمن**" الذي هو أقرب شيء إلى الرحمن جل وعلا، فهذا الذي رضيه الله للمحافظ على الصلوات، ولا تتم المحافظة على الصلوات إلا بأدائها مع الجماعة في حق الرجال، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [البقرة:٤٣].

والنبي ﷺ حافظ على الصلاة، وحظ عليها، فالمحافظة عليها حتى مع المرض الذي لا يمنعه من المسجد، فلذلك ينبغي له ويعز على المسلم أن تفوته الصلاة من غير عذر، وإذا صار له عذر فليأخذ برخصة الله جل وعلا، ومن هذا إن المسلم إذا صلى في المسجد تكون صلاته مضاعفة، أجرها عظيم وكبير، خمس وعشرين ضعفًا، مثلما لو صلى في بيته خمسة وعشرين مرة الفريضة، فإذا صلاها في المسجد أدرك هذا الأجر العظيم.

وفي الحديث الثاني: "**سبع وعشرين**" كأنها صلاها سبع وعشرين مرة، فلذلك الإنسان ما تطيب نفسه أنه يترك الجماعة وهو يقدر، حتى إن النبي ﷺ جيء به يهادى إلى المسجد بين رجلين من شدة الحمى، فلذلك المسلم يعز عليه أن تفوته الصلاة مع الجماعة، وإذا فاتته من غير عذر ولو كان ناسيا ولو كان منشغلا بأمر يهم الإسلام يشق عليه ذلك، عمر رضي الله عنه اشتغل بتجهيز الجيش للجهاد في سبيل الله، فشُغل حتى فاتته الصلاة وهو في طرفٍ من المدينة، فقال للناس الحضور: يا معشر من حضر أُشهدكم أن حديقتي الفلانية نخل له صدقة لله تعالى، تعويضا عما فاته من أجل الصلاة، فذُكر أن بعض الصحابة رضي الله عنهم يعزي الآخر إذا فاتته الصلاة، يدعوا له بالجبران من النقص، وأن الله لا يفوته الأجر، ولذلك أخبر النبي ﷺ أن صلاة الرجل في المسجد أفضل من صلاته في بيته، وفي سوقه يعني المجاور لبيته، السوق ما هو بالذي تعرفون المول لا السوق الطريق المُوصل إلى الحاجات، قد يكون واسعا وقد يكون ضيقا، فلا يختصر يقول: لا أصلي في أقرب جماعة مثلًا يقول بعض الناس: أصلي في مسجد محطة، أصلي في كذا، لا، صلي مع الجماعة، مع الإمام الراتب، حتى تُحصل الأجر.

الأجر نوعان:

الأول: أجر الخطى إلى المسجد. لأن كل خطوة يُكتب للمسلم فيها عند الله صدقة، وتُكتب له حسنة، وتُمحى عنه بها خطيئة، وتُرفع له بها درجة، وأقرب الناس من المسجد الذي يمشي للصلاة في وقت مائتي خطوة مئة للمجيء إلى المسجد، ومئة للرجوع إلى بيته، فيحصل له في اليوم ألف خطوة من الصلوات الخمس.

فكيف يرضى مسلم أن يُفوت هذا الأجر العظيم وهو يعلم بإمكانية مفاجئة الأجل، ووشك انقطاع العمل؟ غلط هذا من المسلم، يحتسب هذه الفرصة هل رأيتم أحد خرج من قبره ليتردد على المسجد بعدما أُودع فيه؟ لا، فهذه فرصة، مع قول النبي ﷺ: "**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلًا في الجنة**" يعني ضيافة وكرامة "**كلما غدا أو راح**" كلما تردد على المسجد، مع قوله ﷺ: "**بشروا المشاءين في الظُلم إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة**".

وفي أحاديث كثيرة بشأن فضل المشي إلى المسجد، وأن الإنسان يختار المشي إلى المسجد ليستوفي خطواته، ويستكمل حسناته، وتتحات عنه خطيئاته، خطيئاته وترفع له درجاته، فُرص هذه، فالإنسان إذا مات انقطع من المسجد، فقبل أن يفجأك الأجل خذ نصيبك، والآجال مغيبة ولا تأتي إلا فجأة، ولا تأتي في الغالب إلا حال طول أمل بعد، فهذا الأمر الأول.

الأمر الثاني من الأجر: أن الإنسان إذا دخل المسجد وصلى وجلس ينتظر الصلاة ما ينبغي له أنه ينظر في الساعة، ويستطيل الوقت، لأنه على خير، فأول شيء إنه يُكتب له ثواب المصلي كأنه في صلاة منذ دخل المسجد إلى أن يخرج، "فإن أحدكم في صلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه" هكذا قال النبي ﷺ.

وفي أمر آخر وهو: أنه يُكتب عند الله تعالى من المسارعين للخيرات، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٦١] وعد من الله أن يكتبك من المسارعين السابقين، وقال تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [المؤمنون:٦٢].

الأمر الثالث في هذا: أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام يصلون عليك، ويدعون لك يعني، يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه.

والملائكة عليهم السلام خلقٌ كرام ما أكلوا الحرام، ولا ارتكبوا الآثام، فدعاؤهم أحرى الأدعية بالإجابة، فأنت على خير ما دمت في المسجد تنتظر الصلاة قبل الإقامة، أو تنتظر الصلاة بعد الصلاة تجعل وقت بين الصلاة والسُنة الراتبة، وتستكمل أذكارك ودعواتك وتطمئن في المسجد، وتستزيد من رحمة الله عز وجل لك.

ويكفي من هذا أن الله يذكرك عند الملائكة، ويذكرك في الملأ الأعلى، وأحد الناس لو قيل له: إن مسؤول في الدولة، أو غني، أو عالم له شأن ذكره ويثني عليه اغتبط، وافتخر، فكيف والله جل وعلا يذكرك، فهذه فرصة، ومعنى ذلك: أن الله يحبك، ويجعلك ودًا في صدور صالح عباده، ويستجيب دعاءك، ويعطيك ما سألت، ويجيرك مما استجرت، فلا تحرم نفسك الخير وأنت تقدر عليه.

قال: "**لما لم يؤذِ فيه**" يعني بالخوض في غيبة أو نميمة، أو في أمور الدنيا بيع وشراء، أو نحو ذلك. وقيل: إنه ما لم ينتقض وضوءه، فهذا حدث أيضًا، فالمهم أنه يستغنم بقاءه في المسجد، اللحظة خير رصيد في حسابه في الآخرة ما هو حساب الدنيا في حسابه في الآخرة.

"**فإن أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة، ما كانت الصلاة هي تحبسه، لا يمنعه إلى أن يقلب إلى أهله إلا الصلاة**" يستكثر من الخير، وهذه من فرص الدنيا النادرة، فالمسابقة للطاعات ولرفعة الدرجات وحط الخطيئات ومضاعفة الحسنات وكثرة الصدقات، وحصول الخيرات بأنواعها فالخير في المسجد، ولذا جاء في الحديث الصحيح: "**إن الله تعالى يتبشبش للمسلم الذي يستوطن المسجد، ويُكثر الجلوس فيه، كما يتبشبش أهل الغائب المسافر المنقطع إذا قدم عليهم فجأة**".

فهذه كرامة من الله عز وجل لك، فلا يضيق صدرك في جلوسك في المسجد، فأنت على خير، وعلى غنيمة، وعلى أجر، وعلى كرامة من الله جل وعلا، فلا تفوت فرص الآخرة وأنت بإمكانك تحصلها في الدنيا الآن وتتمناها عند الموت، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ [المنافقون:١٠] أكن من الصالحين بالأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [المنافقون:١١] يعلم من هو محب للعمل الصالح، وحريص عليه، ويأسف إذا فاته شيء منه بالإمكان تحصيله، ويغتبط بما حصل منه، ويرجو الله أن يتقبل منه، وأن يضاعف له المثوبة عليه، فيثيبه على نيته "**الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى**".

وفق الله الجميع للعمل الصالح، وتاب عليه من القبائح، وجعلهم فائزين من المتجر الرابح.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

١١ - وَعَنْ أبي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُول الله ﷺ، فِيما يَرْوى عَنْ ربِّهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «إِنَّ اللهَ كتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ: فَمَنْ همَّ بِحَسَنةٍ فَلَمْ يعْمَلْهَا كتبَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلةً وَإِنْ همَّ بها فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْر حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمَائِةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كثيرةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِها فعَمِلَها كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» متفقٌ عليهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الحديث يبين أثر النية الحسنة، وكيف أن الله ﷻ يثبتها للعبد ويضاعفها، كيف يشاء جلَّ وعلا وأن النية السوء لا تكتب بمجرد نيتها، بل إذا عزم عليها وباشر أسبابها، وإن انصرف عنها إجلالًا لله تعالى كتبت حسنة وهي نية سوء، لأنه تركها من أجل الله تعالى.

في الحديث الآخر يقول الله تعالى: «**اكتبوها حسنة فإنما تركها من جراي**»؛ يعني: من أجلي، «**فإن عمل السيئة نواها أو عملها كتبت واحدة**».

فالهم بالحسنة يكتب حسنة بمجرد الهم، وإذا هم وعمل كتبت عشر حسنات، ويضاعف الله لمن يشاء إلى سبعمائة ضعف، إلى سبعمائة حسنة، وهذا من كرم الله تعالى وجوده على عباده، وبيان فضل نية الخير، وابتغاء وجه الله جلَّ وعلا، وإن كان هم بالسيئة فلا يكتب بمجرد الهم بل حتى يباشر أسبابها، فإن باشر سببها كتبت عليه سيئة.

مثل الحديث السابق في الأمس أنه قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه لأنه حمل السلاح، وواجه صاحبه، وإن انصرف عنها كتب الله له حسنة، فلا يهلك على الله تعالى إلا هلك.

ولذا قال بعض السلف: تبًا، يعني: خاب وخسر من غلبت آحاده عشراته.

الآحاد السيئات، والعشرات الحسنات، فإذا كانت السيئات وهي لا تُكْتَب بمجرد الهم، بل مجرد العزو وتُكتب واحدة ومع ذلك تكثر وتغلب الحسنات التي تُكتب عشرًا وتضاعف إلى سبعمائة ضعف، فهذا خاب وخسر، لأنه ما قدر الله حقَّ قدره، ولم يبادر بالتوبة بعد أن أساء، ولم يكن عنده رويه عند الهم أنه يفكر هل نيته ذي في ميزان حسناته، كفة حسناته أو كفة سيئاته لعله أن يرجع أو يتراجع؟.

فلابد للمسلم أن يشتمل قلبه على النية الحسنة على الدوام، وأنه إذا خطر بباله الأمر الخير على طول ينويه حتى يكتب له حتى لو ما تحقق له، لو ما عمل.

وأما السوء لا، فيتروى لو خطر بباله ما يعزم عليه يتروى ويتشاغل لعل الله تعالى أن يصرفه عنه، وإن صرفه الله عنه فهذا فضل يدل على خيره هو، وإن من صرفه، وأساء تكتب سيئة واحدة، وإن تاب عن قرب تاب الله عليه، ومن تاب قبل أن تبلغ الروح الحلقوم تاب الله عليه لأنه عن قُرب.

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ [النساء:١٧]؛ يعني: بغفلة وغلبة هوى ونفس ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [النساء:١٨]؛ يعني: يصرون عليها ويسوفون فيها حتى يحضرهم الأجل، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [النساء:١٨] فهذا لا يتوب الله عليه، لأن غرغر وضاع عليه وقت الاختيار، ما عنده اختيار صار توبته الحين ضرورة ما هي باختيار.

مثل فرعون لما أدركه الغرق ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ قيل له:﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس:٩١]، فلا تنفعه هذه التوبة لأنه ذهب عليه وقت الاختيار، لذلك قال النبي ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**».

وفي الحديث الآخر: «**ما لم تبلغ الروح الحلقوم**»؛ يعني خارجة أو تطلع الشمس من مغربها، فتوبة العبد تقبل ما لم يغرغر، ما لم تبلغ الروح الحلقوم الشخص يعني.

توبة العالَم ما لم تطلع الشمس من مغربها، إذا طلعت الشمس من مغربها لا تقبل التوبة، يغلق باب التوبة.

فهذا الحديث فيه بيان فضل الله على عباده وسعة حلمه جلَّ وعلا، وكرمه وجوده لأنه لا يعاجلهم بكتابة السيئات، ويبادرهم بكتابة الحسنات، وأنه أيضًا يضاعف الحسنات فيمن يشاء، لأسبابٍ كثيرة منها: أن الصدقة تكون على مستحق، تكون على ذي رحم، يكون الأجر مرتين وتكون على ذي رحمٍ كاشح مضمر للعداوة والغيظ تكون ثلاث حسنات، وهكذا.

ومنها تكون في الوقت الشريف، وتكون عن مبادرة وقرب من عمل السيئة، كل هذه من أسباب المضاعفة منها: يكون في البلد الشريف كمكة والمدينة، الحرم.

وهكذا فيضاعف الله لمن يشاء، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف:٤٩]، ولذا قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

فهذه قال عنها النبي ﷺ: أنها آيةٌ جامعةٌ فاذة؛ يعني موضحة، مبينة، مقيمة للحجة على كل عبد، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى صحبه وسلم.

وعن أبي العبَّاسِ عبدِ اللهِ بنِ عباسِ بنِ عبد المطلب ﭬ، عن رَسُول الله ﷺ فيما يروي عن ربهِ، تباركَ وتعالى، قَالَ: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتبَهَا اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإنْ هَمَّ بها فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعمئةِ ضِعْفٍ إلى أَضعَافٍ كَثيرةٍ، وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلةً، وَإنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». مُتَّفَقٌ عليهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذا الحديث يبين أثر النية الصالحة الحسنة، وكيف أن الله عز وجل يثبتها للعبد، ويضاعفها كيف يشاء جل وعلا، وأن نية السوء لا تُكتب بمجرد نيتها، بل إذا عزم عليها وباشر أسبابها، وإن انصرف عنها إجلالًا لله تعالى كُتبت حسنة وهي نية سوء، لأنه تركها من أجل الله تعالى.

وفي الحديث الآخر يقول الله تعالى: "**اكتبوها حسنة فإنما تركها من جرائي**". يعني من أجلي، "**فإن عمل السيئة نواها أو عملها كُتبت واحدة**". فالهم بالحسنة يُكتب حسنة بمجرد الهم، وإذا هم وعمل كُتبت عشر حسنات، ويضاعف الله لمن يشاء إلى سبعمائة ضعف، إلى سبعمائة حسنة، وهذا من كرم الله تعالى وجوده على عباده بيان فضل نية الخير، وابتغاء وجه الله جل وعلا، وإن كان هم بسيئة فلا يكتب مجرد الهم، بل حتى يباشر أسبابها، فإن باشر سببها كُتبت عليه سيئة، مثل الحديث السابق في الأمس أنه قال: "**لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه**". لأنه حمل السلاح وواجه صاحبه، وإن انصرف عنها كتبها الله له حسنة، فلا يهلك على الله تعالى إلا هالك.

ولذا قال بعض السلف: تبًا -يعني خاب وخسر- من غلبت آحاده عشراته. الآحاد السيئات، والعشرات الحسنات، فإذا كانت السيئات وهي لا تكتب مجرد الهم، بل مجرد العزم، وتكتب واحدة، ومع ذلك تكثر وتغلب الحسنات التي تُكتب عشرا وتضاعف إلى سبعمائة ضعف، فهذا خاب وخسر، لأنه ما قدر الله حق قدره، ولم يبادر بالتوبة بعد أن أساء، ولم يكن عنده روية عند الهم، وأنه يُفكر هل نيته هذه في ميزان حسناته كفة حسناته، أو في كفة سيئاته، لعله أن يرجع ويتراجع.

فلابد للمسلم أن يشتمل قلبه على النية الحسنة على الدوام، وأنه إذا خطر بباله الأمر الخير على طول ينويه حتى يُكتب له حتى لو ما تحقق له لو ما عمله، وأما السوء لا فيتروى لو خطر بباله ما يعزم عليه يتروى ويتشاغل لعل الله تعالى أن يصرفه عنه، وإن صرفه الله عنه فهذا فضل يدل على خيره هو، وإن ما انصرف وأساء تكتب سيئة واحدة، وإن تاب عن قرب تاب الله عليه، ومن تاب قبل أن تبلغ الروح الحلقوم تاب الله عليه، لأنه عن قرب، ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ يعني بغفلة وغلبة هوى ونفس﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يعني ويصرون عليها ويسوفون فيها حتى يحضرهم الأجل ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [النساء:١٧ - ١٨] فهذا لا يتوب الله عليه لأنه غرغر، وضاع عليه وقت الاختيار ما عنده اختيار، وصارت توبته الحين ضرورة ما هي باختيار، مثل فرعون، لما أدركه الغرق: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس:٩٠] فقيل له: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ ﴾ [يونس:٩١] فلا تنفعه هذه التوبة، لأنه ذهب عليه وقت الاختيار ، وذلك قال النبي ﷺ: "**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**".

وفي الحديث الآخر: "**ما لم تبلغ الروح الحلقوم**" يعني خارجه، "**أو تطلع الشمس من مغربها**". فتوبة العبد تُقبل ما لم يُغرغر ما لم تبلغ الروح الحلقوم الشخص يعني، وتوبة العالم ما لم تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها لا تقبل التوبة، يُغلق باب التوبة، فهذا الحديث فيه بيان فضل الله على عباده، وسعة حلمه جل وعلا، وكرمه وجوده، وأنه لا يعاجلهم بكتابة السيئات، ويبادرهم بكتابة الحسنات، وأنه أيضا يضاعف الحسنات لمن يشاء لأسباب كثيرة، منها أن الصدقة تكون على مستحق، وتكون على ذي رحم، ويكون الأجر مرتين، وتكون على ذي رحمٍ كاشح مضمر للعداوة والغيرة فتكون ثلاث حسنات، وهكذا، ومنها تكون في الوقت الشريف، وتكون عن مبادرة وقرب من عمل السيئة، كل هذه من أسباب المضاعفة، منها يكون في البلد الشريف كمكة والمدينة الحرم، وهكذا، فيضاعف الله لمن يشاء، ولا يظلم ربك أحدًا.

ولذلك قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨] هذه قال عنها النبي ﷺ: "**إنها آية جامعة فاذة**". يعني موضحة مبينة مقيمة للحجة على كل عبد.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

١٢- وعن عبدِ الله بنِ عمرَ بن الخطابِ ﭭ، قَالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «انطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ المَبيتُ إِلى غَارٍ فَدَخلُوهُ، فانْحَدرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقالُوا: إنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللهَ بصَالِحِ أعْمَالِكُمْ.

قَالَ رجلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كبيرانِ، وكُنْتُ لا أغْبِقُ قَبْلَهُمَا أهْلًا ولاَ مالًا، فَنَأَى بِي طَلَب الشَّجَرِ يَوْمًا فلم أَرِحْ عَلَيْهِما حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أغْبِقَ قَبْلَهُمَا أهْلًا أو مالًا، فَلَبَثْتُ - والْقَدَحُ عَلَى يَدِي - أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَميَّ، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابتِغَاء وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطيعُونَ الخُروجَ مِنْهُ.

قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمّ، كَانَتْ أَحَبَّ النّاسِ إليَّ - وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّها كأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النساءَ - فأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فامْتَنَعَتْ منِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا - وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا، قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلاّ بِحَقِّهِ، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهيَ أَحَبُّ النَّاسِ إليَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيتُها. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وأَعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُل واحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهبَ، فَثَمَّرْتُ أجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنهُ الأمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقالَ: يَا عبدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أجْرِكَ: مِنَ الإبلِ وَالبَقَرِ والْغَنَمِ والرَّقيقِ، فقالَ: يَا عبدَ اللهِ، لاَ تَسْتَهْزِىءْ بي! فَقُلْتُ: لاَ أسْتَهْزِئ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فَلَمْ يتْرُكْ مِنهُ شَيئًا. اللَّهُمَّ إنْ كُنتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابِتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ، فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». مُتَّفَقٌ عليه.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذا الحديث كالأحاديث السابقة في فضل النية الصالحة، وهي ابتغاء وجه الله عز وجل بفعل طاعته وترك معصيته، وأنها رصيد للعبد ينفعه في الدنيا والآخرة، وفي هذا أن القصص من وسائل

الدعوة والتعليم، ولذا كان النبي ﷺ يقص على أصحابه من نبأ الأمم السابقة، وخصوصا النصارى وكانوا أقرب شيء لأهل الإسلام، والله تعالى ذكر القصص في القرآن العظيم، وبَين أنه من وسائل الدعوة مما فيه من العبرة والعظة، ومما يحرك القلوب إلى طاعة علام الغيوب، ومما يحجزها عن المعاصي، وغير ذلك، فيخبر النبي ﷺ عن ثلاثة ممن كان قبلنا، والغالب كما قال المحققون: إنهم النصارى، لأنهم آخر الأمم قبل هذه الأمة.

انطلقوا في مهمة لهم سافروا، فأواهم المبيت إلى غار في جبل ليأمنوا على أنفسهم من السباع وغيرها يسدون فم الغار ويأمنون، ولا يتعرضون للبرد ولا للحر لا في الليل ولا في النهار، فلما دخلوا الغار وباتوا فيه وأرادوا الخروج، وإذا هي قد انسدت فوهة الغار باب الغار بحجر، انحدر من الجبل صخرة لا يستطيعون رفعها، فتشاوروا فيما بينهم وتفكروا و هداهم الله جل وعلا إلى أنهم لا ينجيهم من هذا الكرب إلا أن يدعوا الله متوسلين إليه بصالح أعمالهم بعملٍ عملوه خُفية بينهم وبين الله عز وجل، خبيئة، فإن هذا أحرى أن الله تعالى ينجيهم مما هم فيه، فاتفقوا على ذلك، فدعا الأول متوسلًا إلى الله تعالى ببره لوالديه، ومن نماذج بره: أنه كان من عادته يسرح بأنعامه وبهائمه، وإذا رجع من المساء أول شيء يحلب مع يُحلب، ثم يسقي والديه الغبوق هو شرب اللبن أو الحليب مساء، والصبوح هو الصباح، فقال: كنت لا أغبق قولهما أهلا لا زوجة ولا ولدا، فضلا عن رضاع البهائم، برا بوالديه، فتأخر ذات يوم عن العادة وجاء وإذا والداه قد نام لينتظر الغبوق، فحلب ووقف عند قدميهما والحليب على يده، وأولاده يتضاغون يبكون من الجوع في انتظار أن يستيقظ والداه حتى يغبقهما ثم يغبق أهل البيت، لكنهما لم يستيقظا.

ومن أسبابه والله أعلم: الجوع، حتى برق الفجر، فلما استيقظا سقاهما صبوحا، ثم سقا الأهل والأولاد، فقال: اللهم إنك تعلم أني فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه؟ فارتفعت الصخر شيئا لا يستطيعون الخروج منه، يعني قدرا يسيرا، وهي في فوهة جبل يعني ما فوقه حجر، وما عن يمينه حجر، وما تحتها حجر، وما عن شماله حجر.

فتوسل الثاني إلى الله عز وجل يدعو الله بصالح عملٍ بينه وبين الله، وهو عفته عن الحرام عن الفاحشة الزنى مع قدرته على ذلك، فكانت له جارة من قوم امرأة وكان يحبها متعلقا بها، يعني يريدها بالحلال أو الحرام فما تيسر، فجاءته تطلبه قرضًا مال للحاجة لأهلها، فشرط عليها أن يعطيها مقابل أن تخلي بينه وبين نفسها، أن يزني بها، فترددت ما شاء الله، ثم أدركت الحاجة وتأولت أن هذه حاجة خُيل لها أن هذا وإلا هي لا تريد الزنى عفيفة طاهرة مبرأة من السوء، لكن للحاجة تأولت وصار عندها شيء من الشبهة فلذلك وافقت على طلبه، وأعطاها مبلغا من المال من الذهب مبلغا كثيرا، واستسلمت له، فلما أراد أن يفعل الفاحشة وعظته قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا لحقه. لأنها بكر ما سبقت لها فاحشة ولا سبق لها زواج، فوعظته وخوفته بالله الذي يراه من فوقه وهو القادر عليه، وهذا أقصى ما تملكه هي ودل على أنها خيرة ودينة وعفيفة وشريفة، ولذلك استجاب الله لها فوقع خوف الله في قلبه، وتركها والمال الذي أعطاها أراد أن يكون صدقة لعل الله أن يكفر عنه ما هم به، فهذا يدل أيضًا على خيريته، وإن غلبته نفسه، وسولت له نفسه وسول له الشيطان لكن فيه خير، فلذلك ترك الفاحشة وترك المال لعله يكون كفارة، فتوسل إلى الله عز وجل بذلك بعفته وبصدقته، فارتفعت الصخرة أكثر من أول لكن لا يستطيعون الخروج لحكمة أرادها الله عز وجل، لأن يعدل بين هؤلاء.

فتوسل الثالث بحفظه للأمانة لمال أخيه أجرة أخيه فإنه ذهب وترك أجرته، لطارئ طرأ عليه أو لغير ذلك من الأسباب، فهذا حفظ الأجرة ونماها جعلها في الغنم، والإبل، والبقر، والرقيق العبيد، فبارك الله في المال هذا وصار قطيعا من هذا ومن هذا ومن هذا ومن العبيد، لأنه أبطأ و أخذ سنين، وهذا يتولى تربية المال لصاحبه، واستعف أنه يأخذ منه شيئا، واستعف أنه يسأل صاحب المال لما جاء مقابل عمله مع أنه من حقه، لكنه استعف، فدعا الله عز وجل بذلك بحفظه للأمانة، وحفظه لمال أخيه المحترم، وعفته عن المسألة، فتوسل إلى الله عز وجل بذلك فرفع الله عز وجل الصخرة بقدرته، وخرجوا يمشون، فدل ذلك على فضل النية الصالحة، وأن الإنسان يبتغي فيما يفعل من الطاعة، أو يترك من المعصية، أو يحسن إلى مستحقي الإحسان يبتغي وجه الله عز وجل لا رياءً ولا سمعة ولا شيئا من عرض الدنيا، ولا لأجل أن يكون له منزلة في صدور الناس، كل هذا ابتغاء وجه الله، فنفعهم ذلك، ادخره الله عز وجل لهم، وفرج لهم وقت الضيق، وخرجوا مسرورين مرتبطين.

أول شيء: لأن الله استجاب دعاءهم، والدعاء هو العبادة أخص العبادة.

وثانيًا: أن الله تعالى فرج لهم.

وثالثا: أن الله تعالى تقبل منهم السابق من العمل.

ودل على أنه وفقهم للإخلاص، وأعانهم حتى فرغوا وقاموا بالذي عليهم، فدل ذلك على فضل النية الصالحة، وما يترتب عليها من عملٍ صالح، وأن الله يدخره ويثمره لصاحبه، ويجعله من أسباب تفريج كربته إذا وقع في كربة أو وقع في خطر، أو غير ذلك، أو في هلكة، مثلما قال تعالى عن نبيه يونس ﵇: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤].

لكن نفعه الله بتسبيحه وأنجاه من بطن الحوت، ادخر الله ذلك له، واستجاب له وقت الحاجة، لما دعا: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. استجاب له مع أن يونس ﵇ قد فعل خلاف ما هو الأولى في حقه، فإنه ذهب مغاضبا لقومه، ولم يستأذن من الله عز وجل أن يذهب عنهم، وهذا فيه نوع من استعجال العقوبة عليهم لما لم يستجيبوا له، فكان في هذه الحال ملوم التقمه الحوت وهو مليم آتٍ بما يلام عليه من فعله خلاف الأولى ﵇، ومع ذلك فإن الله عفا عنه، وفرج له بتسبيحه السابق، وغفر له ذنبه، ورده إلى قومه على أحسن حال، وكانوا مئة ألف أو يزيدون فآمنوا به، ومتعه الله وإياهم إلى حين لتكون هذه عبرة وعظة لكل مؤمن يأتي من بعدهم إلى أن يأتي الله بأمره، فدل ذلك على فضل العمل الصالح ولا يكون العمل صالحا إلا بثلاث أمور:

الأول: أن يكون مشروعا في أصله.

والثاني: أن يكون مبتغى به وجه الله من حيث قصده.

والثالث: أن يكون على سنة النبي الذي أُمر الإنسان باتباع نبيه الخاص الذي أرسله الله إليه في أدائه وكيفيته، فلما كانت الأعمال مشروعة وكانت مبتغى بها وجه الله جل وعلا، وكانت على السنة وهدي النبوة فرج الله عنهم، وفرج الله عن يونس، وعن غيره من عباده الصالحين من المرسلين والنبيين وعباد الله الصالحين في أزمنة كثيرة ومديدة وأمكنة متنوعة وأحوال متغيرة، وغير ذلك، فدل على أن الله تعالى ﴿ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النساء:٤٠] كثيرًا وكبيرًا فضلًا منه سبحانه وتعالى، فهو الموفق للهدى أولًا، وهو المثبت على الاستقامة ثانيا، وهو الذي ألهم العبد الإخلاص له عند الحاجة ثالثا، وهو الذي حفظ العمل الصالح لصاحبه رابعا. وهو الذي استجاب له عند كربته وحاجته. خامسًا: وهو الذي جعل ذلك موعظة لعباده في كل زمان ومكان.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب التوبة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١] .

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ [هود:٣].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم:٨].

وعن أبي هريرةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سمعْتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «واللهِ إنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه البخاري.

وعن الأَغَرِّ بنِ يسار المزنيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلى اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإنِّي أتُوبُ فِي اليَوْمِ مِائةَ مَرَّةٍ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فالتوبة والأوبة هي الرجوع إلى الله عز وجل من معصيته إلى طاعته، ومن كفر نعمته إلى شكرها، بحيث أن الإنسان يراجع نفسه ويتذكر مخالفته، ويندم على فعلته، ويعزم الرجوع إلى الله عز وجل صادقا، هكذا، والله عز وجل جبل المكلفين على المعصية، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون. فلا يقول أحد أنه ليس بحاجة إلى التوبة.

وفي الحديث الآخر: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون، ثم يستغفرون الله عز وجل".

ولهذا عرض الله عز وجل التوبة على العباد طول حياتهم ما لم يغرغر العبد، أو تطلع الشمس من مغربها، فقال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١].

وقال سبحانه: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٩].

وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات:١١].

فينبغي للإنسان أن يتذكر هذا الأمر، وأن يحذر من الوقوع في المعصية، لأنه مبتلىً بها، وأن يبادر بالتوبة إذا تحقق من مخالفة الله عز وجل، من أنت حتى تعصي الله جل وعلا؟ أنت في ملكه؟ وأمام

سمعه وبصره، وعافيتك منه، وحفظك عليه، ومصيرك إليه، وجزاؤك عليه، فكيف تتجرأ وتبارز الله عز وجل بالمعصية، وأنت تعلم.

ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ والجهالة أحيانا تكون عدم العلم، وأحيانا تكون غلبة الهوى، والنفس الأمارة بالسوء، قال: ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء:١٧] يعني هؤلاء يتوب الله عليهم، إذا تذكروا، ولهذا قال في صفة المتقين الذين أعد لهم الجنة والمغفرة: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ يعني لعلمه أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ ﴾ لم يستمروا على المعصية ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٥] بل بادروا بالتوبة وندموا.

والتوبة أحيانا تكون من الخطيئة الصريحة، وأحيانا تكون من قصور العمل، لأنك مهما اجتهدت في عملك فهو أقل مما ينبغي لله جل وعلا، ولهذا شُرع الاستغفار والتوبة بعد كل عبادة وهي عبادات مشروعة، ومنها الصلاة، وأنك تسأل الله المغفرة في الصلاة أكثر من عشر مرات.

والثانية: أنك تختم الصلاة بعد التسليم تقول: استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله. من لطف الله جل وعلا أنه عرض التوبة على العباد هو الذي عرض، وأخبر النبي ﷺ إن الله تعالى يفرح بتوبة العبد مع غناه عنه، لكن لمحبته سبحانه للعفو، وللطفه جل وعلا بالعباد، ورحمته، ولأن رحمته جل وعلا تسبق غضبه، ولهذا عرض التوبة.

والنبي ﷺ، وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يُبين أنه يتوب إلى الله في اليوم سبعين مرة وزيادة، وفي الحديث الآخر: «**مائة مرة**»، بل كان يُعد للنبي ﷺ في كل مجلسٍ يجلسه أنه يقول: "**رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الغفور**" مائة مرة.

من خصوص ذلك بعد سُنة الضحى، أو الإشراق، وأنه يقول وهو على هيئته في جلسته بعدما يسلم: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور. مائة مرة، ...(٠٧:٠٥) ومعصية النبي ﷺ، أو ما يتوب منه هو فعل خلاف الأولى ما يتعمد المعصية ﷺ لأنه معصوم، لكن فعل خلاف الأولى في حقه لشرفه وعلو منزلته يُعد هذا خطيئة، وإذا كان النبي ﷺ غُفر له ما تقدم من ذنبه قطعًا هو نصف التنزيل، فنحن

من أين لنا هذا العهد والقطع، فيحتاج الإنسان أن يلازم التوبة، ولهذا كل رسول بعثه الله عز وجل من الرسل عليهم الصلاة والسلام يقول لقومه: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [هود:٣].

وأحيانا يقول: "توبوا إلى الله واستغفروه".

الاستغفار قبل التوبة يعني التذكر والندم، ثم التوبة. والتوبة أولًا قبل الاستغفار يعني العزم على التوبة، وتكميل ذلك بكثرة الاستغفار، ما يقول: أنا أتوب أمس، أو قبل أمس وخلاص لا كل ما ذكر الذنب ندم عليه، وحزن، وخاف من الله عز وجل، وتاب جديدا، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٧٠].

يعني إنسان عصى الله عز وجل معصية يعلمها قبل خمسين سَنة، وتاب بتوفيق من الله عز وجل نستغفر الله ونتوب إليه، ثم كان كل ما ذكرها ندم وحزن واستغفر يكتب الله له ذلك تعالى حسنات متجددة طول عمره، وهذا من فضل الله عز وجل ورحمته، فلذلك يحتاج الإنسان أن تكون التوبة منه على الباب، والاستغفار كذلك لأنه من تمام التوبة، والاستغفار يدل على الندم، ولكن بشرط الصدق، ولذا قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار". يعني بين أن نقوله باللسان، والقلوب منعقدة على تكرار المخالفة ونحن نعلم، وهذا خطير جدا، فلهذا الله تعالى قال: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩].

قال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ ﴾ والمعنى: المرد إلينا، والجزاء علينا ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات:١١].

والعلماء رحمهم الله لما تأملوا نصوص التوبة والاستغفار والآيات والأحاديث قالوا أنه يحتاج للتوبة إلى ثلاثة شروط أساسية، فيما بين العبد وبين الله جل وعلا:

الأول: أنه يستذكر الذنب، ويعترف به لله جل وعلا، ويقلع عنه يتركه.

والثاني الشرط الثاني: أنه يعزم على أن لا يعود إليه.

والثالث: أنه يصلح لما يستقبل.

فإذا مثلًا أنك في مجلس من المجالس ذكرت فلانا قلت فيه كلمة تسيئ إليه، فهذه تعتبر غيبة، وإذا كانت تنقص قدره أو تؤدي لاحتقار، أو سوء الظن به عند السامع صارت بهت فجمعت بين الغيبة

والبهت، فيحتاج الإنسان أنه يندم على هذا، وأنه يذكر هذا في عدة مجالس بأحسن ما يعلم منه، ويدعو له بظاهر الغيب.

جاء في عدة أحاديث عن النبي ﷺ مجموعها أنه ﷺ كان يقول: **"اللهم إني عبد من عبادك، أُخطئ كما يخطئون، وأجهل كما يجهلون، وأغضب كما يغضبون، وإني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فأيما عبد من عبادك سببته، أو شتمته، أو لعنته، أو ظلمته، أو أذيته بأي أذى، أو بدرت مني إليه أي بادرة مني بادرة سوء، فلا تعذبني فيه، بل اجعلها له مغفرة وطهورا وصلاة وزكاة ورحمة وقربة وأجرا، ورفعةً ترفعه به درجات عندك في الدنيا والآخرة"**، فهذا من الدعاء الذي ينبغي أن المسلم يحافظ عليه حتى يخفف عنه من مظالم الخلق، فلابد من هذه الشروط:

أول شيء: الاعتراف بالذنب، مع الإقلاع عنه.

والثاني: الندم على فعله.

والثالث: العزم على أن لا يعود إليه، مع الإصلاح في المستقبل.

هذا في حق الله جل وعلا ما بينك وبين الله، أما إذا كان بينك وبين أحد من الناس فترد المظلمة إليه، أو تتحلله منها إن وثقت أنه يحللك، ولا يزيد الشر بينك وبينه، فأنت تتحلل منه ترضيه، وإلا فأنت تندم على هذا وتدعو له بظاهر الغيب، وتحسن إليه ولو بدون علمه، حتى يغلب على ظنك إنك كافأت إساءتك إليه بإحسانٍ أكثر منه مقابل له أو أكثر منه، هذه هي التوبة الشرعية، وهذه هي التوبة النصوحة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [التحريم:٨] يعني خالصة صادقة عازمة جازمة، هكذا.

ومثلما قال النبي ﷺ: **"توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم"** كذا. أقل شيء سبعين مرة، ويبلغ مائة مرة، ويزيد ما شاء الله حتى تتعدد مجالس النبي ﷺ في اليوم إلى أكثر من سبعة مجالس كل مجلس يستغفر الله ويتوب إليه فيه مئة مرة، يُسمع ذلك منه **"رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم"**.

نستغفر الله من كل ذنب ونتوب إليه في حقه سبحانه، أو في حق عباده.

وقال الله عز وجل لنبيه ﷺ مُذكرا له بقرب أجله ودنو رحيله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر:١] علامة لك على قرب أجلك ودنو رحيلك ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ يعني نزه الله عن النقائص والعيوب، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر:٣] تب عليه وأثني عليه بما هو أهله، وتضرع إليه أن يقبل توبتك، هكذا.

فالنبي ﷺ جُعلت له علامة قبل موته قال: هي علامة جعلها الله لأمتي إذا رأيتها قلتها فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر:١-٣].

وأما نحن فلا عندنا علامة على الأجل ما عندنا علامة على الأجل، ولا ندري متى الأجل، فلذلك يحتاج العبد أن يكون ملازما للاستغفار والتوبة إلى الله، وفيما بينه وبين الله صدقا من قلبه، وطمعا في رحمة ربه، وأسفًا على معصيته، وأن يصلح ما استطاع، كل إساءة سابقة في حق الله تعالى، أو في حق عباده فإنه يقابلها بإحسان جديد متلاحق، لعل الله أن يتقبل منه ويعفو عنه، والله تعالى عفو غفور رحمته تسبق غضبه وتغلب غضبه، والعفو أحب إليه من المؤاخذة، ويفرح بتوبة العبد، فلا عذر لأحد في التسويف في التوبة لا عذر له، وإن سوف فإنما يجني على نفسه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

وعن أبي حمزةَ أَنسِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ - خادِمِ رسولِ الله ﷺ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «للهُ أفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وقد أضلَّهُ في أرضٍ فلاةٍ». مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمُسْلمٍ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا وقد أَيِسَ مِنْ رَاحلَتِهِ، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ.»

وعن أبي موسَى عبدِ اللهِ بنِ قَيسٍ الأشْعريِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فالتوبة هي الرجوع إلى الله عز وجل من الكفر والشرك إلى الإيمان والتوحيد، ومن الفسق والبدعة إلى الاستقامة ولزوم السنة، وهكذا، ومن الخطيئة إلى الإصابة والسُنة، من علم أنه على خلاف الشرع يجب عليه أنه يتوب إلى الله عز وجل، ويعتذر إليه، ويلح عليه بطلب المغفرة، ويلزم الصواب والحق، رجاء أن يلقى الله تعالى عليه، نسأل الله تعالى حسن الخاتمة للجميع، ومن كرم الله تعالى وجوده أنه يمهل عباده حتى وإن عصوه، لحلمه جل وعلا، ولأن العفو أحب إليه من العقوبة والمؤاخذة، ولكرمه، ولأنه يريد بعباده اليسر كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٧ - ٢٨].

فمن فضل الله وجوده وكرمه على عباده: أنه يمهلهم مع المعصية، مع أنه ينعم عليهم ويستر عليهم ويعافيهم ويرزقهم، وهم يبارزونه بالمعصية ويسيئون إليه وهم على أرضه، ولا يستترون منه ولا يفرون منه، ولا لهم جهة ولا مناص ولا محيط عنه سبحانه وتعالى، فيمهلهم، ويؤخرهم إلى أجل قريب لعلهم أن يتوبوا، ومع ذلك تقدم بالإنذار، فقد أبلغ بالإعذار من تقدم بالإنذار.

حذر الله عباده من الذنوب، وحذرهم من غرور الشيطان والأماني والأمل، وذكرهم مفاجأة الأجل، ومع هذا كله فهو يفرح بتوبة العبد إليه مع غناه سبحانه عن العبد فرحا شديدا يليق بجلاله وعظمته، سبحانه وتعالى، لأن الله تعالى يوصف بالفرح بإخبار الله تعالى عن ذلك، عن نبيه ﷺ، هكذا، كما أنه يوصف بالغضب، ويوصف بالأسف، وهو أشد الغضب على من يستحق ذلك، فكذلك يفرح لمن يتوب لحبه سبحانه وتعالى العفو؛ إنه عفو كريم، ولا يهلك على الله إلا هالك، ولذلك قال ﷺ: "**والله لتدخلن الجنة**" كلكم "**إلا من شرد على الله شراد البعير الآبق على أهله**". الذي هاج عن أهله.

فيقول النبي ﷺ: "**لله أفرح بتوبة العبد حين يتوب إليه من أحدكم سقط على بعيره**" يعني وجده بعد فقده "**في أرض فلاة**". صحراء، ما فيها ماء، ولا فيها حياة، ولا فيها شيء، ولا لها حد محدود، يعني أيقن بالهلكة.

وفي الحديث الثاني الرواية الثانية: أنه بحث عن بعيره وعليه طعامه وشرابه، فلم يجده، فأيس من ذلك، واضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ وإذا بعيره عنده وعليه طعامه وشرابه، ففرح واغتبط وتفاجئ ولم يحسن التعبير يريد أن يشكر الله عز وجل، ويحمده من فضله، لكنه من شدة المفاجئة أخطأ يريد أن يقول: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، فأخطأ، قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك.

فانظروا إلى حلم الله جل وعلا، وكرمه، ومع هذا يفرح بتوبة عبده.

وفي الحديث الثاني: "**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل**" لأن الليل قبل النهار، فيكون الإنسان في سعيه في النهار عُرضة للخطأ، والذنب، والمخالفة، وسوء الأدب مع الله جل وعلا، ومع ذلك يمهله، طول النهار، فإذا جاء الليل أيضا ينتظر منه التوبة "**يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار**" الماضي، وقد يسهر العبد ويكون له أحوال في ظلمة الليل لا تليق بالعبد، ولا تليق بحق الله جل وعلا، ومع ذلك يمهله ويستر عليه، ولهذا جعل الله تعالى ﴿ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ١٠﴾ [النبأ:١٠] يعني ساترا بسواده، وجعل ﴿ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ١١﴾ [النبأ:١١] مضيئا لأجل أن يسعى الناس في مصالحهم، فيسترهم الله فيما بينه وبينهم من الذنوب في الليل والنهار، وينتظرهم أن يتوبوا، يتوبوا بالليل بعد النهار وبالنهار بعد الليل، إلى أحد أجلين: أجل خاص بالشخص نفسه.

وهو أن تبلغ الروح الحلقوم، خارجه، يغرغر بروحه لتخرج، فهنا لا تقبل التوبة منه لأنه فقد الاختيار صارت اضطرارية ما عنده حلول أصلا، والتوبة عبادة وينبغي أن تكون في حال الاختيار والرغبة إلى الله عز وجل والرهبة منه والأدب معه والاعتراف بنعمته وفضله، والندم على الإساءة في حقه، فيبسط يده ينتظر من عبده التوبة بالليل والنهار حتى تبلغ الروح الحلقوم فيفجأه الموت، وبالنسبة للعامة للمجتمعات عموما، والحياة.

"**حتى تطلع الشمس من مغربها**" آخر آية من آيات قيام الساعة: إذا خرجت الشمس ظهرت على الناس من مغربها فمعناه أنه قد انقضى الأمر، وحضر أجل الدنيا بأكملها، فعندئذ لا تقبل التوبة بل تغلق من هذا الباب الذي طلعت منه الشمس، ما بعد هذا إلا القيامة، ويختم على القلوب حين تطلع الشمس من مغربها يختم على القلوب، فالمؤمن لا يكفر، والكافر لا يؤمن، وهكذا الفاسق لا يتوب، والمستقيم لا يفسق، يُختم على القلوب ثم تقبض أرواح الناس جميعا، فأول ما تقبض أرواح المؤمنين يرسل الله عليهم عز وجل ريح باردة من قبل الشام، تصيب كل مؤمن ومؤمنة في الإبط فتقبض أرواحهم، ويبقى الكفار يتهارجون كتهارج الحمر، لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، أما المؤمنون تقبض أرواحهم قبل قيام الساعة، فهذا أجل التوبة على أهل الدنيا إذا طلعت الشمس من مغربها انتهى وقت التوبة، هذا العموم يعني.

أما الخصوص: فإذا بلغت الروح الحلقوم، فكل شخص ما تقبل منه التوبة إلا بلغت الروح الحلقوم، والآجال مغيبة، مثلما أن الساعة لا تأتي إلا فجأة حتى إنها تقوم على رجل يلوط حوض إبله يصلح حوض ليملأه ماءا حتى ترد عليه الناقة أو البعير، ما عنده هم للآخرة، حتى أن الرجلين يتبايعين الثوب بسطاه للبيع فلا يتمان البيع تفجأهم الساعة، وهكذا أجل الشخص مغيب لا يأتي إلا فجأة، ولذلك قال الحكيم:

فكم من صحيح مات من غير علة   وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

فلذلك ينبغي للمؤمن أن يأخذ حذره، وأن يتوب إلى الله عز وجل طلبًا لعفو الله، وعافيته، وستره، وأدبا مع الله، واعترافا بنعمه، وفضله، وأن المعصية لا تليق من العاقل بحق الله جل وعلا، يُنعم عليك بالليل والنهار نعم متواصلة متوافرة متكاثرة، وأنت تعصي الله؟ كل طرفة عين إغضاء بصر نعمة من الله عليك، كل نبضة عرق نعمة من الله عليك، لو توقف العرق هذا مت، كل حركة نفس، وحركة الرئة نعمة من الله عليك، وهكذا.

ولذلك من الورد اليومي أن الإنسان يقول إذا أصبح: **"اللهم إني أصبحت في نعمة منك وعافية وستر"** يعني طول الليل، **"اللهم لك الحمد ولك الشكر، اللهم أتمم علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة"** وإذا أمسى يقول: **"اللهم إني أمسيت في نعمة منك وعافية وستر، اللهم لك الحمد ولك الشكر، اللهم أتمم علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة"**.

هذا من حق الله على العبد يوميا في الصباح والمساء، بل أن من حق الله على العبد: أن يشكر الله تعالى على نعمه عليه، وعلى غيرها من برٍ أو فاجر، فيقول: **"اللهم أصبح بي من نعمة، أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك"** فيؤدي بذلك شكر يومه، ويتقبل الله منه، ويتابع عليه نعمته وستره، ويعامله بعفوه، ويواصل عليه فضله، ويزيد من هداه، نسأل الله ذلك كله.

هكذا ينبغي للمسلم، فيكون مؤدبًا مع الله تعالى، وإذا كان الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنعام:١٦].

فنحن أحق بهذا، نخاف من الله جل وعلا، ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإنسان:١٠] يومًا شديد الهول، عظيم الكربات، عظيم الكربات فيه أهوال وأفزاع، نخاف أننا نحرج في هذا اليوم، ويُكشف سترنا وسرنا في هذا اليوم، وقد حيل بيننا وبين التوبة، وانتهى الأجل والعمل، فيأخذ الإنسان حذره واستعداده قبل هذه الأحوال، حتى يكون مقبولا مرضيا عند الله جل وعلا، ولذلك يقول كل يوم المسلم في صباحه ومساءه: **"رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا"**.

إذا قالها كان حقا على الله أن يرضيه إذا قالها ثلاث مرات، ويقول: "**اللهم إني أصبحت أُشهدك وأُشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك: أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن محمدا عبدك ورسولك**" يقولها ثلاث مرات، كل مرة يعتق الله منه ربعه، فإذا قال الرابعة يزيد "**وأن عيسى بن مريم** ﷺ **عبدك ورسولك، وكلمتك ألقيتها إلى مريم وروح منك، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأنك تبعث من في القبور**" أعتق الله كاملا من النار، وهذا عمل يومي فالإنسان يحصل هذا بهذه الدعوات المباركات، والهدي النبوي العظيم على صاحبه أفضل الصلاة والسلام.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وعن أبي هُريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللهُ عَلَيهِ». رواه مسلم.

وعن أبي عبد الرحمان عبد الله بنِ عمَرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن النَّبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله - عز وجل - يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ». رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن».

عن زِرِّ بن حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ، فَقالَ: ما جاءَ بكَ يَا زِرُّ؟ فقُلْتُ: ابتِغَاء العِلْمِ، فقالَ: إنَّ المَلائكَةَ تَضَعُ أجْنِحَتَهَا لطَالبِ العِلْمِ رِضىً بِمَا يطْلُبُ. فقلتُ: إنَّهُ قَدْ حَكَّ فِي صَدْرِي المَسْحُ عَلَى الخُفَّينِ بَعْدَ الغَائِطِ والبَولِ، وكُنْتَ امْرَءًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ - ﷺ - فَجئتُ أَسْأَلُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ يَذكُرُ فِي ذلِكَ شَيئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ يَأْمُرُنا إِذَا كُنَّا سَفرًا - أَوْ مُسَافِرِينَ - أَنْ لا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيالِيهِنَّ إلاَّ مِنْ جَنَابَةٍ، لكنْ مِنْ غَائطٍ وَبَولٍ ونَوْمٍ. فقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكرُ فِي الهَوَى شَيئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنّا مَعَ رسولِ اللهِ - ﷺ - فِي سَفَرٍ، فبَيْنَا نَحْنُ عِندَهُ إِذْ نَادَاه أعرابيٌّ بصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ: يَا مُحَمَّدُ، فأجابهُ رسولُ الله - ﷺ - نَحْوًا مِنْ صَوْتِه: «هَاؤُمْ» فقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ! اغْضُضْ مِنْ صَوتِكَ فَإنَّكَ عِنْدَ النَّبي - ﷺ - وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هذَا! فقالَ: والله لاَ أَغْضُضُ. قَالَ الأعرَابيُّ: المَرْءُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يومَ القِيامَةِ». فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنَ المَغْرِبِ مَسِيرَةُ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ أرْبَعينَ أَوْ سَبعينَ عامًا - قَالَ سُفْيانُ أَحدُ الرُّواةِ: قِبَلَ الشَّامِ - خَلَقَهُ الله تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاواتِ والأَرْضَ مَفْتوحًا للتَّوْبَةِ لا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ. رواه الترمذي وغيره، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه الأحاديث بشأن التوبة، وأن على المرء أن يبادر إلى التوبة من كل ذنبٍ يعلمه، ولا يحل له أن يسوف في التوبة، ولا أن يستغفر استغفارا كاذبا، بمعنى: أنه يستغفر وقلبه منعقد على الاستمرار على المعصية، فهذا خطير جدا، لأن الله عز وجل قال: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤].

فإذا عصى العبد ربه تعالى بمخالفة الأمر، وفعل منهيا عنه، أو ترك مأمورًا به هذا هو الذنب.

وهذه هي الخطيئة فليبادر إلى التوبة قبل أن يُحال بينه وبينها، فإنه إذا بلغت الروح الحلقوم لا تُقبل التوبة إذا غرغر العبد بها لفقده الاختيار، وهذا غيب لا يدرى متى يأتي الأجل، ولا متى تنزع الروح، فقد تؤخذ والإنسان نائم ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر:٤٢] يتوفاها توفيا مؤقتا وهي في النوم، وقد يتوفاها توفيا دائما ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾فيقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس:٥٢].

وتوبة العامة والعالم إذا طلعت الشمس من مغربها ينتهي وقتها، والشمس لا تطلع من مغربها إلا في آخر الزمان قُبيل قيام الساعة، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، قال النبي ﷺ: «**وذلك حين لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا**».

وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ ذكر بابا من قِبل الشام، مسيرة عرضة أربعون عاما مفتوح للتوبة، وهذا الباب بين السماء والأرض، الله أعلم، فلا يُغلق حتى تطلع منه الشمس فإذا طلعت أُغلق فلا تقبل التوبة، فهذا الباب مفتوح للتوبة،، والمراد توبة العالم، فإنه إذا طلعت الشمس لو قال كل من في الأرض: تبنا، فما يقبل الله منهم، يعني الأحياء الموجودين إذ ذاك فينتبه الإنسان لهذا.

وفي الحديث الأخير: إن الصحابة ﷺ والتابعين كانوا حريصين على الفقه في الدين، ويسافرون مسافات بعيدة لسؤال الأكابر من الصحابة، ومن اشتهر بالحديث من الصحابة ﷺ، فهذا زر بن حبيش، ﵀، من التابعين سافر مسافة يسأل عن مسألة مسح الخفين مدة المسح على الخفين، فقال له صفوان بن عسال، ﵁، من أكابر الصحابة: "كان النبي ﷺ يأمرنا أن لا ننزع خفافنا". الكنادر يعني إذا لبسناها، أو البسطام، أو ما يصنع من الجلد، أو غيره، ثلاثة أيام يعني إذا كنا مسافرين اثنتين وسبعين ساعة من أول (٠٧:٤٣) بعد حدث اثنتين وسبعين ساعة، وللمقيم أربعة وعشرين ساعة يوم وليلة، إلا من جنابة، والمرأة من الحيض والجنابة، أو إذا نزع الخفين بعد المسح فإنها أيضا تبطل لابد أنه يتوضأ وضوءً جديدا إذا نزع بعد المسح فهو يبطل المسح خلاص، وهكذا الصحابة سافروا إلى الشام واحد من المدينة إلى الشام مشي الحديث واحد، ومن المدينة إلى مصر مشي الحديث واحد، فهذا فيه طلب الفقه

في الدين، وأن هذا مما أوصى به الله عز وجل ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة:١٢٢].

والنبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين».

وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا أتاهم السائل عن دينه، يقولون: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ. فطلبة العلم هم وصية الرسول ﷺ، يتعين على أهل العلم أن يستقبلوهم بسعة صدر، ورفق، وحسن خلق، ويعلموهم ما علمهم الله حتى يُحفظ الدين ويبقى إلى آخر الأمة، ولا يزال الله تعالى من فضله يغرس في هذا الدين غرسا من شباب الإسلام، وعامتهم، من يفتح الله له باب الفقه في الدين، ويجد من يفقهه في الدين، ويتعلم، ويصير مرجعا لعامة المسلمين في أحكام الدين، فمن شرح الله صدره للفقه في الدين واهتم بالفقه في دينه فقد أراد الله به خيرا، ومن غفل عن الفقه في الدين ولم يبالي حتى إنه لا يهتم بما تصح به قراءة الصلاة وهي الفاتحة، فبعض الناس يقرأ الفاتحة سنين طويلة ويغلط فيها لا يحسن قراءتها، لأنه لا يهتم بالفقه في دينه، فمن أراد الله به خيرا فقهه في الدين، ومن لم يفقه في دينه ما أراد الله به خيرا فلا تكن ذاك، والإنسان مثلما يسعى لطلب رزقه ولمصالحه أهم شيء أمر دينه، لأنه لا يقبل الدين إلا إذا كان على وفق الشرع، وفق القرآن العظيم، ووفق السُنة الثابتة عن النبي ﷺ.

ووفق ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم بإحسان، فليؤخذ العلم عن أهله، وليُحرص على فهمه، وليُعمل به حتى يكون الإنسان أسوة صالحة فيه، و ليُعلم من رآه في حاجة إلى التعليم وعنده علم هو يصلي يمينه ولا يساره من الناس يرى ويخطئ في صلاته يعلمه الفقه في الدين حتى يكون على بَينة، حتى يكون على بَينة، ومن هذا ما رأيتم بعد السلام رجل قام يصلي ركعتين صلاة العصر ما بعدها سُنة راتبة، صلاة العصر ما بعدها سُنة راتبة السُنة الراتبة قبل الفجر ركعتان، وقبل الظهر ركعتان أو أربع، وبعدها ركعتان أو أربع، ومن حافظ على أربعا قبل الظهر وأربعا بعدها حرمه الله على النار، وركعتان قبل الفجر خير من الدنيا وما فيها، والعصر قبله أربع، أو اثنتان وليست راتبة وليس بعدها سنة راتبة، والمغرب يصلى بعده ركعتين إذا شاء الإنسان، أو تحية المسجد إذا أراد الجلوس، وبعدها ركعتان سنة راتبة، والعشاء ليس قبلها سنة راتبة ولكن يصلي ركعتين بين كل أذانين صلاة، وبعدها سنة راتبة ركعتان، هكذا، حتى يكون الإنسان على بَينة من أمره ويتصرف تصرفا شرعيا يؤجر عليه، ما هو بالخرص، ولا بالإلف، ولا بالعادة، ولا بتقليد الناس لا، وأن الإنسان يكون على علم وعلى بَينة يعرف

ما يفعل على وجه شرعي، ويفعله ابتغاء وجه الله جل و علا، ويعرف ما يجب تركه يتركه ابتغاء وجه الله جل وعلا، وهكذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٢٠ – وعن أبي سَعيد سَعْدِ بنِ مالكِ بنِ سِنَانٍ الخدريِّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ نَبيَّ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أعْلَمِ أَهْلِ الأرضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ. فقال: إنَّهُ قَتَلَ تِسعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ فكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ. فقَالَ: إنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، ومَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إلى أرضِ كَذَا وكَذَا فإنَّ بِهَا أُناسًا يَعْبُدُونَ الله تَعَالَى فاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، ولاَ تَرْجعْ إلى أَرْضِكَ فَإنَّهَا أرضُ سُوءٍ، فانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذَابِ. فَقَالتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلًا بِقَلبِهِ إلى اللهِ تَعالَى، وقالتْ مَلائِكَةُ العَذَابِ: إنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صورَةِ آدَميٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ – أيْ حَكَمًا – فقالَ: قِيسُوا ما بينَ الأرضَينِ فَإلَى أيّتهما كَانَ أدنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أدْنى إلى الأرْضِ التي أرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحمةِ». مُتَّفَقٌ عليه. [ص:١٧]

وفي رواية في الصحيح: «فَكَانَ إلى القَريَةِ الصَّالِحَةِ أقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أهلِهَا».

وفي رواية في الصحيح: «فَأَوحَى الله تَعَالَى إلى هذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وإِلَى هذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وقَالَ: قِيسُوا مَا بيْنَهُما، فَوَجَدُوهُ إلى هذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ». وفي رواية: «فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا».

٢١ – وعن عبدِ الله بن كعبِ بنِ مالكٍ، وكان قائِدَ كعبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – مِنْ بَنِيهِ حِينَ عمِيَ، قَالَ: سَمِعتُ كَعْبَ بنَ مالكٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يُحَدِّثُ بحَديثِهِ حينَ تَخلَّفَ عن رسولِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في غَزْوَةِ تَبُوكَ. قَالَ كعبٌ: لَمْ أتَخلَّفْ عَنْ رسولِ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في غَزْوَةٍ غزاها قط إلا في غزوة تَبُوكَ...

٢٢ – وَعَنْ أبي نُجَيد – بضَمِّ النُّونِ وفتحِ الجيم – عِمْرَانَ بنِ الحُصَيْنِ الخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ امْرَأةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رسولَ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فقالتْ: يَا رسولَ الله، أصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبيُّ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَليَّها، فقالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فإذا وَضَعَتْ فَأْتِني» فَفَعَلَ فَأَمَرَ بهَا نبيُّ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. فقالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُول الله وَقَدْ زَنَتْ؟ قَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنفْسِها لله – عز وجل؟!». رواه مسلم.

وعن ابنِ عباسٍ، وأنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أنَّ رَسُولَ الله - ﷺ - قَالَ: «لَوْ أنَّ لابنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يكُونَ لَهُ وَادِيانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ». مُتَّفَقٌ عليه.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قَالَ: «يَضْحَكُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتلُ أَحَدهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا في سَبيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يتُوبُ اللهُ عَلَى القَاتلِ فَيُسْلِم فَيُسْتَشْهَدُ». مُتَّفَقٌ عليه.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذه الأحاديث مكملة لأحاديث الباب في بيان التوبة، وشأن التوبة عند الله عز وجل، وقبول التوبة، والشاهد منه قول النبي ﷺ: "**ويتوب الله على من تاب**". والمعنى: من تاب إلى الله تعالى توبةً نصوحا فإن الله يتوب عليه، قال تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات:١١]}.

ما يظلم إلا نفسه، ولا يجني إلا على نفسه، لكن النبي ﷺ بَين أمرًا مهما ينبغي أن يعتني به كل مسلم عاقل، أن الإنسان من طبيعته حب الدنيا، وهو رأس كل خطيئة فلابد من الحذر من الدنيا، ولذلك قال ﷺ: "**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**".

والله عز وجل أخبرنا عن هذا بقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر:٢٠].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ ﴾ [العاديات:٦] يعني معاند، ومحال ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ يعني: المال﴿ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ يحتاج الإنسان أنه يأخذ الدنيا من وجوه حِلها، ويترك ما حرم الله تعالى منها، ويأخذ حذره لأنه مبتلىً بها، وقد يكون هذا من أسباب فتنة الإنسان، وشكوته، لأنه إذا أخذ المال الحرام، فهو مسئول عنه من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وهو يُقسي القلب، ويثبط الهمة عن الطاعة، ويمنع إجابة الدعاء، وقد يكون شؤما على صاحبه، فكم من شخص هلك بالحرام، حتى إنه يكون عنده المال الكثير، ومع ذلك ما يأخذ من الدنيا إلا مثلما يأخذ الطير فقط، بشؤم الحرام، وعِظم أثره على الإنسان.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتركون سبعين بابا من الحلال خشية من الوقوع في الحرام، وقال أحدهم: إني كنت تاجرا في الجاهلية فلما أسلمت تركت التجارة، قالوا: كيف تترك التجارة؟ قال: لأن حلالها حساب، وحرامها عذاب. الدنيا. فأنا أحترز ما آخذ إلا ما لابد منه، وهذا هو الزهد الواجب أن الإنسان يزهد في الحرام هذا هو الزهد الواجب، والمستحب هو الزهد في الفضول في فضول الحلال، وفضول الكلام، وفضول كذا وكذا و كذا، لكن إذا أن الإنسان أُبتلي بشيء من هذا ووقع، ثم تبصر وتذكر وتاب وتخلص من الحرام ورد حق الناس لأهله قبل أن يفاجئه الأجل، فالله تعالى يتوب عليه، ولذلك قال النبي ﷺ: "لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولو كان له واديان أحب أن يكون له ثالثا، ولا يملأ فاه إلا التراب".

يعني ما يترك الدنيا حتى يموت ويدخل التراب في فيه في القبر، "**ويتوب الله على من تاب**"، وهذا حظ على التوبة في الدنيا قبل مفاجئة الأجل، قبل نزول اللحد، هكذا، ففي هذا التحذير من المغامرة في الدنيا، وعدم المبالاة في المكسب، وأن هذا يجلب على الإنسان الشكوة والشؤم والشر، فيحذر الإنسان، ولذلك قال ﷺ: "**لن تزولا قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أمور**"، منها: "**عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟**".

وقال ﷺ: "**يتبع الميت ثلاثا فيرجع اثنان ويبقى الثالث، يتبعه أهله وماله وعمله**" يعني يوم موته "**فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**" ومن العمل كسب المال، فإذا كان من حرام شقي به يُسأل عنه وينتفع منه غيره، قد ينتفع بالمال الذي خلفه من لا يشكره ولا يبره، فلا تجمع الدنيا على حسابك وتتركها لغيرك لمن لا يشكرك، فالإنسان ينبغي له أن يتصف بالقناعة، وينبغي له أن يتصف بالزهد، بأن يترك الحرام ولا يغامر في كسبه ويقول: أتخلص منه فيما بعد، فلا تدري هل يحصل لك التخلص أم لا.

وقد قال ﷺ: "**ما عال**" يعني ما افتقر "**من اقتصد**" فيقتصد الإنسان في معيشيه، وفي مصروفه، وكذا، وكذا، ويكفيه اليسير بإذن الله، ويبارك الله له في القليل، وإذا احتاج إلى شيء وسأل الله تعالى أعطاه إياه، إذا كان في قناعة واقتصاد وزهد في الحرام، ورغبة في الحلال، وإنفاق في المشروع، هكذا ينبغي أن الإنسان ينتبه لهذا فهذا أمر مهم جدا.

ينبغي للإنسان أن يهتم ويحتاط من الدنيا ويخاف من تبعتها، لأنه مسئول عنها في وقت مال يفتدي به، لو عنده ملء الأرض مال لافتدى به، لكن ما عنده يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٦] هؤلاء خواصه، يفر منهم لماذا؟ يخشى أن يأخذ منه حسنة أو يحمله سيئة، فتطلب من الناس شيء وأنت تفر منهم وهم يفرون منك يوم القيامة فخذ احتياط في حياتك، وادعو الله أن يكفيك بحلالك عن حرامك، وبطاعته عن معصيته، وأن يغنيك بفضله عمن سواه. وهذا ينبغي أن يكون من الدعاء اليومي من الأذكار اليومية، وخصوصا الصباح والمساء.

وعند اليقظة من النوم، يقول: "**اللهم أكفني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، واغنني بفضلك عمن سواك**"، ويقول: "**اللهم رب السماوات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، مُنزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، ربي أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر**".

وقل كذلك: "**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال**".

وقل كذلك: "**اللهم اغفر لي ذنبي، وأوسع لي في داري، واهدني في كل شأني إلى أرشد أمري، واعزم لي على أرشد أمري، وبارك لي في رزقي، وقني شر وشح نفسي، واجعل أوسع رزقي عند كِبر سني**".

هكذا ينبغي للمسلم، أن يهمه أمر المعاش، ويهمه الحساب، ويحذر من الحرام، ويقتنع بالحلال، ويطلب الحلال، ويسأل الله التوفيق له، وأنه إذا جاءه الرزق الحلال ينفقه فيما يرضي الله جل وعلا، وأما أباحه، ولا ينفق شيء لا في حرام ولا في إسرافٍ بحلال، لأن الحرام شؤمه شر، والإسراف في الحلال مما يُسأل عنه الإنسان، ومما يكون من فعل المبذرين إخوان الشياطين ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧]، وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا هداة مهدتين، وكفانا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وأغننا بفضله عمن سواه، وجعل رزقه له عونا لنا على طاعته، وإحسانا إلى مستحقيه ابتغاء وجهه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب الصبر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾ [البقرة:١٥٥].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ [الزمر:١٠].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣ ﴾ [الشورى:٤٣].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾ [البقرة:١٥٣].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١ ﴾ [محمد:٣١].

وعن أبي مالكٍ الحارث بن عاصم الأشعريِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسولُ الله - ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والحَمدُ لله تَمْلأُ الميزَانَ، وَسُبْحَانَ الله والحَمدُ لله تَملآن - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَينَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدقةُ بُرهَانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والقُرْآنُ حُجةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُها». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فالصبر هو حبس النفس على مرضاة الله جل وعلا، هذا الصبر شرعًا "حبس النفس على طاعة الله سبحانه وتعالى، وعن معصيته، وعلى التسليم له بأقداره المؤلمة"، بحيث أن الإنسان يكون على طاعة الله جل وعلا في سائر الأحوال، وقد أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ وعباده الصالحين بالصبر، فقال: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧] يعني استعن بالله تعالى، وعلى الصبر.

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وأغرى سبحانه وتعالى بالصبر بقوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾ [البقرة:١٥٥] يعني بكريم المثوبة، واللطف في القضاء، والشكر زيادة من النعمة، والعافية من البلاء لمن صبر احتسابا لوجه الله جل وعلا.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ [الزمر:١٠] عطاء من الله جل وعلا.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ :"إن الله تعالى ذكر الصبر في القرآن العظيم في ثمانين موضعا" مما يدل على عناية الله تعالى بخصلة الصبر، وأنه لا دين إلا بالصبر، ولذلك قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وجدنا أطيب عيشنا بالصبر". وقال: "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد". ثم قال: "لا إيمان لمن لا صبر له".

ويكفي قول النبي ﷺ في الحديث الذي سمعتم: "**الصبر ضياء**".

وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**ما أُعطي أحدٌ عطاء خيرا من الصبر، ولا أوسع من الصبر**» فالإنسان يصبر لله جل وعلا، ولا يسأل الصبر، لأن سؤال الصبر سؤال للبلاء، لكنه يصبر على البلوى، والعبد يبتلى بثلاثة أشياء هو مبتلى بثلاثة أشياء:

بطاعة الله الواجبة والمستحبة، فيصبر عليها لله جل وعلا، ولا يسأمها، ولا يتركها، ولا يهجرها، بل يؤديها على أحسن الأحوال، وأكملها، وأجملها، ويلتمس رضا الله سبحانه وتعالى، ويبتلى بمعصية الله جل وعلا، فيصبر عنها، ومن ذلك أن يكون عنده روية إذا خطر في البال المعصية بباله، أو عُرضت عليه ما يستعجل بل يتروى، ويدري أنه مسئول عن هذا، وأنه له موقف غدا بين يدي الله جل وعلا فما جوابه، حتى يُحجم عن المعصية خوفا من الله جل وعلا، وإجلالا له، وهيبة منه، وخشية من الحرج يوم يقف بين يديه، ويبتلى بالأقدار المؤلمة إنه يصاب بمرض في نفسه، بهم، بعسر في المعيشة، بأمورٍ يكرهها، ويعلم أن هذه مقادير، ولذلك يبحث عن أسباب زوالها تعاطاها ومن ذلك أنه يتسبب في طلب الرزق، ويتسبب في العلاج، ويكون معتمدا على الله جل وعلا، ويتسبب في حل البلية، وصرفها، رجاء أن يوفقه الله عز وجل لما يدفعها ويرفعها، ويلجأ إلى الله بالدعاء، فإن الدعاء والبلاء يعترجان بين السماء والأرض، يتسارعان، حتى يغلب الدعاء البلاء، النتيجة: هي غلبة الدعاء للبلاء، وأن الله يرفع البلاء بأسباب منها الدعاء، هذا الصبر، وإذا أنعم الله عليه بنعمة ما يبطر، ويفخر، وينسبها إلى نفسه، ولأسبابه، بل يشكر الله جل وعلا، ويحمده، ويتواضع له، ويستعمل النعمة في طاعته، ويُحسن بها إلى مستحقيها من الناس من خلقه، يتقرب بذلك إلى الله عز وجل شاكرا.

ولذلك سمعتم الآيات في شأن الصبر، وأن الله أوصى بالصبر في سياقات كيرة، ووعد الصابرين خيرا في الدنيا والآخرة قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦] يعني بلية مكروهة، لم يقابلها بالضجر، ولا بالشكوى شكوى الله على الخلق، وإنما يقابلها بالتسليم والاستسلام لله تعالى، والضراعة إليه أن يرفع البلية ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥٦ - ١٥٧] الله تعالى يصلي عليهم، يذكرهم في الملأ الأعلى صلاة الله على العبد ذِكره على وجه الثناء عليه في الملأ الأعلى الملائكة، ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ زيادة من الله عز وجل يرحمهم فيحقق المطلوب، ويدفع ويرفع المرهوب يدفعه قبل وصوله، ويرفعه بعد حصوله، ويلطف بالعبد في قضائه ويعافيه من بلائه فيوفقه لشكر نعمائه، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

قال عمر رضي الله عنه: "نعم العدلان" يعني الجزاء على الصبر مثل حمل البعير على جهة وجهة:

الجهة الأولى: ﴿ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ يعني يذكرهم الله تعالى مُثنيا عليهم في الملأ الأعلى في الملائكة.

والجهة الثانية: الرحمة. يرحمهم الله، فيصرف المكروه، ويحقق المطلوب، ويدفع المرهوب.

قال﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ قال: نعمة العلاوة فوق هذا وذاك الهداية مهديون من الله جل وعلا، لما يصلحهم ويسعدهم في دنياهم وآخرتهم، ولذلك ﷺ قال: "الصبر ضياء". وقال: "ما أعطي عبد عطاء خيرا وأوسع من الصبر".

فإذا تحرى العبد الصبر بحيث أنه يشكر عند النعماء، ويصبر عن المعصية إذا ابتدأ بها، ويصبر على مر القضاء، ويستسلم لله جل وعلا في سائر الآناء، هذا هو الصبر المحمود، وهذا هو الصبر الذي من الإيمان، وهذا هو حفظ الدين، وهذا زاد للآخرة، ولهذا بَين سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠] فإذا كان أحد يعطى الأجر الحسنة بعشر أمثالها، والعشر مضاعفة إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة فإن الصبر لا يعلم جزاءه إلا الله جل وعلا، ولهذا المؤمن إذا ابتلي بما يكره وصبر تجده يقبل هذا البلاء بانشراح صدر، ويذكر نعمة الله عليه، ويقول: إن الله تعالى طالما عافاني

وطالما أعطاني وطالما صرف عني البلاء، وهذا أمر عارض، فأستعين بالله عليه وأصبر لوجهه فيرفعه الله ويلطف به، هكذا.

ولذلك تجد بعض الناس وهو في المرض الشديد في الحال الضيقة يُسلي من حضر عنده بلطيف القول وجميل العبارة، وحسن الاستسلام لله جل وعلا، ويتكيف مع البلية، ويتعايش معها حتى يرفعها الله جل وعلا. وهذه من أمارات التوفيق ومعالم السعادة، فهكذا ينبغي للإنسان أن يستقبل ما يبتليه الله تعالى به سواءً من النعم والرخاء، أو من المصائب والبلايا، أو من أنها تعرض عليها الفتن والمعاصي والشبهات، كل هذه يستقبله بسعة صدر، وينظر ما هو أرضى لله جل وعلا ويفعله، ويستعين الله تعالى عليه، ويُلح على الله عز وجل بطلب التوفيق للشكر على نعمائه، واللطف في قضائه وبلائه والعصمة من معصيته، وشؤم المعصية، هكذا ينبغي للمسلم أن تكون العلاقة بينه وبين الله حسنه سبحانه وتعالى، ويستعين الله عز وجل على ما ينزل به، من خير أو من ضده، يستسلم لله عز وجل، ولذلك الإنسان ما يدري وين الخير فيه، ولذلك قال الحكماء من أهل العلم قالوا: "كم من منحة في طيها محنة". لا تحب ولا تكره ما تدري. "وكم من محنةٍ في طيها منحة". يخرج من الإنسان من المحنة وهو ممنوح من الله عز وجل فضلا وكرما وجودا وأجرا ورفعة درجة، وغير ذلك، فلذلك يستقبل ما يأتيه من الله عز وجل بالرضا والتسليم، فيصبر عند المحنة فيجعلها الله منحة، ولا يبطر عند المنحة حتى ما يجعلها الله بذية ومحنة، هكذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وعن أبي سَعيد سعدِ بن مالكِ بنِ سنانٍ الخدري رضي الله عنهما: أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَألوا رسولَ الله – ﷺ – فَأعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَألوهُ فَأعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِندَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أنْفَقَ كُلَّ شَيءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». مُتَّفَقٌ عليه.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فالغرض من الحديث قول ﷺ: «**ما أُعطي أحدٌ خيرًا وأوسع من الصبر**» لأنه مع الصبر بإذن الله تنجح الأمور أمور الدنيا والآخرة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من يتصبر**» يعني يوطن نفسه للصبر، ويتحمل، ويعتبر بأوضاع الماضين، وأوضاع الحاضرين، وأمر الدنيا لأنه ما في شيء يتم على أكمل الوجوه إلا بالصبر أي مطلوب نفيس ولا أقل من ذلك لابد من الصبر، والناس أنفسهم يتواصون بالصبر في أمر الدنيا، ففي أمر الآخرة أولى، فيوطن الإنسان نفسه على الصبر، وهذا معنى قوله ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**» لكن ما يسأل الله الصبر يعني سؤال الله الصبر سؤال البلاء، لكنه يتصبر ويرجو من الله الفرج، النبي ﷺ قال: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب**».

فهذا الكلام من النبي ﷺ قاله عليه الصلاة والسلام موعظة لهؤلاء الجماعة من الأنصار، وهي موعظة للأمة كلها، فإن هؤلاء الجماعة من الأنصار رضي الله عنهم تعرضوا للنبي ﷺ يطلبون من الدنيا من بيت المال يعني، فأعطاهم، ثم سألوه مرة أخرى قريبة من هذه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده ما عنده شيء يعطيهم إياه ولا غيرهم، فقال لهم على وجه الموعظة: مهما يكن عندي من خير فلن أدخره عندكم، سأعطيكم ما أعطاني الله سأعطيكم منه، وهذا من رفقه ﷺ بالمسلمين، ومن كرمه وجوده، ومن تأليفه الناس على الإسلام، مهما يكن من عندي من خير فلم أدخره عنكم، لا تظنون أني أخصه بنفسي، أو من له قرابة بي لا كلكم سواء، لكن قال: "**من يستعفف يعفه الله**" من يقنع باليسير، ويرجو الله عز وجل الخلف، ويقتصد، ويتسبب في تحصيل مزيد من الرزق يرزقه الله.

وأقل الأحوال أن الله يعفه ويغنيه عن الحاجة للناس، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، من يستعفف يعفه الله، ومن يستغني يعني يستغني بالله ما هو يستغني بماله هو لا يستغني بالله، يقول: إني إن شاء الله لن أسأل الله حاجة إلا أعطاني إياه ما لي حاجة بالخلق.

وقال بعض السلف: والله لا أبالي عندي شيء في البيت أو ما عندي، قالوا: كيف؟ قال: إذا احتجت قلت: يا ربي وأعطاني.

والله تعالى قال: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ [طه:١٣٢] هذا وعد من الله عز وجل للمصلين والآمرين بالصلاة والمحافظين عليها، وكان بعض السلف إذا قال له أهله: إنا قد أقوينا. ما عندنا شيء في البيت ما عندنا مئونة، يقول: "صلوا يا أهلاه، صلوا يا أهلاه" يكرر هذا ويدعو الله عز وجل ويتيسر أمره، "من يستعفف يعفه الله، ومن يستغني يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله". هكذا.

فيتحلى الإنسان بالصبر ولا يشكو الله على الخلق ما يقول أنا ظروفي صعبة، وأنا وضعي كذا، وأنا أحوالي كذا، تشكي الله على الخلق، فتقول: أنا بخير وعافية، لأنك لو عندك الدنيا كاملة وأصابتك علة ذهبت لتعالجها في جميع الأرض، ويذهب كل هذا في سبيل العلاج فالعافية هي الربح على الاستقامة ولله الحمد، ما حصل مع العافية، وما حصل مع الاستقامة فهو أمره يسير، يكفيك، كل إنسان ما عنده ضمانه إنه يدرك غروب الشمس اليوم ما في أحد يقول: لا أنا أجزم من بداية غروب الشمس، وأنت الآن ولله الحد مستور، فما يسره الله لك اقبله، وما أخره الله فله حكمة عز وجل فأحسن الظن به، وما شق عليك اسأله الله وأبشر، قال النبي ﷺ: "**ليسأل أحدكم ربه حتى شسع نعله إذا انقطع**" سير النعل، فإنه إن لم ييسره الله لم يتيسر.

وقال: "**إذا دعا أحدكم**" يعني دعا الله عز وجل فليعزم المسألة، "**وليعظم الرغبة**" الحاجة إلى الله عز وجل يظهر الحاجة كما قال عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص:٢٤].

وقال أيوب عليه السلام: "لا غنى بي عن بركتك".

وقال عباد الله الصالحون: لا مشبع لنا من فضلك، فادعوا الله موقنا بالإجابة وأبشر أن يتيسر أمرك في جميع الأحوال، وهذا معلوم بالتجربة من سير الصالحين، وأنهم لا يهتمون لأمر الدنيا همهم أمر الآخرة، والصحابة رضي الله عنهم جاءوا إلى النبي ﷺ يسألونه عن الآخرة، قال: "قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه

أحدا بعدك، قل في الإسلام أو أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، أخبرني بعمل إذا عملته دخلت الجنة"؟ هذا جل سؤاله، ولا يسألون الدنيا إلا من حاجة واقعة ما هي مفترضة لا واقعة، فينبغي للمسلم أن يتحلى بالعفة والغناة غناة النفس، وحاجته ينزلها بالله جل وعلا كبيرة أو صغيرة، وقد ذكر عن أحد الحكماء الوجهاء جاءه رجل محتاج شخص فلما أنه فرغ ما عنده أحد قال له: لي إليك حويجة، قال: ابحث لها عن رُجيل، يعني أنا تعال لي بالحاجة الكبيرة، فالله عز وجل هو المقصود جل وعلا، ولذلك قال النبي ﷺ: "**فليعظم الرغبة**" اطلب من الله رضاه، واطلب من الله تعالى الجنة، واطلب من الله المنزلة المباركة في الدنيا، واطلب من الله الزوجة الصالحة، واطلب من الله الذرية وقرة العين، واطلب من الله الستر والعفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، اطلب موقف السيارة إذا رحت إلى السوق إذا لم ييسره الله لم يتيسر، وقد يتيسر ويصير بك حادث، فاسأل الله حاجتك، ويكفيك فضل وخير أن الله أجاب دعوتك إذا تحقق مرادك هذا يكفيك عز، إن الله تعالى سمع لك وأجابك وقضى حاجتك، ونفس الشيء تروح تقدر البيت اطلب من الله التيسير، وأن الله ييسر لك العروض المباركة وكذا وكذا توفر ربع النفقة أو نصف النفقة، فينزل الإنسان حاجته بالله وتكون هذه عادة له.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يدعو الله تعالى يرفع يديه ويقول: "**أنا المكدي وابن المكدي، وهكذا كان أبي وجدي، أنا الشحاذ ولد الشحاذ حفيد الشحاذ** .." (٠٩:٣٤)

هذا هو المنهج الصحيح، لأن الحاجة إذا لم تقضى في السماء لم تقضى في الأرض لو درت الأرض بأكملها، فاسأل الله أقرب لك حاجتك عند ربك الذي خلقك، والذي تعهدك، والذي هو أرحم بك من أمك وأبيك، ومن أكل أحد، فلا تتردد أبدا، لا تجعل سؤال الله إذا أيست من الناس، لا، اجعل سؤال الله هو الأول والله هو الذي يقيض لك من يقضي حاجتك من الناس، أو الأسباب التي تقضى بها حاجتك، هكذا ينبغي للمسلم، فكن موحد في جميع الأحوال، مع السراء يشكر، ومع الضراء يصبر، وعند الحاجة يلح على الله عز وجل بالدعاء، ولا يلتفت لأحد أبدا لو رأيت المال بيد الناس لا تقول أريده اسأل الله تعالى.

ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:٣٢].

فالذي أعطاهم يعطيك ويكثر، ولما قال الصحابة رضي الله عنهم سمعوا هذا الكلام من النبي ﷺ ومعنى هذا الكلام قالوا: إذًا نكثر نطلب من الله كل شيء، قال: الله أكثر. في أوضح من هذا الكلام؟ وفي أحق من هذا الكلام؟

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ما قال فلان من الناس، أو أتقي النقي، فقط، لا، من سأله يعطيه، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ يطيعوني في الدعاء يعني يسألوني ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال تعالى في الحديث القدسي الصحيح: "**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني اهدكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم**".

يعرض الله عز وجل فضله على الناس، لكن تعلق الناس بالخلق هذه فتنة، وهذا دليل الغفلة، فيكون الإنسان على يقين أن الله تعالى يعطيه، وأن الله يسمعه، ويجيب دعوته، وأن الله لطيف به، وألطف به من كل أحد، وأن ما يؤخره الله فلحكمة، وما يقدمه الله تعالى فلحكمة، فيشكر عند النعمة، ويصبر عند البلية، ويشكو الحال إلى الله بينه وبين الله عز وجل ولا يلتفت للناس إلا بعد الدعاء والإلحاح على الله عز وجل من باب التماس الأسباب، هذه الحاجة تأتيك من هذا الطريق، أو ذاك الطريق، من فلان من طريق فلان أو فلان فقط لا غير، لكن الأمر في السماء لابد أن يكون، و الله تعالى قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ [الذاريات:٢٢].

هكذا ينبغي للإنسان أن يعقل هذا، ويفهم هذا، ويلقنه أهله وأولاده، ويكون كثير السؤال لله جل وعلا فيما بينه وبينه سرا، ويكون محتاج، ويكون موقنا محسنا للظن بالله، لأن الله تعالى يقول: "**أنا عند ظن عبدي بي، فإن ظننت خيرا بالله وجدته، وإن ظننت غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك**" وإن ظننت أن الله

يبخل عليك فهذا سوء ظن يرديك ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت:٢٣]؛ فلا تكن من الخاسرين. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وعن أبي يحيى صهيب بن سنانٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عَجَبًا لأمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ، ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيرًا لَهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا لَهُ». رواه مسلم.

وعن أنسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبيُّ ﷺ جعلَ يَتَغَشَّاهُ الكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: وَاكَربَ أَبَتَاهُ. فقَالَ: «لَيْسَ عَلَى أَبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ». فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ الفِردَوسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جبْريلَ نَنْعَاهُ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ التُّرَابَ؟! رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: ففي هذين الحديثين بيان فضيلة الصبر على الشدائد والمصائب، بحيث أن الإنسان لا يسخطها، ولا يعترض على الله تعالى في أقداره، ولا يشكو الله على الخلق، ولا يتصرف في نفسه أو في غيره تصرفا يسبب جناية على أحد، بل يستسلم لقضاء الله وقدره، ويدعو الله تعالى أن تكون عاقبة ذلك خيرا، فكم من محنة في طيها منحة. يعني في أولها أنها محنة ثم يتبين أنها منحة من الله تعالى، ترتب عليها خيرٌ كثير وأجر وفير في الدنيا والآخرة، فيقول النبي ﷺ في الحديث الأول: "عجبًا لأمر المؤمن". المؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، المقيم لشرائع الإسلام، المحقق للشهادتين، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج، ويطيع الله تعالى ورسوله، ويحذر المعصية، ويتوب إلى الله من الخطيئة. يقول: "**إن أمره كله له خير**" يعني في سائر الأحوال. "**إن أصابته سراء**" من الله جل وعلا صحة في بدنه، سلامة وعافية، صلاح لأهله، سعة في رزقه، تيسير لأمور، فإنه يشكر الله جل وعلا، يحمد الله جل وعلا ويشكره لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣] ويقول: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧].

فالشكر موصولٌ بالمزيد من الله جل وعلا، وأعظم الزيادة وأبرك الزيادة زيادة الإيمان ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ بقدره يعني وتدبيره ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن:١١]

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ قدرًا سابق ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

فلا يتبختر ويفخر، بل يتواضع لله ويشكره ويذكره ويحسن بما أنعم الله عليه، هذه علامات الشكر، ويلهج بالثناء على الله تعالى بما هو أهله، ويبرأ من الحول والقوة إلا بالله، ما يقول: هذا لي، هذا لخبرتي، هذا لعبقريتي، هذا ميراث أبي، هذا كذا، لا هذا من الله، لو أراد الله أن لا يصل إليك شيء ما وصل إليك شيء، "إذا أصابته سراء شكر فكان خيرًا له". دنيا وآخرة، يُمتع بنعمة الله عليه، وتكون عونًا له على الطاعة، وسعة في أمره، وما عند الله له في الآخرة أكبر وأعظم، ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الشورى:٣٦].

الحالة الثانية: إذا أصابته ضراء، سقم في صحته، هم، دين، مصيبة، حادث في نفسه، أو في أهله، أو غير ذلك، ضيق معيشة، تسلط أشرار، وغير ذلك، فيصبر لله جل وعلا، ويعالج الموضوع بتحري الأسباب التي تخفف هذا الشيء، أو تزيله، ويستشير من يظن أنه يعينه على هذا ويدله على خير، ويسأل الله تعالى اللطف في قضائه والعافية من بلائه، فيصبر على البلية، فتكون له خيرا، يأجره الله عز وجل فإن المؤمن يؤجر على المصيبة حتى الشوكة يشاكها، وإن العبد إذا أُبتلي في صحته فإنه يكتب له من العمل مثلما كان يعمل وهو صحيح، ولو كان مريضا عاجزا فيكتب الله له ما اعتاد من العمل، ويعوضه الله خيرا، ويوطنه على البلية، ويلطف به فيها، وينتفع بقربه من الله جل وعلا، والإنابة إليه، وصدق الضراعة إليه، ومن العباد من لا تحصل له الاستقامة إلا بالمصائب، يُرجعه الله بقدرته، فيصيبه ويبتليه حتى يتوب إلى الله تعالى ويستسلم، ويتأدب مع الله تعالى ويستقيم، ثم يجعل الله تعالى تلك المصائب منحا من الله، يتلذذ بعاقبته، ويشكر الله عليها، ولذلك قال النبي ﷺ في آخر الحديث: "**وليس ذلك إلا للمؤمن**" هو الذي يشكر عند الرخاء، ويصبر عند البلاء، ويسأل الله الفضل بالقضاء، وهكذا.

الحديث الثاني: فيه إنه تسلية للمؤمن بالنبي ﷺ نفسه، فإن النبي ﷺ لما مرض اشتد به المرض والكرب، حتى إنه ما صار يستطيع يأتي إلى المسجد، حتى ما يستطيع إنه يتوضأ يُوضأ، وحتى إنه كان الحمى تبلغ مبلغ إلى درجة أنه يأخذ قطعة قماش، أو فوط، ويغمسها في ماء بارد ويمسح وجهه بها، فتخفف الحرارة عنه والصداع، ولما شعر بالموت يقول: "**لا إله إلا الله إن للموت سكرات، اللهم أعني على سكرات الموت**" لأن الروح تنفصل من جميع أجساء الجسد، وهذا ألم شديد، وزاره بعض الصحابة وإذا هو يوعك يعني كحة وبلغم وكذا، وكذا، فقال: يا رسول الله إنك توعك وعكا شديدا؟ قال: "**نعم كما يوعك رجلان منكم**"، وقال النبي ﷺ: "**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أراد بقوم خيرا، أو أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**".

ولما قال له رجل: إني أحب الله ورسوله، قال: "**أعد للبلاء جلبابا**" استعد ستبتلى حتى يتمحص إيمانك هل صادق ولا لا؟ فلذلك كان النبي ﷺ أشد الناس في هذا، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: "والله إني لا أغبط أحدًا على سهولة الموت بعدما رأيت من النبي ﷺ". من شدة النزع، لأن هذا مما تُكفر به الخطايا وترفع به الدرجات، ويجعل المسلم يستسلم لله عز وجل ويرضى بقضائه بمر القضاء، ويصبر لله على البلاء، وتأتيه البشارات في هذه الأحوال يرى ما أُعد له في الآخرة يسره فتهون عليه هذه، حتى إنه يستعجل الموت لأنه ما بينه وبين هذا النعيم والخير إلا الموت وده الحين يجيه الموت، لأن الله تعالى أراه ما يسره لما ادخر له عنده.

فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ الوحيد التي بقيت له في آخر حياته، وأخبرها أنها أسرع أهله لحوقًا به رأت ما بأبيها من كرب، فقالت: واكرب أباه. يا شدة المرض الذي فيه وما يعاني من الشدة، فقال: ليس على أبيكِ كربٌ بعد اليوم. اليوم كرب ونصبر عليه، لكن بعد اليوم يُسر وخير، "**ليس على أبيكِ كربٌ بعد اليوم**" ورأت ما فيه من الشدة وكذا وكذا، فقالت: واكرب أباه ولما توفي النبي ﷺ قالت: "أجاب ربًا دعاه إلى جبريل ننعاه".

ورضيت بقضاء الله وقدره، لماذا؟ لأنه كان النبي ﷺ بشرها، أول شيء أخبرها بموته فحزنت وبكت، ثم استدعاها ثانيا وبشرها بأنها أول أهلها لحوقا به فاستبشرت وضحكت وماتت بعده ﷺ بستة أشهر، رضي الله عنها، ستة أشهر، حتى أنها مرضت ربما مما رأت بأبيها من الشدة، ولم تتعافى حتى ماتت رضي الله عنها، لمدة ستة أشهر، ولما توفي النبي ﷺ قالت وهذه طبيعة المرأة والمسكينة البنت العاطفة عندها قوية، قالت: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب. تدفنونه يعني، وهذه سنة الله تعالى في عباده.

والثانية: أنه من لطف الله بالعباد إن الميت ولله الحمد يُكرم ويعزز فيُخدم في حال مرضه، ويتلطف له، ويُدعى له، ويرزقه الله الطمأنينة، ويصير أشرح صدر من عواده من لطف الله جل وعلا، حتى أنه يسليهم يقول: أنا بخير، وأنا بعافيه، وأنا إلى خير، لأن الله عز وجل أنزل عليه برد اليقين، وجعله يرضى بقضاء الله وقدره، وربما إن الله أراه من الرؤى ما يسره، فيكون لطيفا راضيا بقضاء الله وقدره مستسلما، ثم إذا مات يُعان على الموت ويُعان على التذكير قل: لا إله إلا الله، وكذا، وكذا، ثم يُجهز بعد الموت تجهيز العروس، بحيث أنه يُغسل ويُوضأ، ويُلبس لباسا جديدا نظيفا، ويُحتفى به، ويُشيع من البيت إلى المصلى، إلى المقبرة، ويدفن مكرما معززا والناس يلهجون بذكره والثناء عليه والدعاء له، ويدعون له بالتثبيت حين السؤال، كل هذا من تكريم الله عز وجل للمؤمن، للإنسان عامة وللمؤمن خاصة، يعني ما هو مثل البهيمة والسباع أنه يجر من رجله ويربط، لا، (١٤:٣٧) ويحتفى به، وتطيب خواطر أهله بالاحتفاء، والتعزية، والمواساة، وعرض المساعدة عليهم، حتى بصنع الطعام لهم، فهذا من تكريم الله لبني آدم، ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسراء:٧٠].

فيُهيأ تهيئة العروس، وهذه من نِعم الله، ومن لطف الله بعباده، ولا هو يطلع لوحده، أو يطلع ... بعربة ولا شيء يجره عامل أو شيء لا موكب معه ناس معه من اليمين واليسار وأمام ووراء، واحتفاء من جماعة مسجده وجيرانه ومن أقاربه ومن محبيه وممن سمع عنه ويطلبون الأجر العظيم من الله، القراريط، القيراط في الصلاة على الميت مثل جبل أحد في الأجر، والقيراطين في تشييعه حتى يدفن مثل ذلك أيضا مثل جبل أحد.

ولذلك الإنسان إذا ذهب مع الجنازة يذهب احتفاءً بها، واحتسابًا، وطلبًا للقراريط من الأجر، مع مواساة أهل الميت، لكن ما يذهب مجاملة ومداراة وعلى كره أو شيء، لا، ولا تصنعا، يذهب عن حسبة.

قيل لأحد السلف: تعال نشهد هذه الجنازة؟ قال: دعني أنوي. يعني دعني أحتسب أني أذهب احتسابا طلبا لثواب التشييع، ولا هو من أجل الميت ولا من أجل الناس ولا رد جميل سابق لأنه حضر ميت لي أروح أنا أحضر ميتا له، ما هي بهذه القروض والعادات، لا، هذه عبادات يصير فيها حسبة وأجر، حسبة لأداء حق الميت، وحسبة لطلب الأجر، وحسبة لمواساة أهل الميت وتخفيف المصيبة عليهم إذا رأوا الناس يحتفون به، ويشيعونه من يمينه وشماله ومن أمامه ومن وراءه ويودعونه معززا مكرما هذه الحسبة ترى، هكذا ينبغي.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعن أبي زَيدٍ أُسَامَةَ بنِ زيدِ بن حارثةَ مَوْلَى رسولِ الله - ﷺ - وحِبِّهِ وابنِ حبِّه رضي الله عنهما، قَالَ: أرْسَلَتْ بنْتُ النَّبيِّ - ﷺ - إنَّ ابْني قَد احْتُضِرَ فَاشْهَدنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِىءُ السَّلامَ، ويقُولُ: «إنَّ لله مَا أخَذَ وَلَهُ مَا أعطَى، وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِأجَلٍ مُسَمًّى فَلتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ». فَأَرسَلَتْ إلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيهِ لَيَأتِينَّهَا. فقامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابتٍ، ورجَالٌ - رضي الله عنهم - فَرُفعَ إِلَى رَسُول الله - ﷺ - الصَّبيُّ، فَأقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَينَاهُ فقالَ سَعدٌ: يَا رسولَ الله، مَا هَذَا؟ فَقالَ: «هذِهِ رَحمَةٌ جَعَلَها اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبادِهِ» وفي رواية: «فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الحديث فيه بيان شأن الصبر على المصيبة، ولا سيما فقد المحبوب، فيقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما: إن ابنة للنبي ﷺ بنت قالت أرسلت إليه تقول: إن ابني قد اُحتضر. يعني في النزع وسكرات الموت طفل صغير، فأرسل إليها النبي ﷺ، يعني رد الرسول يخبرها بما قال النبي ﷺ، يقول: "**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى**" يعني الكل ملك لله نحن والطفل وما نملك والدنيا كلها، فله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، لا اعتراض عليه، ما أعطى فضل وابتلاء، وما أخذ ابتلاء، ويعوض الله خيرا منه.

"**وكل شيء عنده عند الله جل وعلا بأجلٍ مسمى**" يعني هذا الطفل انتهى أجله الذي كتب الله له العمر انتهى خلاص ما في حيلة، هذا أمر قدري مفروغ منه قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة من كتابته، والعلم سابقا على هذا، فما بقي له حبة عيشة، ولا قطرة ماء، استكمل أنفاسه ورزقه وأجله اللحظات.

"**فلتصبر ولتحتسب**" فتُصبر نفسها عن الجزع، وتقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها، وتحسن الظن بالله عز وجل لأن له الحكمة، ويعوضها الله تعالى بيتًا في الجنة، لمن صبر على فقد محبوبه، وحمد الله وأثنى عليه يقول الله تعالى للملائكة عليهم السلام: "**ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد**".

فإذا فقد الشخص من رجل أو امرأة أباه أو زوجه أو ولده أو أخاه أو أي شيء غالٍ عليه واستسلم لله واسترجع، فإن الله تعالى يشكر له صبره، وحمده إياه، ويُعوضه خيرا مما فقد، والإنسان ما يدري ايش مستقبل الأيام، ما تدري هذا لو عاش هو خير لك ولا فتنة لك، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ ﴾ [التغابن:١٤] .

"**فتصبر ولتحتسب**" هذه رسالة النبي ﷺ إلى ابنته، لأن النبي ﷺ مشغول مع أصحابه في أمر مهم، فأرسلت إليه تقسم عليه أن يأتي تُلزم عليه أن يأتي، فقام النبي ﷺ بمن معه من الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا في شغل، وجاءوا إلى البيت، والطفل ما مات باقي نفسه تتردد في حال كرب، فرُفع إليه الطفل، فلما رأى النبي ﷺ رق له ورحمه ودمعت عيناه رحمةً له، فكأن بعض الصحابة استنكر ما هذا؟ فكيف تكون منك الرقة وأنت رسول الله ﷺ تؤمن بقضاء الله وقدره، فبَين له النبي ﷺ أن هذا ما له علاقة بالقضاء والقدر هذه رحمة بالصبي، وما يعالج من سكرات الموت على صغر سنه وضعف بدنه وأمه التي تشاهد هذا المنظر، وكذا، وكذا، فقال: "**هذه رحمةٌ يجعلها الله في قلوب من يشاء من عباده**".

والذي ما يرق قلبه ويلين في مثل هذه الحال قاسي القلب، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، قال تعالى: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم ﴾ [الزمر:٢٢] وخطيرة قسوة القلب، قال تكميلا: "**وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**" يعني من رحم الضعيف والمسكين والكبير والفقير وكذا وكذا رحمه الله، ومن علامة الرحمة أنه يجود بما يمكن من الكلمة الطيبة، ومن المعالجة برفق، ومن الصدقة كل بحسب مقامه وحاله، فيعبر عن مواساته له وعن رفقه به ورحمته إياه "**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**".

ومثل هذا إن النبي ﷺ كان في مجلس، وعنده ناس من شيوخ الأعراب شيوخ أهل الجاهلية، فجاءه صبي الحسن أو الحسين ابن ابنته فاطمة رضي الله عنها، فقبله النبي ﷺ، قال الأعرابي: أتقبلون صبيانكم؟ قال: نعم، قال: والله إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم واحدا. انظر للجفاء كيف، فنظر إليه النبي ﷺ نظرة استنكار، قال: أو أملك أن يكون الله وقد نزع الرحمة من قلبك، وقد قال ﷺ: "**لا تُنزع الرحمة إلا من شقي**".

فنزع الرحمة من القلب علامة على الشقوة، ولهذا ارحموا ترحموا، الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، من لا يرحم الناس لا يرحمه الله.

فبَين ﷺ في هذا الموقف على حرجه، وشدته عليه، وعلى أهل البيت لمن حضر من الصحابة الكبار هؤلاء الذين هم من خيار الصحابة، والكل خير هذا الشأن يعني لأن هذه رحمة يرق لها القلب وتدمع العين ولا يقول العبد إلا ما يرضي الله جل وعلا، هكذا ينبغي للمسلم، فهذه من الآداب، ومن هذا: إنه النبي ﷺ أرسل لها تسلية وتعزية، وهي قوله: "**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى، فلتصبر ولتحتسب**".

فأنت إذا زرت أحدا لمناسبة أنه فقد حبيبا له تقول هذا أول ما تلقاه: الحمد لله، إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فاصبر واحتسب. وتذكره، فإن الذي يحمد الله عند المصيبة ولا يقول إلا خيرا إن الملائكة يؤمنون على دعائه، وإن الله تعالى يقول للملائكة عليهم السلام: "**ابنوا لعبدي بيتا في الجنة سموه بيت الحمد**" فهذه غنيمة عظيمة جدا، فتكون هذه من المواساة، فالواجب على المسلم وأخاه يطمئنه ويرقق قلبه، ويجعله يرضى بقضاء الله وقدره، ويستسلم لحكم الله عز وجل، ويحسن بالظن بلطف الله ورحمته وعوضه في الدنيا والآخرة، مثلما جاء في سورة {الكهف}: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ ﴾ [الكهف:٨٠] ايش الحكمة يعني الخضر عليه السلام قتل الغلام بأمر من الله جل وعلا، لأنه كان عنده علم ووحي يتعلق بالمقادير، ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الكهف:٨٠] في المستقبل يعني، فأردنا ايش راحتهما منه وأن يعوضهما الله خير، ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الكهف:٨١].

فكانت هذه فائدة قتل هذا الغلام قبل بلوغه، لأنه لو بلغ وكُلف وعصى فيكون الأمر كبير وخطير، فهذا قبل بلوغه قبل تكليفه وهو بأمر الله، ولذلك في آخر القصة قال: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ﴾ [الكهف:٨٢] وموسى عليه السلام حين اعترض على الخضر في الأمور الثلاثة بشأن خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار لأن موسى بحسب شريعته هو التوراة، هذه ممنوعة في الشرائع، لكن الخضر نبي أطلعه الله على المقادير وسر الله في الخلق، وحكمة الله عز وجل في هذا، فصار خرق السفينة مصلحة للأيتام، أنه ما يأخذها الملك الظالم، وهو مؤقت تُسد، وهي تجاوزهم تُسد وينتهي تبقى لهم سفينة رحمة، والغلام هذا حتى إنه لا يشقي والديه في مستقبل الأيام ومع كبر السن، والجدار من أجل أن يحفظ الكنز الذي تحته لأهله

الأيتام الصغار حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ويحسنان صرف الكنز، ما يتصرفان بسفه، هكذا يعني.

فهذا من العلم القدري الذي يسمى: اللادني. أن الله أطلعه على شيء من سر المقادير ما سيكون في المستقبل، وما تقتضيه الحال الآن لطفا من الله عز وجل بمن جرى له هذا الأمر، وإن كان مكروها في الظاهر لكن عاقبته خير، وهذه المقادير، فالمقادير لحكمة قد يراد منها الابتلاء واختبار الصبر عند البلية وعظم الأجر، وأن العبد لا ينال الدرجة العالية في الجنة لا ينالها إلا بالصبر على المعصية، ما ينالها بعمل، لا صلاة ولا زكاة ولا غيرها.

والثانية: أنه قد يكون التصرف هذا الذي أجراه الله لحكمة في القدر إنه يكون فيه حفظ للمال لصاحبه، وإن كان في ظاهره خطأ لكن يتبين بعد أنه حفظ، وقد يعوضه الله خيرا منه، وهكذا بناء الجدار نفس الشيء لحفظ المال، وحفظه عمن يعتدي عليه ويصادره، ويحرم أهله منه، ويستغفل صغرهما وسفههما أو غير ذلك، فأمن هذا، أُعيد الجدار من جديد وقوي حتى إنه يستمر زيادة سنين لأجل أن يبلغ الغلامان أشدهما ويستخرجا كنزهما ويحسنان التصرف فيه، فصار خدمة لهما تقدير من الله، والله هو الذي قيض سبحانه وتعالى هذا الرجل أن يأتي على هذا على السفينة، وعلى الغلام، وعلى الجدار من لطف الله ومن رحمته، هكذا، فالمقادير تجري بأمر الله ولله تعالى فيها حكمة، والحكمة دائرة بين العدل والفضل، والكل فيه مصلحة للعباد.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وعن صهيب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبلَكم وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ للمَلِكِ: إنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ؛ فَبَعثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، وَكانَ في طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقعدَ إِلَيْه وسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكانَ إِذَا أتَى السَّاحِرَ، مَرَّ بالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْه، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أهلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَما هُوَ عَلَى ذلِكَ إذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: اليَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحرُ أفْضَلُ أم الرَّاهبُ أفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِهِ الدّابَّةَ حَتَّى يَمضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا ومَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهبَ فَأَخبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليومَ أفْضَل منِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِن ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَيَّ؛ وَكانَ الغُلامُ يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرصَ، ويداوي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاء. فَسَمِعَ جَليسٌ لِلملِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فأتاه بِهَدَايا كَثيرَةٍ، فَقَالَ: مَا ها هُنَا لَكَ أَجْمعُ إنْ أنتَ شَفَيتَنِي، فَقَالَ: إنّي لا أَشْفِي أحَدًا إِنَّمَا يَشفِي اللهُ تَعالَى، فَإِنْ آمَنْتَ بالله تَعالَى دَعوتُ اللهَ فَشفَاكَ، فَآمَنَ بالله تَعالَى فَشفَاهُ اللهُ تَعالَى، فَأَتَى المَلِكَ فَجَلسَ إِلَيْهِ كَما كَانَ يَجلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيري؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلامِ، فَجيء بالغُلاَمِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِىء الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وتَفْعَلُ وتَفْعَلُ! فَقَالَ: إنِّي لا أَشْفي أحَدًا، إِنَّمَا يَشفِي الله تَعالَى. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ؛ فَجِيء بالرَّاهِبِ فَقيلَ لَهُ: ارجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ فَوُضِعَ المِنْشَارُ فِي مَفْرِق رَأسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المَلِكِ فقيل لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فوضِعَ المِنْشَارُ فِي مَفرِق رَأسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بالغُلاَمِ فقيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أكْفِنيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبلُ فَسَقَطُوا، وَجاءَ يَمشِي إِلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ الله تَعَالَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ وتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، فَإِنْ رَجعَ عَنْ دِينِهِ وإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أكْفِنيهِمْ بمَا شِئْتَ، فانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاء يَمْشي

إِلَى المَلِكِ. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فعلَ أصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانيهمُ الله تَعَالَى. فَقَالَ لِلمَلِكِ: إنَّكَ لَسْتَ بقَاتلي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعيدٍ وَاحدٍ وتَصْلُبُني عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ الله ربِّ الغُلاَمِ، ثُمَّ ارْمِني، فَإنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذلِكَ قَتَلتَني، فَجَمَعَ النَّاسَ في صَعيد واحدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوقَعَ في صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغِهِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلامِ، فَأُتِيَ المَلِكُ فقيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ والله نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ بأفْواهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وأُضْرِمَ فيهَا النِّيرانُ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجعْ عَنْ دِينهِ فَأقْحموهُ فيهَا، أَوْ قيلَ لَهُ: اقتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءت امْرَأةٌ وَمَعَهَا صَبيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلامُ: يَا أُمهْ اصْبِري فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ!». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

ففي هذا الحديث كسوابقه من الأحاديث السابقة الحظ على الصبر لله تعالى عبادة وبالاستعانة على النعم بحيث لا يبطرها، ويسرف فيها، وعلى المصائب بحيث لا يسخطها، ويشكو الله إلى الخلق، ويتصرف ما يخالف الشرع، وعلى الطاعة بحيث لا يسأمها ويتركها، وعن المعصية بحيث لا يقتحمها ويعصي الله ويتجرأ عليه، فهذا الصبر، يحبس النفس على ما يرضي الله جل وعلا، ويشكو الحال إلى الله عز وجل، ويُخلص لله في الدعاء فيُفرج الله عنه، ويُيسر أمره، ويكفيه عدوه، وينصره دنيا وآخرة ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر:٥١] .

قال الصحابة رضي الله عنهم: "شكونا إلى النبي ﷺ" يعني وهم في مكة "ما نلقى من أذى المشركين، فقلنا يا رسول الله: ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فقال: "**اصبروا، لقد كان من كان قبلكم يؤتى بالرجل. يعني المؤمن. فيؤخذ بأمشاط الحديد ما دون عظمه من اللحم**" يسلت لحمه بالحديد وهو حي، ويُجعل في الحفرة فيُجعل السيف على مفرق رأسه ويُجعل نصفين قطعتين ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من بصرى إلى صنعاء من الشام إلى اليمن ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه.

وهذا حصل ولله الحمد، فهذا أنموذج هو المذكور في سورة {البروج}: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ عذبوهم بالنار ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يعني آمنوا بالله تعالى وصبروا له وعملوا بطاعته وتركوا معصيته ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [البروج: ٤-١١].

فهذه القصة هي أن ملك من ملوك اليمن كان في نجران، ملك ظالم كافر، وكان له ساحر يستعين بالجن، ويأخذ عن مسترقة السمع، ويعلمه ما يكون من الغيوب المستقبلة حتى إنه يتحاشى ما يخشى، وهم يصيبون ويخطئون حسب ما يردهم من هذه الأمور والشياطين تكذب، يعني على الكلمة الصحيحة مئة كذبة، فكان عنده ساحر يدله على الطريق إذا أراد أن يخرج إلى الموكب هل هو آمن ولا لا؟ يدله على سلاح عدوه، عدوه عنده سلاح قوي ولا لا، ما عنده من السلاح حتى يستعد له، وهكذا .

فكان معتمدا على هذا الساحر، يجمع السحرة ويجمع الجن الشياطين مسترقة السمع، والشياطين الذين يسعون في الأرض ويكتشفون الأشياء البعيدة بسرعة الضوء، ويُخبر الملك ببعض الأشياء قد ينتفع من هذه الأشياء، وأكثر هذا كله هراء وكذب وشرك، فلما كبر الساحر قال إنه كبر وعجز ابحث عن أحد يعلمك السحر حتى يتولى وظيفته فيما بعد للملك، فبُحث عن غلام ذكي ووُجد هذا الغلام فجيء به يتعلم من الساحر يخرج من بيت أهله، ويداوم عند الساحر في قصر الملك، ويخبره كيف يستخدم الجن، وكيف يستخدم كذا، وكيف يستدل بالنجوم، وكيف يفعل كذا، وكيف يفعل كذا، كل يوم، فالشاب على الفطرة استنكر هذه الأخبار وهذه العلوم وهذه الأشياء هذه ولا ارتاح لها لأنه على فطرة سليمة، وييسر الله له راهب رجل عابد على دين النصرانية، وهو على خير، يعني عنده شيء من آثار النبوة ورجل صالح شيخ كبير ومحب الخير للناس، ولا عنده وسيلة إلا أنه يفتح باب بيته ويجلس فيه، ويعظ من مر في الطريق فهذا يجلس دقيقتين، وهذا يجلس خمس، وهذا يجلس نصف ساعة، وهذا يجلس كذا،

ويروحون لحاجاتهم، ويجلس الضحى، ويجلس العصر، ويهدي الله عز وجل به من يشاء، فمر هذا الغلام فأعجبه كلام الراهب يختلف عن كلام الساحر، الراهب يُعبد الناس لله تعالى.

والساحر يُعبد الناس للشياطين والأشرار والكفرة، لكنه تعجب يعني هذه الحال هذه كيف على هذا المستوى أنه جليس الملك، وكذا، وكذا، وكذا، وعنده تردد وعنده كذا قلق ما يدري ايش يسوي، في يوم من الأيام وهو طالع وجد في الطريق دابة إما أسد، سبع، ولا حية كبيرة، المهم أنه شيء مخيف فحجز الناس في الطريق يعني في مضيق من الطريق، وإذا الناس محتبسون فقال اليوم أعرف أمر الساحر حق أو أمر الراهب حق، فأخذ حجرًا وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك فاقتل هذه الدابة بهذا الحجر .

دعا الله متضرعا إليه موحدا، ورمى الدابة بالحجر فماتت انقتلت، ومضى الناس لحاجاتهم شاكرين له وذاكرين، وانشرح صدره لمجالسة الراهب، فصار كل يوم يجلس ويطول كل يوم أطول من اليوم الثاني، وينتفع علم وعمل، وسلوك وأخلاق، وكذا، فكان إذا تأخر على الملك عاتبوه وراك تأخرت عن الدوام، وإن تأخر على أهله عاتبوه واي اللي حبسك، وايش اللي صار عليك، لا سيما أن الملك جائر، فصار عنده مشكلة، فشكى إلى الراهب وايش يسوي؟ فقال: إن احتبست عندي على الملك فقل: حبسني أهلي، وإن احتبست عندي على أهلك قل: حبسني الملك. تعذر تولية لأنك على خير، وهؤلاء يصدونك عن الخير، فالنية صالحة، فتعلم منه ما شاء الله، وبلغ مبلغ إنه إذا دعا استجيب له، وأحبه الناس، وتيسرت أمور الناس عليه حتى صار يرقي المريض، فإذا رقاه عافاه الله تعالى، لأن الرقية هي دعاء يدعو الله، فعمي جليس الملك، وضاق عليه الأمر الحين تأثر وظيفته وعمل وكذا وكذا، فجاء بهدايا لهذا الغلام وقال إنك أنت مجرب إنك دعاءك مستجاب، وإنك تبرأ المرضى (١٧:٠٧) قال له أنا ما أبرئ أحد أنا أدعو الله للناس والله يشفي، ربي، قال: لك رب غيره؟ قال: ربي وربك ورب الملك الله وحده. فإذا كان تؤمن بالله تعالى أدعو الله ويعافيك الله، قال: نعم، فدعا له، فعافاه الله، أبصر، وراح وجلس عند الملك، قال: من داواك؟ قال: الغلام، قال: ربي، قال: لك ربي غيري الملك يقول؟ قال: ربي وربك الله، قال: من علمك هذا؟ قال: الغلام .

فجاء بالغلام وتكلم عليه وهدده وتوعده، وقال: أنت تفعل، وتفعل، وتفعل، قال: نعم أنا لا أفعل شيء، الله تعالى هو الذي يشفي، أنا أدعو للناس، أدعو الله وحده،، والناس يؤمنون بالله إذا دعوت، وأشرط عليهم أنهم يؤمنون فيؤمنون، قال: هل لك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله.

قال: تترك ما أنت عليه وإلا أعذبك عذاب، فأبى، وقال: أنا أعبد الله، وربي الله، والله هو الذي يدفع عني، ولا أخافك، خاف الله؟ فعُذب حتى دل على الراهب، الراهب شايب مسكين وضعيف وربما أنه ما هو من عائلة مرموقة في الحي أو البلد، فجيء به وقال أنت الذي خربت هذا، أنت الذي فعلت، وأنت الذي فعلت، وأنت الذي فعلت، فوضع المنشار على رأسه على وسط رأسه وجُعل قطعتين جسمه قطعتين بالمنشار، هذه عقوبته. قيل لجليس الملك: أرجع عن دينك؟ مثل الراهب؟ فأبى، وجد حلاوة الإيمان، فوضع المنشار على وسط رأسه وجُعل قطعتين، فجيء بالغلام أعاد الغلام يتفنون فيه بالتعذيب لأنه هو سبب المشكلة عندهم، فقيل: خذوه إلى أعلى الجبل أعلى جبل مرتفع، فإن رجع عن دينه وإلا ألقوه من على الجبل، يريدون يعذبونه أنه يتعذب من أعلى الجبل إلى أسفله، فقال في هذه الحال: اللهم اكفنيه بما شئت. ما اقترح عليهم على الله عقوبة، قال: بما شئت أنت أعلم، فاهتز الجبل على عظمه وضخامته وكذا وتساقطوا وهلكوا، وجاء يمشي إلى الملك قال: أين أصحابك؟ قال كذا وكذا دعوت الله عليهم أن يكفينيهم بما شاء وأن الله جعل الجبل يهتز فتساقطوا عليه، فأعطاه إلى آخرين وقال: اذهبوا به إلى البحر واحملوه في سفينة، سفينة صيد أو كذا.

فإذا توسطتم البحر أعرضوا عليه أن يرجع عن دينه وإلا فألقوه في البحر، ليأكله سمك القرش، أو كذا، فعرضوا عليه فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فغرق القرقور وهلكوا وجاء يمشي خرج من البحر سليما وجاء يمشي، فقال: أين أصحابك؟ قال: صار كذا وكذا، دعوت الله أن يكفيهم بما شاء، فكفاني الله إياهم بما شاء، فحار الملك وايش يسوي فيه، فقال له: وايش ودك يعني قال أقتلك، قال إذا أردت أن تقتلني عندي لك فكرة اجمع الناس في مكان واحد أهل مملكتك، وانصبني على جذع نخلة، وخذ سهما من كنانتي التي فيها السهام وضعه في كبد القوس، وقل: باسم الله رب الغلام، فتقتلني عندئذ، فجمع الملك الناس أمر الناس يجتمعون ووكل جنوده وقال لهم افعلوا كذا، وكذا، وكذا، ففعلوه ورموه بالسهم فأصاب صدغه، أصابه من الرأس من هنا، فوضع يده على صدغه ومات مستسلما لله تعالى

راضيا بقضاء الله وقدره، فقال الناس جميعا: آمنا برب الغلام، كل الحضور، فآمن المجتمع، وقيل إن الملك نفسه قال آمنا برب الغلام، نفس الملك لما بلغه الخبر، هاله الأمر.

وأن الملك الذي فعل الأخدود ملك يهودي من اليمن، غزاه وعذب الملك هذا وقومه بالأخدود، فجعل لهم حفرة في الأرض مستطيلة طول الشارع، وملأها حطبا وأضرمه نارا قال اعرضوا الناس كلهم على هذا، فمن رجع عن دينه اتركوه، ومن صبر أو ثبت على دينه القوه في هذا، فصاروا يختبرون الناس، فأحد يثبت على دينه ويلقى فيه في النار، وأحد يرجع عن دينه ويرجع إلى بيته حتى جاءت امرأة معها غلام صبي ما يتكلم، ما بلغ درجة الكلام صغير ترضعه، فلما أرادوا أن يرموها قالوا لها: أتؤمنين بالله؟ أو تكفرين؟ قالت: لا أؤمن بالله، فلما أرادوا أن يلقونها تراجعت وراء، فقال لها الغلام أنطقها الله قال: اصبري يا أماه، فإنك على الحق. إعانة من الله على هذا التثبيت فصبرت وألقيت هي وغيرها.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ ﴾ يتفرجون عليها ﴿ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾ ﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ ﴾ وما ذنب المؤمنين؟ ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾ فهذا جرمهم هذا جرمهم، وهذا الإيمان بركة هذا الغلام التي جعلها الله تعالى فيه، والغلام حسنة واحدة من حسنات الراهب، انظروا كيف ما عنده سلطان، ولا عنده وظيفة، ما هو بقاضي قضاة، ولا هو رئيس محكمة، ولا هو رئيس حسبة، ولا كذا، ولا كذا، إنما يفتح بابه ويذكر ﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥ ﴾ [الذاريات:٥٥] ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ﴾ [الأعلى: ١٠ – ١١]، ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢ ﴾ [الغاشية: ٢١ – ٢٢].

ما يملك إلا هذا فنفع الله به، كل هؤلاء في موازين هذا الراهب، وهم في موازين الغلام من قبل، وآمن أهل البلد بما فيهم الملك، لكن صاحب الأخدود ملك يهودي أكفر من الأول على كفره، لكنه سُلط والله له حكمة، فهذه القصة فيها الصبر على الإيمان والدين، فيها الصبر على البلايا، وأذى الكفار،

وفيها الصبر على أذى كل مؤذي من الظلمة، ومن فسقة العيال، ومن كذا، ومن كذا، وأن الإنسان يتضرع إلى الله ويدعو أن الله يسهل أمره، وأن الله يكفيه شر من عاداه، أو يهديه، ويشكو الحال إلى الله عز وجل، ويحسن الظن بالله تعالى، فإن العاقبة للمتقين، وهذه صارت العاقبة للغلام، وللراهب، وللملك الذي آمن مع قومه وصاروا من أهل الجنة، وانظروا كيف الملك الظالم الآخر توعده الله ﷻ.

ومع ذلك الله تعالى عرض عليهم التوبة قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ أحرقوهم بسبب الإيمان﴿ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج:١٠] سيعذبون بالنار مثلما عذبوا عباد الله بالنار، فعرض عليهم التوبة لكنهم لم يقبلوا وأصروا، فلذلك هلكوا أشر الهلكة، ومصيرهم إلى النار، بنص التنزيل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ [البروج:١١] هو الفوز الكبير، ثم ذكر سبحانه العالم كلهم بقوله: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ فلا تتجرؤوا على الله عز وجل، ولا تستهينوا بحرماته، ولا تغرنكم الدنيا، اثبتوا على دينكم، وارجوا ربكم، وادعوا الله تعالى يكشف شدتكم، وأن ييسر عسركم، ويزيل كربتكم، وأبشروا من الله بكل خير في عاجل أمره وآجله، هكذا، ولذلك قال: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ﴾ يغفر للظالم على ظلمه إذا تاب ويوده بعد يحبه.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾ عرشه الواسع أكبر مخلوقات الله العرش فوق جميع المخلوقات هو سقف المخلوقات كلها،

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦﴾ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢].

وانظر مثل هؤلاء الجبابرة الظلمة كيف، ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ أمم ظالمة كاملة أهلكها الله عز وجل بظلمها، وكفرها، وعنادها، وجرأتها على رسل الله وعباده الصالحين انظر كيف، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩﴾، تتوالى القرون على المنهج الفاشل، ويستمرون على الكذب والإباء ويشقون في الدنيا والأخرى فهم في شقوة الدنيا ثم ينقلبون إلى جهنم، قد غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم أسوء المصير أبدا عذابا سرمديا أبدا لا ينقطع ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥﴾ [الزخرف:٧٥] ﴿كُلَّمَا

نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦] ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [الإسراء:٩٧]﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٥].

ايش الدنيا ما تساوي يوم، أو جزء يوم، أو ساعة من الآخرة، فذهب المؤمنون إلى الآخرة بسعادة، وفلاح، وطمأنينة، ورضا، واستقبال في الجنة، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٤] وذهب الكافرون والظلمة إلى أسوء مصير، عليهم اللعنة والمقت والسخط وأنواع العقوبات، هكذا، مرةً يُنزلون إلى أسفل النار حريق يشوي الجلود والماء الذي يسقونه يشوي البطون يُقطع البطون، ومرتين يُرفعون إلى الزمهرير البارد الشديد الذي يجعلهم في أشد عذاب ما عندهم غير هذا.

الزمهرير أعلى، والحريق أسفل، ويرددون بين ذلك أبد الآباد بكفرهم ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر:٤٨] وفرق بين من هو في جنات ونعيم في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، جعلنا الله وإياكم كذلك، ومن هم ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾[الدخان: ٥١ - ٥٣] ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥] انظروا كيف ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٧ - ٥٨] الله تعالى يسلم عليهم، انظروا كيف الحال، لو أمضى الإنسان الدنيا كلها في عذاب ومآله إلى الجنة فالأمر سهل، نسأل الله العافية، لكن كونه يريد أن يبطر ويفسق في الدنيا وينكر ويفعل ويفعل كذا ثم يفضي إلى النار خالدا مخلدا فيها أبد الآباد هذا هو الشقاء الأبدي الذي لا ينقطع أبدا، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر:٤٨] أبسوا من كل خير ورحمة والعياذ بالله، بسبب ماذا؟ كفرهم وعنادهم وإيذائهم لعباد الله الصالحين، فيعتبر الإنسان مثل هذه الأحوال، ويعرف شأن الصبر كيف الذين صبروا وأفلحوا، وربحوا، ونالوا رضا الله عز وجل، ونالوا جواره الكريم ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر:٥٥]، في أعلى عليين، سقف الجنة عرش الرحمن نسأل الله الجنة.

والآخرون أسفل سافلين في سجين أسفل سافلين في جوف الأرض، محبوسون، والنار وقودها الناس والحجار جبال تلقى فيها، وضرس الكافر يجعل كالجبل العظيم يعظم خلقه حتى يتحمل

العذاب، ومع ذلك ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦] وشرابهم المون والصديد عرق أهل النار يشربونهم، نسأل الله العافية، فهم في عذاب أبدي سرمدي، فالإنسان إذا عرف هذه الأمور كان ذلك من أسباب رضاه عن الله عز وجل، وغبطته بهداه، وكان من أسباب صبره على بلية الله عز وجل بالنعمة فيشكر، وبالمصيبة فيصبر، وبالطاعات فيدوم عليها، وبالمعاصي فيأباها ويُعرض عنها، وإذا وقع في خطيئة تاب إلى الله عز وجل، وتروح الدنيا يوم ويوم والأنفاس معدود ومحدودة ثم يفضي إلى الجنة، هذا المستقبل الذي يُستعد له ما هو بالمستقبل أن الإنسان يكون على وظيفة ويكون عنده رأس مال، ويكون عنده حديقة ومزرعة وعنده كذا وعماير وغير ذلك هذا تروح وتخليها أنت، لكن اجعل رصيدك في الآخرة عند الله رب العالمين ينميه لك، وتجده أحوج ما تكون إليه وتُسر به ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٥٥]، هكذا ينبغي.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بامرأةٍ تَبكي عِندَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتّقِي اللهَ وَاصْبِري» فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي؛ فإنَّكَ لم تُصَبْ بمُصِيبَتي وَلَمْ تعرِفْهُ، فَقيلَ لَهَا: إنَّه النَّبيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَتَتْ بَابَ النَّبيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابينَ، فقالتْ: لَمْ أعْرِفك، فَقَالَ: «إنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية لمسلم: «تبكي عَلَى صَبيٍّ لَهَا».

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لعَبدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلاَّ الجَنَّةَ». رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذه الأحاديث كسابقتها في فضيلة عبادة الصبر لله جل وعلا حسبة ونية، وبه استعانة، وأن الإنسان إذا أُبتلي بمصيبة بما يكره فإن الله عز وجل يأجره أجرا كبيرا، مع أن البلايا لابد منها في الحياة الدنيا، والله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، ففي الحديث الأول: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر على امرأة. يعني مر في الطريق بالمقبرة وإذا فيها امرأة تبكي عند قبر صبيٍ لها دُفن في نفس اليوم، فصار عندها وجد عليه وحرقة، وخرجت من بيتها، وجاءت عند القبر تبكي تتسلى، وهذا باب فتنة وشر، وهذا دليل الجزاء عند المصيبة والاعتراض على المقادير، ويفتح لها أبواب شر، فقال لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**يا أمة الله اتقي الله واصبري**" اتقي الله لأن الله أمرك بالصبر عند المصيبة، وأثنى على الصابرين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة:١٥٦] يعني نحن وما أصبنا به ملكٌ لله جل وعلا، والله تعالى يتصرف في ملكه وخلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا راض لقضائه، فإذا تصرف الله في ملكه سبحانه فلا اعتراض عليه، ولا يُدرى ما تكون العاقبة، لكن العاقبة للمتقين، ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "**اتقي الله واصبري**" المرأة المسكينة هذه ما عرفت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو النبي، فقالت: إليك عني. يعني اتركني وابعد عني لأنها ما عرفته، فهي إما جاهلة في الحكم لأنها لم تعرف فضيلة الصبر، ووجوب الصبر عند المصيبة، أو جهل في الحال من ذلك أنها جهلت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يأمرها، وتجب عليها طاعته، والانقياد لما يوجهها به، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

فالنبي ﷺ تركها لأنه أدى ما عليه ذكرها قال: "**اتقي الله واصبري**" فالواجب عليها أن تتقي الله، وتترك البكاء، وتفارق المقبرة، منهية عن هذا التصرف، وهي ما جاءت زائرة في الحال هذه وإنما جاءت من شدة الوجد والحرقة، فلما أُخبرت بأنه النبي ﷺ جاءت تعتذر إليه، وقالت: لم أعرفك، يعني اعذرني، فقال لها النبي ﷺ: "**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**" يعني عند أول ما تقع المصيبة فالإنسان يستسلم لله تعالى، ويرضى بحكمه، ويعمل بشرعه، ويُحسن الظن به، ويتأدب معه، حتى يفوز بالثواب ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ يعني ثناء من الله تعالى على الصابرين عند المصيبة في الملأ الأعلى ﴿ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ فيحقق لهم المطلوب ويصرف عنهم المرهوب ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾ [البقرة:١٥٧] هذه ثلاثة أنواع من الأجر، مهتدون لشرع الله جل وعلا وعاملون بمقتضاه، وأجرهم على الله عز وجل.

ومن ذلك ما جاء في الحديث الثاني: إن العبد إذا أصيب بفقد حبيبه واحتسب فإن ثوابه الجنة.

وفي الحديث السابق: إن الله تعالى يقول للملائكة عليهم السلام: "**قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فما قال؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد**".

فهذا أجر عظيم، وثواب كبير، لكن المسكينة هذه فوتت عليها هذا الجزاء، والنبي ﷺ برأ من الصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة التي تحلق شعرها جزعًا، والشاقة التي تشق ثوبها، مثلما كانت نساء أهل الجاهلية يفعلون، ونساء بعض الأعراب إلى زمنٍ قريب، تقول: (٠٧:٣٢) يا هادم بيتي هدما.

كل هذا اعتراض على قدر الله عز وجل، وعدم رضا بقدره، وتدبيره، وهذا يحرم الأجر ويحمل الإنسان ما لا قبل له به من الوزر، ويفوت عليه الثواب، فينبغي الصبر والاحتساب، وأنت نفسك ما تملك نفسك لو قبض الله نفسك كيف يكون؟ ما عندك حل إلا الاستسلام لله والرضا بقضائه وقدره، والذي يموت اليوم يعني يموت غيره غدا، والموت مثلما تخطاك إلى غيرك سيتخطى غيرك إليك، فلذلك استسلم لله ولا تعترض عليه، وتأدب معه، ولا تدري وين الخيرة فيه، ولذلك من دعاء النبي ﷺ: "**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**".

فالإنسان يُسلم الأمر لله جل وعلا، ويطلب من الله العصمة من الفتنة أهم شيء الفتنة هي أخطر شيء الفتنة في الدين، فإذا قبض الله روحك وعصمك من الفتنة هذه هي الأمنية، أما أن تبقى تعيش ثم تأتيك فتنة تبيع دينك بعرض من الدنيا والعياذ بالله، فهذه بلية كبيرة وخطيرة وخسران للدنيا والآخرة، فلذلك الخير للمسلم أن يُسلم لله تعالى في قضائه، ويصبر لله تعالى على بلائه، ويسأله اللطف بحاله، وهكذا، ويعلم إنما عند الله تعالى خير له.

فكان بعض السلف يقول: إنه أصيب بفقد ولد له، فوجد عليه موجدة عظيمة صار الناس يأتونه يواسونه ويعظونه ويذكرونه، ولكنه بقي في نفسه عقدة ما انحلت، فصار عنده وجد في قلبه حرقة فتألم وتأذى، ولم ينفع فيه كلام الناس ومواساته، يقول: فرأى يوما من الأيام في نومة من النوم كأن القيامة قد قامت، وأن الناس في هولٍ شديد، وكرب شديد، وحر شديد، وعطش شديد، وضيق شديد، يقول: في هذه الحال رأيت أطفالا يعني دون البلوغ يخرجون من بين الناس كل طفل معه إناء فيه ماء، يقول: فقلت لأحد الأطفال: أعطني الماء أعطني الماء، فنظر إليه فقال: لست أبي، لست أبي، يقول: فرأيت طفلا خرج من بين اثنين ومعه إناء، فقلت: أعطني الماء، فنظر إليه فقال: نعم أنت أبي وإذا هو طفلي، فأعطاني الماء وشربت، وذهب ما في نفسي فانحلت العقدة من نفسي، ورضيت بقضاء الله تعالى وقدره، وجعلت ذلك ذخرا عند الله جل وعلا، وهذا من لطف الله عز وجل به.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّهَا سَأَلَتْ رسولَ الله - ﷺ - عَنِ الطّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ تعالى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ فيمكثُ فِي بلدِهِ صَابرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يصيبُهُ إلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ إلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشّهيدِ. رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: ففي هذا الحديث حظ على الصبر على البلايا، ومنها ما يصاب به الناس إصابة عامة كالأمراض والأوبئة التي تنتشر بين الناس في المجتمعات وتسير في الأوطان سواءً سميت: الطاعون، أو سميت بالمسميات الحادثة الكولرا أو كورونا أو غير ذلك، فالأمراض المميتة المفاجئة التي تنتشر وتسير في الأوطان هذه لها تاريخ، فكانت في الماضي قبل هذه الأمة عقوبات عامة يبعثها الله عز وجل على المكذبين للرسل عليهم الصلاة والسلام، فهي من العقوبات العامة كالغرق، والصيحة، والخسف، والمسخ، وغير ذلك، من العقوبات التي تُعذ بها الأمم المكذبة والطاغية والمتجبرة، وجعلها الله عز وجل لهذه الأمة رحمة، فمن مات به صابرا محتسبا فهو شهيد، وذلك لما فيها من الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره، وما فيها من المفاجئة بالمصيبة وفقدان الحياة، فكل الأمراض التي فيها مفاجئة وفقدان للحياة تكون هذه شهادة، شهادة عند الله جل وعلا ويكون الميت بها شهيد، ومن ذلك الغرق والحرق والتردي من مكانٍ عالٍ من سقف منزل أو غيره بغير اختيار، ومن ذلك المرأة تموت في نفاسها، كل هؤلاء شهداء للمفاجئة بفقدان الحياة، فيُعوض أنه يُعطى مثل أجر الشهيد ليس مثل شهيد المعركة بالضبط، لكن له مثل أجر الشهيد، وإلا الأصل أن الشهيد هو من مات بالمعركة حتى لو أصيب الإنسان في المعركة وعاش مدة ثم مات بالإصابة لا يكون مثل الشهيد الذي مات في المعركة، لكن له مثل أجر الشهيد فضلا من الله جل وعلا، وأما شهادة الموت في سبيل الله فهي خاصة وسام هذا من الله جل وعلا، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

نسأل الله الشهادة في سبيله، وكان عمر ﵁ أمير المؤمنين يُلح على الله في حياته يقول: "اللهم شهادة في سبيلك في بلد رسولك ﷺ" فيقال له: يا أمير المؤمنين كيف تسأل الله الشهادة في بلد الرسول ﷺ وأنت أمير المؤمنين، يعني ما تسافر وتقود المعارك في الأوطان النائية في فارس والروم، فيقول: إن الله إذا أرادها أتى بها، فقُتل ﵁ وهو يصلي بالناس الفجر طعنه أبو لؤلؤة المجوسي الفارسي، لعنه الله، فقُتل شهيدا في سبيل الله وصدق في قول النبي ﷺ، لما كانوا على جبل أحد واهتز جبل أحد بأمر الله جل وعلا، فقال النبي ﷺ: **"أُثبت أُحد فإنما عليك نبي، وصديق". النبي هو النبي ﷺ، والصديق أبو بكر. "وشاهدان"** وهما عمر وعثمان، وكلاهما قُتل في المدينة، وهم من العشرة المبشرين بالجنة، فهذه الشهادة في سبيل الله تختلف، لكن الذي يموت فجأة له مثل أجر الشهيد، ولذلك إذا وقع الوباء في بلد والإنسان فيه فإنه يبقى في البلد لا يخرج، لأمرين:

الأول: الاحتساب عملا بأمر النبي ﷺ أنه لا يخرج، إذا سمع بالوباء في بلد لا يدخل وهو خارج، وإذا وقع في البلد وهو فيها فلا يخرج.

ومن الحكمة الثانية: أنه ما ينتشر الوباء في البلاد، لأنه إذا دخل بلدا ما فيها وباء نقل البلد إليها، ولا يورد ممرض على مصح، هذه الحكمة، فلا يتسبب في نقل الوباء ونشره، ويصير جرثومة بنشر الوباء وجلب الضرر للناس، وربما يجلبه لأحب الناس إليه وأخص الناس به من والد أو والدة أو زوجة أو ولد أو بنت أو غير ذلك أو أخ ينتبه الإنسان لهذا، ولا يخرج من البلد فرارا من الموت، لأن الموت آتي لابد وعلمه عند الله ربما تفر وأنت ما بقي لك إلا ساعتين أو أقل، ولذلك كان في الأمم السابقة قوم فيما قال أهل التفسير رحمهم الله وإيانا أصابهم الوباء حل في بلدهم الطاعون، فخرجوا من ديارهم وهم ألوف، المذكورون في سورة {البقرة}: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ﴾ [البقرة:٢٤٣]، في الطريق فماتوا كلهم عن آخرهم، فما نفعهم الخروج، هذه عظة وعبرة، وأن الحذر لا ينجي من القدر إلا بإذن الله جل وعلا، أما إذا كان الله قدر عليك الشيء فلا ينفع فيه الحذر، فاستسلم لقضاء الله وقدره، واحتسب المصيبة، وأنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك أو عليك من خير أو ضده، ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾ [التوبة:٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى:٣٠].

وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ ﴾ سابق ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ ﴾ يعني من قبل أن نحدثه ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٦ – ١٥٧] ثلاثة أجور عظيمة جدا ثناء الله تعالى عليهم في الملأ الأعلى، ويرحمهم الله تعالى فيحقق لهم المطلوب، ويغفر لهم الذنوب، ويكفيهم المرهوب، والشهادة من الله لهم بالهداية أنهم مهتدون.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "نعمة العدلان ونعمة العلاوة". العدلان ثناء من الله عز وجل الصلوات والرحمة، والعلاوة الهداية من الله إخبار الله عز وجل أنه هاديهم، فهذا يحتسبه الإنسان عند الله جل وعلا ذخر يجده موفرا أحوج ما يكون إليه، ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٨٩]، ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

فينبغي للإنسان أن يتنبه لهذا، ويصبر على المصيبة، ويعمل بمقتضى الشرع، ولا يعترض على الله تعالى في قدره وتدبيره لخلقه، وملكه، فما أنت إلا أقل من ضعف، ضعف الذرة، عُشر معشار الذرة، لا تساوي شيء، والله تعالى يدبر ملكها وخلقها بحكمة له الحكمة في ذلك، وهو الحكيم العليم الذي يضع الأمور في مواضعها اللائقة بها، والتي لا يصلح غيرها مكانها، فاستسلم لقضاء الله وحكمه، وارضى بتدبير الله وقسمه، وثق بوعد الله تعالى وثوابه، واعلم أنه لن ينجي حذرٌ من قدر.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «إنَّ الله - عز وجل - قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عبدي بِحَبيبتَيه فَصَبرَ عَوَّضتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ» يريد عينيه، رواه البخاري.

وعن عطَاء بن أبي رَباحٍ، قَالَ: قَالَ لي ابنُ عَباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ألاَ أُريكَ امْرَأةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هذِهِ المَرْأَةُ السَّوداءُ أتتِ النَّبيَّ - ﷺ - فَقَالَتْ: إنّي أُصْرَعُ، وإنِّي أتَكَشَّفُ، فادْعُ الله تَعَالَى لي. قَالَ: «إنْ شئْتِ صَبَرتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإنْ شئْتِ دَعَوتُ الله تَعَالَى أنْ يُعَافِيكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إنِّي أتَكَشَّفُ فَادعُ الله أَنْ لا أَتَكَشَّف، فَدَعَا لَهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن أبي عبد الرحمنِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كَأَنِّي أنْظُرُ إِلَى رسولِ الله - ﷺ - يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبياءِ، صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ، ضَرَبه قَوْمُهُ فَأدْمَوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومي، فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ». مُتَّفَقٌ عليهِ.

الشرح:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذه الأحاديث كسابقتها في بيان خصلة الصبر على الأقدار المؤلمة، وأن عوض ذلك الجنة ورضوان الله جل وعلا، مع ما يُنعم به الله على العبد في الحياة من تثبيت الإيمان، والتعويض عما يفوت من أمور الدنيا، واللطف بالقضاء، وأن الإنسان يعينه الله فيتكيف مع الحال الشديدة يتعامل معها ويتكيف معها بتوفيق من الله عز وجل، ففي الحديث الأول حديث قدسي النبي ﷺ يرويه عن ربه جل وعلا، وهو حديث صحيح، والحديث القدسي من كلام الله جل وعلا إذا صح من كلام الله عز وجل، لفظه ومعناه، لكنه لا يُتعبد بتلاوته كالقرآن وإنما يتعبد بفقهه، هكذا، أما أن يقال المعنى من الله والعبارة من النبي ﷺ، هذا مذهب الأشاعرة في الصفات ومذهب باطل، فالحديث القدسي من جنس القرآن لكنه غير متعبد بتلاوته، ويسمى: "قدسيًا": لأنه مضاف إلى الله جل وعلا، تكلم الله تعالى به حقيقة بالكيفية التي يعلمها هو سبحانه، ولا نعلمه، وبحرف وصوت، وله معنى.

فيقول الله تعالى: "**ما لعبدي المؤمن**" الذي هو منقاد لله في الإسلام والإيمان اختياران: يؤمن بقضاء الله وقدره، ويؤمن بحكمة الله فيما يجريه عليه وفي الخلق من التدبير، وأنه لحكمة، وأنه لا يدرى هل تكون النعمة منحة، أو محنة، وكذا البلية.

قـــد يُـــنعم الله بـــالبلوى وإن عظُمـــت ويبتلـــي الله بعـــض الخلـــق بـــالنعمِ

ولذا قيل: كم من منحةٍ في طيها محنة، وكم من محنة في طيها منحة.

بحسب استقبال العبد لقضاء الله وقدره، فيلطف الله عز وجل به، يقول الله تعالى: "ما لعبدي المؤمن إذا أخذت حبيبتيه" عينيه يعني فقد بصره "فصبر إلا عوضته منهما الجنة" وهذا جزاء عظيم، لو أن الإنسان يستمر طول عمره أعمى ويدخل الجنة فهذه غنيمة، وهذا وعد من الله والله تعالى لا يخلف وعده، مع أن الإنسان مطلوب منه أن يسأل الله العافية في جميع الأحوال.

ولذا من الذكر اليومي أوراد الصباح والمساء أن يقول العبد: "اللهم إني أصبحت" وفي المساء يقول: "أمسيت في نعمة منك وعافيك وستر، اللهم لك الحمد ولك الشكر، اللهم أتمم علي نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة".

وكذلك يقول عند النوم: "اللهم إني أسألك العافية".

ويقول إذا استيقظ من النوم: "الحمد لله الذي رد عليّ روحي، وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره" فيحمد الله على العافية عند النوم وعند اليقظة وعند الصباح وعند المساء، وإذا رأى المبتلى أيضًا يسأل الله للمبتلى العافية، ويحمد الله على أن عافاه مما ابتلى ذاك به، وهكذا.

ومن الدعاء المأثور اليومي في الصباح والمساء: "اللهم إني أسألك العفة واليقين في الدنيا والآخرة، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي" أن يخسف بي، أو يسقط في بيارة، أو بئر، أو غير ذلك، فيشكر الله العبد كل يوم على العافية شكرا مكررا، شكرا يخرج من سويداء القلب من خاصة القلب اعترافا لله تعالى بنعمته، وبفضله، واستدامة للنعمة والعافية، هكذا ينبغي للمسلم.

فإذا ابتلاه الله بعد ذلك يصبر لإيمانه أن الله أرحم به من نفسه التي بين جنبيه، ومن أمه وأبيه ومن زوجه وولده ومن أخيه وأخته، وهكذا، فالله لطيف بعباده وأرحم بعبده من كل أحد، فهذا معنى الحديث الأول: "ما لعبدي المؤمن إذا قبضت حبيبته أو أخذت حبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة".

الحديث الثاني يقول ابن عباس رضي الله عنهما لأحد السلف يقول: "ألا أُريت امرأة من أهل الجنة؟ فعجب هذا، وقال: هذه الجارية السوداء عبدة مملوكة سوداء. يعني وايش القصة؟ القصة أنها جاءت إلى النبي ﷺ مؤمنة به، فقالت لها يا رسول الله: إني أُصرع. يعني يأخذها المس يصيبها الجان بالصرع، وهذا أمر محقق لأن بعض الجن يصرع الإنس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يعني من قبورهم يوم القيامة﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ ﴾ [البقرة:٢٧٥]

فهذا إثبات صرع الأرواح الخبيثة والفاسقة للإنس، فهي أسباب قد يكون مقابل إساءة من إنس له،، وقد يكون تعدي وجناية، ومر النبي ﷺ على امرأة معها طفل صغير عمره ثلاث سنين يُصرع، فدعا له النبي ﷺ وعافاه الله، وكان النبي ﷺ في سفر، فنزلوا إلى جنب غدير ماء مجتمع من السيل، وكان الغدير كثيرا، فنزل أحد من الصحابة رضي الله عنهم يغتسل يتروش على ما يقولون، فأحد من الناس لفت نظره بياض بشرة هذا الرجل، فتكلم كلمة قال: ولا كجلد مخبئة. كجلد الجارية في سن الزواج ولا طلعت للأسواق للناس ولا كذا، فصُرع وهو في الماء، يعني أصابه صرع على هذه الكلمة، فهذه تسمى الإصابة بالعين، يسميها العوام ... (١٠:٢٦) فصُرع هذا الرجل، صار يخبط في الماء، فلما ذهب أحد الناس للنبي ﷺ، قال: أن فلان أصابه كذا وكذا، قال: هل سمعتم أحد تكلم بشيء؟ قال: نعم إن فلان قال كذا وكذا، فجاء به وأمره أن يدعو له وأن يرقيه، فعوفي، هذا دليل الصرع أنه يكون وأنه من الأمور المعتادة والجارية في الناس.

فهذه الجارية قالت: إنها تصرع، تقول: ادعو الله لي. يعني أن أعافى من الصرع، فخيرها النبي ﷺ يختبر إيمانها قال لها: إن شئت دعوت الله لك فعافاكِ، وإن شئت صبرتي فلكِ الجنة. تصبرين على البلية محتسبة وتتحملين، فقالت: أصبر يا رسول الله، لكني أتكشف، فأنا أصبر على الصرع، لكن ادعو الله لي أن لا أتكشف. لا يسبب المس أنها تتكشف وتظهر عورتها ومفاتنها، فدعا لها النبي ﷺ وصبرت، فصارت من أهل الجنة عينا شخصيا، شخصيا يعني، وأهل الإسلام وأهل السنة والجماعة يشهدون لكل مسلم، ومؤمن، وتقي، ومحسن، وغير ذلك من أوصاف عباد الله الصالحين بالجنة، فإن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلم، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. فيشهدون للعموم من غير تعيين، أما التعيين فلان من أهل الجنة فلا يُشهد له إلا بتعيينٍ من الله تعالى، أو من النبي ﷺ، والنبي ﷺ عين هذه الجارية

أنها من أهل الجنة بصبرها على الصرع، فصارت تُعرف أنها من أهل الجنة وتمشي على الأرض، وهذا خير كثر، ومن ذلك أن النبي ﷺ في مجلس مع أصحابه بعد العصر، فقال: يخرج عليكم من هذا الباب رجلٌ من أهل الجنة، من هو؟ هم ما يدرون لأنه ما بعد خرج، فخرج وإذا هو عبد الله بن سلام، اليهودي، رضي الله عنه، وأسلم، وهو من أول من أسلم، وإذا هو قد توضأ حسر عن ذراعيه كميه من أجل الوضوء، ويحمل نعليه بيده وإذا هو عبد الله بن سلام، شهادة من النبي ﷺ له بالتعيين أنه من أهل الجنة، في اليوم الثاني كانوا في نفس المجلس، فقال النبي ﷺ: "**يخرج عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة**"، فخرج وإذا هو هو بنفس الصفة، في اليوم الثالث قال النبي ﷺ في المجلس: "**يخرج عليكم رجل من أهل الجنة**"، يطلع عليكم رجل من أهل الجنة من هذا الباب، فخرج، وإذا هو هو بنفس الصفة ثلاثة أيام يشهد له النبي ﷺ بالجنة، فيُشهد لهذا الرجل بالجنة بشهادة النبي ﷺ له، بالتعيين يعني، ومن ذلك سعد بن معاذ رضي الله عنه، لما إنه كانوا في مجلس للصحابة مع النبي ﷺ، وأكلوا طعاما، وجيء لهم بمناديل، وإذا هي فيها رقة تستغرب في ذاك الوقت ناعمة يعني، فعجب الصحابة منها، فقال: "**والله لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أرق منها**"، فشهد له بالجنة.

ولذلك أئمة السُنة والجماعة ينصون يقولون: ولا نشهد لمعينٍ بجنةٍ ولا نار إلا من شهد له الله تعالى ورسوله ﷺ، هكذا.

هذا عبد الله بن سلام لما إنه صار اليوم الثالث والنبي ﷺ يشهد له بالجنة، فجاء واحد من شباب الأنصار وقال أنا أريد أن أبحث عن سر هذا ايش عمل هذا الرجل للصحابة وايش اللي يخصه، لابد أن في شيء خفي فأحاول أطلع عليه حتى أعمل مثله، فذهب إليه بعدما خرج من المكان وقال: يا عم، إن بيني وبين أبي شيء. يعني يوهم إنه شيء من الجفوة، إن أبي في نفسه علي شيء، مثلما يقولون العوام شرحه، وإني أحب أن أبيت عندك حتى يذهب ما في نفسي عليه، فرحب به، فبات عنده في بيته، وراقبه ايش العمل اللي سواه، فما رأى فرق بينه وبين أبيه وبقية الصحابة، ايش السر؟ ما يدري الليلة الأولى والثانية والثالثة بعد الثالثة قال: يا عم إنه ليس بيني وبين أبي شيء.

ولكني سمعت النبي ﷺ يقول فيك كذا، فأحببت أن أنظر إلى عملك فما رأيت كبير عمل مثل غيرك، فما هو الشيء اللي يعني ما رأيته أنا؟ قال: أما إذا قلت ذلك فإني لم أبت ليلة وفي قلبي غل على مسلم، قال: هذه التي لا نطيق. سبحان الله، يقول حتى لو أساء إلي مسلم فإني أعفو عنه وأتحمل ولا أبيت وفي قلبي غل عليه، ليش؟ لأن أعمال العباد تُعرض كل يوم اثنين ليلة الثلاثاء، والخميس ليلة الجمعة، فيُغفر لكل مسلمٍ ومسلمة لا يشركان بالله شيئا إلا اثنين بينهما شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، فتؤجل مغفرته، طيب إذا مت في تأجيل المغفرة المدة هذه مت بعد الاثنين وقبل الخميس أو الخميس وقبل الاثنين؟ فمعناه فوت (١٨:٠١) فإذًا خير لك إنك ما تبيت أي ليلة إلا وصدرك سليم، والله جعل من صفة الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار جعلنا الله وإياكم منهم: أنهم يدعون يقولون: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ عمومًا يعني للصحابة ومن بعدهم﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر:١٠] وهذا يدعو به المسلم كل يوم، يقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر:١٠] رجاء أن يكتبه الله معهم، لأن هؤلاء أصناف الجنة أهل الجنة المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من صفتهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾.

فيدعو المسلم بهذا يوميا، مثل الدعاء الآخر الذي ذكرته لكم في درس سابق إنك تقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأحقاف:١٥] قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ هذا وعد من الله، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ﴾ هذه الثانية في أصحاب الجنة في سجل أصحاب الجنة في عداد أصحاب الجنة ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف:١٦] من يفوت هذا وهو يعقل ويؤمن بالله واليوم الآخر؟ انتبه لهذا ترى هذه فرص، والإنسان ما يدري ما كُتب له من العمر، والآجال لا تأتي إلا فجأة، وأكثر ما تأتي في حال طول الآمال، وكثرة الانشغال والغفلة، فيكون الإنسان على عناية بهذا الأمر لأنه مهم هذا جدا سلامة الصدر، أقول: اللهم إني. وأنتم قولوا: آمين، كلكم أننا نشهدك، "وحملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا ﷺ عبدك ورسولك، وأن الجنة حق،

وأن النار حق، وأنك تبعث ما في القبور، وأني قد عفونا عمن ظلمنا من المسلمين، فسلم صدورنا من الغل يا رب العالمين ويا أرحم الراحمين، آمين قولوا آمين.

فهكذا ينبغي يعني ويهتم الإنسان بهذه الأمور، لأنها معاني دقيقة وجليلة ولطيفة وكبيرة وغنائمها جسيمة وعظيمة وكريمة، فالإنسان ما خسر من شيء ما يروح من الدنيا يعوضك الله بداله، هكذا، ولا راح إلا بقدر، وقد تكون أنت السبب في أن الله تعالى أراد أن يعاملك بما يكفر خطيئتك، لأن بعض الذي يفوت كفارة ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠ ﴾ [الشورى:٣٠] ومن أصاب شيئا من هذه القاذورات والذنوب فعوقب به في الدنيا فهو كفارة وطهور، ومن ستره الله يعني حتى مات فذلك إلى الله إن شاء الله غفر له وإن شاء عاقبه، وإن تاب قبل أن يموت تاب الله عليه، هكذا، فسلامة الصدر نحو المؤمنين المسلمين هذه من الغنائم، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥ ﴾ [فصلت:٣٥].

جعلنا الله وإياكم من أهل الحظوظ العظيمة، والدنيا ما تسوى شيء، يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا أنعمهم من الكفار، فيصبغ صبغة من النار، بس لفحة تمر عليه يقال يا فلان: هل مر بك نعيم قط؟ هل رأيت خيرا قط؟ فيقول: لا والله، ويؤتى بأشد الناس بؤسا من أهل الجنة من أهل الإيمان في الدنيا فقر، وحاله، ومرض، وكذا، وكذا، وكذا، فيصبغ صبغة من الجنة يمرر على الجنة لمحة، ثم يقال: يا فلان هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك بؤسا قط؟ فيقول: لا والله يا ربي، فلمحة ونفحة من نعيم الجنة تنسي بؤس الدنيا كاملا، ولفحة من النار والعياذ بالله تنسي نعيم الدنيا كاملا، أجارنا الله وإياكم من النار، وجعلنا الله وإياكم من أهل الجنة دار الأخيار.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعن أبي عبد الرحمانِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رسولِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبياءِ، صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ، ضَرَبه قَوْمُهُ فَأدْمَوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومي، فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ». مُتَّفَقٌ عليَهِ.

وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَا يُصيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حَزَنٍ، وَلاَ أذىً، وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا إلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَاياهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن ابنِ مسعودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: دخلتُ عَلَى النَّبيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو يُوعَكُ، فقلت: يَا رسُولَ الله، إنَّكَ تُوْعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: «أجَلْ، إنِّي أوعَكُ كمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُمْ» قلْتُ: ذلِكَ أن لَكَ أجْرينِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، ذلِكَ كَذلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فوقَهَا إلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذه الأحاديث كسابقتها في فضيلة الصبر والحكمة من ابتلاء الله عز وجل لمن يشاء من عباده، فالحكمة من الابتلاء: أن الله عز وجل يختبر به العبد واقعًا في صلابة دينه، ولذلك جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"أعظم الناس بلاءً الأنبياء"** عليهم الصلاة والسلام **"ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى المرء على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد أو شُدد في بلائه"** .

فهذا يتبين به شأن عباد الله في الصبر كما قال تعالى عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص:٤٤] يعني في الواقع وجدناه صابرا، فهذا من حكمة الابتلاء، ومن حكمة الابتلاء: أن الله تعالى يكفر به الخطايا، فلا يزال البلاء في المؤمن في نفسه، في بدنه، في أهله، في ماله، في ولده، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة تُكفر الخطايا كلها.

ومن حكمة الابتلاء: أن الله تعالى يعظم به الأجر، فيُنِيرِ العبد الدرجة العالية في الجنة ما ينالها بعملٍ غير الصبر، فهذه من حكم الابتلاء. ومن ذلك: أن الناس لا يركنون إلى الدنيا يعلمون أن الدنيا دار بلاء ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:٢] ليبلوكم من يُنعم عليه فيشكر، ويتميز عمن ينعم الله عليه فيبطر ويفسق، وعن من يبتليه الله تعالى فيصبر ويحتسب، وعمن يبتليه الله تعالى فيسخط، ويشكر الله تعالى على الخلق ويسيئ الظن بالله جل وعلا، فهذه من حكم الابتلاء، وكون الإنسان ما يصاب بشيء في صحته ولا في ماله ولا في كذا يخاف منه، لأن الله تعالى إذا أراد بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوفى به يوم القيامة، أو يوافي به يوم القيامة.

فقال رجل للنبي ﷺ: إذا فتح الله عليك بلدة كذا، فعليك بابنة فلان تُزوج بها، فإنها لم تُصب بصداعٍ قط. فكره النبي ﷺ مقالته وقال: "**لا حاجة لي فيها**".

وأخبر ﷺ أن المؤمن كخامة الزرع أعواد الزرع تميلها الريح هاهنا وهاهنا، المهم أنه يميله البلاء هاهنا وهاهنا، وأن الكافر كالأرزة يكون الجعاف مرة واحدة قوية وثابتة لكنه في آخر شيء تسقط مرة واحدة، فهذا من حكمة الابتلاء، وتمييز الناس في الحياة الدنيا في الواقع قبل يوم القيامة، حتى قال النبي ﷺ: "**تكادون تعرفون أهل الجنة من أهل النار فيكم**" يعني في الدنيا. كذلك ما مر في الحديث هذا أن النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء يعني يذكره من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام المتقدمين، أن قومه آذوه وضربوه وشجوا رأسه ووجهه، وأنه مع ذلك قابلهم بالحلم والدعاء لهم بالهداية والمغفرة، فيمسح الدم عن وجهه ويقول: "**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**".

قيل إن هذا إن هؤلاء القوم ما عرفوا نبيهم حقيقة المعرفة، ما اختبروه وعرفوه فهم جهال، ولذلك دعا لهم بالمغفرة والمغفرة نتيجة الهدى، يعني اهدهم حتى يتوبوا وتغفر لهم، والنبي ﷺ عرض له مثل هذا آذاه قومه في مكة أذىً شديدًا وآذوا أصحابه، ومن ذلك أنهم وضعوا سلأ الجذور موضع الولد على ظهر النبي ﷺ وهو ساج في الحرم، ومن ذلك أن أبا جهل توعد النبي ﷺ إن رآه يسجد عند الكعبة أنه يطأ عنقه، وتحرى ذلك، ولما رآه أقبل عليه ليطأ عنقه تكأكأ ورجع، قالوا: ما لك؟ قريش تقول له؟ قال: إني أرى فحل من الإبل عرض بيني وبين النبي ﷺ، فخاف.

وفي الحديث الآخر: "**رأيت سرادق نار**" يعني شيء محفور في الأرض وملآن بالنار، وكذلك في غزوة بدر كان رأس أهل الكفر أبو جهل، ولذلك أهلكه الله هو نظرائه من شياطين قريش وكفار قريش سبعين الذين قتلوا، لأنهم ثبتت لديهم نبوة النبي ﷺ، وعرفوا صدقه وأمانته ونصحه، لكن عارضوه حسدًا وغمطا له واعتراضا على إن الله تعالى أعطاه النبوة، فهم يعلمون كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤].

وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] يقولون: مجنون، كاهن، ساحر.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان:٥].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٨ - ٩٩] لا تلتفت لهم امضي في سبيلك، فهكذا.

والحديث الثاني: أنه لا يزال البلاء بالمؤمن في نفسه، وماله، وأهله، وولده، حتى يلقى الله ما عليه خطيئة، فالإنسان مع البلاء تُكفر خطاياه، فإن احتسب يعني صبر محتسبا عظم الله أجره، ورفع درجته، وإلا فلا يصيب المسلم هم ولا غم لدين أو لمشكلة أو لفقد حبيب أو تلف مال، أو غير ذلك، إلا كفر الله به من خطاياه، حتى الشوكة تصيب رجله يؤجر على ذلك، فهذه من نعم الله على العباد. وقد قيل لأحد الصالحين: إن يدك فيها حرارة مع الماء فيه سخونة وكذا، قال: ولله الحمد هذه سخونة معتادة تأتيني كل شهر، فإذا فقدتها ضاق صدري، لأني أريد أن تُكفر خطاياي، وأخاف أن أُوكل إلى نفسي. فلذلك ينبغي للإنسان أنه يحتسب كل ما يصيبه من هم، من غم، من حزن، من مرض، من ذهاب مال، من تسلط مال، من كذا وكذا يحتسبه عند الله عز وجل ذخرًا، يجده أحوج ما يكون إليه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

ولابد له من الصبر، لأن هذه الدنيا سُنة الله في الدنيا، لكن إن صبر أُجر وحُطت خطاياه ونال الدرجة العالية في الجنة، وإن لم يصبر نسي وسلى سلو البهائم، لابد، فالدنيا تمضي على الإنسان بشدتها ورخائها، لكن المؤمن له حسبة وله نظر، وينظر في معاني الآخرة وموازين الآخرة، وفي حكمة الله جل

وعلا من البلاء، وأن الله تعالى يبتليه يريد أن يذكره، حتى يقول بعض السلف: "إني أعرف معصيتي لربي بخُلق زوجتي ودابتي، فإذا تغيرت علي المرأة وصارت ما تنقاد لي عرفت أني عصيت ربي"، وهكذا.

الدابة إذا نكرت واستصعبت عرفت إني عاصٍ، ليش؟ لأنه يحاسب نفسه يوميا، وأما الإنسان الذي لا يحاسب نفسه وينظر إلى السلبيات فقط ولا يذكر النعم والإيجابيات هذا مسكين، غافل، والله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف:٢٠٥]، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

وهذا ينسى إنعام الله عليه، ولا يشكر النعمة، يُعدد المصائب وينسى النعم، فيكون كافرًا عند المصائب شاكيًا لله عز وجل مسيئًا الظن به، ويكون جاحدًا للنعم، وهذا خطير جدًا لأن هذه صفة الكفار، صفة أهل النار لأنهم لا يذكرون الله تعالى ولا يشكرونه، وهم إذا مسهم الضر لجئوا إليه، كيف تعرف الله عز وجل عند الشدة ولا تعرفه عند الرخاء؟ المهم: المؤمن يعرف الله عز وجل في الرخاء ويعرفه في الشدة، ويُقدم ذخرًا في الرخاء يجعله خبيئة له عند الله تعالى حتى يُفرج عنه الشدائد، ويلطف به في القضاء والبلايا، وحتى إن الله يستجيب له الدعاء عند الحاجة، فليس معنى ذلك أن الإنسان لا يفكر في حلول المشاكل، وأنه لا يدعو الله ويسأله العافية، وأنه أيضا لا يتعاطى أسباب العلاج، لا، يفعل هذه كلها، فيدعو الله عز وجل بسؤال العافية، ويدعو الله برفع البلية والمرض، ويتعاطى علاج ودواء الأمراض من أهل الخبرة والاختصاص والطب، ويصبر لله على بلائه، ويرضى بمر قضائه، ويحمد الله تعالى على نعمائه، ويُحسن الظن بالله عز وجل وأن له الذخر الكريم عند الله يوم لقائه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ». رواه البخاري.

وعن أنس - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رسولُ الله - ﷺ: «لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوتَ لضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيرًا لِي، وَتَوفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيرًا لي». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن أبي عبد الله خَبَّاب بنِ الأَرتِّ - رضي الله عنه - قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رسولِ الله - ﷺ - وَهُوَ متَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظلِّ الكَعْبَةِ، فقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ في الأرضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأسِهِ فَيُجْعَلُ نصفَينِ، وَيُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِه وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ الله هَذَا الأَمْر حَتَّى يَسيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَموتَ لاَ يَخَافُ إلاَّ اللهَ والذِّئب عَلَى غَنَمِهِ، ولكنكم تَسْتَعجِلُونَ». رواه البخاري.

وفي رواية: «وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينا مِنَ المُشْرِكِينَ شدَّةً».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فإن الدنيا دار بلاء، ومن حكمة ذلك أن الناس لا يركنون إليها بل يشتغلون بأمر الأخرى، فإنه لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها، فإن بناها بخير طاب مسكنها، وإن بناها بشر خاب بانيها .

فلا يركن إلى الدنيا، حتى لا يغتر بطول أمله وينسى حق الله تعالى عليه، ويبغي على الناس بالجنايات والإيذاء، لا، ويعلم أنه مبتلى، وأن من البلايا عقوبات المعاصي، فإن العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه، وما اختلج عرق إلا بذنب في جسم الإنسان، وما سكن إلا بتوبة، أو عفو من الله جل وعلا، ولذلك يقول النبي ﷺ: "**لا يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وماله وولده وأهله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**" ويكفر الله تعالى عنه بذلك من خطاياه حتى تنتهي الخطايا .

وفي الحديث الآخر: أنه يبلغ الدرجة العالية في الجنة ما يبلغها إلا بالصبر. يعني على البلاء، وفي ذلك أيضًا عبرة لأن الإنسان قد يبتلى حتى في دينه كما ابتلي الرسل عليهم الصلاة والسلام، والنبيون، فيمن يكذبهم ويؤذيهم ويقتلهم، فيوطن الإنسان نفسه على هذه الأمور مع سؤال الله العافية، والتقيد بأذكار

الصباح والمساء والنوم واليقظة، وأذكار المناسبات، "**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف**" يعني جرى هذا في علم الله سابقًا، وكُتب في الصحف، ولن يصيبك إلا ما كتب الله لك، ولن ينصرف عنك إلا ما صرفه الله عنك، وجعل الله عز وجل الدعاء من أعظم صوارف البلاء فإن الدعاء والبلاء يعتلجان يتصارعان بين السماء والأرض حتى يغلب الدعاء البلاء. ومن دعاء النبي ﷺ من أذكار الصباح والمساء أنه يقول: "**أمسينا وأمسى الملك لله رب العالمين، اللهم اجعلني من أوفر عبادك نصيبا في خير تقسمه هذه الليلة من نور تهدي به**" يعني علم "**ورحمة تبسطها**" أي تنشرها "ورزقًا تبسطه، وضر تكشفه، وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها" يقول هذا إذا أصبح وإذا أمسى يعتصم بالله، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران:١٠١].

والدعاء مستجاب، فإن العبد إذا أُلهم الدعاء فإن الإجابة معه. يقول عمر رضي الله عنه: "والله إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإني إن أُلهمت الدعاء علمت أن الإجابة معه". وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فلم يجعل بين قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ و ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ حرفًا واحدًا فاصلا، مما يدل ويؤكد على أن الإجابة مقرونة بالدعاء، هكذا ينبغي للمسلم .

والصحابة رضي الله عنهم ابتلوا في الإسلام لأنهم أسلموا في وقت غربة، وهاجروا وجاهدا في وقت الشدة، وآذاهم المشركون، وهاجروا مرتين للحبشة، وأوذوا بكل نوع الإيذاء، فقالوا للنبي ﷺ وهو مضطجع تحت الكعبة قبل الهجرة: ألا ترى ما نحن فيه، ألا تدعو لنا، ألا تستنصر لنا؟ فقال النبي ﷺ: "**اصبروا لقد كان من كان قبلكم**" يعني يبتلى ويُعذب على الإسلام عذابًا شديدا، "**حتى إنه تحفر له الحفرة في الأرض وتدفن رجليه فيها حتى لا يتحرك، ويجعل المنشار على مفرق رأسه ويقسم نصفين، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويؤخذ بأمشاط الحديد ما دون عظمه من اللحم يسلت، ولا يصرفه ذلك عن دينه**".

ثم بشرهم بالنصر وأنه قريب، قال: "**حتى يسير الراكب من بصرى إلى صنعاء ما يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه، والله ليتمن الله هذا الأمر، ولكنكم تستعجلون**".

والشاهد من ذلك: أن الصبر من عُدة المسلم على أمر الدين والدنيا والآخرة من العدة النافعة المباركة، وأن من صبر ظفر حصل المطلوب ونجى من المرهوب ورفع الله درجته وأعظم أجره، حتى أنه يأتيه أجره بغير حساب ما يعده عذاب، ويعطيه عطاءً يليق بكرمه هو سبحانه وتعالى، فيستعمل الإنسان الصبر، ويعد العدة، ويهيأ نفسه لذلك مع الدعاء وتحري أسباب تخفيف المصائب والبلايا، والثقة بالله تعالى وبوعده وبحسن الظن به وعظم الرجاء له، ويبشر، فإن الله تعالى لا يخلف الميعاد ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم:٦] .

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وعن ابن مسعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: لَمَّا كَانَ يَومُ حُنَينٍ آثَرَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - نَاسًا في القِسْمَةِ، فَأعْطَى الأقْرَعَ بْنَ حَابسٍ مئَةً مِنَ الإبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَة بْنَ حصن مِثْلَ ذلِكَ، وَأَعطَى نَاسًا مِنْ أشْرافِ العَرَبِ وآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ في القسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: واللهِ إنَّ هذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُريدَ فيهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لأُخْبِرَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فَأَتَيْتُهُ فَأخْبَرتُهُ بمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كالصِّرْفِ. ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لم يَعْدِلِ اللهُ وَرسولُهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بأكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصبر». فَقُلْتُ: لاَ جَرَمَ لاَ أرْفَعُ إلَيْه بَعدَهَا حَدِيثًا . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: ففي هذا الحديث بيان شأن الصبر، وأنه مما أمر الله تعالى فيه كتابه، ورغب به بكثرة عطائه وثوابه، وأنه من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح الله تعالى عليه مكة شرفها الله عام ثمانٍ من الهجرة، وفرغ من ذلك غزا أهل الطائف الغزوة المشهورة غزوة حُنين، ونصره الله تعالى عليهم، وغنم مغانم كثيرة من الإبل والنعم، ومن الذهب والفضة، ومن السبي المال والذرية والنساء، وكان مما جرى أن مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية، شفعت لأهل الطائف عند النبي صلى الله عليه وسلم، فخيرهم النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين: إما أن يأخذوا النساء والذرية، ويتركوا النعم من المال والبهائم، إما هذا أو هذا، فاختاروا أهلهم وذريتهم، لأن حليمة السعدية رضي الله عنها مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم في صباه، فقسم النبي صلى الله عليه وسلم المال والبهائم بين المجاهدين الذين جاهدوا معه في هذه الغزوة، وكان فيهم ناس من شيوخ القبائل والعشائر حديث عهدهم بالإسلام.

فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم خصهم بمزيد من القسمة حتى أعطى بعضهم مئة من الإبل، وأعطى الثاني غنمًا بين جبلين، وأعطى من الأموال وكثر، يتألفهم على الإسلام لتثبيتهم على الإسلام، ولأجل أن يُسلم من وراءهم، وإلا هم جفاة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن مصلحة الإسلام في هذا الشيء أن يتألفهم حتى يدخل من وراءهم في الإسلام حتى يُتقى شر من به شر على أهل الإسلام لمصالح عظيمة راجحة، فجاء رجل في الصحابة ما نقول من الصحابة من أهل الدنيا.

فقال: يا محمد. يعني النبي ﷺ، والعبارة قاسية ما تأدب بأدب الله ورسوله يقول يا نبي الله، يا رسول الله، فقال: يا محمد اعدل فإنك لم تعدل. نسأل الله ا لعافية، يعترض على النبي ﷺ في قسمته، والنبي ﷺ يقسم بأمر الله ووحيه، ولا يخاف أن ينزل بشأنه وحي.

وفي رواية قال: "إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله". وهذه أشد من الأولى، لأنه اتهم النبي ﷺ في قصده، والنبي ﷺ معصوم من الظلم والجور وكبائر الذنوب والخطأ في التبليغ، فهذه كلمة مؤذية جدا يعني جارحة، فتغير وجه النبي ﷺ حتى صار كالصبغ الأحمر من شدة ما وقع وما سمع على نفسه، لأنه طعن في النبوة، طعن في السنة، وهذا القائل هو أصل الخوارج. قال النبي ﷺ لما أنه أدبر قال: "**يخرج من ضئضئ هذا**" يعني على مثله وشاكلته. "**أقوامٌ تحقرون صلاتهم**" يعني الصحابة خواص الصحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، والعباس، وغيرهم. "**تحقرون صلاتكم عند صلاتهم**" والمعنى: هو عبادتكم عند عبادتهم من شدة تكلفهم، "**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**" يقرؤونه قراءة لكن لا يفقهونه ويتدبرونه ولا يريدون أن يفقهوا ويتدبروا، وهذا يذكر بأصل الدواعش والقاعدة وغيرهم الذين زينوا لأتباعهم قتل آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم، استحلوا الحرمات حتى قطيعة الرحم، وهم يقرؤون القرآن، منهم جملة يقرؤون القرآن حافظين للقرآن بعضهم. قال: "**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**" يعني فقط ما لهم حظ منه إلا التلاوة فقط.

وفي رواية: "**يتأولونه على غير تأويله**" يفسرونه بغير المراد به في آرائهم وعقولهم وأهوائهم. "**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**" يشذون عن الدين وعن أهل الدين.

وفي رواية: "**ثم لا يرجعون إليه أبدا**".

وهذا دليل على كفر الخوارج، دليل صحيح أنهم يخرجون من الدين ولا يرجعون إليه، ولو تسموا به، فالنبي ﷺ لما سمع هذه المقالة تغير وجهه وتأثر، قال: "**ويحك من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله**" إذا لم يعدل الله تعالى ورسوله ﷺ من يعدل؟ وما ترجو؟ وما ظنك بالإسلام وأهل الإسلام؟ استنكر عليه بشدة، وقال هذه المقالة: "**يخرج من ضئضئ هذا** " على نحوه وشاكلته أقوام يكون يعلمون كذا وكذا لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال، في كل زمان ومكان يخرجون.

فاغتاظ عمر ﷺ، وقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: دعه لا يتحدث الناس أن محمدا ﷺ يقتل أصحابه. لأنه محسوب أنه من أصحاب النبي ﷺ، وهو ما هو منهم فيهم في فرق بين هذا وهذا، وخرجت الخوارج بعد هذا على عثمان ﷺ وقتلوه، وخرجوا على علي وقتلوه، وقتلوا خواص أصحاب النبي ﷺ المبشرين بالجنة: علي، والزبير، وغيرهم، وعمار بن ياسر، فهذا يدل على خطورة الطعن في السنة، وأن من طعن في السنة الصحيحة فهذا رأى بعينه القسمة قسمة النبي ﷺ حضرها ورآها، وطعن فيها، وقال: "قسمة ما أريد بها وجه الله".

يعني شكك في نية النبي ﷺ، ومحاباته في القسمة، اتهمه بسوء النية وبالمحاباة والظلم، فمن أُبتلي بالطعن في السنة رد السنة الصحيحة بأي وجه تأويل مستخفًا بها، متهمًا للنبي ﷺ وخاصة أصحابه فمآله إلى الزندقة والإلحاد والخروج من رفقة الدين، والتسلط على المسلمين، وتشويه الإسلام ليصرف عنه من لم يدخل فيه، فهذه بلية وفتنة وشر، ولهذا ما أسيئ إلى الإسلام إساءة مثل هذا الزمن، أنهم صوروا الخوارج صوروا الإسلام بأنه دين القتل، دين التفجير، دين التكفير، ودين قطيعة الرحم، ودين الخروج على الولاة، ودين الاعتراض والقدح في أهل العلم سند الشريعة، وأنه ما فيه عقل ما في أهل عقل ولا روية ولا إدراك للمصالح ولا مبالاة بالمفاسد، ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة:٢٠٥].

وهذا أعظم الفساد، فصُد عن الإسلام في هذا الزمن بتصرف هؤلاء الخوارج المارقة الظلمة الفجرة الموالية للمجوس واليهود، عُرفوا بالولاء للمجوس واليهود، ولهذا يفرون من أوطانهم إلى ديار المجوس، ويفرون من أوطانهم إلى ديار اليهود، وكفالة اليهود، ومن على شاكلة اليهود وأذناب اليهود، فيُعلم هذا شر، وهذا برهم لآبائهم قتلوا الأمهات والآباء والإخوان والأعمام، وفجروا المصالح، ومنافع المسلمين، وكفروا عامة المسلمين، واستحلوا دماءهم وحرماتهم، ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة:٣٠].

فلذلك النبي ﷺ أنكر عليهم هذه المقالة، وقال: "**ويحك**" هلكت يعني أنت هلكت إن لم يعدل الله ورسوله. قال: "**من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله**" وما منعهم من قتله إلا السمعة السيئة أنه يُشاع أن محمدا يقتل أصحابه، وقال: "**يرحم الله أخي موسى عليه السلام، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**".

وهكذا الرسل من قبل موسى ومن بعدهم -عليهم الصلاة والسلام- أُبتلوا وأُوذوا في الله حتى منهم من قُتل، قُتل زكريا، قُتل يحيى، وأصحاب الرس رس نبيهم ودفنوه في البئر، وتطاولوا على صالح، وتآمر تسعة رهط يبيتونه وأهله، ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النمل:٥٠]، قال: ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ ﴾مدائن صالح ﴿ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النمل: ٥١ - ٥٣].

فأوذي رُسل الله عليهم الصلاة والسلام، ويؤذى العلماء من بعدهم، والعلماء الربانيون لبيانهم الحق، وجهادهم في إظهاره وإشهاره، ومعارضتهم للباطل، وهكذا الحكام الصالحون الذين هم على نهج العلماء، العلماء يبينون الأحكام والحكام الصالحون ينفذون، وينصرون الحق وأهله، وهكذا، فمن كان على منهاج المرسلين والنبيين عليهم الصلاة والسلام لابد أن يتعرض للأذى في مختلف الزمان والمكان، ولذلك قال تعالى لنبيه ﷺ وهو أشرف المرسلين نبيا بعدما ذكر جملة من النبيين وما تعرضوا له من الإيذاء والمرسلين: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠] اتبعهم، ومن ذلك اتبعهم على صبرهم على الأذى وعلى المؤذين، وتحملهم للأذى على شدته، وهكذا أتباعهم بإحسان نفس الشيء كما جاء في الحديث السابق: أنه يؤتى بالرجل ويُجعل في الحفرة، ويُجعل منشار على مفرق رأسه ويشق شقتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويؤخذ بأمشاط الحديد ما دون عظمه من اللحم ما يصرفه ذلك عن دينه، ولا إيمان إلا بصبر، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، والله تعالى أعطى الصابرين بلا حدود قال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠] ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٧] وقال: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥].

وأعد الله جنته ورضاه ورحمته للصابرين، لكن هذا حديث عجيب يعني وفيه عظة وعبرة للناس على مر الزمان والمكان، وإذا أوذي الرسول ﷺ في حياته وأمامه، وطُعن في نيته، وطُعن في قسمته، وأُتهم الله عز وجل أيضا من فوق النبي ﷺ أنه ما عدل، فمن يعدل ومن يقوم بالحق ومن ينصر الحق أجل، لكن هؤلاء الخوارج عمي البصائر عمي البصائر بصائرهم مظلمة، وهم أصحاب أهواء وضلال، وميل

عن الحق قصدا، لأنه يميل عن الحق الثابت، وهذا نوع من الإلحاد، وأول ما دخلوا به الذي هو الاعتراض على السُنة.

فمن اعترض على سُنة النبي ﷺ الصحيحة فإنه يخشى عليه سوء الخاتمة، سواء اعترض على السنة في أمرٍ يسير أو كبير، كله واحد، وأنه يموت على غير الهدى، وبهذا ضلت الرافضة المجوسية، وبهذا ضلت الجهمية، وبهذا ضلت القدرية، اتهموا الله عز وجل في قدره، واتهموا الله بأنه لا يعلم الأشياء تعالى وتقدس، وأنه لم يكتب المقادير، وأن المقادير فيها جور، إلى غير ذلك، والأصل هو الاعتراض على السُنة إمارة ذلك الاعتراض على السنة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وعن أنسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِذَا أَرَادَ الله بعبدِهِ الخَيرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ في الدُّنْيا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبدِهِ الشَّرَّ أمْسَكَ عَنْهُ بذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يومَ القِيَامَةِ».

وَقالَ النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». رواه الترمذي.

وعن أنسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ ابنٌ لأبي طَلْحَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَشتَكِي، فَخَرَجَ أبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أمُّ سُلَيم وَهِيَ أمُّ الصَّبيِّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إليه العَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ منْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ، قَالَتْ: وَارُوا الصَّبيَّ فَلَمَّا أَصْبحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فَأخْبَرَهُ، فَقَالَ: «أعَرَّسْتُمُ اللَّيلَةَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا»، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقَالَ لي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمَراتٍ، فَقَالَ: «أَمَعَهُ شَيءٌ؟» قَالَ: نَعَمْ، تَمَراتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا في فِيِّ الصَّبيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبدَ الله. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فسبق الكلام عن الحديثين الأولين في باب الصبر، وأن الله عز وجل يبتلي العبد لحكمٍ منها أن يحط خطاياه ويُعظم أجره ويُرفع درجاته للعبد الصالح حتى يلقى الله عز وجل وما عليه خطيئة، فيصيبه بوفاة غالٍ عليه، ويصيبه في مرضٍ في جسده، ويصيبه في تلفٍ في ماله، ويصيبه في غير ذلك في النفس، والأهل، والمال، والولد، كما حصل لأيوب عليه السلام، وأنى ذلك للمؤمن من علامات محبة الله جل وعلا، وأنه للكافر علامة على أن الله عز وجل أراد أن يظهره على حقيقته، وأنه فيه كفر ونفاق ليُميز الله بين الناس في الدنيا قبل الآخرة، وقد يُمسك الله عز وجل عن الكافر، أو الفاجر مع ذنوبه حتى يوافيه بها كاملة يوم القيامة ويجزى عليها العقوبة الكاملة، ولذلك الإنسان لو جاءته الدنيا على ما يريد من كلجها ولم يتعرض لشيء من المصائب ينبغي أن يكون عنده إحساس وخوف من الله جل وعلا، ويخشى أن يمسك عنه بذنبه .

وقال بعض أهل العلم: إذا رأيت الله يتابع على العبد من الدنيا والنِعم، وعلى معصيته فاعلم أنه استدراج. قال: من لم يرَ ذلك استدراجا فلا رأي له. لأن النبي ﷺ قال: "**من يرد الله به خيرا يصب منه**".

والحديث الثالث حديث أم سليم المرأة العاقلة رضي الله عنها الفقيهة الصالحة، وهي من محارم النبي ﷺ بينها وبينه رضاعة أم سليم أم أنس بن مالك، رضي الله عنها، وكانت مع والد أنس بن مالك رضي الله عنه وتوفي والده في الجاهلية ما أسلم، فتزوجها أبو طلحة رضي الله عنه من الصحابة من خيار الصحابة، وكرام الصحابة، فولدت له ولد أصغر من أنس، أنس حينما هاجر النبي ﷺ كان عمره في العاشرة، وقدمته أمه أم سليم رضي الله عنها للنبي ﷺ يخدمه، واستخدمه النبي ﷺ عشر سنين، وكان عاقلا ذكيا مؤدبا لطيفا حتى قال: "إني ما فعلت شيء وقال لي النبي ﷺ: لما فعلته، ولا تركت شيئا وقال: لم تركته".

ودعا له النبي ﷺ أن يُكثر الله له ماله، وولده، ويبارك له فيما أعطاه، فعُمر أنس رضي الله عنه حتى بلغ المائة أو قاربها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة رضي الله عنهم، ودفن من ولده من عقبه من ذريته ما يزيد عن السبعين، وبقي له خير كثير من الذرية حتى كان له مسجد في حديقته في مزرعته يصلي فيه هو وأهله، وكان عنده ثمر نخل يثمر في السنة مرتين ببركة دعاء النبي ﷺ، ونفع الله به الإسلام وأهله، فطال عمره ونقل حديثا عن النبي ﷺ كثيرا، وعلم سنن كثيرة، وقام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أنه لما كانت مزرعته بعيدة عن البصرة شيء، وحصل (٠٧:٣٦) بصلاة العيد وفاتته رجع إلى بيته وأقام صلاة العيد في البيت بمن فيه، وقدم بعض ولده يصلي العيد لأنه من طلاب العلم وأهله ومن حفاظ السنن وهم كثير، فهذا أنس يحدث عن أمه أم سليم، وعن عقلها، ودينها، وصبرها، وأنها جاءت لأبي طلحة بالولد هذا الذي بعده وسمي: أبو عمير، وكان له طير يلعب به، وكان النبي ﷺ إذا دخل عندهم يقول: يا أبا عمير ما فعل النغير. فمات الطير فحزن عليه، فكان النبي ﷺ يداعبه.

ومرض هذا الولد يعني وهو في سن الابتدائي أو أصغر، وأخذ أياما في المرض، وكان أبوه أبو طلحة كل ما جاء من شغله سأل أم سليم عن الولد؟ تقول : أنه بخير، وأنه كذا، وكذا، فجاء مرة وهي آخر مرة في حياة الولد وقد مات الولد وهو لا يعلم في نفس اليوم، فقال لها: ما فعل الولد؟ فقالت: هو أسكن ما كان. تعني أنه ما يتحرك، ميت، هو فهم إنه مطمئن، وأن صحته أحسن من أول.

وقد صنعت له عشاء وأحسنت، وتجملت له وأحسنت مع موت الصبي، ومكنته من نفسها تسليةً له على المصيبة، يعني هي مؤمنة بقضاء الله وقدره، وراضية بما أجرى الله جل وعلا، ومحتسبة من الولد أن يكون من عصافير الجنة، ومن الشفعاء، والمرأة الرقوب عند العرب في الجاهلية هي التي لا يولد لها ترتقب الولد، وفسرها النبي ﷺ في الإسلام بأنها التي لم تقدم شيئا من الولد ما مات لها ولد في حياتها، فهي رقوب تنتظر شفاعة الولد وما حصل لها، كل أولادها أحياء، فأبو طلحة لما إنه اطمئن على كلامها وهو تورية يعني له معنىً تريده هي، ومعنى يفهمه هو، فهو فهم أن الولد طيب وأنه أحسن من قبل، لأنه ساكن ما في حمى ما فيه كذا وكذا، وهي تعني إنه ميت ما يتحرك أسكن ما كان، فتعشى بطمأنينة واستأنس في بيته، وعرس بأهله، ونام، أو أراد النوم، فقالت له: يا أبا طلحة؟ قال: نعم، قالت: أرأيت لو أن قومًا أعاروا عارية إلى أهل بيت، ثم استردوها، أيعترض صاحب البيت؟ قال: لا، عارية، قالت: فاحتسب ولدك فإنه عارية من الله عندك، وقد استرده الله جل وعلا، هذا تعليمهم إياه، وقالت: واروا الصبي.

يعني غسلوه وكفنوه فتغسله هي وتكفنه، واذهبوا به إلى النبي ﷺ يصلي عليه وادفنوه، فقالت: تركتني حتى كذا، كسلت وشبعت وتلطخت، ثم أخبرت وجد فيه خاطرة عليه -(١٢:١٣) وكان في الليل ما أشعروا النبي ﷺ به حتى يزعجوه صلوا عليهم جماعة ودفنوه، ولما أصبح أبو طلحة أخبر النبي ﷺ بما جرى أن الولد قد مات، وأن هذا فعل أم سُليم معه، وأنها صارت أجبر منه وأثبت منه وأنها واسته وخففت عليه المصاب، وأقنعته بالحجة، فقال النبي ﷺ: "**عرستما**"؟ قالا: نعم، قال: "**بارك الله لكما في ليلتكما**"فحملت وعلى رأسها تسعة أشهر وضعت وأرسلت هذا الولد مع أخيه لأمه الذي هو أنس بن مالك، إلى النبي ﷺ على عادة الصحابة رضي الله عنهم يرسلون الولد أول ما يُولد، فيكون معه ثمرات فيمضغها النبي ﷺ في فيه ثم يجعلها في فِيّ الصبي، لأمرين :

أولا: تبركا بريق النبي ﷺ، فريق النبي ﷺ مبارك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتنافسون على بقية وضوء النبي ﷺ لبركته، ويأخذون من عرقه ويكون أطيب الطيب عندهم.

وهكذا التحنيك، إنه أول ما يُولد قبل ما يُرضع بعد الولادة، يُرسل إلى النبي ﷺ بتمرات فيمضغها النبي ﷺ في فيه المبارك، ثم يجعلها في فم الصبي ليكون أول ما يصل إلى معدة الصبي هذا التمر بريق النبي ﷺ، فيكون من أسباب الصلاح، ورقة القلب، والتقوى، ومن أسباب الصحة للولد، فمن حيث التمر إنه تمر فهو مبارك، وفيه منافع كثيرة للبدن وللصحة، ولذلك يؤكل التمر ولو كان ساقطا على الأرض من مدة، ولا يضر، ولا يتسمم، وقال ﷺ: "**من تصبح بسبع تمرات عجوة**" والعجوة أشهرها عجوة المدينة، وكل تمر يسمى: عجوة "**لم يصبه سمٌ ولا سحر في ذلك اليوم**".

فهو بمثابة التطعيم والوقاية من السموم، والتسمم الذي قد يكون في البدن لسبب من الأسباب، فينبغي المحافظة على هذا، وأن يكون الإنسان عنده عناية بهذا الشيء لهذا الحديث، فالتمر سواء كان من المدينة أو من غيرها، لكن تمر المدينة وخصوصا العجوة أنفع بإذن الله، والكل نافع .

يقول النبي ﷺ: "**إني أدخل البيت بيته، وإني أجد التمرة ساقطة على الأرض، فآخذها لآكلها، فأخشى أن تكون من الصدقة**" لأن الصدقة تُقسم بيت النبي ﷺ، ومنها صدقة التمر، فأتركها، لأن الصدقة لا تحل للنبي ﷺ ولا لأهله، فيتركها تورعا، لأنه ما عنده يقين إنه من تمر الصدقة، وقد تكون من تمر بيت النبي ﷺ، لكن ورع، وهذا منهج السلف، أخذوا بهذا المنهج حتى كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال خشيةً من الحرام، والتقوى أن يدع الإنسان ما لا بأس به خشية مما به بأس.

فالمقصود: أن الصحابة كانوا يرسلون أطفالهم ساعة ولادتهم للنبي ﷺ ليحنكهم لخصوصية التمر، ولبركة ريق النبي ﷺ، فاجتمع لهم الأمران، فجاء للنبي ﷺ وهو يسم إبل الصدقة، وايش معنى يسم؟ الكبار الشيبان يمكن ما يعرفون يجعل عليها وسم القبيلة، أو الجهة المسئولة عنها، والصدقة هذه الذي تؤخذ زكاة من الإبل، فيجعل عليها النبي وسم حتى لا يعتدى عليها وهي ترعى، إشارة أن هذه إبل الصدقة، وأنها تُصرف في فقراء المسلمين، وفي مصالح الإسلام، فيسمها بحديدة من النار يجعلها على النار ثم يسمها في السنام، أو في الفخذ، أو في الرقبة، أو في كذا علامة معروفة عن النبي ﷺ أن هذه علامة إبل الصدقة، فوجده يسم إبل الصدقة، وقال له: ما معك؟ قال: معي هذا الغلام، ولدته أم سليم.

قال: معك تمر؟ قال: نعم، فأخذ تمرات، يعني ثلاث، أو خمس، أو سبع، وهو في حوش الإبل عليه الصلاة والسلام، فمضغها وجعلها في فم الصبي مرة أو مرتين أو أكثر، وسمى الصبي عبد الله، وكان قد دعا لهما بالبركة ليلة موت الصبي الأول، فعاش هذا الصبي عبد الله، وقال الراوي: إنه رأى تسعة من الولد من ولد الصبي هذا كلهم قد حفظ القرآن، وحفظهم للقرآن حفظ تلاوة، وحفظ معنى أو عمل، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات من القرآن حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، من الفقه وكيفية العمل به، وهذه ببركة دعاء النبي ﷺ لأبي طلحة، وأم سليم، عوضًا عن الولد الذي مات أخذه الله، وهذا دليل على ثمرة الصبر وأن الإنسان إذا أُصيب بفقد غاليًا من والد أو ولد أو أخ أو زوجة أو مال أو غير ذلك يحتسب عند الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها. فيعوضه الله تعالى خيرا، يستسلم لله تعالى في قضائه، ويسلم لله تعالى في حكمه، ويحسن الظن بالله تعالى، وأن اختيار الله تعالى للعبد خير من اختياره لنفسه، ويرجو الله تعالى أن يعوضه خيرا منه، ولا يدرى ربما يكون عيش الصبي ضرر على والديه، ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الكهف:٨٠].

فأوحى الله عز وجل إلى الخضر أن يقتل الغلام هذا حتى لا يرهق والديه طغيانا وكفرا، ويعوضهما الله عز وجل خيرا منه، لأنهما مؤمنين، صالحين، وكذلك الإحسان أن الخضر أوحى الله إليه عليه السلام، وعلى موسى عليه السلام أن يقيما الجدار الذي يوشك أن ينقض ليحفظ ما تحته من كنزٍ لغلامين كان أبوهما صالحا، حتى يشترى الكنز إلى حين يبلغ الغلامان ويرشدا و يحسن التصرف في مالهما، وهذا دليل أن الله عز وجل لا يأخذ من العبد شيئا إلا عوضه الله خيرا منه، وخصوصا إذا استسلم لله تعالى، ورضي بقضاء الله وحكمه، ولم يقل إلا خيرا، وإذا حمد الله واسترجع أمر الله تعالى الملائكة عليهم السلام أن يبنوا لهم بيتا في الجنة يسمى: بيت الحمد. قبل وفاته نعمة من الله عز وجل، من هو الذي يضمن بيته في الجنة وهو حي؟ وقد أخبرنا النبي ﷺ بهذا حتى تطمئن قلوبنا إلى قضاء الله، والرضا به، والتسليم لحكمه، وعظم الرجاء له، وحسن الظن به، والإنسان ما يقطع لكن يرجو ويصدق هذا بالعمل الصالح، والاحتساب احتساب المثوبة عند الله تعالى، وأنها ذُخر له يجده بعد وفاته أحوج ما يكون إليه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعن أبي هريرةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أنّ رسولَ الله – ﷺ – قالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشَدِيدُ الَّذِي يَملكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن سُلَيْمَانَ بن صُرَدٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: كُنْتُ جالِسًا مَعَ النَّبيّ – ﷺ – وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، وَأَحَدُهُمَا قدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وانْتَفَخَتْ أوْدَاجُهُ، فَقَالَ رَسُول اللهِ – ﷺ: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أعُوذ باللهِ منَ الشَّيطَانِ الرَّجِيم، ذَهَبَ منْهُ مَا يَجِدُ». فَقَالُوا لَهُ: إنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قَالَ: «تَعَوّذْ باللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيم». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن معاذِ بنِ أَنسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالى عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَومَ القِيامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ». رواه أَبو داود والترمذي، وَقالَ: «حديث حسن».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذه الأحاديث في فضيلة الصبر، وأنه من خير العطاء من الله جل وعلا، ومن أوسع العطاء، وأن العبد ينال به المنزلة الرفيعة، والأجر العظيم في الآخرة، وأن الإنسان ينبغي أن يُجاهد نفسه على الصبر، وخصوصًا على طاعات الله تعالى فلا يسأمها ويتركها، وعن معاصي الله تعالى فلا يتجرأ عليها ويقتحمها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا يسخطها، ويعترض عليها، وعلى نِعم الله تعالى وما يُيسر الله له من الخير، فيشكر ذلك، ويستعمله في طاعته، هذا هو الصبر يحبس نفسه على ذلك، ويكفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر:١٠].

ففي الحديث الأول: أن النبي ﷺ طرح سؤال على أصحابه رضي الله عنهم يستطلعهم الرأي، ويُبين لهم الصواب، فيقول: ما تعدون الشديد منكم؟ فقالوا: الشديد الصرعي يعني القوي الذي يصرع الرجال، يغلبهم، بقوته وجلدته وجراءته وخبرته، هذا مفهومهم في الجاهلية وهذا مفهوم أهل الدنيا أن الشديد هو الصرعي الذي يصرع الرجال ، والذي يحقق ما يريد بغض النظر عن صوابه أو خطئه، وبغض النظر عن مصلحته أو مفسدته، عن خيره وشره.

فقال النبي ﷺ: "**الشديد هو الذي يغلب نفسه عند الغضب**" يتصرف في نفسه يمنعها ويحجرها ويحجزها عن الغضب، لماذا؟ لأن الغضب جمرة من النار، والشيطان خُلق من النار، فهو إذا وُجد الغضب عند الإنسان الانفعال دخل الشيطان، حتى يجعله يتكلم بما لا يعقل ولا يبالي بعواقب الكلام لا من حيث الدين، ولا من حيث الدنيا، فلا يبالي بعاقبة سوء الكلام في دينه، وما يترتب عليه من عقوبة، وأن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة، ويزله بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، ولا ينظر في تصرفه هذا وكلامه في الدنيا أيضا فقد يتصرف في جناية، وقد يسب ويشتم، ويترتب على ذلك عقوبات قدرية وشرعية، فإذا ملك نفسه عند الغضب فإنه هذا هو الشديد هو العاقل، هو الحكيم، ولذلك أمر النبي ﷺ من غضب أول شيء: أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

وثاني شيء: إن كان قائما أن يقعد، وإن كان قاعدا أن يضطجع، وإن لم يذهب مع هذا كله توضأ، ولعل من كمال ذلك أن يصلي، لأن السُنة لمن توضأ في أي ساعة من ليلٍ أو نهار يصلي ما كُتب له حتى يذهب عنه ما يجد، لأنه إن لم يذهب عنه ما يجد قد يسب الله تعالى، وقد يسب النبي ﷺ، وقد يسب الدين، وقد يلعن والديه، وقد يطلق امرأته، وقد يبذر ماله، وقد يجني على غيره جناية توجب عقوبته حتى إلى القتل حتى بالقتل، فخير له أن يعالج الغضب في أوله، ومن حضره يجب عليه أن ينصحه وأن يحجزه عن التصرف بمقتضى الغضب، ولذلك في الحديث الثاني: أن رجلين استبا. يعني واحد سبا الثاني، والثاني ساكت، وكان هذا الساب قد بلغ به الغضب مبلغا فاحمر وجهه وانتفخت أوداجه، وصار في عينيه مثل الشرر، وصار يتكلم بما لا يعقل، فقال النبي ﷺ مرشدا لمن حوله: "إني لأعلم كذبةً لو قالها هذا لذهب عنه ما يجد". لو قال: "**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**".

فالصحابة رضي الله عنهم تبادروا إلى هذا المسكين، وقالوا له: إن النبي ﷺ يأمرك أن تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال: لست بمجنون. رد السُنة، ورد قول النبي ﷺ، ونصيحته، وتمسك برأيه وما هو عليه من الحُمق والسفه، وكان النبي ﷺ في مجلسٍ آخر فجاء رجل ربما أنه من المنافقين، فسب أبا بكر الصديق خير الأمة بعد النبي ﷺ، بل خير أتباع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على الإطلاق، أفضل رجل بعد النبيين والمرسلين مشى على الأرض، ويسبه هذا اللئيم.

وكان أبو بكر ساكتا فلما بالغ بالسب وأكثر رد عليه أبو بكر ﵁ بكلام، كلام عادي، لكنه يحتمل إنه تغير لأنه بشر، فلما رد عليه الصديق قام النبي ﷺ من المجلس وذهب، فلحقه الصديق ﵁ وقال يا رسول الله: بأبي أنت وأمي، وكان الرجل يعني يسبني وأنت حاضر وجالس وأني يوم تكلمت ذهبت، قال: نعم، لأنك لما تكلمت حضر الشيطان، ولا يكون أني أجلس في مجلس حضره الشيطان.

هذا دليل أن الشيطان يحضر، ويُجري الانفعال في شرايين الشخص حتى يتكلم بما لا يعقل، وربما بما يكفر به، وربما بما تنتهي به حياته على أسوء خاتمة، فانظروا كيف ذلك.

وفي الحديث الثالث: أن النبي ﷺ يحض على ترك الغضب، والتحلي بالصبر، والحلم، والأناة، والرفق، وإن يكظم الغيظ لو بلغ به ما بلغ، لأن الغيظ شدة الغضب، فيقول: "**من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه فإن الله يدعوه يوم القيامة على رؤوس الخلائق**" أمام الخلق كلهم "**حتى يُخيره من الحور العين ما شاء**" مكافئة له وثوابا له على كظمه الغيظ، والله تعالى وعد الكاظمين الغيظ بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران:١٣٦].

والثناء على قدر المثني، والله تعالى يثني على أجر العاملين، وأجر الكاظمين الغيظ خصوصا أنه معناه أنه أجر عظيم لا يقدر قدره إلا الله جل وعلا، فهذا يقتضي من العاقل أن يتنبه لهذا لأنه يبتلى بسفيه، بطائش، بمجنون، بصاحب مخدرات، بظالم، يبتلى بمن يستثيره حتى يوقعه فيما لا تُحمد عقباه فلا يستزله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ [الأعراف:٢٠١] يتروون يعني، وينتفعون.

وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾ [فصلت:٣٦].

﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾ [النحل: ٩٩ – ١٠٠].

ففي هذه الأحاديث بيان من هو الرجل، من هو المؤمن، من هو التقي، من هو النقي، من هو الذي هو مؤهل للجنة حتى يتحرى ويتحلى المسلم بأخلاقه وأعماله، وسيرته، ومن هو الشقي الذي يشقي نفسه ويشقي غيره وقد ينقلب إلى ربه والعياذ بالله مأزورًا غير مأجور.

فيتردى في دركات الجحيم وينحرم أو يحرم نفسه من جنات النعيم، نعوذ بالله، وهو الذي يتبع نفسه هواها ويطيع الشيطان حتى يرد السُنة يرد السُنة والنبي ﷺ حاضر، ولذلك قال أبو عثمان النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة السلف: "ما رد أحدًا سُنة النبي ﷺ وهو يعلم إلا وفيه شيء من الكبر".

إلا وفيه شيء من الكبر، والله تعالى قال: "**العظمة ردائي، والكبرياء إزاري، من نازعني واحدا منهما أهلكته**" ولا يدخل الجنة شخص في قلبه مثقال ذرة من كبر، حتى يتوب منه في حياته، أو يعفو الله عنه إن لم يتب أو يُعذب حتى يُهيأ لدخول الجنة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعن أبي هريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رَجُلًا قَالَ للنبي - ﷺ: أوصِني. قَالَ: «لا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ». رواه البخاري.

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُول الله - ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالمُؤمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفسِهِ ووَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ». رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

وعن ابْنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أخِيهِ الحُرِّ بنِ قَيسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَكَانَ القُرَّاءُ أصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَمُشاوَرَتِهِ كُهُولًا كانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيهِ: يَا ابْنَ أخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأمِيرِ فَاسْتَأذِنْ لِي عَلَيهِ، فاسْتَأذَنَ فَأذِنَ لَهُ عُمَرُ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِيْ يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَواللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - حَتَّى هَمَّ أنْ يُوقِعَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أميرَ المُؤْمِنينَ، إنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف:١٩٩] وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا، وكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى. رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى أثنى على خُلص عباده جعلنا الله وإياكم منهم، الذين وعدهم المغفرة والجنة، وجاء في الحديث: أنهم يدخلون بغير حساب بكظم الغيظ، بخصال من أعمال البر، لكن منها كظم الغيظ، قال ﷺ: "**من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، حتى يخيره من الحور ما شاء**" من الحور العين.

ويقال يوم القيامة: "**ليقم الذين أجرهم على الله، فيقال من هم؟ فيقال: من عفا وأصلح**" ويعفو ويصلح عن قدرة واختيار ما هو عن عجز وضعف وخور، فعمر أمير المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخليفة الراشد الثاني، الذي وصفه النبي ﷺ بأنه مُلهم ومحدث، والمُبشر بالجنة وهو يمشي على الأرض كان وقافا عند كتاب الله تعالى، وكان جلساؤه خيار الناس أهل القرآن والعلم بالقرآن والسنة من كبار الصحابة، وكهولهم، وشبابهم، يستشيرهم في كل ما ينوبه.

فذات مرة جاء رجل من شيوخ البادية يقال له: عيينة بن حصن الفزاري شيخ فزارة، وهو من المؤلفة قلوبهم، فجاء إلى المدينة وكان ابن أخيه يقال له: الحر بن قيس، رجلا عالما عاقلا، وكان من المشايخ الذين يحضرهم عمر رضي الله عنه عنده، ويأخذ برأيهم فيما أشكل عليه، فقال هذا عيينة بن حصن لأخيه: استأذن لي على هذا الأمير. يعني عمر. يعني أباه حضر مجلسه وكلمه، فاستأذن له الحر، فأذن عمر، قال: الحين يمشي يدخل، فلما دخل أقبل على عمر العادل قال: هيه يا ابن الخطاب أسلوب الجفاء والجاهلية، والله ما تعدل في القضية، ولا تقسم بالسوية.

هذا كلام يوجه لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه !، فاستشاط عمر غضبًا لهذا الأسلوب الجافي الجاهلي وأمام الملأ وهو أمير المؤمنين، وهم أن يوقع به عقوبة غليظة شديدة، وكان هذا الحر عاقلا لبيبا عالما مؤدبا على خُلق، قال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ خذ ما عفا لك من أخلاق الناس، ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ فما تجاوزها عمر سكن غضبه، وهدئت نفسه، واستمع الكلام.

فهذا تطبيق لقول النبي ﷺ: "**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء**" وأنهم يقال لهم يوم القيامة: "**ليقوموا هؤلاء**" الذين يكظمون الغيظ ويعفون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب، جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة بغير حساب، وهكذا، فدل ذلك على سُنة الخلفاء الراشدين، وهي العمل بالقرآن العظيم، وتحري سنة النبي ﷺ، والاتصاف بمحاسن الأخلاق، وصالح الأعمال، وأن الإنسان يوطن نفسه على الصبر ابتغاء ما عند الله جل وعلا، وخشية من الوقوع في الظلم، وأن الإنسان أيا كان ولي الأمر العام، أو نائبه، أو وزيره، أو المفتي، أو القاضي، أو رئيس القضاء، أو غيرهم، كلهم ينبغي أن يكون جليسهم من الصالحين الذين يذكرونهم إذا نسوا، ويفتحون عليهم إذا أشكل عليهم شيء، وينهونهم إذا صار عندهم غضب واحتمال أنه يتصرف تصرفا يخالف الشرع، وهكذا الإنسان قد يحصل له مثل هذا من زوجته، من ولده، من أخيه، من جاره، فلا يمكن الغضب من نفسه الغضب من الشيطان، والشيطان خُلق من نار، فإذا استرسل مع الغضب تكلم بكلامٍ قد يكفر به ويخرج من الملة، وربما يتصرف تصرفا فيه جناية يقتص منه بها، ويهين نفسه، ويذل نفسه، وقبل ذلك معصية الله عز وجل.

ومخالفة هدي الرسول ﷺ على أمرٍ، أو في أمرٍ يمكن تداركه، فيحتاج الإنسان إنه يأخذ بالمنهاج النبوي، والنبي ﷺ أرشد الإنسان إذا غضب أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم حتى يذهب عنه الغضب، وأنه إن كان قائما أن يعقد، وإن كان قاعدا أن يضطجع، وإذا لم يذهب يقوم يتوضأ النار تطفأ بالماء، وإذا توضأ صلى ما كُتب له، لأن هذه تكون من ذوات الأسباب في الحالة هذه مثل صلاة الاستخارة، ومثل صلاة ركعتي الوضوء، ومثل تحية المسجد، وغير ذلك، فيكون الإنسان عنده روية وأناء، وتؤدة ويُفكر في عواقب الأمور، ويتقي الله إذا ذكر إذا أعجبته قدرته يذكر قدرة الله عليه، وأنه قد يبتلى فيسلط عليه من هو أظلم منه وأشد ظلما منه لو ظلم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

٥١ - وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله - ﷺ - قَالَ: «إنَّهَا سَتكونُ بَعْدِي أثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!» قالُوا: يَا رَسُول الله، فَمَّا تَأْمُرُنا؟ قالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسألُونَ الله الَّذِي لَكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

«وَالأَثَرَةُ»: الانْفِرادُ بالشَّيءِ عَمنَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ.

٥٢ - وعن أبي يحيى أُسَيْد بن حُضَير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ، قَالَ: يَا رسولَ الله، ألاَ تَسْتَعْمِلُني كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلانًا، فَقَالَ: «إنكُمْ سَتَلْقَونَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوني عَلَى الحَوْضِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

٥٣ – وعن أبي إبراهيم عبدِ الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رَسُول الله – ﷺ – في بعْضِ أيامِهِ التي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّى إذَا مالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فيهمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا الله العَافِيَةَ، فَإِذَا لقيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أنّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ».

ثُمَّ قَالَ النَّبيُّ – ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وبالله التوفيق.

الشرح:

أما بعد: فقد أخرج النووي رَحِمَهُ اللهُ وإيانا في رياض الصالحين حديث النبي ﷺ، أنه في أيامه التي لقي فيها عدوه قال للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: "**لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، وإذا لقيتموه فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**".

ثم أخر بداية الحرب إلى بعد صلاة الظهر، وقال حين بدأ بالحرب: "**اللهم مُنزل الكتاب ومُجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**".

ونصره الله تبارك وتعالى، فهذا الحديث أورده النووي رَحِمَهُ اللهُ وإيانا في "باب الصبر"، لأن النبي ﷺ قال: "**إذا لقيتموهم فاصبروا**"، مع قوله: "**لا تتمنوا لقاء العدو**".

كيف يقول النبي ﷺ: "**لا تتمنوا لقاء العدو**"، و"**اسألوا الله العافية**"؟ مع أن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ومع أنه أفضل الأعمال بعد التوحيد والصلاة وبر الوالدين، ومع أن الله تعالى اتهم الذين يتخلفون عن الجهاد من غير عُذر إذا دعوا إليه بالنفاق، وأثبت نفاقهم، مع أن النبي ﷺ هجر الذين تخلفوا عن الغزو معه من غير عذر مع اعترافهم بذنبهم خمسين يوما بلياليهن، حتى نزل القرآن العظيم بتوبتهم، وأنهم صادقون، والجهاد في سبيل الله عقد بين كل مسلم مؤمن وبين الله جل وعلا: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة:١١١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: "**من لم يغزو، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق**" ومع ذلك هنا يقول: "**لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**" إذا دعاكم ولي الأمر للجهاد استجيبوا وانفروا للنفير، أو حضرتم الصفين أيضا اثبتوا، أو دخل العدو البلد الذي أنتم فيها الدفاع عن الدين والعرض والمحارم واجب، وهذه أحوال يجب فيها الجهاد عينا على كل مؤهل له، قال النبي ﷺ ذلك لأن الجهاد عبارة عن ابتلاء، فالإنسان ما يدري هو ينجح ولا ما ينجح، مما يبتلي الله عز وجل به العباد، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ وهذا واحد، ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأنفال:٤٥] هذا اثنين، واصبروا، هذا ثلاثة.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧ ﴾ [الأنفال:٤٧].

فهذه خمسة أمور أمر الله تعالى بها عند الجهاد في سبيل الله، وقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال:٤٦] فهذا ابتلاء عظيم، وكون الإنسان يعني يتمناه ما يصح، لأنه لا يدري هل ينجح في الابتلاء ولا لا، لكن إذا تعين عليه يستجيب ويطيع الله ورسوله، هكذا.

ولذلك قال النبي ﷺ: "**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**".

فسؤال الشهادة بصدق شيء وتمني لقاء العدو شيء آخر، عمر رضي الله عنه كان يقول: "اللهم شهادة في سبيلك في بلد رسولك"، وهو أمير المؤمنين، فيقول الصحابة: يا أمير المؤمنين كيف شهادة في سبيل الله في بلد الرسول ﷺ؟ يقول: يأتي بها الله، وجاء الله بها، جاء أبو لؤلؤة المجوسي وطعنه وهو يصلي بالناس الفجر في محراب رسول الله ﷺ، فمن سأل الله الشهادة بصدق إما أن يُهيأ الله له الشهادة، وإلا يعطيه أجر الشهداء يبلغه منازل الشهداء ولو مات على فراشه، هذا معنى قوله: "**لا تتمنوا لقاء العدو**" يعني ما

تدرون هل تثبتون ولا لا، هل تذكرون الله كثيرا ولا لا، هل تلقون العدو وأنتم متواضعون لله، معتمدون عليه، متكلون عليه، متبرئون من الحول والقوة إلا به، أو تلقونهم بغرور واعتماد على السلاح وعلى النفوس وإعجاب، فهذه فتنة عظيمة جدا، أو يحدث بينكم تفرق واختلاف وتسببون في هزيمة المسلمين، وإعجاب الكفار بأنفسهم، فإذا تعين عليكم بدعوة ولي الأمر العام للنفير، أو ابتليتم بحضور الصفين، أو دخل العدو نسأل الله العافية والسلام البلد الذي أنتم فيها اثبتوا، واصدقوا، واصبروا، وعندئذ تكونون شاركتم في التجارة؛ ﴿ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الصف:١٠] وهي الإيمان بالله تعالى والجهاد في سبيله، الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، والجهاد في سبيله، ورتب الله عليها هذه الأمور، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:٧٢].

وإن الله تعالى يحقق لكم الغنائم ويحقق لكم العلم الطيب كله، فقال هكذا ﷺ: "**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية دائما**".

ولذلك من أذكار الصباح والمساء والنوم واليقظة سؤال الله العافية يوميا كل ليلة ويوم، لأنك ما تدري لا تعتد بنفسك ولا تعتمد على أسبابك ولا تعتمد على الخلق ما تدري، فاسأل الله العافية: "**ما أُعطي أحدًا عطاءًا خيرًا وأوسع من العافية**" فالعافية مع اليقين بعد، هكذا أرشد النبي ﷺ، فهذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: إن النبي ﷺ أخر إلى الظهر، لماذا؟ لأنه كان قربه من العدو بين الضحى والظهر، والنبي ﷺ كان إما أن يبدأ الحرب بعد صلاة الفجر، فيستمع إن سمع أذان وإلا أغار عليهم ويقول: "**بورك لأمتي في بكورها**" فإذا لم يحصل هذا أنه يغير أول النهار أول البكور أغار بعد الظهر، لأنه يكون بعد الصلاة وقبل صلاة أخرى صلاتي العشي الظهر والعصر، والدعاء بينهما من أحرى الأوقات للإجابة، حتى إن النبي ﷺ دعا عدة أيام وهو يدعو بعد الظهر، وأُجيب يوم الأربعاء يعني ابتدأ من السبت وأجيب يوم الأربعاء، فيكون تبدأ الحرب بين صلاتين هذا إذا كان الاختيار، أما إذا جاء العدو يواجه حتى لو كان قبل الصلاة وحتى لو أُخرت الصلاة، فلما غزا المسلمون "تُستر" بلدة بفارس

تفاجئوا بالعدو قبل الفجر بالوقت فبدأوا الحرب، ولما حضرت صلاة الفجر وإذا هم في الحرب ما يستطيعون يتوقفون، ما يستطيعون، فواصلوا الحرب حتى نصرهم الله، وصلوها بعد طلوع الشمس، فقال قائل من الناس: "وددت لو أننا صلينا الفجر في وقتها"، فسمعه أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ عشر سنين، فقال: ما أحب أنى صليناها في وقتها وأنى لنا بها حُمر النعام.

يعني هذا وقتها حين دهمنا العدو فنقف له، وهم معذورون في هذه الحال، ومثل هذا يوم الأحزاب أُخرت صلاة العصر إلى المغرب، فهذا هدي النبي ﷺ وسُنته، فلما إن النبي ﷺ بدأ الحرب بعد الظهر، لماذا؟ أول شيء: لأنه في شدة الحرارة يكون حمل السلاح شديد على المسلمين، لأنه حديد، يحتمي عليهم، وثقيل، هذا واحد.

الثاني: إنه وقت هبوب الريح بعد الصلاة، وكان النبي ﷺ يؤخر الصلاة في وقت الحر إذا أمكن الظهر، حتى تهب الرياح و تخف الحرارة، وشرع الإبراد في حال شدة الحر.

والثالثة: أنه وقت مظنة الإجابة، ويكون بين صلاتين فيكون المسلمون محل عناية الله جل وعلا عناية خاصة في الحال هذه.

والرابعة: أن النبي ﷺ قال: "**نُصرت بالصبا**" والصبا هي الريح الشرقية، "**وأُهلكت عاد بالدبور**" هي الريح الشمالية التي لا خير فيها، فتهب الرياح عادةً، ولذلك النبي ﷺ توسل الله عز وجل بقوله: "**اللهم مُنزل الكتاب**" العظيم القرآن العظيم كل كتاب أنزله الله عز وجل. "**ومجري السحاب**"، فالله تعالى هو الذي يجري السحاب حيث يشاء، ومن ذلك أن الله يُسخر الريح المثيرة وهي الجنوب الجنوبية الغربية، ومن ذلك أنه يهيج الريح الشرقية وهي الصبا الملقحة للسحاب، هذه من الرياح المباركة، فتجتمع له عدة أسباب النصر، ومنها ما أمر الله تعالى به: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥ - ٤٦].

فتكون هبة الرياح، ويكون هذا الدعاء: "اهزمهم وانصرنا عليهم" فتوسل إلى الله عز وجل بهذه الأفعال العظيمة الحكيمة التي فيها فضل من الله جل وعلا على عباده، وفيها عدل منه سبحانه وتعالى في أعدائه، فلذلك نصره الله جل وعلا.

والشاهد من الحديث: الأمر الأول: قوله: "لا تتمنوا لقاء العدو" ما أعطي أحد عطاء هو أوسع من العافية، فيصبر الإنسان على نعمة الله عز وجل ولا يسأل التغيير، لأنه ما يدري هو ينجح ولا لا.

والثاني: قوله: "واصبروا"، "إذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" يعني تحت السلاح، فتقدموا للعدو ولا تهابوا بإمرة القائد، لأن القائد يُفرق الجيش يجعل ميمنة وميسرة وقلب، ويجعل حراسة ويجعل كذا وكذا وكذا، وتوجيهات عسكرية في وقتها، وأن الاعتماد في هذا كله على الله سبحانه وتعالى لا على الأسباب مهما توفرت، لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٦] وقال: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾ مع تحقيق كمال التوكل ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٠] .

والتقوى لزوم التقوى لأن الله تعالى وعد من ثواب التقوى النصر على العدو، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٩] والآية الأخرى: ﴿ يَنصُرْكُمُ ﴾ [آل عمران:١٦٠].

فهذه جملة آداب في لقاء العدو:

أولها: سؤال الله العافية، وآخرها: إن الناس يثبتون ويتوكلون على الله عز وجل ويتواضعون ولا يتحدثون بأشر وبطر وفخر، واعتماد على السلاح وعلى القوة الذاتية والأسباب، بل يجعلون حاجتهم إلى الله عز وجل، ويلحون على الله عز وجل بالدعاء، مثلما فعل النبي ﷺ في "بدر" ألح على الله بالدعاء في "بدر" حتى يسقط رداؤه من شدة ابتهاله ورفع يديه، ويقول أبو بكر رضي الله عنه: "يا رسول الله أرفق بنفسك، فإن الله منجز لك ما وعدك". حتى يقول: "إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض" هكذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب الصدق

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة:١١٩].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٣٥].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد:٢١].

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البرِّ، وإنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا. وَإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن الصدق من جليل خصال الإيمان، ومن محاسن الأعمال، وهو مما أثنى الله تعالى به على نفسه، وأثنى به سبحانه على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وأمر به عباده المؤمنين كما سمعتم في الآية: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾، وفي قراءة أخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ من ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

والصدق هو مطابقة الشيء للواقع، فإن كان خبرًا فيكون مطابقا للواقع، مثل إذا قلت: اليوم الفلاني، اليوم الثلاثاء، إذا كان هو الواقع فهذا صدق، وإذا كان عكس هذا الاثنين أو الأربعاء فهو كذب، والإثم يترتب على القصد والعمد، ولهذا من توهم يصح أن يقال: كذب، لماذا؟ لأنه أخبر بخلاف الواقع، فإن كان متعمدا فهو آثم، وإن كان ناسيا أو متوهما فهو غير آثم، والله تعالى أمر عباده بالصدق، ووعدهم على ذلك خيرا كثيرا وأجرا كبيرا، قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ الآية ... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥].

وفي الآية الأخرى يقول تعالى يوم القيامة: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة:١١٩].

فهذا الصدق، فلذلك ينبغي للمسلم أن يتحرى الصدق في جميع أحواله، فإن قال فيكون صادقا في قوله، يكون الخبر مطابق للواقع، وفي القلب النية يكون صادقا في نيته، بمعنى: أنه يُخلص نيته لله جل وعلا فيما يفعل من أمور الشرع يبتغي وجه الله عز وجل، ويبتغي مرضاة الله جل وعلا.

ولذلك الله تعالى قيد أعمال الناس بابتغاء وجهه وابتغاء مرضاته، ورتب على ذلك الأجور الكريمة، هكذا، فيكون في النية أيضا، ويكون في العمل من الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، يكون ذلك موافقا للشرع، كما شرع الله تعالى في كتابه، وبَين النبي ﷺ في بلاغه، فيكون الظاهر والباطن سواء، ولهذا يعبر عن الصدق بأنه استواء الظاهر والباطن، فإن خالف الباطن الظاهر فكما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

فإذا كان يدعي الإسلام والإيمان بظاهره، وقلبه منعقد على خلاف ذلك فهذا يسمى إما كفر، أو نفاق، وهكذا أيضا العمل إذا ابتغى به وجه الله فهو يكون عبادة مع موافقة الشرع، وإذا كان مثلا الجهاد ليُرى مقامه، أو لعصبية، أو لغير ذلك من أمور الدنيا فليس له أجر عند الله جل وعلا، لأنه ما ابتغى وجهه، وهكذا الذين يعبدون غير الله عز وجل بالشرك أيضا لا يقبل الله منهم عملهم، لماذا؟ لأنهم قصدوا بأعمالهم غير الله جل وعلا، وقد قال تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ ﴾ [الزمر:٦٥].

﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ ﴾ حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أنهم معصومون من هذا، لكن ليُبين أن هذا الجزاء أصلًا ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٨٨ ﴾ [الأنعام:٨٨].

والحديث الذي ذكره الإمام النووي عن النبي ﷺ، أنه قال: "**عليكم بالصدق**" يعني في الأقوال، والأعمال، والأحوال، يتفق الظاهر والباطن بحيث يبتغي الإنسان وجه الله تعالى ويوافق الشرع والسنة، فعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر هو الخير الكثير، ومن أسماء الله تعالى الحسن: البَر، الله تعالى هو البر الرحيم لكثرة خيره سبحانه وتعالى، فالبر هو الخير الكثير، والمبرور هو من آتاه الله خيرا كثيرا، ووفقه لاستعماله في طاعته والإحسان به على وفق الشرع ابتغاء وجهه، فيقول النبي ﷺ: "**عليكم بالصدق**" الزموه يعني الزموه لا تتركوه ولا مرة.

"**فإن الصدق يهدي إلى البر**" والبر: نيات، وأقوال، وأعمال على وفق الشرع.

"والبر يهدي إلى الجنة" ثم يقول: "وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق" يعني يجاهد نفسه على الصدق. "حتى يُكتب عند الله صديقا" جعلنا الله وإياكم من الصديقين، فإن الصديقين هم الذين يلوون النبيين عليهم الصلاة والسلام في المنزلة المرسلين والنبيين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].

فيجاهد المرء نفسه على الصدق حتى لا يكذب على أحد، فلو قلت لولدك الصغير: افعل كذا وأعطيك حلاوة أو كذا، ولا أعطيته كذبت وكتبت كذبة عليك، ولو إنك رفعت أسفل ثوبك توهم الدابة الفرس، أو البعير، أو البقر أن معك لها شيء وهو ليس فيه شيء فتُعد عليك كذبة، فلا تتساهل في شيء من الكذب، لكن الإنسان يكذب بمعنى يوري وله قصد في هذا لدفع شر، أو تحصيل خير، هذا ما يُعد كذبا، ومن ذلك قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩] لأن قومه كانوا على الشرك يعبدون الكواكب، فصوروها أولا على صورتها وعبدوها، ثم تطوروا وصوروها على صورة الآدميين العقلاء، فكان يوم عيد احتفال لهم عند أوثانهم فأجمعوا على الذهاب وهو بقي وراك باقي؟ قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يعني متكدر ومتنكد من شرككم بالله عز وجل، هذا المعنى، ما هو إني مريض، لا متكدر ومتنكد ومبغض لما أنتم عليه، وأمتنع عن مشاركتكم، وهم فهموا في الظاهر إنه مريض، وهو يريد أمرا آخر يريد أن يكسر أو ثانهم، لأنهم رايحيين لمحل الحفل ما هو عند الأوثان، فلما رجعوا وإذا الأوثان مكسرة، وهي على صورة آدميين، وجعل الفأس الذي كسرها به في يد كبيرهم، ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنبياء:٥٩] من الذي يسوي هذه الجرأة يخالف الأمة بأكملها؟ فتجاوب بعضهم مع بعض ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ يسبهم ويحتقركم على التعلق بهم ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ جيبوه أمام الناس وأحضروه وقرروه بجريمته حتى يستحق العقوبة التي نتفق عليها، فأحضروه، فقالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ اسألوا الأوثان من فعل بهم هذا الشيء؟ اسألوا الكبير هو فعل؟ فقالوا: ﴿لَقَدْ

عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ لأنكم ظالمون بهذا.

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ استكبروا وأبوا وتسلطوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ كيف تقول لنا: اسألوهم، فقال: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ كيف تعبدون آلهة لا تنطق، لا تتكلم، لا تعبر، لا تجيبكم، فهذا نقص، ولهذا وصفه ما يكون إله ما يصلح أن يكون إله، فهذا من عيوبه، ومن دليل قصوره وأنه مخلوق ما هو شيء، وهذا جماد، فلذلك تآمروا وتعصبوا ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ يعني عاقبوه أشد العقوبة، فجمعوا له حطبا وأخذوا المنجانيق ورموه به في النار، وهي مشتعلة أرفع من البيوت، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ فوجدوه يذكر الله ويشكره ولم يصبه من النار شيء، لماذا؟ لأن الله منعها من الإحراق، منعها أن تحرق جسم إبراهيم.

فقال أبوه وهو سيد فيهم: "نِعم الرب ربك يا إبراهيم" ما تركك وقت الأزمة والحاجة وفي معك اعترف "نِعم الرب ربك يا إبراهيم"، وإذا إبراهيم إلى جانبه جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ في صورة بشر يؤنسه، ويطمئنه، ويتحدث معه، فهكذا، بِهِ ﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الصافات:٩٨] وفي الآية الأخرى: ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٧٠].

وهذه من ثمرات صدق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنه أول ما نصح نصح أباه ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم:٤٣] يعني الصراط المستقيم الحق يعني.

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ ﴾ هو الذي يزين لك، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [مريم: ٤٤ - ٤٥] فرد عليه أبوه أسوء رد: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ [مريم:٤٦] لا تكلمني؛ فرد عليه بلطف وأدب: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم:٤٨]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ ﴾ حقق يعني ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم:٤٩]؛ ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء:٧٣].

هكذا، فهذا جزاء الصدق إبراهيم صدق وهؤلاء كذبوا فاستحقوا العقوبة، وإبراهيم نجاه الله عز وجل وجعل النبوة والكتاب في ذريته، حتى أن النبي ﷺ من ذريته ... (١٥:٢٥) والكتب المنزلة بعده كلها في نسل، فالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن كلها في نسل إبراهيم، وأولها كتابه صحف إبراهيم ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩].

فلذلك النبي ﷺ أرشدنا إلى ما أرشدنا إليه ربنا عز وجل، قال: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقا". كيف يتحرى الصدق؟ إنه يحرص على قول الصدق، ويحرص على استماع الصدق والحق المفيد النافع في الكلام، ويحرص على أن يكون صادقا في قوله، وفي عمله، وفي نيته، وفي حاله، وينفر من الكذب، ويكرهه، ويكره أهله أيضا.

"**وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**" لأن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور هو المعاصي والفسوق والكبائر والكفر والشرك والنفاق الاعتقادي والعملي، "**وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**".

وهذه الخطيرة جدا أنك تكتب عند الله كذابا، وتكون من أهل النار، فلذلك ابتعد مثلًا عن التمثيليات والمسلسلات لأن أصلها الكذب، وابتعد عن القصص التي فيها الكذب، ابتعد عن المزاح الذي فيه الكذب الذي يكذب ليضحك الناس وهذا من أشد الناس عذابا يوم القيامة، يكذب يجيب نكتة كذب ليضحك الناس فقط، وأشد منه المبتدع الذي يقول: لا أراهم متبعي حتى أبتدع لهم بدعة. فهذه كله احذرهم، فتحرى الصدق وابتعد عن الكذب حتى تُكتب عند الله صديقا، وتكون ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء:٦٩]، وتنجو من الكذب، ولا تبتلى بالكذب، وحتى تنجو من النار، وتكون من أهل الجنة مع الأخيار، هكذا ينبغي، فهذه نصيحة النبي ﷺ مؤكدة لما جاء به القرآن العظيم، وحاثة على ما ينال به الأجر الكريم.

﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ الآية ... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥].

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ ﴾ [المائدة:١١٩].

هكذا، ولذلك قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ [التوبة:١١٩].

وقال النبي ﷺ: "**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر**" إلى آخر الحديث.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن أبي محمد الحسن بنِ عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُول الله - ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ؛ فإنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ». رواه الترمذي، وَقالَ: حديث صحيح.

وَعن أبي سفيانَ صَخرِ بنِ حربٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في حديثه الطويلِ في قصةِ هِرَقْلَ، قَالَ هِرقلُ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ - يعني: النَّبيّ - ﷺ - قَالَ أبو سفيانَ: قُلْتُ: يقولُ: «اعْبُدُوا اللهَ وَحدَهُ لا تُشْرِكوُا بِهِ شَيئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، وَالصِّلَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

عن أبي ثابت، وقيل: أبي سعيد، وقيل: أبي الوليد، سهل ابن حُنَيْفٍ وَهُوَ بدريٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيّ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذه الأحاديث في بيان فضيلة الصدق، وأنه من شأن عباد الله الصالحين، جعلنا الله وإياكم من أئمتهم، وأن الله تعالى رتب عليه أجورًا كثيرة، ومنازل عالية في الجنة، ويكفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ [المائدة:١١٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ... الآية... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥].

ففي الحديث الأول يقول النبي ﷺ وهذا يرويه سبط النبي ﷺ الحسن بن علي، ابن فاطمة بنت النبي ﷺ، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُم جميعا، يقول: "**الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**" وقدم لذلك بقوله: "**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**" يعني دع ما تشك فيه هل هو طاعة أو معصية؟ لا تفعله إلا على يقين إذا كان طاعة، وإن كان معصية فاجتنبه، وإن شكيت في الأمر فلا تفعله وأنت لا تدي، لأنه ما يجوز أن يتعبد الإنسان لله تعالى بالظن، فليتعبد باليقين والصدق والإخلاص، وهذا ما يريبك من أمر الرزق، والكسب، فلا تدري هل هو حلال أم حرام، لا تأخذه، وإن كان حلالا فخذه واستعن به على طاعة الله واحمد الله عليه، وأحسن به إلى مستحقه كما أحسن الله إليك، وإن كان مشتبها لا تأخذه، وإن كان حراما اتركه قطعا، والمشتبه اصبر حتى يتبين لك أمره، ولذلك قال النبي ﷺ: "**إن الحلال بَين، وإن الحرام بَين، وبينهما مشتبهات**".

وفي لفظ: "**أمور مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمى ألا وإن حمى الله محارمه**".

ثم يُبين النبي ﷺ أثر الجرأة على الشُبهات من العمل، والشُبهات من الرزق، وأنها تؤثر على القلب، فتثبط القلب، وتكسله، وتعمي بصيرته، أو تضعف بصيرته شيئا فشيئا فلا تتجرأ عليه، قال: "**ألا وإن في الجسد مضغة**". القلب يعني. "**إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**" فلا تدخل على قلبك إلا ما يُصلحك، واحذر مما يفسده، وما تدري هل هو يصلحه أو يفسده من الأعمال، أو من الكسب والمال فأجله حتى يتبين لك حكمه، فإن كان يصلحه فخذ به وإن كان يفسده فاتركه، هكذا، وأن الصدق مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ، الدعوة إليه والإلزام به.

ولهذا لما وصل كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وكان بالشام بيت المقدس سأل من بيت المقدس من أهل الحجاز التجار أهل رحلة الشتاء والصيف، فذُكر له عدد منهم فاستدعاهم أرسل إليهم وجيء بهم، فلما مثلوا بين يديه قال: أيكم أقرب بهذا الذي يزعم أنه نبي نسبًا؟ فقالوا: أبو سفيان بن حرب، وكان أبو سفيان رضي الله عنه ذاك اليوم ما أسلم، لأن هذا كان بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة، وهو لم يُسلم إلا ليلة فتح مكة، فجعله أمامه وجعل أصحابه وراءه وراء أبو سفيان، قال: إني سائل هذا الرجل فإن صدقني فأقروه، وإن كذبني فأشيروا إلي، أنه كذبني، وسأله عدة أسئلة عن النبي ﷺ: ما نسبه فيكم؟ ما يأمركم به؟ هل له من أحدٍ طلب الملك والنبوة قبل؟ والحال بينك وبينه، وكذا وكذا؟ أسئلة؟ ومن ذلك قال: ما يقول لكم؟ قال: أبو سفيان يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباءكم يعني من دعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، والفخر بأمور الجاهلية، والتكذيب للنبي ﷺ، والمرسلين قبله، والاستخفاف بآيات الله، ودلائل النبوة، واستبعاد البعث يوم القيامة، والتواطؤ على تعظيم الآلهة والتمسك بها مهما تكلف الثمن.

قال: "**ويأمرنا بالصلاة**"، لأن الصلاة هي عمود الديانة وسر الأمانة، والفرقان بين المؤمنين والكافرين، وهي الصلة بالله عز وجل ووسيلة الوصل لخير الله جل وعلا للعبد المصلي، الصلاة خير موضوع والناس مستقل ومستكثر.

وقال: "**يأمرنا بالصلاة والصدق**" هذا الشاهد فجعل الصدق قرين الصلاة، وأنه ينبغي للمصلي أن يكون صادقا في أقواله، وفي أعماله الظاهرة، وفي أحواله، وتكون تدل على إيمانه وعلى صدقه، وعلى تعظيمه للشرع، وعلى إتباعه للسُنة، وهكذا، الإنسان صادق، ومن ذلك إنه في أعماله وأقواله يبتغي مرضاة الله عز وجل ووجهه، فلا يفعل الشيء رياءً ولا يخلطه بشرك، ولا يتصنع به للناس، هذا الذي يأمرهم به بالصلاة، والصلاة هي الوحيدة بعد التوحيد من تركها كفر، لأن الله عز وجل أخبر بكفر الكافرين ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٣].

وقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المرسلات:٤٨].

فتارك الصلاة كافر كفرا مخرجا من الملة، وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ يؤيد القرآن، ويتواطأ معه، قال النبي ﷺ: "**بين الرجل**" والمراد: الشخص. "**وبين الشرك والكفر ترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر**" قد للتحقيق يعني تحقق كفره.

وقال النبي ﷺ: "**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**".

فالحديث الأول جاء بالألف واللام، الدال على استغراق الأمر، وأن من لم يصلي فهو كافر مستغرق للكافر، وما بعد ذلك الزكاة، والصوم، والحج، فهذه أعمال عظيمة وشرائع الإسلام القويمة، لكن من تركها لا يحكم بكفره، بل يُلزم بها ويؤدب على ذلك ويُستتاب وإن تاب وإلا قُتل، لكن قال شقيق بن عبد الله: "كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال" يعني بعد التوحيد. "تركه كفر إلا الصلاة" . إجماع من الصحابة رضي الله عنهم أن ترك الصلاة كفر، فلا يترك الصلاة بالكلية رجل ثبت في قلبه الإيمان أبدا هذا مزعزع منافق، يتركها أحيانا ويصلي أحيانا فيه نفاق، نفاق الأعمال ويؤدي به إلى الكفر النفاق الاعتقادي، ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠].

ووادي في جهنم شديد حره، بعيد قعره، عظيم هوله، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الماعون: ٤ - ٥] يؤخرونها عن وقتها حتى يخرج الوقت، مثل بعض الناس في صلاة الفجر، وبعضهم في صلاة العصر يبجي من الدوام ولا يبالي، ويسهر بالليل ولا يبالي، ويزعم أنه يصلي متى ما قام، فهذا على هواه، لو إنسان راح يقف بعرفة بعد طلوع الفجر يوم النحر بإجماع المسلمين فلا

حج له، ولو كانت نيته صالحة، فاته الحج، وهكذا وقت الصلاة إذا فات انتهى خلاص، وتركها متعمدا متواطئا عليها.

فالحديث الثالث يقول النبي ﷺ: "**من سأل الله الشهادة بصدق**"، نسأل الله تعالى الشهادة في سبيله وفي بلد رسوله كما سألها عمر رضي الله عنه، "**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**" فضل من الله جل وعلا، فإما أن يكتب الله له الشهادة تتحقق، مثل عمر رضي الله عنه استشهد في محراب رسول الله ﷺ في مسجد النبي ﷺ، وإلا فإن الله تعالى يعطيه مثل أجر الشهيد يبلغه منزلة الشهيد، وهذا فضل من الله عز وجل عظيم على عملٍ يسيرٍ قلبي، وهو الصدق، وقوله يسأل الله الشهادة ويعلم الله من قلبه الصدق، اللهم إنا نسألك الشهادة في سبيلك في بلدك رسولك ﷺ.

فينبغي للإنسان أن يكون صادقا في تعامله مع الله جل وعلا ابتغاء مرضاة الله، وفي تعامله مع المخلوقين تمسكا بشرع الله تعالى، وتأسيا بنبيه ﷺ، وفي تعامله مع نفسه أيضا حتى لا يخادع نفسه ويضرها، وتقوده هي إلى أهواءها وشهواتها.

وفي حديث الحسن: فضيلة الورع، وأن الإنسان يكون عنده ورع، ما يكون عنده جرأة على الأمور المشتبهة يتأنى فيها ويتروى فيها حتى يتبين حكمها لا يقع فيها، لأنه إذا تجرأ ولم يتورع فإنه تجره هذه إلى مثلها، وهذه إلى مثلها، والثالثة إلى مثلها، حتى يستمرأ الشبهات ولا يبالي بها، بل ربما يُعجب بصنيعه، نسأل الله العافية، ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ ﴾ [فاطر:٨] وفي الآية الأخرى: ﴿ خَبِيرٌۢ ﴾ [المائدة:٨] والخبرة: الاطلاع على بواطن الأمور، والعلم يجمع الباطن والظاهر.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله - ﷺ -: «غَزَا نبيٌّ مِنَ الأنْبياءِ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ - فَقَالَ لِقَومِهِ: لا يَتْبَعَنِّي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِي بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلا أحَدٌ بَنَى بُيُوتًا لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلادَها. فَغزا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاةَ العَصْرِ أَوْ قريبًا مِنْ ذلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إنَّكِ مَأمُورَةٌ وَأنَا مَأمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ فَجَاءتْ - يعني النَّارَ - لِتَأكُلَهَا فَلَمْ تَطعَمْها، فَقَالَ: إنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبايعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدَ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ فَلتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقت يَدُ رَجُلَين أو ثَلاثَة بيده، فقال: فيكم الغُلُولَ، فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مثلِ رَأسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا فَجَاءَتِ النَّارُ فَأكَلَتْها. فَلَمْ تَحِلَّ الغَنَائِمُ لأحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ الله لَنَا الغَنَائِمَ لَمَّا رَأَى ضَعْفَنا وَعَجْزَنَا فَأحَلَّهَا لَنَا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذا الحديث أورده النووي رَحِمَهُ اللهُ وإيانا في "باب الصدق"، للحث على أن الإنسان يُقبل على العبادة متفرغًا لها غير متعلق القلب بسواها، حتى يتوجه إلى الله عز وجل بها، ويخشع له، ويتضرع إليه، ويؤديها على أحسن الوجوه المستطاعة، وأكملها، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨ ﴾ [الشرح:٧ - ٨] يعني اجتهد في العبادة وتضرع إلى الله تعالى فيها.

فيقول ﷺ في الحديث: "**غزا نبي من أنبياء الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم**" وهذا النبي على الصحيح يوشع بن نون فتى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي صاحبه في رحلته ليتلقى العلم عن الخضر عليهم السلام جميعا، فإن بني إسرائيل لما نكلوا عن الجهاد في سبيل الله، وفتح بيت المقدس كما ذكر الله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٠ ﴾ [المائدة:٢٠] اشكروا النعمة، واذكروها، ومن ذلك: أن تجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمته، ونشر دينه، وهداية خلقه إليه، ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ بيت المقدس ﴿ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ مكتوبة لكم مضمونة ﴿ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝٢١ ﴾ [المائدة:٢١].

فنكلوا، إلى أن قالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [المائدة: ٢٤ - ٢٥].

حال بينهم وبينها لشؤم هذه المخالفة، وعصيانهم لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام، فحكم عليهم بالتيه أربعين سنة، وهم يترددون عند وادي الأردن من أعلاه إلى أسفله، ومن أسفله إلى أعلاه، ولطف الله عز وجل بهم في هذه الحالة الطويلة، وأنزل عليهم المن والسلوى، لكن في هذه المدة توفي هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان أسن من موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم توفي بعده موسى عليه الصلاة والسلام جميعا في هذه المدة قبل فتح بيت المقدس، فتولى الأمر بعدهما فتى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون، ونبأه الله تعالى، وأرسله، فغزا هذه القرية غزا بيت المقدس بدخولها، لأنها تمت المدة أربعين سنة، وتهيأت الأمور للفتح، وأخذ معه من وُجد من بني إسرائيل من بقي من هؤلاء أصحاب هارون وموسى عليهم الصلاة والسلام.

ومن الحكمة في هذا التحريم أربعين سنة: أن يُولد من هؤلاء أقوام لم يعرفوا فرعون، ولم يعرفوا الملأ من المستكبرين، وينشئوا على منهاج النبوة، فيتربوا على يدي هؤلاء المرسلين الأخيار عليهم جميعا وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى نبينا محمد ﷺ أتم الصلاة وأزكى التسليم، فكثر فيهم الشباب الجُدد الذين ما عرفوا الذلة ولا الهوان، ونشأوا على منهاج النبوة، وتربوا تربيةً حسنة، فقادهم يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأقبل بهم على بيت المقدس، وقيل لهم: ادخلوا الباب سجدا. تواضعوا لله، واشكروه، واخضعوا له، وذلوا بين يديه، وأقبلوا على الجهاد بعزيمة وصدق، هذا في آخر الأمر، أما في أول الأمر فقال له يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا يتبعني أحد له تعلق بالدنيا بخصوصية، فلا يتبعني رجل بنى بامرأة. يعني عقد على امرأة ولم يدخل بها، لأنه متعلق القلب بامرأة، وهو مشغول القلب، وينتظر أن ينتهي الجهاد حتى يرجع إليها، فيكون في جهاده فيه ضعف صدق وضعف إخلاص وجد.

والجهاد يراد به أمران:

الأول: هو إعلاء كلمة الله جل وعلا، وهذا مما يراد بالجهاد إعلاء كلمة الله، وإظهار دين الله جل وعلا، وهداية الخلق إليه.

والأمر الثاني: الشهادة في سبيل الله يتخذ الله منهم شهداء، يجعلهم من مجاوريه في جنته، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ – ١٧٢].

فهذه خصيصة وميزة، فحيث هذا خطب المرأة وأعطي إياها أمور تهيأ للدخول بها فهو متعلق بالدنيا، وقد لا يخلص في الجهاد، وقد لا يحرص على الشهادة لقصور علمه، وضعف إيمانه، والتفات قلبه إلى الدنيا. هذا واحد.

الثاني: الذي بنى بيتًا، لكنه لم يُكمله، فأقام أُسسه، ورفع بنيانه، ولم يسقفه، حتى ينزل به، أو ينزل به أهله من بعده، فهو متعلق بتكميل البيت على أكمل الوجوه وأحسنها ليستمتع هو وأهله، فيتمنى أن تُختصر مدة الجهاد حتى يرجع لهذا الغرض الشاغل لباله نفسه.

والثالث: الذي اشترى حلالا من بهيمة الأنعام خلفات ينتظر ولادها، أو غنم فهو متعلق بها ليستمتع بها بقية حياته، قال: هؤلاء مرخصون يعني عادي أنهم يبقون، لماذا؟ لأن قلوبهم غير متوجهة توجها كاملا لما أمامهم، فهم جاءوا لأداء المهمة ويتحرون الرجوع، وقلوبهم متعلقة بدنياهم التي بين أيديهم، ما أراد أن يصاحبه إلا صاحب همة وعزيمة على استكمال الجهاد في سبيل الله تعالى على أحسن وجوهه وأكمل أحواله لإعلاء كلمة الله عز وجل، وهداية خلقه إليه، وطلبا للشهادة لعل الله أن يكتبهم مع الشهداء في سبيله، نسأل الله الشهادة في سبيله على أحسن أحوالها، وهيئاتها، وأكملها، فلذلك قال: "**هؤلاء لا يتبعوني**" لا يتبعني إلا الخُلص المُقبلون على الجهاد وعلى العبادة.

فدل هذا على أن الأمور ينبغي أن توسد إلى أهلها الأمناء عليها، المخلصين في رعايتها، والعناية بها، وتحقيق مقاصدها، فلما اتبعوه ومضوا قيل لهم قبل دخول البلد: ادخلوا البلد سجدا، متواضعين لله، شاكرين لنعمته، مقبلين عليه، مؤديين لحقه على أحسن الوجوه، ومع هذا كله مع هذا الاجتهاد والجهد العظيم ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨] قولوا يا ربنا احطت عنا خطايانا، يستغفرون الله عز وجل من قصور العمل، ومن طول الأمل، ومما قد يحصل في هذا الأداء من نقصٍ وخلل "احطت عنا".

ومع ذلك نُقل عنهم أنهم دخلوا جعلوا أدبارهم إلى البيت بيت المقدس، ورؤوسهم إلى الجهة التي جاءوا منها، دخلوا على أستاهم وقيل إنهم يزحفون على مقاعدهم، لعل هذه بقية الأولين، فما جاءوا على المراد كما ينبغي، ومع ذلك وافوا أهل البلد قبيل العصر، وبدأت الحرب،.

لأن عادة الرسل عليهم الصلاة والسلام أنهم إن لم يغزوا بعد صلاة الفجر غزوا بعد صلاة الظهر حتى يبرد الظهر حتى يبرد النهار، وتخف الحرار، ويسهل حمل السلاح، وتهب الرياح وخصوصا رياح النصر وهي الشرقية الصبا، يقول ﷺ: "**نُصرت بالصبا، وأُهلكت عاد بالدبور الشمالية** ... ".

فبدأت الحرب بعد الظهر، وقرب وقت العصر وهم ما بعد حصل النصر لمقدمات، فلما يكن بوسع النبي هذا يوشع إلا أن دعا الله تعالى خاطب الشمس قال: أيتها الشمس إنك مأمورة وأنا مأمور، أنتِ مأمورة أمرا كونيا قدريا أن تواصلي مسيركِ، لأن الشمس تجري لمستقرٍ لها منذ خلقها الله عز وجل، ولم توقف لم تحبس إلا ليوشع ابن نون قبل نبينا ﷺ، هذه المرة الأولى أنها حُبست ليوشع ابن نون بدعائه هذا من أجل أن يتحقق النصر، فخاطب الشمس قال: إنك مأمورة.

يعني أمرًا كونيا قدريا تدبيريا، وأنا مأمور دينيا شرعيا، فلا تجري، قفي، ودعا الله عز وجل قائلا: "**اللهم احبسها علينا**". لا تغرب عنا إحنا ما خلصنا، فحبس الله الشمس بقدرته؛ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢] فهي مسيرة.

كان النبي ﷺ مرة في المسجد بعد العصر قبيل غروب الشمس، ودخل عليه أبو ذر رضي الله عنه، فقال يا أبا ذر: "**هل تدري أين تذهب هذه؟**" قال: الله ورسوله أعلم، قال: "**إنها تذهب تستأذن**" يعني أن تواصل المسير فهي مستأذنة على طول الوقت لتواصل المسير، "**فيوشك يوم من الأيام وهذا قبل يوم القيامة أن يقال لها: ارجعي**" يعني لا تواصلي المسير ارجعي فترجع من حيث جاءت وتطلع الشمس من مغربها، وهذه آية من آيات الله العظيمة، والآيات الكبرى، وأشراط الساعة الكبرى، "**فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين** ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا﴾ [الأنعام:١٥٨]"؛ لأنه قد أُغلق باب التوبة إذا طلعت أُغلق باب التوبة فما تُقبل التوبة، فهذه ستكون في المستقبل مثلما كانت في الماضي من أجل غزوة يوشع بن نون، من أجل أن يتحقق مراده والنصر.

ومثل ذلك حصل لنبينا ﷺ قطعا، وهو قول الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر:١]؛ فإن قريشا من عتوها وعنادها وتجبرها وتحديها للرسول ﷺ، قالوا: أرنا آية في الكون في الأفق، تدل على صدقه، مع أنهم لا يكذبون الرسول ﷺ؟ فأشار النبي ﷺ إلى القمر في الليل، فانفلق فلقتين: واحدة على أبي قُبيس، وهو جبل الصفا والذي في أسفل جبل الصفا.

والثانية: قعيقعان الذي أسفله جبل المروة، ورأى الناس بأم أعينهم أن القمر انفلق فلقتين: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ ومع ذلك لم يؤمنوا قالوا: سحرنا محمد، سحر أبصارنا، ولا نصدقه بهذا حتى يقدم السُفار أهل رحلة الشتاء والصيف فنسألهم في البرية هل رأوا هذا أم لا؟ فلما قدم السفار وسألوهم؟ قالوا: نعم رأينا القمر انفلق فلقتين، ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ [القمر:٢].

وقيل في هذه: إن السفار تأخر قدومهم، لأنه قال أنهم يقدمون عليكم وقت طلوع الشمس، فتأخر قدومهم، فدعا النبي ﷺ الله تعالى أن يحبس الشمس، فتأخرت حتى قدموا، وأخبروا بما رأوا، لكن انشقاق القمر يكفي آية.

فالمقصود: أن هذا حصل فحُبست الشمس وانتصر يوشع بن نون، وجمعوا الغنائم وهي لم تُحل لهم، لم تُحل للأم السابقة، وإنما تنزل نار من السماء تأكلها، فجُمعت الغنائم ونزلت النار ولم تأكلها، فقال النبي يوشع: "فيكم غلول" في أحد أخفى شيء من الغنيمة سرا هذا غلول، فليبايعني من كل قبيلة رجل رئيسهم، وهم كانوا اثنا عشر قبيلة اثنا عشر سبط من بني إسرائيل، هم الأسباط، كل سبط صار قبيلة من أسباب إبراهيم عليه السلام، لأن إبراهيم هو والد إسحاق، وإسحاق هو والد يعقوب، والأسباط هم ذرية يعقوب إخوان يوسف عليه السلام، فلما قال هذا الكلام يبايعني من كل قبيلة رجل رئيسها شيخها، فبايعه الشيوخ هؤلاء فلزقت يد الرجل بيده، فقال: فيكم الغلو، في قبيلتك، فلتبايعني قبيلتك قصصا، فبايعوه، وشنوا البيع عليه على أن لا غلول، فيكونون صادقين هذه البيعة على أن لا غلول ما في غلول، وهذا شيخ القبيلة ما يدري، فبايعه شيخ القبيلة فلزقت يده بيد يوشع فقال: بايعني قبيلتك، فجاءوا يبايعونه فلزقت يد رجلين أو ثلاثة في يد يوشع فقال عندكم الغلام هاتوه، فجاءوا بمثل رأس البقرة أو الثور من ذهب أُخذ من الغنيمة سرا وخفية فأضيف إلى الغنيمة فأكلتها النار، فقُبلت لأنها لو لم يوضع هذا فيها ما تقبل ما

تأكلها، فقُبلت، فحُبست الشمس ليوشع حتى فرغ وانتصر وجُمعت الغنيمة ودخلوا المدينة وقُبلت الغنيمة أكلتها النار، هذه آية من آيات الله عز وجل، وآيات الله كثيرة التي يؤيد بها رسله عليه الصلاة والسلام تصديقا لهم، وليوقن أقوامهم أنهم صادقون فيما دعوا إليه من التوحيد والشريعة، وما يجب على المكلفين، وهكذا، فهذا دليل الصدق يعني.

فأول شيء: أنه لا يتبع إلا صادق في الجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل، وهداية عباده إليه، وطمعه في الشهادة في سبيله. هذا الأول الأمر الأول.

الثاني: أنه لم يؤخذ من الغنيمة شيء، فلما صدقوا، وجاءوا بالمأخوذ من الغنيمة ورُد إليها أكلتها النار، ودل ذلك على القبول، فدل ذلك على أن الصدق واجب في العبادة، وأن الله لا يقبل إلا من الصادقين، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧] وهكذا، فيكون الإنسان صادقًا في توحيده، صادقًا في صلاته، صادقًا في زكاته، صادقًا في صومه، صادقه في حجه، صادقًا في جهاده، صادقًا في معاملته لله عز وجل، وفي معاملة الخلق، لأنه سيأتي الحديث بعد هذا إن شاء الله "**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبَينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحقت بركة بيعهما**".

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عن أبي خالد حَكيمِ بنِ حزامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قالَ: قَالَ رسولُ الله - ﷺ: «البَيِّعَانِ بالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإنْ صَدَقَا وَبيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بيعِهِمَا، وإنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بركَةُ بَيعِهِما». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذا الحديث الصحيح في بيان شيء من أحكام البيوع، وآدابها، فيقول النبي ﷺ: "**البيعان بالخيار**" والبيعان: البائع والمشتري، غُلب أحدهما على الآخر مثلما يقال: القمران، "**البيعان بالخيار**" المراد بالخيار هنا خيار المجلس في إمضاء البيع، أو التراجع عنه، ما داما في مجلس العقد مجلس الاتفاق سواء طال المجلس، أو قصر، إلا أن يسقطا، سواءً ربع ساعة، أو ساعات متواصلة، فمن حقهما الخيار، بمعنى لو قال بعتك وقال الثاني شريت، فهو بعد هذا كل واحد منهم بالخيار يقول: هوت بدالي من حق هذا وهذا إلا أن يسقطاه، أو يسقطه أحدهما، فيقول: بعتك كذا، ويقول: ما لي خيار، ترى بعت أنا قضيت، فيلزم يلزمه البيع.

والثاني: كذلك شريت لكن قل: ما لي خيار، أنا عازم شريت خلاص، فأسقط حقه في الخيار، سواء أحدهما، أو كلاهما، فمن أسقط حقه سقط حقه، وإلا فهو يلزم ما دام في المجلس، طال المجلس أم قصر، هذا يسمى في الفقه: خيار المجلس. لأنه قد يبذل الإنسان شيء، أو يجيئه مثلا مكالمة يقال: ترى الشيء مطلوب، ترى كذا، السعر أقل مما ينبغي، أو غير ذلك ما داما في المجلس فهما بالخيار، إلا أن يسقطاه ابتداء، فهذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: الصدق، قال النبي ﷺ: "**فإن صدقا**". يعني في بيان مزيا المبيع وما يمدح به المبيع ويرغب فيه، فلابد من الصدق في البيع يقول والله السلعة هذه بكذا، وبها ميزات كذا وكذا ويكون صادقا، وإن كذب فيكون هذا من أسباب محق البركة، قد يمحق عمره هو، لكن إن كان صادقا في بيان المزايا والمرغبات فما يضر، فيبارك له في بيعه، وهذا في الغالب من شأن البائع فلا يغري المشتري بالكذب يقول الصدق، ويقول هذه البقرة، هذه الشاة، هذه الخلفة حليبها كذا، قدره كذا، فيها مزايا كذا، هذه تراها كذا وتراها كذا ما قاله بصدق فهو ما يضره وهو من أسباب البركة.

"وإن كتما" الكتمان للعيوب، يعني سكت عن عيب وهو يعلمه فهو آثم، وهذا من أسباب نزع البركة، وأن يعود عليه العقد هذا بشر وفتنة، فينبغي أن يكون صادقا في بيان المزايا البائع، وفي بيان العيوب لو كان في عيب في السلعة أيا كانت السلعة أرض، سيارة، بهيمة، بيت، بضاعة، فيتعين على البائع الصدق، وعدم الكتمان، وكان ابن عمر ﵄ إذا باع سلعة على شخص قال: يا هذا إن الذي أخذنا منك أحب إلينا من الذي أعطيناك، فإن شئت فأمضي الشراء وإن شئت فارجع عنه، نصيحة، فهكذا، ولذلك النبي ﷺ قال: "فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما" فهذا فيه إثبات خيار المجلس، وإثبات النصيحة من المسلم لأخيه البائع من المشتري، والمشتري للبائع، لو عرض البائع السلعة بثمن أقل مما تستحق يقول له ترى السلعة تسوى أكثر من هذا ما في شيء نصيحة، والذي هو مكتوب في السماء هو الذي سيجري في الأرض، فواجب النصح أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، ولا تقول له سوي دراسة على هذا الشيء، استشر أحد من أهل الخبرة ترى الأمور تتفاوت، والوقت يعني الناس عندهم إشاعات وعندهم كذا وكذا تثبتا، أنا سآخذها بهذا السعر وأنت تشوف هي تناسبك ولا لا، البائع يقول: أنا أبيعها بهذا السعر، شوف تناسبك تشتريها ولا لا، هذا الذي ينبغي لأن الدين النصيحة، فتحب لأخيك ما تحب لنفسك، هذه النصيحة.

وكان النبي ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة النصح لكل مسلم، يأخذ شرط على البيعة ويقول فيما استطعت، وإذا كانت السلعة لأيتام لورثة وأيتام وفيهم قصر أيضا تحتاط لنفسك أنت، لا البائع ولا المشتري أنت البائع وكيل مؤتمن، "ما مِن عَبْدٍ اسْتَرْعاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْها بنَصِيحَةٍ، إلَّا لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الجَنَّةِ".

والمشتري كذلك يتقي الله في السعر وكذا، لا يصير في غش، لا يصير في خديعة، لا يصير في كذا، يقول: أنا تعجبني بهذا السعر وأنتم استخيروا، شاوروا، هذا أقل ما تبرأ به ذمتهم، وإن قال: ترى السعر كذا يختلف من يوم ليوم آخر، ترى الجهة هذه مطلوبة، ترى هذه البضاعة مطلوبة، كذا، فهو أحسن، فيلزمه الصدق والبيان، كل منهما البائع والمشتري، حتى تتحقق لكم البركة ويبقى الود بين الناس، وينقطع دابر الفتنة، ولذلك النبي ﷺ نهى أن يخطب المسلم على خطبة أخيه، وهو يعلم أنه خطب هذه المرأة، ونهى أن يبيع على بيعه.

يقول: أنا أعطيك السلعة بكذا، بأقل، أو أنا آخذها بأكثر، لأن هذا مما يسبب العداوة والبغضاء ... (٠٩:٣٥)، وربما جر إلى جنايات وسفك دم، فلذلك ينبغي للإنسان أن يحتاط لنفسه الدنيا تروح وتيجي، لكن الأعمال تسجل عليك فتحتاج منك إلى تخلص من تبعتها إن كان فيها تبعة، وبدل السلعة سلعة أخرى، وبدل هذا كذا، لا تنظر لساعتك ما ت دري وايش يكون فقد يكون فيها شؤم هذه البضاعة، ومن أسباب الشؤم: الكذب والكتمان والحيل والمكر والغش والربا، والتواطؤ على الخديعة، بعافية أنت، فلابد أن الإنسان يحتاط لذمته، ويحتاط رزقه، وأنه ما يأخذه من وجه حرام، فبعض الناس يصير عنده لباقة، وعنده حرفة في البيع وكذا وكذا، ويكتب يوري يقول كلام يحتمل الأمرين، وهذا غلط ما يجوز التورية، في شيء يترتب عليه فرق مثل الثمن، أو غيره، أو قناعة البائع، أو قناعة المشتري، لا، مثل بعض الناس الحين في بيع الدبش الخلفة أو البقرة أو الشاة أو العنز يقول هي حامل يقول (١١:١٦) ليدخل ثالثة يعني أنا ملقح اثنين اليوم أو أمس، فهذه خديعة، هو يسألك هي حامل ولا لا؟ الناقة أو البقرة هي عُشراء ولا لا؟ الشاة أو العنز هي مضرع ولا لا؟ فتقول كلامٍ يوهم فهذا غلط هذا مكر وحيلة، ويسألون عن الحليب كم هو صاع؟ صاعين؟ كذا؟ فيقول كلام وهو يدري أنه غلط، يغري به، وهذا غلط، لابد أن يكون الصدق بحيث أنه ما يتغير الكلام، حتى لا يكون فيه غبن، لا يكون فيه فتنة، شر، وعداوة، وحسد، فينبغي أن يقول له بالخيار أنت لك يوم، يومين، حتى يحتاط لنفسه.

والنبي ﷺ قال للتجار: "**يا معشر التجار أنتم الفجار، إلا من صدق وبَين**" أو قال: "**التجار هم الفجار**". يعني لأنهم يكذبون ويورون كلاما يحتمل هذا غلط، وقال: إن هذا البيع يخالطه الحلف، فلا تحلف على السلعة ولو أنت صادق، لأن الحلف مما تُنزع به البركة، ومن الناس الذي يبغضهم الله عز وجل، ولا يكلمهم، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة: "**رجلٌ جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه**" عشان يدرج السلعة ويمشيها، وهذا غلط لا تحلف إلا عند القاضي إذا توجهت إليك اليمين في المحكمة، وإلا أنت بعافية، فقال ﷺ: "**إن هذا البيع يخالطه الحلف**".

لأن الناس يجاري بعضهم بعض ولو من غير قصد، قال: "**فشوبوه بالصدقة تكون كفارة**" أكثروا من الصدقة، من أرباحكم.

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام: "**اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن رزق الله لا يجلبه حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإن ما عند الله**" يعني من الرزق - "**لا ينال إلا بطاعته**".

فإذا جاءك رزق بمعصية فهذا شؤم، هذا ابتلاء من الله عز وجل لك، لأن الرزق يشمل الحلال والحرام، والحل والحرمة تكون في طريقة تحصيل الرزق، فبعض الناس يصير نفسه كريمة ويتحرى الحلال، وإن ما اشترى هذا يشتري غيره، وإن ما انباعت السلعة اليوم تنباع غدا، أو بعده، ولا يدرون أين الخيرة في التقديم أو التأخير، وبعض الناس تكون نفسه دنيئة، مثل الذي يأخذ الخبز من الخباز ويغمسه بالمجاري ويأكله، فيحتال من أجل أن يدرج السلعة وينزع البركة وقد يعود الشؤم عليه لأنها تكون سببًا لهلاكه، مع خسارته في الآخرة، فيبيع السيارة وهو يعلم أن فيها غش، يعلم أن فيها خراب، يعلم أن فيها سمكرة، يعلم أن فيها كذا ولا يبين، غلط هذا، بعضهم نقول: ما نشرط شيء، اشرط إذا كنت تعلم اشرط، فلا يجوز أنك تبيع السلعة وأنت تدري أن فيها عيب حرام عليك، لابد من مراعاة أحكام البيوع وآداب البيوع حتى يكون سببا في بركة الرزق، والسلامة من شؤمه ومحقه، والرزق إذا كان ممحوق فهو يمحق صاحبه كما قال النبي ﷺ: "**إن الربا وإن كثُر فعاقبته إلى قلة**" يعني يكثر بين يديك لكن يمحق يجيك وقت آخر ويذهب كله وما وراءه أيضًا، ويمحق العمر، فهذا حديث عظيم: "**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبَينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**".

والحديث الآخر: "**إن رزق الله لا يجلبه حرص حريص، ولا ترده كراهة كاره، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته**".

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب المراقبة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران:٥].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر:١٤].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر:١٩] .

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فلما ذكر الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ وإيانا الأحاديث والآيات الواردة في شأن الصدق نبه على ضرورة صدق المراقبة لله جل وعلا، وأن العبد يعبد الله جل وعلا على أكمل الوجوه وأحسنها وهو الإحسان، قال ﷺ: "**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراك، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**". يعني فاعلم أنه تعالى يراك، فالأول يسمى: مقام المشاهدة مرتبة المشاهدة، وهي أعلى مقامات العبد، وأحبها إلى الله عز وجل.

والثانية دونها وهي عظيمة وعلية: وهي المراقبة، أن تستحضر وتستيقن أن الله تعالى يراك في جميع أحوالك، وأنه لا تخفى عليه منك خافية، فلا يفقدك حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك، ولا تبارزه بالمعصية وأنت تعلم، ولا تصر على الخطيئة وأنت تعلم، ولا تغفل فإنه ليس بمغفولٍ عنك، وأهم شيء أنك تهتم بصلاح قلبك لقول النبي ﷺ: "**ألا وإن لكل ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلُحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**".

فاحرص على أن لا يصل قلبك إلا الخير، العلم النافع، والعمل الصالح، والاعتبار بآيات الله تعالى في الأنفس والآفاق، والتذكر لأسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحكيمة، وأفضاله العظيمة، حتى تستحي من الله، وتشكر الله عز وجل على إحسانه، وتعترف له بنعمته، ولا تجرأ أن تواجه الله عز وجل بمعصيته، وأنت في ملكه على أرضه، وأمام سمعه وبصره،.

وأنت لا تستغني عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأنت في طريقك إليه بكل حال، فارجوا الله أن تلقى الله تعالى على أحسن أحوالك لا على أردئها، ولهذا نبه النبي ﷺ على العناية بصلاح القلوب، والقلب هو ملك الجسد، وقصره هو الصدر، وهو مصدر كل القوى التي في الجسم:

أولها: الدم، ثم الأعصاب، فجسم الإنسان عبارة عن دولة مكتملة البناء أجهزة، أجهزة تغذية، وأجهزة تصريف، وأجهزة مناعة ودفاع، وأجهزة صيانة وتجديد، وأجهزة كذا، وأجهزة كذا، ما لا يحصيه إلا الله، وقد تهول الأطباء مما في جسد الإنسان من القوى الخفية، ومع ذلك فالله يجدد عليك نعمته كل يوم يبعثك في آخر الليل حيًا، لتستزيد من صالح عملك، وتعتذر من تقصيرك وزللك، وتشكر نعمة الله عليك حتى يزيدك الله عز وجل من فضله، يستحي الإنسان من الله جل وعلا كيف هذا، فالملك هو القلب، القلب ملك الجسد مثل ملك الدولة، ملك الدولة هو يعيش أبدا؟ يصاب بالزهايمر، ويصاب بالقتل، ويصاب بالأجل، كل شيء، ويغير نفس الشيء عادي وإذا دخل فهو خادم للجسم، مثلما أن الملك أو الرئيس خادم للشعب، عادي، ولذلك الله جعل الفقه في القلوب قال في ذم الكفار: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ [الحج:٤٦] وفي الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٧٩] وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج:٤٦].

فالقلب: هو الملك، والملك له ولي عهد، ووزير مفوض، هو الدماغ والمخيخ، فالقلب يقرر ويختار وهذان ينفذان، فإذا حافظت على قلبك حافظت على دينك وإيمانك، ولن تحافظ إلا بالذل لله جل وعلا، والاستكانة له سبحانه، والاعتراف بفضله ونعمته، والإلحاح عليه بالاستزادة من ذلك، ودوام العافية، وأن تبصر قلبك بآيات الله تتلو آيات الله جل وعلا، وتتدبر معاني أسمائه وصفاته، وتحذر من جوارك لا توصل إلى قلبك شيء يضرك، فإن الأُذن تدخل على القلب شيء ينفع وشيء يضر، كتلاوة القرآن، وسماع الذكر، وغير ذلك، ينفع، والغناء والمزامير والكلام والباطل والكذب يضر، هكذا، العين منفذ إلى القلب نفس الشيء تُدخل له الصور الفاتنة، والصور التي تحمل على خشية الله جل وعلا

ورقابته، ولهذا حظ الله على التفكر في السماوات والأرض، وفي الأنفس وآيات الله في الأنفس والآفاق، والتذكر لنعم الله عز وجل، وكم أنجاك الله من هلكة، وكم لطف الله بك عند المصيبة،.

وكم جدد الله عليك من نعمة، وكم سترك من فضيحة، وكم أعانك على خير، وكم أعطاك من الفضل، وكم، وكم، وكم، اجلس مع نفسك ساعة تؤمن، وتتذكر، وتتفكر، ولهذا وصف الله عز وجل أولي الألباب أنهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١] ثم يدعون الله ويتضرعون، ووصف عباد الرحمن بأنهم ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤] إلى غير ذلك.

ووصفهم بأنهم أولوا الألباب، والذي لا يجلس مع نفسه غافل، والغفلة إذا استحكمت قسى القلب، وهذا هو الران ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٤ - ١٦].

وبعد سنوات قلائل من الإسلام استبطأ الله قلوب المؤمنين ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ [الحديد: ١٦ - ١٧] يعني يحيي القلوب كذلك بعد موتها، وهكذا، فينبغي للإنسان أن يتفكر اذكر رقابة الله عليك، فالله يراك حين تقوم آخر الليل، ويراك بين الناس، ومع من أنت من الناس، وفي أي فعل تسويه يرضاه الله منك ولا ما يرضاه، والله قادر عليك وجنوده محيطة بك، وأمره نافذ فيك، إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، وإن شكرت رضي عنك وزادك، وإن كفرت أمهلك لعلك تستعتب وتتوب، وإلا أخذك أخذ عزيز مقتدر.

فاستحِ من الله، واشكر الله، يراك حين تقوم، ومعك أينما كنت، وأفضل الإيمان: أن تعلم أن الله معك أينما كنت، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة:٧].

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦].

لا تظن أنه مغفول عنك، لا تبارز الله بالمعصية ابتداءً، وإذا عصيت فلا تصر بادر بالتوبة هربا إلى الله منه اهرب من الله منه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١] فلا مفر من الله تعالى إلا إليه؛ قالت الجن: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ۝١٢ ﴾ [الجن:١٢].

فتذكر أن الله معك بجميع أحوالك، وقادر عليك، وأنك فقير إليه، ونعمه متجددة في كل لحظة، نبضة الدم في العرق، لو ما نبض كان يستجلط الدم، وتصاب بشلل، وأمراض ما يعلمها إلا الله جل وعلا، تذكر أن الله جعل في رأسك عيونا تجري ما تستغني عن واحدا منها، ففي فمك لعاب يسيل، لتستمرئ الطعام، وتهضم الطعام، ولا تغص فيه، ولا ينشب حلقك ومعدتك، وتذكر أن في أنفك عين جارية أخرى تمسك الرطوبات، وتطيب النفس، وغير ذلك، لو انسدت واحدة من هذه العيون ايش يكون؟ أن في عينك عينًا جارية تحافظ على نظافتها وطهارتها، في أذنك عين جارية تحافظ على سلامتها من الخشاش والدواب وتهلك أي شيء يدخل في أذنك يهلك، فجعل الله عين الفم جارية عذبة لفوائد الهضم والأكل والشرب وغير ذلك، وجعل الله عين الأنف مالغة لا هي مالحة ولا حلوة بين ذلك، وجعل الله العين مالحة حتى تكون مطهرة طول الوقت، وجعل الله الإغضاء في العين تتجدد عليك النعمة، وتتحرك هذه العينة، ويخرج الدمع، ولو أن هذا الشريان الذي يمد العين وقف تكدرت حياتك وهلكت أو شقيت، وجعل الله عين الأذن مرة حتى ما دخلها من خشاش يهلك، وتخرج الأذى الذي في الأذن بين وقت وآخر، هذه نعم متجددة.

فالإنسان يذكر هذا ويذكر أن الله كل يوم يبعثه فقد جدد عليه النعمة بالحياة "**خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله، المؤمن لا يزيده عمرا إلا خيرا، أفضل المسلمين في الإسلام من يُفسح له في أجله بتسبيح الله تعالى وتقديسه**"، نعم متجددة، جهاز عصبي في جسمك، جهاز دموي في جسمك، جهاز غذائي يوزع الغذاء على جسمك، جهاز نظافة يخرج الأذى منك، كل هذه في جسدك دولة متكاملة الأركان لو تعثر واحدٍ منها تعثرت حياتك وتكدرت وشقيت وهلكت، وهذه نعم لا تحصى، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ۝٣٤ ﴾ [إبراهيم:٣٤].

ومع ظلم الإنسان وكفره يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل:١٨].

آيتين من كتاب الله، فإذا لم يفرغ الإنسان ليحصي نعم الله عليه ويستذكرها ويقارن هذه النعم بمعاصيه وسوء أدبه مع الله متى يتذكر أيتذكر إذا حضره الأجل؟ !

إذا حضره الأجل مشغول بشيء ثاني هو !! بل يرى قبل فراق الدنيا مقعدة إما من الجنة وإما من النار، فالمؤمن يبشر بما يسره، ويحب لقاء الله والله تعالى للقائه أحب، والفجر يبشر بما يسوئه فيكره لقاء الله والله تعالى للقائه أكره، ولابد له من الموت.

أما أن إنسان لاجئ في هذه الدنيا يركض الليل والنهار، ومشغول ذهنه، ومشغول بكل شيء لا يفرغ يقرأ القرآن، لا يفرغ يذكر الله عز وجل، لا يفرغ يتفكر، لا يفرغ يحسن، لا يفرغ يتوب، لا يفرغ يجدد العمل، لا يفرغ يجدد العهد مع الله عز وجل، فمتى يفرغ أجل؟! والله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ ﴾ [الشرح:٧] يعني في العبادة، ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح:٨] فإذا ما نصبت العبادة الحين بصحتك وقوتك وكمال قوتك وكمال أجهزتك متى تفرغ؟ !، وإذا ما رغبت إلى الله في حال النعم ترغب إلى الله في حال الشدة؟ !

ما ينفعك ... (١٥:٠٤) فلا تقبل التوبة إذا غرغر الإنسان، فيحتاج الإنسان إلى وقفة جادة وروية صادقة، ومن ذلك أنك تذكر رقابة الله عليك، طول اليقظة، طول نومك والله يراك والله معك بعلمته وإحاطته وقدرته وعزته، ومعك إذا كنت تقيا بكلاءته وحفظه ورعايته وتسديده وإعانته، "**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف**".

هذا مفروغ منه من قبل لا تتعلق بالخلق، تعلق بالخالق، وكن مع الله عز وجل يكن معك، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل:١٢٨].

هكذا ينبغي للإنسان، اقرؤوا هذه الآيات هذا الحين إذا طلعتم اقرأوها وتفكروا فيها وراجعوا تفسيرها تفسير السعدي، ولا ابن كثير، ولا غيرهم، حتى تنظرون، تنظرون كيف أن الغفلة مستحكمة مع

القلوب، كيف أن الناس يجاري بعضهم بعض، كلامهم والله إحنا بنعمة وطيبين على العادة والإلف، لكن في الواقع لا إحنا عاصين هذا عاصٍ في وجهه، وهذا عاصٍ في ثوبه، وهذا عاصٍ في أذنه، وهذا عاصٍ في سمعه، وهذا عاصٍ في يده، وهذا عاصٍ في فرجه، وهذا عاصٍ في أدب الاعتراف بنعمة الله عليه، ونسبة النعم إلى أسبابه هو وإلى أسباب الخلق، كلنا عاصين الله يتوب علينا وعليكم إخواننا المسلمين.

وقليل من عباد الله الشكور والله تعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣] ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤] ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود:٤٠]؛ فكن من هذا القليل ولا تكن من الكثير، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦] ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف:١٠٣] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٦ – ١٠٧].

فإلى متى؟ متى تتفكر؟ كان الصحابة رضي الله عنهم إذا التقى أحدهم بالآخر قال: اجلس بنا نؤمن ساعة، نتذاكر، نتذاكر نعم الله علينا، ونتذاكر أدبنا مع الله هل إحنا متأدبين؟ إنسان يقيم على معصية الله عشرين سنة، ثلاثين سنة، خمسين سنة هذا متأدب مع الله؟ والله ما تأدب ولا عرف الأدب، يترك الواجب، يفعل المحرم، يصر على الخطيئة، ينسب النعمة إلى أسبابه وقوته، وإلى أسباب الخلق، ولا يعترف إلا بفضله، ولا يستعملها في طاعته، ولا يحسن بها إلى خلقه إلا هيومات مناسبات، لكن هل في صدقة كل يوم؟ هل في صدقة كل أسبوع؟ هل في صدقة كل شهر؟ ما في، وذكرت لكم قبل سَنة قلت في الآن منصة إحسان كل يوم اجعل فيها ريال واحد بس، حتى تصبح متصدقا، يقول الملك الذي ينزل من السماء: "**اللهم أعط منفقا خلفا**"، ولا تصبح بخيلا حتى ما يقول الملك الآخر: "**اللهم أعط ممسكا تلفا**" يضرك هذا؟ يوم ريال بالشهر ثلاثين ريال تستكثر؟ ! كل المتصدقين، فإن الله يجزي المتصدقين، ويحب المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، كن صاحب صلاة ليل، كن صاحب صلاة ضحى، كن صاحب أوراد صباح ومساء، اجلس بعد الصلاة في المسجد لك عشر دقائق ربع ساعة، فتستوطن المسجد يتبشبش الله لك كما يتبشبش أهل الغائب الذي طالت غيبته به إذا قدم عليهم، كن من أهل المسجد، هكذا ينبغي، وإذا كنت أنت في غفلة وايش لون أهل البيت، وايش لون المرأة، وايش لون الولد، وايش لون الزوج الخادم، الخادمة، العامل الذي عنده، القريب، الجار، "**خير عباد الله من إذا رُئي ذُكر الله**".

لأنه يلهج بذكر الله، أن وجهه منور بطاعة الله، لأنه متعلق بشيء من العبادات ظاهرة عليه، متميز عن غيره، حتى يغبط ويقتدى به، فهذه هي المراقبة:

الأول: كأنك تعبد الله كأنك تشاهده، ولذلك قال ﷺ: "**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فاعلم أنه يراك**" فتأدب مع الله لأنه يراك، وأنت تعصي الله في ملكه وأمام سمعه وأمام بصره وجنوده محيطة بك، ونعمه في جوفك، وعافيته عليك، وكذا، وكذا، وكذا فما تستحي؟

والله كان ذكرنا هذا لكان الإنسان يبكي خاليًا، ومن السبعة الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله جعلنا الله وإياكم من أئمتهم: "**رجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**" لو خرج من العين مثل الذباب دمعة حرمها الله على النار، متى تخرج هذه الدمعة إذا لم نفرغ؟ إذا لم نتذكر؟ إذا لم نتفكر؟ إذا لم نكن من أولي الألباب؟ إذا لم نحصي النعم؟ إذا لم نحصي ذنوبنا؟

سبحان الله، لو الواحد أسدى جميل لواحد ثاني ذكره طول العمر أني سويت به ولا نفعه المعروف، طيب الله كريم يسوي بك من الإحسان والفضل، ولا يمن عليك بمعروف ولا يؤدبك مع الله عز وجل ولا يجعلك تشكر وتذكر وتحصي، فالحقيقة أننا بحاجة إلى المراجعة مراجعة النفس، وأن الإنسان يكون له منهج جديد يستدرك به بقية الأمر، الله يمد بأعمارنا وإياكم على طاعته، ويحسن خواتيم الجميع، ويعيذنا من مضرات الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويجعل المنقلب من الدنيا إلى الجنة، وأن يجعلنا أسوة صالحة لمن أراد به خيرا من خلقه، هكذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قالَ: بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُول الله - ﷺ - ذَاتَ يَومٍ، إذْ طَلَعَ عَلَينا رَجُلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيهِ أثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبيّ - ﷺ - فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيهِ إِلَى رُكْبَتَيهِ، وَوَضعَ كَفَّيهِ عَلَى فَخِذَيهِ، وَقالَ: يَا مُحَمَّدُ، أخْبرني عَنِ الإسلامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله - ﷺ: «الإسلامُ: أَنْ تَشْهدَ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصومَ رَمَضانَ، وَتَحُجَّ البَيتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقهُ! قَالَ: فَأَخْبرنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أنْ تُؤمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخر، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدقت. قَالَ: فأَخبرني عَنِ الإحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فأخبِرنِي عَنْ أَمَاراتِهَا. قَالَ: «أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ». ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «فإنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينكُمْ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذه حادثة فريدة نادرة، وهي أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم كانوا حول النبي ﷺ، وهم دائمًا يجالسون النبي ﷺ، ولا يخلو مجلس يكون النبي ﷺ فيه إلا يكون من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم من هو موجود لحراسة النبي ﷺ من أذى اليهود والمنافقين وجهلة الأعراب، ولأخذ العلم عن النبي ﷺ ويبلغ الحاضر الغائب، هذه طريقتهم، حتى كان الجاران من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ينزل كل واحد منهم إلى النبي ﷺ يوما، والآخر يبقى في أهله ويرعى أحوال أهل الجهلة خصوصا في المزارع النائية في المدينة، فإذا رجع أخبر أخاه بما سمع من النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ قال: "**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه غير فقيه، رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**".

وقال عليه الصلاة والسلام: "**بلغوا عني ولو آية**".

وقال: "**ألا فليبلغ الشاهد منكم الحاضر الغائب**".

وكانوا قد نُهوا عن كثرة سؤال النبي ﷺ خشية أن يتسببوا في زيادة التكاليف الشرعية، وما قد لا يطيقونه، والله تعالى سكت عن أشياء رحمةً بالمسلمين غير نسيان فلا ينبغي أن يسألوا عنها الأسئلة الافتراضية التي فيها تكلف، ونحو هذا، فكان يعجبه من يأتي الرجل العاقل من أهل البادية فيسأل مثل وفاد الضمام من ثعلبة من وفد عبد القيس وغيره وغيره من بني بكر، فإذا لم يكن هذا وقد يقول لهم النبي ﷺ: "**سلوني**".

وقد يستأذن أحد منهم ويسأل، لأنهم حريصون رضي الله عنهم على العلم وعلى الفقه، حتى كان قائلهم يقول: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك؟ فيقول: "**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**".

ويقول الآخر: دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ ويقول: أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟

فكان يجيبهم على أسئلتهم، ففي هذه المرة تفاوتت الأمور فأرسل الله عز وجل جبرائيل عليه السلام، وجبرائيل عليه السلام هو أعظم الملائكة خِلقة، وأقرب الملائكة إلى الله جل وعلا، وهو ملك الوحي، ورآه النبي ﷺ على صورته التي خُلق عليها له ستمائة جناح، كل جناح منه مد البصر، وعدد الأجنحة يدل على عِظم الشأن، وعِظم المسئولية، كلما زاد دل على عظم الشأن وعظم المسئولية، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١﴾ [فاطر: ١].

ومع عِظم خلق هذا الملك العظيم كان يأتي النبي ﷺ في صورة إنسان، ويجلس مع النبي ﷺ، إلى جنب النبي ﷺ في حضور الصحابة ما يدرون من هو، حتى يخبرهم النبي ﷺ، وكان كثيرًا ما يأتي في صورة رجل من الصحابة وقور الهيئة صاحب عبادة وديانة ومكارم أخلاق يقال له: دحية الكلبي، لكن هذه المرة جاءهم في صورة أخرى جاءهم في صورة رجل في غاية الكهولة، يعني بالأربعين إلى الخمسين، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد. فلا يرى عليه أثر السفر حتى يقولون هذا قادم من سفر وافد على النبي ﷺ، ولا يعرفه منهم أحد حتى يقال: من أهل المدينة، عجيب هذا الرجل، والصحابة تساءلوا من حين رأوه، ومنهم عمر رضي الله عنه كما وصف هذا.

فجاء وأقبل على النبي ﷺ وكان بارزًا للناس، متميز في جلسته وهيئته في هذه المرة، أما عموم مجالس النبي ﷺ يكون كأحدهم، حتى إن القادم لا يعرفه، يقول أين محمد، هكذا، فيشار إليه، يقال: هذا الرجل المتكئ الأبيض، لكن هذه المرة جاء جبرائيل عليه السلام ووقف، ثم أقبل على النبي ﷺ وجلس إليه جلسة المصلي في التشهد الأول، وألصق ركبتيه بركبتي النبي ﷺ، ووضع كفيه هو على فخذيه هو، وهذا غاية ما يكون من الأدب والاستعداد للتلقي تلقي العلم، وكان من الأحرى أن يقول: يا نبي الله، يا رسول الله، لأنه عرفه واختاره وأقبل عليه، لكنه لم يقل هذا قال: "**يا محمد**" مبالغة في التعمية حتى لا يُفطن له ويُنشغل به حتى يذهب، هذه الحكمة.

"**فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟**" ما حقيقة الإسلام؟

والمراد هنا: الاستسلام الظاهر لله تعالى بالأقوال والأعمال فعلا وتركا، ما يحكم به على الشخص بأنه مسلم، فقال النبي ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله. يعني أن تعلم علم يقين أن لا إله حق معبود بالحق إلا الله وحده لا شريك له، وتنطق بهذا ما يكفي عدم النطق، لا، لازم النطق إلا إذا كان الإنسان أخرس، وأنه لابد من الشهادة، والذي ما ينطق بالشهادة ولا يحرص عليها يُخشى عليه أنه يُشغل عند وفاته فلا ينطق بها، ولذلك قال: "**أن تشهد**" يعني باليقين والحق عن علم واعتقاد، شروط لا إله إلا الله: علمٌ يقينٌ وصدقٌ ومحبة وانقياد وقبول للشهادة، فتشهد بهذه الشروط علم ويقين وصدق ومحبة وانقياد وقبول وأخبار، ومحبة لله عز وجل أن لا إله حقٌ ولا معبود بحقٍ إلا الله، تشهد بلسانك معبراً عما في قلبك مُصدقًا لذلك بأقوالك مثل تلاوة القرآن، والأذكار، والدعوات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة، والمشورة بالحق، وهداية من يحتاج إلى هداية لطريقٍ أو غيره، وكل ما يؤدى باللسان تشهد أن لا إله إلا الله، وتقول بقلبك معتقدا أن لا إله حق ولا يعبد بالحق إلا الله وحده لا شريك له، مع أعمال القلب من جهة محبة الله جل وعلا وخوفه ورجائه، والذل له، والإقبال عليه، والرغبة فيما عنده، والرهبة فيما توعد به، فتكون هذه أعمال قلبية لكنها يُصدقها الظاهر.

فإذا قيل لك: اتق الله؟ تتقي الله، وإذا دُعيت إلى خير تُقبل، هذا هو، أن تشهد أن لا إله حقٌ إلا الله وحده لا شريك له، فإن لا إله نافيا استحقاق العبادة عن جميع ما يُعبد من دون الله، وإلا لله مثبتا العبادة لله وحده، والإلهية لله وحده، والعبادة لله وحده، وأن محمدًا رسول الله تشهد أن محمدا رسول الله، خاتم النبيين، وأشرف المرسلين، والمبعوث بآخر دين، والدين الحق العام الذي لا يقبله الله عز وجل من المكلفين دين سواه، أبطل الله به الأديان السابقة فمن لم يدخل في الإسلام فهو كافر أيا كان، ولذلك قال ﷺ: "**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**".

وقال: "**لو كان أخي موسى حيًا - عليه السلام - ما وسعه إلا أن يتبعني**".

واستدل العلماء من الصحابة ومن بعدهم على أن الخضر عليه السلام ميت ولو كان حيا لجاء إلى النبي ﷺ وبايعه على الإسلام، وأعانه، أن تشهد أن لا إله إلا الله مقتضى هذه الشهادة أن تخلص الدين لله وحده الذي شرعه الله، ما تخترع ولا تتبع من اخترع، لكن الدين الذي شرعه الله، فتخلص الدين لله جل وعلا، وتخلص المتابعة على الدين في الأداء والكيفية للنبي ﷺ، وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فتصدقه فيما أخبر كل ما أخبر به، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وتطيعه فيما أمرك، إذا أمرك بشيء تبادر إليه وتؤدي منه ما استطعت، وإذا نهاك عن شيء تجتنبه وتتركه، وتُبعد عنه وعن حماه وعما يغريك بالوقوع فيه، فتصدق النبي ﷺ فيما أخبر، وتطيعه فيما أمر، وتجتنب ما نهاك عنه وزجر، ولا تعبد الله عز وجل إلا فيما شرع، وعلى الكيفية التي بينها النبي ﷺ.

كما قال: "**صلوا كما رأيتموني أصلي**"، وقال عليه الصلاة والسلام: "**خذوا عني مناسككم**".

وبين ﷺ كيفية الوضوء، وكيفية الصلاة، وكيفية التشهد، وما يقال في أركان الصلاة وغيرها، هذا هو مقتضى الشهادتين: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة تقيم الصلاة كاملة بأركانها، بشروطها وأركانها، ومستحباتها، وسننها، وتترك ما يحرم فيها وما يكره، وتحافظ عليها في أوقاتها، وتقبل بها على الله عز وجل حتى تصلي صلاة مودع كأنها آخر صلاة لك، فإن النبي ﷺ أرشد إلى أنك تصلي صلاة مودع، وتفترض أن هذه آخر صلاة لك تصليها، لأنك ما تدري ما في الغيب والغيب من المستقبل والماضي.

[ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها]، فتقيم الصلاة، تداوم عليها، تحافظ عليها، تؤديها في الجماعة وأنت رجل، إلا من عذر شرعي.

"**تؤدي الصلاة**" وفي الحديث الآخر: "**المكتوبة**" المفروضة عليك، ومن عظم شأن الصلاة أمور ثلاثة:

الأول: أن الله عز وجل استدعى نبيه ﷺ من شأنها من الأرض إلى السماء، حتى بلغ النبي ﷺ مكانا لم يبلغه غيره من المكلفين، وحتى إنه وصل إلى مستوى يسمع فيه صرير الأقلام والملائكة تكتب بالمقادير، وفرض عليه الصلاة هذا الأمر الأول.

والثاني: أن الله جل وعلا فرضها خمسين ثم لطف بالعباد وخففها خمسًا خمسا، حتى استقرت على خمس وكتب الله لهذه الأمة أجر خمسين، فهذا أجر عظيم يعني كل خمس بعشر صلوات فرائض، وهذا يدل على عظم منزلة الصلاة عند الله جل وعلا.

والثالث: أنه لما أصبح النبي ﷺ من ليلة الإسراء والمعراج جاءه جبرائيل عليه السلام الظهر، وصلى بالنبي ﷺ الصلوات الخمس في أول الوقت والكيفية، ثم جاءه في اليوم الثاني وصلى به الصلوات الخمس في آخر الوقت في الأوقات والكيفية، وقال: "**الصلاة ما بين هذين**"، فتلقاها النبي ﷺ عن جبرائيل بوحيٍ من الله جل وعلا، وقال للصحابة: "**صلوا كما رأيتموني أصلي**".

وهذا يدل على العناية بشأن الصلاة، وأن الصلاة لا تقدم على وقتها، ولا تؤخر عن وقتها إلا لعذر مثل الجمع للمريض، وهذه الأعذار، والمسافر، ونحو ذلك، فأوقاتها ثلاثة، الفجر له وقته الخاص، والظهر والعصر لهما وقت، والمغرب والعشاء لهما وقت، تُقدم وتؤخر حسب الظروف والأحوال والطوارئ، فوقت الفجر من حين طلوع الفجر إلى أن يُسفر جدا، يعني ساعة إلا ربع تقريبا، فهذا وقت الأداء والفضيلة، ومن هذا إلى أن يميل حاجب الشمس هذا وقت الضرورة لأهل الأعذار والظروف الطارئة، فمن له عذر فصلاته مقبولة، ومن ليس له عذر فهو آثم وإن أداها في هذا الوقت، لأنه مُفرط، أخرها من حين يسفر جدا إلى أن تطلع الشمس وهذا غلط إلا إذا كان عذر.

وصلاة الظهر من حين الزوال يتحقق الزوال إلى أن يصير ظل الشيء مثله، فهذا وقت أداء، وإلى أن يدخل وقت العصر هذا وقت ضرورة وحاجة والعوارض والطوارئ، والعصر كذلك من حين يصير ظل الشيء مثليه إلى أن تصفر الشمس هذا وقت أداء، من اصفرار الشمس إلى أن تتكئ المغيب هذا ضرورة إذا أداها في وقت الضرورة تصح، لكن مع الإثم إذا كان مفرطا، معذورا، المغرب من حين تغرب الشمس تحقق الغروب إلى أن يغيب الشفق يعني ساعة وثلث تقريبا يعني ما بين ساعة وثلث إلى ساعة ونصف، يختلف من وقت إلى آخر، والعشاء من غروب الشفق أو مضي ساعة ونصف من غروب الشمس، إلى نصف الليل على الراجح، إذا انتصف الليل انتهى الوقت ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ [الإسراء:٧٨] يعني زوال الشمس يدخل فيها الظهر والعصر ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾ أول الليل المغرب، وآخره العشاء، إلى نصف الليل، وما بين نصف الليل وطلوع الفجر هذا برزخ مثلما بين طلوع الشمس والظهر، فهذا الوقت، فمحدد الوقت بالفعل والقول والبيان وكل شيء، وهذا يدل على أهمية الصلاة ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه:١٤].

والنبي ﷺ سُئل عن أفضل الأعمال؟ قال: "**الصلاة في وقتها**" بعد التوحيد، وهكذا الزكاة فريضة الله في المال مثلما أن الصلاة فريضة الله في البدن، والبدن يصير كون الإنسان يصلي لله فهو متصل بالله جل وعلا، وموصول من الله بخيره وبره، فالزكاة فريضة الله في المال، قسمها الله تعالى بنفسه من فوق سبع سماوات بين أهلها، فلم يكل قسمتها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا لاجتهاد الناس، فتُخرج الزكاة في وقتها من المال المعين والقدر المعين وتعطى لمستحقها ولا تبرأ الذمة إلا بهذا، ومن منعها مقتدرا أُخذت منه قهرا وتبرأ الذمة، ومن منعها جحودا فإنه يكفر مثل الصلاة إذا تركها جحودا أو عمدا فهو يكفر الجحود ما فيه إشكال، ولكن عمدا حتى يخرج وقتها فلا تقبل، ولهذا قال ﷺ: "**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**".

وهكذا صوم رمضان في وقته، أو قضاء العذر بعد وقته، وهكذا الحج، هذه العبادات الصلاة يومية، والزكاة حولية، والصيام حولي، والحج عمري، والعمرة تبع له، مستقلة أو معه، فهذا الإسلام من أدى هذه الأركان حُكم بإسلامه، وكان النبي ﷺ إذا أراد أن يغزوا قوما أول شيء: يستمع الأذان، إن سمع

أذانا كف عنهم، لأنهم محكوم بإسلامهم، وإن لم يسمع إسلام أغار عليهم، فهذه أركان الإسلام الظاهرة التي يحصل بها الاستسلام الظاهر.

قد يكون حقيقيا عن إيمان باطل وقد يكون نفاق لخوف السلطان والسيف، والمحافظة على مصالح الدنيا، هكذا يفعل المنافقون وهم ما هم مسلمون كفار، لكنهم تظاهروا بالإسلام لأغراض دنيوية، فأخبر النبي ﷺ عن الإسلام بهذا البيان الواضح الجلي الذي لا يحتمل تأويل، تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام، هكذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

في حديث جبريل الطويل عندما سأل النبي ﷺ عن الإحسان، قَالَ: فأَخْبرني عَنِ الإحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرني عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فأخبِرني عَنْ أَمَاراتِهَا. قَالَ: «أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيَانِ». ثُمَّ انطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «فإِنَّهُ جِبْريلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينكُمْ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فما سمعتم هو ختام سؤال جبرائيل عليه السلام للنبي ﷺ، قال: أخبرني عن الإحسان؟ فقال له النبي ﷺ: "**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**" ومعنى تعبد الله: يعني تطيع الله جل وعلا بامتثال أوامره فعلا، وترك نواهيه اجتناب نواهيه تركا، والتوبة إلى الله عز وجل من مخالفته بترك واجب أو فعل محرم، فالعبد اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والمقاصد والأقوال الظاهرة والخفية تؤدى لله جل وعلا على وجه الحب والتعظيم له سبحانه وتعالى، والرغبة إليه والرهبة منه، والخوف من سخطه وعقوبته، كل ذلك طمعًا في ثوابه ورحمته، وحذرًا من سخطه وعقوبته، فأرشد النبي ﷺ إلى أن الإحسان في عبادة الله هو هكذا أن تعبد الله تعالى بطاعته راغبًا راهبا، راجيا خائفا، مقبلا غير مدبر، و تحافظ على عبادتك من أسباب بطلانها، أو حبوط ثوابها، أو غير ذلك.

فتعبد الله تعالى على إحدى مرتبتين:

الأولى: إن قدرت عليها أن تعبد الله تعالى كأنك تراه، كأنك تشاهده .

ومعلوم أن الإنسان إذا عبد الله على هذا الوجه كأنه يرى الله تعالى يتأدب، فلا يظهر بمظهر لا يليق، ولا يتكلم بمعصية، ولا يترك واجبا، ويشتغل بذكر الله جل وعلا، والاستعانة به على طاعته، ويحذر من محبطات الأعمال، ومفسدات الأجور، وأن تعبد الله كأنك تراه، ولهذا جاء في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال: "**صلِّ صلاة مودع**" وهكذا، وتزكي زكاة مودع، تصوم صيام مودع، تحج وتعتمر حج مودع، بر الوالدين كذلك.

عشرة الزوجة كذلك، التعامل مع الناس كذلك، تفترض أن هذا قد يكون آخر عملك، ويُختم لك به، وتُبعث عليه، كما صح في الحديث عن النبي ﷺ قال: "**يُبعث كل عبد على ما مات عليه**".

فالعمل الذي تحب أن تلقى الله تعالى به الزمه حتى يأتيك اليقين وهو الموت، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩] هكذا.

واعلم أن الله يراك فكيف تعصي الله عز وجل وهو يراك، كيف تلتفت بقلبك إلى مخلوق والله يعلم قلبك وما اشتمل عليه من المقصد والنية، كيف تلتفت ببدنك وأنت تصلي عن القبلة من غير حاجة، كيف تشتغل في صلاتك في الدنيا، ما يليق، كل هذا ما يليق لأنه غفلة عن الله عز وجل وإعراضٌ عنه، وبعدين أنت متصل بالله جل وعلا في صلاتك، وهكذا سائر عباداتك، والله تعالى واصلك بخيره وبره، فكيف تلتفت تريد أن تقطع هذه الصلة، وأن تقطع عنك الخير من الله جل وعلا والبر؟ هذا ما يليق بالعاقل أبدا، فبَين ﷺ بهذه الأجوبة الثلاثة: "الإسلام، والإيمان والإحسان" مراتب الدين الثلاثة:

المرتبة الأولى: الإسلام، وهي الاستسلام لله عز وجل ظاهرا، والالتزام بأحكام الشريعة الظاهرة، قد يكون الإنسان مؤمنا صادقا، وقد يكون كذابا منافقا، ما يلزم أن يكون كل مسلم مؤمن، فالإسلام هو أوسع مراتب الدين دائرة، وأدناها مرتبة، لأنه لبوس ظاهر قد يكون لبوس في الماء ظاهر وباطن، لبوس ظاهر للإنسان وقلبه، وهذا يكون هو الإيمان، وقد يكون لبوس في الظاهر مثل المنافقين وهذا هو الإسلام الظاهر، الإسلام هو أدنى درجات الدين وأوسعها، لأنه يشمل الصادق والكاذب البر والفجر من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

والثانية: الإيمان، وهو أن يتفق الظاهر والباطن على التعبد لله عز وجل، وقصد وجهه سبحانه وتعالى بما شرع وعلى طريقة رسوله ﷺ تقربا إليه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ يحسنون العمل ويخشون أن لا يتقبل منهم ﴿ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون:٥٧- ٦١] .

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ رحمنا الله وإياكم برحمته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الذين هذا وصفهم يعني ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧١ – ٧٢] .

ففصل الرحمة بأنها هذه الأمور رحمة في الدنيا والآخرة، في الدنيا التوفيق للعمل الصالح، والطمع في المتجر الرابح، والتوبة إلى الله عز وجل من القبائح، وفي الآخرة الجنة والرضوان والفوز العظيم والنجاة من الجحيم، وكون الإنسان في منزلة قريبة من الله جل وعلا ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر: ٥٤ – ٥٥] .

والإيمان أكمل من الإسلام، وأدنى من الإحسان، وأضيق من الإسلام، وأعلى مرتبة منه، ثم ذكر الإحسان وهو أعلى المراتب وأكمل أحوال العباد، وأرضى شيء لله جل وعلا، وأعظم سبب لبلوغ رحمة الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال: "أن تعبد الله" أي: مخلصا مقبلا عليه راغبا في ثوابه، راهبا من عقابه، مجتهدا فيما يحب ويرضى، مبتعدا عما يسخط ويأبى، وتلزم هذا حتى تلقى الله عليه، فالإحسان أعلى مراتب الدين، وأشرف مراتب الدين، وأضيق مراتب الدين من أهله هم أقل العباد، لأنهم خُلص، فكل محسن مؤمن ومسلم، ولكن المؤمن محسن، ولكن المسلم مؤمن، فحظ على أداء العمل الصالح على أكمل الوجوه المستطاعة، بحيث أن الإنسان يحافظ على تزكية النفس يطلب من الله أن يزكيها في طاعته تعالى، وذكره، وشكره، وصدق اللجوء إليه، والاعتصام به، والضراعة إليه بمزيد من الهدى، والتثبيت على الحق، وحسن الخواتيم، ويحذر من أسباب مبطلات الأعمال وحبوطها، فلا يقطع الصلاة من غير عذر، ولا يسرح في الصلاة بالهواجس، وهموم الدنيا، وإن حصل منه ذلك رجع إلى الله عز وجل وأناب واستغفر، وهكذا، لا يتعدى على أحد يأخذ حقه، أو ينتهك حرمته، بل يلازم الشرع حتى يكون كامل الدين، فلا يكمل الدين إلا بهذه المراتب الثلاث: الإسلام ظاهرا، والإيمان باطنا، والإحسان في الجميع في الإسلام والإيمان .

وحيث إنه ذُكر في أركان الإيمان الستة: الإيمان باليوم الآخر، سأل جبرائيل النبي ﷺ يقول: "متى الساعة"؟ متى اليوم الآخر؟ متى ... (١٢:٢١)؟

وهذا سؤال لا جواب عليه، لأن الساعة القيامة اختص الله تعالى بها، فلم يطلع على موعدها لا ملكًا مقربا ولا نبيًا مرسلا، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [الأعراف:١٨٧] وفي الآية الأخرى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النازعات:٤٢] متى موعدها؟ ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النازعات:٤٣]؟ اعمل لها ولا عليك متى ما جاءت فأنت على خير، ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النازعات:٤٤] أمرها عند الله عز وجل، ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النازعات:٤٥]، ولهذا لما جاء أعرابي وسأل النبي ﷺ: متى الساعة؟ قال: "ما أعددت لها؟"

هذا الذي ينبغي أن تشتغل فيه أنت، وإلا الساعة ساعة الكون والخلق، هذا أمره عند الله عز وجل، فلذلك قال النبي ﷺ: "ما المسؤول عنها " ما أنا بأعلم منك "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" كلنا لا نعلم، وغيرنا لا يعلم من باب أولى، لأن هذا جبرائيل أشرف رسول ملكي عليه الصلاة والسلام، والنبي محمد ﷺ أشرف رسول بشري إذا كان لا يعلمان متى الساعة فهل غيرهما يعلم؟ لا، فكأنه يقول: لا أدري، علمي علمك، أنت ما عندك علم فأنا ما عندي علم، وهذا مما استأثر الله تعالى به، وهكذا الإنسان إذا سئل عن شيء من أمر الدين وهو لا يعلم؟ يقول: لا أدري .

قال العلماء رحمهم الله: "من قال لا أدري عما لا يعلم فقد أجاب جوابًا سديدا صحيحًا، ومن أخطأ لا أدري فاتته أن يقولها أصيبت مقاتله سئل حتى لا يدري حتى (١٤:٣٠) في الناس، ومن أجاب بغير علم فإنما يضل بنفسه ويضل غيره، وجوابه هذا أعظم إثمًا عند الله من الشرك، لأنه قول على الله تعالى وفي دينه بغير علم، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣].

فجعل القول على الله تعالى وفي دينه بغير علم أعظم من الشرك، وأعلى مرتبة، وأخفق، ولذلك النبي ﷺ بين هذا وقال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".

فقال جبرائيل عليه السلام: "**ما أشراطها**"؟ ما هي المقدمات والعلامات التي تدل على قربها؟ فأرشده النبي ﷺ إلى علامتين متقدمتين تحدثان قبل غيرهما، والنبي ﷺ بعثته من أشراط الساعة، فقد جاء أشراطها، بعثة النبي ﷺ أشراط، لأنه بعث بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا عليه الصلاة والسلام، فهو أول أشراط الساعة، فقال ذكر له علامتين:

العلامة الأولى: "**أن تلد الأمة ربتها**" أو "**ربها**" تلد العبدة المملوكة سيدتها، ليش سيدتها؟ لأنها من زوجها الحر فيتسرى بها، فتكون هي حرة تبع له فتصبح سيدة أمها هي عبدة مملوكة، ما تعتق إلا بإعتاقها أو بموت سيدها، لأنها تعتق الأمة الوالدة بموت سيدها ما تورث خلاص تعتق، وتلد الأمة سيدتها، أو ربها، ولدها يعني "ربها"، أو "ربتها" بنتها لأن الولد والبنت تبعًا لوالدهما وهو سيد حر وهي عبدة مملوكة، وفُسر هذا بأنه يظهر الإسلام ظهورًا عظيما وتتسع الفتوح، ويكثر الأسرى من الكفار، ويُفرض الرق عليهم، والرق عجز حكمي سببه الكفر، ولي الأمر إذا قاتل الكفار سواء من أهل الكتاب أو من المشركين فإنه بالخيار في أسراهم، إما أن يمن عليهم بمقابل مال، وإما أن يمن عليهم ويتبرع لهم يعتقهم لوجه الله، وإما أن يفرض عليهم الرق، وإما أن يقتلهم لكفرهم خصوصا إذا كانوا من صناديد الكفر، وشياطين الإنس، حتى يُدخل في الأرض ويُرهب الكفار من الكفر، فينظر ما هو أصلح في ذلك الوقت الإسلام ولأهل الإسلام، ولتأليف من لم يدخل في الإسلام هذا يرجع إلى ولي الأمر العام، لأنه هو قائد الجيش، ومرجع الجيش هو في الأمور العسكرية، ويستشير أهل العلم في الأمور الشرعية، فإن هذا خبر هذه علامة تدل على ظهور الإسلام وعز أهله، وأنهم تكون لهم السيادة والقيادة، وتدخل أكثر الأوطان في الإسلام وهذا الذي حصل .

والتفسير الثاني: إنه في آخر الزمان تسوء أخلاق الناس، ويولعون بالدنيا، وينسون أخلاق الإسلام، ويهجرونها استهانةً بها، وعدم مبالاة بها، وجهل بأحكامها، حتى يعامل الولد أباه وأمه معاملة العاق، أو الوالي الظالم، يعقهما حتى يضربهم، حتى يسبهم ويشتمهم، فيصير بمثابة السيد الظالم لجاريته المسكينة، تصير الأم والأب عند الولد كأنهم أسارى ومساكين، وهذا يدل على فساد أوضاع الناس في آخر الزمان، والساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، فالتفسير الأول هذا على أول الأمر في الإسلام، وأنه بشارة بعز الإسلام .

والتفسير الثاني: يدل على إدبار الناس على الإسلام في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة. فإن الناس لا تقوم إلا على شرار الخلق، لأن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد، قال عليه الصلاة والسلام: "**ألا لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**".

فهذه العلامة الأولى على التفسيرين باعتبار أول الأمر، وباعتبار آخر الأمر .

أول الأمر: إقبال الإسلام، وعز أهل الإسلام، وكثرة الدخول فيه، وسعة الملك حتى رأى النبي ﷺ أن أمته تملك ما بين المشرق والمغرب، زُويت له الأرض ورأى ملك الأمة، والثاني باعتبار آخر الأمر وهو انحسار الإسلام حتى إنه ينحسر بين مكة والمدينة يأرز إلى ما بين مكة والمدينة كما تأرز الحية إلى جحرها في آخر الزمان، فهذه الأمارة الأولى على التفسير .

الأمارة الثانية: قال: "**أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**".

وهذا نفس الشيء أن تدخل الأعراب في الإسلام، ويتفقهون في الدين، ويصيرون أمراء بأمراء المؤمنين وولاة الأقاليم، ويعدلون، ويحسنون، ويصيرون وجهاء، وأخيارا وأسوة حسنة لكل من دخل في الإسلام من المسلمين الجدد، ومن أبناء الإسلام الذين نشئوا فيه ويكونون على منهاج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، وأهل القرون المفضلة، فتكون هذه بشارة، وفي أول الأمر .

والثانية: خلاف ذلك تكون في آخر الأمر، ويصير الناس الذين هم أراذل ولئام وجفاة فالجفاة الأعراب أهل الصحراء الذين لا يحسنون الوضوء ولا العبادة، يدخلون في الدنيا ويشتهرون ويصيرون مثلما يسمى: رجال أعمال، وهو جاهل مركب، وجافٍ غليظ، فيصير أسوة سوء بتصرفاته لأنه يشار إليه من أجل الدنيا، ويصير همهما التفاخر في طول المباني وعرضه والشهوات وغير ذلك من أمور اللهو والغفلة، ويصيرون أسوة لضعاف النفوس وأرباب الشهوات والأهواء، ويحتجون بهم، ويكون هذا في آخر الزمان لأنه يقل الفقه في الدين، ويحصل الجفاء، ويتجرأ الناس على أهل العلم ويغمطونهم منزلتهم، ثم يتجرؤون على أهل الحكم وينازعونهم في حكمهم، ويصير وجهاء الناس أشرافهم وأراذلهم، لأنه يتصدر الأشرار والأراذل، وشذاذ الآفاق، وقطاع الطرق، وعصابات الإجرام، وأهل

المخدرات، وغير ذلك مثلما هو واقع في كثير من البلدان اليوم، فتكون هذه علامة أخيرة يعني باعتبار الأمر الأخير، والأولى باعتبار أول الأمر على هذا التفسير، فهذه تعتبر من أشراط الساعة الصغار.

أما الكبار فهي تختلف عن هذا:

أول الكبار خروج الدجال، أعاذنا الله وإياكم من فتنته.

وثانيها: نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وقتله الدجال.

وثالثها: إنه تطلع الشمس من مغربها.

ورابعها: ظهور دابة الأرض، دابة من الأرض مخلوق دابة من الدواب التي على الأرض تعيش تخرج وتسم الناس بسمة، تُميز بين الكافر والمؤمن فتصف المؤمن بالبياض، والكافر بالسواد حتى تبيض الوجوه وتسود وجوه، ويتبايع الناس يقول المؤمن يا كافر بعني هذا الشيء، والكافر يقول: يا مؤمن بعني هذا الشيء، أو اشتري هذا الشيء، وأيهما أولى طلوع الشمس من مغربها، أو دابة الأرض؟ فالأخرى في إثرها وما بينهما فرق، وعندئذ يُختم على القلوب، فالمؤمن لا يكفر والكافر لا يؤمن يُطبع على القلوب، خلاص، ويتبايع الناس متميز الكافر من المؤمن، ثم بعد ذلك بزمن تهب ريح من قبل الشام باردة مسها مس الحرير، وهي باردة تصيب الناس في آباطهم فتقبض أرواح المؤمنين، كل من عنده نسبة من الإيمان تقبضه، ويبقى شرار الخلق يتهارجون كتهارج الحُمر، وعليهم تقوم الساعة، فهذه علامات الساعة الكبرى .

ومن ذلك خسف يكون في المشرق، وخسف في المغرب، وخسف في جزيرة العرب، هذه من الآيات.

وآخر العلامات نار تحشر الناس من قعر عدن تسوقهم إلى بيت المقدس، وتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا تحشرهم جميعا، هذه علامات الساعة الكبرى التي تدل على نهاية الأمر، وقرب خراب الكون، وهلاك من على وجه الأرض جميعا بالصعقة الأولى نفخة الصعق، ثم بعد ذلك نفخة البعث، ثم بعد ذلك خروج الناس من القبور، ثم حشرهم في موقف الحشر، ثم تنقلهم في عرصات القيامة ومن عرصة إلى عرصة ومن ساحة إلى ساحة حتى ينتهون، الكفار

والظلمة من شاء الله من الظلمة إلى النار، والمؤمنون إلى الجنة، جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة، وأجارنا من النار.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

عن أبي ذر جُنْدُب بنِ جُنادَةَ وأبي عبدِ الرحمانِ معاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عن رسولِ الله - ﷺ - قالَ: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ وَأتْبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قد اشتمل هذا الحديث على وصايا جوامع في أمورٍ يتعين على كل مسلم أن يراقب الله تعالى فيها، ويذكر رقابة الله تعالى عليه، فالأولى والثانية وصية بحق الله تعالى، والثالثة وصية بحق الخلق على العبد:

فيقول في الأولى: "**اتق الله حيثما كنت**" هذه وصية النبي ﷺ لهؤلاء الصحابة معاذ بن جبل، وأبي ذر، وجندب بن جنادة، وهي وصية لكل مسلم ولكل أحد.

فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١﴾ [الحج:١].

وقال: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر:١٦].

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ٥﴾ [الطلاق:٥].

وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:٢٨٢].

وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٢٠﴾ [آل عمران:١٢٠].

في آي كثير يأمر الله تعالى عباده ثياب التقوى ويبين لهم ثمراتها، وعواقبها الطيبة على المتقين في عاجل أمره وآجله في الدنيا والآخرة، والنبي ﷺ كان إذا ودع رجلًا من أصحابه أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله تعالى، وبمن معه من المسلمين خيرا، وكان في كل خطبة من خطبه الشعائر خطبتي العيدين، وخطبة الجمعة، وخطبة الاستسقاء، والمواعظ العامة، كلها يبتدئها ﷺ بعد حمد الله.

والثناء عليه بما هو أهله سبحانه، والشهادة له ﷺ بالنبوة والرسالة، يوصي بتقوى الله جل وعلا، حتى عد جملة الفقهاء رحمهم الله: أن الخطبة إذا خلت من الوصية بالتقوى فلا تصح لأنها ناقصة، لكن الشأن ما هي التقوى؟ كيف التقوى؟ كيف تحقيق التقوى؟

فعن علي رضي الله عنه، وعن ابن سيرين رضي الله عنه، قال: "التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك" في أي مكان وزمان لا يراك الله تعالى في مكان أو في شيء أو في حال أو في قول أو في عمل أو في نية لا يحبها، ولا يفقدك سبحانه وتعالى من شيء أمرك الله تعالى به، من تعظيم زمان أو مكان أو عمل أو قول أو فعل أو ترك أو شيء لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك.

وجاء عن بعض السلف ربما عن علي رضي الله عنه تفسير التقوى بقوله: "هي الخوف من الجليل" من الله تعالى "والعمل بالتنزيل، والقناعة من الدنيا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل" ليوم الموت، يوم الموت لا يأتي إلا فجأة فيكون الإنسان مستعد على طول الوقت.

وقال غيره من السلف: التقوى هي أن تعمل بطاعة الله تعالى على نورٍ من الله تعالى، يعني على علم ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله تعالى على نور من الله على علم تخشى عقاب الله، وأكثر الناس المسلمين يعرفون هذا، ويوصي بعضهم بعضا بالتقوى، ويلتزمونها (٠٥:٥٥)، لكن تيجي مواقف وأحوال ما يلتزمون، ولا يفكرون في معناها، والحقيقة أن التقوى في كل مقام بحسبه، المقام والحال والزمان والمكان الذي أنت فيه تذكر ما حق الله تعالى عليك، ما يحبه الله منك، فبادر إليه، وأده على أكمل وأحسن الوجوه المستطاعة، واستغفر من التقصير والقصور والخلل، في كل مقام بحسبه، هذه هي التقوى، فإذا أُذن للصلاة فما التقوى؟ التقوى أنت تتطهر وتتوجه للصلاة في المكان الذي شرع الله لك أن تصلي فيه، التقوى مع الوالدين غض الطرف، وحُسن القول والأدب، والاجتهاد في البر قدر المستطاع، والإصغاء إلى الحاجة المطلوبة والمبادرة في تنفيذها على أحسن شيء، والتقوى مع الزوجة والعشرة بالمعروف، ومع الأولاد مراعاة الله ووصية الله تعالى فيهم ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡ ﴾ [النساء:١١]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦].

مع جارك الإكرام، وكف الأذى عنه، وتحمل أذاه على وجه الإصلاح والنصيحة له بما تراه يستوجب النصيحة من حقه عليك، هذه التقوى.

"اتق الله حيثما كنت" إذا كنت من أهل البيع والشراء التقوى الصدق والبيان وترك الكذب والكتمان، إذا أردت أن تحج التقوى أن تتفقه في مناسك الحج والعمرة، وتلتزم بها، وتؤديها على أحسن وأكمل وجه، ولو أنك أخللت في شيء قبل أن تفارق مكان النسك تسأل حتى إذا يمكن استدراك وتستدرك، إذا له كفارة أو بدل تؤديه، إذا جاء رمضان تعتني بأحكام الصوم، وما يُشرع مع الصوم، وللصوم، وهكذا، فيكون الإنسان حازمًا مع نفسه في كل مقام وحال هو فيها يذكر ما يتقي به الله جل وعلا، هذه معاملة الله عز وجل بالتقوى، وحيث أن الإنسان بشر كما وصفه الله تعالى {ظلومٌ جهول} و {لربه كنود} و {على ذلك شهيد} و {لحب الخير} المال {شديد}، فلابد أن يحصل منه الزلل، إما بترك واجب، أو فعل محرم، أو تقصير في مستحب بالإمكان تحصيله، أو في ارتكاب أمر مشتبه كان من الأولى أن يؤجل حتى يُعرف حكمه، فلابد إنه يحصل للإنسان شيء من الإساءة، فيقول النبي ﷺ: "أتبع الحسنة السيئة تمحها". يعني إذا أسأت فأحسن من جنس ما أسأت فيه، فإذا كان الإساءة في عقوق الوالدين فأحسن، ارجع إلى البر والصلة واعتذر وتلطف، إذا كانت الإساءة في حق الجار اعتذر منه، وإذا كان في أخذ شيء له رده إليه، وهكذا كل مسلم.

إذا كانت الإساءة في كلمة من شرك أو كفر أو غير ذلك استدركها بجنسها، قل: لا إله إلا الله، قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، تب فإن التوبة من أحسن الحسنات بعد السيئات، فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود:١١٤].

لكن على الفور حتى ما تكثر الأوزار وتنساها وتحمل وزرك ووزر غيرك ممن يقتدي بك، أو يحسن الظن بك، فمتى ما أسأت أحسن قبل أن تنسى، قبل أن يدخل عليك الشيطان بالتسويف، قبل أن يقنعك الشيطان بأن لك عذر كل الناس على هذا، أنت من هذا الناس، أنت كذا أنت ما أنت ملك أنت كذا يدخل عليك بالتسويف حتى لا تتوب، وبالتبرير، لأنه يريد أن يُخلفك يعدك ويخلفك ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء:١٢٠] .

فمتى ما أسأت فأحسن، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهذا فيما بينك وبين الله تعالى، وفيما بينك وبين نفسك، أما إذا كانت مظالم خلق فلابد من التخلص بالمظلمة قبل الموت، قبل أن تموت ويموت الطرف الآخر، فإن القضية إذا مات صارت متعلقة يوم القيامة ما تدري وايش يصير يوم القيامة ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧] فلا تقول: أتخلص منه يوم القيامة ما تقدر.

ولذلك قال ابن عباس وغيره رضي الله عنهم من السلف: ليس لقاتلٍ توبة. ليش؟ لأن القاتل المجني عليه ذهب إلى ربه، فأنت ترضي أولياؤه من الأهل لكن هو حقه باقي القضية مؤجلة إلى يوم القيامة يحكم فيها أحكم الحاكمين، انتبه لهذا، سواء كانت قتل، أو جناية على عرض، أو مال، أو انتهاك حرمة، أو شيء، من مات مضى إلى ربه ما بإمكانك تذهب إلى قبره وتتخلص منه، لا، القضية معلقة إلى يوم القيامة، لأن يوم القيامة ما في نتيجة ما في حل إلا أنه يؤخذ من حسناتك مقابل مظلمتك، فإن لم تغطي حسناتك يؤخذ من سيئات المظلوم وتتحمل عليك، بطاقة، مسكين، يتخلص من حقوق الخلق في الدنيا قبل القيامة، ومن ذلك حقوق الخدم والسائقين والعمال الأجراء، لأنه إذا فارقك ما تدري وين راح، ويصعب أنك تصل إليه، يصعب، فلذلك تخلص، خليك أنت المظلوم لا تكون الظالم، فهذا أمر ينبغي التنبه له، ولذلك قرنها النبي ﷺ بالتقوى.

قال: "**وأتبع السيئة**" يعني إذا ارتكبت السيئة "**أتبعها بالحسنة تمحها**" والحسنات ما تمحو إلا حق الخالق جل وعلا، وحق نفسك أنت (١٣:٥٠)، أما حقوق الناس ما تمحو، لابد من أداءها، ولذلك البهائم ما يقال لها: "**كوني ترابا**" حتى يؤخذ للشاة الجماء من الشاة القرناء الجماء أو الجلحاء التي ليس لها قرون من الشاة القرناء التي نطحتها في الحياة، فإذا كان هذا العدل بين البهائم، فما الظن بين بني آدم!، وقد ذكر النبي ﷺ حديثا عظيما عجيبا، أنه يجثو رجلان يوم القيامة بين يدي الله تعالى، مظلوم وظالم، فيقول المظلوم: يا ربي هذا ظلمني، خذ حقي منه، فيقال: خذ من حسناته بقدر مظلمته، فيأخذ جملة من الحسنات ما تكفي، جملة ثانية، ثالثة، رابعة، إلى آخره، حتى تفنى حسناته، يقول: يا ربي حقي، خذ حقي، فيقول الله تعالى له: "**كيف وقد فنيت حسناتك**". وايش يسوي؟ فيسكت قليلا، ثم يقول: يا ربي خذ من سيئاتي فاطرح عليه.

فبكى النبي ﷺ عند هذا، هل إنسان عاقل بحاجة يوم القيامة أن يُحمل بسيئة غيره؟ صعب هذا، وربما قال النبي ﷺ: ما ظنكم بهذا؟. يحمل الذي يقدر عليه، ففي هذه الأثناء والحال لأن الظالم له خبيئة عند الله، ومن الخبايا التي يستخف بها الناس الصوم، فإن الله تعالى قال: "**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلا الصوم فإنه ليّ**".

قال الفقهاء رحمهم الله: أن من خاصية الصوم أنه لله يُخبئ عند الله، ما أحد يدري عنه، فلو ذهبت حسنات ابن آدم وعنده صيام بقي له أجر، هذه واحدة.

والثانية: الخبيئة من صنيع المعروف الخفي بين العبد وبين الله جل وعلا، خصوصا إذا عظم مثل إنقاذ إنسان من هلكة وفك عسر عنه، عتقه لو كان عبدا مملوكا لك، هكذا، فهذه خبيئة عند الله لها شأن جدا يعني، "**فيقال لهذا المظلوم: ارفع رأسك. فيرفع، ويقول: يا ربي أرى قصورا، أرى بساتين، أرى كذا، يا ربي لمن هذا ألنبي؟ قيل: لا، ألصديق هي؟ قيل: لا، قال: لمن يا ربي؟ قيل: لمن عفى وأصلح، فيقول: يا ربي قد عفوت، فيقال: خذ بيد صاحبك فادخلا الجنة**".

حتى يوم القيامة العفو فيه مجال، فلذلك انتبه لهذا الأمر حقوق الناس صعبة، لابد من الاستعداد بكثرة الحسنات، والدعاء بظاهر الغيب، جاء النبي ﷺ يومًا لأهله لعائشة رضي الله عنها، وتراها يوم توفى النبي ﷺ وهي بنت تسع مثل بنت الثانوي اليوم، تحسبون أخذت السنين الطويلة لا، دخل بها تزوجها وهي عمرها تسع سنوات، وبقيت معه تسع سنوات وتوفي عنها ﷺ، هي أصغر أمهات المؤمنين سنا عمرها ثمانية عشر، ومع ذلك حفظت سنة كبيرة وبلغت شيئا من أحوال النبي ﷺ في البيت لا يطلع عليها إلا النساء، وهي أكثر النساء لأن جبرائيل عليه السلام كان لا يأتي إلى النبي ﷺ إلا في بيتها خصوصا، فكان يكثر التواجد في بيتها من أجل مجيئ جبرائيل عليه السلام، فلا يأتيه إلا بالخير، فقال لها: هاتي السكين، فكأنها راحت وأبطت فتكدر النبي ﷺ شيء، فقال لها: أمسكي اللحم، يقطع اللحم مثلكم اليوم رب بيت هو واللحم ما يأتي إلا بعد مدة طويلة، ما هو مثل اليوم .... فكأنها ما استعجلت، قال: أمسكي اللحم، قطع الله يدكِ، فأُربكت وسرعت، قال: ما لكِ، قال: أُفكر أي يدي تقطع أول. دعوت علي.

فقال: أما علمت يا عائشة أني اتخذت عند ربي عهدًا لن يخلفنيه، قلت: يا ربي إني بشر مثل الناس، أغضب كما يغضبون، وأجهل كما يجهلون، وإني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فأيما عبد من عبادك سببته أو شتمته أو لعنته أو آذيته بأي نوع من الأذى، أو بدرت مني إليه أي بادرة فلا تعذبني فيه، بل اجعلها له كفارة وطهورا وأجرا وصلاة وزكاة ورحمة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة.

فهذا ينبغي أن المسلم يحفظه ويدعو بها كل يوم لكل مسلم يخشى أن يكون قد أذاه وأساء إليه، بأي أنواع من أنواع الإساءة وخصوصا منع الحق المال ما هو الحق خصوصا القذف وغير ذلك من الأمور، فهذ تُنسى، وهذه عظيمة، وهذه كذا وكذا يحتاج أنك تدعو إليه بأكثر من المتوقع وتعمر سنين حتى تجمع لك رصيد، وإلا فأنت مسكين على خطر من الإفلاس والعسرة، لأن مظالم الخلق ديوان لا يترك الله منه شيئا، كما أن الشرك ديوان لا يغفره الله لمن تاب عليه، وأما ما بين الله وبين العبد فهذا لا يبالي الله تعالى به، فينتبه لهذا، ولذلك قال ﷺ: "**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها**" يعني إذا أسأت فأحسن.

"**وخالق الناس بخلق حسن**" هؤلاء كلهم يرضون عنك، حتى لو كانوا مكدرينك ومانعينك حقك ومسيئين إليك ما دام على وجه الإصلاح فهو رصيد لك عند الله عز وجل، والإنسان ما هو بذاك العمر "أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يتجاوز ذلك". "**أعذر الله لامرئٍ بلغه ستين سنة**" يذكر سيئاته في خلال الستين سنة في حقوق الناس، هذه رصيد، دعاء يومي، دعاء في أجزاء اليوم بعد حتى، أما أن إنسان يغفل ويجيب ذكريات ولا يكفر ولا يحسن حتى لو لأحد عليك دين تذهب إلى ورثته وتعطيهم إياه تسدد، فإنهم إذا قبلوها سقطت عنك، والأمر الذي يبقى من التبعة إن شاء الله ييسره الله، إذا يسر الله لك الشدائد في حياتك فما بعده سييسره الله، لكن انتبه لهذا، وأخطر أخطر شيء علينا اليوم مسألة الغيبة، الناس يتندرون فيها، البهت الناس يتشفون فيها، تقويل المرء ما لم يقل، سوء الظن به، أنت اطلعت على قلبه!؟

يقول عمر رضي الله عنه: "ولا تظنن بكلمةٍ صدرت في حقك من أخيك سوءا وأنت تجد لها من الخير محملا".

هذه من معاملات الناس.

"خالق الناس بخلق حسن" قال العلماء رحمهم الله: الخلق الحسن إجماعه ثلاثة: بسط الوجه عند اللقاء، وكف الأذى، وبذل الندى. البذل معروف، وأبلغ من هذا قول الله عز وجل: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران:١٣٣] يا ربي ما هي أعمالهم وأخلاقهم؟ قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ – ١٣٥].

فمن يكرر سيئته كل يوم أو كل أسبوع أو كل فترة في مظهره في مخبره فليراجع نفسه ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾ هذا إصرار، حتى تكون جزء من الشخصية حتى بعض الناس يتجمل بالمعصية لصلاة الجمعة والعيدين، أو الذهاب إلى مناسبات الناس، عاقل هذا أن الواحد يتجمل بالمعصية؟ !، يعصي الله عز وجل عشان يصير ممدوح عند الناس، أو يعجب الناس في مظهر؟ ! إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم﴾ الله الذي يخبركم بهذا قطعا ﴿مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ ﴾ [آل عمران:١٣٦].

اللهم اجعلنا من أهل هذا الجزاء الكريم، اللهم أعنا أن نحقق هذه الأعمال التي ننال بها هذا الجزاء الكريم ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الروم:٦].

أما أن الإنسان يتجاهل وينسى ولا يبالي، أو بعد يذكر من أساء إليه في عشرين أو مئة مجلس هذا لئيم، هذا بخيل، هذا فيه وهذا فيه، وظلمته ألف مظلمة ويمكن قيمتها مائتين ريال أو ألف ريال، غفلة هذه، فينتبه لهذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كنت خلف النَّبيّ - ﷺ - يومًا، فَقَالَ: «يَا غُلامُ، إنِّي أعلّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ: أنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ». رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

وفي رواية غيرِ الترمذي: «احْفَظِ الله تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ في الرَّخَاءِ يَعْرِفكَ في الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ: أنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ: أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: قد اشتمل هذا الحديث الصحيح في باب المراقبة على وصايا نافعة مباركة لكل مسلم، وصى بها النبي ﷺ ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكان شابا حدثا لم يبلغ الحنث لم يبلغ سن البلوغ، وهي وصية للأمة كلها المتقدم والمتأخر والكبير والصغير والذكر والأنثى، فأردفه النبي ﷺ على الدابة، على المركوب، والإرداف على البهيمة يجوز إذا كانت تطيق، وهو للحاجة، ومن ذلك التعليم، وقد أردف النبي ﷺ في مناسبات مختلفة عددًا من الصحابة، رضي الله عنهم، في حجة الوداع أردف الفضل بن عباس بعض الطريق، وأردف عبد الله بن عباس بعض الطريق، وذُكر أن مجموع من أردفهم النبي ﷺ في أحوال مختلفة جاوز ثلاثين شخصا، وهذا من تواضع النبي ﷺ، ومن الرفق بأصحابه، واغتنامه الفرصة للتعليم، ولذلك كل من ركب مع النبي ﷺ حدث بما رأى ونفع الأمة، وفي هذه المناسبة أردف عبد الله بن عباس الذي صار فيما بعد حبر الأمة وترجمان القرآن بالعلم الغزير.

وقال: "**يا غلام**" يدل على أنه دون البلوغ "**إني أعلمك كلمات**" يعني أصغي لها واعتني واحفظها، والمعنى ينفعك الله بها.

"**أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك**" يعني احفظ الله تعالى بطاعته، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتوبة إليه من التقصير في حقه، ومن قصور العمل، "**يحفظك**" برعايته وحراسته وتوفيقه وتسديده لكل خير، ويحرسك من الشر وأهله وأسبابه، ثم كررها.

قال: "**احفظ الله تعالى تجده تجاهك**" أمامك، وهذه تهيئة للتنبيه على حاجة العبد لسؤال الله جل وعلا الخير، والاستعانة به على صالح العمل، ولذا قال: "**إذا سألت فاسأل الله**" يعني لا توجهك همتك وقلبك لغير الله، إن صار لك حاجة اسألها الله تعالى، فإن الله تعالى له ملك السماوات والأرض، وبيده الخزائن كلها، ويداه سحاء الليل والنهار، وخزائنه ملأى لا تغضها نفقة، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض. لم ينقص. مما عنده شيئا إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر.

وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: "**يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم**".

فإذا صارت لك حاجة فلا تلتفت إلى غير الله أصلًا هذا التوحيد، لأن الحاجة إذا لم تقضى في السماء لن تقضى في الأرض، والله تعالى قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ [الذاريات:٢٢] فامر الرزق عند الله جل وعلا، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ الجنة، والجنة في السماوات جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة في أعلى السماء، فأنت اسأل الله الحاجة قال النبي ﷺ: "**ليسأل أحدكم ربه حتى شسع نعله إذا انقطع**" سير النعل "**فإنه إن لم ييسره الله لم يتيسر**".

فتسأل الله تعالى الدقيق واليسير والجليل والكبير، وأعظم شيء تسأل الله عز وجل أن يجيرك من النار ويدخلك الجنة مع الأخيار، نسأل الله أن يجيرنا وإياكم من النار ويدخلنا الجنة مع الأخيار، ووالدينا، ومن له حق علينا، فهذا مهم جدا، فتكون أنزلت حاجتك بالله أيا كانت حتى السواك عود السواك، وحتى موقف السيارة في المكان الذي هو مظان الزحمة يكون الموقف مبارك ما يصيبك فيه أذى لا تؤذي ولا تؤذى، والحاجة الذي ذهبت من أجلها تنقضي على أحسن الأحوال، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦﴾ [طه: ٢٥ - ٢٦].

إذا خرجت من منزلك لأي حاجة تقول: "**بسم الله خرجنا، وبسم الله ولجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، اللهم إنا نسألك خير المخرج وخير المولج**".

قل: "**آمن بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**" تبرأ من الحول والقوة إلا بالله، ما تقول: أنا معتد بنفسي، وأنا أفعل، وأنا فطن، وأنا ذكي، لا، الشيء بغير الله لا يكون ولغير الله لا يدوم، "**اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل، أو أزل أو أُزل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل علي**".

وخصوصا إذا طلعت إلى المسجد أو إلى مجلس علم أو كذلك تقول: اللهم إنا نسألك بحق السائلين عليك. وحق السائلين على الله ما هو؟ الإجابة، والإجابة من أين؟ من الله هي فعله فتسأل الله بفعله الذي يعطيه السائل، وبحق ممشاي هذا إليك وأنت ماشيا إلى طاعة، فحق السائل الإجابة، وحق المطيع الإفادة، ما توسلت إلى الله بشيء من مخلوق، لا، توسلت إلى الله بفعله هو إجابة السائل، وإثابة المطيع.

والحديث سنده ضعيف لكن معناه صحيح، فلا يعرض لكم أحد من المتعالمين يشككهم في مثل هذه الأمور، تراه كثر اليوم، فتسأل الله عز وجل المخرج لأنه تحقق المقصود منه على أحسن الأحوال من الخير، وأن تسلم من الشر، هذا أمر ينبغي التفطن له.

"**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**" فيكون التماسك لانقضاء حاجتك بعد هذا من باب تحري الأسباب هل هذه الحاجة تقضى على يد فلان أو فلان الآخر؟ تقضى في تلك الجهة أو في غير تلك الجهة؟ تقضى على هذه الصفة أو على تلك الصفة؟ تلتمس أين يقدر الله عز وجل انقضاء حاجتك، ما عندك شك في انقضاء حاجتك، وإذا ما انقضت فسيعوضك الله خيرا منها، أبدا، والله عز وجل أرحم بك من نفسك التي بين جنبيك، ومن أبيك وأمك، فضلًا عن غيرهم، لكن هل أنت افتقرت إلى الله فعلا حقيقة من قلبك؟ لا، هذا أمر تنتبه له أنت، احتاج إلى الله عز وجل وأبشر، واضطر إليه، فالله تعالى من صفته: أنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

ومن ظن أن الله لا يجيب المضطر إذا دعاه فليراجع إيمانه، لأن الله يجيب المضطر حتى ولو كان كافرا كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥ - ٦٦].

فيكون الإنسان يخرج سبهللا وهو خارج للحاجة ولا ينزلها إلا بالله فهذا نوع من الحرمان، نوع من الغفلة، من أسباب قسوة القلوب، ولها تبعات تأتي الإشارة إليها في آخر الحديث، "**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة**" كل المكلفين الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، والنشيط والكسول، والعالم والجاهل، "**لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك**" فالأمر عند الله ما هو عندهم، "**ولو اجتمعوا**" لو تآمروا ضدك بأنواعهم، "على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك". فاسأل ربك تعالى أن يكتب لك الخير، وأن يدفع عنك الضر المخوف، ويرفع عنك الظر الحاصل الواقع، "**واعلم أن الدعاء والبلاء يعتلجان**" يتصارعان بين السماء والأرض، "**فيغلب الدعاء البلاء**" يعني يُصرف عنك البلاء، ويُرفع البلاء الذي فيك أصلا.

"**جفت الأقلام، وطويت الصحف**" كل هذا الأمر مفروغ منه يعني علمه الله بعلمه السابق، وكتبه في كتابه السابق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سَنة، أن في اليوم الفلاني تحتاج إلى الشيء الفلاني، تطلع إلى الشيء الفلاني، تذهب لكذا، تصاب بكذا، يصرف عنك كذا مفروغ منه، ولهذا قال: "**جفت الأقلام**" يعني: رُفعت، وجفت من الحبر "**وطُويت الصُحف**" فإن الله تعالى "**أول ما خلق الله القلم من المخلوقات، فقال له: اكتب؟ قال يا ربي: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى بذلك، قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سَنة، وكان عرشه سبحانه وتعالى على الماء**"، ما في سماوات ولا أرض، والسماوات والأرض تحت الماء تحت الماء تحت بحر الماء، فينتبه الإنسان لهذا لا يكون معتدًا بنفسه، أو بأسبابه، أو بأحد من خلقه، لأن هذا شرك التفات بالقلب إلى غير الله، والله لا يرضى منك هذا، فينتبه الإنسان لهذا، لا يذهب عليه التوحيد ووساوس الشيطان، ومجاراة الجهال وأجل الجفاء، وأهل الغفلة، فالأمر جد خطير، ولو كانت لك حبة من الرزق في جوف صخرة صماء لم تمت حتى أخذتها حتى يفلق الله الصخرة وتطلع لك.

فإذا كان ذلك كذلك فانتبه للحاجات الأخرى، "**لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها**". ولذلك قال النبي ﷺ: "**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب**" في طلب الرزق "**فإن رزق الله لا يجلبه حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره**" فما كتبه الله لك سيأتيك بأهون الأسباب.

وما لم يكتبه الله لك لن يأتيك ولو أجمع من في الأرض على جلبه ما يستطيعون، الله وحده هو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، فينتبه الإنسان لهذا هذا التوحيد التطبيقي الفعلي، لن تكن غنيا بالخلق خلك غني بالله سبحانه وتعالى، فالله هو الذي يسمع دعاك، ويعلم شكواك، ويعلم حاجتك، وأرحم بك من كل أحد، هذا تعريف والنبي ﷺ يعلمه لإنسان دون البلوغ، فكيف بالكبار؟ (١٨:٠١).

وهذا من التربية على التوحيد، والتربية الهادئة، وفي رواية يقول النبي ﷺ: "واعلم أن النصر مع الصبر". اصبر في طلب حاجتك، وحاول مرات، وألح على الله عز وجل، فإن الله يحب الملحين عليه بالدعاء، والله وحده هو الذي يغضب إن تركت سؤاله، وبني آدم حين يُسأل يغضب.

ولذلك قال الحكيم:

لا تســـــألن بنـــــي آدم حاجـــــةً ... وســـل الـــذي أبوابـــه لـــن تحجـــب
فـــالله يغضـــب إن تركـــت ســـؤاله ... وبنـــي آدم حـــين يُســـأل يغضـــب

فثق بوعد الله، وهذا خبر النبي ﷺ عن ربه، والله تعالى قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء:١٢٢].

وقال عن نبيه ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣- ٤] .

نسأل الله الخير ونعوذ به من الشر في عاجل أمره وآجله في الدنيا والآخرة، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب إذا اشتد عليك الأمر فاعلم أن الفرج أقرب مما تتصور.

ولذا قالت العرب في جاهليتها: (اشتدي كربة تنفرج) عرفوا هذا بالتجربة حتى، فاعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا، كيف؟

يحيلك النبي ﷺ إلى قول الله تعالى في سورة {الشرح}: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ [الشرح: ٥ – ٨] إذا فرغت فانصب لعبادة الله جل وعلا، والفراغ واجب مثل الفراغ للصلاة إذا دخل وقتها، هذا واجب، مثل الفراغ للحج الفرض إذا استطعت إليه، ومثل الفراغ للصوم إذا دخل الشهر.

﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ ﴾ اجتهد في عبادة الله تعالى، والتوجه إليه بصدق، ولُجيء، ورجا، ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ يعني في الدعاء وسؤال الحاجة من أمر الدنيا والآخرة، فيحيل النبي ﷺ على قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾، ليش؟ لأن الله تعالى ذكر العسر مقرونا بالألف واللام للعهد، فدل على أنه هو هو، وذكر اليسر بدون الألف واللام، ليدل على أن كل عسر محفوفٌ بيسرٍ سابق قبله، ويسرٍ لاحق ولن يغلب عسر يسرين، ثق ثقة بالله جل وعلا، هذا خبر الله تعالى عن نفسه، وخبر النبي ﷺ عن ربه، يقول: لا تسيئ الظن بالله أبدا بل أسيئ الظن بنفسك، وإياك إياك أن يحضرك الموت وأنت تسيئ الظن بالله، ولذلك قال النبي ﷺ: "**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**".

ويخبر أن الله تعالى يقول: "**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**"، إن ظننت بالله خيرا وجدته، وإن ظننت سوءا فلا تلومن إلا نفسك، هذا أمر مهم هذا التوحيد، هذا الدين الحق.

وفي رواية أخرى: "**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**".

يعني اغتنم فرصة الرخاء والسعة ويسر الحال والأمر في الإقبال على ربك بالعبادة حتى إذا دعوت وقت الشدة أجاب الله دعاءك، وفرج عنك، وقضى حاجتك، وذُكر أن الملائكة عليهم السلام لما سمعوا قول يونس عليه السلام: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧] وهو في بطن الحوت، قالوا: يا رب صوت عبد ضعيف معروف في مكان غريب ما ندري أين هو؟ فقال الله تعالى: "**ذاك عبدي يونس**"، قالوا: عبدك الذي يعمل لك كذا وكذا من الطاعات، ألم تفرج كربه؟ فقال الله تعالى: بلى، فأمر الحوت، فألقاه في العرض، ولذلك يقول النبي ﷺ: "**دعوة أخي يونس ما دعا بها مكروب إلا فرج الله له** ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾ التوحيد يعني ﴿ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾"، ما ظلمه يونس؟

هذا اعتراف بالذنب وهو في حقه فعل خلاف الأولى، ما هو فعل معصية لا خلاف الأولى، ليش؟ لأنه لما دعا قومه وتباطؤوا في الإجابة غار على حق الله عز وجل، وحملته الغيرة على أن فارقهم بدون إذن من الله تعالى، ما استأذن حت ينظر هل يؤذن له أم لا؟ ولذلك النبي ﷺ كان بمكة، ويعاني أصحابه من أذى أهل الشرك ويقول: "**اصبروا، فإن من كان قبلكم يؤتى بأحدهم فيُجعل في الحفرة**".

تحفر له حفرة في الأرض "**ويوقف فيها، ويجعل المنشار فوق رأسه في مفرق رأسه فيجعل نصفين قطعتين ما يصرفه ذلك عن دينه، ويؤخذ بأمشاط الحديد ما دون عظمه من اللحم**" ما يصرفه عن دينه، "**والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من بصرى**" من فلسطين "**إلى صنعاء لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه**" أتم الله الأمر؟ أتم الله الأمر وأظهر دينه وهداه على الدين كله، ولذلك قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [الفتح:٢٨] فيقول: اصبروا، اصبروا، ويقول في الهجرة: حتى يؤذن لي.

فلما أذن له جاء إلى أبي بكر الصديق قبل الظهر في يوم من الأيام متلثم متقنع حتى ما يعرفونه، فقال: أُذن لي، فقال أبو بكر: الرفق يا رسول الله؟ قال: نعم، وكان قد جهز بعيرين ودليل وخادم، استعداد للسفر إلى الهجرة متى ما حصل، وهذا من الحزم بعد، فيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فارق قومه ولم يستأذن، فأدبه الله بالحبس في بطن الحوت، واعترف بذنبه وشكى إلى ربه ففرج الله له وأخرجه سالمًا ما نهش منه الحوت ولا هشم عظما، ورده إلى قومه وكانوا مئة ألف أو يزيدون فآمنوا، عبرة للمعتبرين، فلذلك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وأصحاب الغار الثلاثة تعرفوا إلى الله في الرخاء بأعمالٍ صالحة منها العفة عن الحرام، ومنها حفظ أجرة الأجير، وقبلها بر الوالدين، بالرعاية والإكرام، ففرج الله عنهم ورفع الصخرة عن باب الغار وخرجوا يمشون سالمين غانمين، فاجعل بينك وبين الله تعالى خبيئة من أعمال صالحة، وأذكار طيبة، ودعوات صادقة، تجدها وقت الحاجة ووقت الشدة، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

هذه نصائح النبي ﷺ لهذا الغلام ابن عباس دون البلوغ، وهي نصيحة لكل الأمة الذكور والإناث، الكبار والصغار، الحكام والمحكومون، الأغنياء والضعفاء، العلماء والعوام، كلهم، لأنهم كلهم ستمر بهم هذه الأشياء ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد:٤] مملوك ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء:٣٥] ، ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٦]، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥] .

وليس أحد من الأمة أكرم على الله تعالى من رسوله ﷺ، رسول الله ﷺ، حبيب الله، وخليله، أعظم شفيع يوم القيامة بين يديه، والذي يشفع في فصل القضاء فيه افتتاح باب الجنة، جعلنا الله وإياكم ممن يشفع فيهم، النبي ﷺ هذا كان عنده وكيل له اسمه: "بلال بن رباح" مولاه، على مئونة أهله وعنده النبي ﷺ كم عنده بيت؟ تسعة أبيات، والحواشي أربع أبيات، ثلاثة عشر بيت وهو الذي ينفق عليهم ﷺ، فكان يعطي بلالا نفقة وأحيانا يكون ما عنده شيء، فيستقرض يقول بلال استقرض لك من فلان ومن فلان ويستقرض ويردهم، حتى توفي ﷺ ودرعه درع الحرب مرهونة عند يهودي شر الناس وأبغض الناس في تسعة آصع شعير كل بيت بصاع، شعير بعد، ففي مرة من المرات علم أعرابي غني جافي فقال: يا بلال أنت تستقرض بمئونة النبي ﷺ من فلان وفلان وفلان استقرض مني، فاستأذن بلال النبي ﷺ هل يستقرض من هذا أم لا؟

قال: استقرض، فاستقرض مبلغا من المال إلى أجل وأعطاه الأعرابي، فحضر الأجل وجاء الأعرابي يريد المال، قال بلال: ما عندي، لعلك تأتينا في أجلٍ لاحق موعد ثانٍ، قال: لا بأس، فجاء الموعد الثاني وجاء الأعرابي لبلال وقال: أوفني، قال: ما عندي، صادف يعني قدرا أنه ما عنده، أجلني يعني إلى وقت آخر، قال: أؤجلك، لكن والله إن لم توفني لأرجعنك عبدا، لأذلك، فجاء الأجل وليس عند بلال شيء، فالآن هو محرج ولا ما هو محرج؟ محرج جدا، يهودي أو أعرابي جلف وغني وجاهلي ومتوعد يقول: أذلك لأرجعنك عبدا، فلما جاء الموعد أنه سيأتيه الليلة جاء بلال إلى النبي ﷺ: أعندك شيء؟ قال: لا، قال: فأنا عزمت إني إذا جاء الليل يعني بعد العشاء أجمع عمامتي ونعلي وعصاي وأتجهز إني في أثناء الليل إذا مضى هزيع من الليل أخرج للبرية للصحراء ما أحرج نفسي ولا أحرجك، فتبسم النبي ﷺ وسكت، وفعل بلال، ونام نومة الوجل الخائف من هذا الأعرابي ايش يسوي، لو جاء وهو ما خرج؟، فلما مضى هزيع من الليل وإذا الباب يطرق، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، جاء الأعرابي، فلما فتح وإذا رجل معه أربع نوق أربع أنياق كل واحدة مثل الجبل، وواحدة عليها متاع أثاث، وواحدة عليها طعام، وواحدة عليها شيء آخر، وواحدة عليها شيء آخر أربعة، قال: هذه من النبي ﷺ جاءته هدية من أكيدر دومة، فبعث بها إليك يقول: بعها وأوفي دينك.

فاطمئن بلال وباع شيء وأعطى الأعرابي، وانتهى الموضوع، وجاء بها لصلاة الفجر إلى المزاد للمسجد خارج المسجد، وبدأ يحرج المزاد، فباع اثنتين، ويمكن أنه على الظهر الثالثة وبقيت واحدة يبيعها وما عليه ويسدد، ويُنشد من يريد منا شيء؟ فبقيت واحدة ما أحد يريد شيء، فلما رآها النبي ﷺ العصر عند بلال قال: "بعها وما عليها"، فكأن بلالا ما وده يعني، فقال: إن لم تبعها لا أساكنك الليلة بالمدينة. يقول بعها وتصدق بثمنها خلاص وانقضى اللزوم، هذا الظرف الذي مر بالنبي ﷺ أكرم من يمشي على الأرض مقابل أعرابي جافي، وبلال الوكيل يحرج، فمعنى ذلك: أن المسلم يمر بشيء من هذه الأشياء، ابتلاء من الله عز وجل ويظهر صبره عند الشدة وشكره عند الرخاء والنعمة، ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ٢- ٣] وفي آخر السورة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

النبي ﷺ أسوة لكل أحد، الملك في ملكه، الغني في ماله، الفقير في صبره، المريض في علته، الزوج في خصومة زوجته له، حتى أمهات المؤمنين طلبن من النبي ﷺ زيادة نفقة ما عنده شيء، أمهات المؤمنين، قال الله عز وجل للنبي ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩ ﴾ [الأحزاب: ٢٨ – ٢٩].

فأتى بهن واحدةً واحدة كل واحدة يقول: إني سأُخبركِ في أمر ولا عليكِ أن تستشيري أبويكِ. ما في مانع يعني تختارين الدنيا؟ أو تختارين الله ورسوله؟ فقرأ على كل واحدة الآية وكل واحدة قالت: أختار الله ورسوله، أفي هذا أستشير أبوي والله لا أستشير أبوي، انظروا كيف، وكافئهن الله عز وجل قال: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٢].

انظروا هذا، فالأزواج التي يطالبن أزواجهن بنفقة وهم يعلمن علم اليقين أنهم ما عندهم شيء دخل فهن ظالمات لأنفسهن ولأزواجهن، والزوج الذي عنده سعة ويشح على أهله ظالم، يقول النبي ﷺ: "**إذا أنفقكم أحدكم النفقة على أهله**". يعني عن طيب نفس. "**فهي له صدقة**".

ويخبر أنك تؤجر على كل شيء حتى ما تجعله في فِيّ امرأتك ما تقول خذوا الذي عند الباب وكذا، فتأخذ اللقمة والتمر وتجعلها في فِيّ المرأة، لطيب الشراكة بينكم شراكة حياة هذه، ويرجى أن تكون شراكة في الجنة، فينتبه الإنسان لهذا، فلا يبخل، فإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعله في فِيّ امرأتك.

ويقول النبي ﷺ: "**إذا أنفق الرجل على أهله نفقةً وهو يحتسبها فهو له صدقة**". يعني يؤجر كأجر المتصدق مع أن ما فيها منة هذه، وهكذا، فيبتلى الإنسان في الدنيا بأشياء متنوعة، هذا في وظيفته، وهذا في بيته، وهذا في صحته، وهذا في دين يركبه، وهذا في كذا، وهذا في مصيبة، حادث مروري يكسر فيه ويتعب فيه ويصاب من يصاب فيه، وكذا، وكذا، فكل الأمور تُشكى إلى الله عز وجل ويُنتظر الفرج من الله وحده مع صدق الإلحاح بالدعاء، وحُسن الظن، وعِظم الرجاء، وأن الأمر سيقضى على أحسن الأحوال ولو بعد حين، وهذا مما يكفر الله به الخطايا ويضاعف الحسنات ويرفع الدرجات، وأن العبد لا ينال الدرجة العالية في الجنة ما ينالها بعمل إلا الصبر بس، فنفهم هذا ونعقل هذا، ويصير الإنسان أي طارئ يطرأ عليه أول ما يتوجه إلى الله عز وجل في حاجته بصدق ورجاء يؤيده العمل، ودعاء صادق، وحسن ظن بالله عز وجل، هذا الواجب عليه، وهذا التوحيد، التوحيد لا يفارقك وأنت حي، لا يفارقك حتى تخرج الروح من الجسد ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩].

فالتوحيد هو أصل الدين، وأساس الملة، وقاعدة الشريعة، وسلاح المؤمن، ووسيلة تحصيل المرغوب المحبوب المطلوب ودفع المكروه المرهوب ورفع ما وقع منه، ومن أخطأ الدعاء أخطأ الخير كله.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن أنسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: إِنَّكُمْ لَتعمَلُونَ أعْمَالًا هي أدَقُّ في أعيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله - ﷺ - مِنَ المُوبِقاتِ. رواه البخاري.

وَقالَ: «المُوبقاتُ»: المُهلِكَاتُ.

وَعن أبي هريرةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبيّ - ﷺ - قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى يَغارُ، وَغَيرَةُ الله تَعَالَى، أَنْ يَأتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ الله عَلَيهِ» متفق عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فالحديث الأول عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، خادم النبي ﷺ الذي خدم النبي ﷺ عشر سنين، ودعا له النبي ﷺ بطول العمر والبركة في الرزق، فعاش بعد النبي ﷺ تسعين سَنة بعد وفاة النبي ﷺ عاش تسعين سَنة، وهو معدود من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم من آخر من مات من البصرة، فيستنكر على أهل زمانه بعد تسعين سنة من وفاة النبي ﷺ، أنه ظهر فيهم في المسلمين الجُدد، وفي أبناء المسلمين شيء من التساهل في أمورٍ خطيرة أو صعبة، فيقول: "إنكم لتعملون أعمالًا" يعني من الكبائر والذنوب العظيمة في الشرع تستخفون بها هي في أعينكم أدق من الشعر، "كنا نعهدها زمن النبي ﷺ من الموبقات". وهذه مثل التهاون بصلاة الجماعة، ومثل الغيبة والنميمة، التي ورد عليها وعيد شديد، ومثل الكذب الذي يُتخذ مجاملةً للناس وتزينًا، فلاحظ مثل هذه الأشياء، يقول: وهي معدودة في زمن النبي ﷺ من الموبقات، من المهلكات، ولا سيما أنه تجري به العادة ويألفها الناس ويجاري بعضهم بعضا فتكثر، فتكون عظيمة ويصير الإنسان ينسى التوبة منها، أو يسوف للتوبة، لماذا؟ لأنها تحتقر وهي كبيرة، كما قال النبي ﷺ عندما مر بقبرين حديثي الدفن قال: "**إنهما**" يعني: صاحبيهما، "**ليعذبان، وما يعذبان في كبير**" يعني عندهما "**بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله**".

فكيف تصح صلاة الذي لا يستنزه من بوله؟

والغيبة الذي يستهين بها أكثر الناس إذا أثرت في نفس السامع غمطة من المغتاب، وسوء ظنٍ به صارت نميمة، وهي غيبة، والكل خطير، فتجتمع الغيبة والنميمة، والعياذ بالله، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: "**إياكم ومحقرات الذنوب**".

يعني عندكم "**فإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه**". وضرب لذلك مثلًا: "**كمثل قوم سفر** مسافرين، "**فنزلوا بطن واد، فأرادوا أن يصنعوا له طعاما**" خبزا يعني. فجاء هذا بعود وذاك بعود والثالث بعود فأوقدوا نارًا قوية أنضجوا بها خبيزهم من عود وعود وعود، فهذا نفس الشيء يجتمع الإنسان هذه الأشياء التساهل بشأن صلاة الجماعة، والغيبة التي تكون نميمة، والكذب الذي يتجارى الناس فيه، ونحو هذه الأشياء، والإساءة إلى الجار، ورمي الأذى بالطريق، فتكون هذه موبقة، مهلكة، خطيرة جدا، كيف إذا اجتمعت الواحدة مهلكة فكيف إذا اجتمعت؟ والله تعالى علق مغفرة الذنوب على ترك الكبائر، قال: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء:٣١] .

ووصف خُلص عباده جعلنا الله وإياكم منهم بأنهم يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، ومن أحسن ما فعل النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترتيب الأحاديث إيراد الحديث الثاني بعد هذا، وهو قول النبي ﷺ: "**إن الله يغار**" يعني يغار على دينه وعلى حرماته، وإذا غار غضب، فإذا غضب عاقب، والعقوبة خطيرة، قال: "**وغيرة الله تعالى**" يعني موجب غيرة الله تعالى "**أن يأتي العبد ما حرم الله عليه من المحرمات**" المعدودة من الكبائر، وأشدها بعد الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل الأولاد، والنفس التي حرم الله إلا بالحق {الزنى}، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء:٣٢] .

ولذلك النبي ﷺ وعظ الناس بمناسبة الكسوف موعظة بليغة جدا، وأخبر عن الحكمة من الكسوف وأن الله يخوف به عباده كسوف الشمس، وخسوف القمر، وقال في ثنايا ذلك: "**إنا لله يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم الله عليه**".

ومما ذكر مما يسبب غيرة الله جل وعلا: أن يزني عبده بأمته، فدل ذلك على الخطورة، وأن الإنسان ما ينبغي له أن يستخف بشيء حرمه الله عليه، كما قال النبي ﷺ في الحديث الآخر: "**ألا وإن لكل ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه**" يعني لا تقربوا محارمه، احذروا، ولا تتجاروا حتى تستخفوا بها وتعدونها عادية، أو يتزين المرء بها في المجلس مثلًا الذي يكذب ليُضحك القوم، والذي يبهت ليُضحك القوم، وغير ذلك من الأمور.

في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: "**إن العبد يأتي الأمر الكبير من معصية الله يكتب الله تعالى له به سخطه إلى يوم يلقاه**".

وفي الحديث الآخر: "يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب".

وإذا كان هذا في المصلين فما الظن بغيرهم المتهاونين بالصلاة، وغير ذلك، فيحتاج المرء أنه يحاسب نفسه يوميا عند النوم حتى يخرج من مظالم العباد، ويستغفر من كبائر الذنوب، ويحدث توبة نصوحا، ولن يعوض ذلك ويجبره إلا بأن يحسن من جنس ما أساء به، وأن يكثر من ذكر الله جل وعلا، فإن ذكر الله تعالى عون على طاعة الله تعالى، وترك معصيته عصمة من المعصية، ومن أسباب رقة القلوب، ومحو الران عنها، فإن أبعد القلوب من الله تعالى القلب القاسي، ونعوذ بالله من قسوة القلوب.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - يقُولُ: «إنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَني إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَونًا حَسنًا. فَقَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إليك؟ قَالَ: الإبلُ - أَوْ قالَ: البَقَرُ شكَّ الرَّاوي - فَأُعطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهبَ عَنْهُ وأُعْطِيَ شَعرًا حَسَنًا. قالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ النَّاسَ؛ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصرهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِليْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً والدًا، فَأَنْتَجَ هذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فكانَ لِهذَا وَادٍ مِنَ الإبلِ، وَلِهذا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَم.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ، فَقَالَ: رَجلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ في سَفَرِي فَلا بَلاغَ لِيَ اليَومَ إلاَّ باللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذي أَعْطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كثِيرةٌ. فَقَالَ: كأنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فقيرًا فأعْطَاكَ اللهُ!؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهذا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبيلٍ انْقَطَعتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ اليَومَ إلاَّ بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَركَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفري؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أعمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ ما أَجْهَدُكَ اليَومَ بِشَيءٍ أَخَذْتَهُ للهِ - عز وجل. فَقَالَ: أَمْسِكْ مالَكَ فِإنَّمَا ابْتُلِيتُمْ. فَقَدْ رضي الله عنك، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذا الحديث أورده النووي رَحِمَهُ اللَّهُ وإيانا في باب المراقبة أن على العبد أن يراقب الله عز وجل في جميع أحواله، فإنه يعلم جهره ونجواه وسره، ويعلم حاله ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وقد أمره بطاعته وشكره، ونهاه عن معصيته وكفره، ومرده إلى الله جل وعلا وحسابه عليه وجزاءه عنده، وفي هذا الحديث نبأ من قبلنا من بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وعلى نبينا محمد ﷺ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ومعنا: "ئيل" يعني عبد الله إسرائيل، إسرافيل، كهم مُعبد لله عبد الله عبد الرحمن، بالعبرية، وبنو إسرائيل فيهم أخبار عجيبة اليهود والنصارى في الجشع والطمع والقول على الله وفي دينه بغير علم، وفي الزهد والعبادة والقناعة والعمل للآخرة، ولذلك النبي ﷺ ذكر قصصا عنهم عجيبة جدا، حتى ذكر منهم من تخلى عن الملك وزهد في الدنيا وتفرغ للعبادة حتى توفاه الله جل وعلا، وذكر منهم من اشترى أرضا فوجد فيها كنزا، فقال لصاحب الأرض: خذ كنزك، أنا اشتريت الأرض منك، قال: لا أنا بعتك الأرض وما فيها ما لي شيء، فاختصم كل واحد يقول: أنت أحق بهذا، فبعث الله إليهما ملكا وقال: ما شأنكما؟ قال: كذا وكذا، قال: لك بنت؟ قال: نعم، قال: لك ولد؟ قال: نعم، قال: زوجوا البنت الولد وأعطوهم المال.

فقصص كثيرة اسمها في الصحيحين والسنن: "أحاديث الأنبياء"، يعني التي يخبر فيها النبي ﷺ عن من كان قبله من أمم الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، وهذه منها، فهؤلاء ثلاثة من عوام بني إسرائيل والأصل اليهود ابتلوا بعاهات جسدية وعمى بصري، فأراد الله عز وجل أن يختبرهم هل يشكرون ويذكرون؟ أم يكفرون ويبخلون؟ فأرسل إليهم إليهما أو إليهم ملك في صورة إنسان، فجاء الأول جاء الأبرص وقالوا: أي شيء أحب إليك؟ قال: أحب شيء إليّ لون حسن. وهذا في الحقيقة يكفي اللون الحسن. قال: وجلد حسن، وهذا دليل على الجشع والطمع، فمسح بأمر الله جل وعلا الذي يقول للشيء: {كن فيكون}، فعاد إليه لونه الحسن وجلده الحسن وذهبت عنه العاهة، زاد من عنده فضلا من الله عز وجل قال: أي المال أحب إليك؟ قال: الابن.

وهذا يدل على الجشع وعلى الفخر، وعلى التعلق بالدنيا، فأعطاه ناقة عشراء. يعني حامل وفي الشهر العاشر يعني في نهاية الحمل والولادة، ودعا له بزيادة قال: بارك الله لك فيها. وذهب عنه، فجاء للأقرع قال: ما الذي تحب؟ قال: أن يرد الله إليّ شعري، وتذهب عني هذه الآفة، لأن القرع نتيجة جروح وقروح وتساقط الشعر وقد يكون له روائح تؤذي الناس، فكان متأذي فمسحه بأمر الله جل وعلا فذهب عنه قرعه وعاد إليه شعره على أحسن ما كان.

قال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقرة، فأعطاه بقرةً حاملًا وقال له: بارك الله لك فيها. دعا له دعاء مستجاب دعاك ملك بأمر الله جل وعلا، ثم ذهب إلى الأعمى، وقال له: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري. ما طلب شيء زيادة، قال: أي شيء المال أحب إليك؟ قال: الغنم. تواضع يعني ما يريد الخيلاء، لأن الإبل والبقر والخيل هذه من مظاهر الخيلاء، كما قال ﷺ: "**الفخر والخيلاء في الفدادين عند أصول أذناب الإبل في نجد**". في ذاك الزمن، فأعطي شاةً حاملا فولد أنتج هذا صاحب الإبل صاحب البقر يعني ولد ناقته وولد ذاك بقرته، وهذا ولد شاته، وللدعاء بالبركة صار لكل واحدٍ وادي من النعم هذه، والمعنى: أن كل واحدة جاءت بذكر، فصارت تولد، والبنت تلد، وهكذا، ومضى زمن عل هذا حتى صار كل واحد عنده ملء الوادي على سعته وطوله من الحلال، فأرسله الله تعالى إليهم مرة أخرى في صورة الأبرص جاء الأبرص في صورته، وقال: أنا مسكين وابن سبيل ومنقطع ما عندي شيء، أسألك بالذي أعطاك. هذا المال أنت تعطيني ما أتى باللفظ يعني طرف واحد رأس واحد، فقال: الحقوق كثيرة الالتزامات كثيرة بأسلوب اليوم، قال: كأني أعرفك، ما كنت أبرص ورد الله عليك لونك، ما كنت فقير وأعطاك الله؟ قال: هذا ورثته كابر عن كابر عن أبي عن جدي، فجمع بين البخل وبين الكذب، والعياذ بالله، ومنح حق المسكين.

وقد علق الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه القصة بقوله: "إن الله ليبتلي أهل البيت بالسائل ليس من الجن ولا من الإنس ".

من أين؟

من الملائكة عليهم السلام، فقال له: إن كنت كاذبا فردك الله إلى ما كنت. سيرك الله على ما كنت، يذهب مالك ويسحته ويرد عليك العاهة التي فيك، لكفره النعمة، والمعنى: أنه تحقق هذا الشيء، ذهب إلى الأقرع وسأله مثلما سأل الأبرص، وجحد مثلما جحد الأبرص،، واعتذر، فقال: ألم تكن كذا وكذا؟ قال: لا، هذا أنا من حين كذا، وهذا ورثته كابر عن كابر، قال: إن كنت كاذبا فردك ا لله إلى الفقر، فابتلي برد ما كان عليه من الفقر، ومن العاهة، فجاء للأعمى وسأله مثلهم مثل الاثنين؟ فقال: خذ ما شئت ودع ما شئت، كنت أعمى فرد الله إلي بصري، كنت فقيرا فأغناني الله بالمال، والله ما تأخذ مني شيئا لله تعالى فأعترض عليك، لو تأخذ المال كله يعني، قال: أمسك عليك مالك فقد ابتليت أنت وصاحبيك فرضي الله عنك، لجوده يعني واعترافه بنعمة الله عز وجل، وبراءته من الحول والقوة إلا بالله، وإحسانه إلى المستحق، وسخط على صاحبيه.

فدل ذلك على أنه يتعين على المسلم أولًا: أن يعترف بالنعمة لله جل وعلا، ولا ينسبها إلى أسبابه ووسائله ولا تخصصه ولا كذا ولا كذا، يعترف فيها لله تعالى بقلبه، ويتواضع لله عز وجل إذا أعطاه ويسأل الله أن تكون عاقبة خيرا له، ويثني بها على الله عز وجل ويستعملها في طاعة الله، ويتقوى بها على العبادة ويحسن بها إلى المستحق، فينفق منها النفقة الواجبة ويزيد من فضله الله عليه ويوسع على أهله من غير سرف، من غير تبذير، فالتبذير إنفاق في الحرام، والسرف الإنفاق في الحلال بقدر زائد فخرا وخيلاء، وأن يحسن بها إلى مستحقها من الناس، فيعطي الفقير وييسر على المعسر، ويسعف صاحب الحاجة، وكذا، وهكذا إذا رأى من ابتلي بعاهة أو بلية يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به، هذا بينه وبين نفسه ما يسمعه، وفضلني على كثيرٍ ممن خلق تفضيلا. لأن هذا من أسباب دوام العافية والنعمة، ولا يغمطه ولا يحترقه ولا يعايره يقول: ذاك الأعمى، ذاك الأبرص، ذاك الذي فيه كذا، هذا ما يجوز، هذا كبر، هذا جحد بنعمة الله عز وجل وغمط للآخرين، كثيرا من الناس ما يبالي بالكلام، فيأتيه النقص أسرع من لمح البصر بأدنى وأهون سبب، فينبغي الاعتراف لله بنعمته والشكر له على إحسانه، واستعماله، والتقوي بها على طاعة الله جل وعلا، والإحسان بها إلى المستحق في المناسبة، نفقة على النفس والأهل النفقة الواجبة، وتوسيعا عليهم في المناسبات، في الأعياد، وغيرهم.

وإحسانًا إلى المستحق كصلة الرحم، وإجابة الداعي، ومواساة المصاب، ونحو هذا، حتى يكون من الشاكرين الذاكرين لأنه ما شكر الله تعالى حتى ذكره وحتى ذكر نعمته، وحتى اعترف بفضله فيزيده الله تعالى، ولا يمحقه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧].

وفي هذا بيان أن الله تعالى مكن الملائكة على التصور بالصور المختلفة، ومن ذلك تصور الملك بصورة الأعمى والأقرع والأبرص، ومن ذلك أنه جاءهم مرة ثانية بصورة مسكين، ومن ذلك أنه صار في هذه الصور وجاء في صورة ابن آدم على خلقته مع أن الله عز وجل وصفهم بأنهم في أحسن الصور هم، أين ورد هذا؟ في سورة {يوسف} عليه السلام، فقالت النساء لما رأين يوسف عليه السلام وما هو عليه من جمال الصورة والخلقة ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف:٣١].

فدل على أنهم يتصورون بالصور الكريمة، لكن عند الحاجة للمصلحة يُغيرون صورهم بقدرة الله، وإذن الله الكوني سبحانه وتعالى لما له سبحانه من الحكمة، ويكفي أن جبرائيل عليه السلام سيد الملائكة على الإطلاق تراه، وسيد الملائكة حملة العرش، وحملة العرش ثمانية منهم جبرائيل ملك الوحي كله الديني الشرعي والقدري، ومنهم ميكائيل ملك الأرزاق، ومنهم إسرافيل ملك الروح، ومنهم رضوان خازن الجنة، ومنهم مالك خازن النار، كل واحد منهم له أعوان، وملائكة العرش ثمانية الآن يحملون العرش ويحملونه يوم القيامة ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة:١٧].

قيل: إن الله لما خلقهم قالوا: ربنا لما خلقتنا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشي، قالوا: سبحانك ومن يطيق حمل عرشك؟ وأنت فوقه؟ فقال: قولوا: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فقالوها فحملوه، صار بهم طاقة.

قال العلماء رحمهم الله: إن لا حول ولا قوة إلا بالله تقال على سبيل الاسترجاع، وعلى سبيل الاستعانة بالله عز وجل، والبراءة من الحول والقوة لا سبيل على الاسترجاع، الاسترجاع يقال: إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة، لكن هذه تقال على وجه الاستعانة بالله على الأمور المهمة، ومع البراءة من الحول والقوة إلا بالله ما يصير في غرور، وقالوا: إنها مجربة في الدخول على جبابرة الحكام الظلمة في

حمل الأشياء الثقيلة الصعبة، ومواجهة النوازل التي يُبتلى بها بعض الناس من الديون والهموم والظلم، وغير ذلك.

فإذا كررها العبد فإنها كنزٌ من كنز تحت العرش من عند الله جل وعلا، فينبغي للإنسان أن لا تغيب عن لسانه هذه الكلمة مع كلمة التوحيد والاستغفار، فكلمة التوحيد أثقل شيء في الميزان، وإذا تعودها اللسان حضرته عند قبض الروح سهُلت عليه الحضور واستذكرها، لا يحتاج من يذكره، وصيرها الله على لسانه بسهولة، مع ما يعانيه من آلام النزع والكرب، فيجعلها صديقتك: "لا إله إلا الله" لا تغفل عنها أبدا، ومن ذلك أنك تقولها كل يوم بعد صلاة الفجر، والذكر المشروع بعد الصلاة حتى قبل أذكار الصباح والمساء تقولها مئة مرة، والعصر كذلك بعد أذكار الصلاة وقبل أذكار المساء تقولها مئة مرة، فتكون في حرز من الشيطان لو تأخرت خمس دقائق، أو أقل ما تكون في حرز من الشيطان، ولا تكون في حرز من البلاء، فتعاهدها.

وكان شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه، إذا جاءه مستفتي بعد الفجر أو العصر وهو يذكر قال: اذكر الله اذكر الله، حتى يفرغ منها مئة مرة، هذه مهمة، والاستغفار مقرون بالتوحيد ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩] .

وإذا كانت الصحيفة مفتتحة يوميًا بالاستغفار مختتمة يوميا بالاستغفار يعني بعد الفجر، وبعد العصر لا ينظر الله إلى ما بينهما من الخطايا ما لم تكن تنافي أصل التوحيد، أو تكون من كبائر الذنوب فكبائر الذنوب تحتاج إلى توبة منها لخصوصها، فلازمها هذه الثلاثة: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا إله إلا الله، والاستغفار. ومن ذلك أن تقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأستغفر الله، اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، لأنك إذا قلت الثلاث هذه فسألت الله الجنة والإجارة من النار أعطاك الله ذلك، بل ثلاث كلمات ثلاث دعوات بهذا: اللهم إني أسألك وأعوذ بك من النار ثلاث مرات، تقول الجنة: اللهم أدخله إياي، وتقول النار: اللهم حرمه عليّ. هي نفسها تسأل الله لك وهي خلق من خلق الله عز وجل، فينتبه لهذا، وهذا من اغتنام المناسبة بالإشارة للفائدة، وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا هداةً مهتدين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن أبي يعلى شداد بن أوس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبيّ - ﷺ - قَالَ: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بعدَ المَوتِ، والعَاجِزُ مَنْ أتْبَعَ نَفْسَهُ هَواهَا وَتَمنَّى عَلَى اللهِ». رواه الترمذي، وَقالَ: «حديث حسن».

عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُول الله - ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ». حديث حسن رواه الترمذي وغيرُه.

عن عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبيّ - ﷺ - قَالَ: «لاَ يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأتَهُ». رواه أبو داود وغيره.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فهذه الأحاديث في مراقبة الله جل وعلا، ومحاسبة النفس، لأن محاسبة النفس نتيجة لمراقبة الله جل وعلا، وتحري مراضيه، والبعد عن مساخط وما يؤذيه، فيقول النبي ﷺ: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت". الكيس: هو العاقل اللبيب الفطن الموفق، "من دان نفسه" يعني: حاسب نفسه، كما في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر:١٨].

فهذه في محاسبة النفس، وقيل في: "دان نفسه" أقرضها، يعني ألزمها بأعمالٍ صالحة خفية خبيئةً لها عند الله جل وعلا يوم القدوم عليه، يوم لقاء الله تعالى والقدوم عليه، ولهذا قال: "وعمل لما بعد الموت". يعني صار همه فيما ينجيه من عذاب الله تعالى، ويؤهله لرضا الله تعالى وثوابه.

قال: "والعاجز" يعني الكسول الغافل "من أتبع نفسه هواها" يعني: شهواتها المحرمة، وجعلها تترك الواجب، وتفعل الشيء المحرم، وتسوف بالتوبة، فهذا مسكين خاسر، لأنه غافل عما أمامه وملتهٍ بدنياه، ولهذا سماه: عاجز متمني، لأنه على غير رجاء، لأنه ما صدق تمنيه وطمعه في فضل الله ورحمته بالعمل الذي يؤيده، قد رد الله عز وجل على من هذه حاله بقوله: ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ما تتمنون على الله جل وعلا ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤ ﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤].

جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة، فرد على المتمنين من المسلمين ومن أهل الكتاب، ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾، أمور الآخرة عند الله جل وعلا مرتبة على أسبابها، وأسبابها هو الإيمان بالله تعالى ورسوله، والعمل بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، والاستعداد للقاء الله جل وعلا متى ما جاء، هكذا.

قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠] يحسن العمل، ويخلص لله عز وجل، ويترك التواني والكسل، هكذا.

والذي يترك العمل يتمنى عند الموت يقول: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ ﴾ ما يحصل ﴿ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٠] مدة اللبث في القبور، هذه حياة البرزخ حياة الله أعلم بكيفيتها، فالعمل وقته في الحياة قبل معاينة الموت قبل اللقاء.

وقد قال النبي ﷺ: **"من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"** والمؤمن يحب لقاء الله لأنه يُكشف له قبل خروج روحه عن مستقبله فيرى ما يسره فيحب لقاء الله، ويهون عليه الموت ولو كان شديدا لأنه اطمئن على مستقبله، والفاجر بعكس ذلك والعياذ بالله. فهذا الحديث الأول.

الحديث الثاني: بمعناه، إنه ينبغي للإنسان أن يشتغل بما يعنيه، ويترك ما لا يعنيه، وما لا يعينه ما يضره هذا هو الواجب تركه، ويترك ما لا ينفعه في الآخرة، وهذا هو المستحب تركه لأنه يشغله عن ما ينفعه، فيُبين النبي ﷺ هذا الشأن، ولذا قالوا: إن العبد في حياته ينبغي أن لا يشتغل إلا بالأمور المهمة بتزودٍ لمعاد لعمل صالح يجده بعد موته، ومرمة لمعاش. طلب لرزق حلال يستعين به على طاعة الله جل وعلا، وحذرٌ مما يخاف ضرره في حياته أو بعد مماته.

وقال بعض السلف كلاما حكيما: ينبغي للعبد أن يكون بصيرا بدنياه. هذا الأمر الأول.

والثاني: أن يكون مُقبلًا على ما ينفعه.

والثالث: أن يُمسك بلسانه، يكون بصيرا بدنياه، وأن يكون مقبلا على شأنه، وأن يكون حافظًا وممسكا للسانه، هكذا.

والرابع: بمعنى هذا الشيء: أنه لا يسأل أخاه فيما ضرب امرأته، لو أنه كان جارًا له سمع شيء من الجلبة في البيت، أو الانزعاج، فلا يتدخل في الشؤون هذه، لأنه قد يكون سؤال عما يستحى من الجواب عليه، قد يكون سؤال عن شيء من الخصوصية، وقد يتبين له ما يزعجه ولا يقدر على السعي في إزالته، فهذه أمور خصوصية ما في أي شيء يدخل في خصوصية الناس، ومثل ذلك أن يسأل كم مال فلان؟ وايش وظيفة فلان؟ وايش كذا؟ وايش كذا؟ كم عيال فلان؟ فكل هذا مما ينبغي الإعراض عنه، لأن الإنسان في عافية منها، وقد تُحزنه وتسوؤه ولا يستطيع أن يفعل شيئا، وأيضا أنها تشغله عما هو من مصلحته، يعني يصير سؤال عما لا يعنيه يشغله عما يعنيه، كل هذه من آثار مراقبة الله جل وعلا أن يُعرض عن هذه الأمور، أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلًا على شأنه، حافظًا للسانه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب التقوى

قال الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب:٧٠].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال:٢٩].

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فهذا الباب من أهم أبواب الكتاب، أراد به الإمام النووي -رحمنا الله وإياه- أن يُبين شأن التقوى، وحقيقتها، بل وحقيقتها وأن يُذكر بشيء من فوائدها وثمراتها في عاجل الأمر وآجله بدلائل الكتاب والسُنة، والتقوى أصلها مأخوذ من التوقي، فالإنسان إذا مر بطريق دحض فيه مياه وفيه أذى كيف يتوقى هذا؟، وهكذا إذا مر بطريق فيه شوك كيف يتوقى؟ فأولى من هذا كله أن تتوقى عذاب الله جل وعلا، في عاجل الأمر وآجله، وتتقي النار، هذا هو المطلوب منك، فتتحرز بطاعة الله تعالى عن معصيته حتى يجعلك الله عز وجل من أهل جنته، ويجيرك من ناره حقق الله ذلك لنا، ولذلك كانت التقوى وصية الله عز وجل للأولين والآخرين، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

وكانت زُبدة الكتاب المبين، كل كتاب أنزله الله عز وجل على عباده خلاصته الأمر بالتقوى، وبيان شأن التقوى، وثمرات التقوى، وترغيب العباد بالتقوى، وزجرهم، ونهيم عن مخالفة التقوى، وكذلك هي أول ما خاطبت به الرسل عليهم الصلاة والسلام أممها يقولون: اتقوا الله، أول شيء: اتقوا الله، كما ذكر الله عز وجل من قصص المرسلين عليهم الصلاة والسلام في سورة الأعراف، وفي سورة الأنبياء، وفي سورة هود، وفي سورة الشعراء، وغير ذلك من السور، فأول ما خوطبت به الأمم الأمر بالتقوى.

ومن خصوص ما اعتنى الله عز وجل بعباده في خطابه: أنه قال: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة:١٩٧] فهي خير الزاد للآخرة، ما تزود المتزودون لآخرتهم بمثل التقوى هذا كلام رب العالمين جل وعلا، وهذا نصيحته لعباده المكلفين من الجن والإنس، الحاكم والمحكوم والعالم والمُعلم والكبير والصغير والذكر والأنثى والجن والإنس، كلهم.

وقال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف:٢٦] فهي خير اللباس، وأهم اللباس، وأنفع اللباس ما يسترك من النار يوم القيامة، فلذلك يجعل الله عز وجل التقوى نورًا يحيط بالمؤمنين من عباده المسلمين من جميع جهاتهم، فإذا وردوا على الصراط تقول النار أجارنا الله وإياكم منها: "**جُز يا عبد الله فقد أطفأ نورك حري**" وأما الكفار فيُعطون نورًا كاذبا مثلما كذبوا هم كذبوا المرسلين، كذبوا كلام رب العالمين، فليس لهم نور، ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا ﴾ اصبروا لنا ﴿ نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾ من جهة الجنة ﴿ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ ﴾ ايش؟ ﴿ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ﴾ يعني كذبتم، استكبرتم، استنكفتم، نافقتم، فارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا.

وكذلك أخبر الله جل وعلا العباد في هذه الدار قبل دار القرار قال: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣].

فيحتاج المسلم إلى أن ينتبه لهذه المعاني الثلاثة: أن التقوى خير الزاد، وأنها خير اللباس، وأن أهلها أكرم الناس على الله عز وجل. فما هي هذه التقوى التي هذا شأنها؟ هي أن تعمل بطاعة الله تعالى على نورٍ من الله على علم ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله تعالى على نور، على علم، تخشى عقاب الله، هي أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك، هي الخوف من الجليل من الله جل وعلا، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل من الدنيا، والاستعداد ليوم الرحيل، هي في كل مقام بحسبه، في كل مقام أنت فيه أو حال اذكر ما حق الله عليك، فإن كان أمرًا بشيء فائتِ منه ما استطعت، وإن كان نهيا عن شيء فاجتنبه ولا تدنو من حماه ولا تقربه، هذه التقوى.

ما ثمرات التقوى؟

أول شيء قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهي وسيلة العلم النافع المثمر لخشية الله تعالى والعمل الصالح.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال:٢٩] يجعل لكم تمييزا بين الحق والباطل، والأخيار والفجار، وما يوصل إلى الجنة، وما يوصل إلى النار حتى تكونوا على بَينة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ هذه من ثمرات التقوى: محو الخطيئات، ﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾ يغفر لكم خطاياكم، ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ والله غفور رحيم، فهذه من ثمرات التقوى.

قال الله جل وعلا: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ يعني: من كل ضيق ﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ في كل مكان، في كل زمان.

وقال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق:٤].

وقال: ﴿ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ ﴾ [الطلاق:٥].

وقال: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ [آل عمران:١٢٠] يعني الكفار والظلمة والأعداء، وهكذا، حتى إن الله عز وجل لما ذكر النار وهي منزلة قبل الجنة، ولا طريق إلى الجنة إلا من فوق النار، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] فجعل التقوى هي سبيل النجاة من النار ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ فالكفار وضلال أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس، كلهم إلى النار، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، والوقاية هي التقوى، ولما ذكر الجنة وأثنى عليها قال: ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [مريم:٦٣] مثلما أن الوارث يرث مورثه قطعا إلا بمانع شرعي من قتل أو كفر باختلاف الدين، أو غير ذلك من موانع الإرث، فالتقي للجنة قطعا، وقال: ﴿ نُورِثُ ﴾ كيف نورث؟ يعني إن الله عز وجل إذا أدخلك الجنة فما حولك من المنازل التي أُعدت في الجنة للكافر لو آمنوا لكنهم كفروا يورثك الله إياها ما عن يمينك، وما عن شمالك، وما

من أمامك، وما من وراءك، فكل أحد في الجنة يورثه الله تعالى ما حوله من منازل الكفار، كرم من الله عز وجل.

فيجعل الله عز وجل الجنة حقا لك، كما أن ميراثك حقا لك من مورثك ما لم يمنع مانع شرعي، فكذلك منازل الكفار التي تركوها وذهبوا إلى النار يورثك الله إياها، أنت أحق بها، لأن الجار أحق بصقبه، فهذا من معاني وراثة الجنة، وهذه من ثمرات التقوى، وكم هي الأمور التي أكرم الله بها المتقين في القرآن اقرؤوا من أول القرآن إلى آخره تجدون هذا، فينبغي للإنسان أن يحرص على التقوى.

وأن يتذكر التقوى في جميع مقاماته، إذا أُذن للصلاة ما حق الله عليك؟ أن تتطهر وتذهب للصلاة تتفرغ للصلاة ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح: ٧-٨] مع الوالدين التقوى، البر، والأدب، والقيام بحق الوالدين عليك، مع الزوجة العشرة بالمعروف، مع الأولاد، وصية الله تعالى فيهم: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [النساء:١١]، ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦].

مع الشريك في العمل، في البيع، في الشراء النصح والبيان وترك الكذب والكتمان، إذا عُرض عليك الحرام أنك تتركه المال الحرام تتركه، ولا يغريك ولو كثر، فإن الربا وإن كثر فعاقبته إلى قلة، والحرام سحت، وأيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به، إذا عرضت لك الصورة بأي وسيلة من الوسائل فغض البصر عنها وأعرض عنها بصورة المرأة، صورة الفتنة، صورة الإغراء بالفاحشة، كل هذا أعرض عنه، وهذا من التقوى، ثم اسمع وصية الله عز وجل لك يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣١] لكن إن فعلتم فعل الكافرين تدخلونها، إلا أن تتوبوا أو يعفو الله عنكم ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ لكن من عمل عمل الكافرين، وعمل المنافقين، وعمل الفاسقين صار عرضة للنار، ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

قال: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣]؛ من هم يا رب المتقين؟ قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [آل عمران:١٣٤] وفي سائر الأحوال، إن كانوا في السراء توسعوا في الإنفاق في المشروع في النفقة على النفس وعلى الأهل والنفقة

الواجبة وتوسعوا أحيانا وصلة الرحم ومواساة المحتاجين والنفقة في بيل الله ابتغاء مرضاة الله، وإن ضيق عليهم فبحسب الحال لكن ما يتركون الإنفاق، وما من يوم إلا وينزل في صباحه ملكان كل واحد منهما يدعو فيقول أحدهما: "**اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الثاني: اللهم أعط ممسكا تلفا**".

منفقا في الواجب والمستحب، يعطيك الله خلفه، يزيدك في رزقك ويجدد رزقك.

والثاني يدعو يقول: أعطي ممسكا تلفا.

يعني أنفق في الحرام وأنفق في معصية الله في الإسراف، وأنفق في التبذير زاد عن الإنفاق المشرع، فهذا يدعى عليه بالتلف.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ ما ينفذون غيظهم على وجه الإصلاح يعفون ليعفو الله عنهم، ولا يكون في قلوبهم غل للمؤمنين، ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ ﴾ [النور:٢٢] بعد.

وكان رجل من الصحابة رضي الله عنهم أساء إلى أبي بكر رضي الله عنه في خاصته، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه، فأقسم بالله لا ينفق عليه فأنزل الله هذه الآية عتابا له: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ ﴾ لا يحلف ﴿ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ ﴾ [النور:٢٢] فقال الصديق: قد عفوت، قد عفوت، ورد النفقة عليه وصفح عنه، هكذا.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٤ - ١٣٥] فيما بينهم وبين الله، أو فعلوا فاحشة ارتكبوا شيئا مما حرم الله، أو جناية على أحد تخلصوا منه في الدنيا قبل الآخرة بالتوبة من حق الله عز وجل، ورد المظلمة إلى المظلوم، يصلحون معه قبل الآخرة، لأنه في الآخرة ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧ ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ ﴾ لم يكرروا الذنب، لم يجعلوه جزءا من مظهرهم، أو مخبرهم تشتمل عليه قلوبهم من غل، أو حقد، أو كبر، أو حسد، أو ضغينة، أو غير ذلك، لا، وهكذا المظهر ما يكون إسبال، ولا حلق لحية، ولا كلام فاحش بذيء، ولا سب، ولا شتم، ولا لعن، ولا غيبة، ولا نميمة، ولا غير ذلك من المنكرات.

﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ من كرر الذنب فقد أصر، ومن تمدح بالذنب في المجلس فقد أصر، ومن جاهر بالذنب حتى يقتدى به يقتدي به من يحسن الظن به فقد أصر، فيكون الذنب عليه قد تضاعف العقوبة عليه بأسباب، منها: التكرار، ومنها: الأسوة السيئة، ومنها: المجاهرة، ومنها: الاستخفاف بالذنب، وأن يكون جزء من الشخصية والمظهر حتى ما يذهب للعيد والجمعة إلا وقد عصى الله عز وجل، في أبلغ من هذا إصرار؟

﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ فبَين الله عز وجل أن المتقين قد تقع منهم المعصية، وقد تقع منهم حتى الكبيرة التي لا تناقض الإيمان وتنافيه، لكنهم يبادرون بالتوبة ولا يصرون.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ ﴾ [النساء:١٧] ومن تاب قبل أن يموت وقبل أن يغرغر فقد تاب عن قريب، والمؤمن ما يعمل الذنب إلا بجهالة، والجهالة أحيانا تكون عدم العلم بالذنب، وقدر الذنب، وقد تكون أحيانا الهوى والشهوة التي تغطي العقل فيتصرف صاحبه تصرف الجاهلين، ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ ﴾ [البقرة:٦٧] هكذا جاء في التنزيل، فيتوبون من قريب، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [النساء:١٨] يعني ثم يسوفون بالتوبة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ هذا المسلم إذا أخر التوبة حتى يُغرغر فما تُقبل منه التوبة، لماذا؟ لأنه فقد الاختيار، وصارت التوبة ضرورية الآن، وربما أنه يتوب وهو لا يعقل فما تقبل منه، ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ وختام الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾.

نسأل الله العافية والسلامة.

فالأمر ينبغي أن الإنسان يستعد قبل فواته أمر كبير وخطير وعظيم، فمثلما بَين الله عز وجل ثمرات التقوى في آي كثيرة من كتابه قد تجاوز ثلاثين فائدة، كل واحدة منها خير من الدنيا وما فيها، بَين أيضا شؤم ترك التقوى، ومن أمارتها الإصرار على الذنب حتى يلاقي ربه به، سواء كان الذنب كفرا من الكافر، أو نفاقا من المنافق اعتقاديا أو عمليا، أو فسقا من المسلم، فإذا أخر التوبة حتى يغرغر ما قبلها الله منه، وهذا خطير، والآجال مغيبة ولا تأتي إلا فجأة، وربما في الغالب ما تأتي إلا في حال طول الأمل، الأمل العريض، فينتبه الإنسان لهذا قبل فوات الأوان، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٨١] أتدري متى ذلك اليوم؟! ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾.

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ [الحشر:١٨] كل ما أسلفت من عملٍ سيئ أو صالح قبل لحظتك التي أنت فيها فأنت قدمته لغد ليوم القيامة، فإن كان صالحا فاغتبط به ودم على مثله واجتهد في زيادته على وفق الشرع، وإن كان سيئا فتخلص منه قبل أن تفاجأ بالأجل وتغرغر أو تطلع الشمس من مغربها، فتوبة الفرد الشخص من ذكر أو أنثى من جني أو إنسي هي ما لم يغرغر، وتوبة العامة ما لم تطلع الشمس من مغربها، فيُنتبه لهذا، فالتوبة أو التقوى لها ثمرات، والإصرار على الخطيئة أيضًا له تبعات، فبادر إلى ثمرات التقوى لتنالها، واحذر من تبعات الإصرار على الخطيئة، وتكرار الخطيئة، والمجاهرة بالخطيئة، والأسوة السيئة بالخطيئة قبل أن تفاجأ بالأجل وتقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] ما ينفعك هذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وأَمَّا الأَحَاديثُ فَالأَوَّلُ: عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ مَن أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ:"أَتْقَاهُمْ"فقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذا نَسْأَلُكَ، قَالَ:"فيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ ابنُ نَبِيِّ اللهِ ابنِ نَبيِّ اللهِ ابنِ خَلِيلِ اللهِ". قَالُوا: لَيْسَ عن هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَب تسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ في الْجاهِليَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسلامِ إِذَا فَقُهُوا" متفقٌ عَلَيهِ.

و"فَقُهُوا"بِضَمِّ الْقَافِ عَلَى الْمَشْهورِ، وحُكِي كَسْرُهَا. أَي: عَلِمُوا أَحْكَامَ الشَّرْعِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فقد ذكر الإمام النووي ﵀ تعالى وإيانا في "باب التقوى": حديث أبي هريرة ﵁، وأن النبي ﷺ سئل: من أكرم الناس؟ قال: "أتقاهم لله تعالى، قالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال: عن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا".

فنبه النبي ﷺ على أن أكرم الناس دنيا وآخرة أتقاهم لله جل وعلا، يعني أعملهم بطاعة الله، وأتركهم لمعصية الله، وأكثرهم توبةً واستغفارا من معاصي الله جل وعلا، وأعظمهم إحسانا إلى مستحقه ابتغاء وجه الله، هذه التقوى أربعة أمور: فعل الطاعات، وترك المنهيات، والتوبة إلى الله عز وجل من الخطيئات، والإحسان إلى مستحقه من البريات.

فلما قالوا: ليس عن هذا نسألك. وهذا هو الموافق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:١٣] وما أثنى الله تعالى به على المتقين في آي كثيرة من كتابه، وعدهم على ذلك ثواب الدنيا وكرامة الآخرة، قالوا: ليس عن هذا نسألك، فقال يوسف نبي الله يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم وعلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وسائر الأنبياء والمرسلين أتم الصلاة وأزكى التسليم، يعني هو أكرم الناس بعد موسى ﵇ وقبل نبينا ﷺ، وبعد عيسى ﵇، لماذا؟ لأن يوسف ﵇ منّ الله جل وعلا عليه بالعلم، ومن أخص العلم: تأويل الرؤى.

ثانيا: حُسن سياسة وتدبير الملك.

وثالثا: الإحسان إلى مستحقه من قريب ومن بعيد، ولذلك عامل إخوته مع أنهم أساءوا إليه أبلغ الإساءة برفق وإحسان، وحلم وكرم، وهكذا كان في السجن حتى أنه لما أول رؤيا اللذين دخلا معه السجن قال: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف:٤١] يعني يطلع من السجن، ويرجع إلى وظيفته في خدمة الملك، ﴿وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ وأن يعاقب أشد العقوبة بالقتل، فما سمى واحدا ما قال: أنت يا فلان ولا أنت.

ثانيا: أنه لما أُخرج من السجن يعني وعظهما في السجن وحثهما على التوحيد، وبَين لهما أنه على طريقة صحيحة، وأنه من بيت النبوة والرسالة، وقال: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝٣٨﴾ [يوسف:٣٨] وقال: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف:٤٠] ، فلما خرجا من عنده ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف:٤٢] لم يجزم، لأن العلم عند الله جل وعلا، ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝٤٢﴾ ثم تذكر وأخبر أن في السجن من يؤول الرؤى، وكانت سببًا في خروج يوسف وإظهار براءته مما أُتهم به من كيد النساء، وأن وُلي الملك، فصار هو وزير الدولة المطلق، وخصوصا في شئون المال وسياسة الملك وسياسة الناس، فيما يسمى بالتقشف الاقتصادي وغير ذلك. فجمع الله له بين هذه الأمور العلم الشرعي، وحُسن سياسة الملك، وحُسن تدبيره، هذا ما نفع الناس عامة أهل المملكة التي فيها مصر وغيرهم، فإن والديه أتياه من فلسطين، كانوا يأخذون الميرة من مصر، وهكذا من جاور مصر، فجعله الله بركة على أهل مصر وخيرا.

والثالثة: حُسن المعاملة ابتداء من بيت العزيز، ثم السجن، ثم الخروج منه كونه في سدة الملك، ثم تعامله مع إخوانه وغيرهم كان من المحسنين، ولهذا شهدوا له ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦﴾ [يوسف:٣٦]} مع ما آتاه الله من شرف النسب والحسب فإنه نبأه الله عز وجل وجعله رسولا ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر:٣٤].

وأنه نبي ابن نبي ابن نبي ابن خليل الله، فقالوا: ليس عن هذا نسألك؟. يعني نسألك سؤال خاص يتعلق بنا معشر العرب، قال: تسألوني عن معادن العرب؟ قالوا: نعم، قال: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. يعني من أدرك الإسلام منهم، فممن لم يدرك الإسلام مثلًا حاتم الطائي، كان من خيار الناس، أوفى بالعهد، وأكرم، وأحلم، وأعون للناس على نوازلهم، وأسباب الضيق التي تمر بهم، كان يفك الأسير، ويعطي العاني، ويصلح بين الناس، ويفعل كذا وكذا، كل الأمور.

طيب لكنه ما أدرك الإسلام، ولهذا لما جاءته ابنته للنبي ﷺ يوم فتح الله عليها طي حائل (٠٨:١٥) قالت: إن أبي حاتم كذا وكذا وكذا وكذا، فاستغفر له، قال: لو كان أبوكِ مسلما لترحمنا عليه. كيف وقد نهي النبي ﷺ عن الاستغفار لعمه أبي طالب ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة:١١٣] كيف وقد نُهي أن يستغفر لأمه لما زار قبرها استأذن أن يزور قبرها فأذن الله له، فلما وصل القبر بكى وأبكى من حوله عليه الصلاة والسلام رحمةً بها، واستأذن أن يستغفرون لها فأنزل الله تعالى الآية التي فيها أبو طالب: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

لأنهم ماتوا على الشرك، وهذا يبين لكم ولغيركم خطأ بعض الناس اليوم الذي صارت مناسبة ماضية توفي أحد مشاهير العالم هذا جعل وقف صدقة، وهذا حمل لوحة، وهذا كذا، وهذا كذا، وهذا يقول: ترحم، وادعوا له، هؤلاء مجانين ما هو بصحيح، فينبغي التنبه لهذا.

فالمقصود: أن يوسف عليه السلام كان أكرم الناس، يعني في زمانه لأنه جمع الله له بين التقوى والفقه وشرف الحسب، وشرف النسب، والإحسان إلى الناس لمستحقه، وعدي بن حاتم كان كريما لكنه في الجاهلية وما أسلم ما أدرك الإسلام، فهو حكمه حكم أهل الفترات قال: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥١ - ٥٢] .

وحكيم ابن حزام، رضي الله عنه، ابن عم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، من مشاهير أغنياء مكة شرفها الله، وكان في الجاهلية يتصدق ويعتق ويصل الرحم، وله أمورٌ كثيرة حسنة، فسأل النبي ﷺ قال: أرأيت أشياء

كنت أتحنث بها في الجاهلية، أتعبد بها لله في الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم، يعني وفك أسير وتفريج عن عاني.

مثلما قالت خديجة للنبي ﷺ: "كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق".

فكانت هذه الخصال مشهورة في بعض أهل الجاهلية، فكان حكيم على هذه الخصال، ومنّ الله عليه تعالى فأدرك الإسلام، فاستفتى النبي ﷺ فيما فعل في الجاهلية قبل أن يُسلم، فقال: أسلمت على ما أسلفت من خير. يعني تكتب له هذه، لماذا؟ لأنها ختمت بالإسلام، قال النبي ﷺ: "**من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أُخذ بالأول والآخر**" هذا الفرق.

فلما قال: "**عن معادن العرب تسألوني**"؟ قالوا: نعم، قال: "**خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**" إذا تعلموا دينهم وعملوا به، وهدوا الناس إليه، وصاروا أسوة حسنة للناس فيه، مثل حكيم بن حزام، وهكذا كان سعد بن معاذ رضي الله عنه رئيس الأوس من الأنصار، وهكذا كان قيس بن سعد بن عبادة أيضا، كان من مشاهير الصحابة رضي الله عنهم (١٢:٢٦) وهكذا كان الصديق رضي الله عنه، وأعظمهم كلهم أفضل الأمة بعد النبي ﷺ، بل أفضل أتباع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام جميعا أبو بكر رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ في الغار، وصديق الأمة، بل والصديق الأول بعد النبي عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان عثمان رضي الله عنه، وهكذا كان عمر قبله، وكان علي رضي الله عنه، وكلهم، وعبد الرحمن بن عوف، ومشاهير من الصحابة، لكن هذا قيس بل سعد بن معاذ زعيم الأوس لما قدم النبي ﷺ مهاجرا المدينة جاء قبل الظهر، قال لقبيلة الأوس: عزمت على من كان لي عليه حق أن لا تغرب شمس هذا اليوم إلا وقد أسلم.

فأسلموا كلهم عن آخرهم، لماذا؟ لشأنه عندهم، لكثرة إحسانه وفضله عليهم، وأما قيس بن سعد بن عبادة فكان يُسعف الناس ويُقرضهم ويتصدق عليهم وكل شيء، وكثُر معروفه وفضله على الناس الصحابة والتابعين، فمرض ذات مرة، وصار اليوم الأول والثاني والثالث وعادة النبي ﷺ وأصحابه أنهم ما يزورون المريض إلا بعد ثلاث إذا افتقدوه من المسجد، فإن كان مسافرا خلفوه في أهل ذي الخير أوصوا واحدا ثقة يروح لأهله تحتاجون شيء؟، وإن كان مريضا عادوه عيادة المريض بعد ثلاث، لأنه قد يكون مرض عارض، وقد يكون المرض معد بعد، فيتبين، وإذا لم يكن لا مريض ولا مسافر أساءوا به

الظن يعني خافوا عليه أن يكون قد نافق أنه ما يتخلف عن الجماعة وخصوصا في الفجر إلا هؤلاء، أو منافق قد عُلم نفاقه، فيصير من المنافقين، فقيس هذا بعد ثلاث جاءه واحد فقال: ما للناس؟ يعني أين (١٤:٥٤) أين الذي يطلب خرفة الجنة بعيادة المريض، وزيارة أخيه في الله؟ قالوا: إنهم يستحون منك. يعني لفضلك عليهم ومعروفك الذي ما قبلوه بردهم قرض، وكذا، وكذا، وكذا، وكذا، فأرسل أحدا عند باب المسجد في الباب من أول المسجد: من لقيس ابن سعد عليه حق فهو في حل. فكادت عتبة بابه أن تنكسر من كثرة الداخلين عليه، لما أباحهم، لأنهم محرجون، فدل على كرمه رضي الله عنه.

هذا هو "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"، لماذا؟ لأن الإسلام يهدي إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال فيتمها، ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي في الجاهلية يؤجرون عليها في الجاهلية في حياتهم، سعة في المال، وكثرة في الولد، ومحبة في الناس، وشهرةً بين الناس، وتقديما من صدور المجالس، وغير ذلك، لكن ما لهم في الآخرة من نصيب لأنهم مشركون، أما من أسلم فيجمع الله له بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، هكذا يعني، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، كما قال النبي ﷺ لحكيم ابن حزام: "أسلمت على ما أسلفت من خير".

فيجمع الله له بين ثواب الدنيا وثواب الآخرة، ولا يظلم ربك أحدا، ولهذا قال تعالى في صفة المتقين أهل المغفرة والجنة قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٤].

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عن ابن مسعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيّ - ﷺ - كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ الهُدَى، وَالتُّقى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى». رواه مسلم.

عن أبي طريفٍ عدِيِّ بن حاتمٍ الطائيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أتْقَى للهِ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى». رواه مسلم.

عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبيّ - ﷺ - قَالَ: «إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كَيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فإنَّ أوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: الحديث الأول ذكره الإمام النووي رحمنا الله وإياه في "باب التقوى" : أن النبي ﷺ مع ما أوتي من العلم والحكمة والسداد والعصمة من الذنوب وكبائر الذنوب كان يُلح على الله عز وجل بالدعاء يقول: "اللهم إني أسألك الهدى" يعني العلم النافع عملًا بقول الله تعالى له: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه:١١٤].

"والتقى" التقى هو العمل الخالص الموافق للشرع بالعلم، والعمل بالعلم، مخلصًا لله تعالى في النية والقصد متمسكًا بالشرع من حيث المشروعية والكيفية في الأداء، "إني أسألك الهدى والتقى والعفاف" العفاف عن المحرم، والحاجة إلى الناس في الفضول، والأمور المشتبهة، "والغنى" غنى النفس بحيث أن الإنسان ما يتطلع إلى ما في أيدي الناس، ويقنع بما آتاه الله تعالى وإن قل ويسأل الله البركة فيه، وأن يكون عونا على الطاعة، لأن الله أمره بذلك أمر النبي ﷺ بذلك في آية من كتابه، مثلما سمعتم في الهدى، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه:١١٤].

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [التوبة:٣٣].

وكذلك "التقى" العمل بالعمل، ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم:٧٦].

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧].

فإذا كان هذا من النبي ﷺ، وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بنا؟ نحن بأمس الحاجة إلى هذا الدعاء والإخلاص فيه، ولا سيما في أزمان الفتن العظيمة المدلهمة والمفاجئة، والتي لم تطرق الناس فهذه تكون الفتنة بها كبيرة وعظيمة جدا، ولهذا جاء في الحديث الذي بعده حديث أبي سعيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "**إن الدنيا حلوة خضرة**" يعني مغرية بحلاوتها ونضارتها، فكل إنسان على خطر من الاغترار بها أن يأخذها من حِلها ومن حرمتها، فيأخذها بالكسب الحلال وبالكسب الحرام إذا إنه ترك نفسه وهواه وجارى الناس المخالفين للشرع فيما هم عليه، وتأول التأويل الباطل الذي يريد منه أن يتوصل إلى ما يشتهيه ولو كان محرمًا أو متشابها.

قال: "**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**" ايش علاقة النساء بالدنيا؟ علاقة وثيقة جدا، لأن النساء لا تبغي ولا تطغي في الغالب تغلب الرجال، و "**هن شر غالبٍ لمن غُلب**" كما قال النبي ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتفق عليه: "**ما رأيتم من ناقصات عقلٍ ودين أغلب**" أو في رواية: "**أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**" أو "**للب ذي لب من إحداكن**، قلنا: وما نقصان ديننا يا رسول الله؟ قال: **أليس إذا حاضت**" يعني ونفست "**لم تصلّ ولم تصم**"، وإن كانت معذورة، لكن معناه أنه يفوتها شيء من زكاة النفس، وهي معذورة في هذا الحال، قلنا: "بلى، قال: **فذلك من نقصان الدين، أليس شهادة إحداكن أو الاثنتين بشهادة رجل؟** قلنا: بلى، قال: **فذلك من نقصان العقل**" يعني هذا شيء جبلي جعله الله لحكمة، وهو أن المرأة في الغالب تغلب عاطفتها عقلها (٠٧:٢٩) تصبر على المصائب، ومن ذلك فقد الزوج، ومن شأنها أنها تتحمل تربية الأولاد مع تعددهم، وتفنن مطالبهم، واختلاف أحوالهم صحةً وسقما، إلى غير ذلك، فهذا جعله الله تكميلا للمرأة من أجل أن تقوم بوظيفتها في الحياة، فتتحمل ما لا يتحمل الرجل في هذا.

ومن ذلك: إن المرأة قديما وحديثا في بني إسرائيل صارت تطالب الرجل بما لا يستطيع من النفقة، وهي من الأمور التحسينية والكمالية، حتى أنه يرتكب الدين الذي يحرجه ويذله، وحتى أنه يطلب الدنيا ولو بالحرام عن طريق رشوة، وغير ذلك، والربا، "**يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ المال أمن الحلال أم من الحرام**".

وقال عليه الصلاة والسلام: "**يأتي على الناس زمان من لم يأكل الربا أصابه من غباره**" وفي رواية: "**من دخانه**" يعني لا يكاد يصله مع الحرص، وهذا مما وقعت فيه نساء بني إسرائيل قبل هذه الأمة، فإنهن حملن أزواجهن على زيادة النفقات في الزينة والكماليات والتحسينات، وصارت مشاكل أسرية من طلاق وفراق ومن جنايات ومن كذا ومن كذا ومن أنه يضعف دين الرجل بسبب الحاجة للدنيا، فيأخذ المال الحرام متأولًا، وهذه فتنة من فتن بني إسرائيل التي سببتها النساء، هذه واحدة.

ومن الفتن كذلك: أنهن تطيبن وتبرجن وذهبن إلى مواضع العبادة بهذه الحالة، ولما رأت عائشة أم المؤمنين ﵂ ما جرى في زمانها، وقد عُمرت بعد النبي ﷺ ما يقارب خمسين سَنة رأت ما حدث للنساء قالت: "لو رأى النبي ﷺ ما أحدثت النساء" تعني في الذهاب إلى مواضع العبادة "لمنعهن المساجد كما منعت بنو إسرائيل نسائها من المساجد" درئًا للفتنة وتوقيًا للشر، حدث هذا في بني إسرائيل، وحدث في هذه الأمة بعد النبي ﷺ بزمن ثم استمر، والآن اليوم هذا في رمضان تذهب النساء للمساجد للقيام قيام الليل متعطرات متبرجات خاليات بالسائق بدون محرم، ويزاحمن الرجال على الأبواب، وابن عمر ﵄ ما دخل مع باب خصصه النبي ﷺ للنساء ستين سَنة، حيث أن هذا الباب مخصص للنساء ما دخل معه حذرًا من الفتنة.

وقال سعيد بن المسيب ﵀ وهو في الثمانين: "والله ما أخاف فتنة مثل النساء" عمره ثمانين سنة، فإذا كان يخاف وهو ابن ثمانين فكيف ابن العشرين والثلاثين ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال:٢٥].

فوالله إن هذه الفتنة ورائها ما ورائها إن لم يعن بها من يعنيهم الأمر بعلاج حازم وصارم، وإن لم يأخذ المرء حذره، وإلا فهو على وشك الوقوع في الفتنة.

جاء في الصحيح: أن امرأة من بني إسرائيل تُعاب بقصرها، فإذا مشت بين المرأتين وإذا هي أقصرهن، وبنو إسرائيل كان يعجبهم طول النساء، فعمدت إلى أن صنعت لها نعلين لتطيل قامتها بها من خشب بطريقة، وعمدت إلى أن تجعل لها في يدها تجويفا من حليتها، أو دعت فيه مسكا وهو أطيب الطيب، فجعلته يتحرك آليا، ينفتح آليا، وخرجت من بيتها ومشت بين النساء وهي في طولهن.

ومرت بالرجال والتفت إليهم وأشارت بيدها فظهر من يدها ريح المسك لتفتن الرجال، ثم تجارت النساء على هذا، انظروا كيف، فوقع بنو إسرائيل في الفاحشة بسبب التهاون بشأن النساء، وبسبب جرأة النساء، وكان من أخطائهم الكبيرة: أنهم كانوا يحتقرون النساء هم، وكانوا لا يرونهن أهلًا للتعليم الديني، وكانوا، وكانوا، فكان المتشددون يحتقرون النساء ولا يجتمعون معهن تحت سقف، أو مكان، ويرون أنهن شياطين فتنة، وكانوا متساهلون أتوا على هواهن وعلى ما يردن منهن وهن أيضا استغللن ذلك في الفتنة.

وصدق رسول الله ﷺ: "**اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**".

وقال في الحديث الآخر عليه الصلاة والسلام: "**ما تركت فتنة هي أضر على أمتي من النساء**".

فإنا لله وإنا إليه راجعون إنا لله وإنا إليه راجعون، ابتليت النساء بالرجال، وابتلي الرجال بالنساء، وكيف وقد قال ﷺ: "**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**".

وأخبر ﷺ أن المرأة إذا خرجت متبرجة متطيبة فهي كذا وكذا، يعني زانية، وقد قلت لكم في عدة دروس سابقة: إن نصوص الشرع دلت على أن من عصى الله بشيء كان عرضةً لأن يُعذب به في الدنيا أو في الآخرة، وذكرت لكم أمثلة: المرأة التي منعت الهرة من الطعام حبستها عُذبت بها رآها النبي ﷺ تنهش الهرة عجيزتها. تُعذب بها، والذي يسرق متاع الحجيج في الليل في الأودية بين الجبال بالمحجن رآه النبي ﷺ واقفا في النار يعذب متكئ على محجنه هذا كأن المحجن ماسكه في العذاب، وعمرو بن لُحي الخزاعي، أول من غير دين إبراهيم عليه السلام رآه النبي ﷺ يجر قصب أمعاءه في النار يدور بها كما يدور الحمار بالرحاء، والعياذ بالله.

وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته: "**من تحسى سُمًا فمات فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدا فيها أبدا**".

فبلغوا أهل المخدرات وبلغوا أهل التبغ الدخان التتل وبلغوا كل من يتعاطى هذه الأمور السامة بأي وسيلة يتعاطها أنه عرضة لأن يعذب بها في نار جهنم خالدا مخلد فيها أبدا، وقال ﷺ: "**من وجأ بطنه**" انتحر شق بطنه بحديدة أو بشيء سواء اختنق أو انتحر أو أشعل النار في نفسه أو كذا أو كذا، "**فما قتل به نفسه يعذب به يوم القيامة في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا**".

ولذلك قال ﷺ: "**ومن تردى من جبل، فمات، فهو يتردى فيه في نار جهنم خالدًا مخلدا فيها أبدا**".

والمرأة النائحة التي من شدة حزنها واعتراضها على الله تعالى في قدره في مصيبتها في قريبها من زوجٍ أو أبٍ أو غيره قال: "**تُبعث يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**" لباس من النار الذي خلعته فعصت الله عز وجل به تعطى بدله لباسا من النار يوم القيامة، في نصوص كثيرة، ومن ذلك صاحب المال الذي لا يؤدي زكاته يعذب به سواء كان ذهبا أو فضة، أو كان بهيمة الأنعام من إبل أو بقر أو غنم فتمر عليه تطأه بأخفافها وأضلافها وتعضه بأفواهها كلما مرت عليه أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يفرغ من حساب الخلق، وصاحب الذهب والفضة، وأمثالها الدراهم الورقية وغيرها فهذا يُجعل له صفائح من النار فيُكوى بها تُكوى به جبهته وجبينة وظهره وجنبه التي يُعرض بها عن الفقراء حتى لا يعطيهم الزكاة، فمن عصى الله بشيء فإنه يعذب به يوم القيامة، وهذا خطير.

والنبي ﷺ قال: "**العينان تزنيان وزناهما النظر، واليد تزني وزناها اللمس، والرجل تزني وزناها البطش**"، أو كذا، كما قال ﷺ: "**والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**" فمن عصى الله بنظره كان عرضة أن يُخطف نظره، لأنه ﷺ قال في الصلاة: "**أما يخشى أقوام يرفعون أبصارهم**" يعني وهم في الصلاة "**أن تُخطف أبصارهم**" يعاقبون بها يعني تخطف يصيرون عميان، وقال عن الذي يصلي ويرفع رأسه قبل إمامه: شابه الحمار في البلادة، "**أما يخشى أن يجعل الله صورته صورة حمار**" يُعاقب، فإذا ابتلي الناس، ابتليت النساء بالرجال، وابتلي الرجال بالنساء.

فهذا من معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾ [آل عمران:١٨٦].

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾ [البقرة:١٥٥] الدواء: هو الصبر.

وقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ ﴾ [الحديد:٢٢].

فما أخبر الله تعالى به، وما أخبر النبي ﷺ فسيقع، لأنه ما أُخبر به إلا على وجه التحذير، وقول النبي ﷺ: "**لتتبعن سَنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**" ريشة السهم لو سقطت في مكان سقط السهم المتأخر فيه. "**حتى لو دخلوا جحر ضبٍ**" على ضيقه يعني "**لدخلتموه**"

فهذا أمر واقع يعني منتظر ووقع كما أخبر النبي ﷺ، فمن لم يأخذ حذره ويعتصم بالله حتى يُهدى إلى الصراط المستقيم فلا يلومن إلا نفسه، ولا يصبح الرجل أو المرأة زاني أو زانية إما بالنظر، وإما باللمس، وإما بالمشي، وإما بالإفضاء بالفرج، فإن عقوبة الزنى خطيرة جدا، ومما يخوف الله عز وجل به الناس رجالا ونساء الكسوف والخسوف، فإن من أسبابه: الزنا، ومن ذلكم الابتلاء بالأسقام الخطيرة والطواعين التي لم تكن في الأسلاف، ولذلك صرح عظماء العلماء بأنه لا علاج للإيدز وغيره من الأمراض المستعصية إلا بترك الزنا، حكام مسؤولون كفار بعد، فمن تعاطى الزنا ابتلي بهذه الأمراض، وهلك بها، وإذا هلك بها فقد يكفر الله بها من ذنوبه، وقد تكون عقوبة معجلة له في الدنيا قبل الآخرة، وما عند الله أشد وأبقى.

الصحابة رضي الله عنهم قالوا: إنا كنا نقرأ هذه الآية: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥] تصيب المجتمع يعني عامة "فكنا نظنها في غيرنا وإذا هي فينا".

انظروا كيف؟ وأخبر النبي ﷺ أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه، ثم يدعونه فلا يستجيب لهم، فيا أيها الرجل ويا أيتها المرأة خافوا الله من فوق سبع سماوات، فإن جنده معكم أينما كنتم من الملائكة الحفظة، والملائكة المعقبات، وإن الله تعالى إذا غار وقال للشيء: كن فيكون" حلت العقوب، فإن الله يغار، وغيرة الله يعني موجب غيرة الله تعالى أن يأتي العبد ما حرم الله عليه، ومن عصى الله بعضو من بدنه كان عرضةً لأن يعاقب به، ولذلك السارق تُقطع يده، الزاني المحصن يرجم حتى يموت ويعذب ببدنه، فاتقوا الله عباد الله، ولا تقولوا: فُتحت علينا الفتنة، فهذا تدبير الله لخلقه ولملكه وما يبتلي به عباده، وله الحكمة في ذلك، ومن ذلك أن يمحص إيمان المؤمنين ويظهر فجور الفاجرين، ويستحق كل عاملٍ جزاء عمله، فالمحسن يستحق الإحسان، والمسيء يستحق العقوبة والذلة والهوان، وإذا كان الإنسان تمضي عليه ساعات طوال وهو مبلي بخلطة النساء فليأخذ حذره، ولتأخذ المرأة حذرها، ولا يكون هذا مسوغ للمساس الذي يذهب معه الإحساس خذوا حذركم، ﴿

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ [الأنفال:٢٤] ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال:٢٥].

وهذا أمرٌ وقعت فيه البلوى، لكن ينبغي لأولي الألباب والنهى، وينبغي لمن ولاه الله مسئولية أن يتذكر موقفه غدا بين يديه، اليوم هو آمر وناهي، وغدا يقف بين يدي الله وحده، ولا حُجة له لأن الشرع واضح وبَين، وما أشكل أمره يُرجع فيه إلى أهل العلم والبيان، أما أن تُمكن الفتنة، وأما أن يبتلى الناس بالفتنة، فهذا والله مسئوليته خطيرة، وقد ذهبت الدنيا، وذهب الجاه، وذهب المال، وذهب المنصب، وقدم الإنسان على ربه من لحده ما معي شيء حتى كسوة البدن ما هي معه، وحتى كُلفة العورة التي أُخذت منه ورُدت إليه، يأتي الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة يُحشرون حفاةً غير منتعلين، عراةً غير مكتسين، بُهما ما معهم إلا الحسنات والسيئات، ما معهم من الدنيا شيء، فما جوابهم؟ وما وقايتهم من النار وهم مارون عليها ولابد وأقسم الله جل وعلا على ذلك بقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] فمن يتحلى بالتقوى ينجيه الله، ومن لا يتحلى فلا يلومن إلا نفسه، وما منا أحد لا حاكم ولا محكوم، ولا رئيس ولا مرؤوس، ولا غني ولا فقير، ولا ذكر ولا أنثى، ولا كبير ولا صغير إلا وهو معروض على ربه، ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة:١٨]، ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧] يوم تأتي النار تُجر بسبعين ألف زمام عروة، في كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، فإذا رأت الناس في المحشر شهقت كما تشهق البغلة إلى الشعير، غيظًا لله تعالى، وغضبًا لله عز وجل، النار نفسها تغضب لله جل وعلا، فكيف إذا وردت عليها من غير وقاية وتُقية وتَقية يا ويلك، والله تعالى أخبر الإنسان أنه كان ظلوما جهولا، فإذا كان ظلوم وجهول وعُرضت عليه فتن كيف يصير؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ ﴾ هذا كلام رب العالمين ما هو بكلامي أنا ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال:٢٥]، كل من اشترك في هذه الفتنة فإنه عُرضة لن يعاقب بها إلا أن يتوب قبل موته، أو يعفو الله عنه بحسناتٍ كبيرة جدا، ويأتي أناس يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال جبال تهامة كما تعرفون النبي ﷺ ضرب بها المثل، ثم يأتي وقد شتم هذا، ولطم هذا، وأكل مال هذا،

وسفك دم هذا، ونهش عِرض هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته أُخذ من سيئاتهم فطُرح عليه، ثم طُرح في النار".

فيا عبد الله ما دمت في مهلة الدنيا مهلة الأجل، وما دمت عندك قدرة أن تفر إلى الله، كما قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١].

فلا يكون الإله هوى، ولا يكون السلطان هوى إله مع الله، ولا يكون المال هوى إله مع الله، ولا يكن حب المرأة إله مع الله، ولا يكن حب الدينار والدرهم إله مع الله ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ "**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتقش**" ويبلغ من التعاسة والحقارة والهون على الله عز وجل أنه لا يستطيع نزع الشوكة من رجله من قدمه، فكيف بما هو أعظم من ذلك إذا كان عبدًا لشيء أعظم من ذلك؟.

فيا عباد الله يا عباد الله نصيحتي لنفسي ولكم: أن تتقوا الله قبل لقاه، فمن لم يتق الله قبل لقاه فوالله لينظرن إلى ما يسوؤه قبل أن تفارق روحه بدنه، ومن اتق الله عز وجل فلا ينظرن إلى ما يسره قبل أن تفارق روحه بدنه، حتى يقول المؤمن يحب لقاء الله يحب الموت من أجل لقاء الله، والفاجر يكره الموت ولابد له منه خوفا من لقاء الله جل وعلا، وكراهة للقاء الله، والنبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: "**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاءه كره الله لقاءه**".

فهذا أنموذج في الدنيا قبل الآخرة، فلا يشغلنك يا صاحب المنصب منصبك فتكره لقاء الله، لأنك عصيت الله به، ويا صاحب المال لا يشغلنك مالك فتكره لقاء الله لأنك عصيت الله به، ويا صاحب الهوى وصاحب الشهوة لا تشغلن شهوتك وهواك، فتكره لقاء الله والله للقائك أكره، ويا ويلك إن كره الله لقائك، من منا واحد يدري إنه يعيش إلى أن تغرب شمس هذا اليوم، بل من منا عنده يقين إنه يعيش قبل أن يخرج من المسجد، بل من منا من عنده يقين يعيش بعد هذه اللحظة التي هو فيها، أما نُزعت الأرواح والناس رُكع وسجود، أما نُزعت الأرواح وهم يطوفون في الحرم، ونعمة الخاتمة هذه، أما نُزعت الأرواح وهم على أخشاب الملاهي والمسارح، أما نُزعت الأرواح وهم يغنون للناس، أما نُزعت الأرواح وهم على معاصٍ كبيرة ظاهرة؟

سبحان الله، من نفسه بيد غيره كيف يأمن على نفسه أنه يكون على معصية، ووالله إن من مات سيبعث على الحالة التي مات عليها، فإن النبي ﷺ قال عن الملبي الذي مات ملبيا: "**فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا، فغسلوه، وكفنوه، ولا تمسوه طيبا، ولا تخمروا رأسه**" وفي رواية: "**وجهه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا**".

والشهيد يأتي يوم القيامة وجرحه يثعب اللون لون الدم، والريح ريح المسك، جعلنا الله وإياكم من الشهداء في سبيله في بلد رسوله ﷺ، فهذا هو، من مات على حال بُعث عليها قال النبي ﷺ: "**يُبعث كل عبدٍ على ما مات عليه**" ما قلت أنا قاله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، فلا تغرنك أمور الدنيا، قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان:٣٣].

إذا أمسك ملك الموت بتلابيبك فمن عندك، ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [القيامة:٢٦ – ٢٧] ما في أحد، ما أحد يرقيك، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ استسلم لله تعالى، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ لا تكن ممن عصى الله عز وجل، إما أنه كفر بالله، أو استحل حرمة من حرمات الله، أو خالف حكما شرعيا من أحكام الله تعالى، ما تنفعك الدنيا يا ابن آدم، إذا عصيت الله من أجل هواك، من أجل شهواتك، من أجل ما تظنه أنه من مصالحك، وإن جاءك الموت فأنت على ذلك لقيت الله به ولا حجة لك، اتق الله يا عبد الله، علينا أن نتقي الله، اتقوا الله يا معاشر المؤمنين، اتقوا الله يا معاشر المسلمين، اتقوا الله يا رجال، يا رجال، يا أهل الغيرة، يا أولوا الألباب، يا أولوا النهى، غيروا على حرماتكم، غيروا على نسائكم، غيروا على دينكم، اتقين الله يا أيتها النساء، فإن النبي ﷺ أخبر أنكن كما أكثركن أهل الجنة فإن أكثركن أهل النار أيضا، فلا تكوني من أصحاب النار، والله لا يعذب الله أحدا منا والعياذ بالله من عذاب الله بشعرة من شعر جلدة لتتكدر حياته، وليطوفن الأرض لعلاج أثر هذا، فكيف لو عذبه بلحمه، بدمه، بعظمه، بقلبه، كيف؟ أما طاف الناس مشارق الأرض ومغاربها يبحثون عن العلاج، ونهايتهم الاستسلام لله تعالى بقضائه وقدره، فمن رضي فله الرضا، ومن كره فله السخط.

فاتق الله يا ابن آدم من رجل وأنثى، من مسئول، ومسئول عنه، من راعي، ومن رعية، من غني، ومن فقير، من صغير، ومن كبير، من شريف، ومن دون ذلك، اتقوا الله اتقوا الله قبل لقاه، آخر آية قيل أنها

نُزلت على النبي ﷺ: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ [البقرة:٢٨١].

والله تعالى قال لأهل الإيمان: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) ﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣١] أُعدت للكافرين، لكن إذا أخذتم الربا استحققتم النار برباكم، ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) ﴾ [آل عمران:١٣٢].

تعصون لكن توبوا، وإلا ممكن تقع المعصية، يمكن يكون اجتهاد ما هو بعد سوء قصد، لكن إذا تبين الخطأ وأن ضرره أكثر من مصلحته على الإسلام وأهله، وعلى الشخص نفسه، وعلى أهل بيته، فيتقى، فإن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح، هذه قاعدة شرعية، وأنه تؤخذ أكبر المصلحتين اتقاهم لأدناهما، يعني يُضحى بالمصلحة الدنيئة عشان المصلحة الكبيرة، وتؤخذ المصلحة، وتتقى أدنى المفسدتين حذرا من أعلاها لأنها تجر إلى ما هو أعلى منها، فلابد من التقوى ولابد من تقييم الأمور، الرجل في نفسه، في منهجه، في صرفه اليومي على نفسه، إذا لم يوازن فهو غلطان النبي ﷺ قال: "**ما عال من اقتصد**" ما هو بالإنسان يبذل كل ما بيده ويروح يستدين من البنوك بالربا بعد من شأن أن يرضي السفهاء والحريم غلط هذا، المسؤول في إدارته، النبي ﷺ قال: "**لا تآمرن على اثنين**" تريد أن تحمل هم أنت من ولايتك على اثنين، فكيف بالولاية على المجموع؟، والله سائلك؟.

يقول النبي ﷺ: "**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته، كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**".

وقال تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) ﴾ [الأعراف: ٦ - ٨].

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) ﴾ [المؤمنون: ١٠٣ - ١٠٤].

ما يصير تترك الأمور ولا تقيم ولا يعاد النظر فيها ولا يوازن بين المصالح والمفاسد، كل إنسان، حتى إن الرجل يعتذر من امرأته إذا أخطأ عليها بعبارة والمرأة تعتذر من زوجها إذا أخطأت عليه بعبارة، والأب يعتذر من ولده إذا أخطأ عليه بعبارة، والولد يعتذر من والده إذا أخطأ بعبارة، فإذا كان هذا في البيت فكيف بالأمور العامة، الذي يؤمن بيوم الحساب ولا يدري متى يذهب من يوم الحساب الناس يأخذهم الله كذا بالطريقة هذه من أجل ماذا؟ لأنهم لو بقوا الناس كانت تضيق الأرض بأهلها، كان يصير فيها حرج شديد، أقلها من الأمور المحببة عند الناس السلام يوم العيد، لو جدي السابع حي أو العاشر أو الألف كم يأخذ استغراق معايدة (٣٨:٥٧)

من رحمة الله أن الله أخذه على عمل صالح إن شاء الله، لكن الله تعالى قدر كذا أن يأخذ الناس بالتدريج، ويجعلكم خلائف في الأرض، كل جيل يخلف الذي قبله هذه الحكمة، من أجل أن يستكمل عدد الخليقة، هذا الأول، ويكون في برزخ إلى يوم يبعثون في نموذج من نعيم الآخرة، أو من عذاب الآخرة لمستحقه، والثاني: أن يحين أجل القيامة لأنه لن يقدم ولا دقيقة ولا ثانية عن وقته ولن يؤخر، لكن أنت يا ابن آدم أتدري متى يأتيك الأجل؟، نفسك بهواك؟ لا تؤخذ منك وأنت واقف، والله إني رأيت أنا إنه واقف عند الإشارة وقُبضت روحه ينتظر الإشارة تفتح ما فتحت أعرفه شخص أنا أعرفه رجل أحسبه إن شاء من الصالحين، وإني رأيت الإنسان الذي يعصي الله إنه في حادث سيارة مشغل مسجل على الأغنية والله إنه يغني مع المغني، وهو ميت، نزوع روح يعني في النزع في سياق الموت إنه يغني وقُبض بعد ذلك!، فلا يُغفل عن هذا، الذي يؤمن بيوم الحساب هو الذي خطبه الله بهذا، بأنه من أولي الألباب ومن أولي النهى، وكذا، وكذا، ووصف الله الذين لا يؤمنون بيوم الحساب بالكفر والنفاق الاعتقادي، ووصفهم بالفجور، ووصفهم بالشرك، ووصفهم بالإلحاد، ووصفهم بكذا وكذا، لماذا؟ لأنهم لا يؤمنون بيوم الحساب، ومن يؤمن بيوم الحساب يعمل له، ويعلم أن الثوب الذي عليه لابسه هو يلبسه للدوام رجل أو امرأة ما يدري ربما ينزعه من الغسل بنفس اليوم، ما رأيتم أحد على هذا، حوادث في الشوارع أمامكم، بس الإنسان يغفل ويتهالك على الدنيا وينشغل بهذه الأشغال الوهمية أكثرها ترى توهم ما هو صحيح، والصحيح ما يسوى عذاب الآخرة، الشغل إذا كان يسبب لك عذاب الآخرة اتركه، فر منه بالذي تقدر عليه، حتى أن الإنسان إذا خشي الفتنة يقول: "**اللهم أحيني ما علمت الحياة خيرا لي،**

وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي" هذا دعاء مأثور عن النبي ﷺ، **"اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا"**. الحديث.

ونص الفقهاء رحمهم الله على أن الإنسان إذا خاف الفتنة في دينه أنه يجوز أن يسأل الله الموت على الإسلام، واُستدل بقول يوسف عليه السلام: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف:١٠١].

إذا خاف الإنسان خاف الزنا، خاف الربا، خاف القتل، وأنه يقتل يجبر على قتل الناس، خاف كذا وكذا فيسأل الله العافية، يسأل الله السلامة، يسأل الله الأجل على خاتمة حسنة، والله ألطف به من كل أحد، فقيض الله عز وجل الخاتمة الحسنة، لكن إذا كان لا يبالي والعياذ بالله فإنه قد يتخذ الشيء السريع ليذهب إلى حاجته، ويكون إلى موضع أجله، فإنه جاء عن النبي ﷺ: أن الله إذا أراد أن يقبض روح عبد في أرض جعل له بها حاجة.

والله إني أعرف شخص إنه مشي مسافة ثلاثمائة كيلوا، وبعدين ذكر إن له حاجة نسيها في بيته، فرجع ثلاثمائة كيلوا ورجع يكمل المشوار ومات بنفس المكان الذي رجع منه في حادث مروري، أنا أعرف هذا شخص باسمه، وذكر أن سليمان عليه السلام كان في بيت المقدس وعنده وجوه مملكته وعنده ملك الموت حاضرا، هذه من قصص بني إسرائيل لا تصدق ولا تكذب، لكن هذا واقع هذا واقع الناس، فجاء رجل إلى سليمان عليه السلام وهو في المجلس وهمس في أذنه همس، فوعده سليمان أن يحقق له المطلوب، قال ملك الموت: ما يريد هذا الرجل؟ قال: يريد أن آمر الريح أن تحمله إلى جزائر الهند، فقال: أنا عجبت إني مأمور أن أقبض روحه في جزائر الهند، وهو عندك الآن، انظروا كيف، وهذا في الواقع الآن كم من أحد يذهب لحادثه وإلى مصرعه.

تمضـــــي الأنــــام للآجــــال في لهـــث ... وربمــــا كانـــت الآجـــال في رصـــد

كـــم مـــن حثيـــث الخطـــى يومـــا لحاجتـــه ... فلـــم ينلهـــا وأمســـى الليـــل في لحـــد

ما رأيتم هؤلاء، قد تكون أنت واحد منهم، نسأل الله حسن الخاتمة للجميع، والعصمة من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأل الله عز وجل أن يجزي ولاة أمورنا خيرا، وأن يسددهم ويعينهم، وأن

يجعلهم مفاتيح خير ومغاليق شر ودرئا عن الأمة والإسلام من الفتن، والضلالات والشبهات، وغيظا لأعداء الملة، وحراسا لملة الإسلام وللدين الحق، كل منهم على ثغر الله يسددهم ويعينهم ويأخذ بنواصيهم للحق، ويرزقنا النصيحة لهم في المغيب والمشهد، ويرزقهم النصيحة لرعيتهم.

فهذا الدين النصيحة من الرعية للراعي ومن الراعي للرعية، ومن مات وله رعية ولم يحطها بنصيحة لم يدخل جنة معهم، هكذا قال النبي ﷺ: "**ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يدخل الجنة معهم**".

كان يأخذ على أصحابه ﷺ عند البيعة على الإسلام النصح لكل مسلم، ويلقنهم فيما استطاع، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] فلابد أن نتنبه لهذا الأمر، والفتن مقبلة ومدلهمة، أخبر النبي ﷺ: أنها تأتي كقطع الليل المظلم، ويرقق بعضها بعضا، كلما جاءت فتنة قال المرء: "**هذه مهلكتي، أو مهلكتي، ثم تنكشف وتأتي أخرى**"، وقال ﷺ "**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم**"، وقال: "**بادروا بالأعمال هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غنى مطغيا، أو موتا مجهزا، أو هرما مفندا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر**".

يا إخوان هذه ذكرى والله العظيم الذي لا إله إلا هو نفسي أنا، أنا بحاجة للذكرة والنصيحة ولكم ولمن تبلغه، والذكرى على الله تعالى قال: ﴿ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات:٥٥] وقال: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ﴾ [الأعلى: ١٠- ١١] وقال: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعلى:٩] وقيل في تفسيرها: قد نفعت الذكرى، يعني يتحقق بها النفع، ذكر ما نفعت الذكرى ما وجدت لها مستمعا يقبلها، وهي نافعة بكل حال أقلها بيان الحق للناس من شاء قبل ومن شاء لم يقبل، لأن هذا حق بالدليل، وهذا باطل بالدليل، حتى يكون الناس على بَينة، وتخرج أنت من التبعة، وتكون نصحت للخلق ورحمتهم، والراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في المساء، جعلنا الله وإياكم من الرحماء الراحمين الذين يرحمهم جل وعلا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن أبي طريفٍ عدِيِّ بن حاتمِ الطائيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أَتْقَى للهِ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى». رواه مسلم.

عن أبي أُمَامَةَ صُدَيّ بنِ عجلانَ الباهِلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعتُ رسولَ الله - ﷺ - يَخْطُبُ في حجةِ الوداعِ، فَقَالَ: «اتَّقُوا اللهَ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ». رواه الترمذي.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فالحديث الأول فيه بيان مثال لتطبيقات التقوى، وذلك أن النبي ﷺ يقول: "**إني لا أحلف على يمين**" يعني يمين في المستقبل أن أفعل كذا، أو لا أفعل كذا "**فأرى غيرها خيرًا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت التقوى**" يعني ما هو أرضى لله جل وعلا.

وجاء في حديث آخر قال ﷺ: "**والله إني لا أحلف على يمينٍ فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يمين، وأتيت الذي هو خير**".

ومن أمثلة ذلك: أن الإنسان يقول في حديثٍ مع شخص: والله إني سأعطيك كذا. فينبغي له أنه يوفي بيمينه ما دام ليس في معصية الله عز وجل، لأنه أقسم على هذا، كذلك الإنسان قد يكون في مشادة مع أحد فيقول: والله لا أعطيك كذا، وهذا الشخص الذي شاد معه له حق عليه، فيرجع عن يمينه ويعطيه حقه، لكن يكفر عن اليمين، ومثل هذا ما يجري بين الناس في المناسبات، فيكون بين اثنين مشادة فيقول: والله لا أدخل بيتك، والله لا أفعل كذا معك، قد يكون أخاه، وقد يكون عمه، أو خاله، لكن نتيجة الحِدة والشدة والغضب أقسم هذا القسم، فيُكفر عن يمينه ويدخل بيته، لأن هذا من أخلاق المسلمين، وهكذا لو قال: والله لا أطعم عندك، ما آكل شيء عندك، وجاءت مناسبة زواج أو مناسبة كذا أو كذا، فلا (٠٤:٠٣) عن يمين، يكفر عن يمينه ويذهب إلى أخيه، وخصوصًا في مناسبة العرس في الزواج إذا لم يكن ثم منكر، فإن النبي ﷺ قال: "**إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها**" أو: "**فليُجب، ومن لم يجب فقد عصى أبا القاسم ﷺ**"؛ فإما أن تعتذر عنه برفق وإما أن تجيب.

فلا يمنعك اليمين من أداء الحق لمستحقه، ولا يمنعك اليمين من الوفاء بالعهد مع أخيك، كفر عن يمينك وائت الذي هو خير ما هو أرضى لله جل وعلا، والمعنى: أنك تراجع نفسك، وتتفكر في الموضوع، فلا يجوز للإنسان أن يقطع ذا رحم منه، ولا يجوز للإنسان أن يهجر أخاه المسلم بغير حق شرعي، ولو حلف على ذلك.

وقد جاء عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى النبي ﷺ، وقد دعا للجهاد، فجاءوا وقالوا: مستعدون للجهاد، لكن احملنا ما عندنا رواحل، فقال: والله لا أحملكم. حلف، لأنهم شادوه بعض الشيء، فبعد وقت يسر الله له إبل من إبل الصدقة، فدعاهم، وقال: هذه اركبوا، فقالوا: إنك حلفت يمينًا أن لا تحملنا، لأنه قال: والله لا أحملكم، فقال: ما حملتكم الله الذي حملكم. يعني هذا رزق ساقه الله عز وجل، فتيسر الأمر، فتوكلوا على الله للجهاد في سبيله.

فأول شيء: الإنسان يراجع نفسه، فإذا كان ما أقسم عليه على فعله، أو على تركه طاعةً لله جل وعلا فليطع الله عز وجل، وإن كان معصية فلا يعصه، وإذا إنه رأى المصلحة في إنه يكفر عن يمينه في أمرٍ مباح، فيُكفر عن يمينه ويفعل حتى لو كان ما هو حرام، ولو كان ما هو من الطاعات لكن أمر مباح، لكن فيه مصلحة، فيُكفر عن يمينه وكفارة اليمين هي إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة ثلاثة على التخيير بينها، يفعل أيها شاء، فإطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع، يعني ما يقارب كيلوا ونصف، فيكون هذا الكفارة إطعام عشرة مساكين، يصير خمسة عشر كيلوا من طعام من قوت البلد ما يُخرج فطره ويؤكل، ويرى بعض أهل العلم المعاصرين: أنه إذا كان مثل الأرز فائدته قليلة أنه يضاف إليه إدام، أو نحوه، فيُكفر عن يمينه، فالأول: أنه يتفكر في الموضوع، ونهاية اليمين هل هي تمنع من طاعة؟ أو تحجز عن معصية؟ أو هي في أمرٍ مباح يستوي فعله أو تركه.

ثانيًا: إنه إذا أراد يرجع عن يمينه فأول شيء يُكفر عن يمينه، ويأتي الذي هو خير، قال ﷺ: "**والله إني لا أحلف على يمين، فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير**".

ومثل هذا يحصل عند بعض الناس في المناسبات، وقدوم الغائب، وكذا، وكذا.

فهذا يحلف قد يحلف بالطلاق أن يغديه أو يعشيه أو يضيفه!، وذاك يحلف كيف يكون الأمر!، فهذا نوع من الاستهانة أصلا باليمين، وإذا انضم إلى هذا الطلاق فهذا أخطر، والأمر ما يستدعي، لأن هذا إما حماس لموقف معين، وإلا إنه مراعاة لعادة القبيلة، أو غير ذلك، أو حتى لا يُتهم بالبخل، أو نحو هذا، فهذه أمور ما تستوجب، فإذا جرى إنه حلف على اليمين فيُكفر عن يمينه، ويأتي الذي هو خير، وإذا كان حلف بالطلاق فهو يُرجع في هذا إلى نيته وقصده، إن كان قصد الطلاق فهو يقع طلاق، وإن كان قصد اليمين فهو يكفر عن يمينه، وهذا منهي عنه، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:٢٢٤] فيكون الإنسان عنده رفق، وعنده أناة، وروية، وتفكر في العواقب قبل ما يتكلم، فإذا تكلم فإنه يدان بكلام، فيحتاج إلى عناية بهذا الأمر، وإذا أشكل عليه ما يفعل شيء حتى يسأله في العلم عن الموضوع الذي يخصه، فهذا من التقوى يعني إيراد الحديث إن هذا من التقوى وأن الإنسان إذا حلف على فعل شيء وهو طاعة لله عز وجل، فليفعل الطاعة، إذا حلف أن لا يفعل فهذه معصية نوعا ما، مثل أن لا يدخل بيت أخيه، بيت أبيه، بيت عمه، بيت خاله، فليكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير، وهكذا.

وفي الحديث الثاني وهو من آخر أحاديث الرسول ﷺ، لأنه في حجة الوداع، قال ﷺ: "**يا أيها الناس اتقوا ربكم**" ثم فصل ما تحصل به التقوى، قال: "**صلوا خمسكم، وصوموا شهركم**" يعني رمضان "**وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمرائكم**" يعني في غير معصية الله. "**تدخلوا جنة ربكم**".

فهذه وصية بشرائع الإسلام، وبحقوق ولاة الأمر، وهي من آخر ما قاله ﷺ في أشرف جمعٍ حضره عليه الصلاة والسلام، ولم يكن بين ذلك، وبين وفاة النبي ﷺ إلا ثلاثة وثمانون يوما، فهي من آخر الوصايا، وكل ما اشتمل عليه الحديث هذه شرائع الدين، الشرائع التطبيقية العملية للدين، فأصل الدين وأساس الملة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وعموده: إقام الصلاة، والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله، والصوم عبادة اختصها الله تعالى لنفسه، وجعل جزاءها عليه، ولم يفصح عن الجزاء إغراءً بكثرته وكرمه، حتى قال بعض أهل العلم رحمهم الله وإيانا إن جزاء الصوم يُخبئ عند الله جل وعلا، فلا يؤخذ منه ما يُقتص منه لحقوق الناس. وهذه فائدة عظيمة جدا، وهكذا طاعة ولاة الأمور في غير معصية الله عز وجل، الطاعة في طاعة الله واجبة، والطاعة في ترك معصية الله واجبة.

لكن الأمور المباحة العادية مثل التنظيمات تنظيمات المرور، وتنظيمات السفر، وتنظيمات الطرق، وتنظيمات كذا وكذا وكذا ما يراد به تحقيق مصالح الأمة، أو درأ مفاسد، أو كليهما، فتجب طاعة ولاة الأمور في هذه الأشياء، وهي من القرب، وكان أحد من كبار المشايخ رحمهم الله تعالى قد سافر إلى جِدة في أيام الحج، فاستقبله أحد طلبته ليذهب به إلى مكة، شرفها الله، فركب معه في السيارة وأراد أن يربط حزام الأمان الشيخ نفسه، وإذا هو لا ينربط فيه (١٤:٥١) فأمسكه بيده على هيئة الربط من جدة إلى مكة التزاما بطاعة ولاة الأمور، ومراعاةً للأسوة الحسنة، وهذا نُقل عن الشيخ صالح اللحيدان رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وإيانا وجميع المسلمين، فمثل هذا انظروا كيف الالتزام، وهكذا أفتى المشايخ من ناحية مراعاة إشارات المرور، وعدم التجاوز تجاوزها وهي ممنوعة الإشارات الحمراء، وهكذا المواقف في الشوارع وغير ذلك، كل هذه من مصالح المسلمين مصالح هذا الإسلام.

ويُدرأ بها فساد وأذى، ويُدرأ بها خطر أحيانا، فمثل هذا يطاعون فيه، لأنه من المصالح، ولأن الطاعة مع الحسبة قُربة لله تعالى، ولأنها من أسباب الإلفة واستقرار الأمور وتحقق الأمن، وإغاظة العدو، والمنع مما يسبب التحزب والعصبية للنفس، أو للأسرة، أو للقبيلة، أو المنطقة، أو غير ذلك، فينبغي أن تراعى هذه الأمور، مصالح هذه، حتى لو حلف على شيء من هذا فينظر ما تتحقق به المصلحة وما هو أرضى لله ويكفر عن يمينه، ويأتي الذي هو خير، ويكفي أنها قُرنت طاعة ولاة الأمور بالمعروف يعني في غير معصية الله في طاعة الله، وفي ترك معصيته، وفي المصالح العامة التي تسمى المصالح المرسلة، وما تُدرأ به المفاسد، لأنها قُرنت بشرائع الإسلام الأربع يكفي هذا، وجُعلت من أسباب دخول الجنة جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة، ووالدينا، وولاة أمورنا، وأزواجنا، وذريتنا، وإخواننا، وأحبابنا فيه، فينبغي للإنسان أن يكون عنده عناية بهذا الأمر، هو دين الله عز وجل كله تنظيم لحياة ابن آدم، أولًا: في علاقته بالله عز وجل وهي علاقة العبودية، كيف يعبد الله جل وعلا، كيف يقارن بين العبادات إذا تزاحمت وأنه يأخذ الأفضل، فإذا تزاحمت الفريضة والنافلة يقدم الفريضة، وإذا كانت كلاهما فريضة يقدم فريضة الوقت، وإذا كانت كلاهما نافلة يقدم ما هو أكثر أجرًا، وأكثر نفعًا يتعدى الإحسان إلى غيره، حتى يكون أجره أوفر، هذا تنظيم.

والثاني: أن دين الله دليل لك في الأمور الغيبية، دليل لك في الأمور الغيبية، ما مضى حتى تؤمن به تصديقا لخبر الله عز وجل، وتسليما لحكمه، ولخبر نبيه ﷺ، وتسليما لسنته، واتباعا لسنت.

والثالث: دليل في المستقبل، ماذا سيكون في المستقبل، ومن ذلك ما أخبر عنه النبي ﷺ من الحوادث والفتن والأمور.

حتى قال الصحابة رضي الله عنهم: توفي النبي ﷺ وما طائرٌ يُقلب جناحيه في الهواء إلا وعندنا منه خبر.

وقالوا: علمنا النبي ﷺ كل شيء، -يعني كل ما نحتاج إليه- حتى آداب قضاء الحاجة.

وقالوا لما قالت اليهود: إن النبي ﷺ علمكم كل شيء حتى الخراءة -قضاء الحاجة- قالوا: أجل، إن النبي ﷺ نهانا أن نستجمر بأقل من ثلاثة أحجار، وأن يمس أحدنا ذكره وهو يبول، وأن نستقبل القبلة بغائطٍ أو بول.

وقال حذيفة رضي الله عنه: إن النبي ﷺ صلى الفجر ذات يوم، فصعد المنبر، فخطب حتى حضرت الظهر، فنزل وصلى، ثم صعد المنبر، وخطب، حتى حضرت العصر، فنزل وصلى، ثم صعد المنبر حتى حضرت المغرب، خطب، حت حضرت المغرب، فنزل وصلى، قال: فما ترك شيئا إلا أخبرنا به، ولا رجل يتولى اثنين من الناس إلا سماه لنا. وذكر أوصاف وكذا. ولا فتنة إلا ذكرها لنا، قال: فأعلمنا -يعني بهذا- أحفظنا.

فإذا كان هذا في أمر الدنيا فكيف في أحوال الموت وسياق الموت؟

فهذا ينبغي أن يعتني به المسلم، فكيف في أحوال القبر، وأول ما يوضع الإنسان في قبره، فكيف في أحوال البعث؟ فكيف في أحوال البعث أو الحشر وعرصات القيامة، من موقف الحشر إلى موقف العرض، إلى موقف الصحف، إلى الموازين، إلى الانصراف إلى الجنة أو إلى النار، جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة، وأجارنا من النار، فهذا كله مُفصل، وأحوال أهل النار في النار، وأحوال أهل الجنة في الجنة، وكل هذا يحتاج المسلم أن يكون على علمٍ به، حتى يأخذ بما يوصله الله به إلى الجنة، ويجعله أهلًا للجنة والمثوبة والكرامة، وحتى يسلم مما يُسبب له دخول النار، ويُعرضه للعقوبة والإهانة، فإسلامك دليلك، وهذا دليل معصوم من الله جل وعلا، الله تعالى يقول الحق، قوله الحق، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء:١٢٢].

والنبي ﷺ أخبر الله عنه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وما قاله الله تعالى وقاله رسوله تعهد الله تعالى بحفظه، قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩].

وجعل أئمة ثقاة مراجع للناس في هذا الأمر، فقال ﷺ: "**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره**".

فاسأل عنهم أنت، لأن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولا يؤخذ العلم إلا عن ثقة، كيف تؤخذ دينك عمن لا تأمنه على دنياك!؟ فاكر وازن بين هذا وهذا، والدين أعظم شأنا من الدنيا، الدين استقامتك عليه سعادة الأبد في الدنيا والآخرة، وانحرافك عنه شقاء الأبد في الدنيا والآخرة، والبرزخ، وتقصيرك فيه يفوتك خير كثير وأنت لا تبالي تتعرض للغبن، لأنه خير ممكن تحصله ولا حصلته لتهاونك وتساهلك، ولذا قال ﷺ: "**من يُرد الله به خيرا يفقهه في الدين**" هذه البشرة الأولى.

البشرة الثانية: قال: إذا أراد الله بعبده الخير استعمله. يعني وفقه للعمل بفقهه، هذه الثانية.

والثالثة قال: لم يبق من المبشرات إلا الرؤية الصالحة، يراها الرجل الصالح، أو ترى له، والناس يشهدون بما يرون ما أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في أرضه، ومن ذلك الرؤية الصالحة يراها الرجل الصالح، أو تُرى له، وهكذا.

ومن ذلك: أنه يُرى مقعده أولًا المؤمن يُرى مقعده من النار أولًا يقال: هذا مقعدك من النار، انظر إليه، أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فلا يكون الغائب أحب إليه من الموت ويحب لقاء الله تعالى، والله تعالى للقائه أحب، والفاجر لا يُرى مقعده أولًا من الجنة، وأنه فاته، ويقال: هذا مقعدك من الجنة، وأبدلك الله بمقعد من النار، فلا يكون غائب أكره له من الموت والله يكره لقائه ولابد له منه.

كل هذه البشارة وهذه السلسلة هذه مرتبطة بطلب العلم، وأخذ العلم، والعمل به، وأخذ العلم عن الثقات والأسوة الحسنة، وفقني الله عز وجل وإياكم لذلك، وجنبنا أسباب الفتن، ومضلات الفتن والمهالك، وأعاذنا من الشر وأهله. والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

باب اليقين والتوكل

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٢٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [إبراهيم:١١]

وقال تعالى: وإذا ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق:٣]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال:٢].

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فما ذكره الإمام النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وإيانا- في هذا الباب؛ دلائل محكمة من كلام رب العالمين على فضل اليقين والتوكل.

واليقين؛ هو التصديق التام الكامل، بخبر الله تعالى وخبر رسوله ﷺ، عما كان في الماضي، وعما يكون في الحال، وعما سيكون في المستقبل في شأن الدنيا والآخرة.

والثاني: هو الإذعان، والانقياد لله تعالى ورسوله في تحقيق طاعته، واجتناب معصيته، والتوبة إلى الله ﷻ من الخطيئة في حقه أو في حقوق عباده، فهذا اليقين، واليقين هو أساس الإيمان، هو العلم التام والجزم التام، بصدق خبر الله تعالى وخبر رسوله ﷺ.

والثالث: التوكل، وهو ثمرة اليقين، والتوكل؛ هو تفويض الأمر من أمر الدنيا والآخرة إلى الله ﷻ اعتمادًا عليه، وثقةً به، مع تعاطي ما شرعه الله تعالى وأباحه من الأسباب، والثقة تكون بالله تعالى لا بالأسباب، فإن الله تعالى إذا نفع بالأسباب نفعك، وإذا لم ينفع لم تنفع، مع حسن الظن بالله –جل وعلا– وعِظَم الرجاء له، والتوكل يكون في أمر العبادة وهذا أساس الشيء.

أنك تستعين بالله ﷻ، تستمد منه الحول والقوة وحده، على تحقيق عبادته، على فعل طاعته وترك معصيته، والثبات على دينه إلى لقاءه، وترجوا من الله ﷻ حُسن الخاتمة، وعِظَم وكرم الجزاء على ذلك في الدنيا والآخرة، فتستعين بالله وتتوكل عليه في عبادته، وهكذا في أمر الدنيا، في تحصيل المطلوب وتوقي المرهوب المنتظر، ورفع البلية الحاصلة، فتُلح على الله ﷻ بالدعاء؛ أن يحقق لك ذلك، أن يحقق لك كريم المطلوب، وأن يُجنِّبك كريه ومخوف المرهوب وأن يرفع عنك الابتلاء الحاصل الواقع في بدنك في صحتك في أهلك في مالك في كذا في كذا، وتكون واثقًا بالله ﷻ، فالتوكل من ثمرات اليقين، واليقين؛ هو أصل التوكل، ولذلك أمر الله ﷻ بالتوكل؛ بل جعل اليقين هو الأول، قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة:٢-٤].

وأمر بالتوكل، فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟﴾ [المائدة:٢٣].

قال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣].

وأثنى على المؤمنين بصدق توكلهم على الله ﷻ، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، خافوا ورهبوا ورجوا، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ، ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال:٣].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤]، يعني حققوا الإيمان، ما ثوابهم؟

قال: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال:٤]، يعني في الجنة، هكذا، وجعل الله ﷻ من ثمرات التوكل كفايةً، أن الله تعالى يكفي مَن توكل عليه، فيحقق له مطلوبه، ويدفع عنه مرهوبه، ويعينه على عبادته، ويرفع عنه بليته، هكذا، ولذلك ضمِن الهداية المتوكلين، أن الله

يهديهم في الدنيا وعند الموت وفي البرزخ وفي الآخرة، فيثبتهم على الحق، ويهديهم يوم القيامة إلى منازلهم في الجنة، -جعلنا الله وإياكم في الجنة-.

حتى أن يكون أحدهم أهدى إلى منزلة في الجنة منه إلى منزلة في الدنيا، إن الذين آمنوا وعملوا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾ [يونس:٩-١٠].

فضمِن الله ﷻ للمتوكلين الهُدى، وضمِن لهم الكفاية، كفاية الأمر، ليتوكلوا على الله فيه أن يكفيهم، ما أهمهم وما لا يهمهم، وضمِن لهم المغفرة والدرجات العلى في الآخرة، والوصول والإقامة والخلود في الجنة، بأحسن حال، وأكمل أنواع التكريم، والفضل العظيم، ووعدهم كذلك في الدنيا النصر والتمكين والتثبيت وغير ذلك مما تكفل الله ﷻ به لهم، لماذا؟ لأنهم صدقوا بخبر الله ﷻ وأخلصوا له في عبادته وفوضوا أمرهم كله، أمر الدنيا والآخرة إليه، واثقين به معتمدين عليه، محسنين للظن به معظمين الرجاء له، هذا جزاءهم عند الله -جل وعلا-، وهذا هو شأن خُلَّص عباد الله -جل وعلا- من المرسلين والنبيين -عليهم الصلاة والسلام-، ومن أتباعهم من الصدقين والعلماء العاملين والشهداء لله تعالى في الدارين، فضمِن الله ﷻ لهم ذلك كله وأثنى عليهم وبشرهم بتحقق كل ما رتبه الله تعالى على اليقين والتوكل؛ من المنافع والأجور العظيمة والجوائز الكريمة في الدنيا والآخرة.

والله أعلم، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبيَّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ، والنبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، والنبيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فقيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَومُهُ، ولكنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرتُ فَإِذا سَوادٌ عَظِيمٌ، فقيلَ لي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظيمٌ، فقيلَ لِي: هذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ ألفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ في أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذينَ صَحِبوا رسولَ الله ﷺ وَقالَ بعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإِسْلامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيئًا -وذَكَرُوا أشيَاءَ- فَخَرجَ عَلَيْهِمْ رسولُ الله ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ، فقالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ، وَلا يَسْتَرقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ؛ وعَلَى رَبِّهِمْ يَتوكَّلُونَ» فقامَ عُكَّاشَةُ ابنُ محصنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد أورد النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وإيانا- هذا الحديث؛ في باب اليقين والتوكل، وسبق أن اليقين هو التصديق بخبر الله تعالى ورسوله ﷺ، والإيمان بوعده ووعيده، والعمل بمقتضى ذلك، وأن التوكل؛ هو تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتمادًا عليه وثقةً به وحسن ظنًا به وعِظَم رجاءٍ له، مع الأخذ بما شرعه الله تعالى وأباحه من أسباب لتحصيل المطلوب واتقاء المرهوب ورفع البلية النازلة، فهذا الحديث من التطبيقات.

يقول النبي ﷺ فيما رواه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عُرضت علي الأمم» يعني الأمم السابقة مثال الأمم، صور، في اتباعها لأنبيائها ورسلها -عليهم الصلاة والسلام-، يعني ما سيكون يوم القيامة، وهذا العرض؛ كان ليلة الإسراء والمعراج في السماء، فوق السماوات، قال: «فرأيت النبي» يعني النبي المرسل من الله تعالى، «ومعه الرهط» وفي رواية: «والنبي ومعه الرهيط» والرهط والرهيط؛ ما بين الثلاثة والعشرة، أو ما دون العشرة.

فالرهيط ما أقرب إلى الواحد والاثنين، يعني الثلاثة والأربعة، والرهط ما زاد عن ذلك إلى التسعة، يعني لم يتبعه على دعوته من قومه إلا هذا القدر، بل رأى أدنى من ذلك.

قال: «**ورأيت النبي معه الرجل والرجلان**» ما استجاب له من أمته إلا الرجل والرجلان، «**ورأيت النبي ومعه وليس معه أحد**» أيضًا، ما اتبعه أحد، وهذا ليس بغريب، ونوحًا عليه السلام أقام في قومه يدعو الله -جل وعلا- ألف سنة إلا خمسين عامًا، ٩٥٠ سنة، ومع ذلك قال الله تعالى: وما آمن معه إلا قليل، وقيل أنه لم يجاوز ٤٠ رجلًا الذين حملهم في السفينة، فدل على أن أكثر الأمم قبل موسى عليه السلام مكذبة لرسله، في الجملة.

قال: «**فرأيت سوادًا عظيم**» يعني يلفت النظر، جهام، كثرة أتباع، فظن النبي ﷺ أنهم من أمته، لأنه عنده خبر بالوحي أنه سيتبعه خلقٌ كثير وبه آمن الناس، فقيل له: «هذا موسى» عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، موسى بن عمران وقومه، وهذا يدل على فضل بني إسرائيل أتباع موسى عليه السلام، فإنهم أفضل أمم بني إسرائيل، وعلى كثرة مَن اتبع موسى عليه السلام منهم، هؤلاء أتباع شريعة التوراة، لأن شريعة التوراة؛ بقيت شريعة لبني إسرائيل كلهم، حتى نُسخت بالقرآن العظيم، فاتبعه على ذلك خلقٌ كثير، ثم قيل للنبي ﷺ: «**انظر إلى الأفق**» والأفق؛ الجانب من السماء، جهة الشمال الشرق الغرب الجنوب.

قال: «**فنظرت فإذا سوادٌ عظيم**»، «**انظر إلى الأفق الثاني أو الآخر**»؛ قال: «**فإذا سوادٌ عظيم، قيل: هذه أمتك**»، وهذا العرض من الأول استغربه بعض الناس، ولما جاءت التقنية وما يسمونه بالتكنولوجيا، وجاء (١٢:٠٧) وغيره؛ صار العرض سهل ويُعرف هذا، يعني عُرض عليه وتبيَّن له الكيمية والكيفية وغير ذلك، لكن الغرض من إيراد الحديث؛ أنه قيل للنبي ﷺ: هذه أمتك لكثرة كاثرة، تتبعك على ما بعثك الله به من الهُدى ودين الحق، وزيادة معهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، -جعلنا الله وإياكم منهم، يعني يدخلون الجنة من الموقف في الحشر على طول، بلا حساب ولا عذاب، واللي ما عليه حساب ولا عذاب؛ ما يمر على الصراط، فلذلك يقال لهم ادخلوا من باب الجنة الأيمن، وهذه مزية لهذه الأمة المحمدية المرحومة.

وأعطي النبي ﷺ مع ذلك مع كل ألفٍ سبعين ألفًا أيضًا، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، عدوا، وفي رواية أخرى صحيحة: «**أعطي مع كل رجل**» مع كل شخص يعني «**سبعين ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب**» دل على فضل هذه الأمة وكثرة خيريتها، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، وأخبر النبي ﷺ أنهم ثلثا أهل الجنة، فهذه خصيصة، ثم قام النبي ﷺ من مجلسه ودخل منزلة لحاجة، وربما أنه أراد أن الصحابة ﭫ يتناظرون في تحري مَن هم هؤلاء، وما الأعمال التي ميزتهم عن غيرهم، حتى وصلوا إلى هذه الدرجة، يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فلما رجع إليهم وإذا هم يتباحثون، قال قائل منهم: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ سبقوا إلى الإيمان وآمنوا في وقت الغربة وجاهدوا في حال الشدة، وكل خير وصل للأمة بعد النبي ﷺ من طريقهم، هذه فضيلة ما يعدلها شيء، وقال آخرون: لا، بل هم مَن ولِد في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئًا، وهذه فضيلة أيضًا، عافاهم الله من البلية وأمور الجاهلية.

وذكروا أشياء، وبعضهم يقول لعلهم الأغنياء، الذين بذلوا أموالهم ابتغاء مرضات الله، قال آخرون: لعلهم المجاهدون الذين ينشرون دين الإسلام ويذبون عن شريعة الله، يجرون الناس بالسلاسل ويدخلونهم الجنة، فلما أخبروا النبي ﷺ بما خاضوا فيه، قال: «**هم الذين لا يسترقون**» جاء في رواية: «**لا يرقون**» وهذه الرواية غلط وخطأ من أحد الرواة.

ولذلك المعنى لا يسترقون؛ لا يطلبون الرقية، يعني إذا كان بك علة تحس من ألم؛ ارقي نفسك أنت بنفسك، إن تبرع لك مَن حولك من والد أو ولد أو زوجة أو أخ أو جار أن يرقيك؛ لا ترده، لكن لا يمُن عليك بالرقية، فتجامله يومًا من الأيام في دين الله لمعروفٍ عليك، اجعل الفضل لله وحده عليه فقط، لا تسترقي، ارقي نفسك، وإن تبرع هو من غير طلب؛ فلا بأس، لكن أن تطلب؛ لا تطلب، إلا عند الحاجة الشديدة الملحة، إنك رقيت نفسك عدة مرات ولا انتفعت، أنه كذا كذا، رقاك فلان وفلان متبرعًا ولا انتفعت، وعرفت أحدًا مجرب في الرقية وموثوق في دينه، لا بأس عند الحاجة يعني، هذا الوصف الأول لهم «**لا يسترقون**».

والثاني: أنهم «**لا يكتوون**» يعني لا يتعالجون بالكي من غير حاجة، لأن الكي عافانا الله وإياكم- نوع من التعذيب بالنار، ولا يعذب إلا الله بالنار، ولا أحد يرضى أن تمسه النار، لا في الدنيا ولا الآخرة، المؤمن ما يرضى العاقل، ولذلك يفر إلى الله ﷻ ويتوب إليه من كل خطيئة، ويجتهد في طاعة الله ﷻ ويدعو الله ﷻ أن يجنبه النار، ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان:٦٥-٦٦].

فلا نار الدنيا ولا نار الآخرة، ونار الدنيا -أجارنا الله وإياكم من النار كلها- جزء من سبعين جزءً من نار جهنهم، -أعاذنا الله وإياكم منها-، فإن نار جهنم أشد منها بتسع وستين جزء، معها يعني، فلذلك يحذر الإنسان ما يوجب النار، وإذا أصابته النار؛ وهو يطبخ ولا وهو كذا ولا في كذا ولا كذا، يقول: اللهم اجعل هذا حظي من نار جهنم، فلذلك؛ هؤلاء «**لا يكتوون**»، مع أن الكي علاج، لكن ما هو أول علاج، آخر الدواء الكي، قالت العرب: آخر الدواء الكي، فلذلك إذا وجدت علاجًا غيره؛ لا تستعمل الكي، وإذا وقف الأمر عليه؛ فعند الحاجة الشديدة تزول الكراهة ولا حرج.

وعمران بن حصين -رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين-؛ من أفاضل الصحابة وخيار الصحابة رضي الله عنهم، أصيب بالباسور، -البواسير المعروفة-، وصبر عليها ٢٠ سنة، وكانت قبل ذلك تسلم عليه الملائكة في الطريق، يسمع سلام الملائكة في الطريق، فلما اكتوى؛ انقطع عنه سلام الملائكة.

فدل ذلك على أن الكي هو آخر الدواء، ولا يستعمله الإنسان إلا عند الحاجة الشديدة، إذا لم يجد غيره، وغلب على الظن الانتفاع به، فإنه عند الحاجة لا بأس، النبي ﷺ أرسل طبيبًا لأحد الصحابة فقطع منه عرقًا وكواه، وقيل أن النبي ﷺ كوى سعد بن معاذ رضي الله عنه، أصيب في غزوة الأحزاب، في عرق، والعرق ينزف حتى يموت صاحبه، فكواه النبي ﷺ حتى أمسك العرق عن النزف، فدل على أنه عند الحاجة الشديدة تزول الكراهة، ولذلك هؤلاء الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب -جعلنا الله وإياكم منهم-، «**لا يسترقون ولا يكتوون**».

الثالث: «**ولا يتطيرون**»، لا يتشائمون، لا بمرئي ولا بمسموع ولا بزمان ولا بمكان، لأن التشاؤم يدل على أن الإنسان يعتقد أن هذا الشيء الذي تشائم به مؤثر في ملك الله وخلقه، أو شريك لله في ربوبيته يعني، فلا يليق هذا أبدًا، «**مَن رده التشاؤم عن حاجته؛ فقد أشرك**»، وبعض الناس يتشاءمون، تجد صاحب الدكان لو جاءه في أول الصبح صاحب عاهة قال: والله ما أدرى عن الرزق هذا اليوم، وبعض الناس إذا خرج من البيت لعمل ورأى حادث مروري أو شيء، قال: والله ما أدري خاف يصيبه شيء ورجع، هذا التشاؤم، اعتقاد مؤثر مع الله في الخلق والملك، هذا غلط، هذا من دين الجاهلية، من أمور الجاهلية، «**ومَن ردته الطيَرة عن حاجته فقد أشرك**»، مَن وجد شيء في نفسه؛ وقع في نفسه خاطرة من منظر كرهه رآه، لما رآه كرهه، فيقول: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا إله غيرك ولا رب سواك، حتى يذهب عنه ما وجد، أو يقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك، لأنه قد يقع في النفس أحيانًا شيء من هذه الخواطر، لكن ما يجوز العمل بها، بل الإنسان يدعو الله ﷻ بالسلامة، من أثر هذه الخواطر، فلما كان هؤلاء السبعون ألف؛ أخلصوا لله توحيدهم وعلقوا قلوبهم بالله –جل وعلا– وتنافسوا في طاعته، وكملوا الفرائض والمستحبات، وتركوا ما حرم الله ﷻ من الكفر والشرك والبدعة وأمور الجاهلية، وتركوا ما لا بأس به خشية ما به بأس حتى تركوه، الاسترقاء والكي، صاروا من الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

ومن فضل الله على الأمة؛ أنهم ما حُصروا في فئة من الناس، لا في الصحابة، ولا في التابعين وأتباع التابعين، ولا في أهل القرون المفضلة، ولا في الأغنياء ولا في المجاهدين، ولا في المحتسبة ولا في العلماء، ولا في الحكام، لا، هم من عامة الأمة، لكنهم بهذا الوصف، أنهم: «**لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»، يعني كل شيء كملوه، فحققوا التوكل على الله ﷻ، فوضوا أمورهم إلى الله تعالى اعتمادًا عليه وثقةً به، وإحسانًا للظن به وعِظَم رجاءٍ له، وأخذ بما شرعه الله تعالى وأباحه من الأسباب الشرعية والقدرية وتحصيل المطلوب واتقاء المرهوب ورفع البلية، لكن تركوا ما به بأس، أو ما فيه شبهة، أو ما هو دون من غيره، طمعًا فيما هو الأفضل والأكمل، فهؤلاء هم المؤمنون الخُلَّص الكُمَّل، الذين حققوا التوحيد وكملوا الإيمان، وحصلوا المرتبة الأولى من أهل الجنة، –جعلنا الله وإياكم منهم–، ووالدينا وولاة أمرنا وأزواجنا وذرياتنا ومَن أحببناه فيك.

وزاد الله ﷻ نبيه ﷺ؛ مع هؤلاء السبعين ألف، ومع كل ألف سبعين ألف، ومع كل واحد من هذه السبعين والسبعين وغيره؛ مع كل واحد من السبعين ألف ثلاث حَثيَات من حَثيَات الرب، أيضًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، والحَثيَة؛ ملء الكفين، مل كفي الرب –جل وعلا–، ثلاث مرات، يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، فضل من الله ﷻ، والله تعالى له يدين، وكلتا يديه يمينٌ مباركة، لائقتان بجلاله وعظمته، بالكيفية التي يعلمها هو ولا نعلمها، فقد خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، هكذا، فنثبت لله ﷻ اليدين على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، والكيفية التي يعلمها هو ولا نعلمها، وأن الله ﷻ حَثا بيديه ثلاث حَثيَات مع هؤلاء الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، والله أعلم كم هذه الحَثيَة، كم من نفس، لا يعلم عِظم يد الله –جل وعلا– وشأنها إلا هو –سبحانه–، فهذا مما يُبشر المؤمن ويجعله يُخلص التوحيد لله –جل وعلا– ويعظم الرجاء ويحسن الظن، ويستقيم على دين الله –جل وعلا–، فيجتهد في صالح العمل، ويتوب إلى الله ﷻ من قصور العمل ومن الزلل، وينافس في فضائل الأعمال الصالحة، وجليلها، حتى يبلغ الدرجات العالية من الجنة ويدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

والله أعلم، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْك تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ أعُوذُ بعزَّتِكَ؛ لاَ إلهَ إلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّني، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لاَ تَمُوتُ، وَالجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا، قَالَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إبرَاهيمُ ﷺ حِينَ أُلقِيَ في النَّارِ، وَقَالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيْمانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكيلُ. رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ آخر قَول إبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ في النَّارِ: حَسْبِي الله ونِعْمَ الوَكِيلُ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فما في هذه الأحاديث الصحيحة من تطبيقات؛ اليقين والتوكل، فأولها حديث رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم إني لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

وفي رواية: «**اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت**».

وفي آخر الحديث: «**أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تُضلني، أنت الحي الذي لا تموت والجن والأنس يموتون**».

هذا غاية اليقين في حق الله -جل وعلا-، في وجوده وربوبيته وإلهيته وكماله -سبحانه وتعالى- في ذاته وأسمائه وصفاته، والالتزام بحقه، يعني يُعبد سبحانه وتعالى- بما شرع، وعلى الوجه الذي شرع، ولا يشرك به، ولا يُعبد بالبدع والأهواء، وأن الإنسان يستقيم على أمر الله -جل وعلا-، فيؤدي ما أوجب الله تعالى عليه، وينتهي عن ما نهى الله عنه وحرمه عليه، ويتوب إلى الله ﷻ توبةً نصوحًا مما أخطأ فيه، فلا يُصر على ذنب وهو يعلم، ويُلح على الله ﷻ بهذا الدعاء، خصوصًا عند النوم.

خصوصًا بعد اليقظة، خصوصًا في أذكار الصباح والمساء، لابد أن يُحفظ هذا الذكر ويُلتزم به، حتى يكون من أسباب التثبيت على الإيمان والاستقامة على الإسلام، وحتى يكون الإنسان في مأمن من الفتن والضلالات، وحتى يتأهل بتوفيق الله –جل وعلا- لحُسن الخاتمة، وهذا أهم شيء على الإنسان، التأسي بالنبي ﷺ والاستسلام لله –جل وعلا- بما شرع، والاستقامة على ذلك، ولا يبدل ولا يغير ولا يمل ولا يسأم، كل هذه من علامات التوفيق وأسباب التثبيت وأسباب حسن الخواتيم، -وفقنا الله جمعيًا لحسن الخاتمة-.

فكان النبي ﷺ مع كمال إيمانه ومع ما آتاه الله من الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم وفضله العظيم عليه، كان يُلح على الله ﷻ إلحاح العبد الضعيف إلى الله –جل وعلا-، الفقير إليه، المستسلم له، المنيب إليه، الطامع في فضله، الخائف من سخطه وعقوبته، هكذا.

الحديث الثاني: حديث ابن عباس رضي الله عنهما الثاني: أن النبي ﷺ لما فرغ هو وأصحابه من غزوة أُحد وقد أصابتهم الجراح الشديدة وقُتل منهم ٧٠ من الصحابة رضي الله عنهم، ولم يسلم حتى النبي ﷺ، فإنه أُلقي في حفرة، وكُسرت سِنُّه الرباعية، وشُج وجهه، وأُشيع أنه مات –قُتل-، والصحابة رضي الله عنهم أثخنتهم الجراح، لأنهم دار أهل الشرك عليهم، بسبب مخالفة الرماة لأمر النبي ﷺ بالثبات على الجبل وإن تخطفتهم الطير، تخفت النبي ﷺ وأصحابه الطير، لكن لما رأوا النصر في أول الغزوة؛ طمعوا أنها قد انتهت وشحوا بالغنائم ونزلوا ليشاركوا الناس في الغنائم، فدار المشركون عليهم من وراء الجبل، وعادة الدائرة على المسلمين.

وصارت المصيبة العظيمة، والتي ابتلى الله ﷻ بها أهل الإسلام ليمحص إيمانهم وليتخذ منهم شهداء، وليعلموا أنهم بغاية الافتقار إلى الله ﷻ وأن النصر من عند الله لا بالأسباب، إن نفع الله بالأسباب نفعت، وإن ما نفع الله بها ما نفعت، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران:١٢٦].

﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران:١٦٠].

فلما انتهوا من هذه المعركة الدامية الموجعة؛ جاءهم خبر أن أبا سفيان ﷺ كان على الشرك وهو قائد المشركين يوم أُحد، هو وخالد بن الوليد، أنه قد جمع لهم جمعًا، بعد ما ذهب، وأراد أن يكِر على المسلمين، ليستأصل شأفتهم، فلما بلغ النبي ﷺ وأصحابه الخبر؛ عزموا على ملاقاة المشركين مع ما بهم من جراح، وما أصابهم من بلوى، فذهبوا بجراحهم، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، فلما أنهم أقبلوا على المشركين في المكان اللي يتجمعوا فيه؛ ألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان ومَن معه فرجعوا، خافوا، لأن المسلمين يتشفون منهم، من بعد أُحد، فألقى الله في قلوبهم الرعب، فخافوا وانصرفوا قبل مواجهة النبي ﷺ وأصحابه، فكُتب للنبي ﷺ وأصحابه الغزوة، وأعزهم الله ﷻ، وتفضَّل عليهم، ورضي عنهم، وأثنى عليهم في كلامٍ يُتلى إلى أن يُرفع القرآن في آخر الزمن، فأثنى الله ﷻ عليهم، لأنهم لما قال لهم الناس: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]، يعني أهل الشرك، ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾، ما خافوا منهم، بل قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

سلمهم الله من الحرب، وكتب لهم أجر الغزوة، وهابهم المشركون، لما علمت قبائل العرب أن المشركين انصرفوا من حمراء الأسد؛ المكان الذي اجتمعوا فيه، علموا أن المسلمين قوة وفيه شأفة، وسيكون لهم شأفة ونصر، فجعل الله هذا هيبة وذُلًّا في قلوب أهل الشرك وجميع القبائل، وهذا من فضل الله تعالى على عباده، فهذا إمام المرسلين محمد ﷺ، هذا قوله، هذا موقفه.

لما أُخبر بالأمر الخطير الكبير، مع ما بهم من الجراح والآلام والمصيبة، ثبتوا على الحق، وآمنوا بوعد الله ﷻ وأنه سيتحقق لهم النصر، وأن الله لن يجمع للمسلمين عُسرين، لن يغلب عُسرٌ يُسرين، ما من عُسر إلا وهو مسبوق بيُسر وملحوق بيُسر، فلذلك عزموا وتوجهوا لأهل الشرك، (٠٩:٥٨) بسداحهم وبجراحهم وبكل شيء، فأعطاهم الله تعالى فوق ما يؤملون، ونجَّاهم وسلَّمهم من المشركين، وجعل لهم هيبة في قلوب قبائل العرب، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٧٤]، كتب الله لهم رضوانه، والله ذو فضل عظيم، هذا من فضل الله،

فضل الله واسع، لا يحيط به إلا هو –سبحانه وتعالى، نسأل الله الكريم من فضله من خيري الدنيا والآخرة، في أمر الدين والدنيا، والبرزخ والآخرة، نسأل الله الكريم من فضله، هذا موقف.

والموقف الثاني: موقف إبراهيم عليه السلام، فإنه لما ناظر المشركين وأقام عليهم حُجة الله ﷻ، وأتاه الله الحجة؛ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنعام:٨٣]، وكسَّر أصنامهم، لما ذهبوا لمناسبة عندهم عيد، وقال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الصافات:٨٩]، يعني متكدر، من شرككم وعبادتكم لغير الله، ما هو مريض، متكدر، كيف يُعبد غير الله ﷻ، كيف يتوجه للخلق في حق الله الخالص له، وكيف أنهم لا يخافون الله وبطشه وعقوبته، فذهب إلى أصنامهم وكسَّرها، وجعل الفأس أو المعول بيد كبيرهم، ولما جاءوا: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٣].

يريد أن ينبههم أنهم يعبدون أصنامًا لا تنطق ولا تعقل ولا تملك ضرًا ولا نفعًا لعابديها، وهذا تصرف في هذا التصرف ما دافعت عن نفسها، فكيف تطمعون أن تدفع عنكم، ضرًا أو تجلب لكم نفعًا، فأحتموا (١٢:٠٥) عن إبراهيم، ثم نكسوا على رؤوسهم، وردوا على إبراهيم وقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٥]، يعني إنا اتبعناهم اتباعًا لأسلافنا، عبدناهم اتباعًا لأسلافنا، تعظيمًا لأسلافنا، ومراعاةً لحقهم علينا، ومحافظةً على رياستنا، هذا الذي حملنا على ذلك.

وأرادوا أن يكيدوا لإبراهيم كيدًا عظيمًا، عقوبة رادعة، فتآمروا على أن يجمعوا حطبًا عظيمًا وأن يُشعلوا نارًا كبيرة لا يستطيعون الدنو منها من كبرها، وعِظم حرها وارتفاعها، فاجتمعوا ونصبوا منجنيق وجعلوا فيه إبراهيم، وألقوه فيها، فما كان من إبراهيم إلا أن قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣]، فقال الله تعالى فورًا للنار: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

وروي بإسنادٍ ضعيف وذكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في أحد الرسائل، أن جبرائيل عليه السلام عرَض لإبراهيم وهو يهوي في النار، من العلو الذي رموه إليه بالمنجنيق، فقال له: **ألك حاجة؟** –جبرائيل شديد القوى، لو أنه خطف النار بطرف جناحه لأبعدها عنه–، فقال: **أما إليك فلا، وأما إلى الله**

فنعم حسبي الله ونعم الوكيل، فلما رأوا أن النار انطفأت وذهب أثرها وانقطع دخانها؛ جاؤوا يتفرجون، وإذا بإبراهيم بصحبة جبرائيل عليه السلام، يُحدثه ويؤنسه ويؤمنه، وإذا هو في غاية السرور والغبطة، لما رأى من نصر الله تعالى له بحوله وقوته.

فهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، يعني يكفيه ما أهمه وما لا يهتم به، قال تعالى مقررًا لهذا: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦]، كيف تخاف مَن دون الله ﷻ ولا تخاف من الله ﷻ؟ ولا تثق بوعد الله بنصرك وكذا وكذا، وأن المسلمين على هذا النهج، على ملة إبراهيم، وإذا استحكمت الأمور واشتدت وضاقت النفوس وبلغت القلوب الحناجر لجئوا إلى الله ﷻ وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ففرج الله عنهم، وكشف ضرهم، وجلب نفعهم، وأعطاهم ما يسرهم، وأثابهم ثوابًا عظيم، وخلد ذكرهم ثناءً عليهم، هكذا ينبغي، فـ: حسبي الله ونعم الوكيل، تقال عند هذا، عند الضيق، وعند الحرج، وعند الأمور الشديدة، وهذا قيل لجميع رسل الله –عليهم الصلاة والسلام–، ولهذا قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران:١٧٣]، فلذلك أفلحوا وربحوا ونُصروا ونجحوا، هكذا.

لذلك ينبغي للمسلم أن يجعلها على باله، وإذا اشتدت الأمور؛ أن يكرر: حسبي الله ونعم الوكيل، ويكرر: لا حول ولا قوة إلا بالله، ما هو استرجاع؟ لا، براءة من الحول والقوة إلا بالله ﷻ، فلا تحوُّل من معصية الله إلى طاعته إلا بالله –جل وعلا–، ولا ثبات على طاعة الله حتى الخاتمة الحسنة؛ إلا بالله –جل وعلا–، ولا دفع للمكروه والمرهوب إلا بالله –جل وعلا–، ولا تحصيل المرغوب والمطلوب إلا بالله –جل وعلا–، والشيء بغير الله لا يكون، والعمل لغير الله لا يدوم، هكذا ينبغي لكل مسلم، استحضر هذه المعاني وهذه الأذكار، احفظها ورددها، ويقولها في وقتها، وإلا إذا مضى الوقت؛ هو سيسلو سلو البهائم، لكن يقولها في وقتها، حتى أن الله يُمده بمدده وعونه وتوفيقه.

الله تعالى هو الذي تفرد بالإيجاد وبالإعداد وبالإمداد، فهو مثل ما أوجدك من عدم وأعدك لما أوجدك له، وأمدك برعايته وتوفيقه ورزقه وبهداه؛ اذكر هذا واستعن بالله واعتصم بالله وتوكل على الله وثق بالله –جل وعلا–، ولا تتردد، لا تشك، لا تُصر على معصية وأنت تعلم، لا تترك واجب طاعة، ولا تتجرأ على محرم، هكذا، فلا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، واعمل بطاعة الله على

نورٍ من الله على علم ترجوا ثواب الله، وتترك معصية الله على نورٍ من الله على علم؛ تخاف عقاب الله، واثبت على ذلك حتى يأتيك اليقين، وهو الموت.

والله أعلم، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوامٌ أفْئِدَتُهُمْ مِثلُ أفْئِدَةِ الطَّيرِ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

في هذا الحديث الذي سمعتم؛ حضٌ للمسلم على أن يعيش سلم الصدر من الغِل والحسد، وهذا ما وصِفت به أفئدة الطير، يعني قلوب الطير.

الثاني: أن يكون متوكلًا على الله ﷻ، في شأنه كله من لحظته هذه وما يستقبل، ويفوض الأمر لله –جل وعلا-، لأن الله هو مالك الملك، مدبر الملك والخلق، فلا يقلق المسلم بشأن المستقبل، لا من جهة الرزق ولا من جهة أي شيء، حتى لو خاف عدوًا؛ يدعو الله ﷻ يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله، ويأخذ بالأسباب التي يندفع بها المخوف.

ومن ذلك؛ أن الإنسان في كل ليلة يقرأ خواتيم سورة البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، إلى آخر السورة، «فإنه مَن قرأها في ليلةٍ كفتاه».

ومن ذلك؛ أنه يسبح الله ﷻ عند النوم ثلاثًا وثلاثين، ويحمد الله ﷻ ثلاثًا وثلاثين، ويكبره ثلاثًا وثلاثين، فإن الله يكفيه ما أهمه وما لا يهتم به، ليلته هذه وما بعدها، فيحسن له من الإعانة على ذي الشأن من أمره؛ أكثر مما يحصل من إعانة الخادم، ولو تعدل الخادم.

ومن ذلك؛ أذكار الصباح والمساء، وعند النوم واليقظة، عند النوم يقول: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، فوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت» قال النبي ﷺ: «واجعلهن آخر ما تقول، فإنك إن مِت من ليلتك -لو قُدر أنك تُقبض روحك ولا تُرد حال النوم- مِت على الفطرة» على الإسلام، على الملة الحنيفية، «وإن أصبحت؛ أصبت خيرًا» يعني واندفع عنك الشر.

ومن ذلك؛ في صفة الطير: أنها منقادة لأمر الله –جل وعلا-، مستسلمة له، قدريًا، فإن كل من في السماوات والأرض؛ آتي الرحمن عبدا، والله يسجد له ما في السماوات وما في الأرض، والجبال والشجر والدواب وكثير من البشر وكثير حق عليه العذاب.

كثيرٌ من الناس وكثيرٌ حق عليه العذاب، يكون الإنسان مستسلم لله ﷻ، اختيارًا من عند نفسه، لأنه يعلم أن تدبيره عند الله -جل وعلا-، فيرضى بتدبير الله ويثق بالله تعالى ويعتمد عليه، وكما سبق؛ يأخذ بالأسباب التي يُحصل بها المرغوب ويُتقى بها المرهوب، ولا يعتمد على الأسباب، الإنسان يعتمد على مسبب الأسباب -جل وعلا-، على رب الأرباب -سبحانه وتعالى-، هكذا.

والحديث الذي أمر به النبي ﷺ الصحابي وفيه: «**قل أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت**»، وقال له: «**فإنك إن مِت من ليلتك؛ مِت على الفطرة**» وفي رواية؛ «**أصبت خيرًا**»، قال: «**وإن أصبحت أصبت خيرًا**»، فهذا الحديث؛ أرشد النبي ﷺ في مَن أراد النوم إلى ثلاث سنن، يغفل عنها كثير من الناس، مع أن الحديث يمر عليهم كثيرًا، فقال: «**فتوضأ وضوؤك للصلاة**» إن كنت على وضوء إنما على وضوء، وإن كنت على غير وضوء؛ توضأ وضوؤك للصلاة، هذه السنة الأولى.

السنة الثانية: أن تضطجع على جنبك الأيمن أول النوم، ولو انك انقلبت على الجانب الأيسر بعد ذلك؛ لا بأس، لكن المهم هذا اللي تضع، وهذا الذي يذكرك بحالك في القبر، لأن المسلم إذا وضع في قبره؛ يوضع على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، هذه تذكرة.

والثالثة: أن يقول هذا الدعاء: «**اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت** -هذا معنى توكلت- **أمري إليك، وألجأت ظهري إليك** -يعني اعتمدت عليك-، **لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت** -يعني أي كتاب أنزلته، القرآن وما قبله من الكتب المنزلة- **وبنبيك الذي أرسلت**»، قال الصحابي: يُعيد الحديث على النبي ﷺ لحفظه؛ فأخطأ رضي الله عنه، قال: ورسولك الذي أرسلت، قال له النبي ﷺ: «**لا، قل: ونبيك الذي أرسلت**»، وهذا فيه لفتة؛ أن الأنبياء من البشر، والرسل؛ -عليهم الصلاة والسلام جميعًا- من البشر ومن الملائكة، وهذا فيه فرق.

والثانية: أنه لا يكون الرسول رسولًا إلا بعد النبوة أولًا، ولهذا النبي ﷺ نُبِّئ بإقرأ، وأرسل بالمدثر.

فهذا دعاء عظيم يقوله المسلم عند نومه، يتعين عليه أن يقوله، ويجعله آخر شيء، قال: «**واجعلهن آخر ما تقول**»، أول شيء؛ أنه يقرأ آية الكرسي، ويقرأ قل يا أيها الكافرون، ويقرأ قل هو الله أحد، وقل

أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثلاث مرات، والأولى أن يجمع يديه هكذا ويقرأ وينفُث فيهما، يقرأ الثلاث على التوالي ثم يمسح وجهه وما أقبل من جسده، ثم يفعل هذا ثانية وثالثة، هذه هي السنة، ويسبح الله ﷻ ثلاثًا وثلاثين، ويحمد الله تعالى ثلاثًا وثلاثين، ويكبر أربعًا وثلاثين، تمام المائة، غير اللي تقال بعد الصلاة، بعد الصلاة تمام المائة؛ لا إله إلا الله وحده لا شريك له..، يقول الكلمات الثلاث ثم يختمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما عند النوم؛ لا، يجعل التكبيرات ٣٤، وعند اليقظة من النوم؛ أول ما يحس الإنسان في نفسه، يقول: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذِن لي في ذكره، -يعني أعطاني فُسحة في الأجل-، لأستزيد من صالح العمل وأستغفر من القصور والزلل، رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذِن لي بذكره.

ثم يضيف: اللهم أستغفرك ذنبي، -أو لذنبي-، وأسألك رحمتك، ربي زدني علمًا ولا تُزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أن الوهاب، هذا يقوله متى ما استيقظ في أي ساعة من الليل، وخصوصًا في ثلث الليل الآخر، يعتني بهذا أكثر، ثم يسبح الله عشرًا، يقول: سبحان الله، أو سبحان الله وبحمده، عشرًا، ويحمد الله عشرًا، ويكبر الله عشرًا، ويهلل الله عشرًا، ويقول: اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم الحساب عشرًا، ما فائدة ذلك؟ قال النبي ﷺ: «**فإن قام وتوضأ وصلى؛** -يعني في آخر الليل قبل الفجر-، **قُبلت صلاته، وإن دعا،** -يعني إن كسل واقتصر على الذكر والدعاء- **استجيب له**» وهذه من كنوز الليل، الليل فيه كنوز أودعها الله لعباده الصالحين، أولها: «**إن في الليل ساعة؛ لا يوافقها عبد مسلم..**» في رواية: «**قائمٌ يصلي، يسأل الله تعالى فيه خيرًا إلا أعطاه إياه**» من خيري الدنيا والآخرة.

والثانية: هذه الأذكار عند النوم وهذه ثمرتها، ما سمعتم.

والثالثة: أذكار بعد اليقظة وسمعتم ثمرتها.

والرابعة: أن الصلاة في آخر الليل، مشهودة، يعني صلاة الفجر، آخر شيء، تعتبر ختام الليل وافتتاح النهار، يشهدها الله تعالى وملائكته عليهم الصلاة والسلام-، وقبل هذا ثُلث الليل الآخر يوافق وقت النزول الإلهي إلى السماء الدنيا، على ما يليق بجلال الله وبعظمته، وبالكيفية التي لا يعلمها إلا

هو، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب أتوب عليه؟ يعرض الله ﷻ فضله على العباد، وبعض العباد لغروره؛ ما يفكر حتى في صلاة الفجر.

ومن ثمرات أنك تسبح الله ﷻ ثلاثًا وثلاثين عند النوم، وتحمد ثلاثًا وثلاثين، وتكبر أربع وثلاثين؛ أنك تُعان على القيام لصلاة الليل إن أحببت، وتُعان على قيام صلاة الفجر، فلا يكاد يقولها أحد عنده حسبه؛ يستحضر أمر صلاة الليل وصلاة الفجر إلا أيقظه الله، لكن لا يُرجع رأسه للوسادة ثانية، شرط، حتى حدثني أحد؛ أنه سمع هذا الحديث من أحد أهل العلم في المسجد، قال: فأخذت به، يعني عند النوم أسبح ثلاثًا وثلاثين وأحمد ثلاثًا وثلاثين، وأكبر أربع وثلاثين، قال: فوالله عشر سنوات ما فاتتني صلاة الفجر، ولا فاتني قيام الله إذا أردت أن أقوم آخر الليل، ما أوترت أول الليل، عشر سنوات، يقول منذ سمعته من هذا الشخص إلى اليوم، حين حدثني، انظروا الثمرة بذكر الله -جل وعلا-.

وانظروا الكنوز التي أودعها الله تعالى في الليل، حتى لو قيل أن الليل أفضل من النهار؛ ما هو بعيد، ولو قيل إن الليل أُسس النهار، فالليل قبل النهار، واسمعوا ما أقول، الليل قبل النهار، الليلة سابقة لليوم، وكان السلف الصالح؛ وهذه هي اللي أقول، -رحمة الله علينا وعليهم-، يعتنون بأذكار المساء أكثر من العناية بأذكار الصباح، ليش؟ لأن الليل مفتاح النهار، قبل النهار، وثانيًا: لأن الله تعالى نص على أنه يتوفى الأنفس حين موتها إذا حضر أجلها، قال: ﴿وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر:٤٢]، يعني يتوفها توفيًا مؤقتًا، ما هو دائم، يردها عند اليقظة، فإذا كان الإنسان يتوفى بالليل قطعًا على التقديرين؛ إما أن يكون موت انتهى أجله وأفضى إلى آخرته؛ وإما أن يكون موتًا مؤقتًا، بمعنى أنه يفقد الإحساس والحركة، لأجل أن ينتفع من نومه ويتقوى به على مصالح النهار ومعاشه، فكيف الإنسان لا يعتني بالمساء وهو ظرف، قد يكون ظرفًا (١٥:٤٩) للموت، فإما مؤقتًا وإما رحيل من الدنيا.

فتتعين العناية بأذكار المساء أكثر، وإذا استفتح الإنسان بأذكار المساء؛ سهُل عليه ذكر الصباح، لابد من هذا، لأن الله تعالى قال وعدًا لعباده: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾ [مريم:٧٦]، والذكر والدعاء هُدى، فإذا اهتدى زاده الله هُدى، وهكذا، هذه مسائل لابد من التنبه لها، وأن ما هي تصير أحوال النوم واليقظة عادة، ولا يكون فيها ضمانة أنه إذا نام سيستيقظ، الأمر ما هو بيدك، بيد الله -جل وعلا-، ويهتم لأمر الخواتيم، لو خُتم له في نومه، وإذا هو قد بات سليم الصدر أول شيء، حتى يُبعث

عليه، ومات على توبة، حتى يُبعث عليها، لأنه يُبعث كل عبد ما مات عليه، وبات أيضًا على نيةٍ عازمة أن يقوم لصلاة الفجر، لأنه لو نام متواطئ عن ترك صلاة الفجر؛ يُخشى أن يُبعث كافرًا يوم القيامة، لأن هذه كفر، أنه يصلي متى ما استيقظ لو قبل الظهر أو الظهر، لابد من التنبه لهذا، كثير من الناس في غفلة عن هذا الأمر، يحتاج الإنسان؛ الأخير مما أذكره الآن، هو قول النبي ﷺ: «**ما حق امرئٍ -أو أحدكم-، له شيء يريد أن يوصي به يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده رأسه**».

وأهم الوصايا؛ ما يتعلق بالذمة من حقوق الناس، من حقوق الخلق، لأنه لا يسامح فيها، إلا إذا سامحه، فينبغي للإنسان أن يهتم لهذا، يقول لفلان عندي كذا ولفلان عندي كذا، والطريقة وكذا وكذا وكذا، حتى يعين ورثته على إبراء ذمته أسرع وقت.

لأن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يوقع عنه، ولما إنه أحد الصحابة تكفل لجنازة بما عليها من الدَين ديناران، سأله النبي ﷺ ثلاث مرات، ما فعلت الديناران؟ حتى قال: أنه سددها لصاحبه، قال: «**الآن بردت جلدته**»، هذا مهم، وإن كتبت ما في ذمم الناس لك تعين ورثتك على تحصيله أو تعفو عنهم؛ هذا شيء يخصك أنت، لكن حقوق الناس انتبه لها، والإنسان ما يكتب وصيته مثل ما يقول العوام على طمام (١٨:٥٧) للمرحوم، العام والعام الأول أكتبه، لا، كل فترة وكل جديد يعيد النظر فيها، فيه خط على اللي انتهى، ويسجل الجديد ويأكد على المهم، لابد من هذا، قد قال النبي ﷺ: «**مَن أخذ أموال الناس وهو يريد أداءها؛ أدى الله عنه، ومَن أخذ أموال الناس وهو يريد إتلافها؛ أتلفه الله**»، وأخطر التلف أنها تبقى معلقة في ذمتك إلى يوم القيامة وتؤخذ من حسناتك أو تُحمَّل من سيئات الناس.

فأمر العناية بالنوم مهم جدًا، والاستعداد للموت كل ليلة، لأن نفسك ما هي بيدك، بيد الله -جل وعلا-، فإن رد الله إليك روحك؛ فهي صدقةٌ من الله عليك، وإن أخذها ولم يردها؛ فما ظلمك، هو الذي قدر أجلك، وإذا استنفدت رزقك وأجلك المكتوب لك؛ يقبضها الله ما يتركك بلا رزقك، ولا يتركك وأنت لا حي ولا ميت، فهذه مسألة تحتاج إلى عناية، فينبغي الاهتمام بهذا الشيء.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ النبي ﷺ قِبلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُول الله ﷺ قَفَلَ معَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ في وَادٍ كثير العِضَاه، فَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ تَحتَ سَمُرَة فعَلَّقَ بِهَا سَيفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإذَا رسولُ الله ﷺ يَدْعونَا وَإذَا عِنْدَهُ أعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «**إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيفِي وَأنَا نَائِمٌ فَاسْتَيقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ – ثلاثًا**» وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية قَالَ جَابرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإذَا أتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ فجاء رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «**لاَ**» فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**الله**».

وفي رواية قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**الله**». قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدهِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مني؟**». فَقَالَ: كُنْ خَيرَ آخِذٍ. فَقَالَ: «**تَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَأَنِّي رَسُول الله؟**» قَالَ: لاَ، وَلكنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبيلَهُ، فَأَتَى أصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئتُكُمْ مِنْ عنْد خَيْرِ النَّاسِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الحديث؛ في بيان ثمرة من ثمرات عبودية التوكل على الله –جل وعلا–، من تطبيق النبي ﷺ، فالنبي ﷺ سيد المتوكلين وأسوة المؤمنين، وتوكله على الله تعالى معلوم، وثقته بالله تعالى يقينه، إلى غير ذلك، فكان النبي ﷺ في غزاة قِبل نجد، من المدينة إلى جهة نجد، غزاة غطافان، قبيلة من قبائل العرب.

فلما رجع ﷺ من هذه الغزوة؛ مروا بوادي قُبيل الظهر، كثير العضاه –كثير الشجر–، الثمر الذي يقال له الطلح، فكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا رأوا شجرةً ظليلة؛ تركوا لعل النبي ينام تحتها القيلولة بعد الظهر، فتفرقوا تحت الشجر، الجيش، والنبي ﷺ كان أحيانًا يتخذ حارسًا وخصوصًا في السفر، وهو المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحيانًا ما يتخذ حارسًا، ثقةً بالله ﷻ لأن الله وعده بأن يعصمه من الناس، ولو أصابه ما أصابه من جراح أو ألم أو غير ذلك، لكنه لا يُقتل ولا يموت قبل أجلِه.

ولن يموت حتى يبلغ الرسالة ويؤدي الأمانة وينصح الأمة وهكذا كان، فلذلك هذه المرة ما اتخذ حارس، ولما جاء عند هذه الشجرة؛ علَّق سيفه بغمدة في الشجرة، واضجع ﷺ ونام، يعني استغرق في النوم، وهو تنام عيناه ولا ينام قلبه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عشان يكون مستعدًا لاستقبال الوحي متى ما جاء الوحي، بخلاف الناس تنام أعينهم وقلوبهم.

فلم يمضي وقت حتى جاء أعرابي، تسلل أعرابي مشرك، ولذلك النبي ﷺ عرض عليه الإسلام، وتسلل من بين الجيش، وجاء لهذه الشجرة ووجد السيف معلقًا؛ فاستخرجه من غمده ورفعه بيده ونادى النبي ﷺ: مَن يمنعك مني؟ أو قال: تخافني؟ فقال النبي ﷺ: «**لا**» ما أخافك، يعني ما أخاف إلا الله، قال: مَن يمنعك مني، قال: «**الله، الله، الله**» يعني هو يقصد الأعرابي يقول: ما أحد يمنعك مني، أنا عندك وحدي الآن وهذا السيف بيدي وسأقتلك لا محالة، فارتعدت يد الأعرابي وسقط السيف من يده، حفظًا من الله تعالى للنبي ﷺ، فقام النبي ﷺ وأخذ السيف ورفعه على الأعرابي، قال له: «**مَن يمنعك مني؟**» قال: لا أحد، كُن خير آخذ، يعني اعف عني، أخطأت عليك اعف عني، قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله؟**» يعني يعرض عليه الإسلام، قال: لا، لكني أعاهدك ألا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، يعني أكف أذاي عنك مستقبلًا، فتركه النبي ﷺ وعفا عنه.

فحضر النبي مَن حضره من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بهذا الحال، قال: إن هذا الأعرابي اخترط سيفي من الشجرة وسلَّه من غمده ورفعه علي، قال: مَن يمنعك مني، أتخافني؟ فقلت له: «**لا لا أخافك، يمنعني الله**» والأعرابي يسمع، أقر هذا كله، ثم ترك الأعرابي يذهب لوجهه، وذهب إلى قومه وقال: جئتكم من عند خير الناس، هددته بالقتل وأريته الموت، ومع ذلك عفا عني.

قيل: أن قومه أسلموا بهذا الخبر، وهذا من حكمة النبي ﷺ وبُعد نظره وحُسن سياسته، والشاهد من هذا؛ قوله ﷺ: «**الله يمنعني منك**»، ليش؟ لأنه متوكل على الله ﷻ، هذا تحقيق التوكل، لأن النبي ﷺ ما اضطرب ولا خاف ولا ارتبك ولا شيء، لأنه سيد المتوكلين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا العبد، كل ما خرج من بيته يقول: «**بسم الله، آمنت بالله، واعتصمت بالله، وتوكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضل أو أذِل أو أُذل، أو أظلِم أو أُظلم، أو أجهَل أو يُجهل علي**».

يحفظه الله ﷻ، سواءً خرج للمسجد أو خرج لعمله أو لحاجته، يكون متوكل على الله في جميع أحواله، يتوكل على الله عند النوم، يتوكل على الله بعد اليقظة، يتوكل على الله في الصباح، يتوكل على الله في المساء، ويتوكل على الله عند الأمور الطارئة، يكون عنده ثقة في الله ﷻ.

كما قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**»، وهذا الأمر مفروغٌ منه، قبل الخلق السماوات بخمسين ألف سنة كُتب هذا، لن يتغير منه شيء، وهل أنت تتوكل على بصدق ولا لا؟ مكتوب، يحفظك الله أو لا يحفظك؟ مكتوب، لكن الإنسان يتعاطى الأسباب، عبادةً لله ﷻ، وتأسيًا بنبيه ﷺ، وأخذًا بأسباب تحصيل المطلوب واتقاء المرهوب، حتى يكون أسوة لغيرة في هذا الشيء، وهذا لا ينافي التوكل، لأن الاعتماد ما هو على الأسباب، الاعتماد على الله ﷻ، فإن الله وحده؛ هو الذي إن نفع بالأسباب نفعك، وإن لم ينفعك فهي لم تنفع، سواءً في ذلك أسباب طلب الرزق أو أسباب العلاج، أو أسباب توفير الأمن، أو أسباب الإصلاح بين الناس، أو أسباب كذا أو كذا، أي شيء، يكون متعاطيًا للأسباب الشرعية، مثل الأذكار والأوراد، والقدرية، مثل الوسائل التي يُجلب بها المطلوب ويُتقى بها المرهوب، والأدوية وغير ذلك.

هكذا ينبغي للمسلم، والنبي ﷺ هو الأسوة، مثل ما حفظ الله ﷻ نبيه ﷺ؛ فإنه يحفظك، يحفظك أنت أيضًا، والنبي ﷺ في أُحد؛ كُسرت الخوذة على رأسه، التي تُلبس على الرأس، وشُج وجهه -من هنا-، وكُسرت رباعيته -السِن-، وأُلقي في حفرة وأُشيع أنه مات، وما ضره ذلك، حفظه الله، لأن الله تعهد بحفظه، قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

وهذه الحادثة اللي صارت للأعرابي؛ قيل: إنها قبل نزول الآية، وقيل: أنها بعدها، وهي في الواقع؛ قبل، وبعد، لأن النبي ﷺ في غزوة تبوك؛ كان الحارس الشخصي معه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وهي آخر غزوة غزاها النبي ﷺ وآخر سنة من عمر النبي ﷺ، فإنه توفي في أول السنة في الحادي عشر من الهجرة، وكلنا عُرضة لهذا، لكن مَن توكل على الله كفاه.

لأن الله ﷻ قال: ومن يتوكل على الله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، يعني كافيه.

قال: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦]، بلى.

فيصدق الإنسان في توكله، ويطمئن إلى الله في عهده ووعده، ويتعبد لله ﷻ بصدق التوكل عليه وصدق الإنابة إليه والثقة به، ويتعاطى ما أباحه وشرعه من الأسباب الشرعية والقدرية، التي يُحصل بها المطلوب ويُتقى بها المرهوب.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

- عن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا». رواه الترمذي.

- عن أبي عُمَارة البراءِ بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَا فُلانُ، إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فراشِكَ، فَقُل: اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نَفْسي إِلَيْك، وَوَجَّهتُ وَجْهِي إِلَيْك، وَفَوَّضتُ أَمْري إِلَيْك، وَأَلْجأْتُ ظَهري إِلَيْك رَغبَةً وَرَهبَةً إِلَيْك، لا مَلْجَأ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إلاَّ إِلَيْكَ، آمنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أنْزَلْتَ؛ وَنَبِيِّك الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنَّكَ إنْ مِتَّ مِنْ لَيلَتِكَ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَإنْ أصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيرًا» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية في الصحيحين، عن البراءِ، قَالَ: قَالَ لي رَسُول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجِعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوؤكَ للصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيمَنِ، وَقُلْ:... وذَكَرَ نَحْوَهُ ثُمَّ قَالَ: وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

في هذه الأحاديث كسابقتها، في بيان فضيلة التوكل على الله ﷻ مع اليقين بصدق وعده وكفايته لمن توكل عليه، وهذا من العبادة، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾ [هود:١٢٣]،

كما سبق؛ التوكل هو تفويض الأمر لله ﷻ، اعتمادًا عليه وثقةً به، مع مباشرة ما شرعه الله تعالى وأباحه من أسبابٍ شرعية وقدرية، لتحصيل المطلوب واتقاء المرهوب.

ففي الحديث الأول: يقول النبي ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله» يعني تفوضون أموركم إلى الله ﷻ واثقين به معتمدين عليه، موقنين بتحقق كفايته، وباشرتم ما شرع الله لكم من الأسباب غير معتمدين عليها، يعني معتمدين على الله -جل وعلا-، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا، فإن الطير ما عندها مستودعات للرزق، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠﴾ [العنكبوت:٦٠].

فالطير في أوكارها وأكنتها، فتغدو في أول النهار خامصة ضامرة البطون، فتتوجه حيث وجهها الله –جل وعلا-، بقدره، فتصيب ما كتب الله لها من الرزق، والغالب أنها تعود من هذا الوقت، يعني قبل غروب الشمس، تعود وهي ملآنة البطون «**بطانًا**»، ترجع إلى أوكارها بطانًا، ملآنة البطون من الرزق الذي كتبه الله لها، فالطير باشرت الأسباب، غدت ورجعت، وهي معتمدة على الله بفطرتها، فلذلك تُرزق يومها، وهي لا تدخر رزق، لو أنكم الآن خرجتم من المسجد لوجدتم الطير قد رجعت إلى أوكارها أو إلى أكنتها، خصوصًا اللي تكون في شبابيك البيوت ومتعلقة ببيوت الناس، ترجع قبل المغرب، ما فيه طير يبقى إلى المغرب إلا نادر، وهي واثقة بالله ومحصلة لرزقها، فكيف أن هذه الطير الغير مكلفة وغير عاقلة تكون معتمدة على الله تعالى ومرزوقة من الله –جل وعلا-.

وابن آدم يكون عنده شُح وهلع على رزقه، وقصور في توكله، واعتماد على أسبابه، وغفلة أن الأمور كلها بقدر، الله تعالى هو مقدر الأشياء، وهو مقدر الأرزاق، ولذلك قال ﷺ: «**إن رزق الله لا يجلبه حرص حريص، ولا تردُّه كراهية كاره**»، «**فاتقوا الله**»، يعني واتقوا الشرع في طلب الرزق، لا تخالفوه، «**وأجملوا في الطلب**»، فإن رزق الله لا ينال –يعني الحلال-، إلا بطاعته، والحرام لا خير فيه، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله تعالى لا يُنال إلا بطاعته، هذا حديث عظيم ويختصر على الناس هَم المعيشة وهَم الدنيا، لو بحثت بأيديك ورجليك ومع الناس كلهم؛ ما حصلت زيادة على ما كُتب لك ولو مثقال ذرة، ولو أن لك حبة من عيش في جوف صخرة؛ لفلقها الله لك حتى تدركها يومك هذا، أما إذا كان ما هو يومك؛ لا، فهي مؤجلة إلى حينها، وهكذا الرزق.

ولذلك الإنسان يوم ما يشتهي الطعام، يوم ما يجد الطعام، يوم يُشغل عن الطعام، يوم يُشغل عن الشراب، وكذا وكذا، لأنه ما كُتب له، يعرِض أي عارض، ويومًا يأتيه الطعام والرزق من حيث لا يحتسب، لأنه مكتوب له ومسوق له، فالأمور بيد الله ما هي بيد الخلق، والجلب ما هو بالأسباب، الجلب بأمر الله –جل وعلا-، الأسباب وسائل، إن نفع الله بها نفعت، وإن لم ينفع بها لم تنفع، ولذلك المريض حين يشتد مرضه ويحضره النزع؛ لو اجتمع أطباء العالم ما أخروا ولا دقيقة واحدة، لأنه ما بقي له نَفَس.

ولا بقي له رزق، حتى رزقه الذي بين يديه ليس له، لغيره، فيأخذ الإنسان عبرة من هذه الأمور، ولا يكون مهوم دائمًا، مهموم ومشغول البال والفكر بسبب العيش، وهو مضمون، مضمون، مضمون، ولا يلزم من كونك تحصل الرزق أنك تنتفع به، قد يضرك بعد، لو أخذته بمعصية قد يضرك، يسبب لك مشكلة في صحتك في بدنك في كذا في كذا، وأخطر شيء؛ مشكلة في إيمانك، أنه يقسو قلبك، تغفل عن ربك، وتلهو، وتُشغل عن نفسك، حتى ما تستقيم على طاعة الله، ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحشر:١٩].

وفي الآية الأخرى: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧].

ينتبه الإنسان لهذه الأمور، ولذلك مشروع لك أنك كل ما خرجت مرة واحدة أو عدد لأي حاجة أنك تقول: بسم الله آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله. اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضل، أو أزل أو أزل، أو أظلِم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل علي، ليش هذا؟ أضِل أو أُضل؛ يعني في ديني، أو أزل أو أزل؛ يعني في حياتي ومعاشي، أظلم الناس، يظلموني، هكذا، اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضل، أضِل نفسي وأضِل غيري، أو أُضل؛ يُضلني غيري، أو أزل أو أظلِم أو أُظلم في أمر الدنيا، إني أظلم غيري أو يظلمني غيري، أو أتسبب في ظلم غيري، أو أزل أو أزل، الزلل هذا وين يصير، في الغالب أنه في اللسان، «**وهل يُكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم**»، وهل تكون الجنايات إلا بمقدمات الكلام؟!، ما في جناية إلا النادر تكون بدون كلام، شيء مبيت ومؤامر، وإلا الأصل الكلام.

فأن أزِل يعني بلساني، أو أُزل يزلني واحد، يحملني على الجناية، نفس الشيء، وهذا في التعامل مع الناس في الأمور العادية، ما هو في البيع والشراء، ولا في الدين والهُدى، لا، أو أجهل أو يُجهل علي، النتيجة هي هذه، أن يتصرف تصرف الجاهلين، أو يتصرف معي أحد ضدي تصرف الجاهلين المجانين، الذين لا يعلمون الحق، إما مجنون أو إنه لا يعلم الحق، أو إنه طائش سفيه، فلا ترضى لنفسك أنك تفعله أنت ولا أن يفعله غيرك بك، ولا عصمة لك من هذا كله إلا بالله ﷻ، سلِّم انقيادك لله، وأيقن بوعد الله، ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الروم:٦].

هذا أمر مهم جدًا، ومثل هذا؛ يعني هذا في اليقظة تمامًا، مثل هذا؛ عند النوم، انتبه إذا نمت أنت، فإن الأرواح تُنزع من أجسادهم، نزعًا مؤقتًا، أو دائمًا، قد تُنزع بالموت ولا ترجع، وقد تُنزع مؤقتًا، يكون علاقة الروح بالجسم؛ مثل علاقة المغناطيس بالحديد أو غيره، تكون بعيدة وقريبة، هذا هو، فلذلك انتبه عند نومك.

أول شيء: توضأ وضوءك للصلاة، خليك على طُهر، وبهذا تُشبه الجنازة إذا غُسلت وكُفنت، هذه ذكرى لك، لأن ظلمة الليل تُذكر بظلمة القبور، ونور النهار يُذكر بالقيام من القبور، لا تغفل، لكل شيء عبرة، لكل شيء عظة، وتفكر في ملكوت السماوات والأرض، هذا أمامك الآن، فتطهر.

ثانيًا: اضطجع على شقك الأيمن.

ثالثًا: استقبل القبلة قدر المستطاع، رتب فراشك للقبلة، وهذه حالة الميت، يوضع في لحده مستقبل القبلة، يوضع على طُهر مُغسل ومُكفن، ومغطى مستور بسترٍ جميل، وكذا، ويستقبل القبلة على جنبة الأيمن، يكفيك هذا موعظة، حتى ما تنام متواطئ أنك ما تصلي الفجر، أو أنك ما تذكر الله وقت قُرب الله ﷻ منك ومن غيرك، بالله يا جماعة، لو قيل المسئول من مسئولي الناس من حكم أو المال، أنه سيخرج خارج البلد مسافة كذا ويوزع على مَن يأتيه، يبقى بالبلد أحد؟ ما يبقى أحد، كلٌ يذهب ليأخذ نصيبه، والله ﷻ له الكمال والجلال.

أما ما يليق بجلاله؛ يدنو من عباده كل ليلة، حين يبقى ثلث الليل الآخر، دنو؛ إجابة، وقُرب؛ إثابة، يقول: هل من سائل فأعطية، ينزل إلى السماء الدنيا على ما يليق بجلالة وعظمته والكيفية التي يعلمها وينادي والناس لا يسمعون، **هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه**، يعرض الله ﷻ فضله، ونحن في غفلة، لا نبالي لا بالتوبة، ولا نبالي بالحاجة حتى، ولا نستغفر من خطيئة، عجيب هذا الأمر، لو تقوم قبل طلوع الفجر بربع ساعة؛ حصلت السَحَر، حصلت ثلث الليل الآخر، عينت من الله تعالى خيرًا كثيرًا.

تقول: اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت –يعني توكلت- أمري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، بكل كتاب أنزلت، (١٤:٤٠) آخر القرآن العظيم، وأعظمه وأوجبه عليك، وبنبيك الذي أرسلت، كل رسول أرسله الله ﷻ من البشر أو من الملائكة وآخرهم الواجب عليك اتباعه هو محمد ﷺ، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، قال: «**فإن مِت من ليلتك**» احتمال «**مِت على الفطرة**» على الإسلام، على الملة، على العقيدة الصحيحة، على الثقة بالله والرضا عنه، على التوكل على الله واليقين بوعده، «**وإن أصبحت؛ رُدت إليك روحك واستيقظت مثل غيرك ممن فُسح له في الأجَل أصبت خيرًا**»، ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الروم:٦]، أول الخير؛ أنك تذكر الله بالأسحار، ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران:١٧]، لا تكون مثل ما قال حكماء الشعراء، لما ذكر مميزاته ومميزات قبيلته وغيره، قال:

وأخيَّـــرُ منهـــا ركعتـــين بالأســـحار لا طـــاب نـــوم اللـــي حياتـــه خســـارة

لا تكن من حياتك خسارة، كن حكيمًا، كن محسن الظن بالله، طالبًا لفضل الله، مستزيدًا من نعمته، مقبلًا عليه، تنتظر أجلك، ترجوا حُسن الخاتمة، أن يُختم لك بأحسن عملك، فتُحب لقاء الله والله تعالى للقائك أحب، أنى يكون الإنسان غافل لا يبالي، والله العظيم؛ إنها لمصيبة اليوم أن الناس ينامون على الجوال ويفتحون أبصارهم على الجوال ولا هو في فقه الدين، لا، في أمر الدنيا والفضول والمحرمات، في الجملة، هذه مصيبة.

والله إنها بلية، ما يمكن إلا أنه ينام وهو على الجوال، وإذا فتح لا يذكر الله ﷻ، ينظر إلى الجوال، وايش جديد؟ هذه حياة هذه؟ وهذه خواتيم.؟ وهذه استفتاح؟ وهذا شكر نعمة الله ﷻ على الحياة الجديدة؟ الله يمهلك للعمل الصالح، وأن تعتذر من زللك وذنبك، وأنت ما تبالي ولا همك، كأن النوم واليقظة عادة ما هي بقدر، كل شيء بقدر، والأجل، وتستنفد أجلك أنت، كل يوم يمضي من عمرك يناديك: يا ابن آدم أنا خلقٌ جديد وعلى عملك شهيد، فانتفع مني فإني لا أعود، هكذا ينبغي للناس.

النبي ﷺ وهو النبي ﷺ؛ عند النوم يقول: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**» ذكر الموت أولًا ثم الحياة، يعني إن تفضلت على حياة وإلا أموت، «**باسمك اللهم أموت وأحيا، إن أمسك نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاغفر لها**».

شوف ما يسأل ايش؟ المغفرة، ما هو بالرزق، «**واحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»، في الحديث الآخر: «**اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها -تذكرة-، لك مماتها ومحياها، إن أمسكتها فارحمها، وإن أرسلتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية**»، هذا عند النوم، عند اليقظة؛ يقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»، «**الحمد لله الذي رد علي روحي، وعافاني في جسدي، وأذِن لي في ذكري، اللهم إني أستغفرك ذنبي وأسألك رحمتك، ربِ زدني علمًا**، -أول شيء العلم، لأنه هو وسيلة-، **ولا تُزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهَب من لدنك رحمة**، -من جميع أنواع الرحمة-، **إنك أنت الوهاب**».

اسألوا أنفسكم أنتم الآن، خلال هذه الأيام التي مضت، من الجمعة إلى اليوم، كم قلتم هذه الدعوات عند النوم وعند اليقظة، حتى تعرفوا كيف أننا مفرطين وغافلين، ولو أنك قلتها وانشغلت بشيء ثاني أو جاءك ضيف أو طارق أو كذا ورجعت للنوم تقولها أيضا، ما يكفي، لأن النبي ﷺ قال: «اجعلها آخر ما تقول» ثم بعد ذلك تسبح الله ثلاثًا وثلاثين تسبيحة، وتحمده ثلاثًا وثلاثين تحميده، تكبره أربع وثلاثين تكبيرة، قبل أن تنام، تقرأ آية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، خواتيم سورة البقرة المفروض تقولها بعد المغرب، حين تغرب الشمس، لكن لو ما قلتها؛ تقول عند النوم.

تقول يا أيها الكافرون، تجمع يديك وتنفث فيهما وتقرأ قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس، ثم تمسح وجهك وما أقبل من جسدك، تفعل هذا مرة ثانية وثالثة، نفس الطريقة.

أما إن الإنسان ينام جيفة مثل جيفة الدابة، ويقوم مثل ما تقوم الدابة، ما يفكر ولا يدري شيء، فهذا غلط وغفلة وانصراف وجناية، وأسوة سيئة لأهل البيت، إذا كان أنت قيِّم البيت وهذا تصرفك؛ ما عليهم شر هالبقية، أن تستمر، فينبغي للإنسان أن يتنبه لهذا.

ويقدر المسئولية، اليوم أنت بين أهلك وذويك، وغدًا لا أنت ما بينهم، لو أخذوا عنك عملًا صالحًا وأسوة حسنة؛ كان يأتيك نعيمك في القبر بنفس الوقت اللي أخذوا عنك، فإن النعيم يأتي بنفس وقت العمل الصالح، والعذاب بوقت العمل السيء، كما قال تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا ﴾ [غافر:٤٦]، يعني من يوم غرقوا وإلى أن يبعثوا، ﴿ غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا ﴾ [غافر:٤٦].

لأن ظلمهم وجورهم وكبرهم وعنادهم لله جل وعلا ورسله؛ كان أشد ما يكون في الصباح والمساء، فيُعرضون على النار غدوًا وعشيًا، وهم في البرزخ، ينتبه الإنسان لهذا، فهذا هَدي نبوي وشرع إلهي، وهذا من رحمة الله بنا، ومن لطف الله بنا –سبحانه وتعالى–، ومن هدايته لنا، وهذا من هَدي الرسول ﷺ وحُسن اتباعنا له حتى يُشفِّعُه الله فينا يوم القيامة، جعله الله شفيعًا لنا يوم القيامة، ولا والله يخلُص الناس يوم القيامة من الموقف؛ إلا بعد شفاعته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولا والله يدخل أحد الجنة؛ إلا بعد شفاعته، يفتح باب الجنة، فيُنتبه لهذا، ما يحسن للإنسان أن تكون على هذه الغفلة، ويجاري الناس بعضهم بعض، ويكونون على النُكت وعلى الأمور اللي فيها زلل، ربما فيها كفر، جاءت أُرسلت على وجه النُكتة، وربما فيها مخالفة للشرع عمدية، وربما فيها استهزاء بحكم شرعي، وربما فيها حظ بترك العمل بحكم شرعي، وأنت تأخذها وتستقبلها وتصل لقلبك وبعدين توزعها، ما تخاف الله؟! فهذه بليَّة بُلي الناس بها بهذا الزمن ما كانت في السابق، أبدًا، ما كانت في السابق.

إن الإنسان يسقط الجوال من يده بالنوم، وإذا أحس بالحياة؛ أخذه أول شيء!، والنبي ﷺ يسبح عشرًا، ويحمد الله عشرًا، ويهلل عشرًا، ويكبر عشرًا، ويستغفر عشرًا، ويستعيذ بالله من سوء الحساب، من ضيق الدنيا وسوء الحساب، عشرًا، ويقول: إنه إذا قام الإنسان بعد هذا وتوضأ وصلى قبل الصلاة وإن ذكر الله ودعا؛ استجيب له، فينتبه لهذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- عن أبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه عبدِ اللهِ بنِ عثمان بنِ عامرِ بنِ عمر ابنِ كعب بنِ سعدِ بن تَيْم بنِ مرة، بن كعبِ بن لُؤَيِّ بن غالب القرشي التيمي رضي الله عنه وَهُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ صَحَابَةٌ رضي الله عنهم قَالَ: نَظَرتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكينَ وَنَحنُ فِي الغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنا، فقلتُ: يَا رسولَ الله، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيهِ لأَبْصَرَنَا. فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكرٍ باثنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- عن أم المُؤمنينَ أمِّ سَلَمَةَ وَاسمها هِنْدُ بنتُ أَبي أمية حذيفةَ المخزومية رضي الله عنها: أنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ، قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ أَنْ أضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أظلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**». رواه أبو داود والترمذي.

- عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ - يَعْنِي: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ-: بِسمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، يُقالُ لَهُ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيطَانُ**». رواه أبو داود والترمذي.

- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَخوانِ عَلَى عهد النَّبيّ ﷺ وَكَانَ أحَدُهُمَا يَأتِي النَّبيَّ ﷺ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أخَاهُ للنبي ﷺ فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**». رواه الترمذي.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث؛ في بيان تحقيق اليقين والتوكل من هدي رسول الله ﷺ، حتى يتأسى به المؤمن، ففي الحديث الأول: حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه لما خرج هو والنبي ﷺ مهاجرين إلى المدينة؛ اختفيا في غار ثور، جنوب مكة، عكس ما يتوقع الناس في مسيرهما، وهذا من باب التعمية على الناس، فقُريش استفحل شرها وجن جنونها يطلبون النبي ﷺ لقتله.

فجعلوا مائة بعير لمن يأتي بالنبي ﷺ، ومائة بعير لمن يأتي بأبي بكر، وذهبوا في كل جهة يتحرون النبي ﷺ أن يجدوه في الطريق هو وأبو بكر، فأقام النبي ﷺ في ذلك الغار ثلاثة أيام بلياليهم، وكان راعي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ كان ابن أبي بكر يأتي بالأخبار لهما كل ليلة، ماذا فعلت قريش، إذا جن الليل وانقطعت الرجل يأتيهم، والخادم يأتي بالطعام والشراب، تسويه أسماء بن أبي بكر رضي الله عنهم جميعًا.

والراعي؛ يأتي بالغنم بعدهما، إذا رجعا؛ يأتي بالغنم حتى تعمي آثارهما، إذا مشت على طريقهما؛ عمَّت الأثر، فهذه أسباب اتخذها النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه طلبًا للسلامة، من وصول أهل الشرك إليهم، ومع ذلك لم تُغني شيئًا.

فإنهم جاء ناس منهم ووقفوا على الغار نفسه، ولكن الله أعمى أبصارهم، لو أن أحد من هؤلاء خفض بصره إلى الأرض لرأى قدم النبي ﷺ وأبو بكر، فيقول أبو بكر رضي الله عنه: **لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه هو؛ لأبصرنا**، فيرد النبي ﷺ عليه رد الواثق ويُبين له، يقول: «**ما ظنُّك باثنين الله ثلاثهما**» إن الله معنا، بكلاءته وحفظه ورعايته، من فوق سبع سماوات، فأنى يصلون إلينا، وأنى يرونا، هذه الثقة واليقين بوعد الله –جل وعلا-، ولذلك انصرفوا من الغار وما دخلوه حتى، فعمَّى الله أبصارهم، وهذا دليل أن المسلم عليه أن يأخذ بالأسباب التي يُنال بها المطلوب ويُتقى به المرهوب ويعتمد على الله ما هو على الأسباب، هذه أسباب أُخذ بها ومع ذلك ما نفعت، هكذا في العلاج، وهكذا في تحصيل الرزق، وهكذا في دفع المكروه، وهكذا في الإصلاح بين الناس ومع الناس، هذا الحديث الأول، هذا اليقين الصحيح، «**ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما**».

والحديث الآخر: أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته يقول: «**بسم الله، آمنت بالله، واعتصمت بالله وتوكلت على الله..**» وسبق بيان هذا.

الحديث الثالث: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**»، كل هذا في الاعتماد على الله عز وجل، في تحصيل المطلوب ودفع المرهوب مع الثقة، لابد من الثقة القلبية بوعد الله –جل وعلا-، واليقين بتحقق موعوده –سبحانه وتعالى-، بالكيفية التي يقدرها هو –سبحانه-، قد تكون أبعد ما تتصور؛ وتتيسر، فهكذا ينبغي للمسلم، وإن الإنسان يكون اعتماده على الله عز وجل في جميع أحواله، وهذا تحقيق التوكل، تفويض الأمر إلى الله اعتمادًا عليه وثقةً به مع الأخذ بالأسباب التي يُظن بها تحصيل المطلوب ودفع المكروه والمرهوب من غير اعتمادٍ عليه، بل اعتماد على الله –جل وعلا- هكذا يكون المسلم.

الحديث الأخير: ما له علاقة في موضوع التوكل، فهذان رجلان أخوان، أحدهما كان يحضر عند النبي ﷺ في مجلس من مجالسة يتلقى العلم والسنة، والآخر كان يحترف يطلب الرزق والعيشة، فكأن المحترف وجد في نفسه أن أخاه لا يساعده على هذا، فجاء يشكوه، يعني يُعرِّض به عند النبي ﷺ، فنبَّهه النبي ﷺ أنه يقول: «**لعلك تُرزق به**»، إنك يتيسر لك أمر الرزق بسعيه إلى العلم والاستفادة، والتأسي بالنبي ﷺ وينقل لك ما رأى وما سمع، لا يكون في نفسك شيء، «**لعلك تُرزق به**»، والرجل؛ لعله أنه لا يُحسن الحرفة، كما قال: «**إنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم**»، فكأنه ما عنده رأي ولا يُتقن الحرفة، فهو متوكل على الله ﷻ، فيحقق الله ثمرة توكله بتيسير الرزق على يد أخيه.

وإلا ففي مقامٍ آخر؛ كان رجلان مثلهما، فرأى النبي ﷺ أحدهما ليحضر عنده وسأله عن حضوره عنده وكذا وكذا، قال: إنه يحضر وكذا وكذا، وأن أخاه يحترف ويرتزق وقائم بالمؤنة، فقال له النبي ﷺ: «**أخوك خيرٌ منك**»، لأن هذا يقدر على الاحتراف وطلب الرزق، لكنه كأنه قصَّر واكتفى بالحضور عند النبي ﷺ، ثم هو على خير يعني، فيحظه النبي ﷺ على أنه يشارك أخاه بالرأي بما يحتاج إلى إعانة عليه بكذا وكذا، حتى لو تأخر عن طلب العلم بعض الأيام، لأنه ما هو واجب، طلب العلم؛ يعني زيادة العلم، الواجب تعلُّم ما لا يسع المسلم جهلُه، وما زاد فهو فضل، فهكذا، اعتذر النبي ﷺ عن الأول، قال: «**لعلك تُرزق به**»، وعاتب هذا، قال: «**أخوك خيرٌ منك**»، لأنه يرتزق، وهذا جالس في المسجد، قد يصادف النبي ﷺ في مجلس وقد لا يصادفه، فهو معطل عن الأسباب، فلذلك لامة النبي ﷺ وعاتبه.

فدلت هذه الأحاديث على أنه ينبغي أن الإنسان يثق بوعد الله ﷻ ويصدق في توكله عليه واعتماده عليه –سبحانه وتعالى–، ويتعاطى ما أمكن من الأسباب لتحصيل المطلوب واتقاء المرهوب، من غير اعتمادٍ عليها، بل يكون الاعتماد على الله تعالى وحده، هكذا ينبغي، وهذا هو تحقيق التوكل والاعتماد على الله ﷻ من هَدي النبي ﷺ من قوله وفعله وإقراره وتنبيهه لمن أخطأ وبيان وجه الصواب الذي ينبغي أن يتخذه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ [هود:١١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فصلت:٣٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

وأما الأحاديث؛ فعن أبي عمرو، وقيل: أبي عَمرة سفيان بن عبد الله ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، قُلْ لي في الإسْلامِ قولًا لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». رواه مسلم.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بعَمَلِهِ**» قالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «**وَلاَ أنَا إلاَّ أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحمَةٍ مِنهُ وَفَضْلٍ**». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد أم الله تبارك وتعالى بالاستقامة؛ نبيه ﷺ ومَن آمن به، فقال: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود:١١٢]، وقال سبحانه لعباده: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ﴾ [فصلت:٦]، يعني مهم استقمتم؛ فلابد يصير عندكم خلل وقصور في العمل، فعوضوا ذلك واجبروه بالاستغفار، فالاستقامة؛ هي لزوم طاعة الله –سبحانه وتعالى–، عن إيمانٍ به وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وذلك بتحقيق مدلول الشهادتين، بالإخلاص لله ﷻ في عبادته بما شرع وعلى الوجه الذي شرع، واتباع نبيه ﷺ الذي أرسله الله ليُطاع ويُتبع، والثبات على ذلك حتى تحضر المنية، يعني الإنسان ما يميل يمنةً ويُسرة، ولا يغلو ويتنطع ويتكلف، ولا يجبوا ويترك ويهجر الشرع، فيكون على طريقة الاعتدال، هذه هي الاستقامة، وقال العلماء –رحمهم الله–: إن أعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وقالوا كذلك: الاستقامة؛ جُمَّاع الخير، ولذلك لما جاء الصحابي رضي الله عنه للنبي ﷺ يقول: **قل لي في الإسلام،**

يعني **قولًا** مختصرًا مفيدًا، يكفيني، **لا أسأل عنه أحدًا بعدك**، قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» يستقم على دين الله -جل وعلا-، وذلك بأداء الواجبات وترك المنيات والتوبة إلى الله ﷻ بما اقتُرف من خطيئات، والاشتغال بذكر الله ﷻ في سائر الأوقات، والثبات على ذلك حتى الممات، هذه هي الاستقامة.

ما جزاء الاستقامة؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت:٣٠].

يعني تتولاهم الملائكة ﷷ مدة حياتهم وعند مماتهم وبعد مماتهم ويوم بعثهم وحشرهم، وعلى أبواب الجنة، تستقبلهم بالتهاني والبشارات والتبريكات، تقول لهم لا تخافوا، يعني عند الموت، لا تخافوا مما أمامكم، فأنتم على خير وعلى طاعة وعلى دين واستقامة، تنتظرون المثوبة والكرامة من الله -جل وعلا-، فلا يهمكم ما أمامكم واطمأنوا، فيبشرونهم قبل قبض الروح، -نسأل الله حُسن الخاتمة للجميع-.

﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾، ايش لا تحزنوا؟ على مَن ورائكم، مَن خلَّفتم، على أهليكم، على أولادكم، فإن الله يتكفلهم سبحانه، ويُصلح شأنهم ويسددهم ويحفظهم، فصلاحكم وتقواكم، باستقامتكم، ثم تتابع لهم تقول: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾، اطمأنوا، حتى يُرى الإنسان مقعده من الجنة وهو على فراش الموت قبل أن يُغرغر، وهذه من آيات الله ﷻ ومن كرامة الله لأوليائه، ويُرى مقعده من النار ويُطمئن أنه خلاص نجا من هذه، أبدله الله به مقعده من الجنة، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، وهذه أعظم طمأنينة للإنسان، أنه قبل أن يغادر الدنيا؛ يكون واثق من مستقبلة وأنه في الطريق إلى الجنة، -نسأل الله حسن الخاتمة، نسأل الله الجنة-، فهكذا ينبغي للمسلم، أن يلازم الاستقامة.

ولذلك قال بعض السلف؛ أبو بكر وعمر ﭭ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، قالوا: **لم يميلوا يمينًا ولا شمالًا عن الحق**، لزموا الحق، قال عمر: لم يروغوا روغان الثعالب، يعني إنه لزموا الاستقامة، ما اتبعوا أهوائهم ولا أهواء شياطين الإنس والجن، ولا اتبعوا خطوات الشيطان، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت:٣١].

توليناكم في الدنيا، ولهذا وصلتم إلى هذه الغاية الكريمة، حُسن الخاتمة، والطمأنينة على المستقبل وعلى ما خلفتم ورائكم بعد الموت، وهذه سعادة، والله إنها هي السعادة، جدًا، ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

نثبتكم في القبر عند السؤال، ونستقبلكم عند القبور إذا خرجتم منها يوم البعث، ونهون عليكم أهوال القيامة، ونستقبلكم عند باب الجنة، فمن تولته الملائكة بالإحسان والكرامة بأمر الله –جل وعلا-؛ خلاص انتهى طريقه واضح ومطمئن، ولذلك يكون الإنسان في أحوال وأهوال القيامة؛ في غاية الطمأنينة، لأنه مطمئن على هذه الحال، عند فراق الدنيا وقبل فراق الدنيا وقبل دخول القبر، ورأى في القبر أول شيء؛ البشارة بمقعده في الجنة، وأنه أُبدل بهذا المقعد مقعد النار، صار مقعد النار لغيره، وهذه عجيبة وعظيمة ونعمة من الله ﷻ كريمة، يصير الإنسان يذكر هذه المعاني في جميع أحواله، حتى إن همَّ بطاعة؛ بادر إليها أو عَرضت له أو وجِد سببها أو مناسبتها، بادر إليها خشية أن تفوته، وإن خطرت له المعصية أو عُرضت عليه أو أُغري بها؛ خاف من تبعتها وتركها لله ﷻ، فتُكتب له حسنة، يقول الله ﷻ: اكتبوها حسنة، تركها من جرائي، من أجلي يعني.

ثم يذكرون له نماذج ما في الجنة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم، كل شيء طيب في الجنة، ما في الدنيا مما في الجنة؛ إلا الأسماء فقط، عنب؛ لكن لا كَل عنب الجنة، وفواكه؛ لا فواكه الجنة، وهكذا، أزواج؛ لك أزواج الجنة، فكل ما في الدنيا؛ هذا أنموذج بسيط جدًا، ما يُذكر إلى جانب أمر الآخرة، وما أعده الله لعباده في الجنة، من الرجال والنساء، فلذلك الإنسان يحافظ على هذا ويحرص على الاستقامة على دينه حتى يلقى الله ﷻ عليه كما قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩].

وقال هنا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأحقاف:١٣]، أصحاب الجنة، ملكهم الجنة، ملَّكَهم الله إياها، جزاءً بما كانوا يعملون، يعني كرامة من الله ﷻ، فالعمل الصالح جعله الله تعالى سببًا لدخول الجنة، كما أن العمل الطالح الفاسد؛ سببًا لدخول النار.

فينبغي للمسلم؛ أن يستقيم على دين الله وعلى أمره، ويؤمن بقضائه وقدره، ويحرص على الاستقامة ويحذر من الزيغ يمنةً وشمال، فإن الله تعالى قال: فالذين زاغوا عن الحق... -قصدًا وعمدًا-، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف:٥]، هم الذين اختاروا، فالإنسان يخاف، لأنه إذا عمل سيئة؛ تدعو إلى مثلها، وتهون ما بعدها، وتجرئ عليها، وإذا عمل طاعة؛ نفس الشيء، تكون مقدمة لما بعدها، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

من اهتدى ﴿زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ۝١٧﴾ [محمد:١٧].

وتكون تسهل ما بعدها، وتبشر بما بعدها، فيختار الإنسان، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣].

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨﴾ [السجدة:١٨].

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة:١٩-٢٠].

فينتبه الإنسان، يستقيم على دينه، استقم كما أمرت، ويحذر من خطوات الشيطان ومن تزيين شياطين الجن والإنس، ومن اتباع النفس هواها، ومن اتباع أهل الأهواء، ومن صُحبة أهل السوء، كل هذه توقع في معصية الله، وتصُد عن ولاية الله -جل وعلا-، وتصُد عن ولاية الملائكة له، ينبغي للإنسان أن ينتبه لهذا الأمر.

والإنسان ما يدري ما يتعجل في الأجر، مغيب ولا يأتي إلا فجأة، لا يأتيك الموت وأنت على عملٍ وأنت على عملٍ لا يُرضي الله -جل وعلا-، فإنه يُبعث كل عبدٍ على ما مات عليه، مَن لزِم العمل الصالح؛ ختم الله له به وبعثه عليه، ومَن لزِم ضده؛ ختم الله له به وبعثه عليه، ولهذا حظ الله على الاستقامة، وبيَّن ثواب الاستقامة، فمن ثواب الاستقامة؛ أول شيء: طمأنينة النفس وانشراح الصدر لطاعة الله -جل وعلا-، هذا في الدنيا.

ومن ذلك؛ أن الإنسان يُحسن الظن بالله ﷻ، إذ وفقه الله لطاعته ويرجو من الله المزيد من التوفيق، ويُلح على الله بالدعاء بالثبات على ما هداه الله له والاستزادة من مثله.

ومن ذلك؛ حُسن الخواتيم.

ومن ذلك؛ نعيم القبر.

ومن ذلك؛ البشارة والطمأنينة عند القبر يوم القيامة.

ومن ذلك؛ الأمن من أهوال الآخرة.

ومن ذلك؛ حُسن الاستقبال عند باب الجنة.

ومن ذل؛ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت:٣١].

ايش معنى تدعون؟ ما تتمنون، فلو الإنسان خطر بباله شيء من ألوان المطعوم والمشروب في الجنة واللذة الحسية والمعنوية؛ على طول يجيه، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة:٢٥]. ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس:٥٧]. ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت:٣٢].

فلذل ينبغي للإنسان يزهد في الدنيا مقابل الآخرة، وأن يعتني بعمل الآخرة العمل الصالح، وأن يحذر من أسباب الزيغ وموجبات الضلال والغواية، ويثبُت على الدين ويسأل الله الثبات، يقول: اللهم ثبتني على دينك، اللهم زدني من هداك، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨].

ولهذا قال النبي لمن سأله قولًا جامعًا مختصرًا؛ قال: «**قل: آمنت بالله ثم استقم**»، آمنا بالله.

اللهم أعنا على الاستقامة، اللهم ارزقنا الهدى والسداد، اللهم ثبتنا على دينك حتى نلقاك عليه غير مبدلين ولا مغيرين، اللهم اجعلنا من أهل تقواك، وزدنا من هداك، ووفقنا لما تحبه وترضاه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التفكر في عظيم مخلوقات الله تعالى
وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورها
وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧].

وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ:٤٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الغاشية:١٧-٢١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ﴾ [محمد:١٠].

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الباب؛ فيه تنبيه للعقلاء، أن يديموا التفكر في جميع الأمور، وهو النظر والتأمل، خصوصًا في العواقب والمألات، ليهتدوا إلى ما ينفعهم في دنياهم ومعاشهم، وفي آخرتهم ومعادهم، لأن ذلك هو النافع لهم، وهذا هو صفة خُلَّص عباد الله –جل وعلا، جعلنا الله وإياكم منهم–، فإن الله تعالى وصف عباده؛ بالتفكر، والنظر، والاعتبار.

ووصف المكذبين والكافرين والغافلين بأنهم لا يتفكرون، ولا يعتبرون، وأن همهم الدنيا فقط، ولا عندهم نظر فيما بعد الموت، ولذلك شبههم بالأنعام، بل قال: هم أضل، أضل من الأنعام، لأن الأنعام ما أعطيت عقولًا تفكر فيها في المعاني والأعمال والأقوال والعقائد، تختار الصحيح النافع

وتترك الفاسد الضار، لكن هم أُعطوا لكن لم ينتفعوا، ما استعموا هذا إلا في شهواتهم ودنياهم، وهم عن الآخرة غافلون معرضون، ولهذا وصفهم الله ﷻ بأنهم شر الدواب، شر مَن يدب على الأرض.

وكان النبي ﷺ؛ كلما قام من الليل، مرة أو مرتين أو ثلاث أو أكثر؛ خرج من غرفته ونظر في السماء، وقرأ قول الله تعالى في آخر سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠].

ثم وصفهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١]، فيهديهم هذا إلى أن يعترفوا لله ﷻ بحكمته وفضله ورحمته، ويخافوا من عدله وعقوبته، فيقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٢]، إلى آخر الآيات.

ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ويلٌ لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها**» يعني لم يعطها حقها، فينبغي للعبد أن يكون على هذا، وإذا خرج من بيته لصلاة الفجر؛ أنه يقرأ هذه الآيات، ينظر في السماوات والأرض ونعم الله على العباد، الأمن التام، والرزق التام، والعافية، وكذا وكذا، وما خص الله ﷻ أهل البلاد بما حرمه غيره في جهاتٍ عدة، ويحمله ذلك على الاعتراف بنعمته، والاستعانة به على شكرها، والاعتراف بفضله، وينشط في طاعة الله –جل وعلا–، ويخوفه من مفاجئة الموت والأجل، وأن يقدم على ما قدم من سوء عمل، هكذا ينبغي للإنسان.

فالتفكر نافع، ولهذا بيَّن سبحانه أن أعداءه ما يتفكرون، ولهذا ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج:٧٤]، لا عرفوا أسماءه وصفاته وأنواع كمالاته، وأثر ذلك في خلقه وفي قدره وفي شرعه وفي جزائه، ولذلك قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١].

أنكروا النبوة والرسالة (٠٦:٤٠)، ولذلك أيضًا لم يعترفوا بأن هذا الملك على عظمته؛ وهو كل ما ارتفع اتسع واغتنى أعلاه عن أسفله، فالأرض هي أصغر المخلوقات، وكل ما ارتفع من المخلوقات عظُم واتسع، وأعظم المخلوقات التي دون العرش؛ الكرسي، فالسماوات السبع والأراضين السبع وما فيهم وما بينهما؛ كل هذه في جوف الكرسي، هكذا قال النبي ﷺ، كذا، في جوف

الكرسي، ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، -سبحانه وتعالى-.

لا يُكلفه ولا يُثقله حفظ السماوات والأرض، فإذا عرفت أنك محاط بك من مخلوقات الله التي هي ليست بشيء بالنسبة لله تعالى، وعز شأنه وعظمة سلطانة وحكمته -سبحانه وتعالى في خلقه وأمره، وجزاءه وتدبيره لملكه.

فإن الإنسان يحتقر نفسه ويعلم حاجته إلى الله ويعلم قدرة الله تعالى عليه، ويعلم أن الله خلقه لحكمه، وهي وظيفة عظيمة قدسية، وهي العبادة له سبحانه بما شرع وعلى الوجه الذي شرع، والتأسي بنبيه محمد ﷺ الذي أرسله الله ليطاع ويُتبع، فيحمله ذلك يوميًا على زيادة الإيمان، والخضوع والذل للرحم، والمحبة لله ﷻ لما له من الفضل والإحسان، والحذر من غضبه وعقوبته، فإنه عزيز ذو انتقام، ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨]، هكذا.

فالذي يتفكر طول عمره في هذه الأمور؛ يهتدي، كل يوم يكون في زيادة هُدى وفي زيادة خير، في زيادة عمل صالح وتوبة من القبائح وإنابةً إلى الله ﷻ، وطمعًا في فضله، فإن ما عند الله من الفضل العظيم والجزاء الكريم؛ هو المتجر الرابح، وإلا فالناس ذاهبون من هذه الدنيا منقلبون، في كل يوم يودعون غاليًا ورائحًا، والطريق عليك، فإن ملك الموت إذا قبض روح أحد في بيت وبكى أهله، قال: **علام تبكون؟ والله ما جئتكم إلا بعد أن أُمرت، وما قبضت إلا مَن أُمرت بقبضه، وإن لي فيكم كرة بعد كرة، حتى لا أُبقي منكم أحدًا**، يعتبر الناس في هذا.

فأولوا الألباب؛ أولوا العقول، واللُب هو العقل، ما هو بالذكاء، فإن العقل ميزان، ونظر في العواقب، نظر حسن في عواقب الأمور حتى يختار الإنسان ما هو أفضل وأنفع له وأحسن له في عاجل أمره وآجله، ويترك ما يضره في عاجل أمره وآجله، فالعقل ميزان، ولذلك الله ﷻ سدد هذا الميزان بالشرع، فجعل شرعه تبصرة للعقول، وهداية للتي هي أقوم، حتى يحسُن الاختيار، فالذي ما يختار الأحسن والأفضل في العاجلة والآجلة؛ ما هو بعاقل، هذا سفيه، الذي يختار الأسوأ ولا يبالي بالعواقب؛ هذا سفيه، فالعقل ميزان، والذكاء فطنة، فرق بين الميزان وبين الفطنة، ولذلك المجانين أذكياء، والكفار أذكياء، لكن في أمور الدنيا، ما عندهم نظر في حال العواقب، عواقب الأقوال والأعمال

والعقائد، حتى يختاروا الأحسن من ذلك، ما عندهم نظر، ولا عندهم نظر في القبر وأحواله، ولا عندهم نظر في يوم القيامة وأهواله، ولا يؤمنون بالبعث والجزاء، فهم راتعون في الدنيا كالبهائم، ولا يبالون فيما بعد ذلك، وهم عما أنذروا معرضون وغافلون، لهذا السبب.

لكن أولوا الألباب؛ هم الذين يتفكرون ويتأملون وينظرون ويعتبرون، فيهتدون، كل يوم هم في زيادة هُدى، ولذا تأتيهم آجالهم –نسأل الله حسن الخاتمة- وهم على أحسن الأحوال، وهذا الذي سأل النبي ﷺ الله ﷻ، أنه يتوفاه على أحسن حال وعلى أحسن عمل وعلى أحسن خاتمة، هكذا، وأن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرًا، وأن أفضل الناس في الإسلام؛ مَن يُعمر لتسبيح الله وتقديسه والإنابة إليه، وأن الغافل هو الذي لا يدري لما خُلق، وفي غفلة عما خُلق له وعما أمامه، ولا يبالي بالعواقب، فهذه ثمرة التفكر والاعتبار والنظر والتأمل، ومَن لم يكن على هذا فهو سفيه، ولو كان أغنى الناس ولو كان أقوى الناس ولو كان كذا ولو كان كذا وكذا، لأنه ما ينفع، كل هذا تاركه.

فإن الميت يتبعه ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله؛ ويبقى عمله، الذي لا يفكر في عمل وجزاء عمله وما ينتظره في الآخرة؛ هذا غافل، وهذا معرض، وهذا محادٌ لله ورسوله، وهذا ما وعى النذارة التي أرسلها الله إليه، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧]، فلذلك يزداد قلبه قسوة، ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٖ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ١٦﴾ [المطففين:١٤-١٦].

مَن الذي يرضى أن يكون في طريقه إلى الجحيم ولا يبالي؟ فمن لم ينتفع بالشرع الذي جعله الله تبصرةً للعقل وضياءً وهُدىً ونورًا وموعظةً وشفاءً وذكرًا وتبصرة إلى غير ذلك من أوصاف، فهو غافل ومُعرض عما خُلق له، ومُقبل على شر، بل أشر الشر، لأنه خسران الدنيا والآخرة، والمتفكر الذي يتفكر ويتدبر في آيات الله القرآنية والشرعية، وأحاديث النبي ﷺ التي هي بيان للشرع، وينظر في هذا الخلق أنه ما خُلق عبثًا، فكون أن الخلق خُلق عبثًا ولغير غاية؛ هذا ظن الذين كفروا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص:٢٧].

والذي لا يدري أن الله ﷻ يقسم الخلق قسمين بحسب اعتقادهم وقولهم وعملهم وأحوالهم، فإن كانت وفق الشرع؛ فهم سعداء، وإن كانت خلاف الشر فهم أشقياء، وما نقص من ذلك؛ فآتاهم من السعادة وتعرضوا للشقاء بحسبه، إلا أن يعفوا الله عنهم، -عفا الله عنا وعنكم-، ولذلك قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر:٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ص:٢٨]، ما نجعلهم أبدًا.

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة:١٨-٢٠].

فالمؤمن يتفكر، يتفكر في هذا الخلق العظيم، مَن الذي خلقه؟ لا شك أنه أعظم شأنًا وأعز سلطانًا، ولذلك جعل هذا دليلًا على عظمة شأنه وعز سلطانة، وعلى حكمته في خلقه وأمره وقدره الديني الشرعي، وأمره القدري الكوني، وأنه لابد من يوم فيه الجزاء، ليجزي الذين آساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فيقوده ذلك إلى الإنابة والذل لله تعالى والتواضع له، وإعطاءه -سبحانه وتعالى- كامل حقه، على أحسن الأحوال ما يستطيع، ويعتذر بالاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ، ويعترف بعجزه عن شكر الله ﷻ على نعمته وهداه.

ويسأل الله ﷻ العفو والمسامحة، وأن يمُن بفضله، أن يعامله -سبحانه وتعالى- بعفوه وفضله لا بعدله وعقوبته، هكذا ينبغي، فهذا بابٌ عظيم، لذلك اقتصر النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على إيراد الآيات في هذا الشأن، وجاء في الحديث، روي عن النبي ﷺ قال: «**الكيِّس**» يعني العاقل اللبيب الفطن الموفق مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز مَن أتبع نفسه هواها؛ السفيه والأحمق والغبي، مَن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله، لأنه يطلب من الله شيئًا ما عمل به، ولا استعد له، هكذا.

والحديث وإن كان ضعيفًا؛ فإن معناه صحيح، لأنه دلت على معناه هذه الآيات التي سمعتم، ينبغي للإنسان أن يكون له فراغ مع نفسه، تارة في المسجد وتارة في البيت في آخر الليل، وتارة عند الحوادث، وتارة عند المناسبات الكونية، تراكم السحاب وكثرة المطر والبرق والرعد وما يجريه الله من الأوبئة، وما يجريه الله من الحروب، وما يجريه الله ﷻ لعباده من النعم والفضائل والأفضال،

وينظر في الموتى الأفراد والجماعات والحوادث الكونية وما يصيب الناس منها، وألطاف الله ﷻ، كم لطف الله بك عند مناسبة؟ كم صار عليك من حادث؟ كم أصابك من مرض؟ كم جرى عليك من قدر كوني ولطف الله بك وصار أخف مما تتوقع بكثير؟ وسلمك الله تسليمًا يعجب منه أولوا الألباب؟ أذكر هذا واشكر، أما أن تكون غافل ولا تبالي؟ وراتع في الدنيا وغافل عما أمامك؟ هذا ما يليق بالمؤمن، ما يليق بالعاقل، ما يليق بذو اللُب، فاللُب هو العقل هو الميزان، المهتدي والمهدي بالشرع، وما سوى ذلك فهو والعياذ بالله سفه وجنون وحمق وغباء وكفر وضلال.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

باب المبادرة إلى الخيرات وحثِّ من توجه لخير على الإقبال عليه بالجد من غير تردد

- قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة:١٤٨].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

- وعن أبي هريرة ﵁: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأعْمَال فتنًا كقطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤمِنًا ويُصْبِحُ كَافِرًا، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا» رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن عمر الإنسان من حين يُكلف ويبلغ التكليف وإلى أن يحضره أجله؛ هذا فرصة العمل الصالح، وتحصيل المتجر الرابح، بفعل الخير والتوقي عن الشر، وهذا العمر؛ يذهب جزءًا منه في النوم وآخر في السفه قبل البلوغ وفي نهايته العجز والشيخوخة، وباقيه في مشاغل الحياة الدنيا، الناس مولعون مفطورون على طلب المعيشة وعلى الاجتماع وغير ذلك، فلذلك ما ضاع من هذا العمر دون عمل صالح فهو خسارة على الإنسان، يُغبن يوم القيامة، لأنه كان بالإمكان أن يُحصِّل عملًا صالحًا لكنه لم يغتنم، وإن مضى في معصية فهو مصيبة، لأنه غل في عنقه لابد أن يتخلص منه، سواءً كان من حقوق الله تعالى أو من حقوق الآدميين، وما مضى في طاعة فهو الربح والخير.

والإنسان أجله مغيب ما يدري متى يحضره أجله، ومَن هَمَّ بالحسنة فينبغي أن يبادر إليها، فالمؤمن كيِّس فطن، يعني حازم وعاقل لبيب، لأنه إذا سوَّف فقد يفتُر عنها، يعرض له شاغل وصارف، وربما أنه يستهين بها ثم التي بعدها وهكذا، يُبتلى بالكسل والغفلة، وإن همَّ بسيئة لابد من التروي، يذكر رقابة الله عليه وقدرة الله تعالى عليه، وخطر ملابسة المعصية وأنها دَين عليه، فلذلك الله ﷻ نادى عباده عدة نداءات وأمرهم بأوامر:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡ﴾ [الأعراف:١٨٥].

وقال سبحانه في الذين يسارعون في الخيرات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٦١]، فضمِن الله ﷻ لمن سار أن يسبق، سواءً بنيته وعمله أو بنيته فقط، لأنه نوى، لكن عرض له ما عرضه من غير اختياره، فمهمة الإنسان أنه يشغل نفسه، وهمته في الخير، يكون حازم، فيتحرى الخير ويستدرك ما أمكن منه، ويتوقى الشر ويُبعد عن أبوابه ووسائله وسبله ويضرع إلى الله ﷻ أن يعصمه منه، كما قال يوسف عليه السلام، قد راودته امرأة العزيز: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف:٣٣-٣٤]، دعا في هذه الحال الحرجة؛ فنصره الله وعصمه.

ولذلك جاءت هذه الآيات واضحة وصريحة: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١].

﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران:١٣٣].

وفي آخر الآية قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران:١٣٦].

فدل على أن الإنسان إذا تعاطى أسباب السبق والمسارعة والمبادرة؛ أنه يُعان ويُيسر له الخير، وإذا تلهى عن الشر وتشاغل ودعا الله ﷻ وتضرع إليه يطلب العصمة؛ فإن الله يعصمه، وهكذا يكون الإنسان في جهاد مع نفسه من حين يستيقظ إلى أن ينام، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾، وعد من الله ﷻ، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩]، يكفيك أنه ينطبق عليك

وصف الإحسان، الله تعالى يحب المحسنين، ويجزي المحسنين، ولا يضيع أجر المحسنين، ويجزي المحسنين بالحسنى وزيادة، بالجنة والنظر إلى وجهه الكريم –نسأل الله الكريم ذلك كله–.

فلهذا الإنسان يكون حازم، سواءً في الصلاة، في الذكر عند مناسبته، في الاستجابة لدعوة الخير، في التغافل عن الشر والتشاغل عنه، في توقي الشبهات ما يستمع إليها ولا يوصي لأهلها ولا يحضر مجالس اللغو والزور، الزور؛ الميل عن الحق أيًا كان، صفة عباد الرحمن: لا يشهدون الزور، ينبغي للإنسان أن يكون حازم مع نفسه، ولا يجاري الناس على ما هم عليه، لأن أكثر الناس في غفله، أكثر الناس دينهم مجاراة فقط، ما عندهم همة ولا عندهم حسبة، تقليد ومجاراة، والدين يحتاج إلى حسبة وهمة.

ولذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يسألون النبي ﷺ عن العمل الذي يقربهم إلى الله ﷻ ويدخلهم الجنة ويباعدهم عن النار، عن العمل الذي يشغلون به أوقاتهم بما ينفعهم، يكون المسلم عنده همة في الخير، وعنده إحجام عن الشر، واغتنام للفرص قبل العوارض، ولذا جاء في الحديث: «**مَن استطاع الحج فليتعجل**» يعني الفرض فإنه قد يمرض المريض وتضل الدابة، هذا فيه حظ على المبادرة للخيرات وتوقي السيئات وخلطة الصالحين الذي يعينون الإنسان على النشاط وعلو الهمة والحذر من خلطة المبطلين الذي يفترون الإنسان ويجعلونه يسوِّف ويتعلل وربما أنه –والعياذ بالله– يقع في المعصية ويبرر الوقوع، وربما يسوِّف بالتوبة حتى يُصر عليها ويعتاد السيئة، هذا خطير، ولذلك قال النبي ﷺ: «**بادروا بالأعمال، فتنًا كقطع الليل المظلم**»، يعني فتن كبيرة وخطيرة، ومن علاماتها أن الناس يولعون بالدنيا من حلال أو من حرام، ويسهل عليهم تحصيل ما أرادوا.

حتى إن الإنسان يهون عليه دينُه ويبيعه بعرَضٍ من الدنيا، يوقع على العقد الربوي ولا يخاف، الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنعام:١٥-١٦].

كيف أن الرسول ﷺ يقول: ﴿أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ وأنت ما تخاف؟!، والمعصية هي المخالفة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ

ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، لا تختار غير ما اختار الله لك ورسوله، فإن اخترت خلاف ما اختار الله لك ورسوله؛ فقد عصيته، ولهذا قال تعالى في كمال الآية: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، الناس يفهموا أن المعصية هي الكبيرة الموبقة، المعصية؛ المخالفة أيًا كانت، ولذلك قال ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه**»، وضرب مثلًا لهذا بقومٍ نزلوا بطن واد فأرادوا أن يصنعوا لهم طعامًا طبيخًا، فجاء هذا بعود وهذا بعود وهم جماعة، فجمعوا من الأعواد ما أنضج طبيخهم، هكذا المعاصي تُحرق صاحبها، يجتمعن عليه ولو كانت المحقرات، قال في آخر الحديث: «**فإن لها من الله طالبا**» الذنوب، إذا طلبك الله؛ أدركك، وإذا أدركك؛ كبَّك في النار على وجهك، فلهذا يحذر الإنسان هذا.

وأخطر شيء؛ هو الولع بالدنيا حتى يستوي الحرام والحلال عند الإنسان، وربما غلَّب جانب الحرام ويقول سأتوب، سأفعل، سـ كذا، سأسدد هذا الحرام بعدين، ثم تتفاوت الأيام ويسوف ويجد مَن يغريه بالشبهات حتى لا يتوب، إما لهواه وإما لجهله.

والله أعلم، وصل الله وسلم على نبينا محمد.

- عن أبي سِروْعَة -بكسر السين المهملة وفتحها- عُقبةَ بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيتُ وَرَاءَ النَّبيّ ﷺ بالمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إلَى بعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيهِمْ، فَرأى أنَّهُمْ قَدْ عَجبُوا مِنْ سُرعَتهِ، قَالَ: «**ذَكَرتُ شَيئًا مِنْ تِبرٍ عِندَنَا فَكَرِهتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرتُ بِقِسْمَتِهِ**» رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ: «**كُنتُ خَلَّفتُ في البَيْتِ تِبرًا مِنَ الصَّدَقةِ فَكَرِهتُ أَنْ أُبَيِّتَهُ**». «التِّبْرُ»: قِطَعُ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ.

- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رجلٌ للنبي ﷺ يومَ أُحُد: أَرَأيتَ إنْ قُتِلتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «**فِي الجَنَّةِ**» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذان الحديثان؛ في فضيلة المبادرة إلى الخيرات، وأنها من شأنها الإيمان والتقوى، الذين يرجون من الله ﷻ أن يبلغهم مغفرته وجناته.

الحديث الأول: أن النبي ﷺ صلى بأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صلاة العصر، فلما سلَّم قام عن قُربٍ من التسليم على غير العادة ما كمَّل الأذكار، وتخطى الصفوف متجهًا إلى إحدى غرف نسائه أمهات المؤمنين، فعجِب الناس لذلك، ما هي عادة أن النبي ﷺ يترك جملة الأذكار بعد الصلاة ويخرج من المسجد على طول، أمرٌ طارئ يعتبر عنده.

فما لبث النبي ﷺ أن رجع، فلما رأى عجبَهم قال معتذرًا مبينًا المسوغ الذي حمله على ذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إني ذكرت تبرًا عندنا**» في البيت من الصدقة، «**فكرهت أن أبيته**»، في رواية: «**أن يحبسني، فأمرت بقسمته**»، فأفاد هذا الحديث مبادرة النبي ﷺ لهذا الأمر، لأن الصدقة الزكاة المراد بها، أمانة عند النبي ﷺ وفي بيته، والصدقة لا تحل لآل محمد، لا للنبي ﷺ ولا لآله، -عليهم الصلاة والسلام جميعًا-، فهي ذمة وأمانة، فأرد النبي ﷺ أن يؤديها، أن تصل إلى مستحقيها، ففي هذا المبادرة بالخير لمستحقه، وفيه وقاية لأهل البيت أنهم قد لا يعلمون أن هذه صدقة.

وأن الصدقة يعرفون أنها لا تحل لآل محمد، لكن أنهم لا يعلمون أنها صدقة، فقد يأكلون منها، وقد كان عن النبي ﷺ في البيت صدقة وهو حاضر عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكان عنده أحد سبطيه، الحسن أو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، طفلًا يحبو، فحبى الطفل وأخذ من الصدقة، من التمر، تمرة، ولاكها بفِيه، جعلها في فَمِه وحركها، فجاء النبي ﷺ فقال له: «كَخ، كَخ»، أو «كُخ، كُخ»، إلفظها يعني، «أما علمت أن الصدقة لا تحل لنا آل محمد؟»، مع أن هذا طفل ما يعقل، وأدخل النبي ﷺ إصبعه في فِي الصبي وأخرج منه التمرة ومعها شيء من دم، من حرص النبي ﷺ ألا يمضي شيء إلى جوف الصبي مع الريق، لأنها حرام، وهذا فيه الوقاية من الحرام والحذر من الحرام، لأن الحرام يقسي القلب عن طاعة الله، ولأنه يهون على الإنسان أن يأخذ المشتبه ثم الحرام الصريح، إلى غير ذلك.

والتِبر هذا؛ هو الذهب أو الفضة الخام الذي ما طُبع، لا أنه مال ولا إنه حُلي ونحو ذلك، ففيه المبادرة منه ﷺ بنفسه، وفي التعليل قال: «كرهت أن أبيته» ما له يبيت عندنا بالليل، ما هو لنا، يصير حُبس عن مستحقه، وهم الفقراء، ونحوه ممن يستحقون هذه الصدقة.

وفي الرواية الأخرى قال: «أن يحبسني»، ومعنى ذلك أنه يشغلني، يشغل بالي، عن ذكر الله تعالى وطاعته، لأنه هَمْ، فأراد النبي ﷺ أن يخلص منه ويوصله إلى مستحقه.

فدل هذا الحديث؛ على أمور:

الأول: المبادرة إلى الخير، ولا سيما ما فيه إبراء ذمة من حقٍ تعلق بها، لأن هذه أمانة وذمة، وهو مسئول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن هذا.

الثاني: وفي هذا أن الإنسان أحيانًا إذا طرأ له طارئ يشغله عن الذكر بعد المكتوبة؛ فإنه لا بأس يخرج ويكمل الأذكار وهو خارج، مع أن النبي ﷺ رجع إلى مكانه في المسجد.

الثالث: وفي هذا أنه يتعين على الأئمة الراتبين الذين يصلون بالناس أن يستوطنوا المسجد بعض الوقت بعد الصلاة، بأن هذا يُهدئ نفوس الناس، ويجعلهم يستوطنون المسجد ويأنسون به، وهذا في فضيلة انتظار الصلاة، والأذكار التي بعد الصلاة صلاة، وإذا كان بعدها سنة راتبة؛ هذا من باب أولى، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: أنه: «ما من عبد يستوطن المسجد»، يعني يكثُر لبثه في المسجد عبادة لله –جل وعلا– واشتغالًا بذكره ودعاءه «إلا تبشبش الله له يوم القيامة» إذا لقيه يعني.

«**كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم**»، إذا طالت مدته فقدِم عليهم، وهذا فيه حفاوة، وفيه تكريم، لمن يلبث في المسجد ويحرص على اللبث في المسجد، سواءً قبل الصلاة بوقت أو بعدها بوقت، أو بين ذلك ما بين المغرب والعشاء، وما بين الفجر وطلوع الشمس، فالإنسان يحرص على هذا، ومثل يوم الجمعة ينتظر ساعة الإجابة وأحراها أنها بعد العصر وقُبيل غروب الشمس، وهي يسيرة، قال النبي ﷺ: «يقللها»، هكذا، دقائق، ويحتاط ولا يدري في أي جزء من العصر، لكنه ينتظر صلاة المغرب، فيجمع له الخير من جهتين: من جهة انتظار الصلاة، وتحري ساعة الجمعة، هذا من الفوائد، من فوائد الحديث.

ومن الفوائد كذلك: أن الذي خرج للمسجد وهو على نية العود إليه عن قُرب مثل احتاج أنه يتخلى ويتوضأ، فإنه ما تلزمه تحية المسجد، وهي سنة مؤكدة ما هي واجبة، ولذلك ما ذُكر عن النبي ﷺ أنه صلى تحية المسجد حين رجع، رجع إلى مكانه، ولا ذُكر أنه صلى، وفيه أن الإنسان يزيل الشواغل عن نفسه، أنه ما يشغله عن ذكر الله عن الورد في الصباح والمساء وعند النوم وِرد النوم، ووِرد اليقظة، أنه يحرص على أنه ما يجيه شيء ليشغله ويقطع عليه، لأنه إذا تواصل الوِرد هو أنفع للإنسان، فينبغي للإنسان أنه يحرص على هذا، وأنه يتفرغ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾ [الشرح:٧-٨]، يعني في الدعاء، انقطع للدعاء، وأقبِل على الله ﷻ وألِح عليه، وردد الدعاء ثلاثًا، كل هذا مطلوب من أسباب الإجابة، يعتني المرء بهذه الحالة، يزيل الشواغل.

وفيه من الفوائد أيضًا: أنه الشيء اللي يخطر ببال الإنسان وهو يصلي إذا لم يستطرد وراءه، أنه يتوسع فيه، فهو لا يضره، لأن هذا خطر ببال النبي ﷺ وهو في صلاته، ولذلك انشغل وقام بعد الصلاة على طول، دل على أن الخاطرة لا تؤثر إلا أن الإنسان يستمر معها، فهذه تشغله عن الصلاة وتُذهب الخشوع، تقطعه عن الصلاة، والمؤمن إذا كان في صلاته؛ فإن الله تعالى ينصب وجهه إلى وجه عبده في الصلاة على ما يليق بجلاله وعظمته -سبحانه وتعالى-، ما لم يلتفت، ما لم ينصرف، ينشغل عن الصلاة، ينشغل في الصلاة، هذا ينبغي التنبه له.

وقد تخطر الخواطر كما جاء في الحديث الصحيح أن: «الشيطان إذا سمع النداء للصلاة» الأذان، للوقت، «ولَّى وله حُصاص» وفي رواية: «ضُراط»، «حتى لا يسمع التأذين» فإذا قُضي الأذان أقبَل، ليشوش على المصلين، «فإذا ثوب بالصلاة»، يعني أعيد الأذان، وهو الإقامة، لقوله ﷺ: «بين كل أذانين صلاة»، الأذان الأول هو الأذان بالوقت، والثاني هو الإعلام للقيام للصلاة، بحضور الإمام وأوان الشروع في الصلاة، «أقبَل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل»، فينبغي أن الإنسان يجاهد الشيطان في هذا ويتعوذ بالله منه، ولهذا شُرعت الاستعاذة أول الصلاة، أول ما تفرغ من دعاء الاستفتاح تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، لتلاوة القرآن، وحتى لا يحول الشيطان بينك وبين صلاتك، حتى يلبِّس عليك القرآن وأنت تقرأ، فينتبه المرء لهذا.

فهذا حديث عظيم وفيه فوائد كثيرة، وفيه صحة التوكيد على أداء الصدقة، سواءً زكاة المال أو صدقة الفطر، أو الصدقة العامة، فإذا أعطيتها ثقة أو فوضتها ثقة يوصلها إلى مستحقيها تبرأ ذمتك منها أنت، حتى لو أخل بهذا أو عرَض له ما يشغله خصوصًا صدقة الفطر من رمضان، فقد أنه يروح الإنسان ليعطيها صاحبها ولا يجد صاحبها أو شيء، وفيه أنه إذا كان أحد مستحق لصدقة فطر رمضان يحتاجها؛ فله أن يوكل مَن يقبضها، فيقول لجاره يقول لمن يعرفه أنه موكل على الصدقة، موظف في جمعية، موظف في الجهات التي توليها الدولة للصدقة، يقول إذا جاءكم صدقة تراني مستحق، أنا أقبضها نيابة عني، ما في شيء توكيل، مثل ما أن مَن عنده صدقة يوكل مَن يوصلها إلى مستحقها، فمستحق الصدقة يوكل مَن يقبضها نيابةً عنه، إذا عرض له عارض.

وفي الحديث الثاني: أن رجلًا من الصحابة رضي الله عنهم في غزوة أُحد جاء إلى النبي مستعدًا للحرب مع النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ، يقول: أرأيت إن قُتلت، في هذه الحرب يعني، أين أنا؟ قال: «أنت في الجنة»، وفي رواية قال: «إن قُتلت وأنت صابرٌ محتسب مُقبل غير مُدبر؛ فأنت في الجنة»، يعني جئت للحرب ابتغاء الشهادة في سبيل الله صابر محتسب مقبل غير مدبر، ما جئت لغرض دنيوي، فأنت في الجنة، فكان الرجل معه تمرات في يده ليأكلها، عادةً، فقال إنها حياة، إن اشتغلت بالتمر أكله، وأتأخر عن الجنة، ما يصلح هذا، فألقاها ومضى، فقاتل فصار من أول من القتلى، فصار على الوعد من رسول الله ﷺ أنه في الجنة.

فبادر الرجل، يعني هذا الرجل بادر حتى عن أكل التمر مع أنه بحاجة إليه، لكنه ضُمنت له الجنة، وهي ضُمنت بشرط، صابر محتسب مقبل غير مدبر، ولذلك وفى هو، أنه ما يتأخر، يتقدم، هكذا.

فدل الحديثان على فضيلة المبادرة إلى الطاعة أيًا كانت، وإلى فضيلة المبادرة إلى ترك المعصية، أيًا كانت، لأن كلاهما طاعة، ففعل الطاعة طاعة لله –جل وعلا–، وترك المعصية طاعة لله –جل وعلا–، لأنه يتركها من أجل الله، والله تعالى يقول "**اكتبوها حسنة**"، قد هَمَّ بها هو، ويقول الله ﷻ: "**اكتبوها حسنة**"، لما تركها، "**فإنما تركها من جراءي**"، يعني من أجلي، من أجل الله تعالى، مثل الرجل الذي تمكن من المرأة وقالت له واعظةً له: اتق الله ولا تفُض الخاتم إلا بحقه، فتركها وما أعطاها من المال متقيًا لله –جل وعلا–، فلما دعا بذلك يوم من الأيام وقد انطبقت عليهم صخرة سدت فم الغار؛ رفعها الله ﷻ بقدرته وخرجوا يمشون، فدل ذلك على فضل الخبيئة بين الإنسان وبين ربه من فعل طاعة أو ترك معصية، ابتغاء مرضات الله –جل وعلا–، وفضيلة المبادرة إلى الخيرات، وأن الإنسان ما يتأخر.

والله أعلم، وصل الله وسلم وبارك على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

- عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ الله، أيُّ الصَّدَقَةِ أعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «أنْ تَصدَّقَ وَأَنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ، تَخشَى الفَقرَ وتَأمُلُ الغِنَى، وَلاَ تُمهلْ حَتَّى إِذَا بَلَغتِ الحُلقُومَ قُلْتَ لِفُلان كذا ولِفُلانٍ كَذا، وقَدْ كَانَ لِفُلانٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

«الحُلقُومُ»: مَجرَى النَّفَسِ. وَ «المَرِيءُ»: مجرى الطعامِ والشرابِ.

- وعن أنس ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يومَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «مَنْ يَأخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسطُوا أَيدِيَهُمْ كُلُّ إنسَانٍ مِنْهُمْ يقُولُ: أنَا أنَا. قَالَ: «فَمَنْ يَأخُذُهُ بحَقِّه؟» فَأَحْجَمَ القَومُ فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ ﷺ: أنا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، فأخذه فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المُشْرِكِينَ. رواه مسلم.

اسم أبي دجانةَ: سماك بن خَرَشة. قوله: «أحجَمَ القَومُ»: أي توقفوا. وَ «فَلَقَ بِهِ»: أي شق. «هَامَ المُشرِكينَ»: أي رُؤُوسَهم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه من الأحاديث الدالة على أنه ينبغي للمسلم أن يبادر إلى الخيرات، وأن يستبق للمغفرة والجنات، وأن يحذر من الصوارف والعوائق العارضات.

ففي الحديث الأول: أن رجلًا من الصحابة ﷺ سأل النبي ﷺ: **أي الصدقة أفضل؟** يعني أي أوقات الصدقة وأحوال المتصدقين أفضل، فقال له النبي ﷺ: «**أن تصدق وأنت صحيح**»، يعني في كمال صحتك وقوتك وسعك أمَلك، «**شحيح**»، يعني غني وللمال عندك قدره، تتأمل زيادته وسعته، وتتصرف فيه بكامل التصرف، فأنت إذا بذلت المال في وجوهه المشروعة نفقةً على نفسك وأهلك وصلةً لرحمك وإحسانًا لمستحقه، وأوجب شيء إبراء الذمة من حقوق الخلق، فهذا هو أفضل أحوالك وأكثر أجر لك، حتى روي في الحديث عن النبي ﷺ: أن الإنسان يتصدق في حال صحته وشحته وغناه بدرهم أفضل من مائة درهم عند موته، لماذا؟ لأن المال يرخص عند الموت، لأن الإنسان يأس منه، لأنه اشتغل بحاله وعاين مقدمات الموت، وعرف أن المال سينتقل إلى ورثته، وربما يكون من ورثته مَن هو بغيضًا عنده، فلذلك يبذل المال لرخصه عليه لا لحبه للصدقة.

ولكن لرخصه عليه، وربما أنه يكيد لغيره ليحرمه من الميراث، مثل اللي يكون معددًا للزوجات وفي نفسه على واحدة شيء، قد يطلقها حتى لا ترث، ومثله الذي يكون أحد ولده تعامله معه سيئًا فيفكر في حرمانه من التركه، وجاء في الحديث: «**إن الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة**»، يعني على خير، «**فيجور في وصيته، فيدخل النار**»، لأن الأعمال بالخواتيم.

فلذلك أرشد النبي ﷺ هذا السائل إلى أن كونه يتصدق في حال صحته وتمكنه من المال وتصرفه فيه مطلقًا ما أحد ينازعه في شيء، دليل على أنه عنده حِسبه، وأنه يريد الخير، وأنه واثق بأن ما أنفق سيُخلفه الله عليه بمثله أو أبرك منه، وأنه كامل التصرف ما هو مضطر، وليس له أهداف سيئة، «أن تصدق وأن صحيحٌ شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر»، ولا تُمهل، لا تسوِّف وتؤجل، ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ [الواقعة:٨٣]، أوشكت الروح على الخروج من البدن؛ وهذا يشعر به المحتضر اللي في حال النزع، لأن الروح –نسأل الله حسن الخاتمة للجميع- أول ما تُنزع من أصابع القدمين، ثم تُنزع شيئًا فشيئًا، وهي لا تريد أن تخرج أصلًا، إلا نفس المؤمن الذي أيقن بمستقبله فأحب لقاء الله، يعني أُري مقعده من النار وأن الله قد أبدله بمقعدًا من الجنة.

فلا يكون غائبٌ أحب إليه من الموت، فروحه تنقاض، سهله، حتى شبهها النبي ﷺ أنها تخرج من فمه تسيل كما تسيل القطرة من فِي السقاء، أو أي شيء مجوف يُجعل فيه الماء أو اللبن أو العسل أو السمن أو غيره، تسيل، سهله، وأما الفاجر؛ فإنه يُرى مقعده من الجنة قد فاته ويؤكد عليه مقعده من النار، فلا يكون غائبٌ أكره إليه من الموت، فلا يُحب لقاء الله والله لا يحب لقاءه، ولابد له من الموت، فتتفرق الروح في جسده، تتوزع وتهرب من كل جهه، فتُنزع من الجسد كما يُنزع غُصن الشوك من الصفود، من الصوف المبلول، يعني تخرج الروح من الجسد ومعها قطع من اللحم والدم، لأنها نُزعت بغلظة وشدة، «**يا أيتها الروح الخبيثة أخرجي إلى سخط وغضب من الله**»، بينما روح المؤمن قيل لها: «**يا أيها الروح الطيبة؛ أخرجي إلى روحٍ وريحان وإلى ربٍ غير غضبان**»، -نسأل الله حسن الخاتمة، ونعوذ بالله من سوء الخاتمة-.

ولذلك قال ﷺ: «**ولا تُهمل حتى إذا بلغت الحلقوم**»، وفقدت الاختيار، «**قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان**»، ولا تبالي في الكثرة أو القلة، لرخص المال عندك، لأنك آيست منه، وربما أنه الإنسان -نسأل الله العافية- فيه سوء خُلق، فيه قسوة قلب؛ أنه يخطط لحرمان بعض الورثة من نصيبه من التركة بأنواع من الحيل، ودل هذا الحديث على أن الإنسان إذا تكلم عند موته بكلام موزون ما هو متناقض وأنه يعني ما يقول ويقصد ما يقول؛ أنه يُعتبر كلامه وينبغي تدوينه، لأنه إما أن يقول منبهًا أن في ذمته لأحدًا من الناس شيء من حيث الاسم والمقدار، وإما أن يقول أن له عند الناس شيء فيساعد ورثته على تحصيله، فقوله معتبر في هذه الحالة، سواءً له أو عليه، وسواءً أراد الخير أو ضده، يؤاخذ به يعني، لكن ينبغي لوليه أن يعتني به إذا رآه يتكلم، فقد يُخبر عن سر كتمه طول حياته، وخاف في هذه اللحظات الحرجة، فقد يُفصح عن سر يساعد على إبراء ذمته، ويساعد على تخليص حقوق الخلق، ويساعد على إيصال الحق لمستحقه، يكون هذا من الرحمة به والعناية به، مع أنه ينبغي يكون هذا كله مفروغًا منه، كُتب في الوصية، وشاور عليها الموصي مَن يثق به من أهل العلم والدين حتى يصحح وصيته ولا يكون فيها جور ولا يكون فيها لبس وتكون بصياغة شرعية معتبرة، خصوصًا ما يتعلق بالثلث ومصارفه.

ولذلك قال: «**ولا تُمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت فلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان**»، وكثير من الناس؛ يتساهل في الوصية ويفاجأ بالأجل، حتى أنه يقول بصوتٍ عالي أنه ما كتب وصية، يأسف يعني، هذا غلط، هذا تفريط، وهذا يتبعه مشكلات وتعلق حقوق ونفس المؤمن معلقة بدَينه، حتى كان النبي ﷺ لا يصلي على صاحب الدَين، إلا إذا ترك وراءه وفاءً أو التزم أحد من الحضور بتسديده تبرعًا، وإلا يقول: «**صلوا على صاحبكم**»، لأن شفاعة النبي ﷺ مع علو مقامه؛ لا تخلِّص العبد من حقوق الخلق، قد تخلصه من حقوق الخالق -سبحانه وتعالى-، لكن حقوق الخلق؛ لا، مبنية على المشاحة، وهي ديوانٌ لا يترك الله منه شيء ولا يغفره حتى يغفر أهله، فينبغي التنبه لهذا، ما دمت في سعة من أمرك ورخاء وعند عقل واستذكار، وتذكر، لا تفرط، لا تسوف، حتى تفاجأ بالأجل، هذا أمر ينبغي التفطن له والعناية به.

ولهذا العلماء –رحمهم الله– قالوا: إن إبراءك أنت لذمت مَدِينٍ مُعسِرٍ؛ إنه لا ينبغي هذا، ليش؟ لأنك يائس من المال، والله تعالى قال: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران:٩٢]، لأنك يائس منه ورخص عليك، هذا وأنت في صحتك، فكيف وأنت عند الموت وعند سكرات الموت، يعرض لك الشيطان ويجعلك تُسهي في الوصية وتحرِم بعض الورثة من حقه، وتجور في وصيتك وتدخل النار، وربما يكون في نفسك على أحد أولادك شيء، ترا أنه مقصر في حقك وكذا أو أنه عبث بشيء من مالك أو غير ذلك، فتقول أنك تتقاضى منه وتحرمه من بعض نصيبه من الميراث، تشفي يعني، وهذا غلط وكبير، فينبغي التنبه لهذا.

والحديث الثاني: أن النبي ﷺ في غزوة أُحد، غزوة أُحد هي الغزوة الشهيرة بعد بدر، والمشركون بزعامة قريش قرروا أن يثأروا من النبي ﷺ وأصحابه في قتلاهم ببدر، يعني قُتل منهم سبعين من المشركين، غير ما أُخذ من الغنيمة، فتآمروا وتواطئوا على أن يأتوا إلى النبي ﷺ مجتمعين وفي غاية من الحنق، فلما جاء الخبر للنبي ﷺ؛ استشار أصحابه، نخرج نقابلهم خارج المدينة أو لا؟، نجعلهم يدخلون داخل المدينة، وهذا لأن من بنود اتفاقيات النبي ﷺ مع الأنصار؛ أنهم يمنعونه ما يمنعون منه نساءهم وأولادهم من عدوٍ يدخل المدينة، وهذا خارج المدينة، حتى يكونون في عافية من هذا الشرط، ما يلزمهم، ويصير على المهاجرين الذين بينهم وبين أهل الشرك ثارات.

فكان للذين عرفوا فضل بدر وأن الله تعالى قال لهم: "**اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم**"، أرادوا أن يكون لهم نصيب من الفضل، وأن يبلوا بلاءً حسنًا من أُحد لعلهم يفوزون بشيء من ذلك، ما يُدَّخر عند الله –جل وعلا–، فصار أكثرهم خصوصًا الذين ما حضروا بدر وهم أقوياء وعلى قدرة (١٦:١٥) ومن الشباب، قالوا لا نخرج نقابلهم، مثل ما صار في بدر خارج المدينة، وكان رأي النبي ﷺ والعقلاء من أهل المدينة أهل التجربة والمعرفة بالحرب حتى من المشركين من المنافقين؛ قالوا لا، نبقى في البلد، فإذا دخلوا في الأزقة رمتهم النساء والصبيان بالحجارة من السطوح، وأشعلت النساء بعض قطع القماش والأثاث نارًا وألقته عليهم، فصار الجيش ثلاثة أصناف: المقاتلون والنساء من سطوح المنازل والأطفال، يكون أكثر، ويُحجر المشركون في الأزقة من المدخل هذا والمدخل هذا، هذا رأيًا سديد، هذه حرب والحرب خدعة، فكان هذا هو الرأي.

لكن الذين فاتهم شرف بدر؛ حرصوا على الخروج حتى لعله يكون لهم شرف مستقبلًا، أن يُبلوا في الإسلام بلاءً حسنًا، فلما رأى النبي ﷺ الأكثرية على هذا دخل منزله ولبس لامته –المغفر- اللي يوضع على الرأس يقيه من السهام والضربات، وظهر بين درعين، لبس ثوبيه الحديد، من باب تعاطي الأسباب والوقاية من القتل والأذى، فلما خرج وإذا هم قد تراجعوا، يا رسول الله لعلنا نبقى كذا وكذا، قال: «**لا، ما كان لنبيٍ إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يفصل الله بينه وبين عدوه**»، راح الوقت اللي تريدون، فلما وصلوا إلى أُحد رجع ابن أُبي –عامله الله بما يستحق- بثلث الجيش، والجيش يُقدر بتسعمائة، قال: محمد يطيع الصبيان والسفهاء، وهو قصده النكاية بالإسلام وأهله، لأنه رأس المنافقين، وسيتبعه من ضعفاء المسلمين من قبيلته مَن يتبعه، فلذلك رجع مع ثلاث مائة، مَن فيه نفاق ومَن فيه ضعف.

فلما وصل النبي ﷺ إلى أُحد؛ رتب الصحابة رضي الله عنهم في المواقف، وجعل على الجبل الرماة خمسين رجلًا كلهم يحسنون الرمي، جعل عليهم عبدالله بن جُبير رضي الله عنه، قال: «**لا تتركون الجبل وإن تخطفتنا الطير**»، لا تستعجلون، فبدأت الحرب وما لبثوا إلا يسيرًا حتى انهزم المشركون وتركوا المكان، واشتغل بعض الصحابة الذين في الأرض بجمع الغنائم.

فلما رأى الذين على الجبل هذه الحال؛ ظنوا أن الحرب قد انتهت، فأرادوا أن ينزلوا من الجبل حتى يأخذوا نصيبهم من الغنائم، شُحًا بها، فقال لهم أميرهم رضي الله عنه: لا تنزلوا، النبي ﷺ قال: «**لا تنزلوا وإن تخطفتنا الطير**»، فلم يطيعوه، فنزلوا، تركوا الجبل، فرجع بعض أساطيل المشركين من جهة من وراء الجبل واحتلوا الجبل ودارت الحرب مرة ثانية، وقُتل من الصحابة سبعين بعدد قتلى بدر، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

صارت البلية هذه، حتى النبي ﷺ لم يسلَم، فإنه هُشمت اللامة على رأسه، يعني عُجلت بقوة على الرأس، وخطير هذا، وشُج وجهه على الخد، جُرح، وكُسرت رباعيته، السِنة الرباعية، وأُلقي في الحُفرة وقيل أنه مات، وأصابت المسلمين جراحات شديدة وقُتل منهم سبعون، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥].

بسبب معصيتكم للنبي ﷺ ومخالفتكم أمره، وإيثاركم الدنيا واستعجالكم في أمر لكم فيه قيادة، ما رجعتوا للقيادة، فصارت بلية عظيمة أراد الله منها حِكَمًا، منها أن يمحص إيمان المؤمنين، يخلصه من الشوائب، ومنها أن يتخذ من خيار الصحابة شهداء، يُعجلهم للجنة ﵃، ومنها أن يُري الله تعالى عباده أن النبي ﷺ عبد مأمور لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأن الأسباب لو اكتملت قد ما تنفع إذا لم ينفع الله بها، فالمرد إلى الله، إن نفع الله بها نفعت وإن لم ينفع لم تنفع، ومنها بيان شؤم المعصية للنبي ﷺ يعني معصية لله تعالى ولرسوله ﷺ، وأن هذا الشؤم يصيب الشخص بنفسه العاصي ويتعداه إلى غيره.

ايش ذنب الذين قتلوا، عدد سبعين من خيار الصحابة، منهم حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، أشجع الناس، فقُتل من أبطال المسلمين مَن قُتل في هذا، لكن الله تعالى له حِكمه، ولهذا دروس هذه المعركة؛ أبلغ من دروس بدر، لأنهم وعِظوا بأنفسهم.

وأنت يا عبد الله؛ عبد لله ﷻ، إن خالفت أمر الله؛ فلا تأمن عقوبة الله في بدنك أنت بنفسك في الجزء العضو الذي عصيت الله به، حتى الثوب قد يشتعل عليك نارًا، حتى ما أخذت من أمتعت الناس تشتعل عليك نارًا، وحتى السيارة أو المعدة أو غيره، تُعذَّب بها وقد تهلك بها، وتنقلب بك وتهلكك، أو تهلكها وأن تهلكك، بشؤم المعصية، فمَن عصى الله تعالى بشيء؛ عوقب به، لما رأى النبي ﷺ بعض الصحابة ﵃ مستعجلين خائفين تفوتهم صلاة العصر في غزوة من الغزوات، وإذا هم يرشون الماء على أرجلهم رشًا، وإذا أعقابهم من وراء ما جاءها ماء، تلوح، فقال: «**أسبغوا الوضوء، ويلٌ للأعقاب من النار**»، اللي يقصر عنه ماء الوضوء؛ يُعذب بالنار، ينتبه الإنسان لهذا، وقد تتعداك عقوبة المعصية ما تصيبك وتتعداك لزوجتك، ببلية بمرض بسرطان بكذا بكذا، قد تتعداك لأولادك، قد يخرج من أولادك مَن هو شقي، يُشقيك في حياتك ويشغلك عن دينك، فتنةً لك، ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن:١٤].

قال بعض السلف: إني أعرف معصيتي لربي بخُلُق زوجتي ودابتي، إذا تنكرت علي وغلظت علي وعارضتني وكدرتني؛ أدري أني عصيت الله ﷻ، وذلك لقلة ذنوبهم ﵃، أما نحن ذنوبنا تُعمي القلوب والأبصار، -نستغفر الله ونتوب إليه-، فهذه خطيرة جدًا، هذا الدرس في أُحد خطير.

ومن ذلك؛ أن النبي ﷺ قال للصحابة، عطاه سيف، أخذ سيف بيده، قال: «**مَن يأخذ هذا؟**» يقاتل به، كل الصحابة تقدموا، سيف من يد الرسول ﷺ، يرجون البركة فيه، فإنه ما يصيب أحد إلا قضى عليه من أهل الشرك، وأن النبي ﷺ يدعوا له وكذا وكذا، فأقبلوا كلهم يبغونه، قال: «**مَن يأخذه بحقه؟**»، بشرطه، أنه لا تأخذه في الله لومة لائم وأنه ما يتردد، يُقبِل ولا يُدبِر، ويصبر ويحتسب، ويُحسن، فإذا قتل؛ ما يقطع أنف وما يفقأ عين ولا شيء، ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ ﴾ [محمد:٤].

ولو ضرب من على الرجلين ولو ضرب عرض البدن ما يخالف، لكن تشويه؛ هذا يسمى مُثلَه، ما يجوز لا بحي ولا بميت ولا بمسلم ولا بكافر، أنه كونه تُفقأ العين أو يُقطع الأنف أو الأذُن أو الذَكَر والخِصى أو غير ذلك، أو يُبقر البطن يؤخذ منه شيء، (٢٦:٢٩) كل هذا عبث.

لهذا أبو سفيان ﵁ وكان على الشرك، قال للنبي ﷺ وأصحابه بعد ما انتهت المعركة، قال: ستجدون في القوم مُثلَه، في أحد عبث ببعض الجثث، وأني لم آمر بها ولم تسؤني، فلما قال النبي ﷺ: «**يأخذه بشرطه؟**»، أحجموا كلهم، فتقدم أبو دجانة ﵁ قال: أنا آخذه، كان من أبطال الصحابة ﵃ كلهم بطل، فأخذه وفلق به هام المشركين، ضرب، وأثخن فيهم وأبلى بلاءً حسنًا، ومتَّعه الله حتى حضر حرب الرِدة وهو الذي تعاون مع وحشي على قتل مسيلمة الكذاب، رجلان اللذان قتلا مسيلمة الكذاب مدعي النبوة، فليش الصحابة أقبلوا أول شيء؟ لأنه كان بدون شرط، (٢٧:٣٦) بتوفيق الله لك، قبل، ولما قال بشرطه؛ معناه إنك تكون في اجتهاد غير عادي، وتوقي للمخالفة، وأن لا تُسيء، لأن الإساءة تُسيء تكون إساءة إلى النبي ﷺ لأنه سيف رسول الله ﷺ، فلذلك تراجعوا، خافوا من التبعات.

هذه أحاديث لها علاقة بالسيرة، والسيرة كلها دروس وعبر وهُدى للتي هي أقوم والتي هي أحسن، وكلها تأديب من الله ﷻ لأصحابه وتقويم، وكلها نماذج من نصر الله تعالى لأوليائه وخذلانه لأعدائه، وكلها هي التي قام عليها الإسلام، فالإسلام قام على هذه الحرب، غزوة بدر وغزوة أُحد وغزوة الأحزاب ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحزاب:١٠]

و﴿ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب:١١]، وغزوة تبوك في الصيف الشديد الحار مع بُعد المسافة ومواجهة الروم، وقلة ذات اليد حتى ما وجد الصحابة رضي الله عنهم مراكب يركبونها من الإبل، قال النبي ﷺ: «**لا أحملكم**»، ما أستطيع، ما عندي شيء، لبعض الصحابة.

وهذا (٢٩:٠٥) أن يُهدم الإسلام به، بأمورًا تخالف الشرع، ومن ذلك الإخلاد للحياة الدنيا والاشتغال بالترف، والتعلق بأمور الدنيا وتطوير الدنيا، والتساهل في أمر الدين والتوسع في مسائل الخلاف، وإعطاء الناس مندوحة، أن الإنسان يأخذ بالقول الضعيف أو الشاذ ويحقق هوى نفسه وشهوته بالتأويل الباطل وزخرف القول، ويأخذ بقول النكرات ما هم معروفين لا هم أهل علم ولا أهل دين، هذه جناية على الإسلام، وهذا كفران لنعمة الله، أنه أعز الإسلام، الصحابة رضي الله عنهم سفكوا دماءهم هم، حملوا أنفسهم بأيديهم في الحرب، وأبلوا بلاءً حسنًا.

حتى يقول أحدهم: تمرات تشغلني عن الجنة؟ ويلقيها ويدخل، والثاني يقول له النبي ﷺ: «**أنت ممن عذر الله**»، «**أنت شيخ كبير وأعرج**» يقول: أنا أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، وكل واحد من الناس يتصدر أنه يهدم شيء من الإسلام، هذا من جانب وهذا من جانب، هذا من جانب الخلق، هذا من جانب العقيدة، وهذا من جانب الأخلاق، وهذا من جانب المال، وهذا من جانب المجتمع، وهذا من جانب كذا، ومن جانب كذا، حتى صار الناس يتبارزون، كل يوم يُخترع شيء يُضعف الإسلام في نفوس أهله، ويجعلهم يُعجبون بما عليه الكفار ويجعل الناشئة تتساهل ابتداءً بأمر الدين، وأنها لها الخيار تختار، تبي تستقيم عليه ولا ما تستقيم هذا يرجع إليهم، ما هو بصحيح هذا الكلام، والله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الصف:٢].

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

يقول: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الصف:٥].

والفاسق هو من خرج عن طاعة الله ورسوله، فاسق وضال، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، ما يختار إلا ما اختار الله ورسوله له،

بس، إنه يجيب أمر ثاني ويعارض القرآن برأيه هو؟!، يعارض السنة برأيه هو! يعارض السلف برأيه هو!

يستحسن هو في دين الله!، ما له، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، لأنه يختار لنفسه أو لغيره ما لم يختاره الله ورسوله لعباده، يا ويله يوم يقدِم على الله ﷻ.

والله العظيم؛ أنه يُخشى أن يجعله الله عِظه ما يُصيبه من عقوبة على رؤوس الأشهاد، يوم من الأيام، فينبغي للإنسان أن يحسب ألف حساب، وإذا ابتُلي الإنسان بشيء يخُصه فيلستتر بستر الله عليه، لكن يُظهر ويتبجح!، ويقول هذا أفتا به فلان حتى يستوردون الفتاوى من الخارج مثل الدجاج ومثل الخمار وغيره، الفتاوى تستقدم من الخارج؟! ممن لا يُعرف عنه حُسن عقيدة ولا استقامة على عمل صالح ولا حُسن خُلق ولا نصيحة للأمة والأمة، ولا نصيحة لكتاب الله تعالى ولا لرسوله ﷺ، ويؤخذ منه فتوى؟!

ليش؟ لأنها وافقت الهوى، أنا أبغى أطور المؤسسة، أنا عندي خطط، أنا لي خطط، أنا بشارك بالتنمية، أنا بسوي كذا، ويأتون بخطط من الكفار مخالفة للشرع ولا يبالون، تهدم أخلاق الناس وقيم الدين ولا يبالون، قد تؤثر على العقيدة، وتزين الشرك والبدع ولا يبالون، وقد تسهل للناس المعاصي، معاصي الشهوات معاصي الشبهات، التي تحت الثياب أو فوق الثياب، ولا يبالون، والوعيد هذا، الله تعالى يقول: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥]، تصيب مَن أقر هذا الشيء، وهو يعلم أنه مخالف للشرع، وإقراره أقله أنه ما يُنكره أصلًا، أنكره ولو بقلبك، لكن ما تُنكر؛ عادي عندك؟! وإن استطعت ولك نفوذ؛ تُغير لأن لك ولاية، تغير، وبالتي هي أحسن، وبالرفق، ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنفال:٢٥].

ويذكرهم الله بالنعمة، ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ ﴾ [الأنفال:٢٦].

﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنفال:٢٦].

وبعدها ايش؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٢٨﴾ [الأنفال:٢٧-٢٨].

ما يجوز هذا، والتماشي والتماهي مع المحدثات، اللي كلٌ يعرف بداهة، والله العظيم؛ إن راعي الغنم اللي بالصحراء يدري أن هذا حرام، والمرأة التي يمكن على طرف الهدرات تدري أن هذا حرام، بطول ما ألفته وتعرف أحكام الشرع.

ومع ذلك يتساهل فيها وعادي، عادي، الله سائلك أنت بنفسك، «**لن تزول قدم عبد يوم القيامة؛ حتى يُسئل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه**»، مين اللي يسأله؟ الله تعالى هو اللي يسأله، ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف:٧].

فأعد للسؤال جوابًا وليكن الجواب صوابًا بحيث تطمئن لو جعلت الجواب بينك وبين النار، فيسترك من النار بقدره، ما تغامر، كل الناس يسوون كذا أو فلان يسوي أو فلان يسوي، لا، لأنك تضر نفسك أنت، تتعذب به في الدنيا، يمكن تتعذب به الدنيا، ويمكن يؤخر العذاب لك في القبر، ولا عندك أحد يرجعك، ولا عندك دفاع مدني ولا شيء يطفي عنك النار، أو يُضيق عليك في قبرك حتى تختلف أضلاعك، وتأتيك حيَّات في القبر، خصوصًا إذا أكلت الحرام، أو أنه يؤخر لك ليوم القيامة، ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر:٤٦].

يا إخوان يا عباد الله؛ تذكروا وتفكروا قبل أن تزل قدم بعد ثبوتها، ولهذا آخر آية أنزلها الله ﷻ على عباده، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٨١﴾ [البقرة:٢٨١].

انظروا للصحابة كيف توقفوا عن أخذ السيف لما قيل «**بحقه**»، بشرطه، خافوا ألا يستطيعوا، وأنت تفرح أنك تُفتح لك أبواب الفتن والشهوات حتى ترضي نفسك وتشفي غليلك بمعصية الله ولا تخاف؟!، والله تعالى يقول عن عباده الأبرار: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإنسان:١٠].

نتيجة خوفهم بالدنيا: ﴿ فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنسان:١١-١٢] جعلنا الله وإياكم من المقربين، أعلى من الأبرار درجة طبعًا.

والله تعالى يوحي إلى نبيه ﷺ: يقول ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٥-١٦].

فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يخاف إن عصى ربه وأنت ما تخاف أن عصيت ربك؟، والرسول ﷺ حاشا أن يعصي الله ﷻ، ويقول: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ ﴾، الله تعالى يقول عن نبيه: ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجن:٢٢].

والنبي ﷺ يدعو الله ويتوسل إليه: «**لا منجا منك إلا إليك**»، وأين المفر والإله الطالب...؟ قالت الجن: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجن:١٢]، المؤمنون من الجن،﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الجن:١٢-١٣].

انظروا كيف، فكونه تتيسر لك الفتن وتهون وتُعرض عليك صباح ومساء وتُبتلى بها في بيتك وفي سوقك وفي السوق العام وفي مكان الدوام وفي كذا وكذا، ما يعني أنها مباحة لك، لا، اذكر حق الله عليك ورقابة الله عليك وقدرة الله عليك، ولا تكن أسوة سوء لغيرك، فما عُمل بالسيئة التي أنت أسوة فيها؛ يجيك عذابه، لك نصيب، هنا عذاب، كما قال ﷺ: «**لا تُقتل نفسٌ ظلمًا؛ إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمه لأنه أول مَن سن القتل**»، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَن دعا إلى هُدى كان له مثل أجور مَن تبعه، ومن دعا إلى ضلاله كان له مثل آثام مَن تبعه**»، أو كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فينبغي أن الإنسان يتنبه لهذا، يجعلك أنك تحجم وتختصر وتنطوي، خشية أنك تكون فتنة لنفسك أو فتنة لغيرك، ولا سيما أهل بيتك أقرب الناس إليك، فينتبه الإنسان لهذا، فالأمر خطير، وهذا الموقف من الصحابة

موقف عظيم، إيجابي، خافوا، ألا يقوموا بحق السيف، تركوه، وقيض الله له مَن يأخذ بحقه، ووفا، فلق به هام المشركين، وأرضى الله تعالى به وأرضى رسوله ﷺ وهكذا.

والله أعلم، وصل الله وسلم على نبينا محمد.

- عن الزبير بن عدي، قَالَ: أتينا أنسَ بن مالك ﵁ فشكونا إِلَيْه مَا نلقى مِنَ الحَجَّاج. فَقَالَ: «اصْبرُوا؛ فَإنَّهُ لاَ يَأتِي زَمَانٌ إلاَّ والَّذِي بَعدَهُ شَرٌّ مِنهُ حَتَّى تَلقَوا رَبَّكُمْ» سَمِعتُهُ مِنْ نَبِيِّكُم ﷺ. رواه البخاري.

- عن أبي هريرة ﵁: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «بادِرُوا بالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّ فَقرًا مُنسيًا، أَوْ غِنىً مُطغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوتًا مُجْهزًا، أَوْ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أدهَى وَأَمَرُّ» رواه الترمذي.

- وَعَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ يومَ خيبر: «لأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيهِ» قَالَ عُمَرُ ﵁: مَا أحبَبْتُ الإمَارَةَ إلاَّ يومَئِذٍ، فَتَسَاوَرتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا، فَدَعا رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب ﵁ فَأعْطَاهُ إيَّاهَا، وَقالَ: «امْشِ وَلَا تَلتَفِتْ حَتَّى يَفْتَح اللهُ عَلَيكَ» فَسَارَ عليٌّ شيئًا ثُمَّ وَقَفَ ولم يلتفت فصرخ: يَا رَسُول الله، عَلَى ماذا أُقَاتِلُ النّاسَ؟ قَالَ: «قاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمدًا رسولُ الله، فَإِذَا فَعَلُوا فقَدْ مَنَعوا مِنْكَ دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلاَّ بحَقِّهَا، وحسَابُهُمْ عَلَى الله». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث؛ كسابقتها، فيها الحظ من النبي ﷺ للأمة على استباق الخيرات والمسارعة إلى المغفرة والجنات، قبل العوارض والشواغل وتغير الأمور واختلاف الأحوال، بحيث أن الإنسان يكون حازمًا في طاعة الله -جل وعلا- مبادرًا إليها، وأنه ينكف عن معصية الله ويتأنى حتى يصرفه الله عنها، ويلجأ إلى الله يطلب العصمة، العصمة من الله ﷻ، كما قال يوسف ﵇: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف:٣٣-٣٤].

فالمؤمن؛ يبادر إلى الطاعات ويتنافس القربات ويغتنم الأوقات واللحظات قبل الفوات، وينتهي عن المحرمات ويمتنع منها، ويتفكر قبل مباشرته لو خطرت بباله، ويضرع إلى الله تعالى أن يصرفه عنها ويصرفها عنه، وأن يشغله بما ينفع في عاجل أمره وآجله.

فالحديث الأول: أن بعض التابعين -رَحِمَهُمُ اللَّهُ وإيانا-؛ جاءوا إلى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله ﷺ، وكان من نزلاء البصرة وعاش وعُمِّر ببركة دعوة النبي ﷺ أن النبي ﷺ دعا له أن يطيل الله عمره ويُكثر له ماله ويبارك له فيما أعطاه، فكان عنده بستان يُثمر في السنة مرتين نخل، وكان له ذرية وأحفاد مات منهم سبعون في حياته دفنهم، وبقي عدد كبير، حتى أنه كان يصلي بهم في المسجد جماعة، مسجد خاص له خارج البصرة، وصلى بهم أو جعل مَن يصلي بهم العيد لما كبرت سنه، فبارك الله له في ذريته، ونفع الله به الإسلام وأهله، فإنه حدَّث عن النبي ﷺ لأنه حفظ أحاديثًا كثيرة، فقد خدم النبي ﷺ عشر سنين، وعاش بعد النبي ﷺ بعد وفاته تسعين سنة وزيادة، فأمهله الله عَزَّ وَجَلَّ ونفعه وبارك له فيه وعليه، فكان من أعيان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن آخر مَن مات منهم في البصرة، وكان في آخر حياته وفي الربع الأخير من القرن الأول أمير في العراق يُدعى الحجاج بن يوسف الثقفي، أخبر عنه النبي ﷺ أنه مُبير، يعني مُسرف في سفك الدماء، فهو أمير ظالم جائر، له حسنات لكن سيئاته كبيرة وعظيمة جدًا، حتى أنه قتل من أعيان التابعين عددًا، وحتى وحتى، وهو الذي ضرب الكعبة بالمنجنيق حتى احترق جزء منها، فهذا الرجل كان مسرفًا في الدماء في القتل والظلم والجور.

فجاءه بعض التابعين، جاءوا إلى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باعتباره من أكابر أهل العلم في زمانه، من بقايا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لأنه من صغار الصحابة، توفي النبي ﷺ وعمره بالعشرين أو زيادة بسيطة، يشكون إليه الحجاج لجوره وظلمه وغشمه، وهذا منهج السلف الصالح، أنه إذا صارت أمور مختلفة وجديدة وفتن وظلم وكذا؛ يرجعون إلى علمائهم يستنيرون منهم.

ماذا يعملون وفق الشرع، حتى لا يكونون من أهل الأهواء والبدع، ولا من الخوارج (٠٧:٤٠)، فجاءوا إليه يشكون، يعني ايش توجهنا في هذا الوضع؟ وهذا مصداق قول النبي ﷺ لأصحابه: «**إنه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»، وأخبر النبي ﷺ: «**أن شر الأمور محدثاتها**»، وقال: «**مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، فلما شكوا إليه؛ قال: **اصبروا**، ما عندنا غير هذا، اصبر، لأنكم إما أن تصبروا فيكون الفرج من الله عَزَّ وَجَلَّ.

كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مَن يعارض ولاة الجور والظلم بالسلاح، قال: إنهم اتكلوا على السلاح، فوكلهم الله إليه، وعظمت الفتنة وكبرت يعني، ولو أنهم اتكلوا على الله تعالى لحبسهم عنهم بالموت، لحبس ولاة الجور عن عامة المسلمين بالموت، لكنهم الخوارج وأشباههم وغوغاء الناس يستعجلون ويثورون وينازعون الأمر أهله؛ تكون الفتنة الكبرى، حتى تعطل شرائع الدين، وتخفى شعائر الملة، ويشتغل الناس في صيانة حرماتهم وأهليهم وحراسة بيوتهم ومصالحهم، ولا يقومون بدينهم حتى، فلذلك أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأنه تربى في بيت النبوة قال: **اصبروا**، وما ترونه من الحجاج سيأتي أكبر منه في مستقبل الزمان، فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه، ونُقل هذا عن غيره من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والكلام في الجملة يعني، وإلا يكون جهة فيها خير وجهات كثيرة فيها شرور كبيرة مثل ما هو عليه الوضع الآن اليوم، نفس الشيء، صورة.

فلذلك قال لهم: **اصبروا**، والمعنى؛ اعتصموا بالله، وتضرعوا إلى الله أن يعصمكم من مغلظات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يكفيكم شر أهل الشر من كل جنس من الناس، في كل زمان وفي كل مكان، ولا تنازعوا الأمر أهله، لا تنازعوا ولاة الأمور الأمر، فإن هذه مفسدة عظيمة، ولا يكون بدالها إلا أشر منها، وما نازع قومٌ ولاة أمورهم من المسلمين وحصلوا خيرًا منهم، وإلا يأتيهم من بعدهم مَن هو شر منهم، ويبوئون بإثم ما يُسفك من الدماء وما يُنتهك من الحرمات وما يُعطل من شرائع الدين وشعائر الملة، وما يصيب الناس من الضائقة، وتسلط أشرار الخلق عليهم حتى تكون بلدهم مقصدًا لشذاذ الآفاق وقطاع الطرق وأصحاب الجرائم وتجار المخدرات وغير ذلك.

انظروا إلى البلدان المجاورة لكم اليوم كيف، كل بلد فيها خمسة جيوش كلها وافدة، كلها من شر الخليقة، صاروا يتمنون جور الولاة قبل على الحالة اللي هم فيها اليوم، ولذلك أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قول الخبير: اصبروا، والله تعالى يقول: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥]، أن الله يُصلح حالهم، يبدلهم حالًا خيرًا من حالهم إذا صبروا، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر:١٠]، ويقول: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى:٤٣].

والنبي ﷺ يقول: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**»، ودل التنزيل الكريم: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ [الشرح:٥-٦]، أن لن يغلب عسرًا يُسرين، ما من عُسر يمر بمسلم أو بعامة المسلمين؛ إلا وهو مسبوق بيُسر وملحوق بيُسر، فيلطف الله ﷻ بالعباد، هكذا قال، فلذلك أرشدهم وأخبرهم أن الأمور في مستقبل الأيام كذلك، ليش؟ لأنه كل ما تأخر الزمان في الجملة؛ ينقص الدين، ليش؟ لأن الله يقبض العلماء، «**يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»، استعجلوا الأمور وعالجوا الحوادث على خلاف الشرع، واتبعوا سنن الأمم الهالكة، وتواطأ جهالهم وغوغائهم وفساقهم مع اليهود والنصارى والمجوس، كما هو الحال اليوم في أكثر البلدان، فكل ما نُزع العلم؛ نقص الدين، وكل ما نقص الدين؛ ظهرت الفتنة، هكذا، ولذلك في آخر الزمان؛ يُترك الدين بالكلية، حتى لا يُصلى لله تعالى ولا يُقرأ القرآن ولا تُستقبل الكعبة، عندئذٍ تقوم الساعة، تدرون أنه يهدم الكعبة في آخر الزمان رجل أُسيود أُفيحد معيب الخلقة حجرًا حجرًا، وينقلها ويلقيها في البحر ما عنده مَن يغار على الحرمة، والله تعالى يقول: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم:٤١]، فكلما انفتحت الدنيا على الناس؛ ركنوا إليها، فإذا ركنوا إليها؛ أول عقوباتهم تسليط ولاة الجور عليهم، وهذا مجرب في التاريخ، إذا عطلوا بعض شيء من أحكام الشريعة أو خالفوه وهم يعلمون، إما أن يكونوا هجروه ما يعملون به أو خالفوه وهم يعلمون أو استحسنوا أمر المخالف أو أقروا مظهر المنكر على منكره، فإن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه؛ أوشك الله أن يعمهم بعقوبة منه.

ومن أول العقوبات: تسليط ولاة الجور على الناس، حتى يأخذوا ما بأيديهم ويمنعونهم حقوقهم، فهذا هو السبب، ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾، في القرى والصحارى والمدن، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١ ﴾ [الروم:٤١]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩ ﴾ [الكهف:٥٩]، ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾ [العنكبوت:٤٠]، هكذا.

فكلما أحدث الناس ظلمًا؛ سُلِّط عليهم أظلم منهم، ولما سُئل علي ﵁، قيل له: ماذا للناس! اجتمعوا على أبي بكر وعمر واختلفوا عليك أنت وعثمان؟!، قال: أبو بكر وعمر كانا واليين على مثلي، وأما أنا فوالٍ على مثلك، أنا ابتليت يعني بك، تأخر عمري حتى ابتليت بأمثالك، ممن تحكمهم الأهواء ويتبعون الشهوات ويضربون بالسنن عرَض الحائط ويقدمون عليها أراء الرجال، هكذا.

فلذلك؛ أنس ﵁ حث مَن شكى إليه على الصبر، والنبي ﷺ كان يأخذ على أصحابه ﵃ عند البيعة؛ «**ألا ينازعوا الأمر أهله، إلا أن يروا كفرًا بواحًا**»، ويأخذ عليهم النصر لكل مسلم فيما استطاعوا، قال: «**الدين النصيحة، لأئمة المسلمين وعامتهم**»، ولما جاء بعض الناس في زمن الإمام أحمد ﵀ في زمن المأمون وبعده، والواثق، يشكون إليه ويريدون أن يرخِّص لهم في الخروج على الوالي، منازعة الحاكم والخليفة، قال: الدماء، الدماء، الدماء، كيف يعني، تشكرون في هذا، وإذا سُفكت الدماء؛ انتُهكت الحرمات واستُحلت الفروج المحرمة، واختلط الناس، ومرجت عهودهم، وتحزبوا وتحاربوا واستنجدوا بعدوهم، دخل العدو وتحكم، ولذلك قال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا**»، يعني مثل الكفار، «**يضرب بعضهم رقاب بعض**».

فما يسلط الولاة على الرعية؛ إلا بظلم الرعية لنفسها، وتعديها على شريعة ربها بتعطيل أو تحريف أو كذا أو كذا، واتباعهم لأئمة السوء، وهم ثلاثة، كما قال ابن المبارك، قال: أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها!، فيقوم من ولاة الأمر مَن هو فاسق وجائر وظالم، ويتبعه مَن يهوى هذا من الناس، ويكون من علماء السوء مَن يبيع الآخرة بالدنيا، ويفتي بفتاوى يُرضي بها الناس حتى يتصدر فيهم وحتى يأخذ أموالهم وحتى أنه يسود فيهم، مسكين.

مثل ما علم بعض اليهود والنصارى من قبل، ويكون من هذا من عُبَّاد السوء، مَن ينتسب للدعوة وهو جاهل ضال مضل ويكون على بدعة، وينفر الناس من علماء الأمة الربانيين وينفرهم من الحكام الصالحين، الذين هم أحسن الموجودين، هكذا يكون، هؤلاء هم الذين يفسدون أحوال الرعية، ومسكينة ها الرعية، تتبع هذا وذاك.

ولو رجعوا إلى العلماء الربانيين أئمة الهدى وأتباع السلف الصالح؛ لوجهوا وجهة الخير، وثبتوا على الحق، وحظوا على الصبر، وعلى الدعاء لولاة الأمور بالصلاح وحسن السياسة للرعية، وأن يجعلهم الله تعالى نُصرة للملة الحنيفية وغيظًا لأعداء الملة، والدعاء لولاة الأمور متعين، خصوصًا في أزمان الفتن، فإن الله لا يخيب المسلمين، فإن دعوة المسلمين؛ تحيط من ورائهم، تصونهم وتحفظهم، وإذا جاءت الفتن واختلطت الأمور؛ فالنبي أوصى بالرجوع إلى أهل العلم ثم بلزوم ولاة الأمر وعامة المسلمين، قال: «**فإذا تفرق الناس**» لم تجد واليًا ولم تجد عامة ولا أئمة سنة من أهل العلم، قال: «**فاجتنب تلك الفرق ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يأتيك الموت وأن على ذلك**»، وفي الحديث الآخر قال: أرأيت إن دُخل علي بيتي؟ قال: «**كُن كخيري ابن آدم، قل: بوء بإثمي وإثمك**»، لكن لا تحمل سلاح في الفتنة، احذر.

والله أعلم، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

باب المجاهدة

- قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل:٨]؛ أي انْقَطِعْ إلَيْه.

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ [الزلزلة:٧].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا ﴾ [المزمل:٢٠].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٣].

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن المجاهدة؛ هي أن يجاهد المرء نفسه وغيره، على دين الله -جل وعلا-، على الفقه فيه والعمل به والثبات عليه وهداية الخلق إليه، والدفاع عنه، دفاع أهل البدع وأهل الأهواء وأهل الكفر، فيجاهد نفسه ويجاهد غيره، تعظيمًا لحق الله -جل وعلا- ورجاءً لكريم ثوابه ورضوانه سبحانه، وحذرًا من أليم عقابه وسخطه، وهذا من معنى قوله تعالى: يا أيها الذين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، يعني اصبروا على طاعة الله تعالى، وخصوصًا الفرائض، فلا تملوها وتسأموها وتتركوها أو شيئًا منها، أو تفعلوها في بعض الأوقات وتتركوها في بعض الأوقات، لا، اثبتوا عليها.

وكذلك عن معاصي الله، فلا تقتحموها وتتجرؤوا عليها، تصروا على شيءٍ مما اقترفتم منها وأنتم تعلمون، واجتهدوا وراء ذلك في الاستزادة من نوافل الطاعات، تكميلًا لها وجبرًا لنقصها وتحببًا إلى الله تعالى بها، واستزادةً من هداه -سبحانه وتعالى، والبُعد عن المشتبهات والشبهات، حتى لا تجركم إلى معصية الله -جل وعلا-، توقعكم فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فتجاهد نفسك على إيقاع العبادة على أحسن وجه تستطيعه، وتستغفر من قصور العمل ومن الزلل، وتجاهد نفسك عن معاصي الله.

تنأى بها عن ملابستها والقرب منها ومخالطة أهلها حال تعاطيها، حتى لا تقع في شيءٍ منها، فوعد الله ﷻ مَن جاهد نفسه على هذا النحو بمزيد الهدى، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾، كل ما فرغوا من طاعة؛ فتحنا لهم باب طاعة، وأثبناهم على ذلك، ورزقناهم، لأن هذا هو نتيجة التقوى، وقال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⁽٨⁾﴾ [المزمل:٨]، يعني انقطع، إلى طاعته، واشتغل بها، واغتنم فراغك من طلب الرزق وغير ذلك في الإقبال على العبادة، لا تترك فرصة، ولا تستهن بيسير من طاعة، فإن الله تعالى قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⁽٧⁾﴾ [الزلزلة:٧].

وجاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين قالت: **أتتني امرأة مسكينة معها ابنتان لها، فسألتني،** قالت: **فلم أجد في البيت** –بيت الرسول ﷺ- **إلا ثلاث تمرات، فدفعتها إليها، فقسمت ثنتين بين ابنتيها ورفعت الثالثة إلى فِيها** –إلى فمها لتأكلها-، فابنتاها كل واحدة أكلت التمرة التي أعطيت لها بسرعة، **واستطعمت أمهما التمرة التي معها،** وقد رفعتها إلى فمها لتأكلها، جائعة مسكينة هي، **فرحمتهما فشقتها بينهما،** أعطت كل واحدة نصف، قالت: **فعجبت لشأنها،** فلما جاء النبي ﷺ أخبرته، قال: «**وما أدراكِ أن الله تعالى كتب لها بها الجنة**»، تمرة قسمتها بين ابنتيها كتب الله بها الجنة، وهكذا الذي أماط الأذى عن الطريق؛ غفر الله له وأدخله الجنة، لا تستقل من الخير مثاقيل ذرة، وروي عن عائشة رضي الله عنها نفسها: أنها جاءتها مسكينة أو مسكين، فدفعت إليها حبة عنب، حبة واحدة، وقالت: **كم فيها من ذرةٍ من الخير،** هكذا.

لا تستقل وتحتقر ذرات الخير، ولا تستهن بذرات الشر، فإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه، كما روي في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه**»، ولذلك الله ﷻ حظ على الاجتهاد في العبادة، قال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ⁽٩٩⁾﴾ [الحجر:٩٩]، يأتيك الموت وأنت على العبادة، لا تغفل، وإن غفلت؛ فليس بمغفول عنك، بادر إلى الطاعة واستدرك ما فاتك مما أمكن استدراكه، وإياك والمعصية، لا تستخف بها، فإن لها من الله طالبًا، وإذا طلبك الله؛ فلا منجا منه –سبحانه وتعالى- إلا إليه.

وسُئل النبي ﷺ عن هذه الأمور، محقرات الطاعات ومحقرات السيئات، قال: «**ما عندي فيها إلا هذه الآيتين الجامعتين الفاذتين**» قول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٨]، والمعنى أنه مرصود ومحفوظ لك الخير عند الله، تجده موفرًا أحوج ما تكون إليه، فاستكثر من رصيدك عند الله –جل وعلا– من الخير، فإن الله ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء:٤٠] من الحسنات، ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء:٤٠]، لا يكتب الله عليك عمل غيرك، وإن أحسنت؛ ضاعف لك، ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام:١٦٠]، ويزيد الله –جل وعلا–، ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [الأنعام:١٦٠].، ويغفر الله –جل وعلا–.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل:٢٠].

ينبغي للمسلم أن يغتنم فرصة حياته في عمل الطاعات، والاستكثار من نوافلها، ولكن لا يستهن بالفرائض فإنها رؤوس الأموال، ومَن ذهب رأس ماله خسِر، فليكن جهادك في النوافل بعد الفرائض لأن النوافل هي الأرباح، وإياك وإياك ومقارفة المعاصي فإنها خسارةٌ وغبن، وبابها الشهوات والشبهات، يعني استهنت بالشبهات؛ وقعت في المعاصي بالتأويل الباطل، وإن اقتحمت الشهوات؛ فإنها تميل النفس إليها وتتجرأ عليها وتجُرك إلى مثلها، فاحذر غاية الحذر، فالزم الجهاد للنفس ورابط على سمعك، لا يدخل منه شيء حرام إلى قلبك، فإن القلب يتأثر.

ورابط على بصرك لا تنظر فيه إلى حرام، انظر إلى ما أباح الله لك وما أحل الله لك، ورابط على جوارحك وحواسك، وأخطرها اللسان، فإن اللسان أحد من السيف، «**وإن الإنسان ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالًا يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»، وفي رواية: «**يكتب الله له بها سخطه إلى لقاءه**»، استعمله في طاعة الله، فإن العبد يقول الكلمة في رضا الله ﷻ يكتب الله له بها رضاه إلى يوم يلقاه، فاجتهد، والله تعالى وعدك مزيد الهدى، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

أحسِن، وأبشِر، ورابِط تُفلح، رابط على حواسك وجوارحك فلا تُدخل شيء إلى قلبك وعقلك إلا ما ينفعه ويقويه في طاعة الله، واحذر مما يُجرئه على معصية الله فإن القلب ملك مؤثر في الجوارح والحواس، إن أدخلت إليه ما ينفعه؛ نشط في طاعة الله، وإن أدخلت عليه ما يضره؛ فإنه يكسل عن الطاعة ويميل إلى المعصية.

ثم يستعمل الجوارح في المعصية، فرابط على حواسك وجوارحك واستعن بالله وتضرع إلى الله ﷻ أن يهديك للتي هي أقوم، واحذر مما يجرك إلى معصية الله ويوجب لك سخطه فإن ذلك هو الخسران في عاجل أمره وآجله.

والله أعلم، وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإنْ سَأَلَنِي أعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأعِيذَنَّهُ». رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد ساق الإمام النووي رحمه الله تعالى هذا الحديث في باب المجاهدة ليُنبه على وجوب مجاهدة المسلم نفسه على أداء فرائض الطاعات، واجتناب المنهيات والمحرمات، ثم بعد ذلك يجتهد في تحري المستحبات والسُنن، فهذا من الجهاد الذي يؤجر عليه المسلم، وينال به محبة الله جل وعلا، ويكون من ثمرات ذلك أن الله تعالى يُسدده في سمعه فلا يسمع به إلا ما ينفعه في أمر دينه ودنياه، وفي بصره فلا يبصر به إلا ما ينفعه في أمر دينه ودنياه، وفي يده فلا يباشر بها إلا ما هو في مصلحته في دينه ودنياه، وفي رجله فلا يمشي إلا إلى ما ه في مصلحته في دينه ودنياه، فيتولاه الله بعنايته، ويرعاه برعايته، ويكلأه بتوفيقه، ومن ثمرات ذلك: أن الله تعالى يستجيب دعاءه إذا دعا، وإذا سأل الله تعالى حاجة من غير إثم ولا قطيعة رحم ولا اعتداء في الدعاء فإن الله يجيبه، فيعطيه إياها، أو ما هو خير منها، وهكذا إذا استجار الله مما يكره ويحاذر فإن الله يجيره ويعصمه من الأذى ومن الشر وأهل الشر.

فهذه من ثمرات لولاية لله تعالى، وولي الله هو من أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

فالإيمان يتحقق بالإيمان بأصول الإيمان، وأركان الإسلام، وبالإحسان، وفي أداء الفرائض على أحسن وأكمل الوجوه المستطاعة، واجتناب الشرك، والكفر، والبدع، والأهواء، وكبائر الذنوب، ولا يستهين بصغيرة من الذنوب، فهذا الإيمان، فيكون الإيمان والتقوى، الإيمان عمل الصالحات، والتقوى توقي السيئات، لأن الصالحات يصلح بها شأن المرء في عاجل أمره وآجله في الدنيا والبرزخ والآخرة، والسيئات تسوء صاحبها في الدارين، فإذا كان محافظا على الفرائض مجتنبًا للمحرمات، وتائبا إلى الله من الخطيئات.

ومجتهدا في تحري النوافل والمستحبات فإن الله تعالى يتولاه، فيكون ولي الله يحبه الله وينصره، يحبه الله تعالى وينصره، فيتولاه، يقرب منه، ويحبه، فيوفقه للخير، ويعصمه من الشر، وينصره على من عاداه، هذا هو ولي الله عز وجل ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة:٥٦].

فيتحرى الإنسان هذا أن يكون من أحباب الله تعالى، وعلامة هذا أنك تنصر دين الله وتقيمه في نفسك، وتقيمه في أهلك، وتجتهد في إقامته فيمن حولك، وتحب الخير وتكره الشر، وتحب الإسلام والإيمان والإحسان وتكره الكفر والإلحاد والشرك والنفاق والأهواء، هكذا، فأولياء الله تعالى يحبون ما يحبه الله عز وجل من الأقوال والأعمال والأشخاص والأحوال والأماكن، ويتحرونها، ويبغضون ما يبغضه الله عز وجل، ويبتعدون عنها، وينأون عنها، ولهذا في آخر الحديث في رواية: أن الله تعالى يقول مُبينًا كرامة العبد عليه فيما هذا شأنه "**وما ترددت في شيءٍ ترددي في قبض روح عبدٍ مؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه**".

فهذا من عناية الله بالعبد وليه وأنه يحب الله له ما يحب، ويكره له ما يكره، ولذلك أخبر الله عن نفسه بتردده في قبض روح العبد، ليش؟ تردد لأن الأمرين كلاهما مرادا لله من وجه، وغير مراد من وجه، فالموت مراد بأن الله حكم به على الخلق، الثقلين، وسائر المخلوقات، ولابد من تنفيذ حكم الله السابق، لأن الله قدر هذا قبل خلق السماوات والأرض، وكتبه قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سَنة، فلابد له من الموت، والموت يكرهه الإنسان، ويكرهه الله له، لأنه ينقطع من العمل الصالح بالموت، لأن الموت مصيبة من جهة أنه يقطع الإنسان من العمل الصالح، وخير المسلمين من طال عمره وحسُن عمله، والمؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا، وأفضل الناس في الإسلام من يُعمر بتسبيح الله تعالى وتقديسه، فيكره الله الموت للمؤمن من هذا الوجه، ويحبه من هذا الوجه، ومن الوجه الآخر

لأنه قدره الله تعالى، وحكم به على جميع الخليقة ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

فينفذ الله عز وجل وعده، لابد من هذا الشيء، لكن أن الله يخفف عن المؤمن بماذا؟ بأنه إذا بدأ به النزع يُرى مقعده أولا من النار، ويقال: انظر هذا مقعدك من النار أبدلك الله مقعدا في الجنة انظر إليه، فلا يكون غائب أحب إليه من الموت لأنه اطمئن على المستقبل، وأنه ينتقل من الدنيا وعنائها أو تعبها وانتهى الموضوع، فلذلك يُخفف الله عليه أمر الموت، وينقله من الدنيا إلى الجنة، وتأتيه البشرى وهو على فراشه قبل أن يغادر الدنيا ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤ ﴾ [يونس:٦٤].

والمؤمن يستريح من عناء الدنيا وتعبها إلى الجنة جعلنا الله وإياكم كذلك، فلا يبغي الحياة، ليش؟ لأن الحياة ظرف فتن، وهو انتهى، يريد أن ينتهي ما دام ضمن المستقبل في الجنة خلاص أمن من النار، وضمن المستقبل من الجنة، فلذلك يحب الانتقال ثم إنه لا يلقى الله تعالى إلا بالموت فيصير الموت أحب شيء إليه حتى يلقى الله عز وجل، وهذه أُمنية يلقى الله تعالى وهو راضٍ عنه، فيلقى الله راضيا مرضيا الله راضٍ عنه وهو راضٍ عن الله عز وجل، لأنه اطمئن على حسن ايش خاتمته، نسأل الله عز وجل حُسن الخاتمة للجميع.

والفاجر بخلاف ذلك، فلهذا وصف الله نفسه بالتردد بشأن الموت في أمر عبده المؤمن لأنه محبوب من وجه ومكروه من وجه، فيُنفذ الله عز وجل ما سبق به العلم وجرى به القلم، ويكون في ذلك عصمة للمؤمن من الفتن، لأنه إذا مات أمن من الفتن، وضمن المستقبل قبل موته أنه الجنة، وأمن من النار، فمقعده من النار أُبدل به مقعدا من الجنة، وهذا أحسن شيء، وأطمن شيء فيحب لقاء الله والله تعالى للقائه أحب، فهذا يحرر المسلم على أنه يلتزم بأداء الفرائض واجتناب المناهي والتوبة إلى الله عز وجل من المخالفات، والاستكثار من الحسنات، وأن يُلح على الله تعالى بصالح الدعوات يسأله الخير، وأن ييسر له أسبابه، ويستعيذ به من الشر، وأن يعصمه من أسبابه ويحول بينه وبينها، حتى يكون ما عاش على خير، وإن مات فإلى خير، هكذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- عن أنس رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه -عز وجل- قَالَ: «**إذَا تَقربَ العَبْدُ إلَيَّ شِبْرًا تَقَربْتُ إلَيْه ذِرَاعًا، وَإذَا تَقرَّبَ إلَيَّ ذِرَاعًا تَقربْتُ مِنهُ بَاعًا، وإذَا أتَانِي يَمشي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**» رواه البخاري.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**». رواه البخاري.

٩٧ - الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله - ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغبونٌ فيهما كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ». رواه البخاري.

- عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ يقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رسولَ الله، وَقدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أفَلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث في المجاهدة مجاهدة المسلم نفسه على عبادة الله تعالى، وكثرة وحُسن طاعته مع الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وحُسن الأسوة بالنبي ﷺ، ففي الحديث الأول بيان كرم الله جل وعلا وجوده على عبده المسلم، وأنه تعالى بمحبته، وإجابته، ومثوبته أكرم من عبده في طاعته، وأسرع إليه بذلك، فيقول جل وعلا أنه ما تقرب إليّ عبدي فأنا أسرع منه بذلك يعني، ولذلك قال: "**فإن أتاني يمشي أتيته هرولة**"، وقبل ذلك: "**إن تقرب إليّ شبرًا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب إليّ ذراعا تقربت منه باعا**".

فكل هذا يدل على الإسراع من الله عز وجل بفضله وكرمه وجوده إلى العبد المطيع لله جل وعلا، ومن ذلك أن الله تعالى يزيده هدى كل ما اهتدى زاده الله هدى، وهذه هي التجارة مع الله جل وعلا.

وثانيًا: أن العبادة تسهل عليه لأنه يألفها مع الوقت، وتكون سجية له حتى يُشهد له بها يوم موته، والناس شهداء الله في أرضه إن أثنوا عليه يوم موته بخير وجبت له الجنة.

وثالثًا: أن هذه العبادات التي يباشرها المسلم تسهل عليه عند الشغل، وعند السقم والمرض، وعند تقدم السن في العمر، فتكون سهلة عليه، ليش؟ لأنه طالما استعملها وألفها ولا تطيب نفسه أن يتركها، لأنه يدرك أنه أقرب إلى الله عز وجل من الزمن السابق، كل يوم أنت أقرب إلى الله تعالى، فلذلك ينبغي للمسلم أن يجاهد نفسه إلى إلف الطاعات، والحسبة فيها، وحُسن إيقاعها وأداءها، وحُسن التأسي بالنبي ﷺ فيها كما يأتي، وفي هذا الحديث إثبات الوصف لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته، وبالكيفية التي يعلمها، فإن الله تعالى قال: أنه ما تقرب إليّ عبدي بشيء إلا أن يكون أسرع إليه به، "**فإن تقرب منيّ شبرًا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**".

فدل على أن الله تعالى يأتي ويجيئ ويمشي ويهرول على ما يليق بجلاله جل وعلا و عظمته، وبالكيفية التي يعلمها هو سبحانه، ولهذا عاب الله تعالى على المشركين أنهم يعبدون أوثانا ليس لها أعين تبصر بها ولا أذان تسمع بها ولا أيدٍ تبطش بها ولا ترجل تمشي بها، وأثبت سبحانه لنفسه هذه الأوصاف التي هي مسماها بالنسبة لنا أجزاء وأبعاض، لكن لا نقول هذا بالنسبة لله جل وعلا لأنها أوصاف لله جل وعلا حقيقية لائقةٌ بجلاله بالكيفية التي يعلمها، ولهذا جاء في الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يبصر وهو السميع البصير، يسمع ويبصر، وأنه أحاط سمعه بالمسموعات وأحاط بصره بالمبصرات، وأنه لا تخفى عليه شيء من الكائنات في الأرض ولا في السماوات ولا ما بين ذلك من المخلوقات، وأثبت لنفسه تعالى أنه كتب التوراة بيده، وخلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده.

وأنه يقبض السماوات بيمينه والأراضي بشماله، ويهزن ويقول: أين الملك، أين الملوك، أين الجبارون، أين المتكبرون، هكذا، وهنا يُثبت لنفسه جل وعلا أنه يأتي عبده مقبلًا عليه، أسرع من إتيان العبد إليه بطاعته، فهذا لابد من عقل وفهم، ولذلك الصحابة رضي الله عنهم هم أعلم الناس بكتاب الله تعالى، وببيان رسوله ﷺ، أعلم الناس على الإطلاق، أعلم الأمة وأعلم من كل أمة.

والأمر الثاني: أنهم أهل اللسان العربي، ومع ذلك ما استشكلوا هذه الأحاديث، ولا راجعوا النبي ﷺ فيها، ولا توقفوا فيها أبدا ولا لحظة، ولا تساءلوا حتى عنها فيما بينهم لكمال تسليمهم بها، وإثبات حقائقها لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى يُنزه عن نقصها لأن نقصها عيب، وأنه يُنزه عن مماثلة المخلوقين فيها، فالله تعالى يُنزه في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وغير ذلك يُنزه عن السمي في أسمائه، وعن المثل في صفاته كما نزه نفسه تعالى قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ويُنزه جل وعلا عن الشريك في ربوبيته، فلا شريك له في الملك والخلق، ويُنزه جل وعلا عن ايش؟ عن الند في إلهيته وعبادته فإنه لا ند له، قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢]. أنه لا ند له، فهذه أربعة أشياء يُنزه عنها.

والخامس: يُنزه عن الكفؤ في جميع شأنه، وخصائصه، وحقه، هكذا، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤].

والقاعدة عند أهل السنة والجماعة: أنه كما أن لله تعالى ذاتًا لا تماثل الذوات، فصفاته لا تماثل الصفات، هكذا، والواجب على من سمع هذه النصوص عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ أن يقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] هذا قول المؤمنين ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

هكذا، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢].

فلابد من فهم هذا وعقله هذا المعنى، وأن الله تعالى ليس له حد في شأنه وخصائصه نعلمه نحن، له حدٌ يعلمه هو، وأوصافه لها كيفية لا نعلمها نحن وهو يعلمها جل وعلا، ولكننا نثبتها وأن لها حقائق وكيفيات استأثر الله تعالى بعلمها هكذا ينبغي، فهذا هو معنى هذا الحديث العظيم وفيه الحظ للعباد على أن يبادروا الله تعالى بالطاعات، وأن يلحوا عليه بخالص الدعوات، وأن يثنوا عليه بكمال الذات والأسماء والصفات، وأن يحمدوه جل وعلا على حُسن أسمائه وعلو صفاته وكمال ذاته.

وأنواع أنعامه وأفضاله، وأنواع ألطافه بعباده، وهكذا، وأنه لا يُحصى ثناءٌ عليه بل هو كما أثنى على نفسه جل وعلا، فهو كما وصفه به الواصفون وأعظم مما وصفه به الواصفون المتبعون للكتاب والسنة والجارون على منهاج السلف الصالح من الأمة، فهكذا ينبغي أن نعلم هذا الشيء.

في الحديث الثاني: أن الناس مغبونون في نعمتين ما يستعملونهما الاستعمال اللائق بقدر العمر وقيمة العمر، لأن المؤمن المسلم في تجارة مع الله عز وجل في جميع لحظاته، وعمره في نقص واضمحلال، فإذا رزقه الله عز وجل الصحة في بدنه يؤدي العبادات وقت نشاطه وصحته، أولًا أنه يشكر الله عز وجل على الصحة. وثانيا: أنها تسهل العبادات في المستقبل وتخف عليه لا تكلفه ولا تثقله، وأيضًا يكون له رصيد عند الله جل وعلا وذخر في خزائنه يوم القيامة، واليوم والليل خزانتان، خزانتان لأعمال العباد هما مقادير للآجال وخزائن للأعمال، كل يوم يمضي على ابن آدم بليلته يقول: "**يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فانتفع مني فإني لا أعود**"، هكذا يعني.

فإذا رزقك الله الصحة فاجتهد فيها بطاعة الله، بمعنى أنه توفر لك ايش؟ قوتك ومنزلك إذا توفر لك الصحة في بدنك، والعافية في نفسك وأهلك ومالك وولدك، والمأوى الذي يسترك ويغنيك عن الناس، والرزق الذي يكفيك يومك وليلتك، افرغ لعبادة الله كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ [الشرح:٨].

ارغب لطاعته والجأ إليه واستعن به، واغتبط بمناجاته، والله الذي لا إله غيره ما في ألف من الثناء على الله عز وجل، والدعاء له، وأداء عبادته، وليس في الجنة؛ الجنة على عظم شأن الجنة، وما أخبر الله تعالى عنها به ما في ألذ مما يتعلق بالله جل وعلا من سماع كلامه، والنظر إلى وجهه، والتسبيح والتقديس له، وسؤاله الحاجات، فهذه ألذ نعيم الدنيا وألذ نعيم الآخرة للمؤمنين، جعلنا الله وإياكم من أئمتهم، فهذه مهمة جدا، وهذا الاشتغال بهذا هو عنوان الذِكر لله جل وعلا قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة:١٥٢].

والإنسان لو أنه بلغه عن أحدٍ له شرف وفضل ووجاهة في المجتمع أنه ذكره في حال غيبته مثنيا إليه أو مثنيا عليه لأُعجب بهذا، وتحدث به في كل مجلس، فكيف والله جل وعلا وله المثل الأعلى يذكرك إذا ذكرته؟ ما تريد أن الله يذكرك؟ ما تريد أن ذكرك لله يرتفع إلى الله جل وعلا ويكون له دوي حول العرش، ويُذكر بك، ما تستكثر من غراس الجنة وبناء الجنة، ما تستكثر من الباقيات الصالحات التي هي أحب إلى الله عز وجل واصطفاها لملائكته، استكثر من هذا، فلذلك اذكر الله ذكرا كثيرا وسبحه بكرة وأصيلا، واغتنم لحظات عمرك في هذا، فإن لحظات العمر إن مضت من غير طاعة ولا معصية فهي جزءٌ من العمر خسرته ما استفدت منه مغبون أنت فيه، ولذا قال ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»، لأنك ما انتفعت منهم، لكن من عباد الله عز وجل من ينتفع بالثانية تدرون أنكم تقولون بالثانية "لا إله إلا الله" عدد ثوانيها؟ استعملوا هذا انظروا، ولذا تقول عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، أنه كان يقوم في الصلاة يعني في الليل والنهار ويطيل إذا صلى لنفسه، وأحيانا إذا صلى بالناس يعلمهم حتى تتفطر قدماه تتشقق أقدامه عليه الصلاة والسلام من أسفل من طول القيام والركوع والسجود والجلوس تقول: يا رسول الله كيف تصنع ذلك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟. ما لك ذنوب تحتاج أنك تستغفر لها؟ فيقول: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**».

وهذا العبادة بالصلاة هي أعظم العبادة، ليش؟ لأنها تجمع الذِكر والدعاء وتلاوة القرآن والخضوع لله جل وعلا بالحال، والمقال، وهي إلحاحٌ على الله عز وجل بشكره وطلب المزيد من فضله، وبذكره، ودعائه، وايش غير أن الإنسان يُلح على الله بالتماس فضلته ورحمته قائما وراكعا وقائما وساجدا وجالسا وساجدا وجالسا، وأن الله عز وجل على عظمته وكبريائه ينصب وجهه جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته إلى وجه عبده ما دام في صلاة ما لم ينصرف عنه بقلبه، أو بالتفات لغير حاجة في الصلاة، فهذه فُرص نادرة، وكان النبي ﷺ كثير الصلاة، حسن الصلاة، طويل الصلاة، أسوة الناس في الصلاة، وهكذا في سائر العبادات، بل هو أكمل عباد الله جل وعلا في عبادته عليه الصلاة والسلام، ولما سأله السائل الذي خدمه وكان يخدمه خصوصا في الليل ينام على عتبة باب النبي ﷺ على عتب أبيات النبي ﷺ، فلما رآه النبي ﷺ بهذه المثابة والحرص قال له: «**سلني حاجتك؟**».

فقال يا رسول الله: دعني أنظر في أمري، فرصة هذه ما تعوض دعني أنظر في أمري، فبعد يومين أو ثلاثة جاء وقال: يا رسول الله إنك قلت لي: سلني حاجت، وأني أسألك مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود، بكثرة الصلاة، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**»، والمعنى وحسبها لك صدقة، وكتبها لك حسنة، ورفعك بها درجة، فاغتنم الصلاة أكثر من الصلاة ما أرشد إلى شيء غير الصلاة، وجعلها هي آية الشكر هي علامة الشكر، والمعنى: صلّ كما كنت تصلي، فكان النبي ﷺ يصلي في اليوم افهموها هذه أربعين ركعة ما ينقص عنها، كم؟ أربعون ركعة الفرائض سبعة عشر ركعة، والوتر إحدى عشرة ركعة، والسُنن الرواتب المُلحقة بالفرائض قبلها أو بعدها اثنتا عشرة ركعة، فهذه أربعون في اليوم والليلة ويزيد ما شاء الله حتى يجاوز الستين، يجاوز عدد سنين عمره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوميًا، وكان إذا ترك شيئا من صلاته النافلة حتى، أو صومه قضاه، خصوصا في السفر أو المرض، ولذا يقول الصحابة رضي الله عنهم: "لا .... (٢٠:١٩) تراه تاركًا للصلاة النافلة إلا رأيته. وذلك لقضائه ما فاته من صلاة أو صوم أو غير ذلك.

فينبغي للإنسان أن يراعي هذا الشيء، ولا أعلم أنا أن النبي ﷺ نقص في صلاة الليل عن سبع ركعات، وجاء في الأحاديث أنه أوتر بثلاثة، أوتر بخمس، أوتر بسبع، أوتر بتسع، والمعنى أنه صلى هذه على التوالي، لم يجلس إذا تشهد إلا في الركعة قبل الأخيرة ثم يقوم ويأتي بالأخيرة ويجلس ويتشهد ويُسلم، فينبغي للإنسان أن يحرص على هذا، ومثلما ذكرت لكم في التسبيح إنك تسبح بالثانية بعدد ثوانيها وبالدقيقة بأكثر من ثوانيها حتى إنك تبلغ المئة بالدقيقة، وجربوا هذا ترى معروف هذا، وللسلف أخبار، وأقل شيء أبو هريرة رضي الله عنه كل يوم يسبح "سبحان الله" أربعة آلاف، "الحمد لله" أربعة آلاف، "الله أكبر" أربعة آلاف، "لا إله إلا الله" أربعة آلاف، يقول: هذه ديتي ... يعني في هذاك اليوم هذه قيمة الدية فأنا أفدي نفسي باثنا عشر كلمة من كلمات الذكر يوميا، وعنده محفر زنبيل في هذا من نوى عبس في النخل، أو حجارة فيأخذها ويسبح حتى تنتهي ثم يرجعها ويسبح حتى تنتهي، وهكذا في الحمد والتكبير والتهليل، ما هم عليه من العبادات التي رأوا النبي ﷺ يفعلها، ولا تطيب نفسهم يتركوها أصلا، فلذلك ينبغي أن نتأسى فيهم لأنهم أعلم بنا رضي الله عنهم، أعلم بالنبي ﷺ وهديه منا.

وهم الأسوة لنا بعد النبي ﷺ، ويبلغون عن النبي ﷺ دينه، وخلفوه في أمته في منهجه وطريقته - رضي الله عنهم وأرضاهم-، فهذا أمر لابد من العناية به، وإذا لم تتمرن في حياتك، في فراغك، في صحتك، في شبابك، في كهولتك، في أول مشيبك فإن الطاعات قد تشق عليك مع الشيخوخة، والله الذي لا إله غيره إني رأيتهم أفراد يخرجون من المسجد للصلاة ويروح يتمشى صحيا، وتفوته الصلاة وهو يتمشى، آخر أمره ما رضي ييجي للمسجد ولا بالعربة، فجلس يصلي في بيته، وهو قادر أنه ييجي، فاحذر الكسل، لا تتعود على الكسل، ترى تخونك قواك في وقت الحاجة، وقد تُحرم الانتفاع منها وبركتها بسبب تهاونك وتخاذلك، ولذلك ترجم النووي رحمه الله على هذا باب بالمجاهدة "باب المجاهدة".

أن تجاهد نفسك على طاعة الله عز وجل، وتُذلل جوارحك وحواسك على الانقياد لك في الطاعة، والانكفاف الانقياد لك في الانكفاف عن المعصية، وعلى علو الهمة، وعلى صدق الرغبة إلى الله جل وعلا.

ومع ذلك لا تزكي نفسك ولا تُعجب لا تدلي بعملك على الله، بل ارجو الله أن يتقبل منك، أحسنوا وأرجوا الله أن يتقبل منكم، لأنك أرضى للإعجاب وأن تدلي بعملك على الله عز وجل، تمن عليه، أو تحدثت فيما عند الناس فيرد عليك ما ينفعك، فتواضع لله، واطمئن إلى الله، واسكن إلى الله عز وجل، واستعن بالله، وأثني على الله بما هو أهله، وقل: «**اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

قل: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، هذه كنز تحت العرش استعملها.

قال بعض السلف: إني إذا أحسست بحرارة في كبدي، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، انطفأت. ولذلك يقول هو: والله ما همتني الدنيا، قالوا: كيف ما تحتاج أنت إلى شيء؟ قال: والله إذا احتجت قلت: يا ربي؟ أعطاني، نعم ما في شيء، وأنا أسأل الله حاجتي في وقتها فقط ما لي علاقة بالرصيد والذخر والكنز في البيت لا أبدا، فانظروا كيف الثقة ثقة السلف بالله عز وجل، وكيف أن الله عز وجل يقضي حاجاتهم بما يعينهم على طاعته، وينشط هممهم إلى ذكره وشكره وحسن وعبادته.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وأحسن خواتيمنا واجعلنا من أئمة التقوى وأعلام الهدى، وجنبنا نارا تلظى، وأورثنا الفردوس الأعلى، ووالدينا، وولاة أمرنا، وأزواجنا، وذريتنا، وإخواننا، وأحبابنا فيك، ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

٩٩ - الخامس: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّها قالَتْ: كَانَ رَسُول الله - ﷺ - إذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَر. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

والمراد: العشر الأواخر مِنْ شهر رمضان. و «المِئْزَرُ»: الإزار، وَهُوَ كناية عن اعتزالِ النساءِ. وقيلَ: المُرادُ تَشْمِيرُهُ للعِبَادةِ، يُقالُ: شَدَدْتُ لِهَذَا الأمْرِ مِئْزَري: أي تَشَمَّرْتُ وَتَفرَّغْتُ لَهُ.

١٠٠ - السادس: عن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُول الله - ﷺ: «المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ وَفي كُلٍّ خَيرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ. وَإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أنّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعلَ؛ فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ». رواه مسلم.

١٠١ - السابع: عَنْهُ: أنَّ رَسُول الله - ﷺ - قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية لمسلم: «حُفَّتْ» بدل «حُجِبَتْ» وَهُوَ بمعناه: أي بينه وبينها هَذَا الحجاب فإذا فعله دخلها.

- عن أبي عبد الله حُذَيفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيّ ﷺ ذَاتَ لَيلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المئَةِ، ثُمَّ مَضَى. فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا في ركعَة فَمَضَى، فقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقرَأُ مُتَرَسِّلًا: إذَا مَرَّ بآيَة فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيم**» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ**» ثُمَّ قَامَ طَويلًا قَريبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» فَكَانَ سُجُودُهُ قَريبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم.

- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيّ ﷺ لَيلَةً، فَأَطَالَ القِيامَ حَتَّى هَمَمْتُ بأمْرِ سُوءٍ! قيل: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

قد ساق الإمام النووي رحمنا الله وإياه هذين الحديثين في باب المجاهدة، ليُبين أن النبي ﷺ هو أسوة الأمة في مجاهدة نفسه على طاعة الله جل وعلا فريضة ونافلة، سواءً كان في الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج، أو الجهاد، أو بر الوالدين، أو عشرة النساء، أو تعليم العلم، أو غير ذلك، وفي هذا بيان كيف كان النبي ﷺ يجاهد نفسه على طول القيام طول صلاة الليل مع أنه يصلي لنفسه ما هو إمام، فهذا في صلاته في بيته، أو في المسجد وحده، ما هو إمام جماعة هذا في آخر الليل.

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا علموا جاءوا واقتدوا به الكبار والصغار، حتى ابن عباس وعمره ما يقارب اثنتي عشرة سَنة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا-، بات عند خالته ميمونة أم المؤمنين، ولما قام النبي ﷺ يصلي من آخر الليل قام معه ابن عباس وهو طفل، ولذلك ما أحسن الائتمام، وقف عن يسار النبي ﷺ، فأداره النبي ﷺ إلى يمينه، فدل على أن موقف الإمام، أو موقف المأموم من الإمام إذا كان واحد ويكون عن يمينه ولا يكون عن يساره، ولو كانوا أكثر وكان أحدا عن يمينه أو عن يساره وصار في الوسط هو من أجل حاجة لضيق محل، أو نحو ذلك فلا بأس، صلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجماعة من الصحابة بينهم لضيق المحل، وإلا الأصل أن الإمام يتقدم إذا كان المأمومين اثنين فأكثر، فيقول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه صلى مع النبي ﷺ في صلاة الليل، وأن النبي ﷺ قرأ سورة البقرة استفتح بها بعد الفاتحة يعني، قال:

فقلت إنه يقرأ بالمائة، وسورة البقرة أكثر من مائتين وثمانين وزيادة، قال: **فمضى، فقلت يعني اقسمها بين الركعتين، فمضى، وكملها، وافتتح النساء وكملها، وافتتح آل عمران**، وكملها في ركعة واحدة أكثر من خمسة أجزاء في ركعة واحدة، فهذا نموذج من مجاهدة النبي ﷺ نفسه على طول القيام، وهذا من القنوت ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨].

يدخل فيه الخشوع في الصلاة والطمأنينة، ويدخل فيه الطول طول القيام، فإذا صلى الإنسان لنفسه فيُطول لنفسه، وإذا صلى بغيره فيراعي أحوال المأمومين، بحسب الحال من غير إخلالٍ بالسُنة ما يبجي على هوى المأمومين العوام والجهلة والأمراء، وغيرهم ممن يتحكم في الناس، لا، على السُنة السُنة هي المقدمة، فيصلي صلاةً مطمئنة، وكان النبي ﷺ يقرأ في صلاة الفجر ما بين الثلاثين إلى الستين، وكان يقرأ في صلاة الظهر نصفها، وفي صلاة العصر نصف الظهر، وكان يقرأ في المغرب بل في الفجر أحيانا من طوال المفصل، من الحجرات إلى آخر القرآن من طوال هذه السور، ويقرأ في العشاء من أوساطه، ويقرأ في المغرب من قصره، وهذه بدأ الناس يهجرونها الآن، لأن نسبة من الذين يَأمُّون الناس جهلة بالسنة، أو لا يبالون، والعوام ما يدري أن هذا على حسابهم، وأنه نقص في صلاتهم، وأنها ما تكون على السُنة مثل هجر بعض الأئمة اليوم لقراءة {السجدة}، و ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ﴾.

في فجر الجمعة، وقراءتهم {سبح} و {الغاشية} في صلاة الجمعة، وقراءتهم {الجمعة} و {المنافقون}، أو هجرة للجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة، وهجرهم لقراءة {الجمعة} و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾ في صلاة الجمعة ثلاث سنن، فهذه صارت مهجورة عند كثير من الأئمة اليوم بأسباب الجهل، وبأسباب إنه ما أحد يلاحظ عليهم ويعلمهم ويُذكرهم، وبعض الناس يروق له هذا الشيء لو هو نقص في صلاة، وهو لو نقص عليه من ماله مئة ريال عرفنا كيف يتصرف، لكن نقص الحسنات ما يهم، هذا غلط، فهذه صلاة النبي ﷺ في الليل أكثر من خمسة أجزاء في ركعة، وهذا مهم لأن تعرفوه.

والأمر الثاني: ماذا كان يفعل في هذه الركعة؟ ما هو ... (٠٨:٠٢) ويسرد سرد بعض الأئمة في رمضان على وفق العوام عجل بنا بس خلينا نطلع، وين رايحين؟ رايحين يتابعون الأفلام

والمسلسلات وغيرها، أو الأسواق، وايش عندهم غيرها أو الاستراحات، ويلعبون بصلاة رمضان بدون مبالاة، وأحب الناس لهم الذي يخفف عليهم الصلاة حتى يكيل لهم بالتطفيف ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ [المطففين:٢].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: "مَن وفَّى"، -في الصلاة يعني-، "**وفَّى الله له، ومن طفف، فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين**: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ [المطففين:١]". الويل: وادٍ في جهنم شديد حره، بعيدٌ قعره، عظيمٌ هوله وعذابه، فتوعد الله به المطففين في الصلاة، والذين يضيعون الصلاة {الذين هم عن صلاتهم ساهون}، فهذا عبث اليوم يجري من كثيرٍ من الناس بسبب الجهل، وبسبب الهوى، وبسبب موافقة المأمومين الإمام يصلي بالناس وقلبه مع المأمومين ما هو مع الله، والله أمام وجهه، فإن الله تعالى ينصب وجهه على ما يليق بجلاله وعظمته أمام وجه المصلي، ما لم ينصرف، إن انصرف بقلبه بالوساوس والهواجس أو التفت عمدا انصرف الله عنه، فكيف يكون الإمام الأسوة القدوة قلبه وراءه؟! .... أو يجعله مع الحذاء عند باب المسجد.

أما أنه يُعبث بالصلاة بهذه الطريقة لا غلط، والتخفيف شيء والعبث بالصلاة شيء آخر الناس يعبثون، وتعطيل السنن، وهجر السنن، وإعجاب العوام بهذا نقصٌ في الدين، وجهالة، وأمور جاهلية، وابتداع، وإحداث في دين الله ما ليس منه. يقول النبي ﷺ: «**مَن عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، ويقول: «**كل محدثة ضلالة وكل ضلالة بدعة وكل بدعة في النار**».

فينبغي التنبه لهذا، فهذه صلاة النبي ﷺ الذي يذكرها ابن مسعود رضي الله عنه من أخص الصحابة، وأفقههم، وحذيفة رضي الله عنه طول الصلاة لأنه يصلي لنفسه عليه الصلاة والسلام، وإذا صلى لغيره خفف بحسب الحال، هذه القراءة التي زادت عن خمسة أجزاء في الركعة كيف كان النبي ﷺ؟ يتدبر القرآن، وربما كرر الآية ليتعظ بها، وإذا مر بآية تسبيح سبح، وإذا مر بآية تكبير كبر، وإذا مر بآية تهليل هلل، وإذا مر بآية إخبار عن الجنة ونعيمها سأل الله ذلك، وإذا مر بآية فيها الإخبار عن عذاب النار وأهوالها

استعاذ بالله من ذلك، يقرأ متأنيا مترسلا ما وراءه شغل غير الصلاة، لقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ [الشرح:٨].

هذا الأمر الأول هذا حال القيام، وقرأ خمسة أجزاء وزيادة ويسأل عند كل آية كم فيها من آية هذه؟ ترى هذه فيها كم أكثر من ستمائة سبعمائة آية، وزيادة، فكيف يكون هذا؟ بعد هذا الركوع كبر وركع، يقول: سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم، يكررها بحسب القيام، وربما قال: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر ليّ. افهموا هذا واحفظوه، كتب الأذكار مالئة بالمكتبات الآن وبالجوالات وكل شيء، والعامي يجلس دهر من عمره عشر سنين عشرين سنة ما حفظ زيادة ذكر واحد، أو دعاء واحد، لأنه ما هو أهم الهم الدنيا أو العيشة أو غير ذلك، فهذا غلط وجفاء وخسران يفاجئه الأجل وهو على غير عناية بصلاته، وأخطر من هذا من ينتسب للعلم أيضا أخطر لأنه ما عمل بعلمه زيادة بعد، فيقول هذا في الركوع، وربما قال: اللهم إني لك ركعت، وبك آمنت، وعليك توكلت، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وربما قال: سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

وربما قال بعدما يقول: سبحان ربي العظيم، سبحان ذي الملكوت، والجبروت، والكبرياء، والعظمة، يرددها كل واحدة يعني يمكن قال هذه كل واحدة منها في ركوع واحد أكثر من خمسين مرة، هكذا، فهذا الذكر، قال النبي ﷺ: في الركوع عظموا فيه الرب، لأن الركوع مقدمة للسجود، ومُهيأ للدعاء في السجود، ومن أسباب إجابة الدعاء في السجود فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، قال النبي ﷺ: «**فاجتهدوا في الدعاء، فقمن**» – حري – «**أن يستجاب لأحدكم**».

رفع ﷺ من الركوع قائلا: سمع الله لمن حمده الإمام والمنفرد يقول هذا، أما المأموم يقول: ربنا ولك الحمد، أو اللهم ربنا ولك الحمد، أو ربنا ولك الحمد.

وقال: حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد. وربما زاد: أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، يكرر ذلك، وربما قال: لربي الحمد، لربي الحمد. يكررها بحسب طول القيام والركوع لربي الحمد، لربي الحمد، لربي الحمد، لربي الحمد. يعني يمكن ثلاثمائة مرة وزيادة، هذه صلاته عليه الصلاة والسلام.

وربما قال: اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد والماء البارد، اللهم نقي من الخطايا أو الذنوب الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، يُردد ذلك، كم دعاء في هذا الموضع من الصلاة هذا ركن، كل هذه أركان الصلاة.

وفي حديث حذيفة ﵁ يقول: كان يصلي، -في بيته يعني أو في المسجد-، ولا معه أحد ولا عنده أحد، قال: فسمعت قائلا يقول، الراوي يقول: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأهل أن تحمد إنك على كل شيء قدير، ا للهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنوبي، كل ذنب مضى، واعصمني فيما بقي من عمري من الذنوب، وأزلفني. يعني وفقني لعمل صالح يرضيك عني، قال: فلما انصرفت والتفت وإذا ما عندي أحد، فأخبرت النبي ﷺ؟ قال: «**ذاك ملكٌ بعثه الله إليك ليعلمك الحمد**»، وهذا محل الحمد في الصلاة، فانظروا كيف.

وهكذا في السجود قال ﷺ كان يقول: «**سبحان ربي الأعلى**»، يكررها، قال العلماء: أدنى الكمال ثلاث تسبيحات، وأعلاه يعني في الفريضة وحال الائتمام تسع ويزيد ما شاء الله، لكن في صلاة الليل أنت أمير نفسك، فسجد النبي ﷺ مثل قيامه في التلاوة وركوعه وقيامه بعد الركوع وسجد مثل ذلك، وهو يردد «**سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى**».

وربما قال: «**اللهم إني لك سجدت، وبك آمنت، وعليك توكلت، فاغفر ليّ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

وربما قال ما يقال في سجدة التلاوة: «**سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صوره، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته، فتبارك الله أحسن الخالقين، اللهم اكتب لي بها أجرا ....**»، إلى آخر الحديث «**وامحو عني بها وزرا**».

وربما قال: «**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**».

وربما قال: «**سبحان ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة**».

وربما قال: «**اللهم إني لك سجدت، وبك آمنت، وعليك توكلت، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»، لكن ا لنبي ﷺ نبه على العناية بالدعاء في السجود، لقرب المصلي من الله تعالى، وقرب الله عز وجل منه، لأن هذا أخص أحوال العبد أن يُعفر وجهه بالأرض يصلون على الأرض في التراب في شدة

البرد، وشدة الحر، تواضعا لله عز وجل وخضوعا له وإجلالا له، ولذلك الركوع والسجود ما يتلى فيه القرآن، إنما يتلى في حال القيام وبعض العوام وبعض الأئمة يجلس يقرأ وهو ما قام يقرأ الفاتحة، بعض أهل العلم ما يصحح الصلاة إذا قرأتها وأنت جالس من غير عذر مثل جلسة الذي يسمونها: جلسة الاستراحة، أو مثل الجلسة بين السجدتين قبل أن تقوم قرأت الفاتحة قبل أن تقوم ما تُقبل منك لأن محلها القياس، وقال النبي ﷺ: «**إذا قمت للصلاة فكبر ثم اقرأ الفاتحة وما تيسر معك من القرآن**».

وربما بعض الناس يجلس على قدميه .... **(٢٠:٠٩)** ما يذكر الله حتى، ولا يقوم، وهذا عبث في الصلاة، فينغي الاهتمام بهذا، فهذه أذكار الركوع والسجود والرفع الجلسة بين السجدتين يقول: «**رب اغفر لي، وارحمني، وارزقني، واهدني، وعافني**».

وربما قال: «**واجبرني**».

وربما قال: «**وارفعني وسددني**».

وربما قال: «**رب اغفر لي، رب اغفر لي، رب اغفر لي**»، يكررها ما شاء الله كل هذا.

وذكر الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه يستحسن القول بين السجدتين: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»، لأنها من جوامع الدعاء، وهي بمعنى ما يقال بين السجدتين: رب اغفر لي، وارحمني، وارزقني، واهدني، وعافني. قال النبي ﷺ: «**تجمع لك خيري الدنيا والآخرة**»، الخمسة هذه، ويُطيل هذا مثلما يطيل القيام في حال تلاوة القرآن، والركوع، والرفع من الركوع، والسجود، وبين السجدتين، نفس الشيء والسجدة الثانية هكذا، وتكون الركعة الأولى على النصف من الثانية في جميع الصلوات، وأما الركعة الثالثة والرابعة فهي يُقرأ فيها بفاتحة الكتاب فقط، إلا في الظهر فلو قرأ الإنسان أحيانا بعض ما تيسر زيادة على فاتحة الكتاب في الثالثة أو الرابعة فلا بأس، أفتى بذلك العلماء، واستندوا إلى آثار في هذا الشيء، وإلا الأصل أنه يقرأ الفاتحة بترسي هذا الذي ينبغي.

لكن بعض الناس في السجود الذي هو أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، صليت بجنب إنسان يوم من الأيام والله ما أدري ما يقول، يقول سب، سب، سب!، ما أدري ايش يقول هذا يعني يسرد أو يسب الله!، سبحان الله العظيم من السرعة يعني، ولا يدري أنه مخل في صلاته وأنها لا تقبل

منه، والرجل الذي صلى وخفف الصلاة قال له النبي ﷺ: «**وعليك السلام، ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ**».

مرتين أو ثلاثة حتى قال: «**والذي بعثك بالحق لا أُحسن غير هذا فعلمني**»، فعلمه النبي ﷺ كيفية الصلاة، ونص على الطمأنينة فيها، وقال: «**افعل ذلك في صلاتك كلها**» فالطمأنينة ركن من أركان الصلاة، ما تصح الصلاة بدونها، والخشوع سكون الجوارح وغض البصر وحضور القلب وتدبر القلب والعقل فيما يقوله الإنسان في أركان صلاته من تلاوةٍ وأذكار ودعوات يتدبر، ولذلك لو تأخذ دعاء واحد وتكرره يكفيك، ما هو بشرط إنك تنوع وتجيب أربعة أدعية أو خمسة لا كرره أكثر خمس مرات، عشر مرات، عشرين مرة، خمسين مرة، مئة مرة، في صلاتك النافلة وصلاة الليل، أو صلاة الضحى، النبي ﷺ في صلاته هذه التي يذكرها حذيفة.

وذكر ابن مسعود رضي الله عنه ما يقاربها قال: **هممت بأمر سوء**، قالوا: ليش ما هممت به؟ قال: **أجلس وأدع**. يعني لطول القيام، وابن مسعود رحمه الله كان رجلا قصيرا نضو الخلقة نحيف، نحيف حتى أنه صعد شجرة ذات مرة بأمر النبي ﷺ لحاجة، فعجب الصحابة رضي الله عنهم من دقة ساقيه وضحكوا، قال: «**أتعجبون من دقة ساقيه، والله إنها في الميزان أثقل من جبل أُحد**»، ليش؟ لما في قلبه من الفقه، والإيمان، والإخلاص، ومراعاة السُنة، ولهذا قال عنه عمر رضي الله عنه: «**إنه كُنيفٌ**». – وعاء مُلئ علمًا.

وقال هو عن نفسه: **إني حفظت من فِيّ رسول الله ﷺ سبعة عشرة سورة من القرآن، وما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيمن نزلت ومتى نزلت، ولو أعلم أن رجلًا أعلم مني بكتاب الله تعالى تبلغه الإبل لركبتها لأطلب العلم عليه زيادة**، وقال النبي ﷺ فيه: «**مَن أحب أن يسمع القرآن غضا كما أُنزل فليسمعه من في أم عبد**».

فهو من خواص الصحابة رضي الله عنهم في حفظ القرآن، وحُسن تلاوته، والفقه فيه، وهو من فقهاء ومفتي الصحابة رضي الله عنهم، وكان هو مفتي الكوفة في زمن عمر وعثمان، فله شأن هذا الرجل، فالمقصود: أنه على هذا يقول هممت بأمر سوء، يعني أني تعبت من الوقوف، والنبي ﷺ يصلي بهذه الطريقة في تلاوة القرآن، في التسبيح، في الركوع والسجود، فيما بين الرفع من الركوع، فيما بين السجدتين، في التشهد كذلك، كله طمأنينة وخشوع وتكرار وتأمل وتدبر وإخلاص لله عز وجل وضراعة إليه حتى قالت

عائشة رضي الله عنها: "إني التمست النبي ﷺ ذات ليلة"، تظن أنه ذهب إلى إحدى نسائه، فقدته من فراشها، "فوقعت يدي على عقبيه وهو ساجد يقول: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك، رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»، وربما قال: «يوم تجمع عبادك». فقلت: "فداك أبي وأمي يا رسول الله أنني لفي شأن وأنت في شأن".

فالمقصود: أن هذه نأخذ من هذا العناية بشأن الصلاة، وأنها مكيال من وفى وفى الله له، ومن طفف فقد قال الله تعالى في المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾، سواءً كان الإنسان إماما، أو كان منفردا، وسواء كان في الفريضة أو في النافلة، ويراعي صفة صلاة النبي ﷺ لقوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي». وكما قال في النسك: «خذوا عني مناسككم».

فالأسوة هو النبي ﷺ ما هو هوى النفس، ولا أهواء النفس، والتخفيف يكون بحدود، النبي ﷺ قرأ عدة قراءات في أحوال حتى أنه في الفجر في سفر في الفجر في سفر قرأ بالركعتين ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر:١-٢].

ردده في الركعتين لحال اقتضتها هذا. وهكذا، فكان ﷺ يطيل تارة ويتوسط تارة ويخفف تارة ويقصر تارة من أجل أنها تشمل سُنته أحوال الأمة كل أحد يقتدي به في الحال التي هو فيها، وهذا من بركته ﷺ، فالنبي ﷺ جعل الله فيه من البركة أنه أسوة لولي الأمر في ولايته ولي الأمر العام الملك، أو الرئيس، وأنه أسوة للعالم في علمه، وتعليمه، وفتاواه، وكذا، وكذا، وكذا، وأنه أسوة للزوج في عشرته لأهله، وأنه أسوة في الصاحب لأصحابه، وأن .... (٢٨:٥٩) أسوة في الفقر والغنى، حتى أنه يُرسل مرة يجيه ضيف يرسل تسعة أبيات من بيوته ما يجد عندهم .... الضيف ...

وله أحوال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو أجود من الريح المرسلة في العطاء والبذل، وأحيانا يأتي لأهله: هل عندكم غداء؟ ما عندنا غدا، فيقول: إني صائم. لأنه ما أكل شيء قبل هذا ويُحسب له من حين نوى إلى أن يفطر، والمرة الثانية يیجي يقول: عندكم غدا؟ يقول: نعم، قال: إني أصبحت صائما ناوي ....

لأنه جائع وصام من غير سحور ما عنده شيء، فهكذا سُنته صارت مباركة لتشمل عموم الأمة حتى في حفظ الأمانة، حتى في كذا، حتى في كذا، في كذا، في كذا، حتى في كيفية الغسل، في كيفية جماع الأهل، في كيفية اللبس، في كيفية الخلع، في كيفية النوم، في كيفية اليقظة، في كيفية الوضوء، في الإهداء،

في صلة الرحم، في عيادة المريض، كل شيء أسوة فيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

فليس بمتكبر، وليس بمتجبر، وليس بالأشر البطر، وليس بالصخاب في الأسواق، وليس بالفاحش البذيء، وليس كذا وكذا وكذا صانه الله عز وجل عن مساوئ الأخلاق وجبله على محاسن الأخلاق، وكان يقول: اللهم اهدني لمحاسن الأخلاق، لمكارم الأخلاق ومحاسنها، واصرف عنها سفسافها وسيئها، فجعله الله تعالى مباركا أينما كان وسُنته بين الناس من ذاك اليوم إلى اليوم وإلى أن يأتي الله بأمره.

ما أحد إلا له أسوة فيه، حتى في عسر الدين عسر الدين له أسوة بالنبي ﷺ، حتى في سرعة الفرج من الله عز وجل له أسوة بالنبي ﷺ، حتى في صلاته في حال المرض له أسوة بالنبي ﷺ، حتى في الصوم في السفر، في الصلاة في السفر، كل شيء يحتاجه المسلمون لهم فيه أسوة ﷺ حتى في اللبس، ما هم مثلكم يشخص كل يوم ثوب، فهذا إسراف، كان يوجد المني في ثوبه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإذا أراد أن يخرج إلى الصلاة إن كان يابسًا يُفرك، وإن كان رطبًا يُسلت، وإن غُسل نُضح بالماء يخرج وبقع الماء في ثوبه من البساطة والعفوية، حتى يأتي ليقف موقف الإمام ليصلي ويذكر أن عليه جنابة ويذهب لبيته ويغتسل ويجيء ورأسه يقطر ماءًا، ما يقول لا ايش يقولون الناس، أسوة حسنة في كل شيء عليه الصلاة والسلام، فكون الناس واحد يلبس أغلى الثياب، وكل يوم جديد، وكل يوم كذا وكذا ترى هذا إسراف والله ستسألون عنه ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر:٨].

مرة واحدة شبع النبي ﷺ وصاحبيه أبو بكر وعمر قال: هذا من النعيم الذي ستسألون عنه. فكيف ونحن نشبع كل يوم ونُسرف كل يوم ونُكب النعم محل النفايات وبالقاذورات وبالبراري والصحراء للتخلص منها، وحتى إذا وزعت على الفقراء والله ما هو بنية الصدقة بالتخلص منها، لأنه راعي القصر يتأذى منها، وراعي البيت يتأذى منها، ويتخلصون منها ما هو بحسبة، فبعض الناس يحتسب وبعضهم ما يحتسب، فكونا بس، وهكذا الواحد ....، الواحد يتعود التواضع، ويتعود التبذل لأن النبي ﷺ كان يبتذل أحيانا يتبسط في كل شيء أسوة في كل شيء، حتى في الاقتصاد في ماء الوضوء كان يتوضأ بالمد ملء اليدين وهو متوسط خلقة اليدين، يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع الصاع وايش هو؟ ما هو بتانكي

الصاع بيدي النبي ﷺ أربعة أمداد كذا أربع مرات، وربما زاد خامسة، فهذا هديه عليه الصلاة والسلام، وفي كل شيء، ويأكل بتواضع، ويقول: «**المؤمن يأكل في معيٍ واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء**».

يقول: «**ما ملأ وعاء آدمي وعاء شر من بطنه**»، هكذا.

ويقول: «**لا تدرون في أي طعامكم البركة**»، ما هو بكثرة الأكل، ولهذا أمر بلعق الصحن، ولعق الأصابع، وإذا ما حصل يلعقها امرأته عليه الصلاة والسلام، ويقول: إذا ما وجد يلعقها دابته لأن في يده البركة، هذه سنته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

والناس يقومون وأيديهم نصفها طعام ويغسلون، وين تقدير النعمة، وين طلب البركة، حتى فيهم كبر عن طلب البركة، ما يبغون البركة، ولهذا يأكلون من وسط الصحفة ويأخذون من يمين ويسار ولا يراعون شيء، والله إني أراهم الله في المناسبات ما أحد يلعق موضع مأكله ما يلعق أبدا، وربما نفض يديه على السماط هذا كفر بالنعمة، هذا ازدراء للنعمة، هذا جفاء، هذه مجانبة لهدي المصطفى ﷺ، هذه أسوة السوء لأهل البيت ومن يحسن الظن بك، بس تنفض يديك وتقوم، سبحان الله، وربما نفض ثوبه بعد قدام الناس، ما يقبلون الناس ترى ..... (٣٥:٠٥) مثل كونهم بالمسجد وواحد على عمود وتظنه يقرأ القرآن وهو يتابع بالجوال مشغول خارج المملكة وخارج بلاد المسلمين مع الكفار حال الخطبة، فترى أننا رأيناهم وبحثنا عنهم ووجدناهم كذا، لا سمع خطبة، ولا سمع تلاوة قرآن، ولا قرأ المصحف وهو في المسجد.

وكم مرة حذرنا من قراءة القرآن في الجوال لأنه يفتح الأبواب الشيطان يفتح الأبواب بواسطته حتى ما يقرؤون في المسجد، ما نحرمها، ولكن لأنها تُلهي ينفتح عليك بابا ما أخذت حسابه أنت، يتصل عليك شيطان من الشياطين وأنت في المسجد وتنشغل عن الصلاة وربما خرجت من المسجد أنا رأيتهم خرجوا من المسجد، وتفوته الصلاة وهو يدور على المسجد إي نعم نعم ويومئ بيديه كأنه مجنون، يمشي في الشارع أمام الملأ كأنه مجنون، ليش؟ لأنه معه جوال مشغول بفكرة، مشغول باتصال، اتصال تافه، ليش المفروض يا جماعة ما أحد يجيب الجوال المسجد أبدا، لأن المساجد تحولت إلى مثل الكنائس أجراس عن اليمين واليسار، ولو تأخرت الإقامة دقيقتين رنت الجوالات، ليش؟ لأن مسجد السوق طلع، والذي صلى بمسجد السوق يلزم على صاحبه يقول: تعال عجل،

طيب هذا مسجد جماعة مسجد حي ينتظر على جمهور الجماعة ما هو كلهم جمهور الجماعة، والناس على خير وتصلي عليهم الملائكة ودعاءهم مستجاب، والله تعالى يشهدهم أنه غفر لهم وأعطاهم ما سألوا، والواحد يمر بالساعة عشرين مرة، ليش؟ دقيقة فاتت أو دقيقتين كأنه في سجن!، والله إني أخشى أن الذي هذه حاله أن يبدله الله يوم من الأيام بالسجن.

وإنما سجنه يكون في القبر لاستهانتهم بالصلاة، كله من أجل الدنيا موعد، موعد، موعد وين هو؟ موعد بالاستراحة، موعد بقصر أفراح، موعد بشركة، موعد بكذا، موعد بكذا، لكن الصلاة ما لها قيمة عجلونا أعطونا إياها، النبي ﷺ: «**أرحنا يا بلال بالصلاة**»، «**جُعلت قرة عيني في الصلاة**»، وهو يقول: أرحنا من الصلاة، عجل، فرق بين هؤلاء وبين السُنة، فماذا لو مات هذا؟ والله الذي لا إله إلا هو إني أخشى الذي يستهين بالصلاة بهذه الطريقة إنه إن ما سُجن في الدنيا عقوبةً له إنه يكون سجنه في القبر، أو يكون في النار، لاستخفافه بالصلاة وتهييج العوام ..... (٣٧:٥٧) تعال .. علشان ايش أنت في روضة من رياض الجنة، الملائكة تحفك، يكتب لك صلاة وأنت في مصلاك، دعاءك مسموع ومستجاب، إذا توطنت المسجد تبشبش الله لك كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم بعد مسافة وغيبة طويلة، إلى متى طيب إلى متى هذا؟ وكل يوم منحدرين الناس إلى أسافلهم، يصير الدين أرخص شيء على الله، والله إنهم يأكلون بالشمال ما يأكلون باليمين، والله ما يقولون: بسم الله عند الأكل، والله ما يقولون: الحمد لله، والله ما يلعق مكانه الذي أكل منه مأخذا من الإناء، ما يلعق يديه، ..... على أي شيء يقلد بعضهم بعضا وربما يقلدون الكفار لأنهم يشاهدون القنوات، والأفلام، وغيرها.

سبحان الله، أنتم ما رأيتم الذين يطيحون على أخشاب بل الملاعب الرياضية موتى، ما رأيتم اليوم الذين هم على أخشاب الملاهي ويسقطون موتى، الذين يلقون محاضرات يسقطون موتى، الذين يتحدثون في المؤتمرات يسقطون موتى، انتهت آجالهم ومضوا إلى ربهم رغم أنوفهم، ورغم أنوف الحاضرين، وأقل الأحوال أنه يفصل من عمله ويعفى وهو يلقي خطاب، عبرة هذه، لكن الناس ما يعتبرون، وإذا رأى كلب يمشي بالشارع، ولا وراءه حادث مروري أو جنازة مسدوحة صور تفرجه يا جماعة، ما يقول ادعوا له، استغفروا له، هذا مسكين، هذا صار عليه كذا، اعتبروا بهذه الحال، نتيجة

التهور، نتيجة الزحام، لا، صور تفرج بس، سواء آدمي جنازة، أو .... ، أو حيوان، أو قرد، أو شيء، المهم تتفاجأ تضحك بس، كل الناس يستقبلون هذا، بل مجالس مع الأم ومع الأب ومع الكبير ومع الصغير كل واحد جهازه.

وما هو مع الناس ولا شيء ويضحك بينه وبين نفسه مجنون إلى متى، يا جماعة ترى هذه أمور تحتاج إلى تدبر، وتحتاج إلى منهجية جديدة، وآداب الإسلام إنما تترك آداب الإسلام وتهجر والسنن المأثورة على المصطفى عليه الصلاة والسلام يصيرون الناس كذا، وكل الحر، هذه حرية إبليس، هذه حرية الشياطين التمرد على الله عز وجل، هذا هو، الناس ما يبالون بالشرع ولا بالسنن، والله يدخلون المسجد ويقدم اليسرى، ويدخل الحمام يقدم اليمنى أنا شفتهم بهذه الطريقة هذه! هذه حياة!، يدخل البيت يقدم اليسرى، يطلع من البيت يقدم اليمنى، مجانين!، ما في روية، ما واحد يجلس مع نفسه يتفكر في أمره، ما واحد يتفكر في أحوال أهل بيته، ما أحد يتذاكر مع جليسه في الأوضاع هذه حتى يُذكر ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات:٥٥].

أما كلٍ لاهي بس ومن يوم يطلع حتى عند الباب يقول: ادخل تفضل، بالدخول يدخل هو الأول لا بالخروج يخرج هو الأول، علشان ايش؟ شغله، وبالدخول التي هي روضة من رياض الجنة لا تفضل، اسبقني، يسبقك إلى الخير يا غبي!، ما عندك رغبة في الخير!، يتزاحمون، والأخلاق أسوء شيء حتى عند المرور لو صار زحمة الواحد ما يلتفت يمين ويسار يزحم ويصدم حتى يجوز بس يمشي، ما يقدر الشيبة، ما يقدر الذي يمكن إنه ما يحسن قيادة السيارة، ما يقدر الذي معه مريض، ما يقدر أي شيء، أهم شيء يطلع من هذا الزحام ولا عليه من الناس، هذه أخلاق! والله أخلاق حمير، سبحان الله!، عند باب المسجد تدخله قبلك، وعند الطلوع تطلعه قبله، وعند تزاحم المرور بالشوارع تريد أن تسبق أي أحد والله لو هو الدفاع المدني أو غيره ما يهم أهم شيء يطلع، ما تقدر أن هذا يطفئ حريق، هذا يسعف مريض، هذا معه مريض وأنت ما دري، هذا كذا، هذا كذا، هذا له حاجة ضرورية جاء له خبر أن بيته فيه حريق، بس تطلع ولا عليك، فهذه تراها إشارات أنا أريد من كل أحد منكم وليسمع في الدنيا أنه يتأمل هذه الأمور، ويصير عنده روية، ويراجع في حساباته، وينظر في سلوكياته، وأنها عوجة، عوجة منحرفة في الجملة، وكل يوم الناس مدحدرين رايحين إلى متى !، إلى سقف القبر تريد تطلع، سبحان الله، أرأيتم

أحدا خرج من قبره ليستدرك ما فاته من العمل الصالح، أو يعتذر من القبائح أو يتوب؟ لا، فلابد من التنبه لهذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

- عن أنس رضي الله عنه عن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ المَيتَ ثَلاَثَةٌ: أهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَملُهُ، فَيَرجِعُ اثنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرجِعُ أهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبقَى عَملُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِه، وَالنَّارُ مِثلُ ذلِكَ». رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث حديثان كسابقها في مجاهدة النفس، مجاهدة العبد المسلم نفسه على طاعة الله عز وجل، وكفها عن معصية الله تعالى، وأن تستعد للقاء الله جل وعلا في أي لحظة، ولا يستبعد شيئا، فإن الآجال مؤجلة في علم الله عز وجل، ومغيبة، فما تبين حتى تنكشف وقد تنكشف فجأة، ولهذا بَين النبي ﷺ هذا الشأن، ومن ذلك قوله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»، يعني الجنة أقرب إليك من سير العل الذي بين أصابعك، هو أقرب شيء يضرب به المثل في القرب، والنار مثل ذلك، لأن ما بينك وبين الجنة أو النار إلا أن تخرج هذه الروح وخروجها في علم الله ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤].

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:١١].

فيكون الإنسان على استعداد على الدوام ما يسرح في طول الأمل، وغرور الشيطان، والنفس، ومجاراة الناس على ما هم عليه، ولذا قال النبي ﷺ في الحديث الآخر: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يدري ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضاه إلى أن يلقاه».

وفي الحديث الآخر كذلك «أنه يدخل بها الجنة»، ويقول الكلمة السيئة من سخط الله لا يدري ما بلغت، لا يبالي، فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه، أو يكون بها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، فلا ينبغي للإنسان أن يعيش على الأمل وعلى الغرور أبدا، الآجال مؤجلة وهي مغيبة ولا تأتي إلا فجأة، والغالب أنها ما تأتي إلا في حال طول الأمل، هذا هو الغالب، والتسويف ليس شيئا هذا غرور، فيكون الإنسان حريص على مجاهدة نفسه على طاعة ربه تبارك وتعالى، وعلى البعد عن

معصيته، وعلى التوبة من الخطيئة في حقه سبحانه وتعالى، وفي حق الخلق، حتى يكون مستعدا للقاء الله في أي لحظة، ويلقى الله عز وجل على أحسن عمله يُختم به ويُبعث عليه، لأنه يُبعث كل عبد على ما مات عليه، وإن طال عمره ازداد خيرا لخيره كما في الحديث الآخر: «**خيركم من طال عمره وحسُن عمله**»، جعلنا الله وإياكم كذلك.

وسئل النبي ﷺ: من أفضل الناس في الإسلام؟ قال: «**من يعمر في الإسلام لتسبيح الله تعالى وتقديسه**» فلا يستبعد الإنسان الموت أبدا، والذي يستبعد متوهم، أبدا، والناس يشاهدون مصارع الناس ومناياهم يوميا هذا على خشب المسرح، وهذا في المعلب، وهذا في الحادث في الطريق، وهذا وهو نائم، وهذا بعدما استيقظ، وهذا كذا، وهذا كذا، تعددت الأسباب والموت واحد، فأقصر طريق للإنسان إلى الجنة والنجاة من النار أن يكون مستعدا للقاء الله عز وجل على أحسن الأحوال، افترض أن هذه الساعة اللحظة التي أنت فيها هي التي تلقى الله عليها، فإن مد الله في عمرك وفسح في أجلك، ومكنك أن تستفيد من صالح عملك، وتستقيل وتستغفر من زللك فتكشر الله عز وجل على نعمته، وإن قبض قبضك على خير وإن كنت على عمل صالح، تباشر عملا صالحا وتنوي عملا في المستقبل إن مهما انفسح لك في الأجل فإنك تسابق إلى صالح العمل، «**بادروا بالأعمال**»، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران:١٣٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المؤمنون:٦١] -وضمن الله لهم الوصول- قال: ﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون:٦١].

فما عليك إلا أن تسارع وتبادر وتتأسى بالنبي ﷺ، تقتدي بالنبي ﷺ، كان بعض السلف رحمنا الله وإياهم إذا أُخبر أن أخًا له في الله قد توفي؟ على طول دعا للميت بالرحمة، ثم قام وصلى ما كُتب له إن كان غير وقت نهي، ورفع يديه وشكر الله عز وجل على المهلة أنه مهله بعد أخيه حتى يصلي ركعتين، أو ما زاد، هؤلاء الذين يعرفون قيمة اللحظات، وفرص الحياة، وأنها تجارة مع الله تعالى لن تبور، وأما

المغرورون المتمنون المسوفون فهؤلاء ليسوا على شيء، هؤلاء أهل الغفلة، وأهل الغفلة شبههم الله تعالى بالأنعام، بل هم أضل، ما يدرون لما خلقوا؟ وإلى أين يذهبوا؟ ولا يبالون في أي حالة يذهبون بالموت؟ فلا تكن مثل هؤلاء يا عبد الله، كما قال ﷺ في الحديث السابق: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله**»، وقال: «**المؤمن القوي**»، يعني في إيمانه وعمله. «**خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء**»، يعني أو فاتك شيء فلا تتمنى معترضا على المقادير، ولا تفترض، هل اطلعت الغيب! لا تقل: «**لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله، أو قدر الله هذا قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

تفتح التسويف والغرور والاعتراض على المقادير، وسوء الظن بالله جل وعلا، والتحسر على ما فات وليس براجع، والانشغال بالحادثة عن عملٍ صالح تستفيد منه، وفرق بين نفسٍ يمضي بخمسين كلمة تقول فيها: لا إله إلا الله، أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ونفس يذهب .... (٠٩:٢٠) في شيء، وأخسر صفقة أن يذهب هذا النفس أو اللحظة في معصية الله وقد يختم لك به فتلقى الله على معصيته، من يرضى بهذا والعياذ بالله من سوء الخاتمة، فينبغي للإنسان أن يتفكر ويعقل ويتأمل ويتذكر ويتبع السلف الصالح على ما كانوا عليه، ولا يعيش على الأمل والغرور، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر:٥] الغرور: الأمل والشيطان.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر:٦] مَن أطاعه ﴿ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾ [فاطر:٦]. نعوذ بالله من السعير، لا يستبعد الإنسان لا الجنة ولا النار بل يعمل للجنة ويأخذ بأسباب النجاة من النار هذا العاقل، هذا المؤمن، «**والمؤمن كيسٌ فَطن**»، كيسا يعني لبيب عاقل وحازم في أمره، وأنت في طريقك للآخرة شئت أم أبيت ولا تدري متى ساعة الفراق إن كان عندك علم فخذ بعلمك، وإن ما كان عندك علم فخذ بهدي النبي ﷺ وسنته، وأنى لك العلم في هذا.

كم من صحيحٍ مات من غير علةٍ ... وكم من سقيمٍ عاش حينًا من الدهر

آخر العمر وآخر عمر المعمر، فينبغي للإنسان أن يكون حازما في هذا، ولا يسوف، ولا يعيش على الغرور والأمل، ولا يغتر بما عليه أكثر الناس، لأن الله تعالى وصف أكثر الناس بالغفلة، وأنهم يضلونك عن سبيل الله، وأنهم قليلٌ ما هم، وأنهم قليلٌ منهم الشكور، وأنه قليلٌ ممن يتذكر، فلا تكن مثل هؤلاء احذر، فإن لم تكن كما وصف النبي ﷺ كيسا فطن فأنت كيس لحم وهذا غرور لا تهتم لا بحياتك ولا بمستقبلك بعد مماتك ولا لخاتمتك ولا للقاء ربك، فاتق الله يا عبد الله وخذ حذرك والله تعالى قال في التنزيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء:٧١].

أسأل الله للجميع حسن الخاتمة، وأن يتوفانا أحب ما كنا إليه وكان إلينا، وأن يجعل منقلبنا إلى الجنة ويجيرنا من النار، ويجعلنا من أهل الفردوس الأعلى مع الأخيار، ووالدينا، وولاة أمرنا، وأزواجنا، وذريتنا، وأهلينا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ المَيتَ ثَلاَثَةٌ: أهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرجِعُ اثنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرجِعُ أهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبقَى عَمَلُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- عن أبي فِراسٍ ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميِّ خادِمِ رَسُول الله ﷺ ومن أهلِ الصُّفَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنْتُ أبيتُ مَعَ رسولِ الله ﷺفآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ: «سَلْنِي» فقُلْتُ: اسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوَ غَيرَ ذلِكَ»؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». رواه مسلم.

- وَعن أبي عبد الله، ويقال: أَبُو عبد الرحمان ثوبان - مولى رَسُول الله ﷺ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ للهِ سَجْدَةً إلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث كسابقتها فيها الحظ على مجاهدة النفس على طاعة الله، والعناية بها، فإنها هي الزاد في النقلة من الدنيا إلى الآخر، وإلى الجنة، ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]، أي تزودوا لدار مقركم بأفضل زاد وخير الزاد التقوى، ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧].

وهذه الأحاديث الثلاثة رواها ثلاثة من خواص النبي ﷺ، من خدم النبي ﷺ، الذين يلازمونه في أكثر الأوقات، فالأول عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يتبع الميت ثلاثة» يعني يتبعه يوم يموت إتباعًا للحاجة يعني، فالأول: أهله يشيعونه، ويتولون دفنه، والاطمئنان عليه يعني بعد الصلاة عليه، والمراد بالأهل هم الرجال، أما النساء فإنها ممنوعة عن إتباع الجنائز، وإن النبي ﷺ قد لعن زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج، الذين يعظمونها لتُعبد من دون الله يعني، فقرن زائرات القبور بهؤلاء الذين يبتدعون بدعة تعظم بها القبور لتعبد من دون الله، وقال ﷺ في حديث آخر: «ارجعن مأزورات غير مأجورات»، وهن في الجملة ما عندهن إلا البكاء والنياحة، فإذا تبعن الجنازة غلبت عليهن العواطف، وبكين أمام الناس حتى، واليوم في الزمن هذا زمن فتنة وتكشف وتبرج، فيجتمع بين النياحة والتبرج ألا شعوري ما نقول أنه عن قصد، والنائحة التي تبكي على الميت جزعًا

عليه لتُسمع الناس إذا لم تتب قبل موتها تبعث يوم القيامة وعليها لباس من النار سربال من قطران ودرع من جرب.

وهذه مسألة بدأت تفشو بين الناس لأسباب، الاستحسان لمن ليس عنده دراية أو عناية بالشرع، والثاني: المجاراة حتى إنك وأنت مار مع رصيف الشارع تسمع أصوات النساء عالية بالبكاء والعويل، وهذه فتنة عظيمة، وقد حملتهن فيما بلغني على الذهاب إلى المقابر والوقوف على أسوار المقبرة إذا لم يحصل لها وتدخل، فكل هذا من المحدثات العظيمة، ومن الفتنة التي هلكت بها بنو إسرائيل في الزمن الأول، ويهلك بها من يهلك من هذه الأمة، فليُحذر هذا، أمهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ صلين على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهن في بيوتهن، ما تبعن الجنازة، ولا خرجن من المسجد، مع أن بيوتهن في جوانب المسجد.

والآن تنتشر رسائل من بعض النساء أنها تذهب تودع فلانا والدها، زوجها، ولدها، وقد تقول: أنها تلقي عليه النظرة والقبلة الأخيرة، وتدعو بما في ذاتها لهذا، وهذا من المنكرات العظيمة، ومن الزور، فلذلك ينبغي أن يُحذر هذا ولا ينتشر لا تكن سببا في نشره، ولا تحسينه أن ترسل رسالة بالجوال أنه صار كذا أو كذا على وجه الإعجاب؟! لا احذر، والمرأة نفسها ينبغي لها أن تحذر، لأن من سَن سُنة سيئة في الإسلام فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا.

«**ومَن دعا إلى ضلالة كان له كذلك من الآثام مثل آثام من تبعه**».

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قدوة السوء: «**لا تُقتل نفسٌ ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها**»، يعني إثم لأنه ايش أول من سن القتل، قتل أخاه، فارتكب جريمتين: الأولى: القتل، والثانية: قطيعة الرحم.

فهذا منكر عظيم وشديد وصاحبته ملعونة على لسان النبوة، فإن كان خبرا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو صادق، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وإن كان دعاءً فدعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحرى بالإجابة، لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن زوارات القبور، فليُنتبه لهذا فإنه من المنكرات العظيمة، ومن موجبات الآثام الكبيرة، ومن أسباب التبرج والفتنة، ومن أسباب ظهور النياحة، ومن أسباب التعلق بالقبور والموتى، فعلى ولي الأمر ولي أمر المرأة أن يمنعها من هذا، وجاء في خبر الدجال أعاذنا الله وإياكم من فتنته أنها تتبعه النساء من ضمن من يتبعونه من أصناف الناس، وأن ولي المرأة من أبٍ أو ولدٍ أو أخ يقيدها

بالقيود الثقال حتى لا تتبع الدجال، ليش؟ لأنها تتبع الفتنة، وإذا تبعته اتبعته، ولذلك النبي ﷺ أمر قال: «مَن سمع بالدجال فلينأ عنه، ومن سمع به فلا يأته لعظم فتنته، فإن فتنته أكبر فتنة منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وإلى أن تقوم الساعة».

وهذا العمل الذي أخبر به النبي ﷺ أنه يكون من النصحاء، من المسلمين من ولاة أمر النساء ينبغي أن يُتخذ في هذه الظاهرة الجديدة، وأن يُمنعن بحزم وجزم، ومن يهمه الأمر هذا من الجهات الرقابية وجهات الاختصاص أن تتخذ في هذا إجراءً، ولها أن تسأل اللجنة الدائمة للإفتاء عن حكم ذلك، أما أن تؤخذ فتوى من أي أحد أو تستورد من الخارج فهذا عبث بأحكام الشريعة، وهذا سعيٌ في الإضلال، وهذا مشاركة في الفتنة، فلا ينبغي التساهل في هذه الظاهرة، ومثل ذلك ما نُقل أيضا أن بعض الأطفال يعجبون الناس أنهم ذهبوا يوم العيد لأجل أن يزوروا أو أن يعايدوا ذويهم من الأموات، طفل هل مكلف هذا عمره أقل من سبع سنين!

فكيف يكون هذا يستحسن في بلاد التوحيد كيف؟ وكيف يكون خروج النساء من بيتها مسافة تتبع الجنازة وتلزمها .... وتصلي عليها أولًا قالوا هذا أولا، ثم قالوا بعد ذلك في إلقاء النظرة الأخيرة عليه، فمن دخل الغرف المخصصة لذلك رأى العجب العجاب من هذا، فاتقين الله يا إماء الله ولا تقعن في لعنة النبوة، ولا تكن مأزورات غير مأجورات، ولا تتمادين في التسبب في إظهار البدع والفتن، واتقوا الله يا أولياء النساء وقوموا بواجبكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ﴾ [التغابن:١٤].

احذروا هذا، فهذا أمرٌ مهم وخطير جدا، ولا يسع المسلم أن يرضى به، كيف ترضى بأمرٍ لعن النبي ﷺ فاعله؟ كيف؟ هل يجتمع هذا مع حبك للنبي ﷺ وإيمانك به وتوثيقك لخبره وإتباعك لشريعته، وطاعتك لأمره، واجتنابك لنهيك؟ ما حققت شيء من هذا كله، فاتق الله يا عبد الله واتق الله يا أمة الله في هذا الأمر، فإنه أمرٌ خطير وكبير وإنه فتنةٌ شعواء، وإن عواقب ذلك وخيمة، وإنه من المنكرات الظاهرة التي إذا لم تُغير ويُعاقب من يُصر عليها عقوبةً بليغة تردعه وتزجر غيره، فإنها تنزل

العقوبات القدرية، والعقوبات القدرية تعم وتستأصل، وللحديث صلة إن شاء الله في تكميل بيان معنى الحديث.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

- عن أنس ﵁ عن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ المَيتَ ثَلاَثَةٌ: أهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَملُهُ، فَيَرجعُ اثنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرجعُ أهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبقَى عَملُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وَعن أبي فِراسٍ ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميِّ خادِمِ رَسُول الله ﷺ ومن أهلِ الصُّفَّةِ ﵁ قَالَ: كُنْتُ أَبيتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ فآتيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ: «سَلْنِي» فقُلْتُ: اسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوَ غَيرَ ذلِكَ»؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». رواه مسلم.

وَعن أبي عبد الله، ويقال: أَبُو عبد الرحمان ثوبان مولى رَسُول الله ﷺ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ للهِ سَجْدَةً إلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث في مجاهدة النفس على العمل الصالح، وخصوصا الفرائض، وشروط القبول التي لا يقبل العمل إلا بها، ثم الاستزادة من الخير، وتوقي المعاصي، والتوبة إلى الله من الذنوب، فيُخبر النبي ﷺ أن الميت يوم يموت يتبعه من شؤونه الخاصة يتبعه أهله الرجال، لأجل أن يشيعوه ويدفنوه ويتولوا بدفنه، ويتقربون بذلك إلى الله ويؤدون حقه.

والله عز وجل قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:٧٠].

فمن وجوه تكريم بني آدم: أن الإنسان عامة والمسلم خاصة يهيأ يوم يموت للدفن، فيُغسل، وتُغير ملابسه يلبس من أحسن الملابس، ويُطيب، ويُعتنى به، حتى أنه يُجهز ما يُشبه تجهيز العروس، ثم أنه يتعين على ذويه وجيرانه وإخوانه ومن له به صلة، ومن علم عن حاله أنه توفي أن يُشيعه، أن يُشيعه إلى المسجد للصلاة عليه، ثم من المسجد إلى أو المصلى لأنه كان في زمن النبي ﷺ في مكان مخصص لصلاة الجنازة، فلا يصلى على الجنازة في المسجد إلا إذا لم يكن هناك مصلى مخصص، فينبغي أن يكون في مصلى مخصص، فيُشيع من المصلى إلى المقبرة للدفن، فهذا فيه جبران لأهله، وإظهار لقدره وكرامته، وحفاوة به، واعتبار بحاله، وما سيقدم عليه، ففيه مصالح عظيمة، ولهذا رُتب الأجر العظيم

على هذا يستهين به بعض الناس، أكثر الناس خصوصا في هذا الزمان يذهبون مجاملة مداراة مراعاة لاعتبارات دنيوية رئيسي في المكتب، شريكي في الشركة، صديقي كذا، لا، ينبغي أن يكون هناك حسبة للثواب، قيل لبعض السلف: تعال معنا نشهد هذه الجنازة؟ قال: دعني حتى أنوي. يعني أنوي أحتسب حضور الجنازة أحتسب الأجر وأداء حق أخي علي.

ومواساة وجيران أهله، والاعتبار بحاله، كل هذه أعمال صالحة جدًا، وتنبني على النية فإن كانت عن نية صالحة صارت عبادات وأُجر عليها، وإن كانت بدون نية فهي من الأمور العادية ومجاملات الناس بعضهم لبعض، فليس عليها أجر، والأجر العظيم المرتب على ذلك كبير، فمن صلى على الجنازة فله قيراط من الأجر، وحدد النبي ﷺ القيراط بأنه مثل جبل أُحد الذي في المدينة تعرفونه الذي وقعت عنه الغزوة غزوة النبي ﷺ جبل عظيم وكبير ومستطيل، وجاء به النبي ﷺ لخصوصية فقال النبي ﷺ في "أُحد": «**جبل يحبنا ونحبه**».

فلك مثله هذا فقط على الصلاة على الجنازة.

والثاني: التشييع إلى أن يُفرغ من الدفن، فلك قيراطٌ آخر مثل هذا.

قال بعض الصحابة لما حُدث بهذا، وكان ما حفظ هذا هو عن النبي ﷺ ما سمع منه، فسمعه من أحد الصحابة، فقال: والله لقد فرطنا في قراريط كثيرة، يعني ما كنا ندري، ولزم الصلاة على الجنائز وشهود الجنائز، وهذا ولله الحمد أجرٌ كبير على عملٍ يسير، ولا سيما إذا كتب الله لك أنك حول الصلاة، قبل الصلاة، تمر بالمسجد، أو حول المسجد يصلى فيه عادةً على الجنائز، فتصلي على جنازة جنازتين عشر خمسة عشر كم يحصلك من القراريط؟ هذه ما تحصلها في عمرك إلا أن يشاء الله، فلا تنبغي الاستهانة بهذا، بل يكون الإنسان له حسبة أنه يشوف يوم يكون له فراغ فيه فيتحرى الجنائز أن يصلي عليها ويشيعها، لا لخصوصية اليوم لكن لكونه في فراغ عنده فراغ هو عنده تيسر من مشاغله فيكون هذا أيسر له، أما أن إنسان يُفرط أو يذهب مجاملة ومدارة فما ينبغي هذا، هذه عبادات، بعض الناس يكسل عن حضور المصليات، أو المساجد التي يُصلى فيها على الجنائز ثم يذهب ويصلي في المقبرة ما يصلي الجنازة لا يصلي الفريضة، لأنها فاتته.

ولا يجوز صلاة الفريضة في المقبرة أمام القبور الصلاة ذات الركوع والسجود ما تُفعل في المقبرة حتى لو اضطررت، كيف تصلي أمام قبر؟ هذه أسوة سوء، أما الصلاة التي ما فيها ركوع وسجود هي صلاة الجنازة فتصلي بالمقبرة على الجنازة نفسها، أو عليها بعد الدفن، وحتى ولو كنت صليت أنت على جنازة في المسجد، ثم جيء بجنازةٍ أخرى للمقبرة فتصلي عليها، لو جُمعت عدة جنائز وبعضها صليت عليها في المسجد فتصلي عليها في المقبرة مع الناس، لا تفوت الفرصة، فهذا من فقه صلاة الجنائز، وتكبر التكبيرات المطلوبة أربع تكبيرات الأولى بعد الفاتحة الأولى تكبر وبعد الاستفتاح تقرأ سورة الفاتحة، والثانية: تكبر وتصلي على النبي ﷺ.

والثالثة: تكبر وتدعو للميت ولنفسك وللمسلمين، تقول: اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته فتوفه على الإيمان، وتدعو، اللهم اغفر له وارحمه، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد والماء البارد، ونقه من الذنوب كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم ارفع درجته في المهديين، واخلفه في أهله بخير في الغابرين، واغفر لنا وله يوم الدين، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا له.

وإن قلت: اللهم أنت خلقت نفسه وأنت توفيتها، نسألك بأنك الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر له، وتحرمها على النار، وتدخلها في الجنة مع الأخيار، اللهم أبدله دارا خيرا من داره، وزوجا خيرا من زوجه، وأهلا خيرا من أهله، وتدعو له وتخلص له الدعاء.

والرابعة: بعدها تقف بعدها وتسلم يعني تبعا للإمام إذا صليت مع الإمام، وإذا صليت وحدك تراعي هذه الأشياء، لكن الكلام إذا فاتتك تكبيرة، أو أكثر، فما أدركته مع الإمام هو الأول من صلاتك أنت تقرأ فيه في الأولى الفاتحة، وفي الثانية تصلي على النبي ﷺ، وفي الثالثة تدعو للميت، وفي الرابعة تقف بعدها وتسلم، فما أدركته مع الإمام الذي يصلي مع الجنازة فهو أول صلاتك أنت، لو كان هو الثانية أو الثالثة أو الرابعة وتُخفف حتى لا ترفع الجنازة وأنت تصلي، فلابد من العلم بهذا ما أدركته هو أول صلاتك مثل إذا صليت مع الإمام في المسجد ما أدركته فهو أول صلاتك، وما صليته بعد سلام الإمام هو آخر صلاتك، ومثل هذا لو قُدر أن الإمام سهى، فإن كنت على علم بأنه سهى فالأولى أنك

تسجد معه للسهو قبل أن تقوم، وإن كنت لا تدري وقمت واقفا فأنت تصلي ثم بعد ذلك تسجد للسهو قبل التسليم، أو بعد التسليم إن كان السجود بعد التسليم، والسجود الأصل فيه أنه قبل التسليم سجود السهو، وبعد التسليم في حالتين:

الحال الأولى: إذا سلم الإمام أو المنفرد قبل تمام صلاته سهوا، فتسليمه وقع في غير محله فهو زيادة في الصلاة ينبغي أن يكون السجود بعد التسليم من الفريضة.

والحالة الثانية: لو أنه تردد هل هو صار له سهو ولا لا؟ هل ترك شيء من التسبيح الواجب في الصلاة؟ هل ترك ركن أو غير ذلك؟ تردد ثم تفكر وترجح لديه شيء؟ ففي هذه الحالة يعتبر هذا مثل الزيادة فأولوية السجود تكون بعد التسليم.

وإن جعل كل سجوده قبل التسليم فلا بأس الأمر واسع في هذا، فهذا لابد أنه يُذكر عند المناسبة حتى يستذكر الناس، فيقول النبي ﷺ: "يتبع الميت ثلاثة: أهله" . يعني: الرجال، وسبق الكلام على النساء ما تتبع الجنازة، لكن لو صلت في المسجد هي عرضا مثل مساجد الأسواق أو غيره أو مرورا فتصلي على الجنازة مع الناس، لأنها مشروعة للذكر والأنثى.

أما قصدا فلا ينبغي هذا، ولذلك بعض أمهات المؤمنين صلين -رضي الله عن الجميع- صلين على عمر وهن في بيوتهن جيء بالجنازة أمام بيوتهم أبوابهم، وصلت بعض أمهات المؤمنين على سعد بن أبي وقاص مات في الفرع خارج المدينة مسافة ثلاثين كيلو أو ما يقارب هذا، فجيء به إلى المدينة ليصلى عليه ويُدفن في البقيع، فصلت عليه عائشة رضي الله عنها في المسجد لأنها هي ساكنة بجوار المسجد بابها على المسجد كما تعرفون من حجرة عائشة رضي الله عنها اليوم، فيتبعه أهله يعني الرجال هذا الأصل، والنساء عرضا لأمر طارئ، «**وماله**» ايش ماله الذي يتبعه؟ يعني الناس يأخذون الذهب والفضة بلا حساب؟ لا، المال هو الدواب إذا كان عنده بعير، ولا حمار، ولا بغل، ولا شيء يُحمل عليه متاع للمقبرة، أو ما يحتاج إليه من لبن، أو تراب، أو شيء، أو ماء لتجهيز اللحد، هذا الذي يتبعه، ومثل الآن السيارات، السيارات التي يركبها أخوه وولده وأهله أو أبوه أو غير ذلك أو جاره فهذا هو المعنى.

والثالث: عمله، عمله معه، ليش؟ لأنه صحفه مع الملائكة عليهم السلام، وهو سيودع في قبره وعمله يحضره فيرجع اثنان يعني بعد الفراغ من الدفن يرجع أهله، وماله، الأثاث يعني مثل المسحاء،

الفاروع، العتلة، الأدوات التي تستعمل في تهيئة القبر هذا المعنى يعني، ما هو المعنى أنه يؤخذ له أُبهة، أو استعراض، أو غير ذلك، لا، ولا يوضع معه شيء من المال، ولا زيادة على الكفن، حتى بعض الناس قد يضع فراش فما يجوز هذا بدعة يوضع الميت في قبره ويؤخذ من النعش ويُسل من عند رجليه رجلي القبر يعني في الرياض مثلا ونجد من الجهة الجنوبية، فيكون رأسه أول ما يدخل ثم يوضع في اللحد على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، ثم تُفك عنه الخيوط التي رُبط بها، ليش رُبط؟ حتى لا يتكشف وتظهر عورته، وحتى لو خرجت منه لو خرج منه خارج ما يحرج الناس، فإذا وُضع في القبر واطمئن عليه تُفك الخيوط لأن الجسم عادةً ينتفخ بعد ساعات بسبب حرارة الأرض، وطبيعة الجسم اللحم يتغير، حتى لا يصير له أذى للجسد أذى، وبعض الناس يكشفون الوجه وهذا ما له أصل ما له أصل كشف الوجه، وحتى في مكان الجنائز في المساجد غلط هذا.

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أُخبر أن النبي ﷺ مات، وكان خارج المدينة في العوالي له مزرعة هناك حديقة أو غيرها، فلما جاء دخل إلى بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي فيه النبي ﷺ، ليش دخل؟ لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توهم وقام خطيبًا قال: والله ما مات الرسول ﷺ، والله ليرجعن ويضرب أعناق قوم، وكذا، فلما وصل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى المسجد دخل على بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليتأكد أن النبي ﷺ مات، فكشف عن وجهه وراعى أنه مات وقبَّله وقال: **أما الموتة التي كتبها الله لك فقد ذقتها**. ... (١٩:٣٨)

ويُعرف الإنسان إنه مات بعلاماتٍ ظاهرة منها شخوص بصره كذا، لأن الروح إذا خرج تبعه البصر، هذه من حكمة الله عز وجل حتى يتبين، ومنها انخساف الصدغ هذا ينخسف، ومنها ميلان الأنف يمين أو يسار، ومنها رخاوة الفك السفلي من الوجه اللحية واللحيين يرتخي وينفتح فم الميت، ولهذا يعتني الغاسل بهذا بتغميض عينيه قبل الغسل حتى لا يدخل الماء ويسرع إليه الخراب، وضم الفك وشده بالكفن حتى لا تدخل الهوام، قد يكون في هوام في القبر، فهذا أمر ينتبه له، وهذه علامات كذا، غير كونه تقف نبضات القلب، وتبرد حرارة الجسم، وغير ذلك، هذه علامات ظاهرة يُعرف بها، وينبغي أن يترك الميت بعد موته نصف ساعة، ساعة، حتى يتأكد من هذا لأنه قد يكون إغماء، قد يكون غيبوبة مثلما يقولون وغير ذلك.

قد يكون الذي يسمونه الآن وفاة دماغية وهذه ترى فيها نظر، فهذه فيها نظر قد يدعي الأطباء الوفاة الدماغية من شأن التبرع بالأعضاء مدخولة النية، وحدثت حادثة لقريبٍ لنا قبل سنتين أو ثلاث أنه قالوا عنه أنه توفي دماغيا، وحظ والده أن يتبرع بأعضائه، والوالد عامي مسكين ما يعرف الأشياء هذه، فقال الولد وهو صغير في الثالثة عشر أو أقل بلوغ ما بلغ قال: والله لا، والله ما أنت تتبرع بأعضاء أخي، والله كذا. يوم أخذ يومين أفاق الولد وقال إني أسمعكم وأنتم تتكلمون، والله إني أريد أن أقوم أضمك، وأقبل رأسك يا أخي الصغير، يعني رُعب .... (٢١:٥٩) تُقطع أعضاؤه وهو حي، فهذه أمور تحتاج إلى تثبت، وبعض الأطباء متهم، وبعض الجهات قد تكون أيضا تستعجل، وهذا غلط، هذا أمر تراه فيه تفريط، لابد من التروي في هذا والأناة، وفيه أعضاء من التي يتبرع فيها ما تؤخذ إلا بعد إلا في حياته لو مات يمكن ما يستفاد منها، وهذا الذي يحمل بعض الناس على الاستعجال.

وأعضاء تؤخذ بعد الموت وتنفع، لكن في بعض الأعضاء لا، لابد أن تؤخذ وهو حي، فينتبه لهذا وترى هذا خطر، وتكون تتسبب في قتل ما تدري أنت، فالمهم أن النبي ﷺ أخبره أنه يتبع هذا وهذا المال الذي هو يحتاج يستعمل في تجهيز الميت ما هو مع الدراهم ولا غيره، أو أجره للذي يحفر أو مثل هذه الأشياء هذه، ولا يكون صدقة عند القبر مثلما يفعله بعض الناس هذا ما يجوز، هذه عبادة، ما تُفعل عند القبر، فهذا ينتفع منه، ويتبعه أهله وماله.

الثالثة: عمله، فيرجع الأهل والمال إذا فُرغ من دفنه، وبعدين إذا دُفن يُسأل له التثبيت، ولا يجوز رفع الصوت على الجنازة حين حملها ووضعها ترى هذا هيلمان وهذا من أفعال العوام والجهلة، فينبغي الخشوع والوقار والأدب، ولا تُشرع كلمة عند القبر إلا إذا كان في حال تسوية اللحد، أو حفر القبر في مناسبة بدل ما يقف الناس ويبدون يسولفون ويتعازمون مثل اليوم، اليوم يستعزموا بالمقبرة، وربما قال طيل ما شفناك ترى عندنا عرض زين بيع أو شراء، ماتت القلوب إلا ما شاء الله، قست، فهذا غلط، لا تفتح بدعة تتبع عليها ويصير عليك إثمك وإثم من عمل بها من بعدك إلى يوم القيامة، فالميت إذا وُضع في قبره وفُرغ من دفنه يُوقف عنده، والوقوف يكون أمام وجهه هو يستقبل القبلة فأنت تقف أمام وجهه، وتسأل له التثبيت، وإن وقفت وراءه لضيق المكان فالأمر واسع ما وراءه قبور.

لأنه عادة ما يفتح صف قبور إلا بعدما يتم كاملا فلا بأس، لكن الأصل لو زرته يوما من الأيام إنك تأتي أمام وجهه، ولا تكون فوقه لأن اللحد تراه مائل إلى جهة القبلة، فإذا وقفت على حد تراب القبر ربما تكون فوقه وما يجوز أنك تطأ على القبر، فانتبه لهذا، قف بين القبرين هذا أو هذا عند رجلين هذا ورأس هذا بينهم يعني هذا الذي تقف فيه، أما أنك تريد أن تقف والقبور ما بينها شبر فمعناه أنك وقفت على الميت، فلابد من التروي، فخيرٌ لك أن تقف وراء قبر من جهة المشرق في نجد، هذا مهم تراه ولابد من التفطن له، فيُسأل له التثبيت يُدعى له لكن يُسأل له التثبيت اللهم ثبته بالقول الثابت، لأنه إذا سُئل يقول؟ ربي الله تعالى، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، كيف عرفت ذلك؟ يقول: قرأت القرآن وعملت بما فيه، فيعان على هذا.

والشيء الثاني: أنك تعتبر بحاله أكثر الناس ما يدري عنه، ما من ميت يوضع في قبره ويُفرغ من دفنه إلا ضمه القبر ضمة شديدة جدًا، حتى قال النبي ﷺ في حق سعد بن معاذ، الذي أخبر النبي ﷺ مناديله في الجنة أرق المناديل، قال: «**لقد ضم هذا الرجل الصالح قبره ضمةً لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ رضي الله عنه**».

هذا الرجل الذي هو يوم قدوم النبي ﷺ للمدينة مهاجرًا جمع قبيلة الأوس وقال: عزمت على من ليّ عليه حق أن لا تغرب شمس اليوم إلا وقد أسلم. فأسلموا كلهم عن آخرهم.

فكم له من حسنة؟ رجل صالح، ومع ذلك ضمه القبر ضمة شديدة، وهذا هول تراه.

والثانية: أن الملكين المنكر والنكير خاصين بامتحان القبر، يقال لأحدهم: المنكر، والآخر: نكير، يأتيانه على قرب من انصراف من معه من المشيعين حتى إنه لو رُدت إليه روحه حالًا لسمع قرع نعالهم وهم يمشون قريب يعني ما في مهلة، فلذلك يُسأل له التثبيت لقرب العهد لأنهم الآن موجودين وأنت ما تدري، فلو أن الناس يجمعون أثاث تجهيز القبر، أو غيره، أو غيره، يكون أنهم موجودين، وهذه من أمور الغيبة التي لا يؤمن بها ما آمن بالله ورسوله ﷺ، وكل هذه أمور غيبية والبرزخ غيبي فتُرد عليه روحه، ويُسأل ثلاثة أسئلة أكثر الناس في غفلة عنها، يهتمون بسؤال المقابلات الشخصية للوظائف، والطبية، وغير ذلك، وغير ذلك، لكن ما يهتمون أكثر الناس بسؤال القبر: من ربك؟ ما دينك؟ ما

نبيك؟ سؤال بعده جواب، والثاني بعده جواب، والثالث بعده جواب ما هو الجميع لا من ربك؟ فيقول: ربي الله، ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، من نبيك؟ يقول: نبيي محمد ﷺ.

سؤال رابع: كيف عرفت ذلك؟ لتقريره، فيقول المؤمن جعلنا الله وإياكم من أهل القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة: "ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، قرأت القرآن وعملت بما فيه ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤].

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة:١٥١].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:٢٩].

هذا سؤال وجوابه في القرآن العظيم، وفي سُنة النبي ﷺ، فالذي هو على غير تدبر للقرآن الكريم قد يُضل والعياذ بالله، ما هو على عمل بالقرآن الكريم يُضل ما هي بالفصاحة، ولذلك الأبكم يجيب في القبر يجيب لازم، ولذلك هو في هذه الحال البرزخي يجيب، فهو على حسب العمل في الدنيا، ولأنك أنت في الدنيا ما يصح عملك حتى تبتغي به وجه الله عز وجل، لإيمانك بأن الله ربك وإلهك الحق المعبود بالحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحقها أحد سواه، وإيمانك بأن دينك الإسلام والتزامك بالإسلام واستقامتك عليه حتى تلقى الله، ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر:٩٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت:٣٠]، يعني عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، وعند أبواب الجنة ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت:٣٠-٣١].

ونفس الشيء من نبيك؟ محمد ﷺ، أما الفاجر المنافق نفاقا اعتقاديا والكافر يقول: ها، ها، لا أدري، سمعت الناس يقولون فقلت، ليش؟ لأنه ما آمن بهذا في الحياة، ما اعتقد هذا، لا علمه حقا، ولا اعتقده اعتقادا صحيحا، ولا عمل بمقتضاه، فلذلك يقول: ها، ها، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيء فقلته، فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمرزبة من حديد يصرخ صرخة شديدة، ما يسمعها الثقلان لو سمعوه ليش كانوا يعيرونها له ويشمتون به، كان يتأثر أحد ويغمى عليه ويفقد عقله أو يموت، فما يسمعه إلا البهائم والمخلوقات الأخرى، أما الثقلان الجن والإنس ما يسمعونها حجبها عنهم.

وقد يسمعه بعض الناس لكن ما هو على كل أحد ما هو على كل حال، فالشاهد من هذا أنه لابد من السؤال والجواب على حسب العمل في الدنيا، فهذه ثلاثة تُسأل عنها في الدنيا لا يصح عملك إلا بها عبادتك لله وحده، استقامتك على الإسلام وأن تعبد الله، إتباعك للنبي ﷺ في الأداء والكيفية، فتُسأل عن الإخلاص في النية ولا يصح عملك إلا بإخلاص النية لله عز وجل، وابتغاءك وجه الله تعالى، والثاني استقامتك على الإسلام تعبدا لله وديانة بأصل المشروعية، والثالث إتباعك للنبي ﷺ وهديه سنته وهديه في الأداء والكيفية يصح عملك في الدنيا ويقبل منك وتؤجر عليه ولا لا؟ والله لا يقبل الشرك ولا يقبل البدعة في أصل المشروعية ولا البدعة في الأداء والكيفية، وهذا مهم، في القبر تسأل: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟.

ويوم القيامة تُسأل: ماذا كنتم تعبدون؟ ماذا كنتم تعملون؟ ماذا أجبتم المرسلين؟

وسيتكرر عليك هذا، فيهتم بها، ولا يكون امتحان الآخر في الدنيا أهم عليك من امتحانك في القبر، ويوم الحشر والنشر، فلابد من الاهتمام بهذا، وتعتبر بحال الميت اليوم أنت حي الميت أفضى إلى ما قدم، فانتبه العمل يصاحب الميت كيف يصاحبه؟ يأتيه في قبره فإن كان حسنا صالحا مخلصا لله تعالى، وعلى الشرع في أصل المشروعية، وعلى السُنة والهدي النبوي في الأداء والكيفية يأتي بصورة الرجل حسن الوجه، حسن الثياب، حسن الهيئة، فيقول له الميت: من أنت ووجهك الوجه الذي يجيء

بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، يرافقه في قبره، وأما الآخر فيقول: من أنت، ويجيء أسود الوجه، قبيح الثياب، قبيح الريح، مُنتن، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الفاسد الطالح، فيقول: وجهك الذي يجيء بالشر، هذه حالة.

والثانية: إنه يفتح له باب المؤمن التقي جعلنا الله وإياكم من ذلك يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها وريحانها ونعيمها، فيقال: ربي أقم الساعة شوقا للجنة، والآخر لا يفتح له إلى النار، فيأتيه من سمومها وفيحها وحميمها، فيقول: ربي لا تقم الساعة، يا ويلي مما بعد هذا أشر.

فهذان ملحظان لابد منهما، وتعتني بهذا في حياتك إذا مت فاتك وقت العناية والاهتمام، لكن في حياتك، فلذلك النبي ﷺ ذكر هذا أن صاحبك عملك ما يرجع مع الذي يرجع، لا، هو صاحبك، يواصل معك المشوار، فإن كان صالحا آنسك، وأذهب وحشتك، وطمأنك، وصار جاها لك يوم القيامة ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧].

وإن كان بالعكس أوحشك وأرعبك، وكان دلالة على شؤمك وشرك، وكان مفتاحا للشر يأتي إليك، فاعتني بعملك لا تعتني بدارك، وتجارتك، وتنسى عملك:

ومـــــن المــــــروءة للفتـــــــى ســـــــــكناه دارا فـــــــــــاخرة
فاشـــــــــــكر إذا أوتيتهـــــــــــا واعمـــــــل لـــــدار الآخـــــــرة

تذكرك بدار الآخرة في الجنة، فانتبه لهذا، لا تلهيك، قالوا للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم خربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فلا تحبون أن تنتقلوا من العمار إلى الخراب، والمعنى اعمروا آخرتكم، أكثر من عمارتكم لدنياكم حتى تحبون الالتقاء إليها وتطمئنون إليها وتشتاقون إليها، حتى إن الشمس تُمثل للميت في قبره عند الغروب كأنها تريد أن تغرب يريد أن تقوم الساعة قبل الغروب شوقا للجنة، والكافر المرتاب المنافق نفاقا اعتقاديا والكافر لا يقول: ربي لا تقيم الساعة.

يعلم أن ما بعدها أشر منها الحالة التي هو فيها يعني، فهذا أمر لابد أن تعتني به، ولذلك الرجل لما قال الذي هو ربيعة بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال له النبي ﷺ: سلني حاجتك؟ قال: أسألك مرافقتك في الجنة. مثل ما أنا معك الحين فاشفع لي عند الله بالدعاء أكون رفيقك في الجنة ومعك في الجنة ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

﴿وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء:٦٩-٧٠].

فقال: أعني على نفسك بايش؟ بكثرة الصلاة على صفة صلاة النبي ﷺ عددا وكيفية وكذا، وكذا، أعني على نفسك؟ أنا أدعو لك، لكن أنت أيضا عليك واجب أن تعينني بهذا، وتسأل الله أن يتقبل دعائي ويستجيب دعائي، وتلح على الله بهذا، وقال لخادمه ومولاه ثوبان قال: عليك بكثرة السجود فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة.

وكان بعض السلف يصلي باليوم ثلاثمائة ركعة، ونُقل عن بعضهم ألف ركعة في اليوم نافلة، قيل عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يصلي ثلاثمائة ركعة، ولما جُلد في فتنة القول بخلق القرآن ظلما جُلد عاب جسمه وتأثر بالجلد ولم يستطيع صلي لمائة وخمسين، اللهم المستعان، الله يرحم حالنا، وكان بعض السلف يصلي باليوم ثلاثمائة ركعة يقرأ في كل تسليمة الأولى بعد الفاتحة الكافرون، والثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص:١]، يعني يختصر، يقول: عدد الركوع والسجود والأذكار فيه تعوض عن طول القيام وطول القراءة، ويصلي ثلاثمائة ركعة، عملًا بهذا الحديث: «**عليك بكثرة السجود**».

والنبي ﷺ كان لا ينقص عن أربعين ركعة في اليوم والليلة سبعة عشر الفرائض، واثنا عشر الرواتب التي مع الفرائض قبل أو بعد، وإحدى عشرة الوتر، وقد ينقص من الوتر أحيانا إلى سبع، ويزيد من النوافل، يصلي الضحى مثلا ثمان ركعات، يصلي قبل العصر أربع ركعات، يصلي قبل المغرب ركعتين بين الأذان والإقامة، وقبل العشاء ركعتين، وأحيانا يصلي بين المغرب والعشاء كما فعل النبي ﷺ في بعض الأحوال، فعليك بكثرة السجود هذا هو وكثرة الصلاة يعني، فاجتهد في هذا يا عبد الله، وهذه مهمتك، وهذه فرصتك في الحياة، فإذا مت انقطع عملك أنت رأيت أن أو أحدا حدثك أن أحد خرج من قبره ليستكمل صلاته أو عبادته التي فرط فيها؟ لا والله، فانتبه هذا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- عن أَبي صَفوان عبد الله بنِ بُسْرٍ الأسلمي - ﵁ - قَالَ: قَالَ رَسُول الله - ﷺ: «خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ». رواه الترمذي.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

قد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرا**»، يعني مع الإيمان والعمل الصالح، وهنا قال النبي ﷺ: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله**»، فدل ذلك على فضل المجاهدة في سبيل الله تعالى، وفي طاعة الله، وفي فعل أوامره واجتناب نواهيه، وفي التقرب إلى الله عز وجل بأنواع من الأعمال الصالحة والفضائل في مناسباتها، وتحقق أسبابها، وسُئل النبي ﷺ: أي المسلمين في الإسلام أفضل؟ قال: «**من يُعمر في الإسلام لتسبيح الله تعالى وتقديسه**».

وجاء عن الصحابة ﵃، أن رجلين من المهاجرين آخى النبي ﷺ بينهما، كان النبي ﷺ يؤاخي بين المسلمين والمهاجرين أول ما يهاجرون للمدينة إخوة يرث بعضهم أو أحدهما الآخر، لتوثيق الصلة وقوة الاجتماع والتآلف، وكان هذا حُكمًا مؤقتًا ثم نُسخ، وصار لا يدع وارث إلا الأقارب من النسب والرحم، فالمهم أنهما لما آخى بينهما النبي ﷺ عاش أحدهما، أو مات أحدهما شهيدًا في سبيل الله، وعاش الآخر بعده أسبوعا، فرئي في المنام أن الذي عاش أسبوعا سبق إلى الجنة، فذهب الرائي إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فقال: وما ذاك، أليس قد صلى كذا؟ يعني خلال الأسبوع، أليس عمل كذا؟

فإن الذي بينهما من الفرق في الجنة كما بين السماء والأرض. فهذا أسبوع فقط بين اثنين لأن الأول مات شهيدا وانقطع عمله بموت، والثاني عاش واستمر عمله، وليس هذا ببعيد، وأذكر هذا بالمناسبة لأنه جاء في حديث صحيح عن النبي ﷺ: أن الإنسان إذا بكر للجمعة فغسل واغتسل ولبس من أحسن ثيابه وتطيب، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، وصلى حيث كُتب له في المسجد ولم يتخط رقاب الناس، واستمع للخطبة وأنصت، أنه يُكتب له أجر سَنة كاملة صيامها وقيامها.

قال العلماء -رحمهم الله- وآخرهم الشيخ ابن باز ﵀: إن هذا العمل ما مر مثله من عظم الأجر، وأن الإنسان يحصل في جمعة أجر سنة كاملة صيامها وقيامها ما ورد في نصوص الشرع ما يقرر هذا،

لأنه عمل يسير وأجر كبير وخير كثير، وهذا يدل على فضيلة من يُعمر في الإسلام، ويحتسب في إخلاص العمل لله عز وجل، وإتباع الشرع، ولزوم السُنة، لأنه يُحصل خيرا كثيرا. ولذا قال العلماء رحمهم الله: إن كل نفس من أنفاس المسلم إذا استعمله في طاعة الله فهو جوهرة نفيسة خير من جواهر الدنيا كلها.

وفي حديث طلحة بن عُبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال: **أسلم ثلاثة إخوان وهاجرا إلى الله ورسوله، فنزلا عندي في بيتي**. وفي رواية قال النبي ﷺ: «**من يكفيني هؤلاء أن يضيفهم عنده في البيت حتى يغنيهم الله**»، لأن المهاجر ترك ماله في بلده عند أهل الشرك ما يسمحون له يهاجر فيها، فيبقى في حجرة المسجد وتسمى: الصُفة، حتى يجد مهنة يشتغل بها ويكسب بها، ويتعلم من النبي ﷺ، وما جاء النبي ﷺ من صدقات وغير ذلك أرسله إليهم، وأحيانا تمتلئ الحجرة ويصير ما تيسر لمن سكنها عمل يرتزق به، ومن وجد عملا خرج من الحجرة، فتضيق الحجرة بأهلها، فهؤلاء الثلاثة قال النبي ﷺ: «**من يكفيني إياهم يؤويهم عنده حتى يتيسر أمرهم**»؟ فقال طلحة: أنا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من المهاجرين لكنه من المهاجرين المبكرين وأغناه الله تعالى ابن عبد الرحمن بن عوف قال: فخرج أحدهما مع النبي ﷺ في غزوة، واُستشهد. وبعد مدة خرج الثاني مع النبي ﷺ في غزوة، واُستشهد، وعاش الثالث بعد أخويه سَنة، ومات على فراشه، فقال طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فرأيت في المنام أن الذي مات على فراشه سبق إلى الجنة، سبق أخويه**».

وفي رواية: «**أنه أرفع درجة من أخويه**»، فعجبت لذلك، فأتيت النبي ﷺ وأخبرته، فقال: «**وما ذاك**»؟ يعني وايش تعجب. «**أليس قد صلى لله تعالى ستة آلاف ركعة سُنة؟**» هذه خلال السَنة هذه. «**أليس قد صام رمضان؟**» أليس قد فعل كذا وكذا من الطاعات؟ يعني كون الله أمهله سَنة بلغ مبلغا من العمل، وهذا نفسه في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لسعد ابن أبي وقاص، وكان قد مرض مرضا شديدا وخشي الموت، فلما زاره النبي ﷺ ليعوده عيادة المريض، فقال: **يا رسول الله إن لي مالًا وإنه لا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بشطر مالي؟** قال: «**لا، إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»، قال: **أتصدق بالثُلث؟** قال: «**الثلث والثلث كثير**». يعني الأولى الربع، ولهذا استحب الفقهاء رحمهم الله أن الإنسان يوصي بالربع ما يبلغ الثلث، إلا إذا كان أنه عنده خير كثير لباقي الورثة،

وأبو بكر وعمر وغيرهم أوصوا بالربع، فالمهم أنه قال النبي ﷺ لسعد هذا: «**إنك لم تعمل لله عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة**».

وثانيا قال له: «**إنك لم تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليه حتى ما تجعل في فِيّ امرأتك**». نفقتك الواجبة على زوجتك، ففهم سعد من هذا أنه سيُعمر بعد أصحابه، فقال يا رسول الله: أُخلف بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تُخلف فتعمل عملا إلا كذا وكذا، كما سبق، ولعل الله عز وجل أن يُخلفك حتى ينتفع بك أقوام ويُضر بك آخرون.

فعاش سعد رضي الله عنه حتى قاد القادسية في العراق، وافتتح دولة فارس في سبيل الله، فدل ذلك على أنه كل ما فسح الله في أجل المسلم ووفقه إلى العمل الصالح وفقنا الله وإياكم وذلك أنه صدقة من الله عليه، وفضيلة في الإسلام، وزيادة عمل، ورفعة درجة، حتى أن الإنسان ليبلغ مبلغ ما يبلغه الشهداء، والثلاثة الذين اُستشهدوا رأى طلحة بن عبيد الله الاثنين الذين استشهدوا رأى طلحة بن عبيد الله أن أسبقهم الذي عاش بعد أخويه رأوه أمامهم في الجنة في مكان ... (١٢:٤٧)

ورأى الذي اُستشهد بعد الأول أقدم من الأول أول من اُستشهد، فدل ذلك على فضيلة أن الله يمنح الإنسان عمرا في الإسلام، ويزداد به خيرا، ويرتفع به عند الله درجة.

فينبغي للمسلم إنه يسأل الله عز وجل طول العمر على عمل صالح ما يقول طول عمره فقط إبليس ما ينفعه طول عمره ضرر عليه، وهذا للكفار، فإن الله عز وجل قال: {نمهلهم} حتى ايش يزدادوا إثما إلى آثامهم، وهذا من خديعة الله تعالى لهم فكلما طالت أعمارهم على الكفر فهو أشقى لهم، والعياذ بالله، ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ [المزمل:١١]، وهكذا.

فإذا سأل الإنسان ربه تبارك وتعالى طول العمر يقرن هذا بالعمل الصالح، وإذا دعا لأخيه المسلم أطال الله بقاءك وكذا وكذا فيقرنه بالعمل الصالح، هكذا ينبغي للإنسان، ولذلك جاء في السُنة إن الإنسان يتعاطى أسبابا يطول بها عمره، فصلة الرحم مثلًا منسأةٌ في الأثر طول العمر يعني، ومحبةٌ في الأهل، ومرثاة في المال، وهكذا أعمال صالحة منها بر الوالدين تكون من أسباب طول العمر، وهكذا إغاثة الملهوف، ومثل ذلك صنائع المعروف، فتكون هذه الأمور من أسباب طول العمر، فلذلك قال النبي ﷺ: «**خيركم من طال عمره وحسُن عمله**»، الذي اجتمع له الاثنان طول العمر ما للإنسان فيه

تسبب إلا بالعمل الصالح والدعاء، لأن الله الذي يعطي هذا الشيء، لكن العمل الصالح هو فرصته وأنه يغتنم الفرصة فيما يقربه إلى الله جل وعلا من أنواع الأعمال الصالحة، ومن ذلك أنه يتقي الله جل وعلا التي أوصى بها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

وكان النبي ﷺ إذا ودع إنسانا أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى، وبمن معه من المسلمين خيرا، والتقوى في كل مقامٍ بحسبه، فإذا أُذن للصلاة ما التقوى؟ التقوى إنك تتوضأ وتذهب لموضع الصلاة، مع الوالدين التقوى البر، مع الزوجة حُسن العشرة، مع الأولاد مراعاة وصية الله فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

مع الجار حسن الجوار، إذا وجدت المختصمين تصلح بينهما، وجدت الأذى بالطريق تبعده وتنحيه حسبة، وهكذا.

فينبغي للمسلم أنه يتحرى هذه الأمور فينفتح له باب عملا صالح لا يخطر له على بال، لأنه يوفق للأعمال الصالحة وتُيسر له وكل عملٍ صالح يفرغ منه يهديه الله تعالى لمثله، فإن الحسنات يجلبن الحسنات، وإن السيئات يذهبن الحسنات، وإن السيئات يجتمعن على المرء فيهلكنه، ولذلك قال ﷺ: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه**».

فيغتنم الإنسان الفرصة في فسح الأجل والمهلة لصالح العمل، ولذلك كان النبي ﷺ كلما استيقظ من منامه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره**»، هكذا، ويحمد الله، ويغتبط أن الله تصدق عليه بفسح الأجل والمهلة والمكنة من صالح العمل.

وفقني الله وإياكم لذلك، وجعلنا هداةً مهتدين، وأحسن خواتيم الجميع، ورفع الدرجات في الجنة، وأعاذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيةُ الصَّدَقةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيءٍ كَثيرٍ، فقالوا: مُراءٍ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فقالُوا: إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا! فَنَزَلَتْ: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ} [التوبة: ٧٩]. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الحديث كالأحاديث السابقة في حاجة المسلم إلى مجاهدة نفسه على طاعة الله تعالى، وترك معصيته، والتوبة إليه من التقصير في حقه، وقصور العمل عما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، وفيه أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بقوله: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة:١٠٣].

الصدقة ليست فريضة، تدخل فيها الفريضة وغير الفريضة ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ تصرفها لمستحقيها، ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣]، وهذه فائدة للمتصدقين، أنها تُكفر الخطايا، وهي من شُكر الله جل وعلا على إحسانه وإغنائه للعبد، وهي من إعانة إخوانه المسلمين على عبادة الله تعالى، ومشاركتهم في مئونة أهليهم، لأن جملة منهم كانوا فقراء، ولذلك يسكنون الصفة في المسجد مئون للمهاجرين يسكنون هذه الصُفة، حتى يغنيهم الله بسبب من الأسباب، ومن أغناه الله خرج.

وأهل المدينة كانوا على سعة، فهم أهل نخيل، وعنب، وزرع، ومنهم من هو صاحب تجارة، ومنهم من هو صاحب ماشية، فكان فقراء المهاجرين يؤوون على هذه الصفة ويشتغلون عند أهل المدينة في أعمالهم، مقابل أجرة، فلما دُعوا إلى الصدقة أمر النبي ﷺ الذي يأخذ منهم صدقة الذي ليس عنده شيء ذهب إلى السوق ليؤجر نفسه ويحمل بضائع الناس إذا اشتروها من السوق يوصلها إلى البيت، حتى يحصل ما يمون به أهله وما يتصدق به، فواحد من هؤلاء الفقراء المهاجرين آجر نفسه على أحد المزارعين ليُخرج الماء بالدلو من البئر للزرع والبهائم بصاعين، يوم، فصاع أنفقه على أهله اشترى هذا القمح لأهله أو التمر، وصاعا تصدق به، ما يملك غير هذا، وما يحصله إلا بهذه الطريقة، فشمت به المنافقون قالوا: الله ورسوله غنيان عن هذا عن صاع هذا، الصاع أربعة أمداد ملء كفي الرجل متوسط خلقة اليدين أربع مرات يسير، فاحتقروا ما قدموه وهذا جهده ما يملك غير هذا، وما

حصل، وما هو مذخور عنده وإنما حصله بهذا العمل، وجاء رجل من أغنياء المسلمين معه صدقة كبيرة، فقالوا: هذا مرائي، ايش يرضيهم هؤلاء؟ منافقون، يثبطون الفقير عن الصدقة، ويتهمون الغني المتصدق المحصن بالرياء، وهم أهل البخل، وهم أهل الرياء، المنافقون ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧]، يعني عن الصدقة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧].

فالعيوب فيهم هم ما هي في المهاجرين والأنصار، لكنهم يجاهدون أن يثبطوا عن طاعة الله تعالى، وإتباع الرسول ﷺ، فقالوا للذي لا يجد إلا جهده بأن هذا لا يفيد شيء الله ورسوله غنيان عن هذا الصاع، قالوا للذي جاء بخير كثير: هذا مرائي، ما يقصد الصدقة يقصد الرياء، فدل على خبث أهل النفاق، وأن همهم الشماتة بالفقراء والتثبيط، وهمهم إتهام الأغنياء بالرياء والشرك، والكل منهم من المهاجرين والأنصار ﷺ بادروا إلى الصدقة لهذه الآية، لأن الله عز وجل أمرهم بها، أمر رسوله ﷺ ليأخذها منهم، وبَين لهم حكمتها، و أنها تطهرهم وتزكيهم تزكي إيمانهم، تزكي أموالهم، وتزكي فقراءهم، وأنها من أسباب صلاة النبي ﷺ عليهم.

يدعو الله تعالى أن يصلي عليهم ويثني عليهم في الملأ الأعلى، فالصلاة على العباد من الله تعالى هي الثناء عليهم في الملأ الأعلى، يذكرهم بأحسن أعمالهم، راضيا عنهم، فصلاة النبي ﷺ والملائكة المقربين وصالح المؤمنين هي سؤال الله تعالى أن يُصلي على عباده ا لصالحين في الملأ الأعلى، ومن ثمرات هذا الرحمة أن الله يرحمهم، فمن صلى الله تعالى عليه صلى عليه النبي ﷺ فقد رحمه الله، وهي من إجابة الدعاء، وصرف البلاء، وحفظ النعماء، واللطف في القضاء، ولذلك تسابق الصحابة رضي الله عنهم إلى الصدقة الغني من يسره، والفقير دفع عوزه وحاجته بأن يُذل نفسه وأن يحمل أمتعة الناس بالأجرة، أو يعينهم في مزارعهم بالأجرة لأجل أن يحصل شيء يعف به نفسه وأهله ويتصدق منه، وقد يسر الله لهم الأمر، فهذه من مجاهدة النفس الكل جاهد نفسه الغني لم يخرج المال الكثير إلا لحسبته، وطلب فضل الله تعالى ورحمته، والشكر لله تعالى على نعمته، والفقير طلب مثلما يطلب الغني، وأن الله يغنيه، تسبب في الرزق ورزقه الله الشيء العاجل، ويرجو من الله الآجل،، فالكل تنافسوا، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟

ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة:١٤٨]، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [المؤمنون:٦١]، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

ومن صفات أهل الجنة والمغفرة: أنهم ينفقون في السراء والضراء، في السراء يتوسعون وفي الضراء بحسب الحال، ﭫ، وهم الأسوة والسلف الصالح لمن جاء من بعدهم إلى أن يأتي الله بأمره، فهذه أثر عن هذه الآية التي أمر الله تعالى بها نبيه ﷺ أن يأخذ من المسلمين صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها وأن يصلي عليهم إن صلاته سكن لهم، وأنزل في المنافقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٧٩].

يسخر الله من المنافقين، ويمهلهم ليزدادوا إثما إلى إثما ثم إلى جهنم، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا، فهؤلاء أهل النفاق الاعتقادي، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة:٧] يعني يوم القيامة.

فهذه مسألة الصدقة، ومسألة الصفة، الصفة ما هي بالخواص ناس اختارهم النبي ﷺ أن يسكنوا في هذه لخصوصيتهم لا لحاجتهم، مؤقتا حتى يستغنون الرجال والنساء، الرجال لهم غرفة، والنساء لهن غرفة، أو حش عفش من سعف نخل أو ستارة أو رواق فقط مدة مؤقتة، والصوفية الذين يُشتهر ذكرهم إنما سموا صوفية للبسهم الصوف، وكان بعض التابعين وتابعي التابعين اختاروا طريق الزهادة والعبادة والبذاذة في الملابس وغير ذلك،، وفي المئونة، والتفرق للعبادة تعبدا وتزهدا، وغالبهم من عامة المسلمين، ووجدوا في هذا المنهاج تزكيهم لنفوسهم وصلاح وتدبر لآيات القرآن، وتفرغ للعبادة، والسلامة من القيل والقال والخوض فيما يخوض فيه الناس، فاشتُهروا بهذا من لبس الصوف، لأنهم يلبسون الصوف تزهدا وعبادة و بذاذة،، والبذاذة من الإيمان، فالإنسان ما يختار الملابس الفاخرة والتي فيها شهرة، والتي فيها شيء من مظهر الكبرياء، «**بينما رجل يجر إزاره قد أعجبته نفسه، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**».

فصارت هذه ظاهرة قليلة في التابعين، ثم في تابعيهم، ثم فيمن بعدهم، ثم دخلها الإلحاد والباطنية، دخلها أُناس من الشيعة المجوس، ودخلها أناس من الصوفية الذين جلبوا تصوفهم من النصارى الرهبانية يتظاهرون بهذا رياءً، فيضلون الناس ويأكلون أموالهم بالباطل، يتظاهرون بالزهد وهم على غير زهد، وحتى إن منهم من ينتسب للعلم، ومع ذلك ما انتسبوا إلى الأئمة الذين تسووا بالمذهب الفقهي الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، لا، بل انتسبوا إلى شيوخ الطرائق المحدثة المستجلبة من خارج البلاد الإسلامية ومن الأمم الأخرى التي هي الباطنية، والتي تتضمن فيها الإلحاد، والإشارات والرموز والدعوات السرية والتحزب ضد الإسلام وأهله، فصارت الصوفية شر، شر، و أول ما دخلت في التشيع أول ما تسمى بها الشيعة، الذين يمتون بصلة النسب إلى بلاد فارس وإلى بيت المجوس، ثم انتشرت فصار هؤلاء من أضل الخلق، ويكفي هذا دلالة على نقص عقولهم، وعلى نقص دينهم، وعلى احتقارهم لأئمة الفقه أنهم ينتسبون إليهم في الفقه في الأحكام، ولا ينتسبون إليهم في الطريقة والمنهاج، لأن الأئمة الأربعة رحمهم الله وأقرانهم على منهاج السلف الصالح، كلهم ضد البدع والمحدثات ... (١٤:٣٨).

فمن أخطأ في شيء فإنما خطأ اجتهاد ليس خطأ قصد، فلذلك لا ينتسبون إليهم في الطريقة والمنهاج، هذا ينتسب للنقشبندية، وهذا للقادرية، وهذا للنقشبندية وغيرها من الطرق المخترعة الوافدة، السهوردية، وإلى الآن والذين ينتسبون إلى جماعة الجهادية والصوفية اليوم ينتسبون لهذه الطرق، ويعادون الطريقة السلفية التي ترك النبي ﷺ عليها أصحابه، والتي أخبر أن أهل هذه الطريقة هم إخوان النبي ﷺ الذي يتمنى رؤيتهم عليه الصلاة والسلام، وأنهم خير الأمة، وأنهم الطائفة المنصورة الناجية من الفتن، والناجية من نار يوم القيامة، وأنهم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ هو وأصحابه في حياته عليه الصلاة والسلام في حياة الصحابة رضي الله عنهم، فتعلم هذه، فلذلك قال القائل الذي ينقد هذه الطرق:

لا تخـــدعنك عمـــة مـــن تحتهـــا ... شـــر الغوايـــة والضـــلال الكـــافي

وفي آخرها يقول:

والصوف منه دعه بالصواف، أو بالصوفية.

فهذه لا تدل على عقيدة حسنة، ولا على عملٍ صالح، ولا على منهاج مستقيم، ولا شيء، إنما تدل على أمر مريب، {ظلمات بعضها فوق بعض}، ولذلك غالبًا هم ممن ينتسبون إلى سدانة القبور، وإلى إشاعة البدع، والاحتفال بالموالد، وعداوة السُنة، ووصف أهل السنة بالجمود والجفاء، وبالألقاب التي لا تليق بهم حتى سموا علماء أهل السنة بعلماء الحيض والنفاس، في الزمان القديم من عصر التابعين، إلى يومنا هذا يسمونهم هكذا، ما عندهم فقه واقع، ولا لهم دخل في السياسة، ولا يعرفون كذا، وتبع السلطان، وغير ذلك من الألقاب، تارة يقولون: الجهمية، وتارة يقولون: السلفية متشددة، وتارة يقولون: الذين يكفرون الناس، كل هذا تنفير على الطريقة السلفية الصحيحة، وجلب للعامة إلى ما هم عليه من الطرائق والمناهج المنحرفة والتي اختلط فيها الحق بالباطل، ولبس الحق بالباطل، فينبغي أن الناس يكونون على حذر من هذه الأمور، ولا يغتروا بمجرد التسمية.

في زخـــرف القـــول تـــزيين لباطلـــه ... والحـــق قـــد يعتريـــه ســـوء تعبيـــر

فتقول يعني عن النحل:

هـــذا مجـــاج النحـــل تمدحـــه ... وإن شـــئت قلـــت ذا قـــيء الزنـــابير

مـــدحا وذمـــا ومـــا جـــاوزت وصـــفه ... والحـــق قـــد يعتريـــه ســـوء تعبيـــر

فلابد من التنبه لهذا، لأننا في زمان فتن جاءتنا الأمور من كل جهة، وصارت مصطلحات وتعريفات وقصص وروايات وأحلام ورؤى وغير ذلك كلها، حتى يُنسب لأئمة السُنة وأئمة العلم ما ليس من قولهم ولا من مذهبهم .... (١٨:١٨) يروج على الناس.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر جندب بن جُنادة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ فيما يروي، عن اللهِ تَبَارَكَ وتعالى، أنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسي وَجَعَلْتُهُ بيْنَكم مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ ضَالّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاستَهدُوني أهْدِكُمْ. يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلاَّ مَنْ أطْعَمْتُهُ فَاستَطعِمُوني أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُوني أكْسُكُمْ**».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

هذا الحديث القدسي الصحيح أورده النووي رحمه الله تعالى وإيانا في "باب المجاهدة"، لما فيه من التنبيه على ضرورة مجاهدة المرء نفسه على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى التوبة من التقصير في حق الله، وظلم العباد، فيسمى: حديثا قدسي، لأنه من كلام الله -جل وعلا-، لفظا ومعنى، لكنه يختلف عن القرآن لأن القرآن لا يمسه إلا المطهرون، وهذا الحديث القدسي يمسه غير الطاهر، وإلا فهو كلام الله لفظه ومعناه، وقيل عنه: القدسي، لأنه مضافا إلى الله -جل وعلا-، وهذا الحديث فيه بيان لطف الله عز وجل بعباده، وكرمه، وجوده، وإحسانه إليهم بهدايتهم إلى ما ينفعهم ويصلحهم في عاجل أمرهم وآجله دنيا وآخرة، ودفع ما يضرهم في العاجلة والآجلة، فيخاطب الله جل وعلا عباده هذا الخطاب الرباني الكريم الرحيم.

فيقول: «**يا عبادي**» والعباد يشمل المكلفين شرعا من الجن والإنس، لأنهم هم المبتلون بالأوامر والنواهي، وهم المحملون للأمانة أمانة التكاليف، فهذه العبودية الشرعية «**يا عبادي**» بالعبادة الشرعية التي شرعها الله جل وعلا لهم، وأوجب عليهم أداءها وجعلها وظيفتهم في الحياة، وسبب سعادتهم في الحياة وبعد الممات، فيخاطب الله عز وجل العباد بهذا الخطاب الكريم بلفظ العبودية، وهذا أشرف شيء دليل أن العبودية هي أشرف أحوال الإنسان، وأكرم وظائفه، وأنها موجبة السعادة في الدنيا والآخرة، ومن شأن العباد: أن يطيعوا الله جل وعلا بامتثال أمره، واجتناب نهيه، والوقوف عند حدوده، والتسليم له سبحانه وتعالى في أقداره المؤلمة، والرضا بحكمه شرعًا وقدرا.

لكن الشرع واجب والقدر ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فيسلم لله في حكمه رضي أو لم يرضى هو، فيقول الله تعالى: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي**»، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، والظلم ينافي الحكمة، وينافي الشرع، والله تعالى حرم ذلك على نفسه قدرا، «**إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما**»، حرمه على عباده شرعا، ولهذا أكد ذلك بقوله: «**فلا تظالموا**»، لا يظلم بعضكم بعضا، لا يظلم المرء نفسه، ولا يظلم غيره، فظلم النفس يحصل بثلاثة أمور:

الأول: الشرك، والكفر، والإلحاد. وأنه لا يتدين لله تعالى بدينه، أو يدعو معه غيره، فهذا هو أظلم الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

فرتب المحرمات سبحانه وتعالى ترتيبا تصاعديا، مبتدئا بالأدنى، ثم الذي فوقه، ثم الذي فوقه، إلى الأعلى، وهو الشرك، والقول على الله عز وجل وفي دينه بغير علم، فهذا أعظم ظلم النفس لأن الله تعالى حرم الشرك وجعله من أعظم المحرمات، والشرك هضم لحق الله تعالى وتنقص من الربوبية، وصرف حق العبودية لغير الله جل وعلا، فهو أظلم الظلم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان:١٩].

ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]، من مات عليها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام:٨٨].

وقال: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر:٦٥].

فالشرك ظلمٌ عظيم، **أولًا**: لأنه يحبط العمل.

ثانيًا: لأنه لا يغفر إلا بالتوبة، ومن مات عليه فهو ... (٠٨:٤٩) جهنم والعياذ بالله.

ثالثًا: أنه يمنع صاحبه أنه يحبط العمل ويمنع صاحبه من المغفرة ما دام عليه، ويُخلد صاحبه في النار إذا مات عليه، ويُحرم الله تعالى عليه الجنة، فهذه عقوبات غليظة لم ترد في غير الشرك، والشرك يدخل فيه الإلحاد ويدخل فيه الكفر، لأن الشرك أصله دعوة غير الله معه، أو من دونه، هذا أصله، ويدخل فيه الكفر، والمشرك كافر والكافر مشرك، لكن المشرك أظهر الشرك، وأبطن الكفر ﴿أَتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣]، والمشرك أظهر الشرك، وأبطن الكفر، فهذا عكس هذا، وكلاهما مشرك وكافر، لكن أحدهم أظهر الشرك وأبطن الكفر، والآخر أظهر الكفر وأبطن الشرك، والملحد جاوز الشرك والكفر كله جحد وجوب الله أصلًا، وجحد حق الله، وهذه هي أعظم الذنوب الإلحاد، والكفر، والشرك، وهذا أظلم الظلم لأنه في حق الله جل وعلا.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾ [البقرة:٢٧٠]، ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بالشرك ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة:١٦٥-١٦٧] خالين مخلدين في النار أبد الآباد، فهذا الظلم الأول أعظم الظلم، لأنه في حق الله جل وعلا، جحد في حق الله الذي هو التوحيد، سواءً صرف العبادة لغير الله تعالى، أو ترك عبادة الله، فالكافر ترك عبادة الله، والمشرك صرف العبادة لغير الله تعالى، والملحد ترك الأمرين كلاهما، من ينكر وجود الله جل وعلا، وينكر الرجوع إليه، وينكر كل ما أخبر الله تعالى به، يرده ويكذبه، فهذا هو الظلم الأول.

الظلم الثاني: كبائر الذنوب، أن الإنسان يرتكب كبائر الفواحش والذنوب، ومن ذلك: ترك الصلاة أعظم شيء بعد الشرك لأنه كفر، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عنه**».

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك**»، بمعنى: الشخص المكلف أيا كان رجل أو امرأة – «**ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة فقد كفر أو أشرك**».

الزنا كبيرة، القتل كبيرة، شرب الخمر كبيرة، الفواحش بجميع أنواعها كبائر، الربا كبيرة، الغش كبيرة، ومما يستهين به الناس الغيبة والنميمة وهي كبائر عظيمة ومغلظة جدا، ولا تُغفر لصاحبها حتى يغفر أهلها، فلو تاب منها فهو تاب من حق الله تعالى، لكن حق الناس لابد أن يسمحون له ويعفون عنه وإلا يقتص به من حسناته لهم من حسناته، وذكر النبي ﷺ أن صاحب الغيبة والنميمة يعذب في قبره، وأنها كبيرة، قال: «**بلى إنه كبيرة**»، أو «**ليعذبان في كبيرة**»، بل إنه كبيرة أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة. والنميمة هي نتيجة الغيبة، والغيبة نتيجة للنميمة، كل واحدة مشتركة مع الأخرى، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله، فهذه كبائر، ومن ذلك ظلم الناس بأخذ أموالهم بالباطل، «**من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أراضين يوم القيامة**».

فهذه خطيرة جدا يعني، ولذلك النبي ﷺ أعلن هذا في حجة الوداع، قال: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟**» شهدوا له ﷺ أنه بلغ، فهذه عظائم، فصار الظلم ثلاثة أنواع:

- ظلم في حق الله تعالى، وهو الشرك والكفر والإلحاد.
- وظلم فيما دون ذلك من كبائر الذنوب التي بين العبد وبين ربه، ما تتعلق بالمخلوقين.

والثانية: الكبائر التي تتعلق بالمخلوقين، لكن الكبائر التي بينه وبين الله عز وجل دون الشرك والكفر هذه إن شاء الله غفرها له وإن شاء لم يغفرها له، ... (١٠:١٦) لأنها لا تنافي التوحيد، وأما حقوق العباد فهي لابد أن يغفره سواءً في أعراضهم، أو في أموالهم، أو في سائر حرماتهم، فلذلك الله عز وجل نبه أنه حرم الظلم على نفسه قدرا، لأنه موصوف سبحانه وتعالى بصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال.

ولذلك قال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

فنزه سبحانه وتعالى نفسه عن الظلم، وأمر عباده بترك الظلم، وأخبرهم أنه يعاقبهم عليه ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان:١٩]، وهذا خطير جدًا لأنه وعيد شديد محكم ما هو منسوخ، فلذلك احتاج الإنسان أنه يتحرز من الظلم، فأخطر الظلم ما كان في حق الله من الشرك والكفر والإلحاد، ثم يليه حقوق المخلوقين لأنها لا تغفر حتى يغفرهما، ولكن الإنسان يجتهد لو أنه رأى صعوة الاستحلال منهم، وأن هذا يزيد الجفوة، ويسبب العداوة، ويسبب قطيعة، وقد يجر إلى فتنة، فأحسن إليهم بالدعاء لهم بظهر الغيب، وبالإحسان إليهم بأنواع الوجوه من الإحسان فيُرجى أن يكون له عمل ورصيد يقابل ظلمه لهم، وإلا فإن النبي ﷺ أخبر أن من الناس من يأتي بحسناتٍ أمثال الجبال، وفي رواية: «**بيضاء**»، وفي رواية: «**جبال تهامة**»، وهي من أعظم الجبال، ثم يأتي وقد لطم هذا، وسفك دم هذا، وشتم هذا، وأكل مال هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من سيئاتهم فطُرح عليه ثم طُرح في النار.

وهذا دليل خطورة هذا الشيء، ومن خطرة الاستهانة به، ومن الاستهانة الاستهانة بالغيبة والنميمة،ومن ذلك الجرأة على أموال الناس، وعلى أراضيهم، وعلى أموالهم بالغش، والكذب، والكتمان، والدعاوة المزورة المزيفة، ونحو هذا، فإن هذه حقوق لابد أن تُسترد، فإن لم تُسترد في الدنيا فإنها تُسترد في الآخرة.

ولذلك هذا حكم عام حتى في غير المكلفين، فإنه جاء في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها**»، هذه يوم القيامة، «**حتى يقاد للشاة الجلحاء**»، الجمة التي ليس لها قرون. «**من الشاة القرناء**».

فإذا كان هذا العدل بين البهائم فكيف بين بني آدم الذين هم مبتلون بالشريعة ومُكلفون بها، ومأمورون، ومنهيون، ومتوعدون على الظلم، وموعدون بتركه بكريم الثواب، فلابد أن الإنسان يتحرز من هذا، ولذلك قال تعالى: «**جعلته بينكم محرما**»، ثم أكد ذلك قال: «**فلا تظالموا**»، وكانت هذه من آخر خطب النبي ﷺ في آخر حياته، حتى قيل: ما بينه وبين موت النبي ﷺ إلا ثلاثة وثمانين يوم، قال: أي يومٍ هذا؟ أي شهرٍ هذا؟ أي بلدٍ هذا؟ فيجيبون أو يسكتون يقولون: الله ورسوله أعلم، يظنون

سيسمي بغير اسمه فيسميه باسمه فيقول: «**إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم**»، وفي رواية: «**وأبشاركم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل قد بلغت؟**» قالوا: نعم.

فهذه مقدمة لهذا الحديث العظيم من كلام الله جل وعلا، متفقة مع القرآن ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾ [النساء:٤٠]، يحسن ولا يظلم سبحانه وتعالى، والرحمة تسبق الغضب، والعفو أحب إليه سبحانه من العقوبة والمؤاخذة، «**فلا تظالموا**» وهذا تأكيد بعد تأكيد تنبيه على خطورة الظلم، والإنسان ينبغي له أن يتحرز من الظلم، وهذا يبتلى به اليوم كثير من الناس، وغالبا في حق العمالة والأجراء، ثم يذهب ولا يراه أبدا، وهذا دين عليك وفي ذمتك، فإذا كنت تعلم أن له حق عندك ولم تعطه حقه فإن استطعت الوصول إليه، أو توصيله إليه فأوصله له، وإن لم تستطع فتصدق به عنه، وأحسن إليه، وادعوا له بظاهر الغيب واستغفر له، وكذا، وكذا، لعلك أن تتخلص من مظالمه قبل الاجتماع يوم القيامة، فإن حقوق العباد لا يترك الله تعالى منها شيء، ولا يغفر منها شيء حتى يغفر أهلها، وللحديث صلة إن شاء الله.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- في حديث أبي ذر: «يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ ضَالّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاستَهدُوني أهْدِكُمْ. يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلاَّ مَنْ أطْعَمْتُهُ فَاستَطعِمُوني أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُونِي أكْسُكُمْ. يَا عِبَادي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيلِ وَالنَّهارِ وَأنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعًا فَاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لَكُمْ».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

لفظا ومعنى، وهذا يدل على الألطاف الإلهية بالمكلفين من الجن والإنس، وعلى الرفق الرباني، والرحمة السابقة الغالبة، وعلى عفو الله تعالى وتجاوزه، ومحبته لذلك، وعلى كرم مثوبته وجليل إحسانه، فالجملة الأولى يقول الله تعالى: «**يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**»، هذه الجملة مزلة أقدام ومظلة أفهام، لأنها أشكلت على بعض من ينتسب إلى العلم قديما وحديثا وهي لا إشكال فيها، فيقول الله تعالى: «**كلكم ضال**»، يعني أنتم مفطورون على الإيمان بي، وبربوبيتي وخلقي وتدبيري وأسمائي وصفاتي وأفعالي آثار الأسماء والصفات، وكمالي وتنزهي عن النقائص والعيوب وأن لي حقًا عليكم، خلقتكم ورزقتكم من أجله وهو العبادة، فلذلك قال: «**كلكم ضال**»، ضال: يعني يحتاج إلى هداية لمعرفة الحق، هذه الهداية العامة، وهذه قام الله تعالى بها وحققها في جميع كتبه، وعلى ألسنة جميع رسله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل:١٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى:٧]، يعني النبي ﷺ {فَهَدَىٰ}، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]، وامتن على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وامتن على النبي ﷺ بهذا، قال: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

قال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران:١٣٨].

وقال: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

فالبيان موجود هداية البيان موجود، موجودة في جميع الأمم، ومن لم يعرف البيان هذا فهو معذور، ما قامت عليه الحجة، وأرجح الأقوال أنه يمتحن يوم القيامة، ومن قامت عليه الحجة فإن أطاع فهو أهل للثواب والكرامة وولاية الله عز وجل في الدنيا والبرزخ والآخرة، ومن أعرض فهو أهل للسخط والعقاب وعداوة الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، فحصل البيان الذي هو الدلالة على حق الله جل وعلا، فالله تعالى بعث الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وأنزل عليهم الكتب بالله تعالى معرفين، ولأداء حقه إليه داعين، ولبيان كيفية أداء الحق مبينين لأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم واعتراضهم على ما جاء به بيان وجه الصواب فيه، وهم الأسوة في ذلك، فهذه هداية البيان والدلالة.

الثانية: هي هداية القبول للحق، فإن كان الشخص وُلد بين أبوين مسلمين صالحين، فهو على فطرته التي فطر عليها في الخلق، ما يقبل إلا التوحيد، ويتحرى حق الله عليه، وكيف يؤديه إليه سبحانه وتعالى، قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، أو يمسلمانه**».

وقيل: لولا المربي ما عرفت ربي.

فإن كان الأبوان مسلمين نشأ في بيئة مسلمة، وسهُل عليه قبول الحق، واجتهد في إعطاء الحق لله جل وعلا على أحسن الوجوه، وما عجز عنه وكسل عنه أو كذا أو استغفر فإن الله يغفر له، ويقبل منه اليسير ويغفر له الذنب الكبير ويعطيه الأجر الوفير وزيادة أجر غير مقابل عمل فضل من الله جل وعلا، ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٠].

فالضلال هذا هو الضلال عن معرفة الحق، يعني في الفطرة حق معلوم أن لله حق، لكن ما هو الحق؟ هذا حسب ما يُقدر للإنسان في ولادته، أو هدايته ودعوته للدخول في الإسلام، ولذلك إن دخل على مذهب أهل السنة صار من أهل السنة، وإن دخل على مذهب الشيعة والباطنية صار على مذهبهم مشرك وكافر، الشيعة الغالية المجوسية عباد القبور، وهكذا الصوفية عباد القبور أهل وحدة الوجوب، و لهذا كل يدعو في الدنيا كلها، وكل حسب ما فهم الإسلام من طريقه، فإن فهم الإسلام على وجهه دخل في السنة وعبد الله تعالى مخلصا له الدين، وعلى وفق الشرع، وعلى طريقة النبي ﷺ وسنته، وإن

أخطأ ذلك ضل وهلك وصار أشد كفرا من حاله الأولى، ولذلك قال سبحانه: «**كلكم ضال إلا من هديته**».

ولم يستثن أحد حتى قال للنبي ﷺ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ [الضحى:٦-٧]، يعني ما تعرف الحق، وقال: أن الله عز وجل خلق الإنسان ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[العلق:١-٥].

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣].

وقال: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ ﴾ [الضحى:٩]، اذكر حالك في الضعف.

﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ ﴾ المستفتي ﴿ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ ﴾ [الضحى:١٠]، لا تجفوه، لا تبعده، ولا تتكبر عليه، ولا تحتقره، علمه ما علمك الله في رقبتك.

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ [الضحى:١١]، فهذا الضلال معناه إنه يدري أن لله تعالى عليه حقا، لكن لا يدري ما هذا الحق، ولذلك قد يتخرص لو كان في جبل مغارة ولا شاف الناس عبد الله تعالى بطريقته ولا توجه إلى غير الله، ولذلك تكفل الله بالبيان والهدى.

والثاني: الذي هو قبول الحق بعد تبينه، فإن قبله زاده الله وثبته وزاده هدى، وعامله بعفوه وفضله وكرمه وجوده، وتاب عليه فضله، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤ ﴾ [طه:١١٤]، استزد من العلم.

وقال: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم:٧٦].

وقال: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝١٧ ﴾ [محمد:١٧].

فينبغي للإنسان أن يعرف الحق ويعرض عليه بالنواجذ، ويخلصه لله جل وعلا ولا يغتر، وليس هذا عكس الفطرة لا الفطرة موجودة، وهي أساس لقبول التعليم، ولتحقيق عمله والرغبة إلى الله عز وجل إلا إن عارضها كذا، إما أبوان ضالان على اليهودية المنحرفة، والنصرانية المنحرفة، والمجوسية المنحرفة، أو على الإلحاد، أو على الانتساب إلى الإسلام بطريقة منحرفة قبورية يقرون الشرك الذي هو أعصم ما عُصي الله به في الأرض، وأعظم ما بعث الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه، فيجعلون الشرك

عبادة لله تعالى، قاتلهم الله أنى يؤفكون، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٣].

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [يونس:١٠٤].

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يونس:١٠٥].

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وأخبر بأن الذي يعبد مع الله عز وجل أنه مشرك وكافر، فإذًا هذه واضحة جدًا التي هي وجدك ضالًا فهداك، علمك الحق، بإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإنزال الكتب، وبيان الرسل وتطبيقهم، وجهادهم للثقلين على الاستقامة على الدين، ولهذا قال: «كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم».

ولذلك النبي ﷺ مع ما آتاه الله من العلم والحكمة والتزكية والفضل العظيم المضاعف المتنوع الذي لا يعلمه إلا الله في الدنيا والآخرة قال له: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه:١١٤].

اسأل الله، وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل يصلي بعد هجعة بعد نوم استفتح الصلاة بقوله: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اُختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وقال: «كان الناس أمة واحدة على التوحيد على دين آدم عليه السلام، فاختلفوا فحدث الحسد، ثم حدثت الكبائر القتل، ثم حدثت البدع، ثم حدث الشرك، ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [البقرة:٢١٣].

ما هو جهل، عناد، وحضوض الدنيا ورئاساتها وشهواتها وطلب الجمهور، وغير ذلك، فلذلك قال: «**كلكم ضالٌ إلا من هديته**»، اطلبوا مني أن أُبين لكم الحق الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب وختمت بمحمد ﷺ وبالقرآن، لأعينكم على فهمه، وأوفقكم لثقة تأخذون الدين عنه لأن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، وأعينكم على تحقيقه على الوجه المرضي لله جل وعلا، وأثبتكم عليه طول الحياة حتى تلقوا الله عليه، نسأل الله ذلك كله، هذا هو، «**استهدوني أهدكم**». وعد من الله لا يخلف الله وعده، ومن أساء الظن بالله أنه يأمرك بالهدى، ولا يهديك، فهذا سوء ظن وهذا سوء خاتمة ويبعث العبد على ما مات عليه، لا يموتن أحدكم إلا وهو محسن الظن بربه.

ولهذا في سورة الفاتحة تُقرأ في اليوم أكثر من ستين مرة فريضة ونافلة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة:٦-٧]، يعني بالعلم النافع والعمل الصالح، أئمتهم المرسلون والنبيون عليهم الصلاة والسلام، والصديقون والشهداء والصالحون، والعلماء العاملون، والشهداء الأبرار، وأهل الإحسان والفضل، وأهل البر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وأهل صنائع المعروف، ادعوا الله أن يحشرك مع هؤلاء، ولذلك قال: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة:٧]، غير من علم العلم واستنكف عنه وأئمتهم اليهود، وغير من لم يرفع بالعلم رأسًا، وعبد الله على جهل وضلال فتعب من غير أجر بل وزر، وأئمة هؤلاء النصارى، فمن تشبه من هذه الأمة باليهود حُشر معهم، ومن تشبه بالنصارى حُشر معهم فاحذر أن تكون كذلك، بل تشبه بأهل العلم والإيمان الذين ورثوا العلم بسنده، وعُدلوا على استمرار الزمان وذُكروا مشكورين مذكورين مُثنى عليهم طائفة من الأئمة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره، وقال النبي ﷺ: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي، فاستهدوني أهدكم**».

هذه الأولى، ما هو معناه إنه يولد عكس الفطرة لا هذا كذب على الله، هذا من أخطأ في هذا نقل عن علماء الأشاعرة والمعتزلة، والرافضة الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وفرضوا على الله تعالى شريعة أنه يجب على الله كذا، ولا يجب عليه كذا، ووصفوا الله عز وجل بما لا يليق بجلاله وعظمته تارةً بالسفه وتارة بنقص الملك وتارة بالعجز وتارة بالظلم، فهذه خطيرة جدا «**فاستهدوني أهدكم**»، بعد هذا قال ايش؟ «**يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته**»، لأن الإنسان بحاجة إلى ما يقوم بدنه حتى

يصلي لله عز وجل، ويعبد الله، ويطلب رضا الله، ويتوب من معصية الله، ويدعو إلى الله، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقوم بمئونة أهله بغير منة أحد، ويحسن إلى الناس، ابتغاء وجه الله، فلذلك قال: «**كلكم جائع إلا من أطعمته، اسألوني**»، أن أيسر رزقكم لكم، وأن أهديكم إلى أفضل السبل، وأخصر السبل والحلال دون الحرام، ولهذا قال النبي ﷺ مبلغا عن الله تعالى: «**عباد الله: إن رزق الله لا يجلبه حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته**».

فإذا أخذت الرزق من غير وجه حلال جنى عليك وقسى قلبك، وثبطك عن الطاعة، وجعلك من أولياء الشيطان، ومالت جوارحك إلى المعصية، وتثاقلت عن الفريضة، وأُعجبت برأيك، واجتمعت مع أهل الفسق وأهل الدنيا الغافلين فصرت مثلهم، فلذلك انتبه لهذا، اسأل الله الرزق، ولذلك النبي ﷺ بعد كل صباح ومساء يقول: «**اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبا، وعملًا متقبلا**»، يقول كل صباح ومساء: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**».

قال: «**لو كان عليك دين مثل أحد لقضاه الله عنك**».

فما عليك إلا تسأل الله سؤال الواثق به الموقن بإجابته، وتلتمس السبب الشرعي، أو القدري، الشرعي مثل الصلاة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

الدعاء سبب شرعي، الصدقة تزيد المال، صلة الرحم تزيد المال أسباب شرعية، والأسباب القدرية إنك تتقن مهنة، تحصل على وظيفة ما فيها ضرر على دينك، تعين على حاجة تعرف مهنة تعرف كذا تعرف كذا، وتطلب من الله أن يُسددك فيها، وأن يبارك لك فيها، وأن يجعل ما تحصله من الرزق فوق ما تؤمله، والله وعد بهذا، إن أسئت الظن بالله فلا تلومن إلا نفسك. «**كلكم جائع إلا من استطعمته، فاستطعموني أطعمكم**».

الثالث: «**كلكم عارٍ إلا من كسوته**»، لأن الإنسان يحتاج إلى كسوة، ولهذا ذكر الله تعالى قصة آدم وحواء عليهما السلام كانا على التقوى، وكان محدد لهما كل شجر الجنة، خذ من أيها شئت ما عليك، لأن هذا الذي يؤكل يذهب جشاء ولا يخرج له لا فضلات ولا روائح، لكن قيل هذه الشجرة لا تأكلوا

منها، فوسوس لهما الشيطان وزين لهما ذلك، وقال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ [طه:١٢٠]، تعمرون أبد الآباد والملك ملك لا يبلى، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف:٢١].

فأكلا بتأويل فلما أكلا أهرا فتفاجئ بالمخرج والخارج، فصار يخطفان يخصفان من ورق الشجرة ويجعلانه على فرجيهما، فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف:٢٢].

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف:٢٠].

وقال بعد ذلك: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ [الأعراف:٢٦] يستر عوراتكم ﴿وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦]. لباس التقوى في الجنة أصلًا، ولذلك أهل الجنة يأكلون ما شاءوا، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ويذهب ذلك كله رشح كرشح .... (٢٠:١٣) –جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة–، وفي نعيم متجدد، وكلما رزقوا منها من ثمرة قالوا هذا رزقنا الذي لم يرزقنا من قبل، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يس:٥٧]، ما يتمنون، إذا وقعت الخاطرة في رأس ... أنه يريد شيء عنب يريد رطب يريد شراب يريد كذا جاءه من دون طلب، في نعيم متجدد، فلما أنهما أكلا من الشجرة، ولامهما الله عز وجل، واعتذرا إلى الله صادقين قالا: وعزتك وجلالك ما ظننا أن أحدا يقسم بك كاذبا، ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢٢]، قال الله تعالى كذا: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾، والحكمة: أن يخرجا من الجنة ليجاهدا في الحياة على الطاعة وفق الشريعة فيعودا إلى الجنة أعلى درجة منهما قبل النزول، ولهذا لما سئل عليه الصلاة والسلام: آدم وحواء عليهما السلام خلقا للسماء ولا للأرض؟ قال: للأرض.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فحـــي علـــى جنـــات عـــدن فإنهـــا منازلـــك الأولـــى وفيهـــا المخـــيم
ولكننـــا ســـبي العـــدو فهـــل تـــرى نعـــود إلـــى أوطاننـــا ونُســـلمُ

فأنزلهما الله عز وجل إلى الأرض، وأنزل لهما لباسا ايش؟ فيه خصلتين: يواري سواءتكما، يستر عوراتكم.

ثانيا: ريشا جمالا تتكشخون به في مناسباتكم وأفراحكم وأعيادكم وغير ذلك.

فاذكروا بهذا اللباس لباس التقوى، لا تلبس لباسا محرما، لا تتبرج النساء، فإن من أساء اللباس عُذب به يوم القيامة، ولا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء.

«**ثلاثة لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم، ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم، ذكر أول واحد منهم: المسبل إزاره**».

وجاء في بعض الأحاديث: أنها لا تقبل صلاته. لكن الأحاديث فيها كلام.

وقال النبي ﷺ: «**إياك والإسبال فإنه من المخيلة**»، لا تقول: لا أنا ما قصدي النبي ﷺ نص بأنه من المخيلة من الخيلاء، ولو كان من الخيلاء نهاية الخيلاء تعجب بنفسك، ويصير جزءا من شخصيتك، إلى غير ذلك، فلذلك الله ذكر باللباس وفائدته ﴿لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف:٢٦]، يعني جمالًا تتجملون به لمناسبتكم، قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:٢٧]، باللباس يعني وغيره، ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧].

قبيله شياطين الإنس والجنس، فيرسل لك شيطانا إنسيا يقنعك بالمعصية، ويقول كل الناس يفعلون هذا، هذه موضة قديمة، هذا تشدد، هذا حجر على العقول، هذا كذا، هذا ما هو من الشريعة حتى يقول هذا الكلام الحين يقولون هذا الكلام، هذا ما حرمه الله، ويرسل لك جنيا في صدرك يوسوس لك يزين لك هذا ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام:١١٢].

ليش؟ يوسوسون؟ ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام:١١٣].

يريدون أن يفعلونها اختيارا ويتحملون النتائج، وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف:٣٢]، في الدنيا يشاركونهم الكفار والملاحدة وغيرهم، لكن في الآخرة لهم في الجنة، أما الكفار لباسهم من نار يعذبون بلباسهم ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم:٥٠].

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦].

فهذا هو والله تعالى امتن بهذا، وقال: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١]. عند كل عبادة موضع عبادة، وأنا أعجب الآن من ناس مثقفين موظفين أصحاب أعمال، أصحاب رجال، أصحاب طموحات، ويبجي الواحد وثوبه نصفه بصل والثاني نصفه زيت وشحم سيارات، والثالث غاز، والرابع دخان، والخامس أمور أخرى محرمة أصلا، فكيف يكون هذا !، والله تعالى يقول: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

فلهذا قال: «استكسوني أكسكم»، لأن الإنسان إذا عرف الحق، ووُفق للعمل به، ورزقه الله رزق، فالأمور يكمل بعضها بعض، ولهذا الفقهاء رحمهم الله ذكروا في كتب الفقه أول شيء العبادات، وابتدأوا بالصلاة، ثم الزكاة، ثم الصيام، ثم الحج، ثم الجهاد، ثم ذكروا البيوع، لأنها .... (٢٥:٤٩) حتى يدفع المهر وينفق، ثم ذكروا الأحوال الأسرية، من ابتداء العقد إلى الوفاة والميراث، والأحكام متعلقة بهذا من الإحسان في العشرة، أو الجور في العشرة، هذا له أدب، وهذا له ثواب، فالإحسان له أدب وثواب له ثواب ويؤجر على آدابه الذي يتقيد بها عبادات تعتبر، لأنه يفعلها ابتغاء وجه الله، والعاصي المخالف يعاقب قدرًا حتى تتعسر عليه المارة ويتلاعنون ويتسابون ويتخاصمون ويتدخل من يُخبب المرأة على زوجها يقولون إصلاح أُسري، ويذكرها لصديق له، واقع هذا مرت علينا قضايا بكذا، والنساء بهذه الأجهزة كل واحدة تغري الثانية بالتمرد، ما يدرون أنهم يتمردون على الله عز وجل،

وينتهكون عقد الشرع النكاح الذي سماه الله ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ ولا يبالون به، ولا يحسون عند النوم أنهم ينامون على ذنب، وأنهم لو ماتوا بُعثوا عليه، كل واحد يقول: لا، لا تلينين أنتِ مظلومة وطالت مدة ظلمك واليوم يريد أن يصالحك، طيب نسيتوا جهنم ونسيتوا الصراط الذي فوق جهنم، وأنه لا يدخل الجنة إلا من زحزح عن النار أو أخرج منها؟

قال النبي ﷺ عن فاسقات النساء: «**هن شر غالبٍ لمن غلب**»، وقال: «**يكفرن النعمة، ويكثرن الشكاك**»، وقال: «**إنهن أكثر أهل النار**»، والصالحات أكثر أهل الجنة نفس الشيء، فكوني من أهل الجنة ولا تكوني من أهل النار.

فلذلك الله تعالى قال كذا: «**استكسوني أكسكم**»، «**كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم**»، «**يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم**»، آخر شيء: «**يا عبادي**» الرجال والنساء، والجن والإنس. «**إنكم تخطئون بالليل والنهار**»، تخطئون جهلًا، وتخطئون تأويلًا وإغراءً من فاسق، ومغرض، وتخطئون عنادًا وتساهلًا بالعواقب، ثم تنسون، ثم تبتلون بالتسويف، ثم يعجبك الصنيع وتصرون عليه، وتقول: لكن الناس على هذا، «**وتخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم**».

طيب هذا فضل الذي يعرضه الله عز وجل على عباه ما يستهون العباد أنهم لا يسألون الله الهدى، ولا يسألون الطعام والرزق، ولا يسألونه الكساء، ولا يتوبون إليه من الذنب، ويصرون على الذنب وهم يعلمون، الله يتحبب إليهم، ويتودد إليهم، ويدنو منهم يقول: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١﴾ [هود:٦١]، يقرب من العبد ويجيب دعوته، فضل الله عز وجل معروض على الناس، وما من ليلة من الليالي أبد الدهر إلا والله تعالى ينزل على ما يليق بجلاله وعظمته حتى يبقى ثلث الليل الآخر فينادي إلى السماء الدنيا بالكيفية التي يعلمها، ويقول: «**هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟**» حتى ينفجر الفجر، والناس نومى، غافلين، أو على ملاهي، ومع ذلك من انتبه ما ينظر قبل ... (٢٩:٢٧) أبدا إلا أن يشاء الله، وين الاستغفار عشرًا، والتسبيح عشرًا، والتحميد عشرًا، والتكبير عشرًا، والدعاء: «**اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا، وضيق يوم الحساب**» عشرا. ويقوم الإنسان ويقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي رد علي روحي**

وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره، اللهم استغفرك ذنبي وأسألك رحمتك، ربي زدني علما، ولا تضلني بعد إن هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»، ونفس الشيء عند النوم يقول: «**باسمك الله أموت وأحيا، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاغفر لها، واحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**».

«**اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها وتملك مماتها ومحياها، فإن أمسكتها فارحمها، وإن أرسلتها فاغفر لها، للهم إني أسألك العافية**».

هكذا، ويُعرض الفضل آناء الليل والنهار، والواحد غافل ما يجلس مع نفسه يفكر، ويجعل له خلاصة، النبي ﷺ في حاجات من الحاجات، وربما أنها كل أسبوع كل يوم بعد الظهر يدعو الله ويتضرع إليه، السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء استجيب له، من الذي وسع الصدر بعد الظهر لعله يوفق هذه الساعة، عندك شغل؟ شغلك هذا أنت موكل بغيرك أصلا الأسحار بعد صلاة الفجر، التبكير للصلاة قبل الإقامة، الانتظار بعد الصلاة حتى تستكمل أذكارك، وبين المغرب والعشاء إذا تيسر لك وتقرأ القرآن وتسأل الله عند آية السؤال، وتتعوذ عند آية التعوذ من العذاب، تسبح عند التسبيح، تكبر عند التكبير، تهلل بعد التهليل، وين أنت، وين أنت غافل؟ إلى متى أتدري ماذا الأجل؟ رب إنك في آخر خطواتك، فخذ استعدادك قبل مفاجأة الأجل، لا يأتي إلا فجأة، ولا يأتي في الغالب إلا حال طول الأمد، الله يحسن خواتيم الجميع، وينجيهم من الجحيم، ويدخلهم جنات النعيم، ووالديهم، وولاة أمرهم، وأزواجهم، وذريتهم، وإخوانهم، والمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

- في حديث أبي ذر ﵁ قال: «يا عِبَادي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغوا ضُرِّي فَتَضُرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفعِي فَتَنْفَعُوني. يَا عِبَادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذلِكَ في مُلكي شيئًا. يَا عِبَادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذلِكَ من مُلكي شيئًا. يَا عِبَادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَألُوني فَأعْطَيتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْألَتَهُ مَا نَقَصَ ذلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلاَّ كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ. يَا عِبَادي، إنَّمَا هِيَ أعْمَالُكُمْ أُحصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيرًا فَلْيَحْمَدِ الله وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ».

قَالَ سعيد: كَانَ أَبُو إدريس إِذَا حَدَّثَ بهذا الحديث جَثا عَلَى رُكبتيه. رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فما سمعتموه تكملة الحديث القدسي، الذي أخبر به النبي ﷺ عن ربه عز وجل، أنه خاطب عباده به، وسبق الكلام على أول الحديث، وفيه قال الله جل وعلا: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**».

فالله جل وعلا ينبه عباده على أنهم مهما اجتهدوا في طاعته فإنهم محل للخطأ، والخطأ أحيانا يكون بسبب الجهل بالحكم، وأحيانا بسبب التجاهل، فالأخطاء كثيرة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح، عن النبي ﷺ قال: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون**».

وفيه كذلك عنه ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، ثم يستغفرونه فيغفر لهم**».

وهذا فيه التنبيه على ضرورة مراجعة المرء لنفسه بين الفينة والأخرى، حتى أنه يستذكر قصور عمله، ويستذكر زلله في حق الله جل وعلا، فيُكثر من الاستغفار الصادق بحيث إنه يندم على ما فعل، ويُقلع عن الخطيئة، ويعزم على أن لا يعود إليها، ويُلح على الله عز وجل بطلب الاستغفار وطلب المغفرة في الاستغفار طلبا للمغفرة، فإن الله عز وجل إذا غفر للعبد أول شيء أنه يستره في الدنيا والآخرة، وثاني شيء: أنه يصرف عنه العقوبة المترتبة على الذنب، فيسلم من شؤمها، وشرها،

وعاقبتها في الحياة الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة، فيحتاج المرء إلى استغفار صادق، استغفار النادمين، استغفار المقلعين عن الذنوب، التاركين للإصرار، المنكسرين بين يدي الله عز وجل يرجون أن يتوب عليهم، والله تعالى قال: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ [الحجرات:١١].

وجاء في الصحيح عن النبي ﷺ أن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل»، وأن الله تعالى يفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه، أشد من الفاقد لراحلته في الصحراء وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها وآوى إلى ظل شجرة، فاضطجع فيه آيسًا من أحواله ينتظر الموت، فاستيقظ من نومه وإذا بالراحلة عنده عليها طعامه وشرابه، فأخذ بخطامها فرحا مسرورا حتى إنه أخطأ في العبارة من شدة الفرح، بدل ما يقول: «**اللهم أنت ربي وأنا عبدك**»، قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**».

فالله يفرح بتوبة عبده مع غناه عن العبد أشد من فرح هذا براحلته، والذي أخطأ في الأدب مع الله جل وعلا، مما يدل على أن الله عز وجل يحب المغفرة، ويحب العفو، ولا يحب المؤاخذة، لكن إذا استوجب العبد المؤاخذة فإن الله يؤاخذه، وما ظلمه الله، وفي هذه الأحاديث بيان غنى الله جل وعلا بملكه، وبكرمه وجوده وما عنده، وأنه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

فخزائنه ملئا، ويداه سبحانه سحاء الليل والنهار، لا تغيظها لا تنقصها نفقة، بل لو اجتمع الجن والإنس في صعيدٍ واحد، وسألوا الله عز وجل على تفنن حاجاتهم، وتنوع لغاتهم، وأعطى كل سائلٍ منهم مسألته مهما عظمت ما نقص ذلك من عند الله جل وعلا إلا كما ينقص المخيط –الإبرة– إذا وُضعت في البحر، هل تنقص ماء البحر؟ لا، لغنى الله عز وجل الكامل، وكرمه سبحانه، وجوده، وأنه يحب الإعطاء، ولا يسأم من الإعطاء، ولا يتعاظمه شيء أعطاه، ولا مكره له، وإذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون، وأنه تعالى لغناه وكمال ملكه فإنه لا تنقصه معصية العاصين ولا تنفعه طاعة الطائعين، لا تضره ولا تنقصه المعصية، ولا تنفعه ولا تغنيه الطاعة لأنه غني بذاته سبحانه وتعالى، ولأنه كامل الملك، وإنما أمر الله عز وجل العباد بطاعته ونهاهم عن معصيته رحمة بهم وإحسانا إليهم، لأجل أن

ينالوا رضاه ومثوبته وكرامته بالطاعة، وأن يسلموا من سخطه ومعصيته وعقوبته بموجب المعصية، و لهذا أنهى الحديث سبحانه وتعالى بقوله: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم**»، يعني مدونة عليكم بواسطة الملائكة الكرام الكاتبين في صحف الأعمال. «**أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها**»، يعني جزاءها إحسانا مقابل الطاعة، وعدلا مقابل المعصية، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾ [النساء:٤٠]، من عنده ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠]، وكريمًا.

فإذًا العبد هو الذي يجني على نفسه، والله تعالى هو المتفضل عليه، هو المبتدأ بالفضل بجميع أنواعه هو الذي خلقك، وأخرجك من بطن أمك لا تعلم شيئا، وعلمك، ووهبك العقل والإرادات والقوى، ونور عقلك بالشرع، وشرح صدرك للإسلام والإيمان، والإحسان، وعلمك طريقة، و كيف تُسلم، وتؤمن، وتُحسن، ويتقبل منك، ويثيبك، ويضاعف لك الثواب، ويعفو عن الزلل فضلا منه، وإن تبت عفى عنك مطلقا فكل الفضل منه كله عائد إليه، وما من شيء أنت وهو يحب لك أن تتهيأ بصلاح الاعتقاد، وسداد القول، وحسن العمل، وحسن الخاتمة بمجاورته في جنات عدن ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فإن أبيت ذلك فليس لك إلا أسفل سافلين في سقر في الجحيم، في سجين.

اختر لنفسك أنت ما ظلمك الله، كل ما يلزم الله عز وجل تفضل عليك به، وبَينه لك، وهداك له، ووعدك بأن يشرح صدرك، وييسر أمرك، فييسرك لليسرى، ويجنبك العسرى، ويضاعف لك الثواب، ويعفو عن الزلل، وأمهلك المهلة ومكنك من العمل، وأنت الذي تتصرف أنت الذي تتصرف لنفسك، قد أقام الله الحجة، وهدى إلى الصراط المستقيم، وأمهل المهلة الكافية، وأسبغ النعمة، ورغب في الطاعة بكريم الثواب، وزجر عن المعصية بما توعد به من أليم العقاب، وأخبر أن المرد إليه والجزاء عليه فمن وجد خيرًا فليحمد الله، لأن الفضل لله كله، ومن وجد غير ذلك من وجد سوءًا فلا يلومن إلا نفسه، فإن الله ما بخل عليه سبحانه وتعالى بشيء، وأعطاه كل شيء حتى أنه عمره ما يتذكر فيه من تذكر، وبشره، وأنذره، وقد أبلغ في الإعذار من تقدم بالإنذار.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب الحث علَى الازدياد من الخير في أواخر العمر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «أعْذَرَ الله إلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً». رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى قد خلق المكلفين الجن والإنس، ذكورهم وإناثهم لعبادته، وهيأهم لطاعته، فجعل ذلك مُرتبًا بحسب أحوالهم، كلٌ على قدر استطاعته ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقد دلت نصوص الشرع المُطهر على أن كل عاقل يُهيأ لعبادة الله قبل بلوغه، قبل بلوغه، ويؤكد عليه إذا كان مظان البلوغ، ويؤدب على بعض التقصير، وإذا بلغ فإنه تجري عليه الأحكام والشرع يسيرها وشديدها، فمن بلغ إنزال المني باحتلام أو تفكير أو جماع أو أنبت شعر العانة في أسفل البطن، وفوق الفرج، أو حاضت المرأة فإن هذا بالغ ويجري عليه التكليف بالصوم، وتجري عليه الحدود الشرعية إذا ارتكب حدا، وهكذا، لكن التدريج يبدأ مبكرًا جدًا.

فأول ذلك من السُنة أن الحسن أو الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أحدهما يحبو، يحبو يعني في السنتين قبل المشي، وكان في بيت النبي ﷺ صدقة، وهو سبط النبي ﷺ، فحبى على يديه ورجليه وأخذ تمرة من الصدقة، ووضعه فيه، فبادره النبي ﷺ وقال: «**كخ، كخ**»، أو «**كخ، كخ، أما علمت أن الصدقة لا تحل لنا على محمد**»، وأدل إصبعه في فمه، وأخرجها من فمه، ومعها دم، مما يدل على شدة غيرة النبي ﷺ، ورحمته بالغلام أنه يأكل شيئًا حرامًا، لأن الصدقة لا تحل للنبي ﷺ ولا لآل بيته، وأمر بإخراج صدقة الفطر حتى عن الأطفال، بعدد أهل البيت رؤوس أهل البيت، فسوي الأطفال بالآباء والأجداد الأحياء في صدقة الفطر، ونحو ذلك، وكذلك الأضحية عن الشخص وعن أهل بيته، إلى غير ذلك من الأمور. فهذا نموذج.

بعد هذا يقول النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهو غلام دون الثالثة عشرة، أو دون العاشرة، يقول: «**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا**

استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة التوحيد لو اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام، وطويت الصحف» عقيدة.

ويقول: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**».

وكان يُحج بالصبيان مع والديهم، ويُعتمر بهم، ويُلزمون بالإحرام، ويُرمى عنهم، ويُؤدى عنهم ما عجزوا من أحكام العمرة، أو الحج، وهكذا، فدل على العناية بالأطفال وتهيئتهم لتحمل أحكام الشريعة حتى يألفوها، أو يحبوها، وينشئوها عليها، ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: شاب نشأ في عبادة الله.

وفي رواية: «**شاب لم تحصل له صبوة**» ما حصل له سفه، وهذا لا يكون إلا بالتربية.

«**كل مولود يولد على الفطر، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، أو يمسلمانه**».

فيمسلم الناشئ، وكان النبي ﷺ يوقظ في العشر الأواخر من رمضان صغار أهل بيته من يطيق القيام، ما يوقظهم في قيام الليل من أول الشهر لكن في العشر الأواخر يوقظهم لأجل أن يدركوا ليلة القدر.

ويقول ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة**»، أو «**أولادكم**»، والأولاد يشمل الذكور والإناث، «**وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»، يعني أدبوهم إذا تساهلوا، «**وفرقوا بينهم في المضاجع**»، فرقوا بينهم في الفُرش لا يصير واحد جنب الثاني، ولا الذكر إلى جنب الأنثى، لأنه قد يبلغ وأهله لا يدرون فيفكر فيما لا تحمد عقباه، ولا سيما مع وجود الأمور الحادثة في هذا الزمن الصور، والأفلام، والمسلسلات، والبرامج، وكذا، وكذا، التهيئة هذه.

ويقول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "**حُج بي مع النبي ﷺ**"، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وأردفه النبي ﷺ أردفه النبي ﷺ من مزدلفة إلى منى، ولما كان في الطريق إلى منى عرضت امرأة للنبي ﷺ تستفتيه أن فريضة الله أدركت أباها وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، فهل تحج عنه؟ فقال لها: «**نعم حجي عنه**»، وكانت إما أنها لم تحتجب لأنها ما عرفت أحكام الحجاب، وفُهم أن إحرام المرأة في وجهها، أو أن عليها حجابا خفيف، فكان الفضل ابن عباس كان ينظر إليها وتنظر إليه، فكان النبي ﷺ

يصرف رأسه يمينًا وشمالًا وهو معه على البعير، فهذه التربية، وابن عمر ﵄ شاب عزب قد بلغ وكان لا يعتني ما هو بالفريضة، لا، لا يعتني بقيام الليل، فرأى رؤية في المنام كأن رجلين أتياه وأخذا بضبعيه بعضديه من تحت الكتف وقبل المرفق، وذهبا به إلى شيء وإذا هي بئر مطوية وإذا هي النار، على شكل بئر مطوية بالحجارة ولها أعلام، فقيل له: رُعبت؟ فقيل له: لن ترعب. وأشكلت عليه الرؤية، فجاء إلى أخته حفصة أم المؤمنين وأخبرها برؤية، فعرضتها على النبي ﷺ فقال: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل**».

عوتب على قيام الليل، وهو بالغ في السادسة عشرة، السابعة عشرة، دون العشرين، ثم صار عبد الله ينام في المسجد، ويقوم الليل، ولا ينام من الليل إلا قليلا، ونشأ في العبادة في الصوم والتلاوة وحفظ الحديث، وكذا، وكذا، وكذا، فرأى رؤية أخرى كأن معه قطعة من حرير، لا يشاء موضعا من الجنة إلا طارت به إليه، فأخبر بها أخته وحفصة ﵃، فقصتها على النبي ﷺ فقال: «**إن كان عبد الله لرجلا صالحا**».

متى شُهد له بالصلاح؟ لما كان يؤدي الفرائض، ويكملها بالنوافل باجتهاد وعناية، فكان عزبًا ينام في المسجد شابا عزبا ينام في المسجد ينام، وعوتب الصحابة ﵃ بالآية التي سمعتم ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧].

ومعهم أبناءهم في سن البلوغ والثامنة عشرة نص الصحابة ﵃ على أن من أبناءهم يعني من جاوز سن البلوغ الخامسة عشرة، لأن الشاب الذكر أو الأنثى يبلغ بخمس عشر سنة، لكن قبل الخمس عشرة لو حاضت البنت، أو أن الشاب والبنت أنبت شعر العانة بلغ، والنبي ﷺ قتل شباب بنو قريظة الذي أنبتوا وفتشهم من أنبت فله حكم الرجال في القتل حكم البالغين، فإذا أمنى باحتلام أو جماع أو تفكير فهو بالغ لو كان كذا، والبنت إذا حاضت كذلك أو أمنت، قبل الخامس عشرة، بل إلى تسع، تقول عائشة ﵂: «**إذا بلغت الجارية تسعا فهي امرأة**»، والنبي ﷺ عقد على عائشة وهي عمرها ست سنين عمرها ست سنين، وكان عمر النبي ﷺ ثلاثة وخمسين، أو خمسة وخمسين، ودخل بها وعمرها تسع، ومات عنها وعمرها ثمانية عشر، فليفهم هؤلاء الذين يتكلمون عن هذا الموضوع ويجعلون له

أمور وشروط ما أنزل الله بها من سلطان، هذه سُنة محمد ﷺ هو الأسوة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

وولي البنت إذا إنه اطمأن عليها في زواجها وهو حي، خصوصا إذا كان هو بلغ الستين الأب يطمئن عليها من حقه وعلى ولده، ومن أهم أسباب الطمأنينة الزواج، فهذه شريعة الله ما يتجرأ عليها وتحذف من يمين ومن يسار وكذا وكذا وتبريرات ما أنزل الله بها من سلطان، حتى يُحتج بالقوانين القوانين الدولية متى صارت القوانين الدولية حاكمة على الشريعة؟ سبحان الله، وين الإيمان، وين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وين الإيمان بالقرآن ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [النور:٣٢]، الأيامى من لا زوج له من بلغ أو قارب البلوغ وهو لا زوج له، فلابد تفهم هذه ولا يصير فيه تلبيس على الناس، ولا تشارك الجهات المسئولة عن هذا، أو في هذا تلبيس على الناس.

وإذا تصرف أحد في شيء من أحكام الشريعة تصرفا خاطئا يحاسب، لكن ما توقف أحكام الشريعة عن التطبيق، هذه يخشى منه أن يكون متعدي لحدود الله، فيهيأ الناس لعبادة الله على بصيرة، حتى إذا بلغوا التكليف وإذا هم مهيؤون ومؤهلون ومجربون العمل بالأحكام، وتسهل عليهم، وتخف عليهم، هذا أمر لابد منه، ولذلك الصحابة عُوتبوا بقرب عهدهم بالإسلام ما مضى على إسلامهم إلا سنوات سنة سنتين ثلاثة ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

وعوتبوا في الآية ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ [فاطر:٣٧].

وفيهم عمره ثمانية عشر هذا أول ما يتذكر فيمن تذكر، من بلغ عُمر حتى وجب عليه التكليف، تحدد عليه، بلغ، سواء خمسة عشر أو قبلها، ولا يعفى تراه ما يتساهل معه في الصيام، ولا يتساهل معه في الحج إذا كان عنده جدة وسعة أو عند وليه، ولا يتساهل معه في مسألة الخلطة وغير ذلك، «**فرقوا بينهم في المضاجع**»، ليش؟ حتى لا تقع الفواحش اللواط والزنى، تُفهم أحكام الشريعة ويُعمل بها وتُطبق ويُربى الناس عليهم في بيوتهم، ويتعلم الصغار من الكبار، ولذلك المشروع في صدقة الفطر: أنها

تُشرع من السوق، وتجابر البيت، ويجتمع أهل البيت، وهذه صدقة فلان، وهذه صدقة فلان وقدرها كذا، الصاع قدره كذا من الكيلو كيلوان ونصف، أو ثلاثة أرباع، أو كيلوا إلا ربع، أو ثلاثة كيلوا على التمام، ونفس الشيء الأضحية يشهدون الأضحية، ويعرفون أضحيتهم جميعا، الآباء والأجداد والأحفاد، وتعلمون الشريعة إذا لم تكن هذه ظاهرة فيهم فكيف يتعلمون؟ والله تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ ﴾ [التحريم:٦]، لا ترحم من يستحق العقوبة ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦].

قال علي رضي الله عنه: **"أدبوا أولادكم"**، وقال: **"فإنهم خُلقوا لغير زمانكم"**، وقال: **"لأن يؤدب أحدكم ولده خيرٌ له من أن يتصدق بصاع"**، والتأديب ترى هو التعليم، والترغيب بالهدية، وحُسن المعاملة، وبتغير الوجه إذا فعل خطأ أن الأب والأم يتغير وجههم عليه، ما في شيء، والضرب، كما قال النبي ﷺ: «**مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

فيعاتب الطفل إذا تأخر عن المدرسة بالثامنة، بالسابع سنين، ولا يعاتب على الصلاة؟ يعاتب إذا أخل عن الواجبات المدرسية، أو الأمور الثانية، أو الاقتصادية ولا يُعلم الدين ولا يُحاسب!، سبحان الله، سبحان الله، ما أسرع تغير الناس، هذا دينكم وهذا أمانة عندكم، ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا ﴾ [الأحزاب:٧٢].

قيل: أتحملن الأمانة بما فيها؟ قلنا: و ما فيها؟ قيل لهن: الثواب والعقاب. الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، ﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا ﴾، خفنا منها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، لأنه مكلف عاقل، مع ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب:٧٢].

لكن الجهل شفاءه العلم، والظلم شفاءه الزجر والأدب، حتى يستقيم على شريعة الله ودينه، ما يُترك هملا، والدعاء الصالح دعاء عباد الرحمن ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان:٧٤].

ما يكونون قرة أعين إلا بالتربية والتعليم وحُسن النية في الزواج، وطلب الذرية الصالحة من مقاصد الزواج، وطلب الذرية الصالحة، واختيار الزوجة الصالحة، وأن يكون الأبوان أسوة صالحة، وأن يكون البيت مهيأ بالصلاح، وممنوعة عنه أسباب الفساد، جبرائيل عليه السلام ما كان يأتي النبي ﷺ إلا في بيت عائشة رضي الله عنها، كرامة لها خاصة من دون أمهات المؤمنين، فواعد النبي ﷺ يوما أن يأتيها على العادة، فتأخر جبرائيل، فقال النبي ﷺ: ما يتأخر الملك، ما يخلف الوعد، الأمر فيه شيء.

فخرج النبي ﷺ من البيت يلتمسه في السوق، وإذا جبرائيل على فرس في صورة دحية الكلبي، قال: «**إنك تأخرت**»، قال: "**إن في البيت تمثالًا تمثال صورة مجسم على صورة حيوان، وفيه كلب فراخ كلب صغير للحسن أو الحسين، فمروا برأس التمثال فليقطع حتى يكون كأصل شجرة، ومر بجروة الكلب أن يخرج فإنا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه تمثال، ولا صورة**"، الله يرحم الأحوال.

فدخل النبي ﷺ سريعا ونفذ، فدخل جبرائيل عليه السلام، فيكون موجودات البيت تعين أهل البيت على التقوى، وعلى السلامة، وعلى الاستقامة على الدين، ولا تنزع بهم يمنة أو يسرى، وكذلك الموسيقى من أخطر الأمور على الناس، قرأ ابن مسعود رضي الله عنه، وهو من أخص أصحاب النبي ﷺ وخصوصًا في القرآن، قال النبي ﷺ: «**مَن أراد أن يسمع القرآن غضا كما أُنزل فليسمعه من فِيِّ أم عبد**»، عبد الله بن مسعود.

وقال عنه عمر: **كُنيف**، يعني وعاء مُلأ علمًا.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **حفظت من فِيِّ رسول الله ﷺ سبعين سورة**.

ويحفظون السور بمعانيها ما هو بس حفظ تلاوة، فهذه طريقة اليهود، ما كانت قراءتهم للكتاب إلا أماني، تلاوة، ما يعتنون بالفقه فيه، وعبد الرحمن السلمي تلميذ ابن مسعود، وغيره، وعثمان بن عفان رضي الله عنه، حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات من القرآن لم يتجاوزوهن، حتى يتعلموا وفيهن من العلم والعمل، فتعلمن العلم والعمل جميعا. وهكذا تعلم التابعون من الصحابة، وتابع التابعين من التابعين -رضي الله عن الجميع-، فابن مسعود قرأ قول الله تعالى في سورة لقمان: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ

مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان:٦-٧].

قال: **والله الذي لا إله إلا هو أن هذه الآية في الغناء**، يحلف ابن مسعود بارًا إن هذه الآية في الغنى، وسمى أبو بكر رضي الله عنه الغناء المعازف سماها مزمور الشيطان، والنبي ﷺ يسمعه وأقره، وأنكر على جاريتين دون البلوغ، فيهيأ البيت ما يكون فيه أشياء تصد عن سبيل الله.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه حديث روي عن غيره مرفوعا هو قال موقوفا عليه قال: **"والله الذي لا إله غيره إن هذه الآية في الغناء**، ثم قال: **الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع"**. أي أب أو أم يرضى لولده فلذة كبده أن ينبت النفاق في قلبه، وإن رضي فهو ما نصح، وإنما أولادنا أكبادنا شعراء الجاهلية يقولون:

إنمـــا أولادنـــا بيننـــا أكبادنـــا ... تمشـــــــي علــــــــى الأرض

لـــو مســـت الـــريح أحـــدهم ... مـــا نامـــت عينـــي مـــن الغمـــض

ويتوجعون لأولادهم إن مشوا على ا لرمضان، فكيف بالنار؟ فيهيأ الناس للاستعداد لتحمل شريعة الله عز وجل، والاغتباط بها، ورجاء ثواب الله عز وجل عليها، والخوف من عقاب الله على التقصير والقصور فيها يهيئون من قبل من النشأة الأولى من الطفولة، النبي ﷺ خشي على الحسن والحسين تمرة واحدة، إنها من الصدقة لا تحل لأهل محمد فتؤثر على قلبه قسوة، والحرام يفسد القلب كما قال النبي ﷺ: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».

وقال: «**إن الحلال بَين، وإن الحرام بَين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس**».

ثم قال بعد ذلك: «**ألا وإن لكل ملكٍ حمى، ألا وإن حمى الله محارمه**»، ما حرمه الله حمى لا تعتدي عليه ولا ترضاه أن ولدك يعتدي عليه أو بنتك، الهوى أن حمى الله محارمه.، «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»، فمتى يفسد القلب؟ إذا دخل عليه الحرام، إذا سمع الحرام، إذا نظر إلى الحرام، إذا نشأ على الحرام، عائشة رضي الله عنها توفي النبي ﷺ وهي ابنة ثمانية عشرة، ودخل النبي ﷺ قبل هذا بسنين، وإذا هي علقت قماش على

سهوة على شباب في صورة فتغير لونه ﷺ، واحمر وجهه، وهتك الستر، وقال يا عائشة: «إن أهل هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال: أحيوا ما خلقتم».

وقال: «إن أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون»، المصورون الذين يضاهئون بخلق الله.

وقال: «مَن صور صورة كُلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ».

جاء في التصوير اثنا عشر حديثا كلها صحيحة، صريحة في هذا الشيء، واليوم صور ما شئت حتى الجنائز تصور، وحتى المرضى، وحتى العورات تصور، يستغفل السفيه أو المجنون ويصور عورته!، وإنا لله وإنا إليه راجعون، يا جماعة وين ... (٢٧:١١).

صدق النبي ﷺ حينما قال: «مَن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا».

وقال: «عليكم بسُنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

فالأمور تراها ما هي سهلة، وترى مقامك أنت بين أهلك ما تدري كم هو، ولا مقام أهلك بينك وبين زوجتك كم هو، فإما عصفور من عصافير الجنة إذا نشأ على التقوى ولا يُخشى عليه أن يكون من جثى جهنم، فيا جماعة الأمور هذه يُحسب لها حسابها، ولذلك يُهيأ الناس من نعومة أظفارهم للشريعة ليألفوها ليحبوها ليستقيموا عليها لينشئوا عليها حتى يكونوا ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، لو مات وهو قبل البلوغ، شاب نشأ في عبادة الله، وابن عمر حوسب بعد البلوغ وقبل العشرين، وحجة بالشباب الصحابة معهم وهم دون البلوغ تربية لهم، وكان النبي ﷺ يستعرضهم الشباب من أنبت دخلوه مع الجيش في الإسلام جيش الإسلام، ومن لم ينبت رده رُد ابن عمر رُد في أُحد وأُدخل في الأحزاب، لأنه ما بلغ، فيُنظر في هذا، فالتهيئة التهيئة ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات:١٠٠].

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص:٢٤].

هذه دعوات الصالحين، وهي ما دعوات فارغة تقال بالألسن، لا، معها عقائد القلوب، وميل القلوب، والغبطة في الإسلام، وتمني أن يتسلسل الدين في الذرية، حتى يستمر عمل الإنسان بعد موته ما ينقطع، ويكون له من يدعو له «**ولدًا صالحًا يدعو له**»، هذا مما يبقى للمسلم بعد موته، فإيانا والغفلة، إيانا والغفلة، إيانا والغفلة، لا يموت أحد وهو مراهق، ولا هو يتعاطى مخدرات، ولا وهو شاب، خطير هذا، لا يموت وهو ما عرف الصلاة ما اطمئن بالصلاة، ما يعقل الصلاة، يصلي بلا وضوء، ويصلي على كذا وكذا ما هو صحيح هذا، والأمور الثانية التفرج على الفروج والعورات، ومشاهدة الأفلام التي تجر إلى الفواحش، بأنواعها غلط غلط، التساهل في أكل الحرام، وشرب الحرام، الأمانة، مسئولياتكم، «**الرجل راعٍ في بيته ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**».

أعدوا للسؤال جوابا إن لم يكن الجواب صوابا، أما أن يترك كذا، ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر:٣٧]، وأولها البلوغ؟ قيل: البلوغ، والبلوغ قد يكون قبل خمسة عشر، مع خمسة عشر، ثمانية عشر سنة كما صرح بعض التابعين، ثمانية عشر سنة، فهذا يُعمر، وقامت عليه الحجة، ولزمته التكاليف، لو زنى يقام عليه حد الزنى، ولو سرق يقام عليه حد السرقة، لو كذا، لو كذا، لو ترك الصلاة من ترك الصلاة حبط عمله، كفر، يقول النبي ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**»، هذا قول النبي ﷺ، هل في أحد يتجرأ على تفسيري بغير هذا بغير ظاهره فعليه الحجة.

يقول: «**مَن فاتته صلاة العصر**»، فقط تفوته، حتى يخرج الوقت وصلى، «**فكأنما وتر أهله وماله**»، فُجع، وبعض أهل العلم يقول: من فاتته الجماعة من المكلفين كأنما فُجع بأهله وماله ما يدري أين هلكوا، «**ومن ترك صلاة العصر يعني متعمدا فقد حبط عمله**».

ايش دليل حبوط العمل عليه؟ على الكفر والشرك، ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]، كلام رب العالمين.

ويبين النبي ﷺ ذلك مؤكدا عليه يقول: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»، قد تحقق كفره، هذا كلام النبي ﷺ، «**فقد كفر**».

ويقول: «**بين الرجل وبين الكفر**» بالألف واللام استغرق الكفر والشرك استغرق الشرك «**ترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر، أو أشرك**»، يختار الذي يريده، إما أن يكون أظهر الكفر، وأبطن الشرك، و إما أظهر الشرك وأبطن الكفر، كلاهما إلى جنة لو مات عليه، فهذا ما تذكر من تذكر، أما إذا مد الله في العمر حتى بلغ أشده الثلاثين، ثلاثة وثلاثين، فهذا أمر آخر، هذا أمر آخر، فهذا العقوبة عليه أغلظ، والجرم أشد، والأسوة أخطر، أما إذا كان بلغ الأربعين فهذا كان الصحابة إذا بلغ الأربعين تركوا كثيرا من المشاغل، وجلسوا في المساجد، يعبدون الله، من عادتهم هذا، بعضهم يقول: صليت أربعين سنة ما نظرت وراء شخص، وايش معناه؟ في الصف الأول من أربعين سنة ما فاتته تكبيرة الإحرام، وسعيد ابن جبير صلى في المسجد مسجد النبي ﷺ حتى أيام الحار حار تضرب من انقطع عن الصلاة في المسجد، وكان يسمع الأذان من حجرة عائشة رضي الله عنها.

فانظروا كيف، فأمر عظيم هذا، والغفلة ما هي عذرة ما للواحد حجة عند الله عز وجل، أما إذا بلغ الستين فقد أعذر الله إليه، فقد أعذر الله إليه، إذ بلغه هذا العمر، لأن أعمار الأمة ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يتجاوز ذلك، وهذا معترك المنايا، ما بين الستين والسبعين ونسأل الله عز وجل حسن الخاتمة للجميع، معترك المنايا، أقلهم، يقول النبي ﷺ: أقلهم من يتجاوز ذلك، ويسمى بعد الستين يمشي على الأرض انتبهوا لا تقولون طموحات عندنا خطط ومشاريع يسمى: أسير الله في أرضه في السماء، أسير الله في أرضه، إذا جاوز السبعين يكتب له ما عمل من خير، ولا يكتب عليه ما عمل من سبعين، لأنه يحتمل أنه يصير أحيانا من غير تفكير بدا به النسيان، بدا به الضعف، بدت به السآمة والعجز، فيا رجال الستين أنتم تجاوزتم عمر النبي ﷺ خلاص ثلاثة وستين معناه ... (٣٥:٣٩) النبي ﷺ وأبو بكر وعمر كلهم ما جاوزا ثلاثة وستين، فكان احتمالية الأجل واردة من الشباب، ولذلك أكثر من يموت الشباب في المسجد خمسة شيبان، ستة عشرة، وين الشباب؟ راحوا، زرع يحصد من أوله، ومن بقي فهو ما ينتظر إلى الهرم وسوء الكبر ويكون عالة على أهله وذويه،

والنبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من الهرم، وأن أُرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من سوء الكبر**»، هكذا كان النبي ﷺ يتعوذ بالله.

يقول: هل تنتظرون إلا كذا وكذا هرما مفندا؟ يعني يؤدي بكم إلى الهذرات والنسيان، أو موت مجهز، أو الدجال فشر غائب انتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر، وايش بعد هذا؟ فأنت بين الهذرات وبين العجز وبين أن تكون حملٍ على أهلك، فغادر الدنيا وأنت عزيز، يقول النبي ﷺ: «**أعوذ بك أن أُرد إلى أرذل العمر، أعوذ بك من سوء الكبر**»، ويُلِح على الله عز وجل سنين على هذا، وما دام المسلم لا يزيده عمره إلا خيرا أعذر الله إليه لما وصل إلى الستين، فإن جاوز عمر النبي ﷺ فقد أبلغ في الإعذار، فقد أبلغ في الإعذار من تقدم بالإنذار، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧].

وأول النذير: الشيب، والشيب يجي للصبيان الآن، ما لاحظتم على الصبيان الحين والله ما بلغوا الخمسة عشر، فهذه مقدمات الأجل تراه، قد يدل على الأجل لأنه تغير في جسم الإنسان، وقد يأتي الأجل فجأة، النبي ﷺ أُعلم له أجله بأنه ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر:١-٢]، فذلك علامات أجله.

وقال: إن أكلته في خيبر التي جعلته له اليهودية يؤرقه، وأن هذا أوان انقطاع ... (٣٨:١٥)، ومات عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أول السنة الحادية عشرة من الهجرة، وخيبر كانت عام سبع من الهجرة سبع سنوات فقط، وهو يعاني أثر السم، وأبو بكر رضي الله عنه معه مات أبو بكر كذلك، النبي شهيد ﷺ، في ظاهر الأمر أنه توفي بالمرض وهو شهيد لأنه بالسم، وأبو بكر كذلك، عمر شهيد وعنده خبر عمر عنده خبر، وعثمان شهيد وعنده خبر، وعلي شهيد وعنده خبر، كلهم، والصحابة أخبروا كذلك أن أكثرهم سيموت شهيد، وجاءت الفتنة العظيمة في أيام يزيد، وقُتل كثير من الصحابة، حتى اقتبضت حجارة الزيت في المدينة بالدم، في واقعة الحرة وغيرها، وهلم، والبقية قتلوا مع علي رضي الله عنه في صفين وفي الجمل وفي كذا وفي كذا، وكلهم عندهم خبر من هذا، فلابد أن ننتبه، وإذا كان النبي ﷺ أو غيره أُعلم له

أجله بوحي للنبي ﷺ، أو برؤية كما صار لعمر رأى رؤية وفسرتها له أسماء بنت عميس بأن هذا أجلك، اعهد بالأمر إلى أحد بعدك، وما عاش بعد هذا أكثر من ستة أشهر.

وعثمان قيل له إنه شهيد مع بلوة تصيبه، وقال: **إنه تنازع الخلافة فلا تنزع قميصًا ألبسك الله إياه،** وصبر على الخوارج هو صبر، ومنع من أن يقاتلوا، قال: **والله لا أكون أول مَن أراق دمًا من دماء المسلمين بالسيف.** امتنع قال من الذي عليه حق للصحابة فلا يقاتلهم، حتى لو قتلوه، لا أكون من تسبب في إراقة دم، لأنه على علم أنها بلوة ستصيبه، وهكذا، والإنسان الذي ما عنده خبر ولا كُشف له الأمر يجيه الأجل وانتهى أجله مغيب الأجل، ولا ينكشف إلا فجأة، ولا ينشكف إلا عند طول الأمل، والله أنهم شباب جاءوا من الدول الغربية معهم شهادات يفتخرون منها ومغتبطين بها والله ما عاشوا يوم، وصلوا وماتوا بنفس اليوم، والثاني خمسة أيام ما توظف، شهر ما توظف، والثالث بعد الوظيفة الصنف الثالث وغيره، وغيره، لأنها آجال مكتوبة خلاص، إذا نفذت الأنفاس ونفذت الأرزاق ما يخليه الله بدون عيشة، فالآجال مغيبة ولا تأتي إلا فجأة، فمن أين لنا الدليل أنها اقتربت آجالنا، وعمرنا ما عمرنا، من عمر إلى البلوغ يكفي، ومن عمر إلى ثمانية عشر يكفي، ومن عمر إلى الثلاثين يكفي، من عمر إلى الأربعين يكفي، فإذا وصل الستين أعذر الله إليه، ما بعد هذا شيء، ومن تجاوز فهو أسير الله في أرضه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

١١٣ - الثاني: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدرٍ فكأنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ في نفسِهِ، فَقَالَ: لِمَ يَدْخُلُ هَذَا معنا ولَنَا أَبْنَاءٌ مِثلُهُ؟! فَقَالَ عُمَرُ: [ص:٥٨] إنَّهُ منْ حَيثُ عَلِمْتُمْ! فَدعانِي ذاتَ يَومٍ فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ فما رَأيتُ أَنَّهُ دعاني يَومَئذٍ إلاَّ لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تقُولُون في قولِ الله: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ}؟ [الفتح: ١] فَقَالَ بعضهم: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللهَ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نَصرنَا وَفَتح عَلَيْنَا، وَسَكتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيئًا. فَقَالَ لي: أَكَذلِكَ تقُول يَا ابنَ عباسٍ؟ فقلت: لا. قَالَ: فما تقول؟ قُلْتُ: هُوَ أجَلُ رَسُول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أعلَمَهُ لَهُ، قَالَ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} وذلك علامةُ أجَلِكَ {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} فَقَالَ عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: مَا أعلم مِنْهَا إلاَّ مَا تقول. رواه البخاري.

- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا صلّى رَسُول الله ﷺ صلاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلتْ عَلَيهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر:١] إلاَّ يقول فِيهَا: «**سُبحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- وفي رواية في الصحيحين عنها: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يقُولَ في ركُوعِه وسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»، يَتَأَوَّلُ القُرآنَ. معنى: «**يَتَأَوَّلُ القُرآنَ**».

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ قبلَ أَنْ يَمُوتَ: «**سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ**». قَالَتْ عائشة: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، مَا هذِهِ الكَلِماتُ الَّتي أَراكَ أَحْدَثْتَها تَقُولُها؟ قَالَ: «**جُعِلَتْ لي عَلامَةٌ في أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُها قُلْتُها** ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر:١] ... **إِلَى آخِرِ السورة**».

- وفي رواية لَهُ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ مِنْ قَولِ: «**سبْحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ أَسْتَغفِرُ اللهَ وأتُوبُ إِلَيْهِ**». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، أَراكَ تُكثِرُ مِنْ قَولِ سُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: «**أخبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرى عَلامَةً في أُمَّتي فإذا رَأيْتُها أَكْثَرْتُ مِنْ قَولِ: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْه فَقَدْ رَأَيْتُهَا**: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر:١]، فتح مكّة، ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:٢-٣]».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فكان من آخر ما نزل على النبي ﷺ في آخر حياته سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر:١]، وفيها إشعار للنبي ﷺ بقرب أجله، ووشك انتهاء مهمته، ولقاء ربه جل وعلا، وتأكل ذلك، أو أُكد ذلك بقوله تعالى عشية يوم عرفة من سورة المائدة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣].

قال الصديق رضي الله عنه: "**نُعي إلينا نبينا** ﷺ"، أي: أُشعرنا بقرب مفارقته لنا، وللقائه لربه جل وعلا، وكان ﷺ في أيام المناسك إذا بَين للناس منسك من مناسك المشاعر قال: «**خذوا عني مناسككم، فلا أدري فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**».

فلوحظ في آخر حياة النبي ﷺ أمران:

الأول: كثرة نزول الوحي وتتابعه، وتنوع أعمال النبي ﷺ، وتجددها، واستمراره على ما كان منها سابقا، فيجمع بين ما كان عليه في السابق، والجديد اللاحق، مع تنوع الأعمال، والإشارة بقرب الأجل، ووشك لقاء الله عز وجل، حتى إن النبي ﷺ أسمع الناس هذا، قال: «**لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»، وقال: «**ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**»، لا تكونوا كالكفار أهل الجاهلية، فدل ذلك فعل الله جل وعلا بنبيه ﷺ، وإرشاده سبحانه وتعالى له، وهو أسوة الأمة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على أن الإنسان ينبغي له أن يستكثر من العمل الصالح عامة، بأنواع العمل الصالح من فرائض، والسُنن النوافل، ومن الاحتياط باتقاء الشبهات وبعدًا عن المحرمات، ومن عدم الاشتغال بالفضول حتى من المباحات، اغتنامًا لبقية العمر في أن يتزوج بأكثر وأحسن زاد، وأن يُختم له بأحسن وأفضل عمله حتى يُبعث عليه، وهو ﷺ أسوة الأمة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

وإذا كان النبي ﷺ، وخاصة خلفاء الراشدين كما سلف في الدرس الماضي، أُشعروا بقرب الأجل، حتى قال النبي ﷺ حدًا محدودا قال: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»، يعني خلافة النبوة.

معناه أنه من يكون خلف بعد النبي ﷺ فهو في هذه الثلاثون سنة، ثم تكون ملكًا ورحمة، ثم تكون ملكًا عضوضًا وجبرية، فصار أكابر الصحابة يشعرون بقرب آجالهم، ووشك التحاقهم بنبيهم ﷺ، فكانوا مجتهدين متفرغين للأعمال على جلالة ما قاموا به من مسئوليات في تبليغ الدعوة، والجهاد في سبيل الله، وقتال أهل الردة والرد على أهل البدعة، وحُسن التعليم لأهل الإسلام الناشئة الجديدة والمسلمين الجدد، وممن يُشكل عليه شيئا في الإسلام، تفرغوا لهذا مطلقا، صار هذا جُل همهم - رضي الله عنهم وأرضاهم-، فإذا كان النبي ﷺ، وخاصة أصحابه، وأكابرهم، وأشرافهم، وكذا جُعل لهم أماراتٍ تدل على قرب الأجل، ووشك انقطاع العمل، ولقاء الله عز وجل فمن أين لغيرهم هذا؟ يحتاج أن

يكون الإنسان حازمًا مع نفسه من أول عمره، حتى ولو كان في سن الشباب والمراهقة، فكيف إذا بلغ؟ فكيف إذا جاوز البلوغ؟ فكيف إذا بلغ أشد القوة والعمر بعد الثلاثين إلى الأربعين؟، فكيف إذا بلغ أربعين سنة وقد قال تعالى في الثناء على الصديق رضي الله عنه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾ [الأحقاف:١٥].

يعني أخذ همًا في هذا، أو أخذه هم أن يشكر نعمة الله عليه الخاصة به من الهدى للإسلام، وما تفضل الله عليه به من العلم، وبالعقيدة، وبالأحكام، وما كان عليه من الأخلاق، وما كان عليه من الإحسان للخاص والعام، وغير ذلك، ثم ذكر إنعام الله تعالى على والديه، وأن عناية والديه به من نعم الله عليه، وأنها تحتاج إلى شكر، ولا سيما وقد جرب الأبوة، وحنوها على الأولاد، وذكر أبوة والديه، وحنوهم عليه، وكذا، وكذا، وكذا، وقال: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [الأحقاف:١٥]، وعلى عمل صالح أصلًا، لكن المعنى الازدياد من العلم، والازدياد من الهدى، وطلب الزيادة من الله عز وجل، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه:١١٤].

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦].

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد:١٧].

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢٦٩].

فكان مهمومًا بهذا، ولا سيما أنه بلغ الأربعين، فكيف وقد بلغ الستين؟! فمن الأربعين إلى الستين وهو يقول هذا، وحتى جاوز الستين الصديق رضي الله عنه، ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ﴾ [الأحقاف:١٥]، ما نسي الذرية، فذكر هذه الأمور الثلاثة المتعلقة به:

الأول: النعمة عليه هو شخصيا.

والثاني: الإنعام على والديه لأنها نعم عليه، ومن تمام نعم الله عليه.

والثالث: الاستزادة من العمل الصالح مقابل هذا، فيكون الشكر اعترافا بالنعمة بالقلب، ونسبة له إلى الله عز وجل، وثناء عليه بها، ودعاء له أن يعينه على ذكره وشكره وحسن وعبادته، وأن يستعملها في عبادة الله جل وعلا، وأن يستعين بها.

ثم العناية بأولاده وأن يكون على طريقه وسبيله أيضًا، ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥]، ما وقع مني في أول عمري وفي جهلي وفي كذا أو في كذا أو انشغالي أو كذا وكذا أنا تبت إليك من أي قصور، قصور عمل، ونقص عمل، أو شيء مما يخالف الشرع، أو غير ذلك ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف:١٥] المستسلمين لك، وأنا قادم عليك، فمردي إليك، ولا غنى بي عنك طرفة عين، ولا أقل من هذا، فأثنى الله عز وجل عليه ووعده وعدًا كريما وهو له ولمن كان على شاكلته، فوعد بوعود كريمة قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف:١٦].

وهذا معناه: أن معيار جزاء الرب جل وعلا للعبد الصالح إذا أحسن بأحسن عملٍ لا بالأوسط ولا بالأدنى فضلًا عن ما وقع من الخطأ والجهل، لأن من أحسن إسلامه لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ويعامله الله عز وجل بالحسنى ﴿أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [الأحقاف:١٦]، نصًا من الله عز وجل.

الثالثة: ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأحقاف:١٦]، في سلك وسجل أصحاب الجنة.

الرابعة: التأكيد على هذه الثلاثة، ومزيد الفضل من الله جل وعلا: ﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝١٦﴾ [الأحقاف:١٦].

فإذا كنت لا تعلم متى أجلك، ومتى وشك لقاء ربك فكرر هذا الدعاء يوميا جدد وكرر وتضرع وأخلص ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾ [النمل:١٩].

﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥].

وإن أضفت إليها دعوة سليمان: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل:١٩]، فحسن لأنه ممن أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقتدي بهم ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، فيحتاج المسلم أن يكون حازمًا في هذا الأمر، لماذا؟ لأنك ما عندك علامة على قرب أجلك، فقد يفاجئك الأجل وأنت تمشي في الطريق، وأنت نائم مستغرق، وأنت في صلاتك، وأنت في أشغالك، وأنت في كذا، وأنت في كذا، فإنه من حضره أجله رحل، وانقطع عن العمل، وارتهن بما عمل، ومن مات على شيء خيرًا أو ضده بُعث عليه وهذا خطر، فيلازم الإنسان الأعمال الصالحة رجاء أن يُختم له بها هكذا يتحرى حسن الختام، فيلازم هذه الأعمال الصالحة، وهذه الأدعية، ولذلك النبي ﷺ تذكر عنه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أنه لازم التسبيح، لأنه منصوصًا عليه في سورة {النصر}: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر:٣]، كيف؟ من أول ما يقول في الصلاة دعاء الاستفتاح: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**».

وكان عمر رضي الله عنه يجهر بهذا في آخر عمره، يُعلمه المسلمون الجُدد والناشئة الجديدة في الإسلام، وبمحضر من جمع من الصحابة من خيار الصحابة كلهم خيار رضي الله عنهم، فاستحب الإمام أحمد وغيره من الأئمة هذا الاستفتاح أن يكثر منه في الصلاة، لإجماع الصحابة عليه، لأنهم سمعوه من عمر عدات مرات يجهر به في الصلاة حتى في الصلاة السكوتية السرية، يعلمهم لأنهم لا يعلمون، فصار إجماع ما هو رواية راوٍ واحد لا أكثر من التواتر.

وكان ﷺ يقول في ركوعه وفي سجوده: «**سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي**»، ويقول: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، ويقول: «**سبحان ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة**»، ويرددها. ويقول: «**أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود**» يعني سبحوه فيه لكن أكثروا من الدعاء، «**فقَمِن**» أي: حري. «**أن يستجاب لكم**».

فكان يسبح كثيرا في الركوع والسجود لمشروعية التسبيح فيه، لأنه من الذكر الواجب فيهما الركوع والسجود الذكر الواجب، وكان يسبح عليه الصلاة والسلام ليلا طويلا في صلاة الليل في الركوع والسجود كالقيام، إن أطال القيام أطال الركوع والسجود، والرفع من الركوع، والرفع من السجود، وما بين السجدتين، وإن قصره بحسب ذلك فكان يُكثر ولأن الركوع والسجود لا يُقرأ فيه

القرآن، لأنه نُهي النبي ﷺ أن يقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، وهذا جاء الإسلام في الصلاة من غير عذر، وخصوصا الفاتحة، ولهذا بعض المشايخ ينكر على من يقرأ الفاتحة قبل أن يعتمد واقفا، وأنها لا تُقرأ إلا بعد ما يقوم واقفا، لأن القرآن يُقرأ في حال القيام، أو في حال الجلوس، أو على جنب، أو مستلقيا خارج الصلاة، لكن في الصلاة لا، فلذلك كان يُكثر في ركوعه وسجوده من قوله: «**سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي**»، يكثر، وخصوصا في الليل وفي صلاة الليل، وفي نافلة النهار إذا أطالها، فيعتني المسلم بهذا، ثم زاد ﷺ فصار يختم كل مجلس بقوله: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك**».

ويُخبر أنه إذا كان في خير كانت كالطابع عليه، وإن كان فيه لغو كانت كفارة لما فيه، ثم صار يُكثر من هذا في عدد المجالس، وفي طول المجلس وهو يُكثر، حتى أن هذا لفت نظر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك؟ قال: هي علامة جُعلت لي في أمتي إذا رأيتها قلتها فقد رأيتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر:١-٣].

فأنا أقولها، ثم صار ﷺ بعد النافلة يقول كذلك: «**استغفر الله وأتوب إليه**»، «**استغفرك اللهم وأتوب إليك**»، مئة مرة، حتى بعد صلاة الضحى يقولها، ويُعد له في كل مجلس يجلسه ﷺ يقول كذلك: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**».

فيجمع بين التسبيح والاستغفار، ويكثر من هذا، وأن ذلك من الاستعداد للقاء الله عز وجل بحسن العمل.

وأن الاستغفار يسد الخلل، ويُكمل النقص، ويستوفى به الأجر، ويستزاد به من الرزق والفضل، وتمحى به الخطيئات وترفع به الدرجات وتكثر به الحسنات، إلى غير ذلك، فكان ديدن النبي ﷺ هذا: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي**»، في الصلاة، وفي ختام الصلاة، وخارج الصلاة، وفي الليل حتى إذا استيقظ من الليل يسبح الله عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا ويهلله عشرا ويستغفره عشرا، ويعوذ بالله من ضيق الدنيا

وضيق يوم الحساب عشرا، ويخبر أن من توضأ وصلى قُبلت صلاته، ومن دعا أُستجيب له، ولما قيل له سُئل سألته امرأة أن ادعوا الله لها أن تكون مستجابة الدعوة أم سليم؟ قال لها: «**سبحي الله عشرًا يا أم سليم، واحمديه عشرًا، وكبريه عشرًا، وهلليه عشرًا، ثم سلي ما بدا لكِ**»، يعني يستجاب لكِ، هكذا.

فالنتيجة أن النبي ﷺ جُعل له علامة على قرب أجله ووشك لقاء ربه جل وعلا، مع أنه حريص على العمل الصالح ومجتهد فيه في كل أنواعه وأحواله، ويختار الأفضل على المفضول، ويقدم على المفضول، وهكذا، ويقدم الفرض على ما دونه، ومع ذلك اجتهد اجتهادًا منقطع النظير في آخر حياته، حتى أنه في آخر حياته اعتكف عليه الصلاة والسلام في المسجد، وفي رمضان، ولازم كذلك الصيام النافلة، ولازم النوافل العبادات وغير ذلك، استكثر من ذلك ولوحظ عليه هذا، فلنا فيه أسوة عليه الصلاة والسلام، وهذا من صالح المرء إنه يتهيأ للقاء الله تعالى على أحسن أحواله، وأكمل وأفضل أعماله، فيُختم له بها، ويلقى الله تعالى بها، ويرفع الله تعالى بها قدره عنده، ويُكرم جزاءه، ويُحقق له ما وعد به عباده الصالحين.

وفقنا الله جميعا لذلك، وأعاننا عليه، وجعلنا من أهل ذكره وشكره وحسن عبادته المجتهدين في طاعته، المقبولين عنده، المحبوبين لديه، الذين يرفعهم درجات عنده، ويجعلهم من مجاوريه في جنات عدن ونهر في مقصد صدق عند مليك مقتدر.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: إنَّ اللهَ -عز وجل- تَابَعَ الوَحيَ عَلَى رسولِ الله ﷺ قَبلَ وَفَاتِهِ حَتَّى تُوُفِّيَ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ**». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذان الحديثان في بيان شأن آخر العمر، وأنه ينبغي للعبد أن يستكثر من الخير رجاء أن يُختم له به، ويُنوع الخير، وفي حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن الله تبارك وتعالى تابع على نبيه ﷺ الوحي في آخر عمره أكثر ما كان، وهذا من أجل أن يتحقق البلاغ للرسالة، مع البيان، ومن أجل أن يكثر وأن يتبين كثرة أنواع العمل الصالح فيزداد الناس من الخير، ويزداد النبي ﷺ قبل وفاته من الخير، فيُختم له ﷺ في عمره أكثر ما كان من العلم والعبادة، ولذلك كان في أول الإسلام تمضي أيام يعني أسبوع أسبوعين ثلاثة ما نزل شيء من الوحي، لأن الوحي ينزل بالتدريج تعالج الأمور بالتأني، مثل فريضة الصلاة فإنها صارت في عدة أحوال، وهكذا فريضة الزكاة كان ما في قبل الهجرة إلا الصدقة العامة، ولم تنزل الزكاة الفريضة إلا بالمدينة.

وهكذا الصيام لم يُفرض إلا في المدينة وفُرض على عدة مراحل، ومثل هذا تحويل القبلة، وعدة أمور، فكانت بالتدريج، لكن بعدما استقر الإسلام في المدينة، ودخل الناس في دين الله أفواجا احتاجوا إلى مزيد تشريعات، ومزيد أحكام، وتيسير أمور، ونسخ أمور، وكذا.

فلذلك تنوع الوحي وكثر في آخر حياة النبي ﷺ، وبهذا كمُل الدين كمُل الدين تشريعًا وكمُل الدين تبليغًا وكمُل الدين تبيينًا، وكمُل الدين تطبيقًا، وكمُل الدين في الرد على الشبهات واعتراضات اليهود وأهل الشرك والنصارى والمنافقين، فكل ما اعترضه اعتراضا أو أوردوا شبهة نزل القرآن يرد عليها، وكل ما سألوا سؤالًا نزل القرآن بالجواب.

ومن ذلك من أمثلة ذلك: أنه سئل النبي ﷺ من قبل اليهود أسئلة: الأول منها عن أهل الكهف من هم وما شأنهم؟

والثاني: كيف يكون الولد؟ وكيف تكون النطفة ذكرا؟ وكيف يكون الشبه على أمه وأخواله؟ أو على أبيه وأجداده وأعمامه؟، وهكذا.

وفي كذلك أسئلة أخرى عن ذي القرنين، وعن رحلة موسى عليه السلام إلى الخضر، كل هذا مما اشتملت عليه سورة {الكهف}، وكانت لما وردت الأسئلة على النبي ﷺ وعد اليهود أن يجيبهم، وأُنسي لحكمة، أن يقول: إن شاء الله، في العادة إنه ينزل الجواب على السؤال فورًا كما قال تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة:٢١٩].

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩].

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [البقرة:٢١٩].

يسألونك عن كذا، على طول، لكن هنا من شأنه يعلم الناس ضرورة الاستثناء على كل شيء سيفعل في مستقبل الزمان، فالإنسان لابد أن يقول: إن شاء الله، إن شاء الله أجيك، إن شاء الله أعطيك كذا، بينما لا يجوز تعليق الدعاء على المشيئة، فإذا سأل الإنسان الله عز وجل حاجة فيعزم المسألة ويعظم الرغبة ولا يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت. فالمهم: إنه تأخر الجواب على أسئلة اليهود أكثر من عشرين يوما، ونزل الجواب وفيه ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف:٢٣-٢٤] ونزل الجواب: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف:١٣-١٤].

وأفاد الله عنهم أنهم شببة صالحون على التوحيد يخافوا الفتنة من قومهم فخرجوا من البلد خشية الفتنة، فأواهم الله إلى مغارة في الجبل، وألقى عليهم النوم وعاشوا وهم نيام ثلاثمائة وازدادوا تسعا ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا، وأنهم أقرب الأقوال فيهم: أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، ثامنهم ليس منهم، وأن الله بعثهم فقالوا: ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الكهف:١٩]، بعد هذه المدة الطويلة ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الكهف:١٩-٢٠].

فإنهم أهل شرك، فلما ذهب الذاهب منهم ليقضي الحاجات لهم، وأخرج العملة ثمن البضاعة التي يشتريها غدا أو عشا، وإذا هي غريبة، فشك فيه قال: أنت عندك كنز، وعلم بعض أصحابه، وجاءوا يركضون وراءه، وإذا الله قد ألقى عليهم الموت خلاص، وإذا العملة لها أكثر من ثلاثمائة سَنة، فبَين الله شأنهم حتى يزيل أكاذيب اليهود وافتراءاتهم على ما في كتبهم، وفيها أخبر النبي ﷺ أن ماء الرجل في الجماع إذا سبق أذكر، وإذا تأخر آنث تغلب نطفة المرأة، وأنه إذا علا ماء الرجل صار الشبه لأعمامه، وإذا علا ماء المرأة صار الشبه لأخواله، ... (٠٩:٠٦) من أشرار الله في الخلق، وذكر الله تعالى قصة رحلة موسى عليه السلام والخضر، وما فيها من العجب، وذكر قصة ذي القرنين وما فيها من العجب العجاب، فالمقصود: إنه تتابع الوحي في آخر عمر النبي ﷺ كأن ينزل صباح، مساء، في الظهر، في العصر، في الليل، في كذا، في كذا، من أجل اقتراب أجل النبي ﷺ حتى يكمل التشريع. وهذه القواعد التي ذكرتها لكم كمال الدين تشريعا، وكمال الدين تبليغا، وكمال الدين تبيينا، وكمال الدين تطبيقا، وكمال الدين إجابة عن الأسئلة والإشكالات ورد الشبهات هذه من حجج أهل الحق على أهل الباطل، منذ ذلك الوقت إلى أن يأتي الله بأمره ما أحد يأتينا بشيء من هذا لنقول أنت كافر أنت مخترع مبتدع لأن الدين كامل، والله نص على كماله بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

فمن زعم أن الدين لم يكمل وأنه محتاج إلى بدعته فهو كاذب، ومعترض على الله عز وجل في كلامه، وعلى النبي ﷺ في بيانه، أو على النبي ﷺ في تطبيقه، أو على الله تعالى في إقراره للنبي ﷺ على خلاف الحق، ولهذا تنقطع أعناق أهل البدع وتدحض حججهم، فكانت هذه الحكمة من تتابع الوحي في آخر حياة النبي ﷺ، ولذلك النبي ﷺ علم من هذا قرب أجله، ولما نزلت الآية في سورة {المائدة}: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣].

قال الصديق رضي الله عنه: **"نُعي إلينا نبينا"**. يعني انتهت مهمته، بلغ رسالته، وأدى أمانته، ونصح أمته، وجاهد في الله حق جهاده، فما بقي له قعود.

وقال ﷺ: «**إن عبدًا خيره الله بين الدنيا وبين الرفيق الأعلى**»، قال أبو بكر: **"إذًا لا يختارنا، يختار الله عز وجل"**، وهكذا اختيار النبي ﷺ، ولذلك عند موته قالت عائشة: **"إن النبي ﷺ رفع أصبعه**

السبابة قال: «**في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى**»، لأنه انتهت مهمته، فكانت هي الحكمة من تتابع الوحي وكثرة الوحي في آخر أيام النبي ﷺ حتى يكمل الدين ويتبلغ المسلمون ويتنوع العمل الصالح، ويعملون بكل ما أنزل الله عز وجل إليهم على نبيهم ﷺ، وبينه النبي ﷺ، والرسول ﷺ حي بين ظهرانيهم، فما أصابوا فيه أقرهم عليه وأثنى عليهم به، وما أخطئوا فيه نبههم عليه، وبين لهم وجه الصواب فيه، فكمُل الدين بجميع أنواع الكمال.

وفي الحديث الثاني: «**إن النبي ﷺ توفي على أكمل أحواله، حتى يبعث على ذلك**»، ولهذا النبي ﷺ أشعر الناس بهذا في حجة الوداع قال: «**خذوا عني مناسككم، فلا أدري فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»، فبَين ﷺ كل ما يحتاج إلى بيان، وأخذ المسلمون أكثر ما اجتمع من جماعة أهل الإسلام عند النبي ﷺ شاهدوه بأعينهم، وسمعوا كلامه بآذانهم، ورأوا تطبيقه وهو يفعل يصلي يؤدي المناسك، وكذا، وكذا، ويجيب على أسئلة السائلين وغير ذلك في هذه المدة التي هي في آخر السَنة العاشرة في حجة الوداع في السنة العاشرة، فحضر أكثر جمع من الصحابة حتى أُحصوا بأنهم زادوا عن مئة وأربعين ألف من الصحابة، كلهم قرت أعينهم برؤية النبي ﷺ، والسماع منه، والائتمام به، والأخذ عنه، ثم تفرقوا في أمصار أهل الإسلام وبلغوا قاموا بالواجب عن نبيهم ﷺ.

فكان حال النبي ﷺ التي مات عليها هي أفضل أحواله، ولذلك كملها بقول الله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر:٣].

يعني أيضا مع حسن عملك واجتهادك في بيان وأداء رسالتك ونصيحة أمتك اعتذر إلى الله عز وجل من قصور العمل، من نقص العمل عما ينبغي في حق الله عز وجل، ومما قد يكون من خلاف الأولى، كم، حتى يجمع الله لك الأجر كله أجر العناية والبلاغ والبيان والتطبيق وكذا وكذا، مع أجر الاستغفار والاعتذار إلى الله عز وجل، وفي هذا إشعار المسلم أنه يفترض أن عمره الذي هو فيه الآن قد يكون هو آخر حياته، وأنه إذا مات على شيء فإنه سيبعث عليه إن مات على عمل صالح وحسن وفقنا الله وإياكم لذلك بعث عليه، وإن مات على ضد ذلك بعث عليه، وإن مات على قصور في ذلك بعث عليه، فيفترض الإنسان إنه في آخر عمره فإن فسح الله في الأجل وأعطاه مكنة عمل فهذه صدقة من الله عليه، ونعمة متجددة من الله عز وجل عليه، ومهلة زادها الله إياها، ولذا قال ﷺ: «**صلي صلاة**

مودع»، يعني كل صلاة افترض أنها آخر صلاة، وهكذا تصدق صدقات مودع، صم صيام مودع، اقرأ القرآن قراءة مودع، تفقه في الدين تفقه مودع، انصح لخاصة الناس وعامتهم ممن تلتقي بهم نصيحة مودع، أأمر بالمعروف أمر مودع، أنهى عن المنكر نهي مودع، أنصح المسلمين وأشر عليهم بالخير نصيحة وإشارة مودع، فإن زادك الله فافسح في الأجل ومكنك بزيادة عمل فاشكر الله لأنها نعمة متجددة لله عليك، والله أعطاك من عنده، والموت الذي تخطاك إلى غيرك سيتخطى غيرك إليك ولابد، فبادر المهلة مهلة الأجل ومكنة العمل بصالح العمل، حتى تلقى الله عز وجل على أحسن أحوالك، وأطيب أقوالك، وأكرم أخلاقك، وأسلم ما كنت من السيئات أنك تبت إليها وتبت إلى الله عز وجل منها توبة نصوحة، وأن أكثر ذكرا لله جل وعلا، لأن النبي ﷺ قال للذي سأله أن شرائع الإسلام قد كثرت عليه: فمرني بشيء أتشبث به؟ قال: «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**».

وكما سبق في الدرس الماضي إن النبي ﷺ كان لا يجلس مجلس، ولا يقوم مقام، ولا ينتبه نوم، ولا ينام، ولا يدخل، ولا يخرج، إلا ذكر الله عز وجل، ومن ذلك: أن يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**»، ويصلي على النبي ﷺ، ويخبر أنه إذا فاته هذا الشيء فإن مجلسه الذي جلس فيه، ومضجعه الذي اضطجع فيه ونام فيه، والطريق الذي ذهب فيه لحاجته، أو عودته من حاجته يكون حسرة عليه وندامة يوم القيامة، لابد من المراعاة في هذه الأمور والعناية والحزم فيها حتى يكون على أحسن أحواله على الدوام، رجاء أن يلقى الله تعالى بأحسن أحواله على الدوام.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب بيان كثرة طرق الخير

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:١٩٧].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ [الزلزلة:٧].

عن أبي ذر جُنْدبِ بنِ جُنَادَةَ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ باللهِ وَالجِهادُ فِي سَبيلِهِ». قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أَفضَلُ؟ قَالَ: «أنْفَسُهَا عِنْدَ أهلِهَا وَأكثَرهَا ثَمَنًا». قُلْتُ: فإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ». قُلْتُ: يَا رَسُول الله، أرأيْتَ إنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فإنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ». مُتَّفَقٌ عليه.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلما بَين المؤلف النووي -رَحِمَهُ اللهُ وإيانا- في الباب السابق فضل من يُعمر في الإسلام، ويُوفق للعمل الصالح في آخر عمره حتى يُختم له به، ناسب أن يُبين نعمة الله على العباد بكثرة أنواع الخير، وتيسيرها، وعظم المثوبة عليها، فإن الله عز وجل جعل الخير أنواعا والخير هو كل عمل شرع الله تعالى أصله، وابتغي به وجهه، وكان على سُنة النبي ﷺ وهديه، هذا هو الخير في الدنيا والآخرة، وقد نوعه الله عز وجل فجعل منه عباداتٍ بدنية محضة، مثل الصلاة، مثل الصوم.

عبادات بدنية محضة خالصة، وهي مقتصرة على صاحبها منها فريضة ومنها نافلة، ومنها عبادات مالية مثل الزكاة والصدقة والإحسان الذي يتعدى نفعه إلى الناس، ومنها: عبادات بدنية مالية مثل الحج والجهاد في سبيل الله، بحيث أن الإنسان يؤدي الفريضة من هذه الأنواع، ويجتهد في النافلة بما يناسب وما هو يسير عليه، فبعض الناس مثلًا يكون عبادة الصوم أيسر عليه، بعض الناس تكون الصلاة النافلة أيسر عليه من غيرها، بعض الناس يشق عليه الصوم، لكن الصلاة ما تشق عليه، نافلة الصلاة، وهكذا نافلة الصوم، فيأخذ بما هو أيسر عليه، بعض الناس يمكن يصلي باليوم خمسين ركعة نافلة لكن ما يطيق صيام اليوم إلا الفريضة بس، وبعض الناس يكون الإحسان إلى الناس بإماطة الأذى عن الطريق، وبإعانة الصانع صاحب الحرفة والمهنة بالصناعة للأخرق الذي لا يحسن يكون أيسر عليه، فمن أجل ذلك نوع الله تعالى أنواع الخير والعبادات، بحيث أن الإنسان يأخذ ما تيسر له منه، وبعض

الناس يسهل عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، والنصيحة، أيسر عليه من بذل المال، فنوع الله عز وجل أعمال الخير حتى كل واحد يأخذ بما يناسبه.

ومن ذلك: صلة الرحم، فصلة الرحم جعلها الله بدنية بالبدن تزور وتسلم وتتحفى وكذا وكذا، وبعض الناس يصل الرحم بما وسع الله عليه من المال، وبعض الناس يصل الرحم بالشفاعة بالمعروف، والسعي في حاجة الرحم بالوساطة وبغير ذلك من الأمور التي تنفع، وهو ما بذل شيء من ماله، فهكذا جعل الله عز وجل هذه الأمور متنوعة حتى كل إنسان يأخذ بما تيسر له، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٩٧].

يعني أي خير تفعلونه فالله يعلمه، ويرضاه لكم، ويحفظه عنده في صحف أعمالكم، ويضاعف لكم المثوبة عليه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة:٢١٥].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وسأل أبو ذر النبي ﷺ قائلا: أي العمل أفضل يا رسول الله؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله، وجهاد في سبيله، قال: فأي الرقاب أفضل؟**»، يعني إذا أردت أن أعتق رقبة عبد مملوك، أو جارية؟ قال: «**أغلاها عند أهلها**»، أنفسها عند أهلها، «**وأكثرها ثمنا**»، فهذا من فقه العبادة، قال: أرأيت إن لم أفعل؟ لم أقدر على هذا، فقال: «**تعين صانعًا، أو تصنع لأخرق**»، تعين إنسان صاحب صنعة تقرب له الأدوات وتعينه على كذا وكذا مثلما يقولون اليوم: تروج له، تسوق له، قال: أرأيت إن ضعفت؟ ما قدرت، قال: «**تكف أذاك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك**».

تكون أحسنت للناس بكف الأذى عنهم، وأحسنت لنفسك أنت أنك ما حملتها ذنوبا وآثاما، ودائما الموازنة بين الأعمال يحصل الإنسان بها على خير، فمثلًا: إذا جاء موسم الأضحية فكونك تختار الأضحية السمينة الحسنة الجميلة الكاملة الخلق التي ما فيها عيب، وهي أيضا غالية في السعر، هذا أفضل من أضحيتين، لأنها أحب إلى الله عز وجل، ولأنه لم يُشرع أنك تعدد الأضحية واحدة كافية، لكن لو أردت أنك تعتق عبدين واحد بخمسمائة وواحد بخمسمائة دينار، درهم، ألف،.... (٠٨:٥٠) فكونك تعتق عبدين أفضل لك من عبد واحد ما دام أن السعر عبدين كل واحد بخمسمائة

أفضل من عبد بألف ريال، لأن هؤلاء يتحررون ويصيرون أحرار، ويعبدون الله عز وجل، ويعملون، ويسترزقون، ويتصدقون، ويكون لك مثل أجرهم، فهكذا يختار الإنسان، فنوع الله عز وجل العبادات حتى كل أحد يؤدي بعد الفريضة فريضة لازمة لكل أحد، لكن بعد الفريضة النافلة ما هو أيسر له.

بعض الناس يسهل عليه أنه يصوم في الحضر والسفر ولا يبالي، سهُل عليه، وبعض الناس يشق عليه صوم يوم واحد، لكن الصدقة متيسرة له بالمال، وهكذا، بعض الناس يكون يُحسن الصنعة يُحسن الحرفة فيعين من هو يحتاج إلى إعانة بمثلها، وهو ما بذل مال ولا صام وشق على نفسه، فهذه من حكمة الله عز وجل أنه يسر أنواع الطاعات، ونفيس الكربات، بحيث أن كل واحد يأخذ منها بما يناسب فيُحسن إلى نفسه من جهة، ويعين غيره من جهة أخرى، والكل محفوظ له عند الله ورصيد له عند الله يوم القيامة ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٢٧٢].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وهكذا، فينبغي للإنسان أن يتحرى في هذا، وينظر ما هو أنسب له، وأدوم له، والذي يستطيع فعله على الدوام، وما يتعدى نفعه لغيره أيضا، وإذا اختار الإنسان مثل هذه الأمور يسره الله له، وأعانه عليه، ومنحه الإخلاص، وتقبله منه، وضاعف له المثوبة، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٤٧﴾ [البقرة:٢٤٧] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- عن أبي ذر أيضًا رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «يُصْبحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقةٌ: فَكُلُّ تَسبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحمِيدَةٍ صَدَقَه، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تكبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقةٌ، ونَهيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقةٌ، وَيُجزِىءُ مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَركَعُهُما مِنَ الضُّحَى». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن بتيسير عمل الخير، وأن الله تعالى كما يسره نوعه ليأخذ بما هو أسهل عليه وأرفق به بعد الفرائض، ومن ذلك هذا الحديث الذي فيه التذكير بنعم الله اليومية المتجددة على كل مسلم، كما في الحديث السابق: «مَن أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

لأن هذا القدر من النعمة يشترك فيه الملوك والمملوك وكل أحد، وفي هذا الحديث: أن الإنسان إذا أصبح معافى في جسمه، لأن جسم ابن آدم مركب على ثلاثمائة وستين مفصل عدد أيام السَنة، وزيادة، فكل مفصل بين عظمين صغيرين أو كبيرين ظاهرين أو خفيين مستطيلين أو مدورين كل مفصل بين عظمين كون العظمان يشتغلان بيسر وسهولة نعمة من الله عز وجل، لأنه لو تكدر هذا المفصل تنكدت الحياة، فكيف لو كان أكثر من مفصل، وعشرات المفاصل، وعشرين مفصل، ومئة مفصل.

فهذا يدل ويُذكر بنعمة الله على الإنسان في بدنه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨].

فمثلما أن الله عز وجل أحيى الإنسان بعد نومه، فأعطاه فسحة في الأجل، ومكنة من صالح العمل، وفرصة للتخلص من إثم وغرم التقصير والزلل عافاه في بدنه،، كان النبي ﷺ يحمد الله تعالى أن بعثه في آخر الليل سليما معافى، ويقول: «اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري»، ويقول: «الحمد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسده».

فيقول على كل عضو أو مفصل سليم من هذه الأعضاء الثلاثمائة وستين صدقة يومية عليك، فإن شئت فأحصيها بالتسبيح وقول: "سبحان الله"، وإن شئت بالتحميد، وإن شئت بالتكبير، وإن شئت

بالتهليل، وإن شئت بالاستغفار، وإن شئت بالخطى في المشي إلى الصلاة، وإن شئت بإماطة الأذى عن الطريق، مُيسر ولله الحمد.

قال: «**ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»، ليش هذه ركعتان تجزئ عن ثلاثمائة وستين؟ لأنها في البدن والإنسان يحرك بدنه قائمًا وراكعا ورافعا وساجدا وجالسا وجالسا، وهكذا، فيؤدي صدقات البدن بعدد المفاصل، وهذا يدل على تأكيد سُنة الضحى، وأن النبي ﷺ أيضًا سماها... (٠٥:١٠) صلاة الأوابين، والله تعالى قال: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء:٢٥].

فهذه الصدقات عن المفاصل مقابل أمرين:

الأمر الأول: العافية في المفصل نفسه.

والثاني: السلامة من البلية، أنك تستديم النعمة يومك هذا أن الله يسلمك من البلية ما يتكدر عليك هذا المفصل.

فهذه نعم لا تعد ولا تحصى، كم يجتمع لك في اليوم والليلة، كم يجتمع لك في الأسبوع والشهر والسَنة، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

ومع ذلك يسر الله عز وجل الشكر لأنك تؤديه بركعتين تركعهما من الضحى، وإن شئت بعدد هذه الثلاثمائة والستين تسبيحا أو تكبيرا أو تهليلا أو تحميدا، فالأمر ميسر ولله الحمد، لكن اجعل الموضوع على بالك حتى لا تنشغل عنه ولا تنساه ولا تستخف به ولا تستعجل في أداءه، فاجعله برفق وطمأنينة وتدبر لما تقول، واعتراف بنعم الله عز وجل عليك، واستدامة لهذه النعم وتسأل الله أن يديمها عليك، وأن يجعلها عونًا على الطاعة لا حاملة على معصية، فيسر الله تعالى هذا الأمر على المسلمين بحيث أنه يجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى، فصلاة الضحى مشروعة من حين ترتفع الشمس قيد رمح طول الرجل متوسط القائمة إذا رفع يده فوق رأسه هكذا، أو بربع ساعة بعد طلوع الشمس إلى قبل عشر دقائق من زوال الشمس، وكل ما تأخرت فهو أفضل، وإن بادرت ونوعت فإن النبي ﷺ كان يصلي الضحى ثمان ركعات أحيانا، فإذا صليت بعد الإشراق أربع ركعات، وصليت

إذا اشتد الضحى أربع ركعات فقد استكملت صلاة الضحى، وهي صلاة عظيمة لها شأن عظيم، حتى قال ﷺ: «مَن صلى من الضحى اثنتا عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة».

والله ما أعظم الجزاء وما أكرم الجزاء تضمن بيت في الجنة، والواحد يشيب ويتعب ويستدين ويغرم علشان يبني بيتا في الدنيا ما يدري كم يسكن، وهذا بيت في الجنة، فيستحضر الإنسان هذه المعاني ولا تغيب عن باله، ويذكر حاجته إلى الله عز وجل، وفضل الله عز وجل عليه لأنه هو الذي ابتدأه بالتعليم بما ينفعه، والتنبيه على ما يضره، والترغيب في الطاعة، والزجر عن المعصية، والإعانة على فعل الطاعة، وعلى ترك المعصية، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فيكثر الإنسان من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فلا حيلة على الطاعة وقوة عليها إلا بالله، ولا تحول من المعصية إلى الطاعة إلا بالله، وهي كنزٌ تحت العرش كنز تحت العرش أعطاه الله عز وجل عباده، لأجل أن يُسهل الله عليهم الطاعة ويكف عنهم المعصية أو يكفهم عن المعصية، ويدوم عليهم النعمة، ويحفظهم من البلاء، «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك»، يردد الإنسان هذا الدعاء بين الفينة والأخرى من وقته.

يقول: الحمد لله الذي منّ علي فأفضل، وأعطاني فأجزل، اللهم لك الحمد شكرا، ولك المن فضلا، اللهم ما أصبح بي من نعمة وعافية فمن وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر، اللهم إني أصبح في نعمة منك وعافية وستر، اللهم لك الحمد ولك الشكر، اللهم أتمم علي نعمتك وعافيتك وسترك، كذلك بهذا يؤدي شكر يومه، وهذا تيسير من الله عز وجل منقطع النظير، وتسهيل على العباد، ولطف بالعباد، ورفق بالعباد، وهو تعالى بالمؤمنين رءوف رحيم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

- عن أبي ذر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِىءِ أعمَالِهَا النُّخَاعَةُ تَكُونُ فِي المَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ». رواه مسلم.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ ناسًا قالوا: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَ أهلُ الدُّثُور بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَوَلَيسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ: إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكبيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» قالوا: يَا رسولَ اللهِ، أيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرامٍ أَكَانَ عَلَيهِ وِزرٌ؟ فكَذلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذان الحديثان كالأحاديث السابقة في بيان تنوع الخير، وأن الله عز وجل يسر العمل الصالح، ونوعه.

والمراد: نوافل العمل الصالح التي تُكمل منها الفرائض، وترتفع بها الدرجات، وتحط بها الخطيئات، وتعظم بها الحسنات، وتُكتب عند الله عز وجل صدقات متقبلات.

وذكر النبي ﷺ نوعين من العمل الصالح:

الأول: إماطة الأذى عن الطريق، وهذا من محاسن الأعمال.

والمراد: الأذى الذي يكون في طريق الناس من شوك، أو حجر، أو زجاج، أو نفايات، أو غير ذلك مما يؤذي الناس ويسبب لهم إزعاج، ويسبب ضيق في الطريق، وقد يسبب حوادث، وتكون فيها وفيات، فهذا إماطة الأذى من جليل الإحسان، وأعظم منه إن الإنسان يحذر من أنه يكون سببًا في وجود الأذى في الطريق، لأن من حق الطريق أن يزال عنه الأذى، ولا يوضع فيه شيء يؤذي الناس، فهذا إذا وضع شيء فسبه الناس ودعوا عليه أو لعنوه وشتموه قد يستجيب الله لهم، لأنه آذاهم، وقد

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ۝٥٨ ﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقال النبي ﷺ: «**إن تدع الناس من الأذى**»، أو قال: «**الشر، فإنها صدقة منك على نفسك**»، فالواجب: كف الأذى، وإذا وجد الإنسان الأذى في الطريق فيحتسب عند الله تعالى أن يزيله.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي بطريق إذا وجد غصن شوك على الطريق، فقال: والله لأنحين هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم**» يعني قال في نفسه محتسبا، فنحاه يعني، «**فغفر الله له، وأدخله الجنة**».

وفي الصحيح أصرح من هذا، قال النبي ﷺ: «**رأيت رجلًا يتقلب في الجنة**»، يتمشى، «**بغصن شوك نحاه عن الطريق**»، وسمى النبي ﷺ: «**إماطة الأذى عن الطريق صدقة**»، والمعنى: أنه يصدق الإيمان ويصدق ود المسلم لأخيه، ورفقه المسلم بإخوانه ونصيحته لهم، إلى غير ذلك، فهذه من محاسن الأعمال ومن أنواع الأعمال الصالحة، وما تحصل به الأجور العظيمة مع أنه من الأعمال اليسيرة السهلة، لو أن الإنسان وجد أذى في الطريق ويسبب حوادث، ثم أوقف سيارته على جانب الطريق ونزل وأزاله فله أجر عظيم عند الله جل وعلا، ولكن لا يخاطب بنفسه، لا يكون من أهل الغفلة والتساهل، أو نحو ذلك.

وفي مساوئ الأعمال: النخاعة أو النخامة البصاق يكون في المسجد، وهذه من أسوء الأعمال، وهذا مما يوجب غضب الله جل وعلا، كان الناس في زمن النبي ﷺ يفرشون المساجد بالحصباء، بالحجارة الصغيرة، التي مثل حب البندق، أو غيره، أو الفول وغيره، فكانوا لو احتاج الإنسان أن يبصق وهو في الصلاة لقلة ذات اليد إنه يحفر لها ويدفنها، والنبي ﷺ رأى بصاقة في جدار المسجد، في قبلة المسجد، فغضب وتلون وجهه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وحكها بعذق تمر يابس، حكها بساق العرق، ثم دعا بطيب وطيب مكانه.

فهذا من العمل الصالح إزالة هذا البصاق، أو هذه النخاعة أو النخامة أو النخاعة مما يكون من خارج النخاع من جسم الإنسان، والنخامة ما يصدر من الصدر ما يخرج من الصدر، فعلى أي حال الإنسان يستعمل المناديل أو نحوها أو طرف الشماخ أو الغطرة أو الثوب حتى لا يجعلها في المسجد،

لأن هذا من كبائر الذنوب، والله تعالى أمر أن تطيب المساجد، وأن تجمر البخور، وأن تُنظف كانت جارية سوداء مملوكة تقم المسجد في زمن النبي ﷺ وتنظف المسجد، فماتت من الليل، فجُهزت من قبل النساء للتغسيل والتكفين والتهيئة وحملها الرجال إلى مصلى الجنائز، وصلوا عليها ودفنوها في الليل، ولم يشعروا النبي ﷺ، متهاونين بشأنها، وهي لها شأن عند النبي ﷺ، لأنها ساكنة في المسجد ما لها مأوى إلا المسجد، لها مكان يختص بها في المسجد، وكانت متبرعة في تنظيف المسجد، فلما أصبحوا أخبروا النبي ﷺ بشأنها، وأنها توفيت، وجهزوها وصلوا عليها ودفنوها بالليل، فقال: «**دلوني على قبرها**»، فدلوه على قبرها، فصلى عليها النبي ﷺ على قبرها تكريمًا لها، وبيانًا لشأنها لعِظم العمل الذي تقوم به وهو قمامة المسجد.

فهذا من جليل القُرب، فالإنسان يحتسب إذا وجد من دينه كذا وكذا، والعلماء رحمهم الله نصوا على أن شعرة العين إذا أُخذت من العين ما تُلقى في المسجد، توضع في الجيب، وإذا خرج ألقاها بالخارج، وهكذا قلامة الظفر وما يُشبه ذلك من الأمور اليسيرة، لا ترمى في المسجد لأن هذا نوع من الإهانة للمسجد، فيحتاج الإنسان أن يتنبه لهذا.

وفي الحديث الثاني: بَين النبي ﷺ أن من أنواع الأعمال الصالحة، أو من أنواع الخير: التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وأن ذلك صدقات، كل تسبيحة، وتكبيرة، تحميدة، تهليلة، قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، والاستغفار، كل هذا من الصدقات التي ينتفع صاحبها بها، وترتفع درجاته عند الله جل وعلا، وهي من غراس الجنة تغرس لك بها أشجار الجنة، وتبنى لك القصور من الجنة، وأن الإنسان إذا انقطع عن الذِكر فربما وقفت الملائكة وهي تبني القصر للمسلم في الجنة، فيمر به الملك ويقول: ما لكم؟ فيقولون: حتى تأتينا النفقة، يعني من التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل.

فقال النبي ﷺ: «**فأتعبوهم بأبي وأمي أنتم**»، وأنت إذا بنى الله لك بيتا في الجنة، أو بستانك في الجنة فلا تظن أن الله يفرق بينك وبين بيتك وبستانك ويجعلك في النار، فالله تعالى كريم، فاستكثر من الباقيات الصالحات، وهي من أسباب رفع العمل الصالح، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

الكلم الطيب يرفع العمل الصالح، الكلم الطيب يصعد إلى الله عز وجل، ويكون لهن دوي حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن، ولا سيما دبر الصلوات المكتوبات، لأنك إذا قلت بعد السلام: استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله ثلاثا، ثم قلت: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام واحدة، ثم قلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، ثم قلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له الملك وله الحمد وله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وتسبح الله عز وجل، أقل شيء فيما روي عن النبي ﷺ عشر تسبيحات إذا كنت مستعجل مثلا، وعشر تكبيرات، وعشر تحميدات.

والثانية: أنك تقول: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر". من كل واحدة خمسة وعشرين مرة المجموع مئة مرة الكلمات الأربع الباقيات الصالحات، سواء قلت: "سبحان الله" حتى تعد خمسة وعشرين، "والحمد لله" كذلك، "والله أكبر" كذلك تعد خمسة وعشرين وخمسة وعشرين، أو قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، حتى تعد من المجموع خمسة وعشرين فيصير مئة، هذا نوع من الذكر.

والنوع الثالث: أنك تقول: سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد لله ثلاثا وثلاثين، والله أكبر أربعا وثلاثين، هذا نوع آخر، وتقول: هذا النوع عند النوم أيضًا، "سبحان الله" ثلاثا وثلاثين، "والحمد لله" ثلاثا وثلاثين، "والله أكبر" أربعا وثلاثين، بعد الصلاة المفروضة، وتقوله عند النوم حين تأوي إلى فراشك قبل أن يأخذك النعاس، لأنك تُعان على أمر ليلتك واليوم الذي بعده أيضا على أمر دينك ودنياك، وهؤلاء قال عنها النبي ﷺ: «**معقبات بعد الصلاة لا يخيب قائلهن**».

وفي الحديث الآخر: «**غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**».

وهذا نصًا في أن تقول: "سبحان الله" ثلاثا وثلاثين، "والحمد لله" ثلاثا وثلاثين، "والله أكبر" ثلاثا وثلاثين، وتقول تمام المائة فيصير المجموع تسعة وتسعين تقول تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فتُغفر خطاياك وإن كانت مثل زبد البحر،

والمعنى: ما دون الكبائر، أما الكبائر فتحتاج إلى توبة، ولذلك قال النبي ﷺ: «**ما أُجتنبت الكبائر**»، ما أُجتنبت المقتلة من الكبائر عظائم ومقاتل، فهذه أنواع الذكر بعد الصلاة، فيحتاج المسلم إلى أن يقول هذا بأناة وروية وتدبر لما يقول، وأنه يثني بذلك على الله عز وجل، ويرجو هذا الثواب العظيم من الله سبحانه وتعالى، فهو لا يخيب، وهن الباقيات الصالحات، وتُغفر ذنوبك وإن كانت مثل زبد البحر ما دون الكبائر، فهذا أجر عظيم وخير كثير، فيحافظ عليه المسلم ولا يستعجل، والله تعالى قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾ [الشرح:٨].

اجلس بعد الصلاة، وقبل الصلاة راغبا إلى الله عز وجل، منتظرا لثوابه، ذاكرا له، داعيا، طالبا لحوائجك من أمر الدنيا أو الآخرة، فلا تستعجل، ما تدري أنت تصلي بعد هذه الصلاة أم لا، ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**صلي صلاة مودع**»، يعني افترض أن هذه آخر صلاة، فلو قيل لك من أحدٍ كذا إنك تموت بعد هذه الصلاة تعرف كيف تتصرف، وأنك لو تجلس حتى يأتيك الموت، فهكذا صلي صلاة مودع واستكمل الخشوع في الصلاة، وأذكار الصلوات، وتدبر الأذكار، وتكميل الصلاة بالأذكار المشروعة بعد التسليم، ومن ذلك قراءة آية الكرسي، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. مرة واحدة، وبعد الفجر، وبعد المغرب تقرأ {قل هو الله أحد} و {قل أعوذ برب الفلق} و {قل أعوذ برب الناس} ثلاث مرات، تقول قبلها {قل يا أيها الكافرون} مرة واحدة، فيصير الإنسان استكمل صلاته بأدائها بالكيفية الحسنة المرضية لله جل وعلا، وبتكميلها بما شرع الله تعالى بعدها من الذكر والدعاء، ومن ذلك تقول: ربي قني عذابك يوم تبعث عبادك، ربي أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وإن قلت: اللهم اهدني من عندك، وأفض علي من فضلك، وانشر علي رحمتك، وأنزل علي من بركاتك.

فهو حديث ضعيف، لكن معناه صحيح، إن قلت قبلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أو سبحان الله وبحمده سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. فقد جاء في الحديث الضعيف هذا أنك تكفى العمى، والبرص، والجذام، والفالج والجلطة، وهذا يحتاج إليه كبار السن، جاء في حديث قبيصة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قاله لرجل كبير السن، قال: «**إنك تكفى هذه الأربعة: البرص والعمى والجذام**».

وفي الرواية الأخرى: «**الفالج**».

وفي رواية ثالثة قال: «**إنك تدخل من أي أبواب الجنة الأربعة شئت**»، والحديث ضعيف بطرقه، كلها ضعيفة لكن معناه صحيح، معناه صح، فلذلك إذا أخذ به المسلم أحيانا خصوصا بعد الفجر وبعد المغرب فهو على خير، لأن هذا من الدعاء العام، ويقول الإنسان هذا ليس بناءً على صحة الحديث بل على صحة معناه، وأنه من الدعاء العام، وأنه يرجو من الله تعالى أن يحقق له هذا الأمر.

وأن يصرف عنه هذه البلايا التي تصيب الإنسان في الغالب عند كبر سنه، وأنه يدخرهن لآخرته إذا قال: اللهم اهدني من عندك، وافتح لي أبواب رحمتك، وانشر علي رحمتك، وأنزل علي من بركاته، ويرجو الله تعالى أن يصرف عنه البلاء، الفالج، الجذام، البرص، الجنون، العمى، إلى غير ذلك.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- عن أبي ذرٍ، رضي الله عنه، قالَ: قَالَ لي النَّبيّ ﷺ: «لاَ تَحْقِرنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيئًا وَلَوْ أَنْ تَلقى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ». رواه مسلم.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يوم تَطلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَينَ الاثْنَينِ صَدَقةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ ترفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وبكلِّ خَطْوَةٍ تَمشِيهَا إلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيه.

- ورواه مسلم أيضًا من رواية عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وثلاثمِائَة مَفْصَل، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وحَمِدَ الله، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ الله، وَاسْتَغْفَرَ الله، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً، أَوْ عَظمًا عَن طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمَرَ بمَعْرُوف، أَوْ نَهَى عَنْ مُنكَر، عَدَدَ السِّتِّينَ والثَّلاثِمِائَة فَإنَّهُ يُمْسِي يَومَئِذٍ وقَدْ زَحْزَحَ نَفسَهُ عَنِ النَّارِ».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث فيها تذكير بمنة الله تعالى على عباده، حيث كثر لهم خصال نوافل الخير، ونوع العبادات، ويسرها، وجعلها بإمكان كل أحد يختار منها ما يناسبه، وما هو في طريقه في زمانه ومكانه، وهذا من فضل الله تعالى على عباده، وأن هذه الخصال على تنوعها وكثرتها صدقات، لماذا؟ لأنها تصدق الإيمان، لأن الإنسان لا يباشرها إلا لما في قلبه من الإيمان أن الله تعالى يحبها.

يحب فعل المأمور، وترك المحذور، ويثيب عليها من لدنه ثوابا عظيما كريما، وهي في نفس الوقت تُصدق مودة المسلم لأهل الإسلام، وأنه يحب لهم الخير، ويكره الشر لهم، كما يحب ذلك ويكره لنفسه، فلذلك قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»، يعني باش مبتسم منبسط فتلقاه بما يطمئنه، ويؤنسه، ويدل على محبتك له، ورغبتك في لقائه، وأنسه بك، هذا معروف، لأنه مما أمر الله تعالى به، وهذا صدقة لأنه يصدق الإيمان، وهذا خير لأنه يعين على الخير، ويسبب المودة والألفة بين المسلمين، فأنت تتحرى الخير بجميع أنواعه، لكن لو ما

وجدت شيء أقل شيء أنك تفشي السلام، وترد على من سلم عليك، وتلقى أخاك بوجه طليق منبسط، فكل هذا خير وصدقات ومعروف وإحسان.

وفي الحديث: أنه رُكب خلق ابن آدم جسم الإنسان على ثلاثمائة وستين مفصل، فهذه المفاصل ما بين العظمين بجميع أنواع العظام، كل عظم يتصل بعظمٍ آخر من خلال مفصل، وهذا المفصل جعل الله فيه نعمة من نعم الإنسان وهي وجود سائل رقيق دهني يجعل المفصل يتحرك دون أن يزعج المفصل الآخر، ولهذا لو حصل قلة في هذا السائل تألم الإنسان وانزعج، ولا كل شيء يوضع بدله يناسب، فيصير في ألم وإشكال، فلذلك حركة هذه الأعضاء والمفاصل بنعومة وسهولة ورقة ويسر وعدم ألم من نِعم الله عز وجل، والإنسان مركب على ثلاثمائة وستين مفصل عدد أيام السنة أو أكثر، فكم لله عليه من النعم، يقابل هذه النعم بشكر الله جل وعلا صدقة، الصدقة ليست محصورة بالمال، لأن ما كل الناس يجد المال، فيسرها الله، جعلها الكلمات الطيبات، والأذكار، والدعوات، وفعل الخير للناس، والإحسان إليهم، «**إماطة الأذى عن الطريق صدقة**»، تحمل أخاك على دابته إذا كان لا يستطيع الركوب، تحمل له عليها متاعه ترفعه إليه، تعلمه مهنة، ترشده في الطريق هذاك المكان، هذاك المسجد، هذاك السوق، هذاك الصيدلية، كل هذه صدقات، فيصير الإنسان نافعا مباركا أينما كان، يتحرى الإحسان مظانه، ويفرح إذا احتاج أخوه إليه ليُحسن إليه من غير منة، يبتغي وجه الله عز وجل، أما المنة فهي تبطل العمل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤].

فإذا منيت عليه أبطلت صدقتك، وذهب أجرك، وإذا آذيته بالكلام وأنك سويت فيه معروف، وأنه لولاك ما صار كذا كل هذا غلط، فتحسن إليه، وترجو من الله أن يتقبل منك، وتحمد الله عز وجل أن يسر لك هذه الخصلة من الخير ما خسرت عليها، ولا تعبت فيها، ولا بحثت عنها، ولا ضربت مشوار من أجلها قيد الله لك هذا يسألك: أين المكان الفلاني؟ أين المسجد؟ أين السوق؟ أين كذا أين كذا؟ فتعينه وهذه إعانة له، ومثل ذلك أن تفرغ من دلوك بدلو أخيك عند البئر حتى لا يتعب، ومن ذلك أنك تعطيه الماء قوارير ماء الصحة ومن غير ذلك، كل هذه صدقات، فالإنسان ميسر له الصدقة من حين يخرج من بيته إلى أن يعود، هذه من نعم الله عز وجل، فلا تفرط لأنك ما تدري وايش باقي لك من العمر فقد يكون هذا آخر يوم لك، فما وجدت من صدقة تنفع بها إخوانك فبادر إليها ولا تسبق عليها

ما أمكنك ذلك، ويكفيك إنك لو أردتها وسبقك غيرك إليها فلك النية ولك ثواب النية، لكن لا يخلو قلبك من نية الخير، ولا يخلو لسانك من الكلام بالخير، والذِكر، ولو أن تردد: لا إله إلا الله، فإنك كل ما رددتها سهلت عليك واستحضرها قلبك حتى تقولها وأنت بين النوم واليقظة، وحتى تقولها في أحرج الظروف في حال النزع، اجعل هذه الكلمة رفيقتك وصديقتك أنفع لك، «من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله دخل الجنة».

فهكذا ينبغي للمسلم، ولا تمن على أحد بخير المنة لله عليك أن علمك وهداك، وأن يسر لك الخير ورغبك فيه من ذكر الأجر، وجعل النبي ﷺ أسوتك في ذلك، فاغتنم الفرص.

ومما قاله بعض السلف يقول: إني ما أحب، اسمعوا هذا الكلام، **"ما أحب أن جعل الله تعالى حسابي على والدي اللذان هما أرحم بي، وجعل حسابي عليه، لأن والدي ينفعلان، يغضبان، يسخطان، يتعبان، يحابيان غيري من إخواني"**، فجعل الله عز وجل حسابي عليه وهو أرحم بي من نفسي ومن كل أحد. وهكذا إن الله دلك على الخير ورغبك فيه ويسره لك وجعلك تذكره لأنك إذا رأيت الفرصة ما تنساها أبدًا، تبادر إليها، فهذه من نعم الله عز وجل، فيكون الإنسان من حين يستيقظ إلى أن ينام وهو في صدقات على نفسه، وعلى أهل بيته، «لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في فِي امرأتك».

وإذا دخلت البيت وذكرت الله فلك صدقة، وإذا طلعت وذكرت اسم الله لك صدقة، وإذا ذكرت اسم الله عند الأكل صدقة، وإذا حمدته عند الفراغ صدقة، وهكذا الأذكار عند الوضوء وعند الفراغ منه، وعند النوم، وعند اليقظة كم لك من الصدقات، والله يا إخوان إن الصدقات في البيت اليومية تزيد عن ثمانين صدقة، فمن يحصيها، من يعتني بها، وخروجك من المسجد هذا كل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وأقرب الناس منزلًا من المسجد من يمشي مئة خطوة، ويرجع مئة خطوة له مئتان، ففي خمسة أوقات له ألف صدقة، نعمة عظيمة يا إخوان، فبعض الناس يتثاقل ويتأخر، والله يطولون، وينتظرون، والله هذا كذا، ما أقام، يمديني، يمكن أني، وتفوته الصلاة وهو على هذا التأويل الذي هو من الشيطان، ولو ذكر هذا الشخص وكلكم يذكروا إن النبي ﷺ وهو يعالج المرض وحضر وقت الصلاة، والنبي ﷺ يعاني من الحمى، فلما قالوا له: يا رسول الله الناس ينتظرونك في المسجد؟ قال:

ضعوا لي ماءًا في المخفض. الطشت يعني بارد. وفي رواية قال: «**أريقوا علي ماءًا من سبع قرب معبئة بالليل**» حتى تبرد ما عندهم ثلاجات، فوضعوا الماء، فقام ليغتسل، فأغمي عليه، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من شدة الحرارة، فلما أفاق، قال: أصلوا الناس؟ قالوا: لا، هم ينتظرونك تصلي، قال: ضعوا لي ماءًا في المخفض، فوضعوا، فقام ليغتسل، فأغمي عليه، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وفي الثالثة كذلك، فلما أفاق بعد الثالثة قال: مروا أبا بكر فليصلي بالناس، فله عذر عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وفي أخرى: «**قام يهادى بين العباس وعلي**»، كل واحد يأخذ بعضد يأتيان به إلى المسجد، ... (١٢:٣٩) يتخلف عن الصلاة وهو يقدر، والنبي ﷺ يعالج هذه الأحوال، ولا طابت نفسه، ووكيله في المسجد، فكيف يحرم الإنسان نفسه هذه الخطوات، والنبي ﷺ يقول: «**مَن غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلًا في الجنة**»، قيل في النُزل: هو المنزل بيت في الجنة. وقيل النُزل: هي الضيافة. من تطيب نفسه أن يترك ضيافة الله عز وجل ليبقى مع امرأته، ولا مع صديقه يسهر معه ويتحدث ربما في الغيبة والنميمة وفي معصية الله عز وجل.

فكيف يكون الإنسان كسول عن الطاعة، ولو أراد، أو فهم أنه يحصل خمسين ريال طلع من البيت من غير عقل ليدركها، وين الفكر، وين العقل، وين حساب الآخرة، وين رصيد الآخرة، هم الإنسان الدنيا فقط! هذا مخذول، وهذا مغبون، وهذا ربما يكون في آخر لحظاته فيُختم له بسوء عمله ويُبعث عليه -عياذًا بالله-، فكثر الله أنواع الخير، ويسر الله أنواع الخير، ورغب في الثواب على أنواع الخير، وعظم الأجور على اليسير منها، رجل نحى أذى عن الطريق فدخل به الجنة، فما تريد الجنة يا مسكين!.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- عن أبي هريرة ﵁: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ». متفقٌ عَلَيْهِ.

وَعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وَعَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ أَوْ بِضعٌ وسِتُونَ شُعْبَةً: فَأفْضَلُهَا قَولُ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَياءُ شُعبَةٌ مِنَ الإيمان». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الثلاثة تدل على منة الله على عباده بكثرة خصال الخير، والعمل الصالح، وتنويعه، وتيسيره للعباد، وترغيب العباد بفعله، وما ذكر الله تعالى من عظيم الأجور، كل ذلك لأجل أن يتنافس المتنافسون، ويتقرب المتقربون لذلك، ويسارع المسارعون إلى مغفرة من الله وجنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين، جعلنا الله وإياكم من أهلها.

ففي الحديث الأخير يقول النبي ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون**» وفي رواية: «**وستون شعبة**»، يعني خصال الإيمان أنواع العمل الصالح، لأن الإيمان والإسلام شيء منهما ظاهر وهو الإسلام، وشيء باطن وهو الإيمان، فالإيمان هو الإيمان بالله تعالى، وملائكته عليهم السلام، وكتبه العظيمة، المعظمة التي هي كلام الله عز وجل، وهداه لخلقه.

ورسله المرسلة المحترمة الذين اختارهم الله واصطفاهم على علم واجتباهم، فاجتبى من رسله من يشاء، وبعثهم هداةً للخلق، وأئمةً في الحق، مبشرين ومنذرين، وشهداء على الناس، وليكونوا أسوة للأمم في الإيمان والعمل الصالح، واليوم الآخر هو موعد الجزاء على الأعمال، وهو يوم القيامة، وهو مؤجل عند الله عز وجل، فالساعة أخفاها الله تعالى، حتى قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه:١٥].

وجاء في التفسير حتى عن نفسي، وأن الله تعالى يقول: أخفيها حتى عن نفسي، أكاد يعني، فهي لا تأتي الناس إلا فجأة وفي حال الغفلة، ولا تقوم إلا على شرار الخلق، والحكمة من مجيئها كما قال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ٣١﴾ [النجم:٣١].

ووفاء بعهد الله كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٨﴾ [النحل:٣٨].

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ٣٩﴾ [النحل:٣٩].

وليصدق ما أخبرت به الرسل والنبيون -عليهم الصلاة والسلام-، وما أخبر به العلماء الذين هم على منهاج الرسل، فيتحقق ما تكلموا به وأخبروا الناس عنه، وأنذروهم وبشروهم وحظوهم على العمل لليوم الآخر هذه كلها من حكم مجيء اليوم الآخر، وليظهر الله عز وجل قدرته على البعث، كما أظهر قدرته على الإحياء من قبل، ولحكمٍ كثيرة لا يحصيها إلا الله -جل وعلا-.

ومن ذلك: أن الله تعالى بَين بعلمه السابق وما كتبه في الكتاب قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فإن الله تعالى حثى حثياتٍ من أرواح خلقه، وقال: "**هؤلاء للجنة ولا أبالي**" وفي رواية: "**وبعمل أهل الجنة يعملون، وهؤلاء للنار ولا أبالي**"، وفي رواية: "**وبعمل أهل النار يعملون**".

فيتبين يوم القيامة تحقق ما سبق به العلم، وجرى به القلم، وأن أهل الجنة متأهلين للجنة بفضل الله تعالى ورحمته، جعلنا الله تعالى من أئمته، وأن أهل النار متأهلين لوعيد الله، وعذابه، وحكمته، أجارنا الله تعالى من حالهم ومآلهم، فيتحقق في الوعد اللاحق ما سبق العلم السابق والكتاب السابق، بعد أن امتحنهم الله بالتكاليف الشرعية.

فأرسل الرسل -عليهم الصلاة والسلام- والنبيين، وأنزل الكتب، وأقام الحجة، وأظهر المحجة، وأزال المعذرة، وأسبغ النعمة، وفطر الخلق على الفطرة الصحيحة، وركب فيهم العقول التي بها يميزون بين النافع والضار من المعاني، والإيرادات التي بها يختارون، والقُدر التي بها يفعلون، وغَيب عنهم القدر حتى يتحقق منهم ما اختاروا هم لأنفسهم ما أجبرهم الله عليه، لكنه أمرهم ونهاهم، ورغبهم ورهبهم فقط، وإلا كل عمل باختيارهم.

ومن حكمة ذلك: أنها حُفت الجنة بالمكاره حتى لا يقصد الجنة إلا صابر محتسب، مؤمن بوعد الله جل وعلا، راجيا لفضله ورحمته، جعلنا الله وإياكم كذلك، وحُفت النار بالشهوات حتى لا يدخل النار إلا مختار ومشتهي للنار، لأنه آثر شهوته وهواه على مراد الله جل وعلا، فيكون باختيار كلي، هذه الحكمة.

وجعل الله عز وجل تصديق الإيمان بإقامة شرائع الإسلام، شعيرة: أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم صوم رمضان، والحج، وغير ذلك من شرائع الإسلام المأمورات يأتي منها ما استطاع، والمنهيات يجتنبها، والمشتبهات يؤجلها حتى يتبين حكمها، فإن كانت من قبيل المأمورات أتى منها ما استطاع، وإن كانت من قبيل المنهيات تركها، وأقدار الله المؤلمة يصبر عليها، ويعلم أنها من الله عز وجل، وأنها لحكم كثيرة، وأن الله تعالى ابتلاه بها ليظهر صبره وشكره صبره على البليات، وشكره على النعم المتجددات، فجعل هذا هو حقيقة الدين، فهذا الدين خصاله كثيرة كما قال النبي ﷺ: «**بضع وستون**»، يعني من ثلاث وستين إلى تسع وستين، أو "بضع وسبعون". وهذا هو الراجح الأكثر يعني من ثلاثة وسبعين إلى تسعة وسبعين هذا البضع يعني، ومعناه: أنها متنوعة، ولذلك قال: «**فأعلاها**» أعلى خصال الإيمان وشعبه قول: «**لا إله إلا الله**».

هذا أشرفها وأصلها وأساسها، وشرط صحة قبول الأعمال، وترتب الثواب عليها، والإخلال بهذه الكلمة هو موجب العقاب، والخلود في النار، وسخط الجبار، كذلك الصلاة تحقيق للإيمان الظاهر والباطل، أقوال بالألسن، وأفعال بالجوارح، وأعمال بالقلوب، ومقاصد.

فمن استقام في باطنه وظاهره على الإسلام على هذه الخصال فهو المؤمن، من استكملها استكمل الإيمان، ومن نقص منها نقص الإيمان بحسب، ومن ارتكب ما يضاد ذلك كالإيباء عن الشهادتين، أو ترك الصلاة، وترك الصلاة كفر مخرج من الملة، أو جحود معلوم من الدين بالضرورة باستحلال ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، أو الاستهانة بالمعظم شرعًا كأن يطأ المصحف، أو يتفل عليه، أو يطأ النعمة بقدميه، أو يفعل شيئا من هذا، أو يسب الله تعالى، أو يسب رسوله ﷺ، أو يسب السلف الصالح، كل هذا ينقض الملة، ويبطل الإسلام، ومن مات عليه فهو من ... (١١:٢١) جهنم، ولذلك

قال ﷺ: «فأعلاها: قول: لا إله إلا الله، أصلها وأشرفها وأساسها، وشرط صحتها، وقبولها، وترتب الثواب عليها قول: لا إله إلا الله»، مع قول: «محمد رسول الله».

فمعناه قول: لا إله إلا الله. لا إله حقٌّ إلا الله وحده، فكل مؤله ومعبود من دون الله فو باطل، ومقتضى ذلك إخلاص الدين لله تعالى بما شرع على الوجه الذي شرع، وعلى طريقة رسوله الذي أرسله الله تعالى ليطاع ويتبع، ومعنى شهادة: أن محمدا رسول الله. تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله تعالى إلا بما شرع.

دين الإسلام فقط، ولذلك قال ﷺ: «أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها»، أقل هذه الخصال شأنًا. «إماطة الأذى عن الطريق»، وإماطة الأذى عن الطريق دخل به رجل الجنة، والإحسان للبهائم دخلت به امرأة بغي زانية الجنة أحسنت إلى الكلب، فإذا كان هذا أدنى خصال الإيمان، فما الظن بما هو أوسط أو أعلى؟ لا شك أنه أرفع درجة في الجنة، وأرضى عند الله جل وعلا، وأقرب إلى الله منزلة ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

جعلنا الله وإياكم من أئمته، قال: «والحياء شعبة من الإيمان»، الحياء خُلق في النفس مجبولة عليه النفس، وهو من خصال الإيمان، وقال فيه النبي ﷺ: «الحياء خيرٌ كله»، وقال: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، وقال: «الحياء من الإيمان»، وقال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت».

ومن استحى استحى الله منه، ومن أعرض أعرض الله عنه، فلذلك النبي ﷺ نبه على هذا، بَين مجموع الخصال، وأن ما بين ثلاثة وستين إلى تسعة وسبعين خصلة أنواع، الصوم خصال، والزكاة خصال، والحج خصال، لأنه في أعمال تتبع، تلاوة القرآن، والأذكار، والدعوات خصال، وأساس ذلك كله التوحيد والإيمان خصال، فللإيمان فرائض وشرائع وحدود وسننا من استكملها اسكتمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، قال ﷺ: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها».

فهذا كله من معنى قوله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون**» أو «**وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

ولهذا قال ﷺ في الحديث الثاني مُبينا خصلة عظيمة من خصال الإيمان، وهي من وسائل الصلاة، وسائل إقام الصلاة والمحافظة عليها قال: «**مَن غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلًا في الجنة**»، النُزل: المنزل، والنُزل: الضيافة، والمعنى: أن المنزل في الجنة فيه ضيافة من ضيافة الجنة، -نسأل الله الكريم من فضله-، كلما غدا أو راح. يتجدد يعني هذا، حتى إن المؤمن ينظر إلى ملكه في الجنة ألف منزل له، ويمشي في ظل الشجرة مدة ما يقطعها، وأرى أدنى ملكه وأبعده سواء، وفي وصف الجنة أوصاف كثيرة جدا، جعلنا الله وإياكم من أئمة أهل الجنة وأعلاهم درجة فيها، فهذا فيه الحظ على التردد على المساجد، وأن الإنسان يمشي المساجد مبكرا، ويمشي بسكينة ووقار بعدما يُحسن الطهارة، ويستكمل الوضوء، ويذكر أهله الصلاة، ويأتي بخشوع ووقار وسكينة وطمأنينة، لا يمزح ولا يضحك ولا يقهقه ولا يركض، يمشي بسكينة ووقار، قال: «**امشوا وعليكم السكينة والوقار**»، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقال: «**لا تأتوا الصلاة وأنتم تسعون**»، تركبون يعني بل ائتوها وأنتم تمشون، «**فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا**»، وفي رواية: «**فاقضوا**».

وسمع النبي ﷺ حركة إنسان دخل المسجد فأسرع، وربما ركع دون الصف وهو يمشي، فلما سلم قال: «**زادك الله حرصا ولا تعدوا**»، لا تسرع لا تفعل هذا مرة ثانية. وفي رواية: «**لا تعد**»، لا تعد لمثل هذا، لأن هذا مما ينافي الوقاء، وهذا فيه تشويش على المصلين، وإيذاء لهم، والله تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨].

لو أزعجت مصلي وشغلته عن دعاء مشغول به ودعا عليك استجاب الله له، وصار ممكن أن يستجيب الله له وتاب وأنت في تبعة ذلك وإثمه، ولذلك ذكر الغدو والرواح، الغدو يكون في أول الوقت، ويكون في آخره الرواح، ويكون في أول النهار، وفي آخره، ومن بكر في الوقت بعد الأذان فهذا

هو الذي ينال التجارة الرابحة، أول شيء إنه مشيه إلى المسجد إلى الصلاة إذا توضأ في المكان الذي أُذن وهو فيه.

وثاني شيء: أن انتظاره للصلاة صلاة.

وثالث شيء: أن صلاته مع الإمام صلاة.

ورابع شيء: انتظاره بعد الصلاة صلاة.

وخامس شيء: أن الملائكة المقربين يدعون له، يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه، ما لم يؤذِ فيه. ايش معنى يؤذي فيه؟ يتكلم في أمر الدنيا داخل المسجد، لأن المساجد لم تُشرع، وتُبنى من أجل البيع والشراء، حتى ما يفعله بعض الناس من شراء قوارير الصحة وغيره ترى هذا غلط ما يكون داخل المسجد، اشتري وأنت في بيتك ولا وأنت رايح أو جاي من غير المسجد، أو إذا طلعت من المسجد، لكن ما تشتري وأنت جاي للمسجد حتى لو أنك أردت الخير هذا بيع وشراء، ولا تسأل عن المفقود في المسجد، ولا ترفع صوتك داخل المسجد، حتى المضطر للسؤال الفقير المحتاج يسأل بهدوء وسكون وأدب، ولا يباشر الناس وهم مشغولين بالذكر بعد السلام لا يفاجئهم، ولا يزعج ويرفع صوته ولا يبكي ولا يتحين، ومن أساء الأدب لا يعطى يحرم أنه يعطى، لأن إعطاءه تشجيع له على سوء الأدب في المسجد.

فينتبه الإنسان بتردده على المسجد يكون ترددًا شرعيًا لا بدعيًا ولا عادة ولا إلف ولا مجاراة للناس، ولذلك إذا دخل المسجد أول ما ينظر وراء الإمام كما قال ﷺ: «**وليليني منكم ذوي الأحلام والنهى**»، الرجال البالغون العقلاء أهل الحسبة والخير، وأهل الذِكر، والتلاوة للقرآن، والدعاء، فيكون ما وراء الإمام هو الأول، ثم ما عن يمين الإمام وهو في الصلاة، ثم إذا ترجح الجانب الأيمن يكون الجانب الأيسر حتى يترجح.

ثم طرف الصف من اليمين، ثم طرف الصف من اليسار، ثم يبدأ الصف الثاني من وراء الإمام، وهكذا لو كان ألف صف، ما يبدأ من طرف الصف من هنا أو من هنا لا هذا غلط هذا، هذا فعل الجهال، هذا غلط ولا يقرون عليه، ولا يتقدم الصبيان الذين أعمارهم من سبع أو أقل أنهم يصيرون وراء الأئمة هذا غلط، حتى لو احتاج أنه يأتي به والده عشان السيارة تدخل في الشارع أو غيره يجعله

أمامه، لكن ما يجعله في الصف ما يسد الصف الشياطين تتخلل من خلل الصفوف كأولاد المعزب، كالحذف، فلا يترك في الصف فُرجة، والطفل إذا جلس دقيقتين ثلاث بدأ له أنه يروح يلعب، فلا يُجعل وراء الإمام، ولا يُجعل في الصف المُقدم، ولا يُترك يلعب في المسجد، بل يعهد لأحد، أو يجعله والده أمامه، هكذا، ولا يُزجر لو إنه أساء في المسجد، يُعلم الأدب، ويُشجع ويُرغب، ويُبستم له حتى يألف المسجد لا ينفر من المسجد فبعض الناس ... (٢٢:٢٨) يطردهم بالعصا، وهذا غلط، فيؤلف الناس على المساجد.

والنبي ﷺ صلى بالناس، وجاء معه مرة لحاجة بابنة لإحدى بناته اقتضت الحال أن يأتي بها لأن حالتها خطر، فكان يحملها إذا قام حملها وإذا قعد وضعها أو ركع، ومرة من المرات صلى بالناس وهو الإمام عليه الصلاة والسلام والناس صفوف وأطال في السجود، واستغربوا الناس كيف يطيل في السجود ما توازنت أركان الصلاة، فلما سلم، وفرغ من الذكر قال معتذرا: إن ابني هذا. يعني الحسن أو الحسين رضي الله عنهما صغار، ارتحلني وأنا ساجد، ركب على ظهري والطفل أحيانا يركب على ظهر أمه في البيت، ويركب على ظهر أبيه في البيت ويتعود وقد يكون هذا في المسجد، وهذا من التربية، لأن مصلحة مجيئه للمسجد هذا خير، وتحمله النبي ﷺ من أجل أن يشعر الناس بهذا.

فكان بعض المشايخ -رحمة الله علينا وعليهم- إذا سمع أحد يزجر الأطفال بالمسجد يهجره ثلاثة أيام، ليش تنفره من المسجد، فيُعلم الأطفال الأدب، ويهيئون إذا احتاج أن يجاء بهم إلى المسجد بحيث لا يحدثون، ولا يلوثون المسجد بنجاسة ولا شيء ولا يقطعون الصفوف، هذه من آداب المسجد، ولذلك رُتب على هذا تردد المسجد مع الأدب كل هذه الآداب عبادات متنوعة كبيرة جدا، حتى كان بعض العلماء رحمهم الله إذا جاء إلى المسجد يأتي معه بشيء يتصدق به كثرة خبز، تمرة.

لو لم يجد إلا بصل فص بصل يجعله في كيس أو في كمه ويعطيه أحد عند باب المسجد يتحرى الصدقة، ويقول: إذا كان الله تعالى قد شرع الصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ﷺ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ ﴾ [المجادلة:١٢].

فالصدقة بين مناجاة الله أولى، فيكون الإنسان له حسبة إذا جاء إلى المسجد إذا تيسر له يأتي معه بريال ريالاين خمسة كذا أقل ما يسد الجوعة، وأن المسكين يأخذ بريال، خبزة يأخذ سندوتش يأخذ

كذا ما تدري وايش ظروف الناس، فيحتسب الإنسان، ويؤجر لو ما أُخذ هذا ما لقي من يعطيه يؤجر على الصدقة على نية الصدقة، فهذا من الآداب. فهذا من آداب المجيء للمسجد ومراعاة هذه الأعمال العظيمة سواء في التهيؤ في المكان الذي أنت فيه كان النبي ﷺ يكونون في المجلس في البيت ولا في مكان ولا كذا إذا أُذن للصلاة قاموا يلتمسون الماء، ما يجون إلا وهم متوضئون لأنه يصير مشيك إلى الصلاة صلاة، إذا جئت على غير وضوء ما يصير مشيك للصلاة صلاة لأنك على غير طهارة، وهذه تفوت على الناس يقول: لا نتوضأ من حمامات المسجد، حمامات المسجد للطارئ ما هي لجيران المسجد، فينتبه الإنسان لهذه الأشياء، كذلك الشرب من الصدقات في المسجد ترى ما هو الأولى اشرب من حلالك، ومن نعمة الله عليك، لكن لو أنت جاي من جهة ورحت لجهة وصار المسجد في عرض الطريق، فلا بأس الأمر واسع، لكن تيجي من بيتك وتأخذ ثلاثة قوارير وتجعلها قدامك ما هو بصحيح هذا، هذه لذوي الحاجات، هذه المسائل يغفل عنها كثير من الناس ما هو بشح ولا بخل، لكن غفلة، ولأنهم ما ينبهون فلا يكرر هذا ما يصلح أبدا، مغنيك الله أنت.

وبدل ما تيجي معك أنت لصدقة من المسجد تأخذ من المسجد، أو عيالك اثنين ثلاثة خمسة يأخذون ويرمون بالمسجد ويرمون بدورات المياه أنا شفتهم وبالساحة برا، فلا يصلح، ولا يقرون على هذا، ييجي الواحد يقف قدام الثلاثة ويخليه يأخذ، يا أخي اشرب واحدة أنت وإياهم هذا الذي ينبغي، فهذا إحسان المحسنين للمستحقين يعني، ومن يعرض له الأمر هذا جاء من جهة ورايح إلى الجهة وصادفته الصلاة ودخل المسجد.

بدل ما يروح يفتش على البقالة المفتوحة يأخذه من المسجد حتى لا تفوته الصلاة، أما أن يكون منهج لا ما هو بصحيح، أنا أحب أن أنبه على هذه الأمور لأن الناس كثير مهم يغفلون عنهم، وقليل من ينتسب إلى العلم من يذكر بها وينبه بشأنها، وللحديث صلة إن شاء الله.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

١٢٧ - الحادي عشر: عَنْهُ، عن النَّبيّ - ﷺ - قَالَ: «لَقدْ رَأيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ في شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَرِيقِ كَانَتْ تُؤذِي المُسْلِمِينَ». رواه مسلم.

وفي رواية: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لأُنَحِيَنَّ هَذَا عَنِ المُسْلِمينَ لا يُؤذِيهِمْ، فَأُدخِلَ الجَنَّةَ».

وفي رواية لهما: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوكٍ عَلَى الطريقِ فأخَّرَه فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

١٢٦ - العاشر: عَنْهُ: أنَّ رَسُول الله - ﷺ - قَالَ: «بَينَما رَجُلٌ يَمشي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشربَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يأكُلُ الثَّرَى مِنَ [ص:٦٢] العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبُ مِنَ العَطَشِ مِثلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ، فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أمْسَكَهُ بفيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهَ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ» قالوا: يَا رَسُول اللهِ، إنَّ لَنَا في البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فقَالَ: «في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية للبخاري: «فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، فأدْخَلَهُ الجَنَّةَ» وفي رواية لهما: «بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يقتلُهُ العَطَشُ إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ (٤) مِنْ بَغَايَا بَنِي إسْرَائِيل، فَنَزَعَتْ مُوقَها فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ».

«المُوقُ»: الخف. وَ «يُطِيفُ»: يدور حول «رَكِيَّةٍ»: وَهِي البئر.

- عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْن الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا» رواه مسلم.

- وَعَنْهُ: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إذَا تَوَضَّأ العَبْدُ المُسْلِمُ، أَو المُؤمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إلَيْهَا بِعَينيهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيهِ كُلُّ خَطِيئَة كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مشتها رِجْلاَهُ مَعَ المَاء أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ». رواه مسلم.

- وَعَنْهُ، عن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّراتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث تبين مزيد فضل الله جل وعلا على عباده بتنويع الأعمال الصالحة، وتيسيرها، وبيان التفاضل بينها، وأنها مما يكفر الله تعالى به الخطايا، ويضاعف به الحسنات، ويرفع به الدرجات، وأن الله يعطي العاملين فوق ما يستقون فوق أجرهم ويوفيهم أجورهم كاملة يعني ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠].

ففي الحديث الأول بيان فضيلة الوضوء، وأن الإنسان بعناية للوضوء، وبحُسنه، وإسباغه واستكمال الأعضاء والمقصود تراه الإسالة إسالة الماء على العضو من طرفه إلى طرفه، وإذا كان في حوايل تمنع وصول الماء إلى البشرة تزال، لكن لو أنه حصل السيلان سيلان الماء على العضو على الذراع واليد، على الرجل، على الوجه، وزال بعد ذلك ما يضر أهم شيء أنه يسيل على الوضوء كاملا هذا هو الإسباغ أنه يعم العضو بالغسل، بمثابة الدهن، يعني بمثابة الدهن، بحيث ما يبقى فيه جزء ما وصل إليه الماء، والناس يتعاملون الآن بكريمات خفيفة سائلة يعرفون أنهم استكملوا فيها الأعضاء التي يراد دهنها، هذا هو، يعني لا يلزم الدلك، ولا يلزم الحك، لا، أهم شيء الإسالة فقط، فهذا هو المطلوب، فغسل أعضاء الوضوء يكون سببًا في تحات الخطايا من كل عضو يغسل من الوجه، ومن

اليدين إلى المرفقين، ومن الرأس، ومن القدمين إلى الكعبين، ويدخل في وجهه المضمضة والاستنشاق، ويدخل في الرأس مسح الأذنان، بمعنى أنك تكون أطراف أصابعك الإبهام والذي يليه مبلولا، سواء أنه من أثر مسح الرأس، أو أخذت ماءًا جديدًا.

والذي ينبغي عليهم أن يكون من آثار الرأس مسح الرأس، فتدير إصبعك السبابة داخلة الأذن كذا، والإبهام من خارجها، هذا المطلوب، فتتحات الخطايا مع قطر الماء، أو مع آخر قطر الماء من كل عضو، حتى تخرج من أشفار العينين آداب العينين، تخرج من الأذنين، تخرج من اللسان، من الأنف، وهذه من نعم الله، ونعم مغفول عنها، لأن هذه الأعضاء تتأثر بين الوقتين، ويبتلى الإنسان بالمجالس، ويبتلى باللغو، ويبتلى بالأخذ والإعطاء، وقد يكون في هذا ما هو مشروع وما هو غير مشروع أو محرم، فجعل الله عز وجل من حكمة الوضوء تطهير هذه الأعضاء على الدوام، ولذلك المستحسن للمسلم أن يتوضأ لكل صلاة، كان النبي ﷺ يتوضأ لكل صلاة حتى ولو كان على وضوء، وربما صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد، يوم كامل، ليُبين الجواز لكن المرغب به أن الإنسان يتوضأ لكل صلاة حتى لو كان على وضوء، ما أحدث يتوضأ تجديدا للوضوء هذا هو التجديد الشرعي، العوام يسمونه: التجديد، لما معه استنجاء، هذا غلط، هذا فهم خاطئ، التجديد أن تتوضأ وأنت على وضوء الوضوء الشرعي طمعًا في فضائل الوضوء هذا المطلوب.

وهذا الوضوء الشرعي المراد، فإذا كان هذا الوضوء وحده يطهر هذه الأعضاء التي هي بادية من جسم الإنسان ومتعرضة للأدران والأوساخ المعنوية ما هي بالحسية تتعرض للحسية لكن المعنوية أكثر النظر فضول النظر فضول الكلام فضول السمع فضول كذا وكذا غير المحرم، والمحرم الذي ليس بكبيرة، ونحن في الواقع معشر المكلفين عندنا دواهي في المجالس دواهي كبائر، كبائر، عظيمة مقلقة، ومع ذلك يُستهان بها وتُعد من الظرافة الغيبة البهت إذا تكلمت في أخيك بما ليس فيه، بهته، بما يسوؤه يعني، النميمة والغيبة إذا أثرت في نفس السامع احتقارا وغمطا للمتحدث عنه صارت نميمة، جمعت بين الغيبة والنميمة، وإذا كان في شيء ما هو فيه فهذا بهت أيضا ثلاث، والله ما يكاد يسلم مجلس من مجالس الناس من هذه الثلاثة، غير الفضول في الكلام.

بعض الناس قال: اليوم حار، واستغفر الله كم استغفـارا، وايش دخلي اليوم حار ولا ما هو بحار، يقول هذا فضول ما له داعي لا حصلت أجر ويحتمل أن يحصل بوزر، والنبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**»، وربما أن قولك اليوم حار أو بارد غير التعريض لأن في اعتراض على المقادير أو يفهم منك السامع بعد يصير بليد ولا سيء ما أنت بحاجة، وهكذا يحاسبون أنفسهم السلف على أمورٍ يسيرة، واحد قال لزوجته: هاتي السفرة، ليش السفرة تؤكل عليها صح؟ قال: نعبث فيها، ثم استغفر، واستغفر، وتصدق، كيف نعبث؟ الأكل من نعمة الله عبث، ما هو بيحتاج ابتداء بالتسمية وحمد إذا لم يكن مع كل لقمة فمع ثنايا الأكل، ثم نهاية الكلام على الأكل الحمد على النعمة والتيسير وما يرجى من انتفاع الإسلام بما أكل، وما يرجى من تسهيله، وتسهيل هضمه، وتسهيل خروجه، هذا يسمى عبثا، وهو قالها على وجه المزاح يعني أنا وأنتِ، مثلما يقولون ننقرش فيها نسوي كذا ونسوي كذا عبارة بسيطة يعني عفوية، لكن حاسب نفسه عليها، لأنه قارنها بقول النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**».

وقوله ﷺ: «**أمسك عليك هذا**» اللسان.

وقوله ﷺ لما قال معاذ: إنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟**».

فإذا جاءنا عملًا صالح يُكفر الخطايا وإن كانت مثل زبد البحر مثل: «**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، في الصباح والمساء، أو جاء أنها تحت الخطايا، أو جاء كذا وكذا، فلا تنزع هذه الأمور التي يستهين بها الناس، وهي من كبائر الذنوب ويعذب بها الإنسان في قبره، فهذا يحتاج من الإنسان أن يكون له وقفة جادة مع نفسه بحيث يحتاط ويجعل عقله حاجزا للسانه، ويجعل اللسان مسجود اللسان ترى مسجون في الواقع لأنه بين فكين فينبغي أنه إذا تكلم إذا خرج من بين الفكين بكلمة خاطئة أن يقطع بالأسنان، يجرح يعني، لأنه يجر عليك المصائب، وأكثر شيء حصائد الألسنة هذا، والناس إذا اجتمعوا الآن في المناسبات والاستراحات وفي المجالس وكذا وكذا وكذا تكلموا بكلام لا محدود يعني ما في حد له لا من جهة المعايير الشرعية، ولا من جهة الكمية، فكم يجني الإنسان على نفسه، والله لو تأمن عمل ألف سنة إنك تخشى ما يقابل هذا سيئاتك للآخرين فقط، فكيف سيئاتك في حق الله

تعالى بما يُفهم منه الاعتراض على المقادير، أو التبرم منها، أو التنقص لتدبير الله جل وعلا في شيء من هبوب الريح، وغيره، مثل العوام تراهم يقولون إلى زمن ماضي قريب أن هبت فيه كذا ولا .... (١٢:٣٥) ما هو هذا اعتراض على هبوب الريح، وهل الريح تهب من نفسها أو مُدبرة؟ مُسخرة مُدبرة، أن هبت فيه ....

هذا كلامهم، هذا فضول، وهذا خطير جدًا اعتراض على المقادير، وإن كان ما يخطر على بال المؤمن لكنه واقع هذا هو واقع، وهكذا اليوم حار، واليوم بارد، واليوم كذا وكذا، ما أنت ملزوم بالكلام هذا، لأن الحر اليوم له حكمة، وبرد اليوم له حكمة، وإن كانت قد ما تخصك تخص غيرك، والله تعالى يدبر ملكه كيف يشاء وعن علم وحكمة، وعن قدرة ومشيئة، والله ما تنتقل ذرة من ذرات هذا الكون إلا بإذن من الله بإذن للكون وأنت تعترض، لو دخل علينا ذرة رمل تعترض؟ ! سبحان الله!.

فهذه أمور يغفل عنها الناس، وإذا سمعوا هذه الأحاديث التي فيها الفضائل، قالوا: خلاص، عندنا رصيد، من أين الرصيد أتدري هو مقبول؟ ابن مسعود ﷺ من أفقه الأمة، ومن أفقه خواص الصحابة للقرآن العظيم، يقول: حبذا لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة:٢٧].

وأنت... من هو يتقبل منه، فهذه النصوص ينبغي أنها تفهم بالفهم الشرعي، لأن المراد منها الترغيب بلزوم فضائل الأعمال بعد الفرائض، الفرائض أعظم شأن منها وأوجب عليك، وأن الإنسان يرجو من الله أن يعطيه هذا الثواب، والناس في الفريضة وهي فريضة يتفاوتون وهم صفا واحد بينهم كما بين السماء والأرض بين الواحد والثاني بحسب حضور القلب وخشوعه، وتدبره للأذكار والدعوات واستحضاره لوقوفه بين يدي الله عز وجل، ونظر الله جل وعلا إليه وأن الله ينصب وجهه إلى وجهه في الصلاة، وأن يصلي صلاة مودع، فهل يسن أن يصلي صلاة مودع ومن يصلي صلاة من هو .... في الدنيا.

يقول واحد للإمام قال: يا مطوع تراك سهوت، قال ليش سهوت؟ قال أنا بالعادة أصلًا في المكان الفلاني واليوم ما وصلت نصف الطريق، فهذا حاضر القلب في الصلاة هذا؟ وينتقد الإمام بوقاحة على مجريات حاله بالعادة أنه مضيع للصلاة لا خشوع ولا شيء كل حسابات دنيا، ومسافات، فينبغي

التذكر لهذا، ومثلما نغتبط بفضل الله علينا بشرع الأعمال الصالحة وتيسير الأعمال الصالحة وشرح الصدور لقبولها والاشتغال بها والإعانة على تحقيقها وتعظيم الأجور عليها وحُسن الظن بالله تعالى أن يعطينا هذه الأجور، وأن يوفينا إياها، وأن يزيدنا من فضله، خف من الجانب الثاني الذي يهدم، وأنت تهدم طول الوقت من حين تستيقظ إلى أن تنام، بلسانك، بشمك، بفمك، بأذنك، بعينك، بيدك، برجلك، بخواطر قلبك، من الذي قلبه سليم من المسلمين، واحد يهجر أخاه من أمه وأبيه، عنده تفاهة، أطفال اشتجروا فيما بينهم وتعادوا وشكى أهلهم وتهاجر الأبوان والأمان عند هذا، ويصلح الأطفال خلال ثانيتين والآباء ما يصطلحون، لا هذا أخ جيرته جيرة سوء، لو إحنا عند واحد بعيد كان أهون لها، هذا يقوله مسلم في حق أخيه، أين الرحم، وأين العطف، وأين صلة الرحم، وأين البر، وأين، وأين.

حتى ما في مراعاة حق الجار لجاره، فكيف وهو رحم، فكيف وهو أخ، خرجتم من رحم واحد، فالإنسان تحمله الأطفال أو تحمله النساء على الهجر والقطيعة، حتى يتفوه بكلام كبير، ويكون ظالما ظلما قد ما يخرج منه لو عاش الدهر، بسبب كثرة إساءته لأخيه سواء من أمه وأبيه، أو من قراباته أو من جيرانه أو من كذا وكذا وكذا.

لأنه في كل مجلس يذكره بعيبٍ يكرره في كل مجلس فيصير ظالم، والله لو أخذ منك مئة ألف ريال فإنك ظالم له، لأنك ذكرته في عدة مجالس وأثرت في قلوب ناس في التعامل معه، وسوء الظن به، وأن لا يتعاونوا معه على خير، وربما رأى بعض من لا يصلي عليه بسبب كذا، فأنت ظالم أثيم، ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القلم:١٣].

غليظ مستكبر وجافي عند أمر تافه، والحين في رسائل بالجوالات اليوم دعوات فلان ظلمني الله يجعل فيه كذا، الله يحرمه على الجنة، الله يجعله من أهل النار، طيب يقول: لا إله إلا الله، ويصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، وربما كان أبر منك بوالديك، وأنفع للناس منك، وربما كان له جهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله والنصيحة، لأئمتهم المسلمين وعامتهم، وأنت علج جاف ما فيك خير تدعو عليه بدعوة كبيرة !، فهذا ظلم هذا، يصير المظلوم ظالم، ويصير من أظلم الظلمة عند الله جل وعلا، لماذا؟ لأنه تعدى في الدعاء، والله لا يحب المعتدين في الدعاء،

لأنه زاد عن القدر، قل له: اللهم كف عني شره. وخلاص، اللهم اكفني بما شئت، يكفي هذا، اللهم اهد إليه رشده، أحسن، إلا تختار أدعية والله ما يُدعى بها على فرعون وغيره من بعض الناس، فتدعوا على أخيك المسلم الذي تعرف أنه من أهل المسجد ومن أهل الصف الأول من وراء الإمام، وأنه صوام وقوام وصاحب عمرة وحج، وصاحب صدقة، وصاحب كذا وكذا، لأنه أخطأ عليك في موقف ولا لأنه عجز يسدد لك دين في ذمته، ولا لأنه كذا وكذا وكذا، كثير ...

حتى لو استهان قارن بين الحسنات والسيئات، هذا ربما له خبيئة عند الله عز وجل تعدل الدنيا وما فيها، وأنت تدعي عليه، يغضب الله له سبحانه وتعالى، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٨].

فإذا دعوت عليه بأكثر مما يستحق فقد احتملت بهتانا وإثما مبينا، فلابد من التنبه لهذا، ولا يكون الدين على حسب الإلف والعادات والمجاراة للناس الدين بينك وبين الله عبادة، لابد عندك الدليل على ما تقول وعلى ما تترك وعلى ما تسكت عنه وعلى ما تعفو عنه وعلى ما تحسن به، وتكون على بينة من دينك، وترجو رجاء الواثق لأنك على بَينة.

أما أن إنسان يتكلم ولا يبالي وفي كل مجلس وكذا وكذا وكذا، لا، فلان اتركه اسقطه من عينك انسه هذا كلام!، هذا كلام في مسلم!، ويتزينون للكفار بالأساليب والعبارات وكذا وكذا حتى يتحاشون لأن يقولوا أنهم كفار لا اليهودي ولا النصراني، الآخر غير المسلم، الجنسية الفلانية، ما يبغون يقولون الكافر، والله تعالى يقول: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾ [البينة:١].

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المائدة:٧٨].

فكيف وقد كفروا بنبينا ﷺ أعظم من جرمهم الذين سووه، كفرهم بنبينا ﷺ كفر بجميع الرسل، وبرسولهم الذين يزعمون النسبة إليه، ويتملقون الناس لهم ولو أنه ذكر المسلم حط حاله في غيبة ونميمة وبهت وتنقيص قدر وغمط واستهزاء باللسان وبالإشارة وبالعين، وين هذا ووين الإنصاف،

ووينه ووين السلامة إلا أن يشاء الله، ووينه ووين الخير وهو بهذه الطريقة هذه، يهدم في يوم واحد ما عمله جزء من العمر، والله الذي يحصي على العباد، كيف وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ [الانفطار:١٢].

وقال: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ ﴾ أي قول يصدر عنك ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [ق:١٨].

مكتوب عليك كله، فالحسنات مع ملك اليمين، السيئات مع ملك الشمال، اللي ما هي حسنات ولا سيئات تراه في سجل ملك الشمال حتى يُنظر فيها يوم القيامة، افهموا هذا، تراه عند ملك الشمال مكتوبة يؤاخذ الله بها، وما يؤاخذ هذا مرده إليه، فما يستهين الإنسان بالكلام، ولذلك قال ﷺ: «**أمسك عليك هذا**».

وقال بعض السلف: "ما شيء أحوج إلى طول حبس من لسان".

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه خير أتباع النبيين والمرسلين على الإطلاق، يأخذ باللسان نفسه ويقول: "**هذا الذي أوردني الموارد**".

الآن الرسائل بالجوالات يله اكتب ما راق لك، ولا أنت مسئول، والله أنه توثيق على نفسك إنك أنت بقلمك، بيدك، بغمزك، إنك توثق على نفسك وسيعرض عليك.

ومــــا مـــــن كاتــــب إلا ســــيفنى ... ويبقـــي الـــدهر مـــا كتبـــت يـــداه
فـــلا تكتـــب بخطـــك غيـــر شـــيءٍ ... يســـــرك في القيامـــــة أن تـــــراه

والذي يضرك أو تخاف منه احتمال بعد لا تكتبه، فلابد من التفطن في هذا، وللحديث صلة إن شاء الله.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

اللهم صلّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فثبت في الصحيحين وغيرهما أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁، دعا بوضوء بماء الوضوء فتوضأ أمام الصحابة ﵃ ليعلمهم كيفية الوضوء، وفي ذلك أنه غسل أعضاء الوضوء كلها ثلاث مرات، من طرف العضو إلى طرفيه الآخر يدخل الحد في المحدود في الغسل، وهذا الإسباغ استكمال غسل العضو وإسالة الماء عليه، وأخبر أنه رأى النبي ﷺ توضأ هكذا إلا الرأس مسحه مرة واحدة، لكن أدبر بيديه وأقبل، قال: هكذا، هكذا ثم مسح أذنيه، وقال: «**من توضأ نحو وضوئي هذا**»، يعني مثل وضوئي هذا، «**ثم صلى ركعتين يُقبل فيهما بقلبه على ربه**».

وفي رواية: «**لا يُحدِّث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه**».

فدل هذا الحديث الصحيح على فضيلة الوضوء الكامل، والصلاة بعده، نافلة ركعتا الوضوء من ذوات الأسباب، أو سنة راتبة، أو تحية مسجد، المهم أنه يصلي بذلك الوضوء، أو الفريضة ويقبل بقلبه على الله عز وجل يعني يخشع ويتدبر ما يقرأ من القرآن وما يذكر من الأذكار وما يدعو به من الدعوات ويعلم أن الله تعالى أمامه، فلا يلتفت بقلبه، ودلت الأحاديث الأخرى على أنه يبتدأ الوضوء بالتسمية، يقول: بسم الله عند ابتداء الوضوء، ويغسل كفيه ثلاثا، ثم يتوضأ ويستنشق ثلاثا، ويغسل وجهه ثلاثا، وهكذا.

وجاء في حديث أبي موسى الأشعري، ﵁، قال: "إني أتيت النبي ﷺ وهو يتوضأ".

وفي رواية: "يصلي، فسمعته يقول: «**ربي اغفر لي ذنبي، وأوسع لي في داري، وبارك لي في رزقي، وقني شر وشح نفسي، واهدني إلى أرشد أمري، واعزم لي على أرشد أمري، وقني شر وشح نفسي، واجعل أوسق رزقي عند كبر سني**»، فقلت: يا رسول الله سمعتك قلت كذا وكذا، قال: «**وهل أبقينا شيئا؟ أو هل تركنا شيئا؟**»، يعني جمعنا خيري الدنيا والآخرة بهذه الدعوات، فهذا الحديث الدعاء ينبغي أن يُحفظ فقد تكلم بعض أهل العلم في إسناده، وصححه ابن القيم، والنووي، وغيرهما - رحمهم الله-.

وصح من أبي موسى أنه كان يقول هذا، وهذا دليل على أنه سمعه من النبي ﷺ، فكان يقول هذا بعد النبي ﷺ، يعني سُمع يقول هذا الذكر هذا الدعاء على الوضوء بعد النبي ﷺ، متأسيًا بالنبي ﷺ،

فإذا تكلم في هذا الحديث أحد من جهة ضعفه فقد تكلم من قبلهم، لكن المرجح عند أهل العلم: ثبوته، وصحت عن النبي ﷺ، وعن أبي موسى من قوله من فعله هو ويكفي هذا لو كان الحديث ضعيف، ضعيف سندا، فثبوته عن أبي موسى قولًا يكفي، لأن الموقوف يؤيد المرفوع.

الثالث: أنه إذا فرغ من الوضوء يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتفتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا فرغ من الوضوء قال: **"اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا"**.

فهذا من العناية بالوضوء، فإذا صلى ركعتين، أو الفريضة، أو غير ذلك غُفر له ما تقدم من ذنبه، ونجاه الله من النار وأدخله الجنة، وهذه مطالب عظيمة وعالية الواحدة منها خير من الدنيا وما فيها، وذات مرة قال النبي ﷺ لبلال خادمه رضي الله عنه: «**يا بلال إني سمعت البارحة خشخشة نعليك بين يدي في الجنة**»، أمامي في الجنة. «**فأخبرني بأرجى عملٍ عملته في الإسلام**»، يعني عمل وُفقت له وداومت عليه وأحببته والتزمت به؟ فقال بلال: "ما عملت عملًا أرجى عندي في الإسلام"، يعني بعد أن أسلمت، "من أني لم أتطهر"، أتوضأ، "في أي ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كُتب لي"، قال: «**بهذا سبقت**»، يعني إلى الجنة.

فهذا دليل على فضل الله عز وجل على عباده، وتيسيره شرع الطاعات، وتيسر الطاعات، وتعظيم الأجور، وأن يجعلها محو الخطيئات، ومضاعفة للحسنات، ورفعة للدرجات، وذخرًا لأصحابها يوم القيامة عند الله عز وجل، أحوج ما يكونون إليها.

فيراعي المسلم هذا أول شيء إنه يكون قاصدًا الوضوء، بعض الناس يقف عند المغسلة يريد أن يغسل بعض الطعام ويتحدث مع صاحبه ويتوضأ وهو ما قصد الوضوء، فهذا ما له وضوء هذا لغو، هذا مثل حركة النائم، والوضوء عبادة لابد أن يكون مقصودًا.

ثانيًا: أنه يسمي في أوله، لأن النبي ﷺ قال: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله**»، فهي مشروعة بإجماع أهل العلم التسمية في ابتداء الوضوء.

والثالث: أنه يعتني بإسباغ الوضوء، تبليغ الوضوء، تسييله على أعضاء الوضوء كلها، بحيث إنه تُدهن به البشرة سواء بشرة الوجه، أو اليدين، أو الرجلين، ويُمسح بها الرأس والأذنان، فيُستكمل العضو بحيث يدخل المرفق ضمن اليد في الغسل، والكعب ضمن الرجل في الغسل، ويُخلل الأصابع أحيانا وخصوصًا إذا ظن أن الماء يزل عنها لكونها متلاصقة، أو أن يكون عليها شيء يمنع، ويدعو أثناء الوضوء بهذا الدعاء ولا يقتصر عليه في الوضوء، بل جاءت روايات: أنه يدعو به بعد الفراغ من الوضوء، وروايات أخرى: أنه يدعو به في الصلاة التي بعد الوضوء اللهم اغفر لي ذنبي، وأوسع لي في داري، واهدني إلى أرشد أمري، يعني في كل شأني. إلى أرشد أمري، واعزم لي على أرشد أمري، وبارك لي في رزقي، وقني شر وشح نفسي، واجعل أوسع رزقي عند كبر سني.

من هو الذي لا يحتاج إلى هذه الدعوات؟!، وكلام الحكيم الشارع يقول:

أَخْلِقْ بِذي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بحاجَتِهِ ومُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوابِ أَنْ يَلِجا

فأنت تتوضأ في اليوم قد يكون عشر مرات فأكثر، وكل مرة تدعو بهذه الأدعية، وتظن أنك تخيب فهذا سوء ظن بالله تعالى، وسوء الظن يردي صاحبه ويخسره في الدنيا والآخرة، فيحرص المسلم على أن يستكمل العبادة سواءً كانت الوضوء أو الصلاة، أو الصوم، أو الصدقة، ولا يعرضها لما يبطلها، ولا لما ينقصها، ولا لما يفوت عليه الفضائل المعلقة بها، فالتسمية لها شأن، والذكر له شأن على الوضوء، والذكر بعد الفراغ من الوضوء له شأن، وإسباغ الوضوء حتى في شدة الحر والبرد وحرارة الماء وبرودته له شأن، ومن ذلك: أنها تتحات الخطايا من أعضاء الوضوء حتى تخرج من أشفار العينين من أطراف اللحية، ولا يتساهل اليوم أنت تستطيع أن تتوضأ وتصلي فما أقرب الوقت أنك يجيك وقت تنقطع من العمل تموت وانتهى عملك خلاص، ولا بينك وبين هذا إلا أن يقال: فلان مات، فيتروض الإنسان في العبادة ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ ﴾ [الشرح:٧]، وهذا الفراغ الواجب وقت الصلاة، ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح:٨].

ألح عليه بالدعاء والثناء وعظم الرجاء والإخلاص ومتابعة السنة، وأنت تكون أسوة حسنة لغيرك لأهل بيتك خاصة، وغيرهم عامة، حتى تحضرهم عندك أحيانا وأنت تتوضأ، كما فعل عثمان رضي الله عنه

توضأ بحضرة الصحابة، وعلي ﷺ أيام إمارته للكوفة نفس الشي دعا بماء وتوضأ وقال: **"هكذا رأيت النبي ﷺ توضأ"**.

فيحتاج المرء إلى أن يكون عنده عناية بهذا الشيء ما يصير الشيء حسب الإلف والعادة والمجاراة غلط، لأنه قد يكون هذا الألف أو العادة خطأ، أو مختلط بخطأ، بعضه صواب وبعضه خطأ فما لك حاجة بالخطأ تبغى السلامة من الخطأ، لكن تتوضأ، تتعبد عبادة شرعية على الوصف الشرعي، وهذا من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أنك تتقيد بالشرع وتتبع السنة.

أما أن الإنسان يتساهل وتمضي الأيام ويمضي العمر وهو في لُجة، فهذا خطر وغفلة، وهذا من أسباب قسوة القلوب، ومن أسباب الحرمان من الأجر، ومن أسباب التعرض للوزر، ومن عصا الله بشيء الوضوء أو غيره كان عرضةً لأن يعاقب به بالعضو الذي عصى الله به، رأى النبي ﷺ بعض أصحابه أرهقهم الوقت وهم في سفر، خشوا أن يخرج الوقت، فصاروا يرشون على أقدامهم الماء، يعني من العجلة، ورأى بعض أقدام بعضهم تلوح ما جاءها ماء من الوراء، فقال: «**أسبغوا الوضوء ويلٌ للأعقاب من النار**».

فالعقب الذي لا يصيبه ماء الوضوء يعذب بالنار، ممكن يعذب، وهذا المعنى أن الإنسان يعذب بما عصى الله به كثير في الأحاديث الصحيحة، ومن ذلك في الصلاة أن الإنسان وهو يصلي يرفع بصره إلى السماء أو إلى النجوم أو إلى سقف المسجد أو البيت أو اللوحات أو الكتابات أو شيء.

يقول النبي ﷺ: «**لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم في الصلاة، أو لتخطفن أبصارهم**»، يعمون يعني يعقبون، وهذا وهم في الصلاة في العبادة فكيف إذا كان ما هو في العبادة بعد؟.

وقال النبي ﷺ في الذي يتبلد ويصير يصلي على الصوت ما يصلي بحضور وخشوع فيرفع رأسه قبل إمامه من الركوع، أو من السجود، قال: «**أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل إمامه أن يجعل الله رأسه رأس حمار**»، يعني بليد مثل الحمار.

وفي الحديث الآخر: «**أن يجعل الله صورته صورة حمار**».

ونهى النبي ﷺ عن بروكٍ كبروك البعير في الصلاة، وأصح تفسير في هذا: إنه يقدم يديه عند السجود لغير حاجة، الأصل أن يقدم ركبتيه، إلا إذا كان محتاج لكبر سن أو مرض أو ضعف أو مانع في رجليه أو شيء، فمن عصى الله بشيء كان عرضةً لأن يعاقب به، والله سواء كان مصليا أو متوضئا أو

شهيدا حتى الشهيد، واحد من الشهداء مع النبي ﷺ حديث عهد بالإسلام أسلم وبدأت الحرب، ودخل الحرب، وقاتل، وأبلى بلاءً حسنا، فأصيبت يده أصابعه بجراحة شديدة، فلم يصبر فحزها قطعها، ونزف حتى مات، فرآه أخوه رؤية منام وإذا هو في الجنة، لأنه شهيد، لكن مغطيين يده هذه، قال: مالك مغطيين يدك؟ قال: إني لقيت ربي وقال لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فأخبر أخوه النبي ﷺ، فقال: «**اللهم ولي يده فاغفر**»، فرآه ثانية وإذا هو قد أظهر يده وإذا هي حسناء كغيرها، ببركة دعاء النبي ﷺ، فهذا شفاعة له.

فهكذا، فإذا كان الإنسان يعاقب بما عصى الله تعالى به حتى في العبادة، فكيف إذا عصى الله خارج العبادة أحرى أن يعاقب، وعقاب الله شديد ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة:٩٨].

﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج:١٢].

ويقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الأنعام:١٥-١٦].

ويقول: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الجن:٢٢].

إذا طلبني الله لن يجيرني أحد، فيتنبه المسلم في هذا، بعض الناس يكون مصر على المعصية ثلاثين خمسين سنة ولا يبالي، وهذا خطأ، جمع بين الإصرار والتكرار وبين المجاراة، وبين الاستخفاف بالوعيد، وكل هذه كبائر، نعوذ بالله.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يا رَسُول اللهِ؟ قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». رواه مسلم.

- وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- وعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا». رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث كسابقتها في بيان تيسير الله جل وعلا العبادة على العباد، وتنويعه للخير، مع عظم المثوبة على الاحتساب والإخلاص وإصابة السنة، وأن الله يعطي العباد ما يؤملون وفوق ما يؤملون.

في الحديث الأول يقول النبي ﷺ يعرض على الصحابة وعلى الأمة: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات**»، يعني على خصال من الإيمان أعمالًا صالحة، «**يمحو الله بها الخطايا، ويرفع بها الدرجات**» والصحابة رضي الله عنهم حريصون على كل خير، ولذلك فرحوا قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره**»، والمعنى: العناية بالوضوء، وأن يُسال على أعضاء الوضوء بحيث يستكمل العضو من طرفه إلى طرفه، فلا يكون فيه بقعة يزيل عنها الماء، ولا يكون فيه شيء من الحوائل التي تجعل الماء لا يصل البشرة.

يعتني المسلم بوضوئه ويتفقد حتى يطمئن، «**إسباغ الوضوء على المكاره**»، يعني في شدة البرد، أو شدة الحر، إذا لم يجد ماء يسخن به الماء ما يتساهل بالوضوء، يتوضأ لو أن الماء بارد ويحتسب الأجر، وهكذا لو كان الماء حارًا في الصيف يتحمل، لأن الأجر عظيم، فهذا الأمر الأول مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات.

والمعنى: أن الله تعالى يُعظم به الحسنات أيضًا، «**وكثرة الخطى إلى المساجد**»، يعني الإتيان للمساجد من بُعد بحيث أنه ما يكون بعد المسجد حاملًا للإنسان على الكسل، والتأويل الباطل،

والتسويف، بل يحتسب ممشاه من مجيئه إلى المسجد، ورجوعه من المسجد إلى أهله، كل ذلك مكتوب عند الله جل وعلا، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [يس:١٢].

يعني في كتاب حافظ لكل شيء، فيستكمل المرء الخطى ويعنى بهذا ويتردد على المساجد، وخصوصًا مظنة الكسل في وقت الرمضاء، في وقت الظلمة، وأن الإنسان ما يتأخر عن المساجد، ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجل قلبه معلق بالمساجد**»، ما يخرج من المسجد إلا على نية العود إليه، وهو مشغول بالصلاة، ما هو بأنه يغفل عن الصلاة ولا ينتبه إلا إذا فاتت، لا، يفكر في الصلاة قبل دخول الوقت، ويعنى بهذا، وكان رجل من الصحابة يأتي من مكانٍ بعيد للمسجد على رجليه، فقال له بعض الناس: لو اشتريت حمارًا تركبه في الرمضاء وفي الليلة الظلماء؟ قال: ما أحب أن لي ذلك، إني أحب أن يكتب لي ممشاي إذا جئت إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت منه إلى أهلي، فلما أُخبر النبي ﷺ، قال: «**قد جمع الله لك ذلك كله**».

وكان أناس من الأنصار رضي الله عنهم يقال لهم: بني سلمة، بعيدة منازلهم من المسجد مسجد النبي ﷺ، فخلت بعض البقاع حول المسجد، انتقل أهلها لظروف غير طارئة، فأرادوا أن ينتقلوا من بيوتهم البعيدة إلى قرب المسجد، فهموا بشراء هذه البقاع، فلما أُخبر النبي ﷺ عن ذلك؟ قال: «**بني سلمة دياركم تُكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم**»، يعني ابقوا في بيوتكم البعيدة وائتوا منها إلى المسجد أعظم لأجركم، وأثقل لموازينكم، وأبقى لآثاركم.

«**وانتظار الصلاة بعد الصلاة**»، هذا العمل الثالث الذي تُمحى به الخطايا وترفع به الدرجات وتعظم به الحسنات، «**انتظار الصلاة بعد الصلاة**» إن تيسر لك مثلما بين المغرب والعشاء، أو أنك تأتي أول الوقت وتنتظر الصلاة قبل الإقامة، أو تجلس بعد الصلاة تستكمل أذكاركم، وخصوصًا أذكار الصباح والمساء، فحسن، أو تحضر مجلس علم بعد الصلاة، وإلا فيكفيك إنك على نية العود للمسجد، وأنك تسأل عن الوقت كم بقي على الأذان؟ وتنظر في ساعتك إذا كان عندك ساعة، يكون لبك مشغولًا بوقت الصلاة، وأنك تمشي للصلاة أول ما يؤذن تتوضأ وتمشي، ما هو بشرط أنك تبقى

مرابطًا في المسجد إن تيسر فذاك، وإن لم يتيسر فما يلزم هذا، يكفيك أنك على نية العودة للمسجد، وأنك حريص أن لا تفوتك الصلاة، ما تقضي.

قال بعض السلف: "**منذ أربعين سَنة ما نظرت إلى قفى رجل في المسجد**".

يعني إنه في الصف الأول، فهذا الحرص على الصلاة، فالإنسان يحرص أن يكون في الصف الأول، ويكون وراء الإمام أزكى لصلاته، وأزكى لصلاة الإمام، «**وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط**»، هذا يعدل المرابطة في الثغور في الحرب لحراسة حدود المسلمين، وهذا من الجهاد في سبيل الله، كون الإنسان مهمومًا من شأن الصلاة سواءً في إسباغ الوضوء، أو في كثرة الخطى والتردد، أو في انتظار الصلاة بعد الصلاة، الهم للوقت متى يدخل الوقت، كم بقي، هل يكفي هذا للذهاب إلى المسجد ولا لا أنك تصل إلى المسجد وتدخل وتمشي بطمأنينة ووقار، وتذكر الله عز وجل، وتكون متوضئًا في بيتك أو حيث كنت يوم أذن، فتأتي للصلاة وأنت يُكتب ممشاك صلاة لأنك على طهارة، إذا جئت للمسجد وأنت على طهارة وعلى وضوء يكتب ممشاك صلاة، وانتظارك للصلاة صلاة، وصلاتك صلاة، وانتظارك بعد الصلاة صلاة، وكل ما طال هذا صرت من خاصة أولياء الله عز وجل، فالذي يستوطن المساجد يتبشبش الله تعالى له كما يليق بجلاله وعظمته، كما يتبشبش أهل الغائب الذي طالت غيبته إذا قدم عليهم، يستقبلونه ببشر، وطلاقة وجه، وارتباط، وانبساط، وإكرام، وكذا وكذا، فالله تعالى يجعل لك نصيب من فضله ورحمته، فيدنيك ويجيب دعاءك ويسددك ويعينك ويكتبك عنده من القريبين، فهكذا يكون الإنسان.

وهذا أمر لابد من العناية به، فالإنسان يعنى به، فإسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، هذا يعدل الجهاد في سبيل الله، والمرابطة على الثغور بعد الحرب بتأمينها من تعدي الكفار، واقتحامهم البلاد والحرمات، فهذا يدل على فضل الله على العباد.

الحديث الثاني: يقول النبي ﷺ: «**مَن صلى البردين دخل الجنة**».

والبردان: الفجر والعصر.

فهذا وعد من الله تعالى على لسان نبيه ﷺ أنك تكون من أهل الجنة، لأن هاتين الصلاتين مظنة الانشغال عنهما من جملة من الناس، فالفجر وقت نوم وغفلة، والعصر وقت مصالح ومعاش، فقد

يستخف بعض الناس بالصلاة، ولهذا جاء عن النبي ﷺ: «**من صلى الفجر فهو في ذمة الله في جماعة**»، وهكذا من صلى العصر، «**وإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس**»، الفجر، «**وقبل غروبها**»، العصر، فلهاتين الصلاتين خصوصية، ومن حافظ عليهما فالغالب أنه ما يضيع سواهما، فيكون معتنيًا بالصلاة وهما صلاتان مشهودتان يشهدا الله عز وجل من فوق سبع سماوات، وتشهدها الملائكة المعقبات، والكتبة، فيجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ويشهدون للحاضر للصلاة وعلى الغائب، ويشهد الله الملائكة أنه غفر للحاضرين للصلاة، وأعطاهم ما سألوا، وأجارهم مما استجاروا، فمن أراد الجنة فعليه بالمحافظة على هذه الصلوات عموما، وهاتين الصلاتين خصوصا.

والحديث الثالث: أن العبد إذا اعتاد العبادة، وشغله عنها شاغل من مرض، أو سفر، أو أمرًا عارض، فإن الله يكتب له ما اعتاد، فإذا مرض العبد أو سافر كتب الله له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم. وهذا من فضل الله جل وعلا على العباد، ومن ثمرات المداومة على الطاعة، والالتزام بها على أحسن الوجوه وأكملها، ودليل هذا على فضل الله عز وجل على عباده، وعلى كرمه وجوده، وأنهم يعطيهم سبحانه من الكرامة والثواب ما يؤملون وفوق ما يؤملون، فيغتنم الإنسان هذه التجارة مع الله عز وجل قبل أوان انقطاع العمل، والانتقال إلى الآخرة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- عن جَابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**». رواه البخاري.

- وَعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغرِسُ غَرْسًا إلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنهُ لَهُ صَدَقَةً، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً**». رواه مسلم.

- وفي رواية لَهُ: «**فَلاَ يَغرِسُ المُسْلِمُ غَرْسًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ إنْسَانٌ وَلاَ دَابَّةٌ وَلاَ طَيْرٌ إلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقة إِلَى يَومِ القِيَامةِ**». وفي رواية لَهُ: «**لاَ يَغرِسُ مُسْلِمٌ غَرسًا، وَلاَ يَزرَعُ زَرعًا، فَيَأكُلَ مِنهُ إنْسَانٌ وَلاَ دَابَةٌ وَلاَ شَيءٌ، إلاَّ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذان الحديثان في بيان أنواع من الخير ومن جليل الأعمال الصالحة التي رتب الله عليها أجورًا عظيمة مستمرة إلى يوم القيامة إذا بقيت، فالأول: هو المعروف، والمعروف هو ما دل الشرع على أنه معروف، وعُرف بالفطرة السليمة والعقل الصحيح حُسنه، وكل ما أمر الله عز وجل به ففعله معروف، وكل ما نهى الله تعالى عنه فتركه معروف، وكل معروف صدقة، فهذا يدل على سعة الصدقة، ويسمى هذا: صدقة، لأنه يصدق الإيمان لأن الإنسان لا يفعل هذا الشيء لا يفعل الطاعة ولا يترك المعصية إلا لإيمانه بمشروعية هذا الشيء، وأن الله تعالى يحبه ويجزي عليه الجزاء الأوفى، ولا يترك ما نهى الله تعالى عنه إلا لإيمانه بأن الله تعالى نهى عنه، ويبغضه، ويمقت صاحبه، ويعاقب من فعله متعمدا أو مصرًا عليه، ومات ولم يتب، فإنه على خطر.

فكل معروف صدقة، فالكلمة الطيبة صدقة، وانبساط وجهك في وجه أخيك صدقة، والماء الذي تعطيه صدقة، والطعام الذي تعطيه صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، من أي شيء من غصن، أو شوك، أو زجاج، أو حجر، أو غير ذلك، وسقي البهائم والطيور صدقة، فيحتسب الإنسان ولا يحتقر شيئا، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ ﴾ [الزلزلة:٧].

مثل ما أنه ما يستهين بالشر ولو كان يسيرا، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة:٨] هذا **الأمر الأول**.

الأمر الثاني: الخصوص، الذي هو غرس النبات، بذر النبات، وغرس الشجر، وأن الإنسان يحتسب ذلك، لأن هذا فيه عيشة الآدميين، وفيه عيشة الطير، وفيه عيشة الدواب على الأرض حتى النمل، وفيه خير كثير، فيجعل الإنسان له مشروعًا خيرًا ومن ذلك لو الإنسان طلع للبر، أو طلع لمكان وغيره وأكل وشرب وغير ذلك، فما معه من حب ونوى النخل العبس ونوى الشجر يغرسه في الأرض الله يسقيه، والله ينبته، حتى الطلح والسدر شجر البر يساهم الإنسان فيه، لأن هذا يأكل منه الطير، ويستظل به، وتأكل منه البهائم، وتأوي إليه، ودواب الأرض التي تدب على الأرض من تعلم وما لا تعلم، فالإنسان يحتسب في هذا، لكن لا يجعلها على الطرقات يجعلها في الأماكن النائية والزوايا، وغير ذلك، وتكون قريبة من الطرق حتى ينتفع بها وتسقى ويتيسر الأمر.

وهذا حسب الدراسات العلمية التجريبية إنه من أسباب توفر الرطوبة، وتكون السحاب بإذن الله جل وعلا، وكثرة الأمطار، وهذا صارت الدول الآن تنادي به وجُعل من السياسات العامة وتُجعل له وتُرصد له ميزانيات كبيرة، فلا يسبقونك إليه وهم على أمر دنيوي في الغالب يراعون أمرًا دنيويًا، وسياسات قريبة وبعيدة، أنت افعل هذا عن حسبة، ولو ما تفعل هذا إلا في جوار بيتك، رصيف بيتك، وداخل بيتك، وتشير به، وإذا قُدر لك الخروج للصحراء اغرز خصوصًا في أوقات الشتاء، والله يتولى ذلك ويسقيه، فينبغي للإنسان أن يحتسب هذا الشيء، كما سمعتم في الحديث - لا يأكل منه طير، ولا إنسان، ولا ينقصه أحد يأخذ منه أحد حتى ولو بغير إذن، ولو كان من بستانك أنت وأخذ منه أحد بغير إذن فلك أجر، فاحتسب هذا.

أما أن الإنسان يصير إمعة ولا يبالي ولا يقدر هذه الأمور ولا يعتني بها، وهي مأمور بها شرعا فهذه غفلة، وقسوة قلب، وكذا، ما ينبغي هذا الشيء، فيساهم الإنسان في هذه المشاريع أي شيء اغرزه ابذره حتى غصون الشجر تأخذ غصن شجرة وتلقيه في الأرض ينبت، لأن بعض أغصان الشجر ما يحتاج أنه يكون له جذور تطلع جذوره بعدين، والناس يجعلونه في الماء أسبوع أسبوعين حتى تطلع جذوره ويغرسونه، وهذا معروف عند الناس بالتجارب، ولا سيما النواء نواء النخل والسدر والطلح، هذه التي تصبر على الجفاف، وتصبر على قلة الماء، وكذا، وكذا، وكذا، يكفيها أنه يأتيها المطر من الحول إلى الحول، فلا تحرق من المعروف شيئا، افعل هذا، واجعل لك نية وحسبة، وذكر من معك، ومن

يجالسك في هذا الشيء، فهذا من التعاون على البر والتقوى، ومن المعروف، ومن إسعاف الدواب، تدرون أن الطيور الآن والدواب أنها تهلك في البرية بسبب قلة الماء، وبسبب قلة النبات والورق والثمر، فيساهم الإنسان ويؤجر على هذا، وإذا عاش هذا الشجر مع أنه يعيش خمسين سنة مئة سنة تدرون في شجر الزيتون له ثلاثة آلاف سنة وأربعة آلاف سنة، والشجر يعني يوجد هذا وشجر المانجا وشجر غير ذلك يعيش ويثمر ثمر كبير جدا، حتى إن الشجرة الواحدة تحمل ..... (٠٨:٣٤).

فالإنسان يحتسب لهذا كله ويكون له همة، ويتشاور مع الناس وأهل الخبرة والاختصاص، وما هي أحسن الأحوال، وأحسن الظروف، وكم تحتاج إلى السقي، كان الناس في زمن قريب إلى زمن قريب من قديم يرحون إلى النفود الذي فيه الرمل، ويجعلون عودان الأثل يأخذونها ويجعلونها على طول الذراع ويرمونها في البرك، فإذا نبت به نبات الغصن هذا العود نبت ذهبوا ونبه للبر للنفود هذا وغرسوه، خصوصا في استقبال الشتاء، وسقوه ما شاء الله خلاص يطلع على طول، ويعيش، وكانوا يجعلونه وقف يؤخذ أغصانه إذا طالت تؤخذ الأغصان الجانبية حتى يصير العود طويل، خشبة طويلة مثل العمود، فيوقف على المساجد على سقوف المساجد، وأنا أعرف الناس يفعلون هذا وأُخذ هذا وجُعل في الجامع الكبير في البلد، وعاش ستين سنة، ولما هُدم وبُني بالمسلح أُخذ هذا أيضًا الخشب وجُعل في عدة مساجد وإلى اليوم يصلى فيه، وهو مغروس في النفود، لأن النفود يثمد الماء، وفيه بركة.

فكانوا يتعاهدونه بالتشجير الذي هو قطع الأغصان الجانبية حتى يستمر العود طويلا وعدلا ويكبر ويمتن، فإذا قُطع ثلاث خشب أو أربع، والكبار يجعلونه سواقف للخشب، ويجعلون هذا من أوقافهم وصدقاتهم الجارية، وانظروا هذه القصة: أن مئة سنة وهو يصلى تحتها هذا الخشب الذي هو مزروع بالبر، ما زُرع إلا بالبر، وما سُقي إلا مدة شهرين أو ثلاثة فقط، لكن يعاهد بالتشجير الذي هو قطع الأغصان الجانبية حتى يستمر طويلًا، ويجبر، ويمتن، ويكون عدلًا، وتقطع الخشبة ثلاث خشب أو أربع هذا دقة نظر، وهذه حسبة، وفقه في الدين، فيحتاج الناس أن يكون لهم عناية في هذا الشيء.

أسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يجعلنا هداة مهتدين، ومن هداة الخلق، وأنصار الحق، ويحسن الخواتيم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

- وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: أراد بنو سَلِمَةَ أَن يَنتقِلوا قرب المسجِدِ فبلغ ذلِكَ رسولَ الله ﷺ فقَالَ لهم: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنتَقِلُوا قُربَ المَسجِد؟» فقالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُول اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذلِكَ. فَقَالَ: «بَنِي سَلِمَةَ، دِيَارَكُمْ، تُكْتَبْ آثارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ». رواه مسلم.

- وفي روايةٍ: «إنَّ بِكُلِّ خَطوَةٍ دَرَجَةً». رواه مسلم.

- عن أبي المنذِرِ أُبيِّ بنِ كَعْب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لا أعْلَمُ رَجلًا أبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لاَ تُخْطِئُهُ صَلاةٌ، فقيلَ لَهُ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَلْمَاء وفي الرَّمْضَاءِ؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلي إِلَى جَنْبِ المَسْجِدِ إنِّي أريدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمشَايَ إِلَى المَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذلِكَ كُلَّهُ» رواه مسلم.

وفي رواية: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث فيها بيان فضل المشي إلى المساجد، عن الحسبة، وعن مراعاة الأحكام الشرعية، وأن الإنسان يحصل بذلك أجورًا كبيرة، ودرجات عالية في الجنة، فأولًا أن الإنسان يتوضأ حيث أُذن للصلاة سواء كان في بيته، أو في دوام عمله، أو في أي مكان، يأتي المسجد وهو على طهارة فإنه يُكتب له ممشاه إلى الصلاة في الصلاة.

هذه **أول فائدة**.

والأمر الثاني: أنه له بالخطوة الواحدة عشر حسنات، وتمحى عنه عشر خطيات، وتُرفع له عشر درجات، وتعدل له عشر صدقات.

أربعة أنواع من الجزاء على الخطوة الواحدة، فما يفرط في هذا إلا جاهل أو غافل.

الأمر الثالث: قوله ﷺ: «**مَن غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزلًا**»، يعني ضيافة في الجنة، «**كلما غدا أو راح**»، الذهاب إلى المساجد والرجوع من المسجد إلى البيت، فهذا أجر عظيم، والعمل يسير ما هو بشاق، كذلك قوله ﷺ: «**بشروا المشاءين إلى المساجد في الظُلم بالنور التام يوم القيامة**»، يعني على الصراط، «**النور التام يوم القيامة**»، لكن أهم شيء على الصراط، لأن النور يحجز النوم عن

الإنسان، وسرعته في المرور على الصراط حسب نوعه كلما كمل النوع ازادت الصلاة، فهذه غنائم، غنائم، غنائم على أعمال يسيرة وهي أجور كبيرة، فلا ينبغي للمسلم أن يشح على نفسه، ويُحرم، أو يحرمها من الخير، ومن ذلك أن هذا من الرباط، ومن أسباب ذلك: أن الإنسان يعود نفسه الاهتمام بالوقت، أكثر الناس اليوم في غفلة عن الاهتمام بالوقت ما يدرون حتى يفجأهم الوقت بالأذان، أو يقال لهم ترى حصل كذا وكذا وكذا، والناس من قبل كان الواحد منهم يسأل عن الساعة، أو عن دخول الوقت بالعلامة عدة مرات من اهتمامه بالوقت، فالذي لا يهتم بالشيء لا يبلغه فيه شيئا مذكورا، فبلوغك الشيء المذكور في الأمر من أمر الدنيا والآخرة على حسب اهتمامك فيه، والناس يعرفون كيف يهتمون بمواسم التجارة، ومواعيد الامتحانات، ومواعيد المسابقات، وغير ذلك من المناسبات التي يطمعون فيها بشيء من حطام الدنيا، فكيف يكون حطام الدنيا أهم من رصيد الآخرة.

وأنا أعرف والله إني أعرف أناس يسألون عن الوقت أكثر من عشرين وقت قبل الوقت، وإذا بقي ربع ساعة على الوقت قالوا ما يمدينا هذا يا الله بإمكاننا أن نتوضأ ونتهيأ للطلعة من شدة تعلقهم بالمساجد، ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله -جعلنا الله وإياكم منهم-: «**رجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد**».

فانتظار الصلاة بعد الصلاة ما هو محصور في كونك تنتظر بعد الصلاة للصلاة الثانية كما بين المغرب والعشاء، أو تأتي مبكرا لا باهتمامك بالوقت، وأن قلبك متعلق بالوقت أنك تحضر للصلاة في الوقت، وقال ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول**»، يعني لمجيء المسجد أول الوقت. «**ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه**»، يقترعوا قسمة قدرية لاقترعوا عليه ما يرضى أحد أن يسبق إلى المسجد.

ولذلك الذي لا ينظر في ساعته عدة مرات قبل الأذان،... يكون للساعة إشارة على دخول الوقت تراه يخشى عليه من الغفلة، ويخشى عليه من الحرمان، وهذه أمور يسيرة، والأجور المترتبة عليها كبيرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والإنسان ما يدري ما لبثه في هذه الحياة ربما يكون في آخر أجله وهو في حال طولٍ من أمله، وغالبًا لا يحضر الأجل إلا عند طول الأمل، -نسأل الله للجميع حسن الخواتيم-، والتوفيق للأعمال الصالحة، والمنّ علينا بالتوبة، والقبول، والمسامحة، وأن يجعلنا من

أهل أعلى الدرجات، ورفيعي المقامات في الجنة، المحرمين على النار، المؤهلين للفردوس الأعلى مع الأخيار ، ووالدينا، وولاة أمرنا، وأزواجنا، وذريتنا، وإخواننا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- عن أبي محمد عبدِ اللهِ بنِ عمرو بن العاصِ رَضَوَٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أرْبَعُونَ خَصْلَةً: أعْلاَهَا مَنيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَة مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلاَّ أدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّةَ**». رواه البخاري.

- وَعن عَدِي بنِ حَاتمٍ رَضَوَٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت النَّبيّ ﷺ يقول: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشقِّ تَمْرَةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- وفي رواية لهما عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَينَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ مِنهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يرى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنظُرُ بَيْنَ يَدَيهِ فَلاَ يَرَى إلاَّ النَّار تِلقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الإشارة بشارة للمؤمن وأن الخير مُيسر له، وأنه بخصالٍ يسيرة صغيرة يكتب الله له بواحدة منها الجنة، ما لأحد عذر قال: «**أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز**»، يعني دون منيحة العنز هذه، وهذه الخصال هي المذكورة فيما سبق من الأحاديث التسبيحة صدقة، والتكبيرة صدقة، والتهليلة صدقة، والاستغفار صدقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وإعانة الرجل على دابته وحمله عليها صدقة، وحمل متاعه له عليها صدقة، وتعين صانعًا صدقة، وتصنع لأخيك صدقة، وتسقي شربة الماء صدقة، وركعتي الضحى كذلك والخطوة إلى المسجد صدقة، كل واحدة كل خطوة صدقة.

فالخير ميسر، لكن أين الهمة؟ أين الحسبة؟ أعلاها: «**منيحة العنز**»، طيب منيحة العنز إن واحد يكون عنده عنز، ويعلم أن جاره فقير ومحتاج، فيعطيه إياها يقول خلي عندك هذه شهرين ثلاثة خمسة ما دام فيها حليب لك أنت وأهلك، فهذا كان مستعمل في الزمن الماضي، والآن الإنسان يستعمل هذا ترى موجود، فالواحد إذا اشترى حليب طويل الأجل، وأعطاه أهل بيته الفقراء يكفيهم أسبوعين ثلاثة فهذه مليحة ترة، ... (٠٣:٤٩) من الذي يتفكر، من الذي يهتم، من الذي يبحث عن مثاقيل الذر من الخير؟ كل معروف صدقة، هذا هو الميسر.

وفي الحديث الثاني: ينبه النبي ﷺ على أن الإنسان لابد له من لقاء ربه، وأنه سيقف بين يدي الله عز وجل، ويكلمه الله عز وجل من غير ترجمان، ومن غير واسطة، فيقرر الله جل وعلا المؤمن بعمله فيذكره، أو يُذكره بحسن عمله يسره، يقول أنك فعلت كذا وفعلت كذا ويرضى عنك، ويستر عنه بعض مساوئ عمله، لو ذكر له شيئًا من ذلك يرى المؤمن إنها قليلة، وأن مساوئه أكثر، فيقول يا ربي لي مساوئ ما أراها في صحيفتي، يقول الله تعالى له: "**أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**".

كرم وجود من الله عز وجل منقطع النظير، ولا أحد غير الله يعامل المؤمن بهذه المعاملة، ولذلك يقول النبي ﷺ في هذا الوقف بين يدي الله عز وجل تلتفت يمينك ما ترى إلا النار، أو ما ترى إلا ما قدمت يعني من العمل الصالح، وتلتفت يسارك ما ترى إلا ما قدمت العمل السيئ، وتنظر أمامك ما ترى إلا النار تلقاء وجهك، قال: «**فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»، فإن لم تجدوا بكلمة طيب نصف تمرة يحجبك من النار بقدره، كم تعطي من نصف ثمرة؟ ....

فالخصال التي دون منيحة العنز يكتب الله لك بها الجنة، وهذه الخصال تتقي بها النار حتى شق التمرة ما تجد ما معك شيء بكلمة طيبة، والله يا أخي ودي إني معي شيء لكن ما معي شيء لعلك تجينا مرة أخرى، لعلك كذا، ولو معي شيء أعطيتك، الله ييسر أمرك، الله يرزقك كل هذا من الكلمات الطيبة، تتقى بها النار، فينبغي للمسلم أن يكون عنده عناية بهذا الشيء، والكلام كله على الهمة. الصحابة ﵃ كانوا يعلمهم النبي ﷺ كل يوم.

لكن هم أيضًا يسألون: دلني على عمل يدخلني الجنة ويبعدني من النار؟ قل لي في الإسلام قول لا أسأل عنه أحد بعدك؟ وأن شرائع الإسلام كثرة عليك فأمرني بشيء أتشبث به، أنا كبير السن ونسيت صرت أنسى، علمني شيء سهل عليك؟ يقول: «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**».

فكون الإنسان معني بالخير مثلما يعني بتحصيل الدراهم بأي طريقة يراها متيسرة له وبالرزق الحلال، فهذا علامة التوفيق، وأنه يكون حريص على عمل الآخرة أكثر من أمور الدنيا، لأن أمر الدنيا للحاجة، وأما عمل الآخرة فهذا هو التجارة التي لن تبور، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ ﴾ [فاطر:٢٩].

لن تخسر أبدًا، ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٠].

والكلمة الطيبة منها تلاوة القرآن، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة للمسلم، والإشارة بالخير، والتنبيه على الضرر الذي يلحق بالمسلم أن يحذر هذا الشيء يا أخي ترى هذا يضرك، هذا يكسبك إثم، ترى هذا يكلفك غرامة انتبه النصيحة للمسلم، "لا تحتقر من المعروف شيئا". لأن الله عز وجل ذكر مثاقيل ذرات فقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٨].

وهذا في أحرج الظروف الذي تمر بك، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

فلذلك الإنسان يهتم بهذا الشيء، وهذه أرصدة له يعني يجدها في مواقف حرجة، ومن ذلك: مظالم العباد، لأن الإنسان يؤخذ من المظالم من الحسنات ما في دراهم يوم القيامة، فإذا لم تكفي الحسنات فإنه يحمل على الظالم من السيئات، نعوذ بالله.

حتى ذكر النبي ﷺ: الرجل يأتي بحسناتٍ بيض أمثال جبال تهامة، وهذه الحسنات تنفذ بسبب كثرة المظالم الغيبة والنميمة والبهت وكذا وكذا وكذا، فيحتاج الإنسان إلى هذا، ولهذا قال العلماء رحمهم الله وإيانا: أن من خاصية الصوم أنه اختصه الله تعالى لنفسه، فلو نفدت أعمال العبد يوم القيامة ما ينقص الصوم، لماذا؟ لأنه عند الله ما هو بالصحيفة، "**كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، قال: إلا الصوم فإنه ليّ وأنا أجزي به**"، يعني مخبوء عند الله جل وعلا، يجزي به، والمراد هنا: الصوم الفريضة، وتكميلها بالنافلة، استكثر من الصوم هذا رصيد لك تجده وقت الحاجة، واستوفي نصيبك من هذه الصدقات اليسيرة التي أعلاها منيحة العنز، «**لا تحقرن شيئًا من المعروف أبدًا**».

حتى قال النبي ﷺ: «**لا تحقرن جارة لجارتها فرسًا شاة**»، يعني ظلف شاة مجشرة الفرس ذاك ما عندها غير أنها تهديها جارتها وتطيب خاطرها وتحسن معاملة الجارة، وتزيل المحن والشحناء من

الصدور، وتحمل على التهادي والتواد وهو يسير جدًا، فينبغي العناية بهذا، والإنسان تكون همته من حين يستيقظ إلى أن ينام وهو يبحث عن الحسنة، احرص على الحسنات، لا تكن همتك الدراهم، اجعل الحسنات أغلى من الدراهم لأن الحسنات أبقى لك، الدراهم قد ما تأتي إلا بطرق ملتوية، وقد يكون كذا وفيها شيء، حتى أن بعض السلف قال: إنه كان تاجر في الجاهلية وإنه ترك التجارة لما أسلم، قالوا: كيف تترك التجارة؟ قال: لأن الدنيا حلالها حساب، وحرامها عذاب، فكيف أنا آخذ شيء بهذا أنشب به.

فاستكثر من الحسنات الميسرة هذه، استكثر من التسبيحات، سبق في حديث مضى: أن أبو هريرة ﵁ كان يسبح التسبيحة، والتحميدة، والتكبيرة، والتهليلة كل واحدة يوميا أربعة آلاف تسبيحة اثنا عشر ألف من هذه، قالوا لماذا هذا العدد؟ قال: هذه ديتي يعني ذاك اليوم... (١٢:٠٤) تروحي هذه ديتي، فأنا أفتدي بها من النار يوميًا، وهذه الهمة، الواحد وهو ماشي وهو على فراشه وهو في مجلسه وهو في كذا وهو في كذا يكثر من التسبيح والتحميد، ما يخسر ولا يكل ولا يمل ما في حمل ثقيل ولا في خسارة فلوس ولا في إجهاد ذهن وتعب ولا في شيء، فتقول: لا إله إلا الله في الدقيقة بعدد ثوانيها أو أكثر، فانتبه لهذا، هذه فرص من فرص الخير، وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا هداةً مهتدين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**». رواه مسلم.

- عن أَبي موسى رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**» قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**» قَالَ: أرأيتَ إن لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «**يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ**» قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: «**يَأمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوِ الخَيْرِ**». قَالَ: أرَأيْتَ إنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإنَّهَا صَدَقَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا تكملة لبيان كثلة خصال الخير، وتيسيرها على العباد، وأن العبد إذا صارت له همة في الخير، وحسبة، وعود نفسه على استحضار ما يحبه الله عز وجل منه في أوقاته وأحواله، فإنه يوفق الخير ويُيسر له ويُعان عليه ويُقبل منه وتكون خصلة الخير التي فعلها مفتاحًا لمثلها، فضل من الله جل وعلا، وهذا أمرٌ يسير لمن له الهمة، فمن ذلك أن الإنسان يستحضر عند الأكل والشرب نعمة الله تعالى عليه، وأن الله تعالى هو الذي يسر له هذا الرزق، ويستحضر أنه يستعين بما يأكل ويشرب على طاعة الله عز وجل، ويغتبط بالعفة أن الله أغناه عن منة الخلق، وأنه يعف أهله.

فإذا ابتدأ الأكل يسمي الله جل وعلا، يؤجر على هذا، ويرضى الله عنه، وإذا فرغ يحمد الله على ذلك، ويرضى الله عنه، ورضا الله هو سهل، الإنسان يحصل رضا الله بالذِكر عند الأكل أو الشرب ولو مع كل لقمة، يكفي البداية والنهاية، كان الإمام أحمد يقول: إني أحمد الله مع كل لقمة. يعني يستحضر هذا ويهتم به، فالأمر واسع، لكن اجعل هذا بالك.

ومن ذلك: أن الإنسان يتصدق صدقة مادية من ماله بدراهمه، بطعامٍ من بيته ما يفضل من الطعام، بشراب، بثوب لباس كسوة، بإعانة، كل مسلم عليه في اليوم صدقة، فقيل له: إذا لم أجد ما عندي؟ فقال: إنك يعني تتعلم صنعة، تتعلم صنعة فتعف نفسك وتُحسن بها إلى غيرك، قيل: إن ضعُفت؟ قال: تُغيث ذا الحاجة الملهوف، المريض الذي ضاقت عليه أحواله وأموره وإذا أنك زرت عيادة المريض

فرجت عنده، ووسعت صدره، وذكرته ما هو بحاجة إليه من الاستعداد أنت طيب إن شاء الله، وعلى خير، وكذا، وكذا.

لكن ترى الأمور هذه تحتاج حزم أن الإنسان يراجع وصيته، وأنه يُلح على الله بالدعاء وسؤال الله العافية، وأنه يحسن الظن رجاء أن يختم الله له بالحسنى، فتكون أنت ذكرت في نفسك عافية الله لك، وحمدت الله أن عافاك الله مما هو به المريض من هذه الحال، وأعنت أخاك المريض على أنه يرضى بقضاء الله وقدره، وأن هذه فرصة ربما إنه يراجع نفسه ويستعد للقاء له لو كان الأجل قد حضر، وهذا غيب عند الله تعالى، فلا المرض يدل على الموت، ولا الصحة تدل على طول العمر، فتُقدم له بمقدمات وتهيأ له ... (٠٥:٣٥) وأنت إن شاء الله طيب وعلى أجر وتراك تحصل عمل على صبرك على ما يؤذيك ويؤلمك، ويمكن أكثر من نوافل العبادات، «**ومن يرد الله به خيرًا يُصب منه**».

وإن الله عز وجل يأجر المسلم حتى على الشوكة تصيب رجله، أو اللكمة تجرح أصبعه، احتسب يا أخي وكذا، قال: إن ضعفت عن هذا؟ قال: إن ضعفت فعلى الأقل أنك أمسك لسانك لا تؤذي الناس بلسانك، تدع الناس من الشر، إذا ما أمرت بخير تدعى الناس من الشر ولا تؤذيهم بغيبة، ولا تؤذيهم بنميمة، ولا تؤذي ببهت، ولا تشبت بهم عند البذية، وإذا رأيت المبتلى فاسأل الله العافية، وادعوا الله له بالعافية هو أيضًا، ومن رأى مبتلىً بشيء فحمد الله على العافية، ودعا للمبتلى لم يصب بتلك البلية.

وهذا من لطف الله عز وجل بعباده، فينبغي للمسلم أنه يعتني بهذه الأمور، وأن يكون دائمًا يتذكر في أي شيء عند باب المسجد تذكر أذكار الدخول والخروج، عند باب البيت تذكر أذكار الدخول والخروج، عند بداية الطعام تذكر أذكار البداية والنهاية، عند دخول الحمام تذكر أذكار الدخول والخروج، إذا هبت الريح وعصفت أو سمعت صوت الرعد تذكر، عند النوم واليقظة تذكر أذكار النوم، عند اليقظة أذكار اليقظة، فيكون الإنسان فطن وحازم، وإذا جاهد نفسه أياما معلومات ومعدودات صار هذا سجية له، وحتى لو شُغل أو نسي أو مرض كتب الله له ما اعتاد من العمل الصالح حتى ولو لم يعمل فضلًا من الله عز وجل، فيحتاج المسلم أنه يكون حازم مع نفسه، والناس الآن يتدربون على الوظائف وعلى الأعمال الشاقة من أجل الدنيا، فكيف لا يتدربون على الأعمال

الصالحة من أجل وفرة رصيد الآخرة ورفعة الدرجات عند الله عز وجل، ومن أجل سماكة الحجاب من النار، كما أخبر ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»، نصف تمرة يحجبك من النار بقدر، «**فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة**».

لكن أهم شيء: الهمة، والاستحضار، والاستذكار، وأن الإنسان لا يجامل الناس، هذا منهجك، وهذا الذي خلقك الله له، هذا الذي رزقك الله من أجله، وهذا الذي سيسألك الله عنه، وهذا رصيدك في الآخرة ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٧].

فالخير مُيسر، لكن الهمة أين الهمة، والاستعانة بالله عز وجل، والإلحاح على الله عز وجل بالتوفيق والعمل الصالح، والاستغفار والتوبة إذا وقعت في خطيئة، لا تنسى، لا تهمل، لا تسوف، لأن الشيطان يحرص على أن ينسيك فتبقى في ذمتك غرما، ما تدري هل تتخلص منه يوم القيامة ولا لا، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وجعلنا هداة مهتدين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب في الاقتصاد في العبادة

- قَالَ الله تَعَالَى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:٢].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

- وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيّ ﷺ دخل عَلَيْهَا وعِندها امرأةٌ، قَالَ: «مَنْ هذِهِ؟» قَالَتْ: هذِهِ فُلاَنَةٌ تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا. قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَواللهِ لاَ يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فما سمعتم من الآيات والحديث في بيان تيسير الله تعالى العبادة على عباده، وإغرائهم بها بذِكر كثرة الأجور، وعِظم الثواب وكرمه، وأن الإنسان ينبغي له أن يغتنم عمره وصحته وشبابه وغناه وفراغه وحياته في طاعة الله، مع الاقتصاد، والاقتصاد هو أن الإنسان يكون حرصه:

أولًا: على أداء الفرائض.

وثانيًا: على اجتناب ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ.

وثالثًا: أنه يتوب مما اقترف من تقصير في واجب، أو فعل محرم، لأن هذا هو رأس المال، والذي يحافظ على رأس المال مظنة الربح، والذي يضيع رأس المال مظنة الغبن والخسارة، ثم يجتهد بعد ذلك في نوافل الطاعات التوحيد واجب وحتم وهو حق الله على العباد.

ومن نوافله الأذكار والدعوات، وأشرف ذلك قراءة القرآن، فيجتهد الإنسان في الاستكثار من هذا من غير أن يشق على نفسه يأخذ بالرفق والأهون والأقل حتى تتروض عليه النفس، وتعتاده، ويسهل عليها، وتألفه، الصلاة كذلك، الفرائض الصلوات الخمس والجمعة، لكن جعل الله تعالى سُنن رواتب قبل الفجر ركعتان وقبل الظهر ركعتان أو أربع وبعدها ركعتان أو أربع، وبعد المغرب ركعتان، وبعد العشاء ركعتان، إن حافظ عليها بنى الله تعالى له بيتًا في الجنة، ويصلي ما بين ذلك تحية مسجد، وركعتي وضوء، وصلاة استخارة دون أن يشق على نفسه، يصلي صلاة الضحى، يصلي الوتر، لأنه إذا

صلى العشاء وسنتها الراتبة يصلي بعد السنة راتبة تسليمة أو تسليمتين، ثم إذا أراد أن ينام صلى ثلاثا تكملةً للوتر، أدنى الوتر الذي حافظ عليه النبي ﷺ سبع ركعات، فلا تعجز عن هذا، الزكاة كذلك وجعل الله صدقات كل نفقة يحتسبها المرء حتى على نفسه، وعلى زوجه، وعلى ولده صدقة يؤجر عليها، صدقته على المسكين، وصلته للرحم، وإحسانه إلى المستحق، كل هذا من الصدقة، الصوم كذلك فرض رمضان لكن يصوم الإنسان ثلاثة أيام من الشهر يحافظ على هذا، وهذا خير كثير، لأن الحسنة بعشر أمثالها واليوم يعدل عشرة والثلاثة تعدل ثلاثين، فإذا صمت ثلاثة أيام من كل شهر كأنك صمت الشهر، وفضل الله واسع.

وهكذا الحج والعمرة مرة في العمر، مع الاستطاعة وإن تيسر لك زيادة جاهد، فينبغي للإنسان أن يعود نفسه شيء من النوافل والمستحبات دون أن يشق على نفسه، ولذلك لما دخل النبي ﷺ بيته، وإذا عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندها امرأة قال: ما هذه ايش المرأة هذه؟ قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها وصيامها وعبادتها أنها مجتهدة، فقال: «**عليكم بما تطيقون**»، لا تكلفون أنفسكم يعني النوافل لا تكلفون أنفسكم النوافل، خذوا ما تيسر، وعودوا النفوس عليها شيئا فشيئا بالتدريج حتى تألف الشيء وتحبه، وأخبر ﷺ: إن «**أحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قل**».

وكان النبي ﷺ عمله ديمة، وكان إذا عمل عملًا أثبته، فهذا المراد يعني النوافل، ما هو الإنسان يترك الفرائض ويقول لا آخذ ما أستطيع؟ لا الفرائض واجبة متحتمة، أداء شرائع العبادات، واجتناب المنهيات، والتوبة إلى الله من الخطيئات هذه متحتمة.

وهكذا جاء رجال يحبون الخير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأرادوا الاستزادة من الخير، فسألوا أمهات المؤمنين عن عمل النبي ﷺ في بيته، كيف كان يصلي؟ كيف كان يصوم؟ كيف كان يتصدق؟ كيف كان كذا؟ فذكرت له أمهات المؤمنين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُن- أن أمل النبي ﷺ متيسر، وأنه ما يكلف نفسه، وأنه يأخذ ما عفى له ما تيسر، ويأخذ بالشيء حتى تألفه نفسه وتعتاده، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لا إحنا نريد أن نجتهد، فقال أحدهم: أنا أصلي ولا أفتر، سأحيي الليل قياما وأصلي الضحى، وأصلي بين الظهر والعصر، وكذا، وكذا.

وقال له الثاني: أنا أصوم ولا أفطر، سأواصل الصيام.

وقال الثالث: أنا لا آكل اللحم، أكل اللحم ترف.

وقال الرابع: أنا لا أتزوج النساء، أنا أريد أن أكون عزابي لكي أتفرغ للعبادة.

فلما أخبر النبي ﷺ عنهم قال لهم يتثبت أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ قالوا: نعم، قال: لكني أنا أصلي وأنام، أو أركض يعني أصلي الفريضة، وأصلي ما تيسر من النافلة، وأنام، وأنا أصوم وأفطر، أصوم رمضان وأصوم نافلة ولا أكلف نفسي، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني، تبرأ النبي ﷺ من رغب عن السنة، فالخير كله في إتباع السنة، وما من أحد من أصناف الأمة إلا له أسوة في النبي ﷺ من بركة النبي ﷺ، وبركة عمله وعمره، أن كل أحد يجد أسوة في النبي ﷺ قدوة صالحة، فلذلك الإنسان يعتني بهذه الأصول الثلاثة: أداء الفرائض، واجتناب المنهيات، والتوبة، وترك الإصرار على الخطيئات.

ثم يضرب بسهمٍ وافر من كل نافلة وكل خير وكل معروف قدر المستطاع، ولا يكلف نفسه ويوطن النفس ويروضها مثل ترويض الخيل، أنه يأخذ بسنة الضحى ركعتين مثلا بعد طلوع الشمس، حتى تصير عادة له، ثم يصلي وسط الضحى ركعتين مدة حتى تصير عادة له، يصوم ثلاثة أيام من الشهر فقط، إذا تيسر له صام الاثنين صام الخميس، لأنهما يومان تُعرض أعمال العباد فيهما على الله عز وجل، والنبي ﷺ يحب أن يُعرض عمله وهو صائم.

هكذا الصدقة بما تيسر يتصدق بما يتيسر من قوت البيت، ثوب مستعمل، دينار، درهم، حتى يتعود هذا الشيء، ويتيسر له، ويكون أسوة حسنة لأهل بيته، هذا المراد يعني، ما هو المراد الجفاء لا الغلو والتنطع ولا الجفاء والتفريط، فتصير وسط، وأن الإنسان إذا شاف أحدًا غيره عالم على خصلة من خصال الخير يحرص على أنه يأخذ مثلها يسوي مثلها، إذا شاف أحد من إخوانه في المسجد على خصلة من خصال الخير يتقدم لقراءة القرآن ويجعل له وقت مخصص يومي، يجعل له من الأوراد والأذكار يأخذ، «**الحكمة ضالة المؤمن إن وجدها فهو أحق بها**»، إذا تحدث الناس في المجلس وأعجبته الخصال من أحد وله مدخل في الشرع أخذ بها برفق، حتى يعتاد ويألف ويكون أسوة صالحة لغيره، لأن الناس يتأثرون بالأفعال أبلغ من الأقوال، ومن دل على خير بقوله أو فعله أو حاله فله مثل أجر فاعله، والله تعالى يضاعف لمن يشاء، يعطي ثواب العمل وزيادة من عنده جل وعلا، هكذا ينبغي،

هذا هو الاقتصاد في العبادة وليس هو الجفاء والتفريط، وليس هو التنطع والغلو والتكلف، وسط، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

حتى أن النبي ﷺ صلى مرة السنة الراتبة بعد الظهر شُغل عنها بوفد من الوفود، ولم يتمكن من صلاتها إلا العصر، فلما صلى العصر ودخل بيته لأنه ما في سنة بعد العصر صلى ركعتين، انظروا الحزم في بيت النبي ﷺ. قالت أم سلمة للخادمة الجارية: اجلسي عنده، فإذا سلم قولي له: تقول أم سلمة: ما هاتان الركعتان اللتان صليتهما على غير العادة؟ قال: هما الركعتان بعد الظهر شغلني عنهم وفد كذا، فلم أتمكن من صلاتهما إلا هذه الساعة، قالت: فكان كل ما دخل البيت صلى ركعتين بعد العصر، وهذا من خصائصه ﷺ، لأنه كان إذا عمل عملًا أثبته، هكذا.

فينبغي للإنسان أنه يعتني بهذا الأمر، ويكون على باله، لأن عملك الصالح هو صاحبك في الرحلة إلى الآخرة، وهو زادك، وخير الزاد التقوى، وهو المؤنس لك في القبر، وهو الذي يكون شفيعا لك يوم القيامة، وجاها لك عند الله جل وعلا، وهو الذي ترتفع به درجتك في الجنة، ويكون وقاية لك من النار، وأنت تمر على الصراط، فاستكثر لكن برفق.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا وَقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحدُهُم: أَمَّا أنا فَأُصَلِّي اللَّيلَ أبدًا. وَقالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَدًا وَلا أُفْطِرُ. وَقالَ الآخر: وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتزَوَّجُ أبَدًا. فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم، فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا واللهِ إنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ النَّبيّ ﷺ قَالَ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**» قالها ثَلاثًا. رواه مسلم.

وعن أَبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ إلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**». رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا**».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلا أحد أنصح من الله جل وعلا لخلقه، ولا أرحم، ولا أرفق، ولا أحد يُبين للناس كيفية العبادة بأقواله وأفعاله وأحواله وأقاريره وتنبيهه على ما يخالف ما جاء به من النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وكان النبي ﷺ: "**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه**". ويقول: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»، ولا على ما سواه، فدل ذلك على معنى قول النبي ﷺ: «**إن الدين يسر**»، وهو من بيان النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء:٢٧].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

فما فرض الله جل وعلا إلا أركان الإيمان، وشرائع الدين، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وما يتعلق بذلك، والباقي كله جعله الله توسعًا في الطاعة، وتيسيرًا للعبادة، وترغيبًا في الأجر، وسعي في طلب رفعة الدرجة، وعلو المقام عند الله جل وعلا، ولذلك هذه هي الفرائض، وما بقي فهو إما فرض عند وجوده مناسبته فرض كفاية مثل صلاة الكسوف، وصلاة كذا، وصلاة كذا الحاجات يعني، وإلا سُنة مطلقة، وإلا سُنة مقيدة، وهذا كله من التخفيف، ومع ذلك عظم الله الأجور، ويعطي فوق ما يستحق العبد من الأجر فضلًا منه جل وعلا، وكثر أسباب محو الخطيئات، ومضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات، كل هذا من التيسير، ولذا قال النبي ﷺ لأقوام سألوا عن عمله في بيته، وأخبرتهم أمهات المؤمنين بعمله، قال: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه.

نحن نحتاج نجتهد أشد، وقال أحدهم: أنا أصلي ولا أنام، وقال الآخر: أنا أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أنا لا أتزوج النساء، وقال الرابع: أنا لا آكل اللحم، فقال النبي ﷺ لما أخبر: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟**» قالوا: نعم، قال: «**لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني، والله**»، يقسم النبي ﷺ، «**إني أعلمكم لله، وأتقاكم لله، وأخشاكم له**»، والمعنى: لا تزيدون على ما جئتكم به، والله تعالى قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

وجمهور الناس إما متنطع متكلف، ومشدد على نفسه وعلى غيره، وإما متساهل متميع مضيع للدين، وقليل منهم الوسط، والوسط هم خير أمة أخرجت للناس، جعلنا الله وإياكم من أئمته، وهم الشهداء على الناس، وهم خاصة الله من خلقه، وهم أولياء الله وأحباؤه، فالدين وسط، والدين خير،

والإنسان إذا أخذ حافظ على الفرائض، واجتنب المنهيات، وتاب إلى الله من الخطيئات فهو على خير، لأن هذا رأس المال، وما زاد فهو خير، وما يفعلوا من خير فلن يكفروا، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٩٧].

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ [البقرة:٢٧٢].

فيحتاج الإنسان أنه يوطن نفسه على هذه الأمور الثلاثة: أداء الفرائض، وما فيها ... (٠٧:٥٨)، واجتناب المنهيات، فإذا خلط ترك شيء من الواجبات، أو فعل شيء من المحرمات يبادر إلى التوبة، ويحذر الإصرار، والله تعالى وعد بأنه يتوب على التائبين، ويغفر الذنوب للمذنبين، ويفرح بتوبة العبد إذا تاب إليه مع غناه عنه، وإذا أحسن بعد توبته بدل الله سيئاته حسنات وكان الله غفورا رحيما، أما التميع وتضييع الدين وفتوى من يمين وفتوى من يسار وفتوى مستوردة من الخارج، فهذا حمق وضلال وغباء، وأما التشدد والتنطع فهذا تكلف.

وقد قال تعالى عن النصارى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٧].

وقال النبي ﷺ: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»، ثلاثة، المتكلفون، وقال: «**القصد القصد تبلغوا**».

تحروا الصواب وما قرب من الصواب، واغتنموا حياتكم وقت الفراغ، ووقت الصحة، ووقت النشاط، ووقت الخير، والأمن، اغتنموه في زيادة الطاعات، فإذا مرضت، أو شُغلتم، أو سافرتم، أو كذا، فخذوا بالرخص التي أعطاكم الله إياكم، فالمريض يرخص له أن يفطر إذا كان الصوم يشق عليه، والمسافر يرخص له أن يقصر ويفطر، يقصر الصلاة ويفطر، وهكذا، «**ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه الدين**»، لأن الدين كبير، ونوعه الله عز وجل من أجل أن العبد يأخذ ما استيسر له، فبعض الناس يهون عليه سرد الصيام، ولكن لا ينبغي أقصى شيء أن يصوم يوم ويفطر يوم، وأما الذي يسرد الصيام ما يتلذذ لا بفطر ولا بصوم، وبعض الناس يكون أهون عليه الصلاة زيادة نوافل الصلاة أهون عليه من

الصيام ما يطيق الصيام إلا الفرض، وما لابد منه، والكفارة، وبعض الناس أهون عليه الصدقة، فيتصدق في اليوم بشيء كبير، لكن ما يطيق أن يصلي بالليل في جوف الليل، ولا يطيق أنه يصوم غير الفرض، فجعل الله عز وجل الدين منوع من شأن كل أحد يأخذ بما يسر الله له وسهل عليه، وما تطمئن إليه نفسه، هكذا، جعل الله الدين كذا، ولذلك الدين متين فأوغلوا فيه برفق، كل يأخذ ما يناسبه إلا الفرائص ما يساوم عليها، إلا المنهيات ما يدخل بها، ما يرتكبها، إلا الإسرار على الخطيئة أيضا لا يصر على الخطيئة، فإن المصر على الخطيئة ظالم، وهذا من شأن المترفين المسرفين ﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الواقعة:٤٦].

وهم يعلمون الله تعالى قال عن المتقين: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ ﴾ [آل عمران:١٣٥]،يعني من السيئات ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٥].

ومع ذلك: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٣٦].

لأنهم يقعون في الخطأ، لكن يتوبون ما يصرون، هذا هو الدين، وهذا بيان الله تعالى، وبيان النبي ﷺ لعباد الله جل وعلا، وهذا هدي السلف الصالح، وهذا الذي عليه أئمة أهل العلم والدين، كل يؤخذ من الدين بما يسر له بعد الأصول الثلاثة: الفرائض، والمحافظ عليها. والمنهيات تجتنب. وما وقع فيه من اللبس من ترك الواجبات، أو فعل المحرمات يتاب منه وينتهي الموضوع، ولأجل أن الإنسان يعوض ما فاته يجتهد في الاستكثار من النوافل التي تعجبه وتناسبه وسهلة عليه، والنبي ﷺ قال: «لا صام من صام الدهر»، الذي يصوم وما يفطر أبدا يقول ما صام هذا، ولا يجد لذة لا للصيام ولا للفطر، واعترض على هؤلاء الأربعة بما قرروه لأنفسهم يعني يحتقرون عمل النبي ﷺ، "غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"، وأنتم أيضًا فتح الله لكم ذلك، أن يغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر، ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة:٣٩].

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات:١١].

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [الزمر:٥٣] قال: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ ﴾.

وقال: ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) ﴾ [يوسف:٨٧].

فاليأس من الفرج بعد الشدة هذا فعل الكفار، والقنوط من رحمة الله هذا فعل المسرفين الظالمين لأنفسهم، والأخذ بالمنهاج، وهدي النبوة هو الطريق الوسط، «**سددوا وقاربوا ولن تحصوا**»، ولذلك ضرب مثل قال: استعينوا بالغدوة. المسافر إذا بغى يسافر يغتنم آخر الليل، وأول النهار، حتى ما يتعب ولا يتعب راحلته، ويغتنم آخر النهار، لأنه وقت نشاط، ويغتنم أول الليل قبل النوم قبل ثلث الليل، «**استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»، وقال: «**القصد القصد تبلغوا**»، وقال: «**أبشروا**»، «**سددوا وقاربوا وأبشروا**»، وقال: «**لن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»، وقال: «**إن هذا الدين متين**»، شديد، «**فأوغلوا فيه برفق**»، وقال: «**القصد القصد تبلغوا**»، هكذا ينبغي للإنسان.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعن أنس ﷺ قَالَ: دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ المَسْجِدَ فَإذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الحَبْلُ؟**» قالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإذَا فَتَرَت تَعَلَّقَتْ بِهِ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**حُلُّوهُ، لِيُصلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإذَا فَترَ فَلْيَرْقُدْ**». مُتَّفقٌ عَلَيهِ.

وعن عائشة ﵂: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّومُ، فإنَّ أحَدَكُم إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن أَبي عبد الله جابر بن سمرة ﵄، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانتْ صَلاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا. رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث كسابقتها فيها الحظ على الاقتصاد في العبادة، والمراد: النافلة، وأن الإنسان لا يكلف نفسه في النافلة فوق ما يطيق، لا من جهة العدد، ولا من جهة الطول، ولا من جهة السهر، ولا من جهة بذل المال، يقتصد ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان:٦٧].

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩].

فينبغي للمسلم أن يجاهد نفسه على كثرة النوافل نوافل الطاعات، المقرونة ... (٠٢:٥٦) مثل نافلة الصلاة تكميلا للصلاة، وتحببا إلى الله عز وجل، وتسببًا في إجابة الدعاء، نافلة الصدقة كذلك، نافلة الصوم كذلك، نافلة الحج والعمرة كذلك، نافلة البر وهو ما زاد عن الواجب للوالدين كذلك، نافلة صلة الرحم، وما زاد عن الحاجة الداعية كذلك، فيكون الإنسان يعود نفسه خصال الخير، لكن على السعة، وفي الرفق، لأن الله تعالى قال في الحديث القدسي الصحيح: «**وما تقرب إليّ عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل**»، يعني بالفرائض مُكملًا لها «**حتى أحبه**»، فهذه فائدة من جهة التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض أن الله يحب المتقرب إليه بذلك برفق من غير تكلف، ومن غير تنطع، ومن غير جفاء.

والفائدة الثانية: أنه تُكمل الفريضة من النافلة إذا صارت ناقصة، فإنه جاء في الحديث الصحيح: أن أول ما يحاسب العبد عليه من العمل: الصلاة، فإن وُجدت تامة كُتبت تامة، وإن وُجدت ناقصة قال الله تعالى للملائكة عليهم السلام: «**انظروا هل لعبدي من نوافل، فيُتم بها ما انتقص من فريضته**»، ثم يُسار بالعبادات على هذا النحو فريضة الصلاة تُكمل من نافلة الصلاة، فريضة الزكاة تكمل من نافلة الصدقة، فريضة الصوم تكمل من نافلة الصوم، وهكذا.

فهذه فائدة ثانية.

والفائدة الثالثة: أن العبد إذا تقرب إلى الله عز وجل، وتحبب إلى الله عز وجل بهذا فإن الله يحفظه في جوارحه وحواسه، فيُعينه على الاستقامة، ويجعل أعمالها في طاعته ومرضاه، ويعصمه من استعمالها في معصيته.

وهذه فائدة ثالثة.

ومن ذلك: أن الله تعالى يحفظه في حواسه، كما جاء في الحديث أن الله تعالى يقول: "**فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي، وبي يبطش**"، والمعنى: أن الله يسدده في هذه الأمور فيستعملها في الطاعة، ويصونه ويعصمه من استعمالها في المعصية، وهذه من نعم الله.

الخامسة: أن العبد إذا مرض، أو سافر، أو شُغل، فترك العبادة النافلة لهذا العارض، وقلبه معلق بها، فإن الله تعالى يقول: "**اكتبوا لعبدي ما اعتاد منها**"، فإذا مرض العبد أو سافر كُتب له من العمل مثلما كان يعمل وهو صحيحٌ مقيم، وهذه نِعم عظيمة جدا.

والسادسة: أن العبد إذا نزلت به النازلة من الشدة من الكربة، ومن توقع المخوف، فإنه إذا دعا الله تعالى استجاب له، كما قال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات:١٤٤].

فنجاه الله تعالى من بطن الحوت لتسبيحه السابق في حال الرخاء.

والفائدة السابعة من هذا: أن الإنسان إذا كبر سنًا، وإذا تعب مرضًا، وإذا كسب بعمله ومصالحه فإنه يعان على أداء العبادة ولو بالحد الأدنى، لأن الجوارح والحواس اعتادت هذا الشيء فلا ترتاح إلا بأدائه، فتكون نفس الجوارح معينة للإنسان على أداء العبادة، لأنها تسهل عليها لطول ما اعتادته.

والثامنة وهي الأخيرة: أن العبد يوفق وفقنا الله وإياكم لحسن الخواتيم، فيُختم له بما اعتاد من عمله، فيلقى الله تعالى على أحسن وأكمل وأجمل أحواله، أما المتكلف المتنطع المشدد على نفسه فإنه لابد أن ينقطع ويسأم ويترك العمل، ويكفيه أنه تشبه بالنصارى الذين أحدثوا الرهبانية في دينهم ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧]، ولم تُكتب عليهم، فتركوها، وكسلوا، ولهذا النبي ﷺ نبه على أمرين فيما يتعلق بنسائه أخص أهل بيته، فمرة من المرات رأى النبي ﷺ حبلا مشدودًا بين ساريتين بين عمودين من عمدان المسجد، قال: لمن هذا؟ قالوا: لهذا زينب لأم المؤمنين زينب بنت جحش، لأنها تصلي في الليل وتطيل، فإذا تعبت تمسكت بهذا الحبل، فقال: حلوه، ليصلي أحدكم طاقته، يعني فإذا كسل أو عجز أو تعب يترك، هذه نافلة، ما هي واجبة متحتمة ولا تشبه النافلة بالفريضة، فأمر بحل الحبل، قال: تصلي طاقتها فقط، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وثانيا: أن العمل قد يكون أحيانا وهو شاق يُعمل من غير حسبة تامة يصير فيه شيء من حظوظ الدنيا، فقد استأذنت إحدى أمهات المؤمنين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُن- النبي ﷺ أن تعتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، لأن النبي ﷺ اعتكف، فأذن لها على السجية والبراءة، ثم استأذنت الأخرى فأذن لها، ثم عملت الثالثة والرابعة بدون استئذان، فقال ﷺ معترضًا عليهن: «البِر أَرَدْنَ»، يعني هذا غيرة وهذا للقرب من النبي ﷺ حتى في العبادة، هذا حض نفس من الزوجة لزوجها، ثم أمر بتلك الحجائر أو الحُجر فنُزعت، وقطع النبي ﷺ الاعتكاف هو نفسه قطع الاعتكاف، حتى ما يمنعه من شيء يريدن التقرب به إلى الله تعالى، حتى يكون هو الأسوة، ثم اعتكف العشر الأول من شوال، لأنه يخاف على الإنسان إذا سارت النية مدخولة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا من جهة القصد والنية،

وصوابا في أصل المشروعية والأداء والكيفية، وهكذا، وإلا فإن هذا يكون من التنطع ولا يحصل عليه الأجر، وربما يحصل الوزر أيضًا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

– وعن أَبي عبد الله جابر بن سمرة ﵄، قَالَ: كُنْتُ أصَلِّي مَعَ النَّبيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانَتْ صَلاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا. رواه مسلم.

– وعن أبي جُحَيْفَة وَهْب بنِ عبد اللهِ ﵁ قَالَ: آخَى النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبي الدَّرْداءِ...

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

قد سبق ذكر الحديث في الدرس الماضي، أن النبي ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو في الصلاة**»، يعني في صلاة الليل. «**فليرقد حتى يذهب عنه النعاس**» والنعاس فتور وكسل يعتري الإنسان أحيانا نتيجة التعب في مشاغل الحياة، ما هو نتيجة السهر الذي اعتاده بعض الناس في هذا الزمان، لا، فإن مصالح الحياة في النهار، فقال: «**فليرقد**»، يعني يكمل الصلاة الذي هو فيها التسليمة من صلاة الليل، وينام، النوم الذي يكفيه، ثم يقوم يصلي وصلاة آخر الليل أفضل من أول الليل لأنه يوافق وقت النزول الإلهي لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته إلى السماء الدنيا بالكيفية التي يعلمها هو سبحانه، فينادي العباد: «**هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟**» وهذا أفضل الصلاة آخر الليل يعني بعد الساعة اثنتين هذا أفضل، لأن الإنسان يتعرض لنفحات رحمة الله جل وعلا، دعوة واحدة يستجيبها الله له تسعده في الدنيا والآخرة جعلنا الله وإياكم من السعداء.

يقول: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليتم تسليمته**»، يعني ما يقطع التسليمة، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ٣٣﴾ [محمد:٣٣]، فلا يقطع الإنسان العبادة إلا لداعٍ ضروري، أو حاجة عارضة، يكون في مواصلة العبادة فوات، فوات نفس، وإما تعرض لضرر بالغ ونحو هذا، وإما تعرض لاعتداء سبع أو حية أو نار، أو ما أشبه ذلك.

قال معللا ذلك ما هو من باب التراخي والكسل لا من باب إنك ما تضر نفسك لأنك إذا كنت ناعس لا تدري ما تقول قال: «**فلعله يذهب يستغفر فيسب نفسه**»، يدعو يعني على نفسه وما يدري، يقول: ربي اغفر لي، وقد يقول: ربي لا تغفر لي، تدخل اللام بين هذا ارحمني لا ترحمني، وقد يقول: ربي أسألك الهدى، يقول: أسألك الضلال، والرجل الذي استيقظ من نومه ووجد راحلته وقد أيس منها وعليها طعامه وشرابه أخطأ في حق الله جل وعلا قال: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**» من شدة الفرح

فالإنسان ضعيف، قال: «**لعله يذهب يستغفر**»، يعني يدعو، فيسب نفسه يدعو على نفسه، وهذا سباب وشتم يعتبر، ومن هذا أخذ العلماء -رحمهم الله وإيانا-: إن الإنسان إذا صحى مثلا من البنج فوليه القائم عليه الملازم له في المستشفى ينظر إن كان يعيي ما يقول يخليه يصلي، وإن كان ما يعي ما يقول، يقول: لا بعدين، لأنه قد لا يحسن قراءة القرآن، وقد لا يأتي بالركعات كاملة، ولا بالركوع كامل، ولا بالسجود، فهذا يعرض لبعض الناس يكون يعتبر أنه أفاق من البنج وهو ما أفاق، فما ينبغي هذا، قد يكون عنده عارض من صرع فيصير يهذل وهو لا يدري ما يخلص...

قد يكون عنده الذي يسمونه: الزهايمر، يعني دب إليه النسيان ضعف العقل، فيصير ما يحسن الصلاة، فينظر إذا كان له وقت تجتمع قواه فيه فتؤجل الصلاة لو جمع بين الوقتين ليجمع هذا والآخر كالظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء، أما الفجر ما تؤخر أبدا إلى بعد طلوع الشمس.

ولو كان إنه ما يعي فهو يقضيها قضاءً ما هو أداء ومعذور، وهكذا العصر ما تؤخر إلى غروب الشمس، لأن كل هذين الوقتين بعد الفجر وبعد العصر فيه وقت فضيلة وأداء موسع إلى نصف الوقت تقريبا من طلوع الفجر، إلى أن يسفر جدا، هذا يسمى: وقت فضيلة وأداء.

والثاني: من حين يُسفر جدًا إلى أن يبين حاجب الشمس.

هذا وقت ضرورة إذا تأخر إليه عمدا من غير عذر فهو آثم، وإن قبلت صلاته، لكن آثم، ومثله العصر من دخول الوقت إلى أن تصفر الشمس، هذا وقت فضيلة وأداء للمعذور يعني، وبعد اصفرار الشمس إلى أن تتكأ على المغيب فهذا وقت ضرورة يأثم إذا أخر لهذا عمدًا من غير عذر.

ومن ذلك ما تقرؤونه أنتم في القرآن العظيم: {إن الخمر} كان العرب مولعين بها جدًا، ولهذا تعدل عندهم الخيل والحرب والسلاح وغزل النساء، فشعارهم في هذه الأربعة كثيرة مع الحماسة والفخر، ولذلك ما كان من السهولة عليهم: أن يتخلوا عنها بأمر صارم من أول شيء، فأخرت تحريمها إلى عام سبع من الهجرة إلى فتح خيبر، انظروا كيف، لكن أُشعروا بخطوات التحريم، فأول خطوة قيل لهم: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل:٦٧]، فالسكر ما مدحه الله عز وجل، والرزق مدحه بأنه حسن، فاللبيب إذا سمع هذا ينتبه يصحي.

الخطوة الثانية في التدرج: قيل لهم: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة:٢١٩]، تجارة يعني، وعمل، ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة:٢١٩]، فهذه تكفي العاقل ذي لب أنه ينتهي، ايش تريد شيء في إثم كبير، والنفع يعوضك الله بداله.

الخطوة الثالثة في هذا: قيل لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء:٤٣] يعني كفوا عن الخمر قبل الصلاة بساعة أو أكثر، وبعد الصلاة كذلك، إذا صار الوقت متقارب بين الصلاتين كفوا عنه، لأنكم لا تعلمون ما تقولون، فقد تسبون الله عز وجل، وقد تسبون أنفسكم، فكان هذا لشعار بأن الموضوع قرب الحسم فيه، ثم قيل لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ ﴾ [المائدة:٩٠]، الأوثان والميسر النرد والشطرنج وما شابه ذلك ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾ [المائدة:٩٠]، طلب القرعة بتحريك الدوائر عند الآلهة فيها اذهب لا تذهب، سافر لا تسافر، تزوج لا تتزوج، بع لا تبيع، اشتر لا تشتري، تسمى: القدح، فيديرونها فإذا طرأ على الإيجابي اعتمدوه اعتماد على الأوثان على الشرك هذه قرعتهم، وعوض الله المسلمين الاستخارة وهي القرعة القدرية.

فقرن الخمر بالأوثان التي تعبد من دون الله، وبالميسر، وبالأزلام التي يتحرى فيها ما في الغيب أحسن ولا ما هو أحسن؟ هو ما له سند أصلًا هذا توهم من توهمات الجاهلية، ومن عنادهم وكفرهم أنهم صوروا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يستقسمان بالأزلام داخل جوف الكعبة، هذه من حماقات أهل الجاهلية. فقيل لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ ﴾ [المائدة:٩٠]، نجسة نجاسة معنى، نجاسة الشرك عبادة غير الله، وجحد حق الله، والشرك بالله، ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المائدة:٩٠]، من تزيين الشيطان لبعض الناس، ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة:٩٠] أمر صارم ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة:٩٠]، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة:٩١].

قالوا: انتهينا، كانت يطاف بها عليهم في المجلس، والأسقية ملئا بالخمر جنبهم، وبعضها لأيتام، فأراقوها في الشارع حتى مشى الشارع كأنه مطر من كثرتها، والذي رفع الكأس إلى فيه ما أوصله إلى

فيه كبه على طول، لماذا؟ لأنه قال: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾، رُتب الفلاح على هذا، فهذا من التدرج، ومن هذه المراحل قيل لهم: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣]، يعني ما حرمناها عليكم حتى الآن، لكن لا تصلون وهي في رؤوسكم وبطونكم لأنكم قد تدعون على أنفسكم وقد تسبون ربكم وقد تكفرون وتلحدون.

وهذا دليل على أن القاعدة كانت في الشرع في جملة الأشياء التي يشق على المسلمين تركها فورا ولأول وهلة أنها تدرج فيها مراحل، ومن ذلك: الحلف بالآباء والأمهات لأنه تأخر إلى سنة ست تقريبا. كان يجوز لهم لأنهم تعودوا هذا في الجاهلية ونشئوا عليه، فالحمد لله على تيسيره وعلى استقرار شريعته ووضوح أحكامه وعلى عفوه سبحانه وتعالى، فإن من الشهداء الذين قُتلوا يوم أُحد قيل عنهم إنهم ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٧٠]، كان الخمر في بطونهم لأنها قبل أن تحرم، والغرض بيان إنه لابد أن يكون العقل حاضر في الصلاة.

ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام**»، والمراد ما هو مثل هذا الحين أن الناس يأكلون كل ساعتين، لا، المراد: أن الواحد له ثلاثة أيام، أربعة، ما ذاق شيء، وكان بعضهم يسقط في نهار الصوم من الجوع، لأنه ما تسحر ولا عنده شيء يأكله لا أفطر أمس ولا تسحر الصبح!، فلذلك قيل له: كل قبل أن تصلي، ولا يتخذ هذا عادة، لكن هذا عند العوارض الطارئة، ومثل هذا إنه لا صلاة للإنسان وهو يدافعه الأخبثان البول، أو الغائط، أو الريح. يعني يسمونه العوام: حصران. يُخشى أن يحدث في أي لحظة لأنه لا يدري ما يقول ولا يعي ما يقول، ما عنده خشوع، والصلاة يراد منها الخشوع لبها ومقصودها الخشوع.

وهنا قيل: إنه إذا نعس ينام، حتى يعي ما يقول يعني، حتى يتحقق ما هو المقصود بالصلاة ولب الصلاة وهو الخشوع، فهذا الحديث الأول وهو حديث عظيم دل على قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة وهي التدريج في التشريع، وهي أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح، وأنه عند تزاحم المصالح والمفاسد تزاحم المصالح بعضها مع بعض خفيفة وثقيلة أنها تفوت المصلحة الخفيفة لتحصيل المصلحة الثقيلة، وإذا صارت المفسدة كبيرة ويسيرة ترتكب اليسيرة لتفوت الكبيرة، وهذا من فقه الشرع، ومما يحتاج إليه عامة الناس بالرجوع إلى أهل العلم في الجزئيات والمسائل، ومعرفة

العمل الأفضل هذا هو المطلوب، ودونه الفاضل، ودونه المفضول، لا تشتغل بالمفضول من عملًا صالحًا وأنت تستطيع تحصل الفاضل أو الأفضل قدم الأفضل أولا، فإذا فات قدم الفاضل، فإذا فات اغتنم المفضول لا يفوت عليك لأنه خير، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٩٧]، هذا الحديث الأول.

الحديث الثاني: أنها كانت صلاة النبي ﷺ قصدا خصوصا الجمعة والعيد، وخطبته قصدا، يعني وسط بين التطويل الممل، والتقصير المخل، وكان النبي ﷺ لو أطال في الخطبة أحيانا للعوارض أطال الصلاة، ولو قصر قصر الصلاة، وصلاته كانت تكون قصدا أيضا نفس الشيء، ما هو على هوى العوام والجهلة الناس يتبادرون الآن في رمضان أيهم الذي يسلم الأول بربع ساعة في صلاة التراويح، هذا لعب بالآيات، ولعب بالشريعة، ولعب بالوقت، وبخس للمصلين.

قال ابن عمر: «الصلاة مكيال» رضي الله عنه، «**فمن وفى وفى الله له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين: ويل للمطففين**»، قالوا: إن الإمام كيال مثل الذي يكيل العيش الناس ما يرضون أن الإمام يبخس صلاتهم، لأن مثل أنهم ما يرضون أنه يبخس وزنهم أو كيلهم نفس الشيء هنا الوفاء بالصاع وبالوزن، وهكذا، فكانت صلاة النبي ﷺ قصدا، كان النبي ﷺ في الفجر يقرأ غالبا في الثلاثين ثلاثين آية مثل سورة: {ق}، سورة: {الحجرات}، {الذاريات}، وربما قرأ دون ذلك إلى خمسة عشر، كانت صلاة الظهر ولذلك كان يقرأ من طوال المفصل من الحجرات إلى نصف جزء {عم}، إلى {لا أقسم بهذا البلد}، أو {لم يكن الذين كفروا}.

وكانت الظهر نصف الفجر الركعتان الأوليان من الظهر نصف الفجر، والركعتان الأوليان من العصر تقاربان نصف الظهر، وكان يقرأ في هذه وفي العشاء من أوساط المفصل {الجمعة، المنافقون، عبس، الشمس كورت، إذا السماء انفطرت، سبح اسم ربك الأعلى، هل أتاك حديث الغاشية}. هذه أوساط المفصل، يقرأها في هذه الأوقات الثلاثة.

المغرب من قصار المفصل، من {إذا زلزلت}، وما قبلها مثل {التين والزيتون}، {ألم نشرح لك صدرك}، {إنا أنزلناه في ليلة القدر}، وما يقارب هذا في الغالب من قصار المفصل، والعشاء من أوساطه، والظهر والعصر كذلك من أوساطه وأطول شوي، الفجر من طوال المفصل، وأحيانا يقرأ من

عرض القرآن من أوله ومن آخره ومن خواتيم السور ومن أوائل السور، وكذا وكذا، ما يقارب هذا الشيء، فتكون الصلاة عن فقه ما تكون على الإلف والعادة والمربط، هذا ما ينبغي، ولا ينبغي لأحد أن يطاوع الناس على دينهم، يبخس ذمته، ويبخس حق الله عليه، ويكون الذين وراءه أعظم في صدره من الله عز وجل، هذا وايش يصير؟ فيسدد ويقارب كما قال النبي ﷺ: «**سددوا وقاربوا**»، فتحروا الصواب أو القريب من الصواب، وقال: «**القصد القصد لتبلغوا**».

فينبغي أن يكون هذا ما هو على أهواء الناس يكون على السنة، وعلى ما يقارب السنة ولو كان دون السنة، فالنبي ﷺ صلى مرة المغرب بالأعراب لكن ما هو دايم، وواحد من الأئمة في زمن مضى في وقت الشيخ ابن باز -الله يغفر له-، وعد الجماعة أن يصلي بهم غدا المغرب بالأعراف، فأخبر الشيخ، فاستدعاهم بكرا العصر وخلاص صلى معهم في المسجد، حتى لا يحقق هذه الأمنية التي فيها حمق.

وهكذا في جميع الدين ما يصير أن الناس يصير لهم ألف وعادة ويريدون أن يمشي عليها، أو مثل هذه البلية التي جدت بالمساجد الساعات والتوقيت وغير ذلك تفقد الناس الخشوع، وتمللهم من المساجد، وتعلقهم مشاغل الدنيا، ويتبارون الناس أيهم يطلع أول، هذه عبادة ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾ [الشرح:٧]، قف بين يدي الله متضرعًا ما تدري أنت تصلي بعد هذه الصلاة ولا لا، فتضحي بحقك من الصلاة من أجل الناس؟! ما يليق هذا أبدا.

ثم في آداب وفي عوارض تؤخذ باعتبارها، كان النبي ﷺ أحيانا يأتي ويصلي العشاء فيعرض له السائل عند الباب ويقف والناس ينظرونه نصف ساعة، ساعة، الناس ينتظرونه عادي، لأنه أمر مهم طارئ يخص الشخص نفسه، أو يخص عامة المسلمين، وربما دخل النبي ﷺ ووقف موقف الإمام ليكبر وذكر أنه على جنابة ما قال: صلوا، لأنهم يحبون أن يصلوا وراء النبي ﷺ أصلا، قال: مكانكم، وواقفين، وراح واغتسل ولا أخذ الفوطة وبدأ يتمحش عشر دقائق، نصف ساعة، حتى ما يتبين أنه مغتسل لا جاء ورأسه يكثر، عادي، وربما دخل المسجد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبقع المني في ثوبه لأنه ما عنده إلا هذا الثوب أيضًا مغسولة إذا كان رطب، أو اتحك بعود، أو مفروكة إذا كان يابس، من التواضع والبساطة والعفوية، وهكذا.

فيصير الناس عندهم عقل وعندهم روية، لو احتاج الإمام أنه ينيب؟ ينيب، يوسع على الناس نفس الشيء، فلا يترك الناس ينتظرونه إلا من حاجة أمر عارض، ما عنده وسيلة تواصل، ما عنده كذا، وحصل حادث مفاجئ، وكبير، كصار كذا وكذا، أقرب شيء ... (٢٥:٢٩) بالبيت ولا مثل هذا، ولا واحد من الأطفال ولا فتحدثوا أو حار أو صار مشكلة، أو أخذ دواء كبير...، أو أخذ دواء وأصابه مشكلة، زاد عليه الضغط، زاد عليه السكر، زاد عليه كذا، زاد عليه كذا، اختر له التوازن يعني منه أو من غيره من أهل البيت. فينبغي للناس أن يتعودون الحلم والرفق والأنس بالمساجد وأنها رياض الجنة، وأنها من المواطن الذي يتبشبش الله عز وجل لأهلها يوم القيامة، وأن انتظار الصلاة صلاة الملائكة يدعوني منتظر الصلاة: اللهم اغفر له وارحمه، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه، ما أكلوا الحرام ولا ارتكبوا الآثام يمل الواحد من دعاء الملائكة عليهم السلام؟ ! وايش...

يطلع الواحد من المسجد من الصف كأنه مصروع، الجوال بأذنه ويحاكي يقول والله يكشف أسرار بيته وهو في المسجد من غير وعي، هذا عذر هذا، وهذا دين، وايش الضرورة هذه؟ هذه حيلة من حيل الشيطان للناس، لأنه واحد،... ولا أفعلن، ولا أفعل، وتوعدهم بكل شيء، فمن باب أولى أنه يؤخرك، والله إني شايفه عند مسجدكم هذا إن الواحد يطوف على المسجد يروح وييجي والناس يصلون في كل المساجد وهو ما يدري أصلًا صلوا في المسجد ولا ما صلوا، مبسوط وايش علشان والله ... (٢٧:٠٧) شفت فلان ايش سوى، شفت كذا، شفت كذا، هذا الذي تأخر بسببه عن الصلاة؟ ! ، فمتى يعقل الناس.

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: "كنا نتحدث"، يقول نحن التابعين: "نحدث من الصحابة أنه كلما تأخر الزمان طاشت العقول وخفت الأحلام، حتى يصير الناس في خفة الطير وفي أحلام السباع". السبع يرحم؟ فالذي ما رحم نفسه ما هو برحمة من الناس أصلا، وإذا دخل واحد المسجد متى ينظر الساعة ويهيج من هنا ويهيج من هنا، يا مسكين تترك حلق الجنة ورياض الجنة وتطغى إلى الجحيم، على أي أساس هذا، وبعدين تأثم أنت، ويدعون عليك المصلين المطمئنين الذاكرين الله من خشية الله يدعون عليك دعوة قد ما تفلح بعدها أبدا، أربكتهم لا قراءة قرآن، ولا دعاء، ولا تعاون على خير، ولا طمأنينة لذكر الله، ولا أي شيء، كأن الناس جالسين في مكانهم ينتظرون توزيع دراهم، يخشوا أن يفوتهم ويعطلوا

المسجد، وايش الدنيا وحقارتها الدنيا للإنسان بمثابة الحذاء يتقى بها الشوك والرمل والزجاج وغير ذلك، وفي البيوت بمثابة الحمامات التي لا تذكر ويفتخر بها ولا يستغنى عنها، فيعقل الناس ويتكلمون الناس فيما بينهم بالتذاكر والعقل.

يقول الصحابة ﷺ والتابعون: **اجلس بنا نؤمن ساعة**. تذاكر ايش نحن عليه إحنا على يمنة ولا على غير يمنة؟ أكثر الناس على غير يمنة الآن، ولذلك لو تأخرت الصلاة خمس دقائق رنت التلفونات من كل جهة وصار المسجد كنيسة، هذا ما يأثم ذا؟ أزعج الناس؟ ولا يخفف الإمام الصلاة إلا إذا طاح إنسان مغمى عليه، ولا بكى صبيا ضائع يخشى يطلع ويضيع، ولا مع أمه وأشغل أمه ويشغل الذين يصلون في المسجد، ولا مثل الظروف العارضة هذه التي هي ليست متكررة، فلابد من فهم هذا هذه ضرورة هذه، والناس يعقلون يعني فين طريقة السلف الصالح رحمهم الله، هذا دينك بينك وبين الله عز وجل وستسأل عنه، ولا ينفعك إذا كنت في قبرك فلان وفلان وفلان، وإجراء من هنا، وإجراء من هنا ما ينفعك هذا مرتهن أنت، مثل ما يقول العوام: كل شاة معلقة بعصيبتها، فخذ من فراغك وصحتك وشبابك وقوتك وغيرها لما بعد الموت.

استعد ووفر رصيدك في الآخرة، ابني بيتك في الجنة، الواحد يتشيب .... عيونه ما بنى بيت في الدنيا، وبيت الجنة سهل بناؤه من «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»، يبنى ويغرس الشجر، تظن إنك إذا جئت يوم القيامة لك بناء ولك شجرة بيجعلك الله بالنار ويترك شجرك وبناءك يا جاهل! (٣٠:٣٤)

قالوا للحسن البصري رحمه الله: **ما بالنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم دنياكم، وخربتم آخرتكم، فلا تحبون أن تنتقلوا من العمار إلى الخراب**، والمعنى: عمروا آخرتكم، ولذلك كل مؤمن عند الموت نسأل الله حسن الخاتمة يرى مقعده من النار وهو على فراش الموت وهو في عقله واختياره يبشر، فلا يكون غائب أحب إليه من الموت، لماذا؟ لأنه اطمئن على مستقبله، وأحب لقاء الله، والله للقائه أحب سبحانه وتعالى، والفاجر بعكس هذا، نسأل الله العافية والسلامة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعن أبي جُحَيْفَة وَهْب بنِ عبد اللهِ ﷺ قَالَ: آخَى النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبي الدَّرْداءِ، فَزارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرداءِ فَرَأى أُمَّ الدَّرداءِ مُتَبَذِّلَةً، فقَالَ: مَا شَأنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرداءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ في الدُّنْيَا، فَجاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فقَالَ لَهُ: كُلْ فَإنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أنا بآكِلٍ حَتَّى تَأكُلَ فأكل، فَلَمَّا كَانَ اللَّيلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّردَاءِ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ، فنام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ من آخِرِ اللَّيلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُم الآن، فَصَلَّيَا جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيكَ حَقًّا، فَأعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتى النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبيُّ - ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ». رواه البخاري.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الحديث وما قد يجيء في معناه يدل على حرص أصحاب النبي ﷺ على الخير، واجتهادهم في تحري نوافل الطاعات بعد الفرائض، وترك المناهي، وأنهم لا يصرون على خطيئة وهم يعلمون، فهذه الواقعة أن سلمان الفارسي ﷺ من المهاجرين وقد جاء من بلاد فارس، وكان أبوه من سدنة بيت النار، لكن جعل الله في قلب سلمان محبة الخير والدين، فصار يسأل علماء زمانه من اليهود ومن النصارى، وعُمر، فانتقل من بلد إلى بلد ومن شخص إلى شخص، وكلما وجد عالمًا عابدًا احتسب عند الله تعالى أن يخدمه، ويتعلم منه، ويقتدي به، هذا في الجاهلية، حتى انتهى به المطاف عند آخر واحد من هؤلاء العباد والعلماء.

فلما حضرته الوفاة قال له سلمان: ماذا أفعل وين أروح؟ فقال له: ما أعلم مكان هذا الحين يصلح أنك تروح له، لكن اذهب إلى الحجاز إلى بلدة ذات سبخة ونخل، فإن نبي زمانه. يعني النبي ﷺ سيبعث فيها، فيقول: تحرى حتى يبعث، وهو في الطريق جاء من دومة الجندل، أو تيمة، أو غيرها، أو الحيرة، خطفته الأعراب أهل الجاهلية، واسترقوه استعبدوه، وهو حر من أشراف الفرس، وباعوه على يهودي في المدينة، ورضي هو بهذا لأنه ما يملك شيء ولأنه حصل المقصود وهو أنه وصل إلى الأرض التي يقصد أن يستوطنها حتى يبعث النبي ﷺ، وذات يومٍ وهو يشتغل في النخل لليهودي في وقت الرطب سمع بمقدم النبي ﷺ، واحتفاء الأنصار ﷺ به، وعرف بما سبق له من العلم،

والإشارات ممن خدموا، وهم أكثر من خمسة وهو عُمر حتى قيل: أنه عُمر ثلاثمائة وستين سَنة، فلما سنحت له الفرصة جاء برطب من النخل من جهده هو وقال للنبي ﷺ: هذه صدقة. يمتحن النبي ﷺ. فقال النبي ﷺ لأصحابه: «كلوا» لفقراء المهاجرين، ولم يأكلوا، فكانت علامة من علامات النبوة.

في اليوم الثاني جاء بمثل ذلك، وقال: «هذه هدية»، فأكل النبي ﷺ وقال لأصحابه: كلوا. فأخبر النبي ﷺ عن قصته وشأنه أنه جاء ينتظر مبعث النبي ﷺ، وأن الله تعالى هداه لذلك، وأدناه من هذا البلد، واغتبط بذلك، وطلب من النبي ﷺ أن يشفع له عند اليهودي، أن يخلي صراحه، لأنه ما هو بعبد، ويستحق الأجرة فقط، واليهودي يعلم أنه ما يجوز استرقاق الحر، فشفع له النبي ﷺ وصار من فقراء المهاجرين، ومن أول أمور النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة: أنه آخى بأمر من الله جل وعلا بين المهاجرين والأنصار، كل مهاجر يواخيه ويعقد بينه وبين الأنصار عقد، فمن يرغب بهذا، بحيث أن الاثنين يتوارثان، وهذا من الأحكام المؤقتة لتثبيت وتوثيق الإخوة في الدين، ترسيخ المحبة بين المؤمنين، وأن الأنصار يتحملون عبء من مئونة المهاجرين يخففون عنهم، وقد أثنى الله عليهم رضي الله عن الجميع قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩].

فكان مما جرى أن النبي ﷺ أجرى عقد مؤاخاة دينية بعد سلمان المهاجر، وبين أبي الدرداء الأنصاري مؤاخاة خاصة لها أحكام مؤقتة، فكانا يتزاوران، وكانا أحدهم ينصح للآخر، وبينما ود وتعاون على الخير، وتفقد للحال، وإعانة على الحاجة، وكذا، وكذا، فمرة من المرات زار سلمان المهاجري أخاه الأنصاري، زاره زيارة قرر أنه يستضيفه يكون عنده اليوم والليلة.

فلما جاء إلى البيت؛ بيت أبي الدرداء وإذا هو ليس موجودًا، وإذا امرأة أبي الدرداء ﵄ متبذلة عليها لباس الخدمة، وكأنها لا عهد لها بشيء من حقوق الزوجية، فاستغرب يعني كيف هذا ما في أي مؤشرات تدل على الوئام والانسجام بين الزوجين، فقال: ما شأنك ليش أنت كدا؟، وهذا من نصيحته ومن خصوصيته لأنه اطلع على أشياء ما هي مريحة؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ما له غرض في الدنيا لا في أكل ولا في شرب ولا في فراش نوم ولا في زوجة ولا في أمر معاش، وأنا الذي أكدح وأنفق عليه وكذا، فما لبث أبو الدرداء أن جاء وإذا أخوه ينتظره، ففرح به، وصنع له طعاما ليكرمه، فأحضر الطعام أبو الدرداء وقال لسلمان: كل، قال: وأنت كل؟ قال: أنا صائم، قال: لا، لا آكل حتى تأكل.

لأنه عرف من حال أبي الدرداء قبل أن يجيء من تبذله وزهده الذي فيه المخالفة للشرع، مع محبته للعباد، وتقصير في حق ذي الحق، قال: لا ما آكل حتى تأكل، فانقاد ابو الدرداء وأفطر، لأنه متنقل، والمتنفل أمير نفسه، ولا سيما إذا حس أن ضيفه يرغب أن يستأنس معه في الأكل في الإفطار، ويتعين عليه لو كنت صائما الست، ولا صائم البيض، ولا صائم الاثنين ولا الخميس وجاءك ضيف وشعرت من ضيفك إنه يحب أن تؤانسه بالحديث، والقهوة، والأكل، والشرب، فتنزل على رغبته لأن هذا من كمال إكرام الضيف، وأن الإنسان ما يكون جافيا، حتى أن الصائم يكون عنده شيء من انقباض النفس والانطواء، فكان الصحابة ﭫ إذا صاموا جلسوا في المساجد قالوا: نحفظ صيامنا ولا نؤذي أحدا يعني بغيبة أو نميمة أو فضول كلام، ونحو ذلك مما يقدح في الصيام، فانتهى الطعام وأفطر أبو الدرداء وانقاد لأنه يعرف حق الإخوة، ويعرف أن سلمان أفقه منه في هذا الجانب، فلما جاء الليل وتعشيا بعد العشاء أراد أبو الدرداء أن يقوم على عادته من أول الليل، ويطول قيام الليل، فيقوم من أول الليل إلى ثلثي الأول، ويقوم قبل نصف الليل، ويقوم بعد نصف الليل، ويقوم آخر الليل، فصار أبو الدرداء عنده علم من هذا الوضع، فلما أراد أن يقوم بعد العشاء قال: نام، فنام وانقاد وهذا أدب من آداب الصحابة ﭫ.

فلما أن مضى ثلث الليل، أو قرب نصفه أراد أن يقوم أبو الدرداء قال: نام، فنام، وسلمان نام نفس الشيء، يتقويا بالنوم على العبادة حتى يقوم آخر الليل صاحي، ويذكر ما يقول، ويسبح عند آية التسبيح، ويكبر عند آية التكبير، ويسأل الله الفضل عند آية الفضل، ويستعيذ بالله من النار عند ذكر العذاب، ويسأل الله الجنة عند ذكر الجنة، ويكون حافظ، ولذلك في الحديث الذي مضى معنا أن النبي ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي**»، يعني: من آخر الليل. «**فلينم**» حتى يأخذ نصيبه منه لأنه لا يدري لعله يذهب يدعو فيسب نفسه، وجاء في بعض الروايات: أنه يسب ربه، ما يدري ما يقول يهذي، فلما صار ثلث الليل الأخير قال له: يا أبا الدرداء قم صلي، لماذا؟ لأن القيام في ثلثي الليل الأخير هو أفضل القيام، وهو وقت النزول الإلهي لله جل وعلا إلى السماء الدنيا على ما يليق بجلاله وعظمته، وبالكيفية التي يعلموها، وأنه يدنو من عباده ويعرض عليهم فضله، "**هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟**".

وفي الحديث الآخر: "**كلكم ضال إلا من هديته، فاسألوني أهدكم، كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم**"... الحديث.

فقام سلمان وقام أبو الدرداء وصليا، والغالب: أن المرأة تصلي ورائهما، فالإنسان إذا صار في رمضان، ولا في العشر من ذي الحجة، ولا عشرة من المحرم الذي يشرع فيها الاجتهاد للعبادة، وعنده والده مثلًا، أو والد لا يستطيع الذهاب للمسجد، أو الوالدة كذلك تحتاج إلى إعانة وتذكير لأنها تنسى لكبر السن، فيصلي بوالدته حتى في رمضان إذا فرغ من الصلاة مع الإمام ورجع يصلي بوالدته، وهذا من البر، ويصلي بوالده كذلك إذا جمع والده ووالدته وزوجته وأولاده وصليا جماعة أحيانًا حتى في غير رمضان، فهذا يشرع، لكن ما يواظب عليه حتى لا تُشبه النافلة بالفريضة، ولا بالسُنة المؤكدة، فبعد هذا البرنامج قال سلمان لأبي الدرداء: «**إن لربك عليك حقا**» ومن ذلك: حق أداء الفرائض، واجتناب النواهي.

ومن ذلك: حق فعل ذوات الأسباب إذا وُجدت أسبابها صلاة كسوف، صلاة استسقاء، صلاة استخارة، لا تفوت، سجدة شكر، سجدة تلاوة، سجدة التلاوة وسجدة الشكر تُفعل في الوقت موسعة بعد صلاة الفجر إلى أن يبين حاجب الشمس، من بعد صلاة العصر إلى أن تتكأ الشمس على المغيب، فلا يستثنى إلا وقت الغروب، ووقت الطلوع، ووقت الزوال، لأن أوقاتهم ضيقة لا يشك الانتظار فيها.

ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ من الصحابة ﵃، قالوا: "**ثلاثة أوقاتٍ نهانا النبي ﷺ أن نصلي فيهن، وأن نقبر فيهن موتانا**".

لأنها أوقات نهي والصلاة فيها فيها تشبه بالكفار الذي هي شدود الشمس عند الطلوع وعند الغروب، ويقف الشيطان تحت الشمس ليسجدوا له، لكن لو ما أدركت من الفريضة إلا قدر تكبيرة الإحرام إلى الركوع فتصلي، لأنك إذا أدركت الركوع قبل غروب الشمس وقبل طلوع الشمس أدركت الوقت، وهذا وقت ضرورة، ما تفوت الصلاة، فقال سلمان لأبي الدرداء: "**إن لربك عليك حق، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا**". وفي رواية: "**لزوجك عليك حقا**". هذه المرأة المسكينة، يمكن من أن دخلت عليه ما نام معها في الفراش ولا مرة. وفي رواية قال: "**ولزورك عليك حقا**". زورك

يعني: الضيف، سواءً من جيرانك، من أرحامك، ممن قصدك للزيارة، ممن قصدك لحاجة فله حق عليك لا تجفو في حقه مشتغلا بنافلة، ليست فريضة وليست مؤكدة وحضر وقتها وتحقق سببها، **"فأعطي كل ذي حقٍ حقه"**.

هذا كلام من؟ كلام سلمان رضي الله عنه، وهو فقيه، لأنه متعلم ممن مر عليهم قبل؛ قبل بعثة النبي ﷺ، وهذه الأمور مما اتفقت عليه الشرائع من الشرائع العامة والأخلاق الشرعية العامة، والأمور المتحتمة لأهلها، فتعجب أبو الدرداء فأراد أن يطمئن ما هي مسألة الأكل، ولا مسألة النافلة، هذا التزام بحقوق، فذهب إلى النبي ﷺ وأخبره بما قال له سلمان؟ قال: صدق سلمان.

وهذا الشاهد هذا هو الشاهد: إن النبي ﷺ أقر سلمان رضي الله عنه على ما قال، وأكد عليه، ودل هذا على مشروعية زيارة الإخوان في الله، وأن من زار أخًا له في الله فهو في خرفة الجنة، وخصوصا المريض فهو في بستان الجنة، وأن الله تعالى يعد له نُزلًا في الجنة، وأن الله تعالى يرضى عنه.

حتى أرصد الله لزائر أخيه ملكًا في الطريق بصورة إنسان، قال: ماذا تريد؟ قال: أريد زيارة أخي فلان، قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ يعني له معروف سابق عليك فيه...، أو لك حاجة عنده؟ يعني أن النية مدخولة، فبعض الناس يقول: أنا جاي أزورك في الله والله نحبك في الله، وهو جاي لحاجة ويكذب. فهذا غلط ولا ينبغي، ينبغي أن يتمحض ما كان لله عما كان من حقه، والله يا أخي نحبك في الله ولنا حاجة عادي ما في شيء، لنا حاجة نريد منك شفاعة، نريد منك قرضا حسنا، نريد منك كذا، نريد منك مشورة في رأي، نريد منك كذا، حتى ما يصير في تصنع ما يليق بالمؤمن، قال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، قال: فإني رسول ربك -جل وعلا- إليك أن الله قد رضي عنك، بشارة معجلة وهو حي ... (٢١:٢٢).

وهذه نعمة من الله عز وجل، والله إذا رضي عن عبد فلن يسخط عليه أبدا، ولذلك ذكر الله تعالى رضاه عن أهل بدر، وعن أهل بيعة الرضوان، ومعنى ذلك أنهم يموتون على الإسلام، وعلى حالٍ يرضاها الله تعالى لهم، تثبيت، وهذه بشارة معجلة، وفي هذا دليل أن الأخ يتفقد أخاه، فإذا زرت أخاك من النسب من أمك وأبيك، أو لأبيك ولأمك، ورأيت من حاله تبذل، أو حال أهله، أو من أثاث البيت يعني رثاثة أو شيء تفقد، فإن كان عندك سعة واسيته، وإن كان ما عندك سعة سعيت له بشيء، إذا كان

في كسل عن العبادة أو شيء تعظه، تذكره، تنشطه، إذا كان بينه وبين زوجته جفاء فتحاول أن تصلح بينهما، تقرب بينهما، وهكذا الجار مع الجار فتكون وسيط خير، شعرت من جارك بجفوة تزوره، تجيب معك هدية، تتلطف له حتى تعرف سبب الجفاء، واجد في نفسه عليك وأنت ما تدري، ويمكن أنها ساعة سوء من نمام ولا غيره فتبعد هذا، لأن المسلمين إذا باتا يوم الاثنين، ليلة الثلاثاء، ويوم الخميس ليلة الجمعة وفي صدورهما شحناء لا يغفر لهما. يقال: أنظرا هذين حتى يصطلحا. فيضمن واحد إنه يعيش حتى يصطلح؟ فتزيل هذه الحكة، وهذه المسألة التي في الصدر، وحر الصدر، وتتسبب في إزالتها، ودفعها، وإيضاح الأمر، ودفع الشبهة، من أجل صلاح ذات البين، وسلامة الصدور، وبقاء المودة بين الإخوان في الله، سواء كان إخوان في النسب وهذا آكد، أو إنهما إخوان في الدين وهذا حق متحتم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- وعن أَبي محمد عبدِ اللهِ بنِ عَمْرو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُخْبرَ النَّبيُّ ﷺ أنّي أقُولُ: وَاللهِ لأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيلَ مَا عِشْتُ. فقَالَ رسولُ الله ﷺ: «أنتَ الَّذِي تَقولُ ذلِكَ؟» فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بأبي أنْتَ وأمِّي يَا رسولَ الله. قَالَ: «فَإنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثةَ أيَّامٍ، فإنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا وَذلكَ مِثلُ صِيامِ الدَّهْرِ»، قُلْتُ: فَإنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِك، قَالَ: «فَصُمْ يَومًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ»، قُلْتُ: فَإنِّي أُطِيقُ أفضَلَ مِنْ ذلِكَ، قَالَ: «فَصُمْ يَومًا وَأفْطِرْ يَومًا فذلِكَ صِيَامُ دَاوُد ﷺ وَهُوَ أعْدَلُ الصيامِ».

- وفي رواية: «هُوَ أفْضَلُ الصِّيامِ» فَقُلْتُ: فَإنِّي أُطيقُ أفضَلَ مِنْ ذلِكَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا أفضَلَ مِنْ ذلِكَ»، وَلأنْ أكُونَ قَبِلْتُ الثَّلاثَةَ الأيّامِ الَّتي قَالَ رَسُول الله ﷺ أحَبُّ إليَّ مِنْ أهْلي وَمَالي».

وفي رواية: «أَلَمْ أُخْبَرْ أنَّكَ تَصُومُ النَّهارَ وتَقُومُ اللَّيلَ؟» قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُول الله، قَالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ: صُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ؛ فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِعَيْنَيكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ بِحَسْبِكَ أنْ تَصُومَ في كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، فإنَّ لَكَ بكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمْثَالِهَا، فَإنَّ ذلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ» فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنِّي أجِدُ قُوَّةً، قَالَ: «صُمْ صِيَامَ نَبيِّ الله دَاوُد وَلاَ تَزِد عَلَيهِ» قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ دَاوُد؟ قَالَ: «نِصْفُ الدَّهْرِ» فَكَانَ عَبدُ الله يقول بَعدَمَا كَبِرَ: يَا لَيتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُول الله ﷺ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا كالحديث السابق حديث أبي الدرداء يدل على حرص الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم على نوافل العبادات، والاستقامة على الطاعات، وأنهم يشددون على أنفسهم استزادةً من الخير.

وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كان من شباب الصحابة، وكان لا ينام من الليل إلا قليلا، وكان يصوم النهار، وكان مجتهدًا في وجوه الخير، حتى إن والده استنكر عليه وعلى بيته وأنه منشغل عن أهل بيته وعن بيته، فسأل امرأته عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسأل امرأة عبد الله عن عبد الله؟ فقالت: إنه مشغول بالعبادة، وأنه يصوم النهار ويقوم الليل، ويقرأ القرآن كل ليلة يختم، وكذا، وكذا، وأنه ما هو عندنا ولا يمنا. وفي رواية: أن عمرو ذهب إلى النبي ﷺ وذكر ذلك له، فقال: ألقني به. هاته. فجاء به

فقال له النبي ﷺ: «ألا مُخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟» قال: نعم أقوم الليل وأصوم النهار، قال: «لا تفعل»، يعني خذ بالأقل هذه نافلة، ارفق بنفسك أنت اليوم شباب، وغدا في المشيب، والموت يتغير، صم من الشهر ثلاثة أيام اليوم بعشرة وصيام ثلاثة أيام تعدل صيام الشهر، والصيام من كل شهر يعدل صيام الدهر ارفق بنفسك، قم من الليل ونام، واقرأ القرآن كل شهر اختم القرآن كل شهر مرة، فقال: إني أطيق أكثر من ذلك. يعني يريد أن ترخص ليّ أنا لي همة في العبادة وأطيق وعندي قوة؟ فقال: صم يوم وأفطر يومين، وقم من أول الليل ومن آخر الليل، واقرأ القرآن في نصف الشهر، يعني أسبوعين اختم، فقال: إني أطيق أكثر من ذلك، فقال: صم يوما وأفطر يوما، وذلك صيام داود عليه السلام، وذلك أفضل الصيام لمن أراد أن يجتهد في العبادة، هذه الغاية في كمال الصيام النافلة.

وقال: اختم في كل سبع ليال القرآن، وقم من الليل ونام يعني من أوله ومن أوسطه ومن آخره، فالتزم له بذلك. وفي بعض الروايات قال: «**لعلك أن تعمر**» يعني يمد في عمرك، وتتعب مع تقدم السن والضعف، لكنه أصر على رأيه فيقول: إني أرقت النبي ﷺ على ذلك، يعني ملتزما له إني أصوم يوما وأفطر يوما، وإني أقرأ القرآن في سبع، وفي بعض الروايات: في ثلاث كل ثلاث أختم، وأني أقوم من الليل من أوله، ومن أوسطه، ومن آخره، وقد عُمر هو، فكان يتعب، ويقال له: اترك، يقول: لم أكن لأترك شيئًا فارقت النبي ﷺ عليه، ما تطيب نفسه، حتى كان يصوم من الدهر من الشهر النصف، ويفطر النصف الآخر يتقوى، وكان ينام من الليل ويقوم ويضغط على نفسه ويقرأ القرآن، وقراءة القرآن أمرها واسع، وكم من السلف من كان يختم القرآن كل ليلة لكن في رمضان فقط، وبعضهم يختم في كل ثلاث، وبعضهم في كل سبع.

وعندهم أنه ما ينبغي النقص عن ختم القرآن نصف الشهر كل نصف شهر، وأنه لا يزيد الطول في ختم القرآن عن أربعين يومًا، والأعدل أنك كل شهر، فكان هو بعدما كبر يتمنى أنه لو قبل تخفيف النبي ﷺ، أو عرض النبي ﷺ بالتخفيف، لكنه التزم بما التزمه للنبي ﷺ، وفاءً بالعهد، ومجاهدةً للنفس، ولو ترك شيئًا قضاه. يغتنم أوقات الشدة وأوقات كذا وكذا حتى إنه ختم الله له بالخير، فدل ذلك على أنه الذي ينبغي التوسط في العبادة، وأن الرغبة في العبادة في النافلة لا تحمل الإنسان على أن يضيق على نفسه، ولا أن يحرم حق غيره من حقه، مثل الزوجة، مثل الأرحام، مثل الجيران، مثل كذا

وكذا، فلا يحمله الاشتغال بالعبادة على أن يقصر في حق ذي الحق، وليس ذلك عذرا، وأن التوسط والمقاربة هو الأولى، لأن النبي ﷺ قال: «**سددوا**»، يعني: توسطوا، «**أو قاربوا**»، أو قال: «**وقاربوا**» يعني قريب من الوسط الاعتدال.

وأن الإنسان يراعي الظروف العارضة يعرضه المرض، يعرضه السفر، ويعرضه الشغل، ويعرضه الخوف، فيكون الإنسان على سجية معتدلة لا يتعب نفسه ولا ينقطع عن العبادة، والإنسان في حال شبابه ونشاطه وفراغه وصحته وإتيان الدنيا له على ما يريد يمرن نفسه مثلما يقولون اليوم يجعل له برنامج يبتدأ فيه في الأقل، ويزيد شيئا فشيئا بالتدريج حتى تألف النفس العبادة وتنسجم وتتعلق بها، فتكون العبادة لو ثقلت خفيفة عليه، ولا يمنعه من أداء حق ذي الحق، فالأمور تحتاج إلى معالجة، ومن ذلك: الالتزام بالأذكار، الأذكار الصباحية والمسائية، وعند النوم، وعند اليقظة مهمة، وهي من عبادة الله الدائمة، ومن ذكر الله الدائم «**لا يزال لسانك رطبا من ذِكر الله**».

ومما يستعان به على أمر المعاش والمعاد، لكن النفس تحتاج إلى تمرين، وكل يوم الإنسان يتحفظ شيء من الأذكار، ومن الأدعية ويلتزم بها ويزيد شيئا فشيئا إذا أتقن السابق زاد لاحقا، ولو أمضى سنة على هذا النظام، أو سنتين، أو ثلاثة عادي المهم إنه يكون على نظام وعلى منهج ما يسمى: برنامج، ويوطن نفسه في المسجد، ويوطن نفسه على فعل المعروف، وأنه لا يضيع الفرص، متى وجد السبب أو دخل الوقت أو رأى المشاركة التي تفوت إذا فوتت، فيكون عنده الاستعداد لهذا الشيء، ومع طول الوقت فالله تعالى ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦].

ويؤتي التقي تقواه، ويؤتي الحكمة من يشاء، فيمد الله ﷻ العبد بمددٍ من عنده بحيث إنه يألف العبادة، وينسجم معها، ويغتبط بها، فتسهل عليه، ويكون في نعمة وراحة، والعبادة في الجنة بل نعيم الجنة مرتبط بلذة العبادة، فما تلذذ أهل الجنة جعلنا الله وإياكم منهم بشيء مثل تلذذهم بما له تعلق بالله جل وعلا، تحية الله عز وجل ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ [الأحزاب:٤٤]، ومثل النظر إلى وجه الله الكريم، ومثل ذكر الله عز وجل وسماع كلام الله سبحانه وتعالى، هذا ألذ عندهم من الاستمتاع بالحور العين، والنعم المتجددة، وأن ما تمنوه حصل، فما في الجنة لذة ألذ من عبادة الله جل وعلا، يعني أثر العبادة في الجنة نفسه، فيهيأ الإنسان نفسه لهذه العبادة التي هي لذة نعيم الجنة على تجدد النعيم وتنوع

النعيم، وأن ما يتمناه الإنسان يحصل له حتى إن قطف العنب عنقود العنب إذا نظر إليه المرء دنى منه العنقود نفسه، حتى إن الطير يأتيه مشويا يأكل منه، وحتى، وحتى، فلذة العبادة المتعلقة بالله جل وعلا النظر إلى وجه الله الكريم، والتلذذ بذكره، والسماع لخطابه، هذا هو ألذ نعيم أهل الجنة، وهذا هو الدائم، والنعيم الآخر ما يلذ إلا بهذا، فهذا أصل النعيم في الدنيا والآخرة.

حتى قال بعض السلف: "إن في الدنيا جنة لا يدخل جنة الآخرة إلا من دخلها، قالوا: وما هي؟ قال: جنة الذِكر"، ذكر الله جل وعلا.

والإنسان لا يصلي، ولا يصوم، ولا يتصدق، ولا يحج، ولا يقرأ القرآن، ولا يدعو، ولا يثني، ولا يتصدق، ولا يصل الرحم، ولا شيء إلا إذا ذكر الله جل وعلا ومحبة الله لهذا الشيء، ولا ينكف عن المعصية عبادةً لله جل وعلا إلا إذا ذكر الله تعالى، وذكر أن الله يحب الانكفاف عن هذا الشيء، وبهذا يكون الاستمتاع في نعيم الجنة، يعود الإنسان نفسه بلذة العبادة.

وقال بعض السلف: "والله لو يعلم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم"، يعني نعيم العبادة. "لجالدونا عليه بالسيوف"، لحرصهم على أن يحصلوا على هذا الشيء، وأن ينافسوننا ويسبقوننا فيه، نعيم العبادة، فالعبادة لها لذة، ولها نعيم، ولها أنس، ولها انشراح صدر، ولها غبطة، حتى قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والله إنها لتمر بي لحظات"، يعني وأنا أذكر الله جل وعلا، "أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه من النعيم"، يعني والغبطة، "إنهم لفي نعيم".

فيقيس نعيم الجنة على النعيم في الدنيا، أعاننا الله وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وعصمنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما فتن، وتاب علينا من معصيته، ورزقنا دوام ذكره وشكره في سائر الآناء والأحوال.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١٥٢ - وعنِ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بينما النَّبيُّ - ﷺ - يخطب إِذَا هُوَ برجلٍ قائم فسأل عَنْهُ، فقالوا: أَبُو إِسْرَائيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ في الشَّمْسِ وَلاَ يَقْعُدَ، وَلاَ يَسْتَظِل، وَلاَ يَتكَلَّمَ، وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبيّ - ﷺ: «مُرُوهُ، فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ». رواه البخاري.

باب المحافظة علَى الأعمال

قَالَ الله تعَالَى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [الحديد:١٦].

وَقال تَعالَى: ﴿ وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد:٢٧].

وَقال تَعالَى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا ﴾ [النحل:٩٢].

وَقال تَعالَى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩ ﴾ [الحجر:٩٩].

- وعن عمر بن الخطاب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيلِ، أَوْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيلِ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فما سمعتم من الآيات والأحاديث فيها إرشاد من الله عجل وعلا لعباده، ومن النبي ﷺ لأمته، أن يحافظوا على ما هداهم الله له من الأعمال الصالحة، والمراد: النوافل بعد الفرائض وترك المحرمات.

فلا ينقطع الإنسان لأن المحافظة على العمل فيها مصالح كثيرة:

أولًا: أنها دلالة على الرغبة في الخير.

وثانيا: أن الله عز وجل وعد ووعده حق أن يزيد الذين اهتدوا هدى، وأن يؤتي الذين اتقوا تقواهم، وأن يزيد الشاكرين، وهذا من الهدى، ومن التقوى، ومن الشكر المحافظة على العمل والدوام عليه.

فهذه ثلاث فوائد بل أربع فوائد.

والخامسة: أن الإنسان إذا عرض له عارض من مرضٍ أو سفر كُتب له ما اعتاد من العمل الصالح، وهذه غنيمة الدهر أن الله يكتب لك وأنت ما عملت.

والسادسة: أنه يكون أسوة في الخير، وأن كل خصلة من خصال الخير تكون مفتاحا لخصلة بعدها، فإنها الحسنة تدعي إلى الحسنة وتقول إلى جنبي، وما من أحد يفتح باب خير ويستمر عليه إلا فتح الله له باب مثله، ولهذا ينوع الخير حتى تكثر له أبواب الخير.

ولذلك الله عز وجل لم يجعل لعمل مسلم انقطاعا دون الموت كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر:٩٩]، واليقين هنا المراد: الموت، وأيضًا فإن الله تعالى وصف أهل الإيمان بالاستقامة، والاستقامة هي ملازمة العمل الصالح، حتى تحضرهم ملائكة الرحمة تقبض أرواحهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأحقاف:١٣-١٤]، وعد من الله عز وجل ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

وفي الآية الأخرى: قال: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [فصلت:٣٠]، يعني عند الموت ﴿ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [فصلت:٣٠-٣١]، نسددكم ونثبتكم ونعينكم ﴿ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يعني وفي البرزخ وفي الآخرة، ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ يعني في الجنة ﴿ مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فصلت:٣١-٣٢].

-نسأل الله الكريم من فضله، فهذه هي المحافظة على الأعمال-.

ضد المحافظة أمران:

الأول: الانقطاع، أن الإنسان يأخذ الأمر بجد في أول الأمر وحماس وعاطفة، ثم يمل ويتكاسل وينسحب تدريجيا، وهذا خطأ، وهذا يبتلى به غالبا الشباب في فترة المراهقة، ويبتلى به من كان على نقص استقامة ثم استقام، فإنه يجد من نفسه إحساس بالقصور والنقص فيتحمس ويشدد على نفسه ثم ينقطع ويرجع للحالة الأولى، وهذه مصيبة. ومثل ذلك: النساء، كثير من النساء إذا تزوجت تغيرت إلى دون حالها الأول، وغير ذلك من العوارض، وشأن أهل الإيمان: أنهم بينهم وبين الله عقد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة:٥]، طول الحياة، وهذا عهد مسئول ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤]، والمعنى: لا نعود إلا أنت ولا نستعن إلا بك، ومن عبد الله تعالى بما شرع يرغب عن الشرع ما يليق هذا أبدا، ومن استعان بالله يترك الاستعانة بالله يريد أن يكله الله إلى نفسه وجهله والخلق؟ هذه بلية ونقيصة.

والثاني: أن الإنسان قد يحبط عمله مثل إنه يتصدق ويظهر المنة على المتصدق عليه، والله تعالى قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤]، ومثل هذا أن الإنسان يعمل عملا بينه وبين الله جل وعلا مخلصا، ثم يبتلى في مجلس من المجلس، ويتصنع للخلق بالتسميع إنه يكون تعالى كذا، وإنه يكون تعالى كذا يريد حظوة عند الناس، أو تحصيل شيئا من دنياه، أو أن يزوجوه أو نحو ذلك، فيفتن في هذه اللحظة الدقيقة الحرجة، ثم يحبط عمله، لأن هذا من محبطات العمل، فالسمعة مثل الرياء السمعة أن تسمع بعملك إن كان قولا حالا كالقراءة والوعظ والتذكير والخطبة وغير ذلك والأذكار، أو إنك تتحدث عن عملك، الذي ما رآه غيرك، فتتحدث بالتصنع للناس وهذه بلية.

ولهذا ضرب الله لهذا مثل السوء قال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ [النحل:٩٢]، يعني كالمرأة الخرقاء التي أحكمت الغزل وأتقنته ثم عادت ونقضته، هذه خرقة امرأة خرقة حمقاء، ومن الناس من يكون له اجتهاد في رمضان ولا في عشرة ذو الحجة ولا كذا، ثم إذا انتهى الموسم عاد لما عليه حتى من كبائر الذنوب، وهذا أشد من خلق المرأة التي تنقض غزلها.

والإنسان ما يرضى بالمثل السوء، يحتاج المرء إلى أنه يدرك أن هداية العمل الصالح نعمة من الله عليه، وأن هذه الهداية فتح باب خير لله إن استمر عليه فتح الله له أبواب مثلها وأعانه، وأن الأعمال الصالحة تثبت الإيمان وتقويه وتزيده فهو صاحب تجارة مع الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر:٢٩]، ربحا عظيما لا تعقبه خسارة، لماذا؟ لأنهم يتاجرون مع الله عز وجل، فالله يجزي على العمل الصالح الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضاف كثيرة لا يعلمها إلا الله، ثم يعطي

ثوابا من عنده فضلا غير مقابل عمل، ما يقطع الإنسان صلته بالله جل وعلا، ولا يكون أسوة سوء ولذلك أخبر النبي ﷺ: إن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل. وأن أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه، وهو الأسوة ﷺ للأمة، فكان إذا عمل عملا أثبته يعني داوم عليه حتى يعرف عنه ويشتهر به، ويتأسى به فيه، وهذه غنائم عظيمة جدا، والدين ما هو محل تجارب، ولا محل مجاراة ومجاملة للناس لا هذه عبادة بينك وبين الله جل وعلا.

ولذا قال النبي ﷺ في الحديث الآخر: «**والله لن يمل الله حتى تملوا**»، يعني لا يقطع ثوابه عنكم حتى تقطعوا أنتم عملكم، وهذا يثبت لله على ما يليق بجلاله وعظمته في حق من يستحقه من ينقطع عنه العمل وكذا، فهو الذي تسبب في قطع ثوابه وانقطاع عمله، يحتاج المسلم إنه يتعاهد نفسه، ولهذا شُرعت الاستعانة بالأذكار والدعوات والمحافظة على الأعمال الصالحات وحضور مجالس الذكر، والمذاكرة بين الإخوان إذا التقوا ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟﴾ يوصي بعضهم بعض ﴿بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر : ١-٣].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد:١٧]، فيتراحمون ويتذاكرون ويتواصون ويشد بعضهم أزر بعض، ويحرص الفقيه والعالم والعابد يكون أسوة لغيره فيكون له مثل أجر من اقتدى به، وهذه من الدعوة بالأحوال والأعمال وهي أبلغ من الدعوة إلى الله بالأقوال، والناس يتأثرون بالفعل والحال أبلغ من التأثر بالقول.

فينبغي للإنسان أنه إذا فتح الله له باب عملا صالح أن يغتبط ويغتنم هذه الفرصة ويدوم عليها وينتظر من الله مزيد مثلها، مع مضاعفة الأجر والتثبيت، وأيضًا من الفوائد في هذا وهي غنيمة الدهر: أن الإنسان إذا اعتاد العمل الصالح سهل عليه عند تقدم السن، وحتى في حال الخوف والفزع، وحتى في حال المرض، لأن الشيء الذي تنقاد له النفس تعتاده ويسهل عليها ما يكون مثل الشيء الجديد، فكذا، والصحابة رضي الله عنهم كلهم يتعاملون بهذه الطريقة حتى يقول أحدهم: والله أنا ما أدري ربما إني في آخر يوم من حياتي أخشى أني ما أعيش لغدا، ستأتي أحاديث إن شاء الله فيها بيان أن الإنسان إذا فاته العمل إنه يقضيه لقول النبي ﷺ: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك**».

ومثل ذلك إن النبي ﷺ إذا فاته حزبه من الليل ورده قراءة أو صلاة أو غير ذلك قضاه، إلا إذا كان شيء من ذوات الأسباب يعني مربوطة بأسبابها وطال الوقت بين السبب وبين الفعل، فهو يصير انتهى وقته ما يقضى هذا، فينبغي للإنسان أن يكون على حرص وعلى علم ودراية بهذا الشأن، لأن هذا من أسباب البركة في العمل الصالح، وكثرة العمل الصالح، ورفعة الدرجة عند الله جل وعلا، وفقني الله وإياكم لذلك ولإخواني المسلمين في جميع الأحوال وسائر الأماكن ما عشنا، وأن يحسن الخواتيم، ويحسن العواقب عواقب الأمور في الدنيا والآخرة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لي رسول الله - ﷺ: «**يَا عبْدَ الله، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**». متفقٌ عَلَيْهِ.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِنَ اللَّيلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً. رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذان الحديثان وجوب المحافظة على الأعمال الصالحة، فإذا فتح الله عز وجل على العبد باب عمل صالح فليغتبط بهذا، وليحافظ عليه، وليخلص الله تعالى فيه، ويتحرى السنة، لأن هذا من البشارات العظيمة، فأول البشارات العظيمة للمسلم في الدنيا: أن الله تعالى يشرح صدره للفقه في دينه ومعرفة أحكام الله تعالى، وكيفية العبادات، وكيف تُكمل، وتُحصل الأجور، لحديث النبي ﷺ قال: «**مَن يُرد الله به خيرا يفقهه في الدين**»، -نسأل الله الفقه في الدين للجميع-.

والبشارة الثانية هذه: أن الله عز وجل يوفق العبد لعملٍ صالح، ما كان يعمله في السابق، يفتح له باب صلاة الضحى، باب صلاة الليل، باب الصدقة، باب صلة الرحم، باب تفقد الضعفاء والمساكين، باب كف الأذى عن أهل الإسلام من نفسه ومن غيره، فإذا وفق الله العبد لهذا معناه إن الله أراد به خيرا.

والدليل على هذا الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده الخير استعمله**».

وفي رواية قال: «**عسله**»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**يفتح له بين يدي موته**»، يعني قبل وفاته «**باب عمل صالح**»، والمعنى: يثبته عليه حتى يلقى الله تعالى عليه، فمثل هذه بشرى للمسلم ما يعرض عنها ولا يغفل عنها، ويجعلها على باله، ويسأل الله تعالى المزيد.

ومن البشارات كذلك: أن المسلم كل ما عمل خيرا، والمراد نوافل العبادات والطاعات فتح الله تعالى له بابًا مثله، فيتنوع العمل الصالح، ما بينه وبين الله تعالى وما هو في حق نفسه هو، وما يتعداه إلى غيره من المسلمين من قريب أو بعيد. فهذه من البشرى، حتى يظهر عمل المسلم لأنه يتعدى للناس وينتفعون الناس منه ويستفيدون منه، فيحبه الناس ويجعل الله له القبول في صدور الناس، وقد قال ﷺ

في هذه البشارة: «أنتم شهداء الله في أرضه من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار».

ولهذا النبي ﷺ قال لعبد الله ابن عمر بن العاص: يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل. يعني يقوم من الليل، «فترك قيام الليل» يعني لا تترك قيام الليل، وعبد الله بن عمرو بن العاص صاحب عبادة واجتهاد، وربما أن هذه الكلمة من النبي ﷺ حفزته على الاجتهاد في العبادة وقراءة القرآن، حتى كان يختم كل ليلة، وكان يصوم الدهر حتى منعه النبي ﷺ وقال: «صم يوما وأفطر يوما»، قال: أطيق أفضل من ذلك؟ قال: «لا أفضل من ذلك هذا صيام داود عليه السلام».

واستمر على هذا لأنه جرى بينه وبين النبي ﷺ كلام في هذا والتزم للنبي ﷺ بهذا، فلما كبر عجز فصار يصوم المدة خمسة عشر يوما، وعشرة أيام وكذا، ثم يفطر مثلها عشرة أيام يتقوى على العباد، ويقول: يا ليتني أخذت بوصية النبي ﷺ.

فالنبي ﷺ ما سمى الشخص الذي نهى عبد الله أن يكون مثله، قال: لا تكن مثل غلام. ما سماه، أو عبد الله نفسه ما سماه، ومن قاعدة النبي ﷺ: إنه ما يسمى الأمور التي هي معيبة وناقصة، بل يقول عند الحاجة: ما بال أقوام يفعلون كذا.

ما بال ذاك الشخص، تربت يمينك، (٠٦:٤٠) ولا يسمي، لأن الإنسان قد يكون عند فترة في زمن، ثم يعود وينشغل، فيكون حذر منه وهو على عمل صالح، وبعدين هذا فيه تنقيص لقدره، وإساءة للظن به، فما يصرح باسم الشخص، والواحد إذا أراد أن ينصح يقول: لا تكن مثل بعض الناس، ولا يجعل له إشارة أو رمز يفهمه، لا، لكن بعض الناس يفعل كذا وكذا هذا خطأ، لا تكن مثل بعض الناس، وبعض الناس من محبته للخير وصراحته يصرح هو بنفسه يقول: إنه كان يفعل كذا وكذا، لا تكون كأن يفعل كذا من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عليه، وإذا أراد يستفتي يقول: إن بعض الناس يسأل عن كذا وكذا. أحد يسأل عن كذا، أحد عنده مشكلة، خلاصتها كذا، حتى يبين لك الحكم من غير قرنه باسم الشخص، أو إنك أنت تكسب سرك وسترك الله يستر عليك وأنت تكشف، فهذا لا ينبغي أبدا.

والحديث الآخر: إن النبي ﷺ كان عمله ديمة، كان إذا عمل عملًا أثبته، ويخبر أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل، فكان النبي ﷺ أحيانا تعرض له بعض الأمور، يعرض له مرض ألم، يعرض له شغل، يعرض له كسل، فيترك ما اعتاد أن يصلي في أول الليل، وفي ثلث الليل الأول، وفي نصف الليل، وقد يترك الوتر لأن النبي ﷺ كان يصلي ما كُتب له تسليمة، تسليمة، تسليمة، ركعتين، ركعتين، ثم يختم بوتر، يصلي ثلاث ركعات بسلام واحد، هذا الوتر خمس ركعات بسلام واحد، سبع ركعات بسلام واحد، فربما جعل الوتر آخر الليل، يعرض له ما يعرض، فيتركه آخر الليل، فيجري الله عز وجل قدره عليه بالنوم ما يستيقظ إلا في آخر الليل على السحر، فيقضيه من النهار فلا يقضيه على صفته على صفة الوتر ثلاث، خمس، سبع، تسع. لا بل يختمه بشفع، ويصليه من الضحى، والعلماء -رحمهم الله- قالوا: إن الشخص إذا صلى من الليل ما كُتب له وبقي عليه الوتر فنام عنه فله أن يصليه بعد الفجر، وقبل صلاة الفجر، لأن هذا يدخل في عموم قول النبي ﷺ: «**مَن نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك**».

أما إذا كان ما صلى من الليل وعادته أن يصلي ثلاث، خمس، سبع، تسع، إحدى عشر، فإنه يقضيه بعد طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح بعشرين دقيقة، ويجعله شفع يجعل الثلاث الأربع والخمس الست والسبع ثمان والتسع عشر يُسلم من كل ركعتين، والإحدى عشر اثنا عشر، ولذلك حدثت عائشة رَضِوَاللَّهُعَنْهَا: أن النبي ﷺ كان يصلي يقضي حزبه من الليل ورده يعني المعتاد من الضحى اثنتي عشرة ركعة، لأنه كان يصلي إحدى عشر ركعة في الغالب.

وجاء في بعض الروايات عنه ﷺ: أنه كان يصلي ثلاث عشرة ركعة. لكن هذه مفسرة لأنه إذا فرغ من الوتر إحدى عشر ركعة صلى ركعتين وهو جالس لكبر سنه وما يجده من المرض بعد .....خيبر يصلي ركعتين وهو جالس تكميلا للوتر، مثل ما أن المغرب هي وتر النهار ويصلي بعدها ركعتين تكميلا للوتر، وهذه من السنن الراتبة، فيحتاج المسلم أن يعتني بهذا، وأن يكون على منهج وعلى علم وبَينة ما هو بس يحاكي الناس لا يكون على علم، لأن هذه هي السنة، ولأن هذه الكيفية هي المطلوبة، وهي الفاضلة، حتى يكون الإنسان على بصيرة من دينه.

ويُخبر عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أن العبد إذا مرض أو سافر كُتب له ما اعتاده من عملٍ صالح، وهو صحيح، وهو مقيم، وهذا فضل من الله عز وجل، وهذا من فائدة المحافظة على الأعمال، وأنك إذا عرض لك عارض وشغلك عنها أو قلبك متعلق بها فإن الله تعالى يكتبها لك كاملة وأنت ما عملتها.

والله تعالى يزيد بفضله ما يشاء، -زادنا الله وإياكم من فضله-.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب الأمر بالمحافظة علَى السنة وآدابها

- قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[النجم:٣-٤].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ [الأحزاب:٢١].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾ [النساء:٦٥].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩]. قَالَ العلماء: معناه إِلَى الكتاب والسُّنّة.

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ ﴾ [النور:٦٣].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب:٣٤]، والآيات في الباب كثيرة.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

ففيما سمعتم من الآيات التي أوردها النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وإيانا في وجوب إتباع سنة النبي ﷺ، وسنة النبي ﷺ هي أقواله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأفعاله، وأحواله التي هي بيان لما أنزل إليه من ربه.

وما كان عليه من الخُلق، وما حدث في زمانه موافقا لما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأقر الناس عليه، وما كان مخالفا فإنه ﷺ ينبه عليه، والوحي كذلك ينزل بهذا الشأن، فإتباع النبي ﷺ على سنته هو دليل

الإيمان برهان الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، وسبب لمحبة الله جل وعلا، وسبب لزيادة الهدى، والله تعالى قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

فامتحن الله تعالى أهل الإيمان بإتباع النبي ﷺ على سنته، وأنها دليل أن إتباعهم دليل على محبة الله تعالى، ومحبة النبي ﷺ، وسبب لمحبة الله تعالى، ومغفرته سبحانه لمن اتبع سنة نبيه ﷺ، ورحمته إياه، وهذه مغانم عظيمة وخيرات كبيرة ووفيرة، وهي علامة هدى قال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤].

ولهذا توعد الله جل وعلا على من ترك السنة مستخفا ومتجاهلا لها بقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا ترك بعض سنة النبي ﷺ يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

فالتأسي بالنبي ﷺ دليل عظم الرجع لله جل وعلا، ودليل على ذكر الله تعالى، وأخبر سبحانه وتعالى أنهم لا يؤمنون لو ادعوا الإيمان حتى يحكم النبي ﷺ فيما اختلفوا فيه، قال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ [النساء:٦٥]، قسم من الله جل وعلا ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥]، ولا يكفي بعد هذا بل لابد من الرضا والتسليم لحكم النبي ﷺ، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

فجمع الله تعالى الخير بحذافيره في الدنيا والبرزخ والآخرة في إتباع النبي ﷺ على سنته.

وقال بعض السلف وهي دليل على الفقه في الدين وعلى خطورة مخالفة السنة وتركها عمدا، قال: **"ما ترك أحد سنة النبي ﷺ"**، يعني مستخفا بها **"وهو يعلم إلا لنوع كِبر في نفسه"** خفي وهذا خطير جدا كيف يتكبر الإنسان على سنة النبي ﷺ، لا يسع المسلم إلا التسليم، فلهذا ينبغي للناس أن يعظموا السنة.

قال ابن عمر رضي الله عنه في مجلس: إن النبي ﷺ قال: «**لا تمنعوا إيماء الله مساجد الله**»، يعني لا تمنعوا نسائكم المساجد إذا استأذنكم للصلاة فيها، مثل رمضان، وغير ذلك، فكان عنده أحد بنيه فقال: والله لنمنعهن، يعني إن النساء أحدثن بعد النبي ﷺ تبرجا، وخروجا بالزينة، كما قالت عائشة رضي الله عنها: **"لو رأى النبي ﷺ ما أحدثت النساء لمنعهن المساجد كما منعت بنو إسرائيل نسائها مساجدها لما تبرجت.**

فقال ابن عمر لابنه: **أقول لك قال رسول الله ﷺ**: «**لا تمنعوا إيماء الله مساجد الله**»، وتقول: والله لنمنعهن، والله لا أكلمك أبدًا، وما كلمه حتى مات.

وكان عبد الله بن مغفل رضي الله عنه الصحابي الجليل في مجلس، فحدث عن النبي ﷺ قال: إن النبي ﷺ نهى عن الخذف، الخذف ايش؟ إن الواحد يأخذ الحصاة الصغيرة مثل الحمص ويرمي بها كذا بالإصبع، وإن النبي ﷺ نهى عن الخذف وقال: إنها تفقأ العين ولا تنكأ العدو، فكان ولده حاضر يعني سفيه فأخذ حصاة وقال بها هكذا خذف بها حذف يعني، فقال أقول لك: إن النبي ﷺ نهى عن الخذف وتخذف والله لا أكلمك أبدا، انظروا غيرة الصحابة رضي الله عنهم على السنة كيف، مع أن هؤلاء لهم تأويل لكن تظاهروا بمعارضة السنة استعجلوا يعني ولا ذكروا المسوغ، فهذا من تعظيم الصحابة رضي الله عنهم للسنة من تعظيمهم للسنة، ومن تعظيمهم للسنة: إن النبي ﷺ قال: «**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**».

ايش فعل الصحابة رضي الله عنهم؟ أخذوا السواك وجعلوه على الأذن بمثابة القلم من أذن الكاتب ما عندهم... (٠٩:٥٠) في ذاك اليوم، من شأنه ما يشرع في صلاة إلا بعد أن يتسوك من شدة تحريهم للسنة، وعنايتهم بالسنة، وأن صلاة بسواك أفضل من صلاة بلا سواك بالإجماع، فلماذا يترك الفضل والأجر عشان ماذا؟

يكلفك تشتري سواك بنصف ريال تجعله في جيبك مثل القلم، أو مثل الجوال الذي لازمه الناس وصار جزء من الجسم ما هو من الملابس والأغراض لا من الجسم، حتى إن الإنسان ينام عليه ويستيقظ عليه والعياذ بالله، وهذا يخشى أن يكون تأليه لغير الله وتعلق بغير الله.

فانظروا عناية الصحابة للسواك سُنة فقط ما هي واجب، ولعلمهم أن النبي ﷺ كان يحب السواك وأنه من شدة حبه للسواك مات ﷺ والسواك على لسانه كذا ما تركه حتى وهو في النزع عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالواحد إذا جاءت الإقامة لبس مخباته ولا شيء وتلفت ولا سواك طيب وايش سويت بعد هذا، اليوم الأول والثاني والعاشر وين تعظيم السنة؟ يخشى من هذا، يخشى من مغبة هذا الشيء. فالإنسان يعظم سنة النبي ﷺ في صدره، ويأخذ لها حسابها، ويرجو من الله ثوابها، ويتبع النبي ﷺ على سنته لمحبته لله تعالى، ولرسوله ﷺ، ولطمعه في المزيد من فضل الله عز وجل، ولأن هذا من الشكر، والشاكرين يزيدهم الله ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد:١٧]، والذين اتقوا ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٧].

والنبي ﷺ قال: «عليكم بسنتي»، وعُرف أن النبي ﷺ ما ترك السواك حتى في حال النزع، وأنت تتركه وأنت واقف بين يدي الله عز وجل، وكل يوم يتكرر منك؟ فهذا مظهر من مظاهر عدم الاهتمام بالسنة، وكم من المظاهر اليومية، فيخشى على الإنسان أن يعاقب بحرمان العمل الصالح بسبب استهانته بالسنة، لأن النبي ﷺ هو المبين عن الله تعالى دينه، وهو القدوة الحسنة قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١]، أما ترجو الله واليوم الآخر؟ فانتبه لهذا، واستعن بالله وأخلص لله تعالى واسأل الله تعالى أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يستعملك في طاعته، وأن يتوفاك على سنة النبي ﷺ، فإن من توفي على السنة فهو آمن من أهوال البرزخ والآخرة والنار، وفقني الله وإياكم للإخلاص لوجهه سبحانه وتعالى، والإتباع للنبي ﷺ على سنته فإن هذان شرطان لقبول العمل: الإخلاص في القصد والنية، وإتباع النبي ﷺ في أصل المشروعية، وفي الأداء والكيفية.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْء فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- عن أَبي نَجيحٍ العِرباضِ بنِ سَارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوعظةً بَليغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رسولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأوْصِنَا، قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن السنة هي أقوال النبي ﷺ أمرًا ونهيًا وإرشادًا وترغيبًا وترهيبا وأفعالا التطبيق لذلك، لأنه ﷺ هو الأسوة، وأحواله لأن الأحوال هي التي يلازمها النبي ﷺ، وتسمى: الهدي، ولذلك كان ﷺ يقول: «**إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ**».

وهي الحكمة التي امتن الله تعالى بها على المؤمنين ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة:١٢٩]، القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السُنة يعني المراد بالقرآن العظيم، وكيفية العمل بالقرآن العظيم تطبيقا وما يتفق مع القرآن العظيم، وما يخالف القرآن العظيم، وما يجب نحو القرآن العظيم، فالسُنة بيانًا للقرآن، والنبي ﷺ أمضى ثلاثا وعشرين سنة وهو يبين القرآن، حتى فهم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ذلك فهما جليا صحيحا، وما أشكل عليهم راجعوا فيه، وقال ﷺ: «**تركتكم على بيضاء نقية**»، أو قال: «**نقية**»، «**ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**».

ولما خطب في حجة الوداع قال: «**إنه يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، فإنكم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟**»، قالوا: **نشهد أنك قد بلغت ونصحت وأديت**، فقال: «**اللهم اشهد عليهم**».

فهذه هي السنة، والسنة قرينة القرآن، والقرآن العظيم والسنة هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وتطبيق النبي ﷺ تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وعبادة الله تعالى

وفق هديه وسنته، هذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، فانظر يا عبد الله هل أنت محققا للشهادتين أم لا، والآية في سورة الأحزاب تخوف تخويفا شديدا لكل ذي لب مؤمن بالله واليوم الآخر، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، أن يختاروا غير ما اختار الله تعالى، والرسول ﷺ لهم، قال بعدها ايش؟ ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، شهادة رب العالمين وخبره ﴿ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾، يعني مؤكدا، وعاقبة الضلال الهلاك والخسران، وكل ما ترك من سنة ضل بحسب ذلك إنا لله وإنا إليه راجعون، فالمسلم يحكم سنة النبي ﷺ في باطنه، في عقيدته، وفي أعمال قلبه التوكل والإنابة والرغبة والرهبة والمحبة والخشوع والخشية والأمور الخفية التي بينه وبين الله عز وجل، ويحكم السنة في ظاهره، في لباسه، في شعره، في كلامه، كما يحكمها في توحيده وفي صلاته وفي صدقته وفي زكاته وفي صومه وفي حجه، حتى يطمئن أنه أدى حق الله عليه على ما يرضي الله جل وعلا، وعلى ما يحقق شهادة أن محمدا رسول الله، وكيف وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥].

فمن لم يحكم النبي ﷺ في لباسه، في كلامه، في شعره، في وضوئه، في غسله، في كذا، في كذا فهو عنده تردد في السنة، وقد يواجه ناسا من غير أهل الملة فيقول له ينظر إلى مخالفة هو محقق لها هذه المخالفة فيقول: هل كان نبيكم ﷺ يفعل هذا؟ فتقول: لا، أنت أول الذين ما هم مقتنعين من النبي ﷺ، وأنت من المسيئين إلى النبي ﷺ في هديه وسنته، فتطعن في شهادتك أن محمدا رسول الله، وهذا خطير، وكبير جدا.

وقلت لكم في الدرس الماضي: إن الصحابة رضي الله عنهم هجروا من اعترض على السنة لما بلغوا السنة في المجلس، واعترض من اعترض بتأويل يعني يقول إن الناس غيروا وإن الناس كذا وكذا، قال: والله لا أكلمك أبدا، أقول لك: قال رسول الله ﷺ كذا، فتقول: كذا وكذا، فينتبه الإنسان لهذا يعيش الإنسان دهرا من عمره وهو يعلم أنه مخالف للسنة في أمر خفي، أو في أمر ظاهر، ويطمئن على نفسه من العقوبة والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور:٦٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفتنة الزيغ لعله إذا ترك بعض شيء من سنة النبي ﷺ أن يزيغ ويهلك يزيغ قلبه ويهلك.

فهذه خطيرة جدًا جدا خطيرة هذا، وقلت لكم أن بعض السلف قال: إن الإنسان لا يترك سنة معلومة مدة إلا وفي نفسه شيء من الكبر. كبر على ماذا؟ على السنة، ولا ينال العلم مستحيٍ ولا متكبر، يستحي الإنسان من تطبيق السنة، يترك السنة وهو يعلم، ويأمن العقوبة أن تنزل به في ليلٍ أو نهار أو وهو نائم، أو أنه تعرض له عند النزع في أحرج أحواله، كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: **"الدواء الشافي أو الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"**.

ذكروا أن أناس كانوا على معصية مخالفة للنبي ﷺ، والناس يعلمونها منهم فلما جاءت نزع ولقنوا الشهادة ما استطاعوا أن يلفظوا بها ما لك يا فلان؟ قال: كذا وكذا، عملي الذي كان كذا وكذا الفلاني على لساني ما أستطيع أن أنطق بالشهادة، فمات ولم ينطق إنا لله وإنا إليه راجعون، وهذه خطيرة جدا لأنها تنبأ عن سوء الخاتمة.

فاحذر احذر يا مسلم هذا الشيء، ولذلك النبي ﷺ أوصى بسنته كثيرا في الحديثين...(٠٩:٠٣) فيما هو معناه، وقال: «**إياكم ومحدثات الأمور**»، ما يحدثه الناس من مخالفات للسنة لا تقتضون به، «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»، وكل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خلفاء راشدون للنبي ﷺ، وأخصهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ. ترتيبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، هذا المعتقد عند أهل السنة والجماعة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- عن أبي هريرةَ ﵁ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: «دَعُوني مَا تَرَكْتُكُمْ، إنَّمَا أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَى أنْبيَائِهِمْ، فَإذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْء فَاجْتَنِبُوهُ، وَإذَا أمَرْتُكُمْ بِأمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

- الثاني: عن أَبي نَجيح العِرباضِ بنِ سَارية ﵁ قَالَ: "وَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ موعظةً بَليغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنهَا العُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رسولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأوْصِنَا، قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثيرًا، فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّنَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ بِدعَةٍ ضَلاَلَةٌ». رواه أَبُو داود والترمذي، وَقالَ: «حديث حسن صحيح».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد خطاب النبي ﷺ الصحابة ﵃ يومًا بشأن المناسك، ومما قال: «**أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج، فحجوا**»، فقام رجل من الصحابة ﵁ الأقرع بن حابس وقال يا رسول الله: أكل عام؟ فكره النبي ﷺ هذا الاعتراض، وسكت، ثم قال: «**لو كنت نعم، لوجبت، ولو جبت لما استطعتم، فذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم**»، يعني بنو إسرائيل بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لأن كثرة السؤال تدل على أمورٍ ليست طيبة، إما إنه السائل متشدد، والتشدد هو الذي أحرج بني إسرائيل في شأن البقرة، فإنهم قالوا لما أمروا بذبح البقرة بشأن أحد وارث قتل مورثه، وطالب بدمه، وهو القاتل، فلما راجعوا موسى ﵇، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة:٦٧]، وتأخذوا عظما منها، وتضربوه بها فيحييه الله عز وجل، ويخبركم عن القاتل.

فكأن الواجب عليهم يمتثلوا على طول ويمشي الموضوع. ما لونها؟ ما هي؟ ما كذا يعني سألوا عن اللون وعن العمر وعن الحالة، حتى لم يجدوها إلا عند امرأة عجوز طلبت عليهم ملء جلدها ذهبا. ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١﴾ [البقرة:٧١]، بسبب تكلفهم وتشددهم.

فلذلك النبي ﷺ قال: «**إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم**»، يعني كأنه متشككون في الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، ما يصدقونهم، ولا يطمئنون إليهم، وربما إنه صار السؤال سبب التشديد، والبلاء موكل بالمنطق، جاء رجل من الناس إلى النبي ﷺ، وقال يعني وقع في ذهنه شبهة من الشيطان، قال: الرجل يرى الرجل مع أهله، فكيف يصنع إن قتله قتلتموه، وإن تركه وايش يسوي؟ فكره النبي ﷺ مقالته ولم يجبه، لما صار بعد مدة جاء، وقال إن الذي هو قال ابتلي به فوقع، فصارت أول قضية ... (٠٥:٢٥) والتفريق بين الرجل وامرأته بالأيمان الخمسة. يشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وهي تشهد أربع شهادات بالله أنه من الكاذبين ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النور:٩].

فلما شهدوا كلاهما فرق النبي ﷺ بينهم، وقال: «**الله يعلم أن أحدكم كاذب**» قطعا يعني، والتفريق هذا أبدي طول الحياة. ومن آيات نبوة الناس، وقال: انظروا إذا حملت ولدا إن كان يشبه كذا فهو كذا، وإن يشبه كذا فهو كذا، فدل هذا على إن البلاء موكل بالمنطق، وأن الإنسان قد يسأل السؤال فتقذف في قلبه الشبهة، قد يسأل السؤال والبلاء موكل بالمنطق، فيبتلى بما تكلم به، وسؤاله من الفضول ما له داعي. حتى إن من الناس، أنا سمعت قال، والله أعلم قصده... مثل ما قال النبي ﷺ: «**لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»، فما لقيهم بعد عامه هذا هو هذا الرجل، جرت عليه جناية وتوفي.

فلا ينبغي أن الإنسان يتكلم بكلام ارتجالي ويكون سبب للبلاء البلاء موكل بالمنطق. ولذلك النبي ﷺ قال: «**ذروني ما تركتم**» اسكتوا، «**فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فما نهيتكم عنه فاجتنبوه**».

ما يكلفكم شيء، اتركوه. وانتهى الموضوع. «**وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم**» لأن المأمور به مراد لذاته يصلح القلب، ويصلح النية، ويصلح الجسد، ويصلح الدنيا، ويصعب الآخرة، فلذلك ائتوا ما استطعتم ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وما نهي عنه ليس مرادًا لذاته مرادا لغيره حتى يحفظ الإيمان، ويأمن القلب من القسوة، حتى لا يتجرأ الشخص على حرمة الله جل وعلا، ولهذا قال: «**اجتنبوه**».

وهذا فصل كلام فصل واضح وبين ما يحتاج.

الحديث الثاني: خطب النبي ﷺ الصحابة وتكلم بكلامٍ بليغ رقيق مليء بالحنية والشفقة، فشعر الصحابة رضي الله عنهم أن هذه وصية لهم، وأن هذا نجاء وشعار بقرب أجله وهو كذلك، قالوا يا رسول الله: كأنها موعظة مودع فأوصنا، يعني زدنا وصية، وهذا من اجتهادهم وحبهم للخير وإلا كان يكفي ما سمعوا، فأوصاهم أول شيء بحق الله بتقوى الله، هذا حق الله عليهم، وكل مسلم ينبغي أنه يفهم هذه الوصية له ما هي بكلمة تقال عابرة على اللسان لا أنت في أي مقام، وفي أي حال تذكر ما يحبه الله منك فائت منه ما استطعت، إذا أُذن للصلاة ما يحبه الله منك هو أن تتوضأ وتروح المسجد، مع الوالدين البر والأدب، مع الزوجة حسن العشرة، مع الأولاد مراعاة وصية الله فيهم الرفق بهم، والتعليم، والتأديب «**لئن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بصاع**».

علموا أولادكم لأنهم خلقوا لغير زمانكم، ومع جارك حسن الجوار والإكرام وكف الأذى، مع أهل السوق الصدق والبيان وترك الكذب والكتمان السلع والبيوع، عند دخول المسجد الذكر المشروع عند الدخول، عند الخروج الذكر المشروع عند الخروج، عند دخول المنزل الذكر المشروع عند الدخول، عند الخروج الذكر المشروع عند الخروج، عند بداية الطعام الذكر المشروع عند الأكل والفراغ منه الذكر المشروع بعد الفراغ، وهكذا.

في الصباح أذكار الصباح، في المساء أذكار المساء، عند النوم أذكار النوم، عند الإقامة أذكار الإقامة، إذا رأيت أذى في الطريق تميطه إذا كان ما يكلفك ولا في إحراج وليس بمشكلة، هذه تقوى الله في كل مقام بحسب حتى إذا هاجت الريح تسأل أن يرزقك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، ويعوذك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به، سمع صوت الرعد فيقول: سبحان من يسبح الرعد بحمد والملائكة من خيفته، اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك...

فتكون دائما حاضر البديهة فيما يتعبدك الله به، هذه تقوى الله عز وجل، وجملتها: أن يُذكر سبحانه فلا ينسى، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر. هذه تقوى الله حق التقوى.

الوصية الثانية: فيما يحفظ على الناس أمنهم، واجتماع كلمتهم ويتقون به تسلط الأعداء عليهم، ويحذرون من التفرق في دينهم، فقال: «**اسمعوا وأطيعوا**»، يعني اسمعوا لمن ولاه الله أمركم في غير معصية الله، هذا الشرط اسمعوا وأطيعوا.

قال: «**وإن عبد**» والعبد أشق ما يكون على قريش والأنصار، قال: حتى ولو كان كذلك اسمعوا مراعاة لمنصبه، واجتماع شملكم عليه، ووحدة كلمتكم، فإن هذا يقطع طمع أعدائكم بكم، وهذا يحملكم على التعاون على الخير وعلى مصالحكم، ويمنعكم من الاختناق والتفرق الذي يقتضي التنافر، والتهاجر، والتحاسب، والتباغض، والجناية، هكذا.

هذه الوصية الثانية.

الثالثة: ما يحفظ به الدين. قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**».

وقلنا: سُنة النبي ﷺ هي هديه، وبيانه لما أُنزل إليه من ربه، وطريقته في العمل، كيفية العمل، هو الأسوة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأحفظ الناس لهذا: الخلفاء الراشدون والصحابة رضي الله عنهم كلهم خلفاء راشدون، لكن أخصهم الأربع الخلفاء: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي -رضي الله عن الجميع- ، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم عموم الصحابة، كل ما بلغنا عن أصحاب النبي ﷺ، فإننا نأخذه ونقبله لأنهم أعلم الأمة بكتاب الله تعالى، وبهدي النبي ﷺ، لماذا؟

لأنهم أول من خوطب بالوحي، ولأنهم حضروا التنزيل، ولأنهم شاهدوا الرسول ﷺ واقتدوا به في صلاته، في صيامه، في حجة، في عبادته، في أشياء كثيرة جدا، ونقلوا لنا هذا غضا طريا كأننا نشاهده، فكل الصحابة رضي الله عنهم عدول، مزكون من الله عز وجل، ولهذا رضي الله عنهم وأرضاهم في كلام يتلى وهم أحياء يمشون على الأرض، ومعنى ذلك: أنهم يثبتون على دينهم حتى يلقوا الله عليه، فلا يوجد قوم مجتمع بعد المرسلين والنبيين -عليهم الصلاة والسلام- أفضل من الصحابة رضي الله عنهم، وهم أفضل من كل الأمم في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٤٣]، ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال النبي ﷺ عنهم يوم القيامة: «**إنكم توفون يوم القيامة سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل**».

وأخبر النبي ﷺ عنهم يوم القيامة: أنهم أول من يدخل الجنة، -جعلنا الله وإياكم معهم، من التابعين لهم بإحسان-.

وقال: «**إنهم ثلثا أهل الجنة**»، فأكثر أهل الجنة صحابة الرسول ﷺ، ومن اتبعهم بإحسان. ولهذا نحن معنيون بإتباع الصحابة بإحسان، ومحذرون من مخالفتهم في آيتين من كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠]، هذه في الصحابة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، هذه في التابعين ومن جاء بعدهم إلى أن يأتي الله بأمره، جعلنا الله وإياكم منهم. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة:٨]، شهادة من الله عز وجل ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٠]، -جعلنا الله وإياكم من أهل هذا الوعد الكريم- ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠].

وحذر الله تعالى من مخالفة الصحابة النبي ﷺ وأصحابه أشد التحذير، ما ورد في القرآن أشد منه لأهل الإسلام، قال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥]، غير سبيل الصحابة ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

ما في وعيد أشد من هذا، وإن كانت آية الربا شديدة، لأن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران:١٣٠-١٣٢].

فانظر أنت في هدي النبي ﷺ وأصحابه في توحيدهم وذكرهم لله ودعاءهم لا تخالف، انظر هدي النبي ﷺ وأصحابه في لباسهم لا تخالف، انظر هديهم في شعورهم شعور أجسادهم حتى شعر جسمك أنت ما هو على هواك تتصور وتحط لك شخصية وصورة أنت تخترعها لا مأمور بإعفاء اللحية وإنك ما ترخيها وتتركها وتكرمها، ومأمور بأخذ الشارب، ومأمور بأخذ الإبطين شعر الإبطين، ومأمور بأخذ شعر العانة الرجال والنساء، وأنها لا تترك هذه الشعور فوق ثلاثين يوما، أعني الشارب في حق الرجال، والإبطين والعانة في حق الرجال والنساء ما تترك فوق أربعين يوما، فالتارك عاصي، هذا في الشعور.

في اللباس: هل تعلم أنت أو غيرك من الأمة وليقل واحد إن النبي ﷺ كان يسبل؟ لا، بل أخبر النبي ﷺ أن المسبل لا ينظر الله إليه ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم، أعده من أصناف من لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم. انظر في هذا، وهكذا بقية الأمور كيف كان النبي ﷺ يأكل، كيف كان يشرب، كيف كان يغتسل من الجنابة، كيف كان يتوضأ، كيف كان يعامل جاره، كيف كان يعامل كذا، كيف كان في جميع أموره ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، قدوة صالحة وحسنة وجميلة ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

أما إن خالفت فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، في شيء أي شيء ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [الأحزاب:٣٦]، يقول: هذا هدي النبي ﷺ أنا ما لي أنا ما أحتاج له، ويجعل له هو طريقة وهدي يعيش عليها الدهر ويموت عليها والعياذ بالله، والله ما له حجة عند الله عز وجل، لو كان عنده شبهة يسأل.

قال في هذا الذي يخالف: ما قضى الله ورسوله فيه بأمر قال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦]، فالله ورسوله في طريق وهو في طريق آخر، الطريق الذي قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال النبي ﷺ: «**تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي**».

وقال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**».

وما سواه فسبل مؤدية إلى النار، من سلك سبيلا منها أوقعه في النار إلا أن يتوب قبل موته. ولهذا قال: «**إياكم ومحدثات الأمور**»، سواء محدثة بعد الصحابة، أو في زمن الصحابة وأنكروها ﭫ، أو بعدهم، أو بعدهم، أو هذا الزمن أو بعد هذا الزمن بزمن، أي محدث يُنسب إلى دين الله فهو ضلالة، والضلالة في النار كل ضلالة في النار، وهي شر المحدثات من يرضى أن يكون على شر الأمور شر المحدثات على الضلالات وهو يؤمن بالله واليوم الآخر.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد أورد الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في باب المحافظة على السنة، أنه ﷺ، قال: «**كل أمتي يدخل الجنة إلا مَن أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**مَن أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**».

وفي الحديث الثاني: إنه احترق بيت في المدينة على أهله من الليل، فقال النبي ﷺ. فأخبر النبي ﷺ فقال: «**إن هذه النار عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم**».

وفي حديث آخر: «**فإن الفويسقة**» يعني الفارة. أو ا لجرد، تحرق على أهل البيت في بيتهم، يعني في وقته ﷺ تنزع فتيلة السراج، وهي مشتعلة، فتسبب حريقًا في البيت، فقوله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، معناه أن النبي ﷺ بعث رحمة وهدى للناس. وأنه يرشدهم إلى مصالح دينهم، ودنياهم، وآخرته، وأن من أطاعه فوق عبادته، أو حقق عبادةً لله جل وعلا من جهة التي توجب السعادة الدنيا والآخرة، تؤمنه من النار، وتجعله في عداد أهل الجنة دار الأخيار، -جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة تحصل للعبد السنة خير ما تجري به المقادير، وتدرأ عنه شر ما تجري به المقادير-.

ومن هذا الإرشاد؟ لأن النبي ﷺ لما أخبر عن البيت الذي احترق على أهله في المدينة. قال: «**إن هذه النار عدو لكم**»، يعني احترسوا منها، «**فإذا نمتم**» يعني إذا أردت النوم فأطفأوها عنكم. فإن الفويسقة تحرق على أهل البيت بيتهم. فهذا الإرشاد العظيم من النبي وسلم لأمن البيوت من شر النار.

ولما قال ﷺ: «**إن ناركم هذه**» أي نار في الدنيا يعني. «**إنها جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**»، فماذا تفعل النار في الدنيا؟ كم يصير فيها من هلاك البرية، وتلف الأموال، وغير ذلك من الآثار البليغة، والله تعالي جعلها مع الناس ﴿ تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الواقعة:٧٣]، تذكرة بنار جهنم حتى يتقوها، ومتاع للمسافرين.

والناس كلهم مسافرون في الدنيا، يلفظون الأنفاس ما هم على الخطوط السريعة، لا، على الأنفاس، ما صعد من النفس لن يعود. وتستنفد الأنفاس باستكمال الليالي والأيام، فهم مسافرون،

ينتفعون من النار بإيش؟ إنهم يستدفئون بها، وينضجون بها طعامهم، ويدفئون الماء، وغير ذلك من المصالح، ويكفي إن النار الآن هي التي تحرك السيارات والمعدات الكبيرة بجميع أنواعها. النار هي التي تدفعها، فإن الوقود يحترق بطريقة بإذن الله جل وعلا، ويحرك أجهزة المصنوع هذا فيتحرك يمشي على الأرض، ويطير في الهواء، وينخر عباب البحر، وغير ذلك من المصالح العظيمة التي عرفها الناس، وكل يوم يعرفون منها جديدا.

﴿ وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ ، للمسافرين متاع لكم في الحياة، لكن الغرض الأساس ماذا؟ التذكرة بنار الآخرة، ولما قال ﷺ: «إن ناركم هذا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم»، قالو يا رسول الله، الصحابة رضي الله عنهم من فقههم: إن كانت كافية نار في الدنيا؟ قال: «فضلت عليها نار جهنم بتسعة وستين جزءًا»، تصور؟ وكيف تكون ﴿ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة:٢٤]، والتي لباس أهلها فيها الحديد، والأغلال من حديد، والسلاسل من حديد، والأغلال من حديد، ولباس من حديد.، وكلما نبضت جلودهم بدلوا جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب، ولا يفتر عنهم وهم فيهم مبلسون، واذا طلبوا إنه يخفف عنهم ألف سَنة يطلبون إنه يخفف ينادون خازن النار إنه يميتهم، أو يخفف العذاب؟ فبعد ألف سنة يناديهم يقول: ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الزخرف:٧٧]، ما لكم غير هذا الحل هذا اخترتموه أنتم.

طيب إذا قال النبي ﷺ: «كلكم تدخلون الجنة إلا من أبى»، الذي يأبى وين يروح؟ هو في نار ثانية في دار ثانية غير النار؟ ما في ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الشورى:٧]، -جعلنا الله وإياكم منهم-، ﴿ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى:٧]، -أعاذنا الله وإياكم من حالهم ومآلهم وأعمالهم-. ما في إلا هذين الدارين.

لا دار للمـــرء بعــد المــوت يســكنها ... إلا التــي كــان قبــل المــوت يبنيهــا
فــإن بناهــا بخيــرٍ طــاب مســكنها ... وإن بناهــا بشـــر خـــاب بانيهـــا

ويقول الحكيم الشاعر:

ومـــــن المـــــروءة للفتـــــى ... ســـــــــكناه دار الآخـــــــرة
فاشـــــــــكر إذا أوتيتهـــــــــا ... واعمـــــل لـــــدار الآخـــــرة

اجعل همتك مصروفة لأمانك في الآخرة، ببناء دارك في الآخرة التي تبنى بالكلمات الطيبات، من القرآن الكريم، والأذكار المباركة، والدعوات الصادقة، والأعمال الصالحة، وتجنب ما يضاد ذلك وينافي، وينقص كمال الواجب، ويؤثر فيه، ويقدح فيه.

فإذًا من يعرض عن سنة النبي ﷺ وهو عاقل!.

خذ هذا الحديث فقط: «**إن هذه النار عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها**»، هذا في زمن النبي ﷺ.

قال أقرب مثال: «**فإن الفويسقة تحرق على أهل البيت دارهم**» بماذا؟ تجر فتيلة السراج فقط؟ الذي هو كالحين يسمى أبو تفلة، فتحرق على البيت. طيب الآن كم فيه من خطر في البيت؟ الآن الشواحن خطر، ولا لا ؟ خطر بإجماع العالم ما هو بالمسلمين بس الشواحن خطر الآن.

ثانيا: الذي هي مراوح الشفط خطر؟ خصوصا في الحمامات، خصوصا في المطابخ، وعدد من هذه المخاطر الكبيرة، طيب الأجهزة الكهربائية التي وكل شأنها الآن للشغالة، هل الشغالة تبالي؟ هي تسحر أهل البيت؟ تسوي لهم فتنة ومصيبة يشتركون فيها كلهم، إذا صار بينها وبينهم خلاف أيسر شيء عندها السحر. وكم من أسرة تضررت بالسحر؟ وكم، وكم، فالكهرباء أبسط شيء تشعل وتروح.

طيب كم عندنا مخاطر في البيوت الآن؟ كثير، هل نأخذ حذرا؟ وإذا كان الله عز وجل قال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور:٦٣]، عن أمر النبي ﷺ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣]، أقرب عذاب أليم الاحتراق في البيت، الانقلاب بالسيارة، وكذا وكذا وكذا. الاحتراق بالأجهزة، الغاز عندكم؟ الغاز بإجماعه، مشكلة المشاكل، يكون في تسريب وموكول للشغالات والأطفال، الناس نائمين في البيت، يقوم الطفل ويصنع له سندوتش، ويله، احسب هذا الذي يترك الغطاء أو الطعام مكشوف شبع وتركه مكشوفا، يبعدني، يبعد أن يترك الغاز مولع، يبعد أن يترك الشاحن وهو مجروح، يبعد أن يكون كذا وكذا.

أن تكون توصيلة الأجهزة ضعيفة، تكون خطيرة، تكون مجروحة تكون كذا. كذا. كذا. كذا.

انظروا هذه النصيحة واحدة فقط: «**إن هذه النار عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها، فإن الفويسقة تحرق على أهل البيت بيتهم**».

ونصيحة أخرى: يقول ﷺ: «**إذا كان جنح الليل أو أمسيتم**»، يعني بقي على المغرب ساعة أقل. «**فكفوا صبيانكم**» كفوهم، لماذا؟ هذا ما يوجد بالكتالوجات، والله ما يوجد، «**كفوا صبيانكم، فإنها ساعة تنتشر فيها الشياطين**».

فيصاب يعني أولادك بالصرع، يسيئون إلى الشياطين وهم تحت الشجر، تحت الجدران، في الطرق، على جوانب الطرقات، غيره، غيره، فيصابون بالمس والصرع، «**فإذا مضى من الليل ساعة**»، يعني بعد غروب الشمس وصلاة المغرب، بنصف ساعة وكذا فاتركوهم، لكن الساعة الذي تنتشر فيها الشياطين كذا، وسَنة من السنوات أنقلوها عني أنا سنة من السنوات صرع لاعب من اللاعبين قبل غروب الشمس، كانت المباراة قبل غروب الشمس، فصرع، وإذا به مس كذلك.

بلغني الخبر، وكلمت أحد المسؤولين، أن هذا ما يصلح، لا بد أن تكون المباراة إما في أول العصر وتنتهي قبل المغرب ولا بعد المغرب ولا بعد العشاء؟ اجعلوها بعد العشاء أري لكم، وقبل رَحِمَهُ اللهُ، واعتمد هذا... إلى يومكم هذا، إلا أن يشاء الله، هذ أمور عارضة يعني، -وكفانا الله ما سمعنا شر هذه الظاهرة-.

طيب النصيحة الثالثة: يقول النبي ﷺ: «**أغلقوا الباب**»، باب المنزل من الدخول «**واذكروا اسم الله، وأوكوا السقاء**»، اربطوا فم السقاء القربة يعني الذي يحط فيها اللبن ولا الماء ولا السمن ولا كذا ولا كذا أو العسل، واذكروا اسم الله، وأطفئوا السراج، واذكروا اسم الله.

وخمروا الإناء، غطوا الإناء، والله في الصحيحين الحديث هذا، «**واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح مغلقا**».

نصائح ذهبية والله لو جاءت من أحد الكفار صار له منزلة عند بعض الناس، وهي نصيحة الذي قال الله تعالي عنه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[النجم:٣-٤]، -اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، انظروا الوصايا وصايا عجيبة ومفيدة ومع الناس ومعايشة الناس وتدفع عن الناس بلايا كبيرة، ومصائب مفاجئة، وفواجع موجعة.

آخر نصيحة أذكرها لكم: إن النبي ﷺ قال: «إذا دخلت فاذكر اسم الله» وأخبر أن الرجل، أو راعي البيت، أو من يدخل البيت، «إذا دخلت فذكر اسم الله مع الباب، إن الشيطان لا يدخل معه» ويقول للشيطان الآخر: «ما تدخلون خلاص».

ولذلك يقول: فاتكم الدخول؟ فاتكم المبيت. وإن لم يذكر الله عند الدخول، قال: أدركتم المبيت. فإن ذكر الله عند الطعام قال: فاتكم الطعام العشاء، وإن لم يذكر الله قال: أدركتم العشاء.

وقال النبي ﷺ: «لو أن أحدكم حين يأتي أهله» يجامع زوجته قال: «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقدر بينهما ولد، لم يضره الشيطان».

وإذا لم يذكر اسم الله عند الجماع جامع معه الشيطان، يأكل معه، يشرب معه، يدخل معه البيت ويجامع معه، من الذي يرضى بشراكة الشيطان؟ وأن الغيرة على الحرمات؟ وأين الرحمة بالذرية؟ وأين؟ وأين؟ وأين؟ لكن السنة ظهريا، والنبي ﷺ يقول: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور في الدين، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضالة في النار».

والله تعالي يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب:٣٦]، من اختار غير ما اختار الله تعالى له ورسوله ﷺ ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦]، ايش عاقبة الضلال؟ سار في طريق هلكة، الهلكة قد تكون جزئية، هذه المصائب والبلايا، وعسر العيشة، وعسر كذا، وضلال كذا، ويكون الولد نكد على والديه، ويكون كذا، ويكون كذا، وتدخل الشياطين في البيت، ولا تسأل من الطلاق، ولا تسأل عن المشاكل، قد تكون هلكة عامة في نار جهنم.

فأرشد النبي ﷺ داخل بيته أن يذكر اسم الله عند الدخول: «بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله توكلنا، اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج» هذا واحد.

الثاني: أنه يدخل بوقار السواك في البيت، حتى إذا رأى شاي مكبوب، ولا بيبسي، ولا كسر زجاج، ولك كذا وكذا ما على طول يعاشر الزوج ويحضر الشيطان وينتهي الموضوع بالطلاق، وقضايا

بالمحاكم، وتفريق، وهدم للبيوت وتشتيت للأسر، ونكد، حتى المهر الباقي بالذمة لازم يسدد ويفرق كامل، وحتى كذا وحتى كذا، وحتى يطلق هو عشر؟ ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٠]، والله المستعان، وحتى، وحتى، واليوم بعد صارت الخفة بين الرجال والنساء، إلا ما رحم الله -رحمنا الله وإياكم-، تكتب، وتبشر صديقاتها بأنها انحلت عقدة النكاح، وتجعل حفلة بالمناسبة، فهذا يعرف من أخلاق المسلمين!، والله ما يعرف من أخلاق العرب في الجاهلية، ويندمون ولهم قصائد... ومصائب.

يقول:

نـــدمت ندامــــة الكســـــعي لمـــا غـــدت منـــي مطلقـــة النـــوار

هذا حزن، والآن قضايا في المحاكم، والله لا طرف لا أول ولا آخر، ولا شيء، وربما إنه استغلت بعض الجوانب ما يسمى بالعنف الأسري، وغير ذلك، وغير ذلك، يتشفى الخصوم بعضهم من بعض، إذا كانوا في القضايا هذه يتشفى. فأين نحن وأين المسير؟ وأين الناس رايحين، اذكر اسم الله عند الدخول، ادخل بسواك أوقر لك، وأهيب لك، لا تستعجل على الأمر بالإنكار، ما تدري ايش الظروف، يمكن ...(١٩:١٢) وهو حار، يمكن إنه عبث بالغاز واشتعلت نار، يمكن صار كذا يمكن صار كذا ليش؟ جاهز أنت؟ المسدس موجه بس تريد المشكلة أنت هواك يعني المشكلة، وتكون هي مملوءة النفس من المسلسلات والتمثيليات ورسائل الجوالات، الآن صار في جروبات، وصار فيه تجمعات نسوية، وصار فيه كذا وكذا تحرر من العنف الأسري، هذا موجود ترى، وأنت ما تدري أجودي أنت ولا كذا، ولله أجودي، إلى متى الطيب الحياة هذه.

ثم إن النبي ﷺ قال: «**يسلم على أهلها الثالثة**»، إذا دخلت فسلم على أهلك يكون بركة عليك، وعلى أهلك، الآن من الذي يسلم ها، ليش هذا كذا، وين أنتم رايحين، وايش سويتوا، وايش صار. يعني جهاز ناري مجهز للإطلاق هذا يصلح هذا !! أين الرحمة؟ وأين الألفة؟ وأين العشرة؟ وأين الرحم؟ وأين عقد الزوجية الذي سماه الله: غليظا؟ لا المرأة تعظمه، ولا هو يعظمه ايش صرنا. وين حياة النفس، ومتى العقل؟ إلى متى طيب؟ وهذه وصايا النبوة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾، وشرع رب العالمين الرؤوف الرحيم، البر الكريم، ما يريد الله ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا

﴿يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، والله يريد بكم كذا، كم في القرآن العظيم من آية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

ومع ذلك كل هذا يترك على جنب، ويحاكى الممثلون السقطة الفاشلون وأهل التمثيليات، وأهل المسارح؟ وأهل كذا وكذا وكفار بعد، لا دين، لا عقل، لا مروءة، لا كذا، لا كذا، لا كذا، لا كذا، ما (٢١:٣٧).

فإلى متى تكون هذه؟ وارجع إلى الحديث: «**إن هذه النار عدو لكم، فإن الفويسقة تحرق على أهل البيت بيتهم**».

الآن كم أعوان الفويسقة؟ من داخل البيت، ومن أهل البيت؟ فإلى متى؟ فلابد من عقل، ولابد من روية، ولا بد من تدارس الاوضاع، ولا بد من حيطة، قيم البيت يتفقد البيت، وأول شيء، أول شيء أخرجوا الصور من منامكم من مسكنكم موطنكم، اجعلوها في الملحق، اجعلوها في الأحواش، اجعلوها عند النفايات، لكن صور مجسمة، وتخلونها معكم في البيوت، وتدخل الشياطين بدون حرمة للبيت. تجتمع عليكم الشياطين والفويسقات والوسائل التي تحرق البيوت وتسبب المشاكل داخل البيوت، وأنتم ما تذكرون الله إلا ما شاء الله، وإلا القليل، حتى الأوراد، والله إنهم ينامون على الجوال الواحد يغمض وهو على الجوال، وأنه أول ما ينتبه بالجوال، وايش يفوتك؟ وايش أنت خائف؟ ما يفوتك شيء؟ والله الغالب إنه يفوتك الشر بعد، وتحصل الخير، لا يذكرون الله عند النوم، ولا يذكرون الله أذكار...

وقليل مَن يذكر الله أذكار الصباح، وقليل من يذكر الله أذكار المساء، متى تحفظ ومتى كذا أنت الجابي وأنت الآبي، يقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**».

وحديث آخر، قال: «**والله لتدخلن الجنة**»، يقول ﷺ: «**لتدخلن الجنة، إلا من نشرد على الله شراد البعير الضاد عن أهله**».

ما تريدون الرحمة يعني؟ فكيف يكون الحلال هذا!؟ فانظروا السنة في جانب، وحال كثير من الناس في جانب بعيد عن السنة ولا هو قريب. لا أذكار، لا أوراد، لا كذا، لا كذا، لا آداب، لا

كذا، لا تحرز. حتى الطفايات ما هي بالبيوت، وحتى كذا وكذا تخالفون الأنظمة العامة في لمحلات وفي البيوت وفي كذا إلا بالإلزام والغرامات هذه حال. ما تدرون إن في ناس يخالفون الأنظمة الآن إلا بإلزام الغرامات ما يريدون السلامة من الحرائق، ولا يريدون السلامة من كذا، ولا من كذا. ولا من كذا. فإلى متى؟ وهل الناس في عقولهم؟.

يقول قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**كنا نحدث**» وقتادة من التابعين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويروي عن الصحابة، والصحابة يروون عن النبي ﷺ، وأنه كلما تأخر الزمان خفت العقول، وطاشت الاحلام، حتى يكون الناس في خفة الطير، وأحلام السباع.

السباع ترحم؟ لا ما ترحم، فإذا كان سبع على نفسه يحرق نفسه، ويفجر نفسه لأدنى سبب، فكيف يسوي بأهله إذا قدر وغضب عليهم؟ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة:١٥٦].

وكم من أولاد قتلوا آبائهم؟ وكم من أزواج قتلوا زوجاتهم؟ وكم من زوجات قتلت أزواجها وأولادها، وكم وكم واسمعوا الأخبار يوميا. يوميا تنتشر ظاهرة ايش؟ القتل جناية بالبنزين، بالسلم، بالأسلحة، بالتفجير، بكذا، بكذا يوميا تنتشر وتنشر، وإذا كثر المساس قل الإحساس وتعودها الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

١٥٨ – الثَّالثُ: عَنْ أَبي هريرةَ – ﵁: أنَّ رَسُول الله – ﷺ – قالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أبى ». قيلَ: وَمَنْ يَأبَى يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أبَى». رواه البخاري.

١٥٩ – الرابع: عن أَبي مسلم، وقيل: أَبي إياس سَلمة بنِ عمرو بنِ الأكوع – ﵁: أنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُول الله – ﷺ – بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بيَمِينكَ» قَالَ: لا أَسْتَطيعُ. قَالَ: «لاَ استَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ فمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم.

١٦٠ – الخامس: عن أَبي عبدِ الله النعمان بن بشير ﵄، قَالَ: سمعت رَسُول الله – ﷺ – يقول: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُول الله – ﷺ – يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأنَّما يُسَوِّي بِهَا القِدَاحَ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ. ثُمَّ خَرَجَ يَومًا فقامَ حَتَّى كَادَ أَنْ يُكَبِّرَ فرأى رَجلًا بَاديًا صَدْرُهُ، فَقَالَ: «عِبَادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

١٦١ – السادس: عن أَبي موسى – ﵁ – قَالَ: احْترَقَ بَيْتٌ بالمَدِينَةِ عَلَى أهْلِهِ مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رسولُ الله – ﷺ – بشَأنِهِمْ، قَالَ: «إنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فإِذَا نِمْتُمْ، فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَثلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أصَابَ أرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أجَادِبُ أمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ؛ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»، متفقٌ عَلَيْهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الله تبارك وتعالى قد امتن على خاتم أنبيائه ورسله، محمدٍ -عليه وعليهم الصلاة والسلام جميعًا-، بأعظم منه، بقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [النساء:١١٣]، القرآن العظيم، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ السُنة والعمل بالكتاب والسنة، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣]، فالحمد لله على فضله ومنه، وخاطب المؤمنين من هذه الأمة، من أولها ووسطها وآخرها، بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة:٢]، ما كانوا يقرأون، ولا يكتبون، ولا لهم علاقة بالأم من ناحية العلم، ولا شيء، ﴿ بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة:٢] يعرفون أصله ونسبه وصدقه وأمانته وكرمه، ورحمته وشفقته، وأنه يريد لهم الخير، ولا يريد لهم ضد الخير، ﴿ بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة:٢]، هؤلاء هم الصحابة رضي الله عنهم، من المهاجرين والأنصار وغيرهم ممن دخل في الإسلام.

﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [الجمعة:٢] القرآن العظيم، ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعة:٢] بالعمل، بالآيات وبالسنة، ولهذا قال: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ [الجمعة:٢-٣]، كل من أتى بعدهم على منوالهم محبًا لهم معظمًا لهم، داعيًا لهم، مستنًا بهم، لازمًا لطريقتهم ومناهجهم في العلم، والاعتقاد، والقول، والعمل، والخُلق، والتعامل، ﴿ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:٣-٤]، على الجميع، ﴿ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾ [الجمعة:٤]، الحمد لله شكرًا، والمنّ لله فضلًا، هذا يشمل كل الأمة إلى أن تهب ريح من قبل الشام،

وتقبض أرواح المؤمنين، ويبقى الكفار يتهارجون، كتهارج الحمر، عليهم تقوم الساعة وهم شرار، وذلك بعد نزول عيسى بن مريم وقتل الدجال بمدة،

ومثل ما ذكر هذه المنة على الأمين، والذين لم يلحقوا بهم، خاطبه خطابًا صريحا، فقال سبحانه: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [البقرة:١٥١]، ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ ﴾ [البقرة:١٥٢]، يعني على هذه النعمة واشكروني؛ ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة:١٥٢]، هذا جزاءكم إذا ذكرتموني ذكرتكم، ومن ذكره الله أكرمه، ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى ﴾ [البقرة:١٥٢]، إنعامي عامة، وهذه النعمة الخاصة بعثة النبي ﷺ بالهدى ودين الحق، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢]، احذروا أن تكفروا وتجحدوا ولا يهمكم العلم.

ومن المظاهر نسمهم والعلم إنه يمر بالمسجد، ولا بحلقة الذكر، ولا بالحرم ولا بغيره من المسجد النبوي -على صاحبه أفضل الصلاة والسلام-، ولا تطيب نفسه إنه يجلس خمس دقائق عشرا يسمع خيرا بل يعرض أعراض الجفاة، وهو غير مشغول، في الواقع، لو كان مشغول، كان معذور، لكن لا، بس لأنه تعود الجفاء، وإلا يجلس في حلقةٍ يعرف أن أهلها مبتدعه من صوفيةٍ باطنية، أو خوارج مارقة مثل التبليغ، والإخوان وأضرابهم، والسورية، وغيرها، فلا ذا ولا ذاك اجلس في حِلق أهل العلم الأكابر واسمع خيرًا واسأل ما بدا لك وكن على بينة من دينك، وعبادة الله -جل وعلا-.

ولهذا وعد الله عز وجل الشاكرين الذاكرين القابلين للعلم، العاملين به، المعلمين له، المحافظين له، المبلغين وعدهم الوعد الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣] كل الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة:٣٣].

ولذلك قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم، ولا من مخالفهم، حتى يأتي الله بأمره**»، -جعلنا الله وإياكم من أئمته-.

فهذا العلم الذي خص الله تعالى به هذه الأمة ما أعطاها الله أمة قبلها، أعطى الأمم السابقة منه، لكن هذا العلم العظيم المحقق للمصالح الدافع للمفاسد، الدال على خيري الدنيا والآخرة المُسعد

لأهله في الحال بالعاجلة والآجلة، الذي يرفع الله أهله درجات عنده، ﴿كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران:٧٩]، موحدين، ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران:٨٠].

فاحرص على أن تكون من هذه الطائفة المنصورة، المؤيدة بالحق إلى قيام الساعة، وهي الناجية في الدنيا من الفتن، والناجية من النار يوم القيامة، وأهوال القيامة، وهي كذلك أول من يدخل الجنة بعد النبي ﷺ، وهي كذلك في أرفع درجات الجنة، وهي كذلك أكثر أهل الجنة، حتى خص النبي ﷺ هذه الأمة بشيء، عجيب وعظيم، وغبطة، قال: «الجنة مئة وعشرون صفا أنتم ثمانون صفًا منها».

يعني تعدلون الثلثين في الجنة، فكن منهم يا عبد الله، عليك بالعلم، ولهذا النبي ﷺ ضرب مثلاً لهذا العلم، واستقبال الناس له، فقال ﷺ المثل يقرب المعنى والمعقول بذكر المحسوس حتى يُفهم، قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم**».

يعني من العلم والعمل به، البيان له، والعمل به التطبيق الحق على الوجه الذي أرضى الله تعالى، وسأثبت رضاه عن أهله في كتاب يتلى إلى أن يُرفع القرآن العظيم.

«**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم**» ايش هذا المثل؟ مثل استقبال الناس له؟ مثل أنواع من الأرض معروفة عند الخاص والعام، ما أدري عن جيل اليوم؟ لكن الزمن ماضي معروف، كمثل الغيث الكثير، يعني الطيب المبارك، المتتابع، «**أصاب أرضًا، فكانت**» ثلاث أقسام: «**فكان منها طيبة**»... (١٠:١٦). فيها رمل وفيها طعم وفيها كذا وكذا، «**فأنبتت الكلأ والعشب الكثير**».

يعني قبلت العلم، وعملت به، وانتفعت، ونفعت الناس، مثل الأرض قبلت المطر، «**فأنبتت الكلأ**» الربيع، والمراد: بالربيع الأخضر والرطب، ما هو باليابس حق العام لا أنبتت الكلأ والعشب الكثير، فرآها الناس، وأكلوا، وزرعوا، يعني أصابوا خيرًا كثيرًا، هذه الطائفة الأولى، وهم أولهم أصحاب رسول الله ﷺ، ومن اتبعهم بإحسان، وخواصهم هم العلماء الربانيون الذين يقومون في الأمة بتجديد الدين، وحفظه على المسلمين، وحسن الأسوة للعبادة، والذب عن الدين، يذبون عنه. تأويل الجاهلين وانتحال الغالين، وتأويل المبطنين، هم أخص هذا بالوصف، جعلنا الله وإياكم من أئمته، ويدخل فيهم عموم من العلم، وعمل به، وعلمه من أهل الإسلام، هذه الطائفة الكريمة، مثل الطائفة

الكريمة من الأرض، وكانت منها طائفة أخرى، نوع يعني من الأرض منخفض ومتماسكة، وواسعة، فصبت فيها الوديان والشعاب، وامتلأت حتى فاضت وبقي فيها الماء نظيفًا طريًا عذبًا أشهرًا حتى يبلغ ثلثي السَنة، فسقى الناس بهائمهم، وملئوا أوعيتهم، ونقلوه إلى مواطن سكنهم، فذلك مثل من حفظ العلم، لكنه ما أعطي فقهًا فيه، يحفظ بالضبط، لكنه يبلغ لغيره، كما قال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»، وقال: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب حامل فقهٍ غير فقيه، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ورب مبلغٍ أوعى من سامع**».

فهذه أمسكت الماء مدةً طويلة من السنة، وانتفع الناس، ويردون عليها ويسقون غيرهم، ويتوضؤون ويصلون غير، وكذا، فهذه طائفة كريمة، لكنها دون الأولى، لأنهم ضبطوا العلم رواية، ولم يضبطوه دراية، ما تفقهوا وتأهلوا لاستخراج الأحكام، ومعرفة الخلاف في المسائل، والراجح بدليله، والمرجوح، والدليل على أنه مرجوح، ومراعاة مقاصد الشريعة، وقواعد الشريعة.

والموازنة بين المصالح والمفاسد، المصالح بعضها مع بعضهم، والمفاسد بعضها مع بعض، والمصالح والمفاسد عند التزاحم، وهذا شأن العلماء الأكابر والجهابذة، العلماء الربانيون، فهذه على خير، لأنها محبة، ويكفي إن الواحد إذا سمع الخطيب، أو الواعظ، أو المُذكر في المسجد أو الدرس، أو سمع بآلة من آلات النقل هذه يسمونها: التواصل، عن عالم ثقة، حفظ هذا، وسأل عن معناه، وعلم أهله وتدارسه هو وإياهم، كيفية العمل به، وصار أسوة صالحة لهم، كل يوم عنده جديد، والله العظيم إني أنا أدركت عوام من شبان المسلمين، كل جمعة، إذا رجعوا حدثوا أزواجهم، وأولادهم، وكذا، وكذا، بل أنا سمعت، من عوام المسلمين من يحفظ هذا، وإذا رجع للبيت على قهوة الفجر، أو قهوة العصر، يقول: ما الذي حرم إسرائيل على نفسه؟! يسأل الأولاد، رجال لهم عيال؟ ها والله ما ندري، إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أصيب بعرق النساء، فنذر إن عافاه الله تعالى أن يحرم أطيب الطعام عنده، وأطيب الشراب، وكان ذلك جائزًا في شريعته، هذا نقله عن إمام المسجد.

فلما عافاه الله نظر، وإذا أطيب الطعام لحوم الإبل، وأطيب الشراب ألبانها، فحرمهما على نفسه، قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ ﴾ [آل عمران:٩٣].

أنا سمعت هذا شايب من شبان المسلمين عامي محسوب من العوام، والثاني لما رجع قال لهم ليش ابنة شعيب، أو الرجل الصالح الذي ذهب إليه موسى بن مدين، ليش قالت لأبيها: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص:٢٦] كيف تقول: استأجره وهو أجنبي وجديد، توا جاي، وهي بكر ما تكلم الرجال ولا تخالطهم، فالتفت بعضهم على بعض الذين في المجلس ما يدرون من هم الذين مشغولين بالصفق في الأسواق كل يوم مهمة إلا الفقه في الدين أو العمل به.

فقال: إنها قالت لأبيها: إنهم لما فرغوا الرعاة سقوا أغنامهم، وأنا وأختي نذود غنمنا عنهم لا نختلط بهم غطوا البئر، بحجر كبير ما يحمله إلا خمسة رجال، وإنه لما رآنا قال: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣].

فحمل هذه الصخرة بقوة، أعطاه الله إياه، وأبعدها، وزعب بالدلو عدة دلي وأسقى غنمه، فعرفت قوته، طيب الأمانة؟ قالت: إني لما جئت أدعوه إنك أرسلتني إليه لتجزيه أجر ما سقى لنا، إنه قال: أمشي أمامي دلينا الطريق، انظروا التقوى، قالت: فمشيت أمامه ما شاء الله، فكانت الريح تتحرك فتحرك ثوبي عن ساقي، فلم يحتمل، فقال: لا امشي ورائي، وإذا أردتني آخذ يمين أرمي حجر يمين أو يسار ارمي حجر يسار، هذه الأمانة وغض البصر عن الحرمات والمحرمات، ودواعي فاحشة، فهكذا، والله إني سمعت عامة في المسجد، يقرأ الخطيب، الخطيب ما هو بعيد عنهم بالمستوى الخطب يوميا كل جمعة خطب المخطوب رَحِمَهُ اللهُ، وإذا غلط ما يردون عليها الغلط حافظين صم، ليش الاهتمام هذا؟ لأن هذا دين، هذا دينهم، ما يتساهلون فيه، وكان أحد الشباب يمشي بطريق فيقرأ القرآن، وهو يجري يركب، فأخطأ في التلاوة فردت عليه امرأة على رأسها قدر، صحت له القراءة، يعني قرأ غلط فردت عليه لم تحتمل.

هذه العناية بالدين، الإنسان يهتم كم حفظ من آية، كم حفظ من حديث، كم قرأ من تفسير آية، كم قرأ من شرح حديث، كم سمع من فتوى؟ لو واحد يسمع باليوم فتوتين ثلاثة فيصير عالم مع الزمن، والله يرزق الفقه وتنفتح له الأبواب و الله يزكي من يشاء، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨].

هكذا ينبغي للأهل الإسلام، فهذا الصنف الثاني.

أما الثالث: فهم فساق المسلمين، والكفار، الذين ما عندهم هم للعلم، ولا للدين، ولا حاسبوا أنفسهم، ولا تذكروا الموت، ولا أمر الآخرة، وأهوال القيامة، ولا خافوا من النار، وأنها قبل الجنة، وأنه لن يجاوز النار إلا من اتستر منها بالتقوى، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم:٧٢].

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم:٦٣].

ما هم يعرضون، فهؤلاء هم الذين شبههم النبي ﷺ بالتي هي أجاذب أو قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلئًا، يعني أرض صلبة مستوية، ولكنها تشرب الماء ولا تنبت ما فيها أصل بذر ما فيها شيء، هذا الأول: «مثل من فقه في دين الله» -جعلنا الله وإياكم منهم فعلم وعلم ودعا إلى الله على بصيرة، وكان ربانيا، وكان أسوة صالحة لأهله-.

والثاني: من حفظ وبلغ وذاكر مع إخوانه وإذا لقي علم فرح بمجالسته ولقيه حتى يتفهم ما معه من بضاعات طيبة، وهؤلاء الحفاظ من العلماء ومن عامة المسلمين.

والثالثة: هذه السبخة يسمونها العلماء السبخة، ا لسبخة، لا تنبت شجر، ولا تحفظ ماء، ولو حفظ ماء ما فيه خير الماء مالح، هذا المعرض عن كتاب الله، وسنة النبي ﷺ، وهدي النبي ﷺ، فلا يفكر من يتعلم، ولا يعلم، ولا يسأل نفسه، ولا يخاف السؤال. والله تعالى قال عن القرآن العظيم والبيان الحكيم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤].

وقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف:٦-٧].

وهذا خطير يوم القيامة، أو في القبر يقول: ها، ها، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، لأنه ما سمع، ما استمع، ولا فقه، ولا حفظ، ولا همه هذا أصلًا، لو كانت دعاية لشركة ولا لتجارة ولا لجهاز (٢٢:٣٦) في ثواني ربما إنه يستفيد من النشر، وربما إنه يحصل صدقات، وربما إنه يحصل

علاقات، وربما، وربما، ولكن دين الله ما همه ولا إشكال عليه، ويموت جيفة كجيفة الحمار، إلا أن يتوب قبل موته يتوب الله عليه، وإلا هذا غافل، وهم شر الدواب، الغافلون شر الدواب، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٢-٢٣]، سمع استفادة وحفظ ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣]، وهم على هذا الحال من الإعراض ﴿لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال:٢٣].

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨].

والله تعالى خير الناس، بَين لهم وخيرهم، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ [الكهف:٣٠-٣١] من الذين يقول: نِعْم؟ هو الله رب العالمين، والوصف على قدر الواصف ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف:٣١].

جعلنا الله وإياكم ممن أثنى الله عليهم بهذا النوع.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الجَنَادِبُ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخذٌ بحُجَزكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأنْتُمْ تَفَلَّتونَ مِنْ يَدَيَّ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذا الحديث من أدلة رحمة النبي ﷺ بالأمة، وحرصه عليها، وأنه يسعى ليل نهار عليه الصلاة والسلام جاهدا في إبعادهم عن النار، والأخذ بهم إلى الجنة، لكنهم بعض الناس وجملة الناس لا يبالون، ولا يعترفون بهذا الفضل والخير ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وصفه الله تعالى بما وصف به نفسه هو سبحانه، ووصف نفسه أنه بالمؤمنين رحيما، ووصف نبيه ﷺ بأنه بالمؤمنين رحيما، وهذا نموذج ضربه النبي ﷺ ليدل على عنايته بالأمة، وأنه ﷺ إذا أمرهم بشيء، أو نهاهم عن شيء، أو أخبرهم بشيء، أو زجرهم عن شيء، أو ذكر الوعيد، أو البشارة كل ذلك ليستقيموا على الصراط المستقيم، ويعملوا بطاعة الله تعالى، ورسوله ﷺ، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

فضرب النبي ﷺ مثلًا يقول: أنا مثلي معكم مثل إنسان في البرية، آواه الليل، فاحتاج إلى أن يشعل نارا، ينضج بها طبيخه، ويسخن بها ماءه للصلاة وغيرها، ويدهن من البرد وغير ذلك، فصارت الحشرات الطائرة في الليل تقتحم هذا النور، تظنه خيرا وهو شر لها، فيأتين ويقعن فيها البعوض والذباب والحشرات الطائرة، وغير ذلك ما لا يحصى كثرة، يقول: أنا أذبهن وأطردهن بالمهفة أو بمثله، وهن يقتحمن ويقعن فيه، هذا مثل النبي ﷺ مع الأمة، وأن الناس يسمعون السنة وأكثرهم لا

يبالي بها لا يستقيم عليها ولا يلوم نفسه على التفريط فيها، وربما بعضهم لا يرتبط بما اعتاده منها وتربية والديه، وغير ذلك.

فهم يتقحمون النار صباح مساء بكرةً وعشيا وليل ونهار، وفي الصحة والمرض، وفي كل حال، يقول: أنا آخذ بحجزكم عن النار. الحجز هو محل عقدة السراويل ومحل عقدة الحزام أسفل الظهر، يقول: أنا أجتهد فيكم وأنتم ما تبالون. والمعنى: خذوا حذركم، واستعدوا للقاء ربكم، واشكروا نعمة الله عليكم، وهداه لكم، ولا تغفلوا فإنه ليس بمغفول عنكم، هكذا.

وأما أن الإنسان تمضي عليه الليالي والأيام والشهور والأعوام، وهو على وتيرة واحدة ويعلم يعلم يقين أنه على مخالفة حتى لو سئل في مجمع من الناس أو مع الكفار عن شيء من السنة خالفه هل كان يفعله النبي ﷺ؟ يقول: لا، ما يستطيع أن يكذب على النبي ﷺ، أو عن شيء تركه؟ يقول: لا. فإذًا أنت ما تمثل الإسلام ولا تمثل النبي ﷺ، وتسيئ إلى الإسلام، وإلى النبي ﷺ، وتصرف الناس على الصراط المستقيم، ويدخل النار خلق بسببك وأنت لا تبالي حتى من أخص الناس بك، من والد وزوجة وولد وأخ وجار، وغير ذلك، يعني ينظروا أنك لا تبالي، خصوصا إذا كنت ممن يحسن به الظن لظاهره، أو لدعواه، أو لما عُرف عنه من تخصص، وغير ذلك، هذه بلية البلايا، فالكافر يقول: كيف تدعوني وأنت نفسك ما أنت مقتنع بهدى النبي ﷺ؟ كيف تنهاني عن شيء وأنت تخالف النبي ﷺ علانية، كيف تعلم أنك تخالف ولك مدة طويلة كم تمضي أمضيت على هذا من سَنة يقول كذا، من يوم طلع شعر وجهه وهو يحلق، هذا مثال، تعود عشر سنين عشرين سنة وهو يسبل، المرأة تتبرج ولا تبالي وتحط الأصباغ والماكياج وتروح لمجتمع النساء والرجال.

كل هذه مخالفات ومعاصي، والنصوص الشرعية أكثر من مئة دليل دلت على أن من عصى الله بشيء من ترك واجب، أو فعل محرم، ولازم ذلك أنه يكون عرضة لأنه يعذب به يوم القيامة في جسده، مثل الناس الذين لم يسبغوا الوضوء مستعجلين يزعمون أن الوقت انتهى، أو قرب وقت اصفرار الشمس، قال النبي ﷺ: «أسبغوا الوضوء»، وإلا العقاب من النار، فيحتاج الإنسان إلى وقفة جادة مع نفسه وينظر في هذا الأمر ويحذر عواقب الأمور، لأن الموت لا يأتي إلا فجأة وبدون مقدمات، فهذا غيب عند الله جل وعلا، إلى متى؟ حتى لو اعتذر عنك أولادك وزوجتك وقالوا مفرط وغافل، والله يرحمه، أتدري الله يستجيب لك ولا لا وأنت معاند؟

هذه أمور خطيرة ويقع فيها الخاص والعام والكبير والصغير والذكر والأنثى والغني والفقير، والسفيه والعاقل، إلى متى..، والله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحشر:١٨-٢٠].

يقول تعالى في آخر آية فيما ذكر المفسرون رحمهم الله: أنها نزلت من السماء قبل وفاة النبي ﷺ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة:٢٨١].

والله تعالى قال: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٤].

بعد أن قال: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ [النساء:١٣].

كل شيء موضح ومُبين ولا لأحد حجة، الحجة لله على الخلق، رزق الله الجميع الفقه في دينه، والإخلاص لوجهه، وصدق محاسبة النفس، والاستعانة بالله على الاستقامة، والحذر من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، والاستعاذة من شرور الأنفس وسيئات الأعمال والأقوال والنيات والعقائد، والاستقامة على أحسن الأحوال حتى يلقوا الموت على أحسن أحوالهم على أحسن خاتمة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

- وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِي أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ». رواه مسلم.

وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ، فَلْيَأخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيطَان، وَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ بالمِنْدِيل حَتَّى يَلْعَقَ أصَابِعَهُ، فَإنَّهُ لاَ يَدْري فِي أيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ». رواه مسلم.

وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فإذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ فَلْيَأخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلاَ يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ، فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أصابِعَهُ، فإنَّهُ لا يَدْري فِي أيِّ طعامِهِ البَرَكَةُ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فبهذا الحديث الأمر بالمحافظة على السنة، كما في الأحاديث السابقة، وإن الإنسان تكون له نية وحسبة أن يحيي سنة النبي ﷺ، فيتواضع لله جل وعلا، ويثبت محبته للنبي ﷺ، ويعلم أهل بيته المحافظة على السنن والآداب، ويحذر من مشاركة الشيطان له، ويطلب البركة لإتباع السنة، فيرشد النبي ﷺ الأمة عامة، وكل مسلم خاصة، أنه إذا كان يأكل الطعام فإنه ينبغي له أن يلعق أصابعه إذا فرغ من الطعام يلحس أصابعه بلسانه، وكذلك يسلت الصحن بإصبعه الذي يلي الإبهام، حتى يستكمل البركة، لأن البركة في الطعام لا يدرى في أي جزء منه، فلذلك يحرص على تحصيل البركة، مثل ما إنه:

أول شيء: يأكل بيمينه.

ثاني شيء: يسمي الله عز وجل.

وثالث شيء: يأكل مما يليه.

رابع شيء: أنه إذا أكل وفرغ فإنه يلعق أصابعه، كان النبي ﷺ يأكل بثلاثة أصابع: الإبهام، والسبابة التي تلي الإبهام، والوسطى.

فيلعقها فور الفراغ من الطعام، ويقول: «**إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**»، هل فيما أكلتم ودخل أجوافكم؟ أو هي فيما بقي بالأصابع؟ أو هي فيما بقي في الصحن نفسه". المكان المأكول نفسه

فالاحتياط لك: أنك تلعق أصابعك، وتعلق المكان الذي أكلت منه من الصحن، حتى تحتاط في تحصيل البركة، لأن البركة سهم خفي، هذه أمور غيبية، لولا أن النبي ﷺ أخبرنا عنها ما ندري عنها، والبركة منها: أنه يستساغ الطعام، ويهضم، ويتقى شر ما يخالطه، ومن ذلك: أنه حتى لو قُدر أنه سقطت اللقمة من أصابعك على الصمات على الفراش، على الأرض، على التراب، فأمط ما فيها من أذى ما علقها من شيء من أعواد، ولا من تراب، ولا شيء أزله عنها وكلها، فهذا فيه اعتراف بنعمة الله جل وعلا، وتواضع له، وفيه أخذ بسُنة النبي ﷺ، واحتساب المثوبة على ذلك، وفيه طلب للبركة، وفيه حرمان الشيطان من أن يشاركك في طعامك، وفيه البعد عن أخلاق المترفين، المتكبرين.

كل هذه فوائد وكل فائدة لها أجر خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو ما فيها إلا البعد عن الجفاء والكبر يكفي هذا، أما كون الإنسان إذا فرغ من الطعام يلفظ يده على الصمات هذا غلط، أما كونه يمسحها بالفوطة أو المنديل هذا غلط، وكذا كونه يغسلها بالماء، هذا كبر، كبر على النعمة وكبر على السنة، وهذا معصية لله تعالى ولرسوله ﷺ، وهذا أخذ بشأن المترفين الهالكين، والمترفون هم أعداء الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهم أهل النار، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة:٤٥-٤٦].

فهذه آداب تراعى عند الأكل، ومن ذلك: أنه لا يأكل من وسط الصحن، ولا من ذروته، إذا كان في زمرة من الطعام في وسط خذ مما يليك، شيئا فشيئا، حتى تشبع، أو تصل إلى وسط الطعام، أما أن الإنسان يتزين بزي المتكبرين ويحتقر النعمة ويعصي الرسول ﷺ علنا، ويطعم الشيطان معه ! هذا جنون، هذا جنون، هذا كبر، وهذا جنون، وهذا حرمان من الخير، وهذا يخشى على الإنسان أن يُسلب النعمة، أو يُسلب أن يستسيغ النعمة يأكلها ولا يستسيغ ولا ينتفع ولا تهضم.

وربما جلب له ذلك شرا إلى معدته نتيجة شؤم مخالفة السنة، وإذا كنت أنت رب الإصرار على هذا فكيف بالأطفال، وكيف بالخدم والعمالة وغير ذلك ممن يحسن بك الظن ويراك على هذا الجفاء.

وفي كل طعام تطعمه في اليوم مثلا ثلاث مرات ترضى أن الشيطان يشاركك عدوك؟ وترضي الشيطان وتعصي الرحمن؟ وتهجر السنة؟ ! هذا هو عنوان الكبر، وهذا الترف، وهذا التشبه بالمترفين

أعداء الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا نقص في العقل، والله إنه نقص في العقل، الله تعالى ينعم عليك وأنت تجفو في حق الله ولا تشكره على نعمته!، ولذلك تجد بعض الناس لا يسمي عند البداية، ولا يحمد عند النهاية، فيرضى بمشاركة الشيطان له، فهذا جفاء وجهل ولا مبالاة وكبر لا ينبغي للمسلم أن يتصف بهذا، ولا ينبغي أن يكون أسوة فيه، لأن هذه شر الأسوة، تكون من الأئمة الذين يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون!، كل من يحيي السنة ويعلم السنة ويربي على السنة ويلتزم بالسنة حتى تكون يوم القيامة خلف النبي ﷺ، وتدخل الجنة معه بشفاعته، جعلنا الله وإياكم من أول الداخلين للجنة، هكذا ينبغي للمسلم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُول الله ﷺ بِموعِظَةٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّكُمْ مَحْشُورونَ إِلَى الله تَعَالَى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤] ألا وَإنَّ أَوَّلَ الخَلائِقِ يُكْسَى يَومَ القِيَامَةِ إبراهيمُ ﷺ ألا وَإنَّهُ سَيُجَاءُ بِرجالٍ مِنْ أُمَّتي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أصْحَابِي. فَيُقَالُ: إنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأقُولُ كَمَا قَالَ العَبدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة:١١٧] إِلَى قولِهِ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة:١١٨] فَيُقَالُ لِي: إنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أورد النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- وإيانا في كتابه: "رياض الصالحين" (باب المحافظة على السنة) حديث حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قام في أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يوما خطيبا واعظا، وقال فيما قال: «أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى»، يعني لابد وهذا يوم القيامة، فإن أول أمور القيامة نفخة الصعق، ثم نفخة البعث، نفخة الصعق بدايتها نفخة الفزع، هي وحدها أول ما يسمعونها الناس يفزعون وتنتهي بهم إلى الصعق، أنه يقبض كل من كان على وجه الأرض حي، ثم بعد ذلك بمدة يعلمها الله عز وجل تكون نفخة البعث، قالوا: لأبي هريرة راوي الحديث جمعة يعني أسبوع بينهم؟ قال: أبيت، قالوا: شهر، قال: أبيت، قالوا: سنة، قال: أبيت. يعني ما أحفظ عن النبي ﷺ في تقدير المدة شيء، وجاءت الأحاديث الأخرى أنه قبل هذا النفخ نفخة البعث يرسل الله عز وجل على الأرض مطرًا كالطل.

وفي بعض الروايات: «كمني الرجال لا يكن منه مدر ولا وبر»، يعني ولا حجر ولا شيء ينفذ الأرض كلها، ثم تعاد الرفاة التي تفرقت من ابن آدم بل من الحيوان عموما، إلى نواة الخلق وهي خرزة في عجب الذنب في العصعص، خرزة صغيرة جدا هي نواة الخلق أي يعاد الرفاة إليها فتجتمع هذه وهذه، ويصيبها هذا المطر، ثم يُخلق الحيوان في باطن الأرض، كخلقته الأولى، ومن ذلك بنو آدم أنها تكتمل خلقتهم بعظامهم ولحمهم وشعورهم وأظفارهم، وغير ذلك من سائر أبدانهم التي تفرقت، ثم يؤمر إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنفخة الأخيرة وهي نفخة البعث، وتُجعل أرواح الخليقة في الصور والصور قرن

مثل محقان الميكرفون حق المنارة، دائرته كما بين السماء والأرض، فإذا نفخ فيه نفخة البعث طارت الأرواح إلى أجسادها وقد اكتملت خلقتها، فلا تخطئ روح جسدها، ثم تنشق عنهم الأرض بأمر الله تعالى ويخرجون من الأرض ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٨].

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ۝٤٢ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۝٤٣ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤﴾ [ق:٤١-٤٤].

فتقوم هذه الأجساد من قبورها تلفظ التراب عن شعورها قد اكتملت خلقتها، لكن يقومون كهيئتهم يوم خلقوا الخلقة الأولى، غير مكتسين ما عليهم ثياب عراة الرجال والنساء، وكذلك حفاة غير منتعلين، وغرلا غير مختونين حتى القطعة التي أُخذت من ذكر الآدمي للتطهير الذي يسمى الختان أعيدت إليه كاملة، بهما ليس معهم أموال ولا شيء.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **وا سوأتاه ينظر الرجال للنساء، والنساء للرجال؟** قال النبي ﷺ: «**الأمر أعظم من ذلك يا عائشة**»، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس:٣٤-٣٧].

ما أحد ينظر لأحد، فيخرجون على هذه الصورة ويحشرون ينادون للموقف ويجتمعون ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤﴾ [ق:٤٤]. وحينئذ تشقق السماوات وتنزل الأملاك، أولها ملائكة السماء الدنيا تحيط بالخليقة من ورائها دائرة، ثم الثانية، ثم الثالثة، إلى السابعة كذلك، ويقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن:٣٣]، من أين لكم السلطان؟! ما ملكتم فيها لتستترون بها.

قال النبي ﷺ: «**فأول من يكسى إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ»، هذه فضيلة خاصة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والله تعالى فضل النبيين بعضهم على بعض لكلٍ جعل فضيلة، أو فضائل، لكن أفضلهم على الإطلاق هو كمال نبينا محمد ﷺ، فكون هذه خصيصة بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ -وعليهم الصلاة والسلام جميعًا- لميزة أنه ألقي

في النار من أجل الله، من أجل التوحيد، ومحاربة الشرك، فيفترض أن النار أكلت ثيابه وهي لم تأكل، فأراد الله تعالى أن يذكر الناس بهذه الصورة، فهو أول من يكسى، ثم بعده يكون نبينا ﷺ وخواص الناس، وبقية أولوا العزة، وبقية الرسل، وبقية النبيين، وهكذا.

فهذا الأمر والناس يمرون بمراحل يوم القيامة يوم فيه أهوال وأفزاع وكربات ومخاوف، حتى يتمنى الناس التخلص من الموقف هذا بغض النظر عما بعده، لقصر نظرهم ولانشغالهم وخوفهم، فيطلبون الشفاعة ويهدون أن يطلبوها من أبيهم آدم ويعتذر، ومن بعده كذلك، حتى تنتهي إلى النبي ﷺ، فيشفع النبي ﷺ تحت العرش عند الله عز وجل أن يأتي جل وعلا لفصل القضاء.

فينتقلون أول مكان لهم: الحشر المحشر الذي جمعوا فيه، وثاني مكان لهم: عرصات تسمى والعرصة الثانية موضع الحساب يعرضون على الله عز وجل لا تخفى منهم خافية، ثلاثة عرضان فعرضتان مع دير ولف ودوران، والثالثة إقرار، ومن أقر أعطي كتابه إما بيمينه، وإما بشماله من وراء ظهره، جعلنا الله وإياكم من أهل اليمين وعن يمينهم المقربون والأبرار المقتصدون والظالمون لأنفسهم، لكنهم مسلمون، والبقية على الشمال.

فهذا الشأن، فبعد العرض الحساب والتقرير بالأعمال والإقرار وتوثيق الإقرار بصحف الأعمال والكتب يصرفون إلى الموازين، وقد يوزن العامل وصحيفته وعمله وقد يوزن العمل وحده وقد توزن الصحيفة وحدها وقد يوزن العامل وحده، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف:٨-٩]. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون:١٠٣]، أجرنا الله وإياكم من الخسران، وجعلنا من أهل أعلى الجنان.

بعد الموازين تصرف الخليقة وهي أنواع، غير المكلف يقول: كوني ترابا، الكفار من المكلفين يؤمر بهم إلى النار يقال: تتبع كل أمة من كانت تعبد، تمثل المعبودات من دون الله كهيئتها يوم عبدت فتنطلق بأصحابها إلى النار، اتجاه إجباري ما في مجال، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ

جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠٠].

أما أهل الجنة جعلنا الله وإياكم منها فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٣].

-جعلنا الله وإياكم من أئمتها-.

ضلال اليهود والنصارى الذين بدلوا كتاب الله، وكذبوا المرسلين، وقتلوا من قتلوا، وغيرهم، يقال لهم: ما لكم، انصرفوا، قالوا: عطشنا يا ربنا نريد أن تسقينا؟ فتمثل لهم النار كهيئة السراب يقال: اشربوا هذا الماء، فيذهبون ويتساقطون فيها، وتبقى الأمم المستجيبة للرسل عليهم الصلاة والسلام، وفيها منافقوها، هؤلاء يكونون عند الحوض، منهم المنافق نفاقا اعتقاديا، ومنافقون نفاقا عمليا، والظالمون لأنفسهم والأبرار، والمقتصدون والمقربون، جعلنا الله وإياكم من أئمتهم المقربين، وسادتهم المرسلون والنبيون -عليهم الصلاة والسلام-.

فهؤلاء لكل نبي من أنبياء الله عز وجل أرسله إلى أمه حوض، وكل يرد حوض من اتبعه حتى أن منهم من لم يتبع إلا الرجل والرجلان، ومنهم الثلاث، ومنهم الرهط إلى التسعة، ومنهم أكثر، وأكثر الأمم اتباعًا لرسلها -عليهم الصلاة والسلام- هم أمة موسى قبل أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم أمة عيسى، لأن شريعة التوراة حُكم بها قرون متطاولة وعدد من النبيين -عليهم الصلاة والسلام-، حتى عيسى عليه السلام حكم بها.

وأكثر الأتباع للنبي ﷺ هذه الأمة، فمن اتبع النبي ﷺ على هديه وسنته يرد الحوض بحسب اتباعه، كل ما كمل الإتباع؛ كمل الري، وما نقص؛ نقص بحسبه إلا أن يعفو الله عز وجل، والحوض طوله شهر، وعرضه شهر، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وآنيته عدد نجوم السماء من الكثرة، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا، وتكون هذه الشربة مقدمة

للورود على الصراط وهو في جهنم ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢ ﴾ [مريم:٧١-٧٢].

جعلنا الله وإياكم من أئمته الناجية، فعند هذا الحوض يرد المتبعون ويحاول الورود غيرهم المتبعون ظاهرا وهم الكفار، المنافقون نفاقا اعتقاديا أو بدعيا بدعة المكفرة، والمنافقون نفاقا عمليا، المنافقون نفاقا عمليا يردون، والمنافقون نفاقا اعتقاديا وكفريا هؤلاء لا يردون يطردون، فيخبر النبي ﷺ عن حاله مع أمته، وأنه يرى جماعة منهم عند الحوض لا يردون يذادون كما تذاد الإبل العطاش عن مورد الماء، فيقول: «يا ربي إنهم من أمتي»، على العهد يعني أصيحابي رأوه مرة أو أكثر فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ما زالوا مرتدين منذ فارقتهم.

والمعنى: ماتوا على الردة، هؤلاء مثل الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، واتبعوا مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وغيرهما ممن ادعى النبوة، هؤلاء هم الذين يذادون عن الحوض يطردون طرد الإبل العطاش.

والغرض من إيراد الحديث: التنبيه على خطر رد السُنة سُنة النبي ﷺ أنك تبلغك السنة أن النبي ﷺ أمر بكذا فلا تفعل، نهى عن كذا تفعل، هذا رد السنة، وإن كان في جملة المعصية لكن قد يكون كفرا لأن المعصية بريد الكفر، مثل ما أن البدعة بريد الشرك، فيحذر من رد السُنة، ففي أحد ارتد عن الدين جملة وهم الذين طردوا عن الحوض، فراد السنة يخشى عليه من آية التنزيل وهي قول الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور:٦٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:" أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الزيغ في القلب".

يعني لعله إذا رد شيئا من سنة النبي ﷺ أن يزيغ قلبه فيهلك، هذه الخطورة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

فالواجب: الإتباع لما قضى الله ورسوله، إن كان أمرًا بشيء تمتثله وتحافظ عليه، تستقيم عليه حتى تلقى الله عليه، وإن كان نهيًا عن شيء تحذر وتتوب إلى الله مما اقترفت منه، وتحذر وسائله وما

يوقعك فيه، هكذا، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:١٤].

وفي آية أخرى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:١٣].

فكل شيء واضح وبَين، والناس فيه في جلية «إن الحلال بَين، وإن الحرام بَين، وبينهما مشتبهات»، هذه الذي تخفى على بعض الناس، لكنك تعلم أن النبي ﷺ أمر بشيء، ولا تفعله، فهذا أمر ثاني.

تعلم أن النبي ﷺ نهى نهيا صريحا عن شيء، وترتكبه فهذا أمر آخر، فراجع نفسك أنت، فقد يكون الراد للسنة في بداية الردة والعياذ بالله، وبعض المرتدين تراهم فقط منعوا الزكاة فقط قالوا ما نعطيها لأبو بكر، نعطيها لأمرائنا وشيوخنا، بس، يعني اتبعوا مسيلمة!. فهذا خطير جدًا يعني، فلذلك النبي ﷺ حذر من هذا قبل موته، وخطب خطبة استثنائية، لماذا استثنائية؟ لأن الخطب خطب النبي ﷺ ومواعظه نوعان:

خطب راتبة، مثل خطبة الجمعة والعيدين والكسوف والاستسقاء.

وخطب عارضة لمناسبة، يعني يصير فيه أحد تصرف خطأ فيبين، فهذا للتصحيح، وبيان الشأن.

فخطب هذه الخطبة وصرح فيها «إنكم محشورون إلى الله حفاةً عراةً غرلا بهما»، وذكر قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، نفس الخلقة الأولى.

مثلما طلعتم من أرحام أمهاتكم تطلعون من أرحامكم في الأرض، فالأرض مستودع للأنام إذا ما قضوا نحبهم ترتهن وتخرجهم في حين يأمرها الله بإخراجهم، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [الزلزلة:١-٦].

فهذا هو الأمر خطير جدًا جدا، والتنبيه على أنه يطرد ناس عن الحوض معني ومقصود، فلا تكن من هؤلاء -أعاذنا الله وإياكم من حالهم-، ولا تتساهل بأمر لأنه مع الاستمرار وكثرة المساس يقل الإحساس و تذهب المبالاة ويبدأ التسويف، ويقال: كل يفعل هذا الشيء من جملة الناس ويحصل

التأويل ويدخل الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وقرناء السوء، فاحذر، فكم من إنسان كان على استقامة وغير في هيئة لبسه فقط، أو في شعر وجهه وانتهى به الأمر إلى ترك الإسلام، أنا أعرف أشخاص بأعيانهم، والله إنهم أئمة مساجد، نسأل الله الثبات على الحق، وهكذا.

الذي يتوب أول شيء يغير من هيئته، يأخذ منه جعل الاستقامة وهذا أقرب مظهر حتى يتميز أنه من أهل الاستقامة، ويكمل شيئا فشيئا حتى يكون من خاصة عباد الله الصالحين يختم لهم بذلك، - نسأل الله عز وجل الخاتمة للجميع-، فإياك إياك والتساهل في ترك شيء من الأوامر وخصوصًا الواجبة، ولا عليك السلامة إلا بالأخذ بالأوامر المستحبة احتياطا أنك تحافظ على رأس المال، وإياك وإياك وارتكاب شيء من المناهي، واترك المكروه خشية من المحرم والمشتبه حتى لا تقع فيه لا يجرك إلى أسوء منه، هذا حديث عظيم، هذه خطبة بليغة عصماء، وهذا تذكير بحال الناس حين يقومون من قبورهم، وكيف ينتهون، وكل عاد إلى السنة، والذي رد السنة في حياته لا يؤمن أن يرتد عن الإسلام والعياذ بالله إلا أن ثبته الله بخبيئة بينه وبين الله لا أحد يعلم منها من الخير، أو دعوة والدين صالحين، أو إنقاذ أحدا من هلكة أو غير ذلك حسبة أو نحو ذلك.

فراد السنة قد يرتد عن الإسلام، ولذلك الخوارج في تاريخ الإسلام هم أول من رد السنة، لما قسم النبي ﷺ غنائم حنين، وأعطى المؤلفة قلوبهم يتألفهم على الإسلام من شيوخ الأعراض، فاعترض واحد وقال: "هذه قسمة ما أريد بها وجه الله"، وفيه رواية قال: "هذه قسمة ما عُدل بها". فقال النبي ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمين في السماء**».

ولما هم عمر بقتله نهاه النبي ﷺ، وقال: لا تقتله، فيتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه حول النبي ﷺ، رد السنة فقط، قسمة غنيمة يعني، ما هو نصيبه من الغنيمة؟ بسيط جدًا، لكن أخذه الطمع.

وفي رواية قال: "قسمة ما عُدل فيها"، حتى اتهم الله تعالى بإقراره النبي ﷺ على الجور في القسمة، وقال عنهم النبي ﷺ الخوارج: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون إليه**» قال: «**تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه**»، الداء عضة الكلب، الكب المسعور بجسم المعضود حتى يهلكه، تتجارى بهم الأهواء حتى تهلكم، تخرجهم من الدين، والخطر قول النبي ﷺ: «**ثم لا يعودون إليه**».

وبهذا استدل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من أهل العلم على كفر الخوارج، وأنهم مارقة من الدين، مع أن علي رضي الله عنه قال: **من الكفر فروا**.

لكنهم خرجوا من كفر ودخلوا في أكفر منه، كما قيل لابن مسعود رضي الله عنه: أرأيت فلانا ترك مقالته التي كان عليها؟ قال: **إلى شر منها**، قالوا: سبحان الله يقول لك: ترك مقالته تقول: إلى شر منها؟ قال: **نعم، لأن أهل الأهواء لا يخرجون من هوى إلا دخلوا في شر منه**.

والله الذي لا إله غيره إني رأيتم كانوا يوم من الأيام مع التبليغ ثم صاروا مع الإخوان، ثم خرجوا مع الدواعش، ثم راحوا بأحضان الغرب، وأعلنوا ردتهم، هكذا، -نسأل الله العافية والسلام-.

فهذا حديث عظيم ينبغي أنه يكون في مخيلة المسلم وفي باله، وأن يحذر، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣]. -نسأل الله العافية والسلامة-.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

- عن أَبي سعيد عبد الله بن مُغَفَّلٍ ﵁ قَالَ: نَهَى رَسُول الله ﷺ عَنِ الخَذْفِ، وقالَ: وَقَالَ: «إنَّهَا لاَ تَصِيدُ صَيدًا» ثُمَّ عادَ، فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ أنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَى عَنْهُ، ثُمَّ عُدْتَ تَخذفُ!؟ لا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا.

- وعَن عابس بن رَبيعة، قَالَ: رَأيْتُ عُمَرَ بن الخطاب ﵁ يُقَبِّلُ الحَجَرَ يَعْنِي: -الأَسْوَدَ- وَيَقُولُ: إني أَعْلَمُ أنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ، وَلَولا أنّي رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذان الحديثان؛ كالأحاديث السابقة في بيان أن على المسلم أن يعظم أمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، وأن تعظيم أمر الله تعالى ورسوله ﷺ يكون بامتثال الأمر والثبات عليه وحُسن الأداء والإخلاص لله تعالى فيه، وتعظيم النهي باجتناب ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ، والبعد عن وسائله ومظانه، واتقاء الشبهات في ذلك ومواطن الريب، وأن الإنسان إذا بلغه قول الله ﷻ، وقول رسوله ﷺ؟ يقول: سمعنا وأطعنا، فإن كان مأمورًا به فيأتيه منه ما استطاع غير الفرائض هذا، وإن كان منهيًا عنه فيجتنبه جملةً، وأن المسلم ينبغي له أن يغار على سنة النبي ﷺ، ولا يرضى بتعمد مخالفتها، أو ردها.

وأن الحكمة في الأمر والنهي قد تظهر للناس، وقد لا تظهر، لكنه من الله ﷻ ﴿وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾.

ولذا قال ابن مسعود ﵁: **إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فارعها سمعك، ومثله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، فإنه خبرٌ تنتفع به، أو أمرٌ بشيء في مصلحتك، أو نهي عن شيء.**

لأن الله تعالى لا يأمر إلا بما هو خير للعبد ومصلحة راجحة في عاجل أمره وآجله، ولا ينهى إلا عما فيه مضرة ومفسدة راجحة في عاجل أمره وآجله، والنبي ﷺ مبلغ عن الله تعالى دينه، ومبين ما يحتاج إلى بيان ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٣-٤].

ولهذا كلام ابن مسعود قال: **إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فارعها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أو شرٌ تنهى عنه، أو خبرٌ تنتفع به.**

ولا هو بشرط أنك تعرف الحكمة والعلة لا ما هو بشرط، لأن الله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء، لكنك تعلم أن الله تعالى أرحم بك من نفسك، ومن أمك، وأبيك، ومن كل أحد، حتى قال بعض

السلف -رحمة الله عليه-: **إني ما وددت أن الله تعالى جعل حسابي يوم القيامة على أبي وأمي**. قال إنه جعل حسابي عليه هو، يعني هو أرحم بي منهما.

وهذا من نماذج اتباع السلف الصحابة ﭫ لهدي الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، فعبد الله ابن مغفل، ﭬ، المُزني، رأى ولده يخذف معه حصى صغار أو خرز مثل حب الزيتون أو كذا، ويقذفها هكذا بين الإبهام والتي تليها، أو بين السبابة والتي تليها، فقال له: **إن النبي ﷺ نهى عن الخذف عن العمل هذا**، بأي وسيلة يعني سواء عبث، أو حجارة، أو خرز، أو ملاءٍ مصنوعة لهذا كله واحد، نهى عن الخذف، وقال: «**إنها**» يعني فيها مفسدتان:

الأولى: أنها تفقأ العين.

والثانية: تكسر السن.

لو أصابت أحدًا حولك عن يمينك أو شمالك وربما يكون أحب الناس إليك الأب أو الأم، وفيها مضرتان يعني لا تنكأ العدو ما توجع العدو وتهزمه، ولا تصيد الصيد، ما يحصل لك خير يعني. فإذًا تعاطيها عبث نوع من العبث واللهو فيما هو مظنة الضرر، ويقين عدم النفع، فكأن الولد، أو القريب هذا غفل وأعاد الكرة حذف بالطريقة هذه.

فنظر إليه وقال أقول لك قال ﷺ كذا نهى عن الخذف، وتعود تخذف، ما تعظم السُنة؟! قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[النور:٥١-٥٢].

لا أكلمك أبدا يعني هجره هجرًا مستمرًا، لماذا؟ لأنه بدا منه التهاون بالسنة، وهذا من غيرة الصحابة ﭫ على السنة.

الثانية: عمر ﭬ وهو أمير المؤمنين، لما حج وطاف بالبيت الحرام طواف النسك، القدوم أو العمرة أو الإفاضة، وجاء عند الحجر الأسود استلم بيده وضع يده عليه، وقبله، وقال يُسمِع مَن حوله: **إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر مثل غيرك، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك**. يعني لا تتعلقوا بخصوصية فيه، لا ينفع ولا يضر، وإنما النافع الضار هو الله وحده، والمثيب والمعاقب هو الله

وحده، والمحيي المميت هو الله وحده، والخالق الرازق هو الله وحده، والمسدد والمعين هو الله وحده، والعاصم من البلايا والفتن هو الله وحده، فتعلقوا بالله.

فبَين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو الأسوة في زمانه أن هذا إتباعًا للسنة، لا لالتماس نفع وضر من الحجر أو توقي ضرر من الحجر وهو الأسود، الذي في ركن الكعبة، وهذا الحجر جُعل في ركن الكعبة لحكم:

أول شيء منها: أن يعلم الناس أنه بداية شوط الطواف، ونهايته، أن يبتدأ منه، وينتهى عنده بمحاذاته. والإنسان له أحوال إن قرب من الحجر فهو يستلمه ويقبله، فصار في زحام خفيف لا يؤذي الناس، لكن يمد يده ويستلمه ويقبل يده، صار من بعد وتيسر له عصا يعتمد عليه أو شيء ما يضر الناس فإنه يمسه بطرف هذا الشيء ويقبل ما مس الحجر منه، هذه السنة، ويقول: بسم الله والله أكبر عند الابتداء، وإذا انتهى نفس الشيء إن تيسر له أن يستلم استلمه وإلا واصل الشوط الثاني أو الثالث أو الرابع، وإن كان عن بعد ما تيسر له فهو يشير إليه ويكبر، بعض أهل العلم يقول: يسمي ويكبر، فهذه خاصية الحجر الأسود، وجاءت أحاديث صححها بعض من صححها من أئمة الشأن في الحديث، وهم في الجملة من المتساهلين، أنه نزل من السماء، وأنه كان أبيض وسودته خطايا بني آدم، وأنه مثل يمين الله جل وعلا، وأن استلامه يحط الخطايا حطا، وهذه بعض أهل العلم يقول: إنها بمجموعها تصل إلى الحسن في درجة الاحتجاج، وبعضهم لا يقول: إنها ضعيفة كلها ضعيفة، ولا يثبت إلا استلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحجر وتقبليه، والاستلام يكون حال الطواف عنه، وعند الفراغ منه، أما إذا راح يتسنن وجاء فهو يستلمه لكن لا يقبله، التقبيل حال الاستلام مع الطواف.

هذا الجانب المهم والركن العظيم من أركان الكعبة شرفها الله.

والثاني: الركن اليماني، وهذا الركن الحجر الأسود هو الجنوبي الشرقي، والجنوبي الغربي هو الركن اليماني، فهذا يستلم هكذا تضع يدك عليه هكذا وتكبر، وإن ما تيسر لك فأنت تمضي حتى ولا تشير الحجر الأسود هو الذي تشير إليه عن بعد، والنساء ما ينبغي لها أن تزاحم طافت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومعها مولاة لها، فقالت: تعالي قبِّلي الحجر الأسود؟ قالت: **لا نزاحم الرجال.**

وفي مرة أخرى قالت لها جارية أخرى مولاة لها: أنها طافت وقبلت الحجر وفي زحام، قالت: **لا جزاكِ الله خيرا**، أو: **لا آجرك الله.**

فينبغي للنساء أن لا يزاحمن الرجال عنده والأمر فيه سعة، وينبغي للرجل القوي أن لا يؤذي الضعفاء بالمزاحمة عند الحجر الأسود، ولا يستلم من الكعبة شرفها الله إلا هذان الركنان لأنهما على قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، القواعد التي في الأرض، أما الركن العراقي الشمالي الشرقي والركن الشامي الشمالي الغربي فلا يستلمان لأنهما قاصران عن قواعد إبراهيم مساحة، أو قرب مساحة الحجر المقوس الذي إلى جانب الكعبة من جهة الشمال، لأنهم لما تهدمت الكعبة في الجاهلية اشترطوا أن لا يجعلوا لبنائها إلا مالًا حلالا، ما فيه ربا، ولا مهر بغي، ولا حلوان كاهن، ولا كذا، ولا كذا، ولا ثمن خمر، ولا شيء تعظيما للبدعة، فقصرت بهم النفقة فقصروا البناء وجعلوا الكعبة شرفها الله على ما هي عليه الآن يعني مربعة، لكنها من جهة الركن العراقي والشامي قاصرة عن قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يقارب ستة أذرع، أو سبعة أذرع، فمن أراد أن يصلي في جوف الكعبة ولم يتيسر له الدخول إلى الكعبة، وصلى في الحجر في هذه المسافة قريبا من الكعبة ما يقابل خمسة أذرع ستة أذرع فكأنما صلى في جوف الكعبة، ويستقبل الكعبة، فالركن العراقي والركن الشامي لا يستلمان لقصورهما عن قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والحجر لا يمسح جداره أصلا هو جُعل حمى حتى إن الناس لا يدخلون بينه وبين الكعبة، لأن قواعد إبراهيم من جهة العراق والشام وبين الكعبة، لأنهم لو دخلوا نقص كل شوط ما يقارب ثلث المسافة ولا يصح لا الحج ولا العمرة بهذا.

ولذلك جُعل هذا الحائط، ولهذا في أيام الزحام يغلق من هنا ومن هنا، لأن كثير من الناس ما يدري ما الحكمة، والذي يتمسح بالجدار أول أن يختصر الطواف، ينبغي أن تعلم مثل هذه الأحكام والآداب، ولو صار مثلا الطواف فيه زحام في بعض الأوقات والمناسبات، فللإنسان أن يطوف سبعة أشواط ويؤخر السنة ويطوف سبعة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة، فإذا فرغ من ذلك صلى السنن حسب الترتيب، كل سبعة أطواف سبعة أشواط معها ركعتان يقرأ بعد الفاتحة في الأولى: {قل يا أيها الكافرون} وفي الثانية: {قل هو الله أحد} في جميع الأحوال.

هكذا ينبغي، ولا في شيء من جدران الكعبة ينبغي أن يتمسح به، لكن ذكر العلماء -رحمهم الله- آثارًا موقوفة عن الصحابة: أن الإنسان إذا وقف بين باب الكعبة شرفها الله، وبين الحجر الأسود وجعل وجهه على جدار الكعبة ويديه هكذا، ودعا الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه حري أن يستجاب له ومجرد، فهذا الذي يهم

من هذا الموضوع، والطواف ما فيه غير التسمية والتكبيرة من البداية وعند النهاية، واستلام الحجر وتقبيله إن أمكن في كل شوط، وإن ما أمكن أشار إليه وكبر، والركن اليماني إن دنى منه وضع يده عليه هكذا والمسح هكذا يكفي، وإن بعد وصار زحام يمر عادي ما كان شيء حتى ولا يشير إليه.

هكذا ينبغي للإنسان أن يتحرى السنة في جميع الأمور، كما قال النبي ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقال في المناسك: «خذوا عني مناسككم»، وقال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

قال: «والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا مَن شرد عن الله تعالى شراد البعير الضال عن أهله»، الذي لا يأبى والذي لا يأبى أول الإيباء الزهد في السنة مع إمكانية الإتيان بها السنة المستحبة، وأما السنة الواجبة فمتعينة، فأمر النبي ﷺ مثل أمر جل وعلا قال تعالى: وأطيعوا الله ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور:٥٦]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور:٥٤]، ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤]، كلٌ مسئول، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤].

والرسول ﷺ بلغنا وبين لنا وتركنا على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك بشهادة الصحابة، الذين هم خير قرون الأمة، وخير أتباع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام على الإطلاق فلا حجة لأحد في هذا.

والله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقال: وأطيعوا الله ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور:٥٦]، قال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

كان النبي ﷺ في المسجد في مسجده عليها لصلاة والسلام، فدخل رجل من الصحابة وصف يصلي ركعتين فناداه النبي ﷺ، فأبطأ، أراد أن يكمل، فقال له النبي ﷺ: «مهلك كأني كنت أصلي»، قال: «أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾

[الأحزاب:٣٦]، قال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٥١]، قال: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]».

أو كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكان يتعين على هذا الرجل قطعا الصلاة، لماذا؟ لأنها سنة ما هي واجب، والاستجابة للرسول ﷺ إذا دعا واجبة، وفيها حياة القلوب، آكد هذا أنه دعوة للجهاد ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]، والجهاد فيه الشهادة والشهداء ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٢].

نسأل الله الشهادة في سبيله وفي بلد رسوله ﷺ في أعلى مقاماتها، وأسمى غاياتها، وأحسن هيئاتها، وأن يثبتنا عندها ويرزقنا صدق الإقبال عليه، وكمال الإخلاص له، وحُسن الرغبة إليه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب وجوب الانقياد لحكم الله وما يقوله من دُعِيَ إِلَى ذلِكَ وأُمِرَ بمعروف أَوْ نُهِيَ عن منكر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

وَقالَ تَعالَى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٥١].

- عن أَبي هريرة ﷺ قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُول الله ﷺ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٤] اشْتَدَّ ذلِكَ عَلَى أصْحَابِ رَسُول الله ﷺ فأتوا رَسُول الله ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أيْ رسولَ الله، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاَةَ والجِهَادَ والصِّيامَ والصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِهِ الآيَةُ وَلا نُطيقُها. قَالَ رَسُول الله ﷺ: **«أتُريدُونَ أنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أهْلُ الكِتَابَينِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ»** فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا القومُ، وَذَلَّتْ بِهَا ألْسنَتُهُمْ أنْزَلَ اللهُ تَعَالَى في إثرِهَا: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فَلَمَّا فَعَلُوا ذلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأنزلَ الله عز وجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٦]، قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد دلت أدلة الشرع الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من الأمة، وقواعد ومقاصد الشريعة على أن الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ هو ما وقر في القلوب ثبت في القلوب ورسخ، وصدقته الأعمال

والأقوال الظاهرة والباطنة، وأيدته الأحوال، ومن ذلك ما سمعتموه من الأدلة في هذا الباب وجوب الانقياد لحكم الله وتعالى وحكم رسوله ﷺ، فالله تبارك وتعالى أقسم بنفسه وهو أصدق القائلين وأبر المقسمين سبحانه وتعالى قال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ [النساء:٦٥]، خطاب موجه للنبي ﷺ، والمراد: الأمة ﴿ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ ما جرى بينهم من خلاف في أمر الدين والدنيا، ولا يكفي هذا ﴿وَيُسَلِّمُوا ﴾، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ [النساء:٦٥]، مما قال الله تعالى، وقال رسوله ﷺ ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فائتوا به ما استطعتم**». وقال: «**لا يؤمن أحدكم**»، بل قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**».

يعني تحكم الله عز وجل ونبيه ﷺ في جميع أمورك، في ظاهرك وباطنك، وأقوالك واعتقاداتك، وأعمالك، وكل شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦]، ما تختار غير ما اختار الله لك ورسوله ﷺ. وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور:٦٣]، زيغ في القلب. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣]، عقوبة تجعل الواحد عظة لغيره، إذا رد قول الله تعالى، أو قول رسوله ﷺ.

وقال سبحانه في الجزاء: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ [النساء:١٣]، ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء:١٣]، ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٤]، جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة وأجارنا من النار.

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**».

ومما جرى للسلف الصالح للصحابة رضي الله عنهم ل في حياة النبي ﷺ، أن الله تعالى أنزل خواتيم سورة البقرة أول الخواتيم ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة:٢٨٤]، يعني ملكًا واستحقاق بما في ذلك

أنتم وما ملكتم وأمر الدنيا والآخرة. ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، يعني يعلمه الله، ويحاسبكم عليه، يجزيكم عليه، فالصحابة ﷺ هم أفقه الأمة، أشكلت عليهم الآية، قالوا: إن أحدنا يأتيه الشيطان فيستدرجه يقول: من خلق كذا؟ يقول: الله، من خلق كذا؟ يقول: الله، من خلق الله؟!.

إن أحدنا لأن يخر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، أو يكون فحمة محترقة أهون من أن يتكلم بما يجد في نفسه من الخواطر التي يلقيها الشيطان.

ففي رواية قال ﷺ: «**أوقدوجدتموه؟**» قالوا: نعم، قال: «**الله أكبر، ذاك صريح الإيمان**»، كونكم تجدونه ولا تتجرؤون على التكلم به هذا الإيمان، وهذه رواية في الصحيحين، والثانية مثلها في الصحيحين قال: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: كذا وكذا مثلما قال، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»، وفي أخرى: «**فليقل: الله خالق كل شيء**».

وفي رواية ثالثة أيضا في الصحيحين قال: «**الحمد لله الذي رد كيده الشيطان إلى الوسوسة**».

وهنا لما قالوا هذا الكلام اعترض عليهم النبي ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا**».

وهكذا كل مسلم إذا قيل له: قال الله تعالى، قال رسوله ﷺ يجب عليه أن يقبل، القرآن العظيم والسنة الصحيحة، ولا يقول هذا واجب، أو مستحب، هذا حرام، أو مكروه، لا، يقبل مطلقا وإنما يقول هذا واجب أو مستحب بعد الفعل حتى يشوف إذا كان واجب فيؤديه إن كان يقضى، كأنه بدل يفعل ما هو بدأ ما له شيء يتوب إلى الله عز وجل، مستحب تطمئن نفسه وتستقر هكذا يكون، أما أنه يتخير ويتنقى من كلام الله وكلام رسوله يقبل هذا ولا يقبل ذاك ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ [الأحزاب:٣٦]، لا تقطع، تقبل، وإن رغم أنفك.

هكذا ينبغي للمسلم أن يعلم هذه الأمور والسلف فهموها جيدا، ولهذا لما قال لهم النبي ﷺ هذا الكلام، قالوا: سمعنا وأطعنا، وقرؤوا الآية مطمئنة بها نفوسهم، حتى ذلت به ألسنتهم من كثرة القراءة صارت سهلة جدًا، ولذلك أردفها الله تعالى من كرمه وجوده بأمرين:

الأول: الشهادة لهؤلاء بأنهم آمنوا مع النبي ﷺ إيمانا جازمًا لا تردد فيه، فقال: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، يعني المؤمنون آمنوا مع الرسول ﷺ ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ولم يساوموا ولم يترددوا ولم يتوقفوا، كلٌّ من الرسول ﷺ والمؤمنين آمن بالله، الرب، الإله الحق، المعبود بالحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا يستحقها سواه.

"وعبدوا الله بما شرع" لا بالأهواء والبدع، ولا بالتخير مما شرع الله، وشرع الرسول ﷺ، ولا الإحداث في دين الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، بل آمنوا إيمانا صرفا خالصا وحققوه بالقول والعمل الظاهر والخفي، ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

الرب الإله المعبود الحق المشرع وحده لا شريك له.

﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ سند الوحي إلى الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾ سند الوحي إلى الأمة إلى الأمم، ﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾ هي مضامين الوحي مع بيان الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾، ما نتخير بل نطيع الرسول الذي أمرنا بإتباعه وطاعته، والكتاب الذي كُلفنا بالعمل به.

﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ هذا الأول الثناء من الله عز وجل الذي يُتلى على مسامع الناس، ولكي يلحقك الله تعالى بهم، ويثبتك على ما ثبتهم عليه، ويختم لك بذلك كما ختم لهم جعلنا الله وإياكم كذلك يتعين على المسلم قراءة الآيتين الأخيريتين من سورة البقرة في كل ليلة، وتقرآن في النهار حسب كلام أهل العلم، يقول النبي ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**».

تذكيرا للنفس، وتطمينا لها، وتربية لها، ولزاما لها، والكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح من الأمة.

فلما قالوا هذا قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾، يعني هم سألوا الله المغفرة من اعتراضهم السابق، ﴿ غُفۡرَانَكَ ﴾، يعني امحوا عنا خطيئتنا، واكتب لنا طاعتنا، فاغفر لنا الذنب وحقق

لنا الطلب، ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ المرجع إليك بعد الموت في البرزخ والآخرة، فاجعلنا نرجع إليك على ما تحب وترضى على صراطك المستقيم ومتمسكين بحبلك المتين، وهدي نبيك الكريم ﷺ.

الثانية: أنزل في إثر ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾، فما كلف الله هذه الأمة إلا وسعها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦]، وقال النبي ﷺ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم**».

فإن قدر على العمل على كماله عمله، وإن ما قدر حقق ما يقدر عليه، وإن لم يستطع استفتى عن البدل الذي يتعين في حقه، وإن كان فيه مخالفة تاب إلى الله عز وجل، وحقق الفدية الكفارة، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾، من خير له أجره وثوبه، ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾، من وزر وشر، عليها عقوبته.

قال هؤلاء عن النبي ﷺ والمؤمنون: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾؟ قال الله تعالى: "**قد فعلت**"، يعني لا أؤاخذكم عن شيء فعلتموه نسيانا من غير قصد، أو خطأ جهلًا وأنتم غير متهاونين، فلا يؤاخذ الله بهذا، فصح عن النبي ﷺ قوله: «**إن الله عفا لأمتي**» وهذا الشاهد «**ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم بي**» يعني به «**أو تعمل**».

كالخواطر التي يلقيها الشيطان في نفسك تتعلق بشأن الله جل وعلا، من خلق الله؟ كيف الله؟ كيف كذا؟ كيف كذا؟ لا تتكلم بها {قل آمنت بالله ورسوله} ما يتعلق بالنبي ﷺ هل هو معصوم له؟ أو غير معصوم؟ وهل يتبع في كل شيء؟ وهل هذا واجب أو مستحب؟ لا، لا تقول بهذا، ...

إلا إذا كان بعدما حدث العمل (١٧:٠٩) النور في مخرجك، تستدرك ما يمكن استدراكه، أو بالبدل، هكذا، أو ما يتعلق بغيرك حدثت نفسك تجحد مال فلان، تستحل مال فلان باليمين الفاجرة، تقتطع شبرًا من أرضه، تتسبب في تخبيب زوجته عليه، تتسبب في تخبيب عامل عليه تعال عندي وأنا أعطيك أكثر، كل هذه جنايات وتقع في الخواطر ويباشرها بعض الناس ولا يبالي.

تستمع أمرًا محرمًا معلومًا، الأغاني، المعازف، تستحل شيئًا من صور الربا، بمعنى أنك تفعله وهذا الاستحلال كفر أصلًا، لكن تفعله فكرت أنك تفعله لا أرجع، فلا تتكلم بهذا ما لم تتكلم فأنت

في حل، ما لم تعمل وتحقق تنفيذ فأنت في حل، وهذا خبر الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٤]، «إن الله عفا لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل».

ومن هذا إذا قال لك أحد تركت واجبا عليك، والدليل قول الله تعالى، قول النبي ﷺ، قول الصحابة، واستغفر واقبل وقل جزاك الله خير وبادر إليه قبل أن يفجعك الأجل، الأجل غيب ولا يأتي إلا فجأة، قال: ترك على أمر محرم منهي عنه، والدليل قول الله تعالى كذا، قول النبي ﷺ كذا، قول الصحابة رضي الله عنهم كذا، فتوى أهل العلم الكبار الأئمة، المراجع الشرعية الذين أحال الله عليهم بقوله: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ ﴾ [النحل:٤٣].

أكمل على طول لا تساوم ما عندك فرصة، لا يكون لك خيرة وتردد، بعض الناس أطرف كلمة يمكن يقولها: الله يهدينا، يعني اقطع الكلام بس. فأنت عندك يقين أن الله ما هداك! الله هدى إلى الصراط المستقيم، وعلمك، ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء:١١٣]، وبَين لك النبي ﷺ، ونُقل هذا بالسند المتصل من أول هذه الأمة إلى يومك، فلا تقولها على وجه التخلص قولها من القلب: اللهم اهدني، اللهم أعني على قبول هداك، اللهم شرح لي صدري ويسر لي أمري، على وجه الضراعة لله جل وعلا، والندم على ما سبق منك من الغفلة التي حملتك على ترك الواجب أو فعل المحرم.

الرجل والمرأة في هذا سواء الكبير والصغير والحاكم والمحكوم، والوجيه وغير الوجيه، والعالم والجاهل، كلهم لا لأحد حق ﴿ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾، فكيف تتخير ومن أنت حتى تتخير من قول الله تعالى، تأخذ ما يعجبك وتترك ما لا يعجبك، أو من قول النبي ﷺ تأخذ ما يعجبك وتترك ما لا يعجبك، في الظاهر والخفي، في القول والفعل، في الحال، في الأمور الباطنة، انتبه لهذا، فلا تتخير ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البقرة:٨٥]، تقبلونه!، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾!. ما هو بهين هذا، هذا معاندة لله تعالى، إنك تقبل بعض ما جاء عن الله تعالى، وعن الرسول ﷺ، وترد بعض ما جاء عن الله تعالى وعن الرسول ﷺ من أنت؟ قال: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:٨٥]، يذلك الله وتكون أحقر إليه، ومن الذلة والحقارة: أنك تحرم الخير وتسعى في الشر وطول وقتك تجني على نفسك، وربما على غيرك، مثل إبليس، ﴿خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾، وسبق في عدد من الدروس أنه دلت أدلة الشرع القطعية من كتاب وسنة وسماع السلف على أن من عصا الله بشيء متعمدا فإنه يكون عرضة لأن يعذب به في البرزخ، ويوم القيامة، وربما عذب به في الدنيا، سلط الله عليه من الأسقام والأوجاع، وغير ذلك.

ولذلك جاء في الدعاء عن النبي ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك**».

وقال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيئ الأسقام**»، «**اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، وعضال الداء**»، «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع، ومن عمل لا يرفع**».

أعوذ بك من هذه أجمع، أو كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالأمر ليس بالهين ليس بالهين، الله تعالى قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]، وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١]، قالوا: وهذه آخر آية نزلت من القرآن ما نزل بعدها حرف ﴿يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١]، يوم تأتون ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النحل:٢٧]، ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١].

خذوا استعدادكم ما دمتم في مهلة الأجل، ومكنة العمل، قبل أن تفاجئوا بلقاء الله عز وجل. فإن من أحب لقاء الله ولا يحب لقاء الله إلا إذا اطمئن على مستقبله أحب الله لقاءه، جعلنا الله وإياكم ممن يحب لقاء الله عز وجل، ومن كره لقاء الله لأنه خاف من المستقبل رأى ما يدل عليه على شقوة

المستقبل، فالله تعالى لقاءه أكره ولابد له من الموت، هذا أمر عظيم، ولذلك الصحابة ﷺ لما انقادوا لحكم الله ورسوله قالوا: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، وعدهم الله هذا قال: نعم، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]؟ قال: نعم، وفي رواية قال: "**قد فعلت**". ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾؟ قال: "**قد فعلت**"، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ﴾؟ قال: "**قد فعلت**"، {واعف ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾؟ قال: "**قد فعلت**"، ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾.

وأكفر الكافرين إبليس انصرنا عليه، وجنوده، وتدخل في هذا النفس الأمارة بالسوء، ويدخل في هذا الغرور غرور الحياة الدنيا، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥]، الأمل الفسيح، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر:٦].

والله أعلم، وصلى الله وسلم و بارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

باب النهي عن البدع ومحدثات الأمور

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس:٣٢].

وَقالَ تعَالَى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨].

وَقالَ تعَالَى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩]، أي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَقالَ تعَالَى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وَقالَ تعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾ [آل عمران:٣١]، وَالآياتُ في البَابِ كَثيرةٌ مَعلُومَةٌ.

- عن عائشة ﵂، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ أحْدَثَ في أمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن الله تعالى أخبر أن قوله الحق، وأن كتابه الحق، وأن رسوله ﷺ الحق، وأن دينه الحق، وقال: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس:٣٢]، يعني ما في شيء يخالف الحق إلا الضلال، والضلال هالك هو وأهله، ﴿ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الزمر:٤١].

وأخبر سبحانه وتعالى عن كتابه المباركة العظيم بأنه نور، وهدى، وتبصرة، وذكرة، وموعظة، وشفاء، وهدىً للتي هي أقوم، وقال: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨].

يعني كل ما تحتاج إليه في الكتاب، وفي بيان الرسول ﷺ، وقال عن النبي ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤].

وقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١].

قال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧].

وفي هذا من الحظ على التمسك بدين الإسلام، الاعتصام بالقرآن، واتباع النبي صلى الله ع ليه وسلم على ما جاء به من الهدى والبيان ما لا يخفى.

وأن الإنسان إذا ترك شيئًا من ذلك فإنما هو يختار غير ما اختار الله له، أو فعل شيئًا خلاف لك، فهو يختار غير ما اختار الله له، أو ابتدع شيئًا من عند نفسه يقترب به إلى الله فكذلك، ولذلك اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن الحديث قوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، على أنه يرد جميع المحدثات في الدين، وعلى أنه يبطل جميع العقود المنهي عنها، والعقود المحرمة، وهذا قال عنه العلماء -رحمهم الله- هذا الحديث: أنه ميزان للعمل الظاهر. أن يكون على وفق الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح من الأمة، وميزان العمل الباطن: هو الإخلاص، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، وصوابًا على كتابه، وسُنة نبيه ﷺ، وطريقة السلف الصالح.

فلذلك يحذر المسلم من المحدثات الأمور المبتدعة التي يُزعم أنها تقرب إلى الله تعالى وهي ليست من القرآن ولا من السنة ولا من عمل الصحابة رضي الله عنهم، لأن الصحابة رضي الله عنهم هم أبر الأمة قلوبا، وأصدق الأمة ألسنة، وأفقه الأمة علمًا، وأقلها تكلفا، فما كان من خير فقد سبقوه إليه، وما لم يسبقوه إليه فليس من الخير، ليس من الدين، ولذا كانوا رضي الله عنهم أشد الأمة، بل أشد الأمم على المحدثات والبدع، فلذلك ينبغي للمسلم أن يكون حريصًا على عمله، وأن لا يعمل إلا بما دل عليه القرآن والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من الأمة، ويبتغي بذلك وجه الله جل وعلا، فما يسمى ببدعة الميلاد، وبما يسمى بمناسبات رجب، وربيع، وغير ذلك من الأمور كل هذه محدثات، والمحدثات مشؤومة:

أولًا: لأنها استدراك على الله عز وجل، وهو تعالى قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة:٣]، فالمحدث والقائل بأن المحدث أو البدعة والآخذ بها كأنه يقول: لا ما أكمل الله الدين.

والمحدثات كذلك هي طعنٌ في بيان النبي ﷺ، وبلاغه، وعمله، فهي لم يعملها النبي ﷺ، ولم يبلغها، ولم يبينها للناس، فكأن المبتدع يقول: أن النبي ﷺ قصر في أداء الرسالة. وحاشاه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي طعن في طريقة السلف الصالح، الذين أثنى الله عليهم، وأنهم خير أمة أخرجت

للناس، وأنهم أمة وسطا، وأنهم شهداء على الناس في الدنيا والآخرة، وأثبت رضاه عنهم، في كتاب يتلى إلى أن يأتي الله بأمره يقول: هذا هم ما عملوه، إذًا ما أصابوا، يزعم أنه هو المصيب، أو من ابتدع له، ومن شؤم البدع: أن الناس إذا أخذوا بها عطلوا مقابلها من السنن، فأماتوا الدين شيئًا فشيئا، فكل ما أُحدثت بدعة أميت ما يقابلها من السنة، ثم إن المبتدعة شأنهم أنهم يتركون البدع مع الزمن، كما قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [الحديد:٢٧].

والمبتدع يعمل بما يغضب الله عز وجل، وما رتب الله تعالى عليه الوعيد الشديد، ويزعم أنه يحب الله تعالى، وأنه يتحبب إلى الله بذلك، وأن بدعته يحبها الله، كل هذه مفاهيم مقلوبة، وكل هذا إطفاء لنور الله تعالى، كل هذا إضلال لعباد الله جل وعلا، وكل هذا يدخل في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥].

وقال الله تعالى في هؤلاء: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الغاشية:٢]، يظهر عليها الخشوع والتكلف. ﴿ عَامِلَةٌ ﴾ جاهدة مجتهدة، ﴿ نَّاصِبَةٌ ﴾ تعبانة، ومع ذلك قال: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾، فما فائدة العاقل في عمل يكون مآله إلى أن يصل نارًا حامية، ويلقى الله عز وجل وهو غضبان عليه، فقد أعد الله له عذابا شديدا، فينبغي للإنسان الحذر من البدع، ومن أهلها، وألا يحضر مجالسهم، وأن لا يتفقه عنهم، وأن لا يتلقف شبههم.

ويوجد اليوم في القنوات ووسائل التواصل من أهل البدع من يزين هذه المحدثات، يسمونها: الرجبية، وليلة سبعة وعشرين من رجب، وليلة كذا، وليلة كذا، وليلة كذا، ويحدثون صلوات وعبادات وأذكار وكل شيء يزعمون أنها تقربهم من الله تعالى، وهي تبعدهم عنه تسخط الله عليهم، فيضلون بها هم بأنفسهم ويضلون غيرهم، ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأنعام:١٤٤]، فهو ظالم ومضل وجزاؤه عند الله عز وجل، فلا تتبعه أنت فتهلك. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وعن جابر، ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ، إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أَصْبُعَيْهِ، السَّبَابَةِ وَالوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرِّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بُكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنَا أَوْ ضَيَاعـاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ»، رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أورد النووي ﵀ تعالى وإيانا هذا الحديث في الحض على لزوم السُنة، -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام-، والتحذير عن البدعة، وهي ما أُحيل في دين الله ممن ليس منه ما لم يدل عليها القرآن العظيم، ولا حديث النبي ﷺ وهديه، ولا كان من عمل الصحابة ﵃، فهذا هو البدعة، وهو الشر، وهو الفتنة، وهو الضلالة، وهو الشقوة، فيقول جابر ﵁: إن النبي ﷺ كان إذا خطب الجمعة يعني خُطب الشعائر والخطب الراتبة كان يتفاعل وينفعل مع موضوع الخطبة في وعظ الناس، بحيث الوصية بالتقوى لله تعالى في جميع الأمور، ومن حيث التذكير بمفاجئة الآجال وقرب قيام الساعة، وأن النبي ﷺ آخر نبي بُعث بين يدي الساعة، ولذلك كان يُشير إلى قُربها بالنسبة لما مضى من الزمان، يقول: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**»، يعني بجنب بعضنا، معناه أنه ما بقي من زمن الدنيا بالنسبة لما مضى قليل جدًا كما بين الأصبعين السبابة والوسطى.

وكان أحيانًا يقول: «**صبحتكم الساعة، مستكم الساعة**»، وهذا يدخل فيه ساعة الأجل، كل إنسان له ساعة يموت فيها مؤجلة غيب في علم الله ﷿، في الغالب أنها لا تأتي إلا فجأة في حال طول الأمد، فيحض الصحابة والأمة على العناية بلزوم التقوى والاستقامة على الشرع، والحذر من البدع، حتى متى ما جاءتهم آجالهم، أو جاءتهم الساعة في الدنيا نهاية الدنيا وإذا هم على استعداد لها، فبعد هذه الموعظة يقول: أما بعد. يعني أما بعد ما سبق ذكره «**فإن أصدق الحديث كتاب الله**»، وكتاب الله القرآن

العظيم، لأنه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء:٨٧].

فهو صدقٌ وحَسنٌ في بيان العلوم النافعة، والعقائد الصحيحة، والأقوال السديدة، والأعمال الصالحة الظاهرة والخفية، والأخلاق والتعاملات المرضية، كل هذا مما اشتمل عليه القرآن العظيم، والأخبار الغيبية المحققة فيما مضى وفيما سيكون وفيما يستقبل من الزمان، ولهذا تتحقق الأخبار التي بيَّنها الله تعالى، وفصلها رسوله ﷺ بعد وقت من وقت إلى وقت كل فترة يتبين منها شيء، ومن آخرها قوله ﷺ: «**في آخر الزمان ينطق الحديد ويقرب البعيد**»، وهذا تحقق.

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن معنى الحديث؟ فأطرق ساعة وقت وهو يستلهم الله ﷻ الجواب السديد، ثم رفع رأسه وقال: الله أعلم، إنها آلةٌ تحكي الصوت، أو تنقله. وهذا ما صح ما خرجت جميع المصنوعات عن هذا متعلقة بالأصوات تحكي الصوت تحفظه، أو تنقله، وهكذا يقرب البعيد قلت المسافات بين الأوطان والدول ووُجدت الأسفار التي تُعد بالساعات وكانت في الأشهر والسنين حتى صارت الآن أسرع من الصوت في بعض الرحلات، والله تعالى قال: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣].

والله تعالى جعل كتابه العظيم تبصرةً للناس وهدىً ونورًا وضياءً وذكرا وموعظة وشفاءً، إلى غير ذلك من خصائص مباركة لمن تدبر به تدبره وأقبل عليه واعتنى به.

فتـــدبر القـــرآن إن رمـــت الهـــدى فـــالعلم تحـــت تـــدبر القـــرآن

بل اتلو القرآن خصوصًا في حال أسفارك ومشاويرك لحاجتك تُقضى.

قال بعض السلف يوصي أخاه عند السفر قال: **عليك بتلاوة القرآن فإني رأيت الحاجة تُقضى معه**، وهكذا.

ولذلك كل المطالب موجودة في القرآن العظيم الذي يريد المال يسأل الله من فضله، والذي يريد العلم يسأل الله أن يعلمه ﴿زِدْنِى عِلْمًا ۝١١٤﴾ [طه:١١٤]، ائتني، علمني الكتاب والحكمة، والذي يريد

الزوجة الصالحة ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

والذي كذلك يريد أيضًا يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص:٢٤].

وهكذا، ومثل هذا الذي يريد التقوى، والذي يريد تيسير الأمور ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق:٤].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق:٥].

كان بعض السلف إذا قال أهله: إننا نحتاج إلى مئونة، ناداهم وقال: صلوا يا أهيلاه، حافظوا على صلاة الفريضة والنافلة، ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢].

ولا تجد حاجة من حوائج المسلمين العامة والخاصة إلا في القرآن والسُنة دلالة عليها، وهدى لأقرب الأسباب وأيسرها في تحصيلها، علم ذلك من علمه، وجهل ذلك من جهله، وعمل بما علم من وفقه الله عز وجل، وأضاع ذلك وأعرض عنه من وكله الله إلى نفسه، نسأل الله العافية والسلامة، فكان ﷺ يُكرر على مسامع الناس في غالب الجمع «إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي»، الطريقة الحسنة والأخلاق المرضية والتعامل المبارك النافع الذي تحصل به المقاصد وتنال به المصالح وتدرأ به المفاسد والجنيات هو هدي النبي ﷺ، أقواله وأفعاله ﷺ، وسيرته وأحواله، فإنه هو الأسوة للمؤمنين ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

ولهذا جعل الله تعالى من بركة النبي ﷺ: عموم الأسوة في سيرته، وأنه أسوة للحاكم في حكمه، سياسته لرعيته، وأسوة للتاجر في طلب تجارته، وربحه، وأسوة للزوج في معاشرة أهله، وأسوة للعالم والتعامل مع الناس وتعليمهم، وأسوة لقائد الجيش في الحكمة والسداد وتوضيب الجيش والاستعداد للحرب، وأسوة في الأمور المُشكلة بالاستخارة والإلحاح على الله عز وجل بالدعاء لطلب الهدى

لخير الأمرين فيما أشكل عند البيع، عند الشراء، عند الزواج، عند الطلاق، عند كذا، عند كذا، عند التعامل مع فلان، عند السفر للحج والعمرة بهذه الوسيلة مع هذه الجماعة مع الأشخاص، شُرعت الاستخارة في كل شيء وهي من ذوات الأسباب، متى ما احتاج لها المسلم كذا.

ومن ذلك سجود الشكر: فكان النبي ﷺ إذا تجددت عليه نعمة، أو اندفعت عنه نقمة سجد لله شكرا، وهكذا، أسوة في التعايش الطبي بالأدوية النافعة الأدوية الشرعية والأدوية المباحة والمواد الطيبة، وهكذا.

ألف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب سماه: "الطب النووي". -على صاحبه أفضل الصلاة والسلام-، ويستفيد منه الأطباء اليوم حتى الملاحدة، إلى غير ذلك، فكان من بركة سيرته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أنه أسوة لكل أحد حتى للمسكين في الصبر يصبر ويفرج الله أمره.

حدث بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أنه كان وكيلاً للنبي ﷺ في مئونة أبياته، وأنه إذا احتاج النبي ﷺ وصار ما عنده شيء استقرض من خواص أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ فيبادرون قرض إلى أجل، فجاءه أعرابي غليظ قال: يا بلال ما تستقرض منيّ للنبي ﷺ؟ فاستقرض منه، فشاور النبي ﷺ بلال وقال استقرض منه، فاستقرض منه إلى أجل، فحل الأجل وإذا النبي ﷺ ليس عنده شيء ما يرد القرض، فقال: اعتذر منه، فاعتذر منه وقبل، فلما صار المرة الثانية أو الثالثة قال له: يا بلال إن لم تسدد ليّ ديني لأرجعنك عبدا.

وهذه طريقة الأعراب والجفاة. قال بلال: فأشكل علي الأمر فعرضت الأمر إلى النبي ﷺ، ولم يفدني بشيء يعني ما عنده حل، النبي ﷺ عنده تسعة أبيات ولا في بيته شيء ولا يسدد حتى ولا بعض القرض!. أسوة للفقير لمن يعرض له ما يعرض له من الامتحان والبلايا.

وقال: إني إذا ما عندك شيء فأنا الليلة سأجعل عصاي وعمامتي ونعليّ عند وسادتي، فإذا مضى هذا من الليل خرجت الصحراء لا يظلني. يعني الأعرابي، قال: فهيأت هذه الأمور، فسكت النبي ﷺ، فلما نمت هنيهة من الليل وإذا بالباب يطرق، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فجاء الأعرابي، فلما فتحت الباب وإذا أربع نوق أُرسلت إلى النبي ﷺ هدية من زعماء العرب إحداها عليها طعام وشراب، وأخرى عليها ثياب وأثاث، وثالثة عليها كذا، ورابعة عليها كذا، وقال يقول لك النبي ﷺ: «**بِع هذه الفجر ولا تترك منها شيئًا، سَدد دَيننا**» للأعرابي وغيره، فباع بلال المزاد عند المسجد خارج المسجد

وباع، فسدد للناس، وأبقى واحدة للعصر يخشى أن يجيه أحد منسي أو كذا أو غائب، فلما رآه النبي ﷺ العصر قال ترى إذا غابت الشمس وأنت ما بعته لا أساكنك في المدينة، بعها، قال: ماذا أفعل؟ قال: تصدق بثمنها للمحتاج.

فهذا من هدي النبي ﷺ في الرخاء، في الشدة، في الصحة، في المرض، في كذا، في كذا، في الأمن، في الخوف، في كل شيء، -جعله الله مباركًا أينما كان وجعلنا الله وإياكم مباركين أينما كنا-.

فيقول ﷺ: «**إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ**».

أفضل من أي هدي، «**وشر الأمور محدثاتها**»، يعني الأمور الدينية «**محدثاتها**»، أن الإنسان يتعبد بعبادة ما لها أصل في الشرع يخترعها هو، أو يخترعها غيره ويقبلها، وهي لا دليل عليها لا من القرآن العظيم، ولا من السُنة الصحيحة، ولا من عمل الصحابة فكل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد ﷺ لا نتعبدها، والنبي ﷺ صرح هنا: «**شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة**»، وفي الأحاديث في الروايات الأخرى: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».

وهذا في أبلغ التحذير من البدع في محدثات الأمور، أكثر ما تكون المحدثات في الأوراد والأذكار والصلوات والصيام، وغير ذلك من العبادات، شيء ما له أصل ولا سند ومأخوذٌ عنه ومجهول ونكرة، وربما إنه رويبضة ما هو من الناس المعروفين ولا شيء، ويقول: أُنشر تؤجر!، أنشر تؤزر، لكن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لا يؤخذ الدين إلا عن ثقة، والله تعالى قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾، أهل العلم ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل:٤٤]، اسألوهم حتى في الدليل ما الدليل على هذا؟ من حقك. ثم يقول ﷺ وهذا في آخر الأمر كان في أول الأمر ﷺ: إذا جيء له بجنازة، سأل: هل عليها دين؟ فإن قالوا: لا، تقدم وصلى عليها، لأن صلاة النبي ﷺ على الجنازة شفاعة لها، والشفاعة لا تُخلصها من حقوق الخلق، لأن هذه معلقة إلي يوم القيامة ما تتطرف إلى أول، فيقول: «**صلوا على صاحبكم**»، إذا كان عليه دين، وإذا كان ليس عليه دين صلى، في آخر الأمر وسع الله على النبي ﷺ بما أفاء الله عليه من

الغنائم والفيء، واتسعت الأمور، فقال للناس: «**مَن ترك مالًا فلورثته**»، لذويه، الأولاد وذوي الأرحام كل الحسب نصيبه من الميراث.

«**ومَن ترك ضياعًا**»؛ من زوجة تكون أرملة بعده ما لها أولاد، أو أولاد ضعفاء وفقراء ما ترك والده شيئًا من عقار ولا من نخل ولا من بهيمة ولا شيء، يقول: «**فإليّ وعليّ، أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم**»، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الأحزاب:٦].

فهو أرحم بالمؤمنين من أنفسهم، فكان ﷺ يتكفل بهذه الأمور للناس المعوزين الذين ما عندهم شيء، والذين لا يتركون إلا شيئًا يسيرًا يكفي الورثة مدة محدودة مثلًا، فلذلك يقول: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من ترك مالًا فلورثته، ومن ترك ضياعا، أو أولادا فإليّ وعليّ**»، عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لأن الله وسع عليه، وهذا دليل لأنه إذا كان في بيت مال المسلمين سعة أنه يتعين على ولاة الأمور النظر في أحوال الناس، وأن معدومي الدخل، أو ضعيفي الدخل، أو المتدين بالغرم المفاجئ، أو المصائب المفجعة، أنه يكون له نصيب من بيت المال، مثل ما يوجد الآن من الضمان والمنصات التي تنفع الناس، ومثل ما توجد بعض المساعدات وخُصصت رواتب لبعض الناس الذين لا يجدون وظائف ولو مؤقتًا بحسب الحال، ولو صدق الناس تيسرت الأمور، لكنه إذا انفتح باب خير فالناس يتكالبون ويكذبون ويزورون وثائق، وغير ذلك، ويصير يمنعون الرزق عنه وعن غيره، فكل ما أحدث الناس من تصرفات أُحدثت لهم أقضية وزاد التشديد عليهم، فينبغي أن يتفطن لهذا، فإذا صلح الناس أصلح الله ولاتهم، وإذا فسد الناس ابتلوا بولاة الجور والظلم، وغير ذلك.

ومع ذلك قال ﷺ: «**أطع الأمير وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، وعلى أثرة عليك**»، لماذا؟ لأن الأمن العام مهم، إذا فُقد الأمن العام اختفت شعائر الملة، وشرائع الدين، وشُغل الناس بحفظ أعراضهم، وأُخذت أموالهم من قُطاع الطُرق وعصابات الإجرام، وتجار الأسلحة، وتسلط الشذاذ شذاذ الآفاق على البلد الذي لا يُحكم جاءوه من كل جهة، وصارت فيه عدة جيوش شيء يعرف وشيء لا يعرف، وتلعب بهم الأمم الكافرة وتتدخل في شؤونهم، إلى غير ذلك.

فالأمن العام مصلحة مهمة جدًا، تكاد تكون من فرائض الدين، ولذلك قال ﷺ: «**أسمع وأطع للأمير**»، يعني في غير معصية الله، «**وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، وعلى أثرة عليك**»، قال: «**ولو عبد**»، يعني الذي تحتقرونه يا معشر القبائل، لماذا؟ لما في اجتماع الكلمة من المصلحة، وما فيه من قوة السلطان، وما في ذلك من تأمن السُبل، فإن ولي الأمر القوي يمنع الناس بعضهم من بعض ما يؤذي بعضهم على بعض، ويسعى في توفير الأمر، ويجعل للدولة هيبة أمام الدول الأخرى، ويحمل الدول القوية والغنية للتعاون مع الدولة طمعًا في المصالح، ويحصل مصالح كبيرة لا تحصى، وكثيرة، يصير في خير وبركة للناس، وقد يحصل شيء من النقص في الدين، وغير ذلك، لكن هذا يعالج بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاة لولاة الأمور بالتسديد بظهر الغيب، وتشاور الناس ووسيلة التناصح لولاة الأمر والإعانة لهم على الخير، والابن يلغى عمن يخشى شره ويخشى ضرره، ويكون الناس يدًا واحدة على ما سواهم.

هكذا، ولا يخفر ذمة ولي الأمر ولا جهات الأمن ولا مؤسسات الدولة وكيانات الدولة، ولا يستحل بيت المال العام، ولا يلعب ويأخذون الأموال عن طريق الرشوة، والوسائط الظالمة الجائرة، كل هذا يحافظ عليه ويتقى الله تعالى فيه، ومن لا يتقي الله فهو مسئول ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام:١٦٤].

ما تحمل نفسٌ ذنب غيرها، ما تحمل النفس البريئة ذنب الآثمة ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام:١٦٤].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥].

وقد بعث الله الرسول ﷺ، وأنزل الكتاب، وأبان الهدى، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، وأزال المعذرة، وأوجب العمل، فمن قصر في ذلك عامدًا فليتب، ومن لم يتب فالله أولى به، ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٣٩].

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات:١١].

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

باب فيمن سن سنة حسنة أوْ سيئة

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان:٧٤].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [السجدة:٢٤].

وَعَنْ أبي عمرو، جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كُنَّا في صَدْرِ النَّهَارِ عِند رسول الله ﷺ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ، أَو الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمعَّرَ وَجْهُ رسول الله ﷺ، لما رأى بهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ؛ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بلالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خطَبَ، فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء:١] إلى آخر الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١].

والآية الأخرى التي في آخر الحشر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [الحشر:١٨]، تصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ؛ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِه، حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَينِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رسول الله ﷺ يَتهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**». رواه مسلم.

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ليس مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إلا كَانَ عَلَى ابْنِ آدم الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دمِهَا لِأَنَّهُ كَان أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**» متفق عليه.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما أورده النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في هذا الباب من الآيات والأحاديث؛ فيها التنبيه على أن المسلم يحرص أن يكون سباقًا إلى الخير وقدوةً فيه، وفي حُسن أداءه، وأن يحذر أن يكون قدوةً في الشر، ولهذا ذكر الله جل وعلا في صفة عباد الرحمن جعلنا الله وإياكم من أئمتهم في آخر سورة الفرقان: أنهم يتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم من المتقين إمامًا، يسألون الله مسائل، لكن منها قولهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ [الفرقان:٧٤] يعني صالحات أزواجًا صالحين، وزوجاتٍ صالحات، ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤]، ولا يكون الزوج، ولا الولد قرة عين إلا إذا استقام وصلح أصلح الله ذرياتنا، وذريات المسلمين ولاة أمرنا وولاة أمر المسلمين، وأزواجنا وأحوال المسلمين جميعًا يسألون الله تعالى أن يهبهم من الزوجات والذرية من يكون قرة عين، يعني في الدنيا والآخرة في الدنيا بالبر والطاعة والأسوة الحسنة في الخير، وفي الآخرة يجتمع الشمل بهم في الجنة، ويتمتعون بالنظر إلى وجه الله الكريم، وسماع خطابه سبحانه وتعالى، فأعلى نعيم أهل الجنة جعلنا الله من أهل الجنة: هو النظر إلى وجه الله الكريم، والتلذذ بسماع خطابه لعباده المؤمنين ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:٤٤].

وفي الحديث بالآية الثانية: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إمام الحنفاء وذريته إسماعيل وإسحاق وذريتهما كافئهم الله ﷻ على الدعوة إلى التوحيد، والاستقامة على الشرع، وهداية الخلق للحق قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ [الأنبياء:٧٣]، يعني أسوةً حسنة صالحة ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣] بشرعنا يعني فلا يكون الإنسان أسوةً صالحة إلا إذا كان مستقيمًا على الشرع، مبتعدًا عن المخالفة والبدعة، ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

وفي الآية الثانية قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣].

فأعظم مكافئة يعطيها الله العبد في الدنيا بعد الهداية: أن يجعله الله تعالى أسوةً في الخير، والسبق إلى الخير، وحُسن الأداء له والإخلاص فيه، وأن يجنبه أن يكون أسوةً في الشر، في السبق إليه، والدعوة إليه وترويج الشر، فهذه مصيبة وبلية.

ففي الحديث الأول: أن النبي ﷺ جاءه وفد من أهل نجد من مضر، وهم من ربيعة وربيعة تلتقي مع النبي ﷺ في النسب، فمضر تلتقي مع النبي ﷺ في ربيعة في النسب، هذا وفد مسلم جديد، جاءوا وإذا عليهم مظاهر الحاجة في اللباس والهيئة والصورة يعني فيهم فقر شديد، وعوز، وحاجة، فتأثر النبي ﷺ لحالهم، كان ذلك قُبيل صلاة الظهر أو العصر، فأمر بلال أن يؤذن لما دخل الوقت، م صلى الفريضة، ثم قام ووعظ الناس يحض الناس على التصدق على هذا الوفد المسكين، وذكر الناس بأصل الرحم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾ [النساء:١]، -اتقوا أن تقطعوها- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

تذكروا رقابة الله عليكم، فبادروا إلى ما يحب وأحسنوا واحذروا ما يكره وابتعدوا عنه، وذكر الآية في آخر سورة الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨]، يعني ما قدمت ليوم القيامة هو غدكم يوم القيامة ما تقدمونه تجدونه عند الله عز وجل من خيرٍ أو ضده، فقدموا الخير واتركوا الشر ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

وفي الآية الأولى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]، لا يخفى عليه من أمركم شيء.

ثم قال يحض الناس على الصدقة: تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ ذهب من رهم من فضة؛ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ تمره من صاع بُرِّهِ مِنْ طعامه يعني. كل يجود بما يتيسر له على هذا الوفد المسكين، لأن حالهم بائسة وشديدة، فجاء رجل من الناس موفق نسأل الله التوفيق، وجاء بصرة كيس فيه فضة كثيرة وثقيلة يله يشيله فقدمها للنبي ﷺ، وجاء آخر بثوب وقدمه للنبي ﷺ، وجاء آخر بطعام فنشط الناس وتتابعوا، فسُر النبي ﷺ بما رأى من مبادرة الناس في الاستجابة للصدقة على هذا الوفد المسكين الذي ظهرت عليه الحاجة، مع الغربة، فسُر وجه النبي ﷺ، وتهلل، حتى صار كأنه مذهبا كأنه مطلي بالذهب من استنارة وجه النبي ﷺ باستجابة الناس للدعوة إلى الخير.

وقال يثني على من ابتر الصدقة بالفضة بالثياب بالطعام «**مَن سَن في الإسلام سُنةً حسنة**»، يعني سبق غيره إليها وإلا هي مسنونة في الشرع أصلًا، لكنه سبق غيره إليها، نشط الناس لها وذكرهم بها، «**فله**

أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا»، فضل من الله -جل وعلا-، وسار له أجر مثل أجر من اقتدى به في الخير.

«**ومَن سن في الإسلام سُنة سيئة**»، حض على معصية ولا أظهر معصية ولا تمدح بمعصية فاتُبع عليها فعليه وزرها وزر عمله، ومثل أوزار من تبعه على ذلك. «**من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»، وفي ذلك الحض على فعل الخير، والزجر عن فعل الشر، ثم خص النبي ﷺ شيء خطير جدًا لطول المدة والتاريخ، فقال في الحديث الثاني: «**لا تُقتل نفسٌ ظلمًا**»، يعني عدوان من غير جناية «**إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ**»، نصيب، «**من دمها**»، يعني من إثمها لأنه أول من سَن القتل أول من قتل في الدنيا كلها، وذلك أن ابنين من بني آدم عليه السلام تنازعا في شيء، فتشاجرا وارتفعت أصواتهما، فترافعا إلى أبيهما آدم عليه السلام، فقال لهما أبوهما آدم عليه السلام: «**كل واحد منكم يتصدق من ماله والذي تُقبل صدقته هو المصيب في الدعوة، والثاني مخطئ**»، فكان أحدهما صاحب غنم، ماشية، وكان الآخر صاحب زرع يزرع القمح والشعير والذرة، وغير ذلك. فجاء كل واحد من الابنين بشيء من ماله، فصاحب الغنم جاء بكبش سمين كبير جميل نضير يصلح أضحية، وجاء صاحب الزرع بسُنبل من زرعه، وكان علامة القبول في زمانهم: أن تنزل نار من السماء فتأكل المقبول، وتترك الذي لم يُقبل، فانتظروا فنزلت النار وأكلت الكبش، مقبول، وهذا يعني صاحب الغنم صاحب سكينة، ووقر، وإحسان، وصاحب الزرع كان في شُح وفي حسد وفي كذا، فلما تُقبل من أخيه ولم يُتقبل منه ما بادر يستغفر لذنبه ويكرر الصدقة لعلها أن تُقبل، ولا راجع أباه ايش الحل؟ لا، فهدد أخاه على طول قال: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ [المائدة:٢٧].

فقال له أخوه: كيف تقتلني؟ الله الذي يتقبل ما هو أنا الله تعالى هو الذي يتقبل من المتقين فلو اتقيت الله تقبل منك، لكن ما تقبلت أنت، ومع هذا أنك مستعد للجناية ظلما، ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي﴾ [المائدة:٢٨]، ما أنا مقابلك بمثلما تفعل، ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة:٢٨-٢٩].

لأن حركة أخيه بسبب الحسد، الحسد على ما أعطاه الله، الله الذي قسم ما هو أنت، ولا هو، ولا أبوك، فتجرأ عليه وقتله ظلمًا، فلما قتله ما عرف كيف يدفنه لأنه أول قتيل في التاريخ، وصار يحمله لزمن حتى أنتن وحتى كذا حتى بعث الله غرابًا قتل أخاه وحفر له ودفنه، ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة:٣١].

فقال النبي ﷺ هنا: «**لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول القاتل كفلٌ من دمها**»، نصيب من إثمها من ذاك اليوم إلى يوم القيامة، لماذا؟ لأنه أول من سَن القتل سَن السُنة السيئة في الإسلام في الدين، فيحذر الإنسان أنه يتمدح بالمعصية، أو يجاهر بالمعصية، أو يدل على أهل المعصية ومواقع المعصية، لا يكون دلالًا على الشر، بل يكون أسوةً في الخير، ويحض الناس على الخير، ويدل الناس على أهل الخير، ويدل الناس على مواضع الخير حتى يكون مباركًا على نفسه، وعلى غيره، ويكون قرة عين لنفسه، ولأهله، ولمن له صلة -جعلنا الله وإياكم قرة أعين لغيرنا ولأنفسنا-.

فليحذر الإنسان أن يكون أسوةً في الشر بل يكون أسوة في الخير، ويبادر، إذا دُعي للخير يبادر ولو بالكذب، واحد في طرف المسجد استعان بعد الله بإخوانه فكان كبير السن ومريض وكذا، فإن استطعت أن تقدم له شيئا فكن من أول الناس، وإن لم تستطع قل: الله يغنيك الله يقضنا حاجتنا وحاجتك، ادعوا له بظهر الغيب دعوة مستجابة، فيقول الملك الموكل بك: آمين ولك بالمثل. فتكون أديت الذي عليك هكذا يكون الإنسان حازم في أمر الخير، ومن ذلك إذا رأيت المبتلى بالعاهة بمرض، بنقص أعضاء، بكذا، بكذا، بمظهرٍ مزعج فتقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وأسأل الله لك العافية، فإنك لا تصاب بذلك أبدا، وربما استجاب الله دعوتك فتعافى الشخص عافاه الله بدعائك ولك أجرك.

فكن أسوةً في الخير يا عبد الله ولا تكون أسوةً في الشر، واحذر، بعض الناس يتمدح يقول: سافرنا ورحنا وفعلنا كل القبائح والمنكرات الكبار، ويغري الناس على السفر وعلى الراحات، ما عرف خطورة الأمر فصار دلال على الفجور، ودلال على الظلم والبغي، نسأل الله العافية، فهذا غلط، فالإنسان يذكر الخير ويعين على الخير، ويثني على أهل الخير، ويحض الناس على فعل الخير، كلماتٌ طيبات عقول الناس بالحسنى، مباركة، وليأتيك الأجر حتى لو ما فعلت أنت، أما إنك تكون

دلال على الشر سمسار شر، فهذه نسأل الله العافية مصيبة وخسارة محققة، وأسوة سوء، قال تعالى عن أهل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص:٤١-٤٢].

فكن يا عبد الله أسوةً في الخير جعلنا الله وإياكم أسوةً في الخير ولا تكن أسوةً في الشر، أعاذنا الله وإياكم من أسوة الشر.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب في الدلالة عَلَى خير والدعاء إِلَى هدى أَوْ ضلالة

- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [القصص:٨٧].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل:١٢٥].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران:١٠٤].

- وعن أَبي مسعود عُقبَةَ بنِ عمرو الأنصاري البدري ﵁ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ». رواه مسلم.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالفرق بين هذا الباب والذي قبله أن ذاك من الدعوة إلى الله تعالى بالأفعال، والاستجابة لله تعالى، ولرسوله ﷺ، بالمبادرة بإجابة الداعي، وتحقيق المطلوب، وإخلاص العبادة، وأن الإنسان يكون سباقًا، أسوةً في الخير، وهذا بالأقوال أن الإنسان يكمل أخاه المسلم، كان الصحابة ﵃ إذا التقى واحد بالآخر ما يتفارقا حتى يقرأ أحدهم على الآخر سورة {العصر} ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:٣].

حيث قسم الله عز وجل جنس الإنسان إلى قسمين: خاسر، ورابح.

فالأصل الخسارة وهو الكثرة ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف:١٠٣]، ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف:١٠٦]، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ [هود:٤٠].

والرابح: هو من جمع الخصال الأربع: الإيمان بالله تعالى عن علم، ويقين، وإخلاص، والقول السديد، والعمل الصالح أيضًا عن علم، وهذا لنفسه.

الثالث: التواصي بالحق والتواصي بالصبر لغيرك، توصي المبتلى بالصبر والاحتساب، وأن الله تعالى قد يكون أعد له الدرجة العالية في الجنة بهذا الابتلاء، هذا التواصي بالصبر، والتواصي بالحق

المحافظة على الصلوات، على بر الوالدين، على حسن الجوار، على عشرة الزوجة، على الوفاء بالعهود، فإذا رأى الإنسان أخاه على خطأ يعظه، وهذه هي الدعوة التذكير بوعظ، فمثل هذا لو رأيت واحد يدخن في الشارع فأسهل عبارة تقولها له: تراك يا أخي حولت نفسك من إنسان مكرم إلى دعاية شر التدخين كافرة تسعى للإضرار بأهل الإسلام وبعامة الناس احترم نفسك. تكفي هذه الموعظة تراك تكون أسوة في هذا كم من الشباب الذي يحسن الظن بك يقتدي بك، وهكذا كل منكر تنبه عليه لكن بلطف، برفق، بلين، بحنية يشعر أخوك أنك تحب له من الخير ما تحب لنفسه، وتكره له من الشر ما تكره لنفسك، فيكون الوعظ فيه تذكير، وأن تشكر نعمة الله عليك، وأن يعافيك الله في صحتك، لا تتسبب لنفسك في السرطان، لا تتسبب لنفسك بكذا، لا تتسبب لنفسك جائحة حريق بسبب الدخان، فانتبه لهذا، وهكذا الذي يتهور في قيادته للسيارة، وهكذا الذي يخالف الأنظمة المرعية، فيكون الإنسان مصلحًا لنفسه، ومصلحًا لغيره، هذه هي الدعوة إلى الله، والناس يفهمون الآن إنه ما في فرائض إلا الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وإقام الصلاة، أو الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج، لا، في شرائع دينية، الله تعالى قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤].

والمعنى: كونوا أمة داعية إلى الخير. وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وقال النبي ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**».

فمهمتك من حين تستيقظ إلى أن تنام الدلالة على الخير، والإعانة على الخير، وفتح أبواب الخير للغافلين، وتنشيط المتكاسلين، وتعليم الجاهلين، وتكمل نفسك وغيرك ما تحب الحسنة أنت !، ما تحب التقليل من السيئات!، ما تهتم برصيدك بالآخرة: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨].

إن غفلتم وجهلتم فليس بمغفول عنكم، ولا عملكم يخفى على الله عز وجل، فانتبهوا، ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر:١-٢] أنت من الخاسرين ولا من الرابحين؟ حدد نفسك أنت على

ضوء السورة نفسها، ما يربح إلا من حقق الأربع: الإيمان بالله تعالى، والعمل الصالح، وأخص من العمل الصالح التواصي بالحق والتواصي بالصبر، لأن كثيرا من الناس يصلي ويصوم لكنه ما يدعو إلى الله، ولا يعرف، ولا له همة في هذا أصلًا، ويرى أن هذا من التدخل في شؤون الناس الشخصية، وهذا غلط، هذا غلط، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

هذا هو الخير الإسلام، ومثلما هداك الله للإسلام اهد عباد الله إليه ما تشكر الله!، فكل يوم يتعين عليك أنك تشكر الله عز وجل لأمرين:

الأمر الأول: لأن الله جل وعلا فسح لك في أجلك، لتستزيد من صالح عملك، وتستقيل، وتعتذر من خطيئتك وزللك، ولأجل إنك أنت أيضا تظهر دين الله الذي هداك الله إليه أحسن كما أحسن الله إليك، ولا تقر الناس على الخطأ، أو على ترك واجب، أو فعل محرم، ما تغار على حرمات الله !، وروي أن الله تعالى قال لجبرائيل عليه السلام: "**اقلب قرية كذا بأهلها**". كلهم، فقال جبرائيل عليه السلام: "**يا ربي إن فيها عبدك فلان يصلي، ويصوم، قال: به فابدأ، فإنه لم يتمعر وجهه غضبًا في قط**".

ما غضب لي ولا مرة، وأنت لو واليت لخالك شيء من توجيهك غضبت، وزوجك أقرب الناس إليك، وعشيرتك وشريكة حياتك، وهكذا، والآخرين يتعدون على حدود الله وأنت تستخسر أن تقول كلمة حق، ليش الله أعطاك الشفتين واللسان ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ [البلد:١٠].

الحق ليأخذ به، والباطل لينتهي عه وينزجر عنه، ما تقوم بمهمة الرسول ﷺ الذي قال: «**بلغوا عني ولو آية**»؟.

ما تريد نضارة الوجه يوم القيامة، كما قال ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها**»، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقهٍ غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه؟.

ما قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

التعاون على الإثم والعدوان هو أنك تسكت عني، وأنا أسكت عنك، هذا هو التعاون إقرار المنكر، أخوك مسكين هذا ظالم لنفسه تتركه يتعرض لعذاب الله، وعقوبة الله، وأنت ما تغار على حرمات الله، ولا تشكر الله عز وجل إذا هداك الله، ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧].

في واجبات متعينة على العباد غير الصلاة والصيام هذه فرائض الدين، وشرائع الملة، لكن هذه أمور أخرى بها يظهر الدين، وبها يعز، وبها يهتدي الخلق، وأقل الأحوال واحد يسمعك ينتفع راعي غنم ما عمره سمع الذِكر ولا مرة، سمعك أنت بعد، عامل النظافة نفس الشيء جاء من بلدٍ بعيدة وغريبة ويمكن ما يفهم لغة ليتعلم اللغة فهذا علمه، أتتركه!؟ هكذا ينبغي للمسلم، لابد من الدلالة على الخير، والدعوة إلى الله عز وجل، وأنك تسبق إلى هذا بأقوالك، وتصدق مع الله عز وجل بالإخلاص له، وتتحرى سنة النبي ﷺ بالرفق واللين.

وإن كان الإنسان الذي تخاطبه يكفيه أنك تقول قال الله وقال الرسول فيكفي هذا، وإن كان لا عنده شيء من ايش الشهوة ترك الحق، أو فعل الباطل واتبع الشهوة فهذا يحتاج إلى موعظة، يا أخي اتق الله لا تعاق تراك بصحة وعافية.

ترى لو يأخذ الله منك إصبع من أصابعك ايش صار عليك، النظر، السمع، البصر، كم تقدر واحدة من النعم هذه، لو عاقبك الله بواحدة أنت غني اليوم فلا تصير فقير بعد، عظه، والثالث هو الذي عنده نوع شبهة يقول: كل الناس يفعلون ذلك، الله يهدينا ما هدانا الله، ايش يدريك أن الله ما هداك!، أطلبت من الله الهدى وسارعت وجالست الصالحين وسألت عن دينك وحاسبت نفسك على الماضي واستعددت للقاء الله لو جاءك الموت فجأة؟ ما طلبت الهدى أنت، والله تعالى يقول: "**فاستهدوني أهدكم**".

مثل ما تستطعم الله عز وجل وتسترزقه استهده، واستغفره من الذنوب، لكي لا يصير في قاموسك شيء عن شيء خير متعدي لغيرك هذه ونسأل الله العافية هذه جريمة موجبة للعقوبة، وأخطر من هذا انتبهوا لهذه أخطر من هذه أن الله واحد يقول: أنا والله تقاعدت أنا عندي دكاكين وعندي كذا، ويمكن

دكانه يعصي الله به من الصبح إلى الليل إلى النوم، لأنه يعين العصاة على معصيتهم بالله تعالى، وهو يعلم ويدري هو، وإذا كان ما يدري يسأل الشيخ يروح للمفتي ويسأله، أما يقول هذا فخر وعندي دخل، أعندك دخل نتيجة معاصي؟ تعين عل معصية الله وآمن ومطمئن ..... (١٢:٣٨) يا ويلك، فانتبه لنفسك، لا تعين على الإسبال، لا تعين على حلق اللحى، لا تعين على تبرج النساء، لا تعين على كذا، لا تعين على كذا، لا تعين على كذا، تراك في قبرك وحدك والله ما ينفعك شيء يتبعك أهلك من شأن الحفار ومن شأن الحاجة، ومالك من عشان يعطون الأجرة، واضح، وعملك، ويرجع الأهل والمال ويبقى العمل، ينفعك في قبرك هذا؟ وأنت تعين على معصية الله من يوم تصبح إلى أن تنام وتغلق الدكاكين ولا تحاسب نفسك ولا تفكر، إحنا رايحين للعمرة، رايحين نحج، أستغفرت الله من ذنبك؟ هذا ذنب ما استغفرت منه، لأنه معين ومحدد لازم تتوب منه بخصوصه.

والذنب إذا كان متعدي إلى غيرك فهو أعظم إثما وأكبر جرما، فاتق اللهن لا تكون من الكفار، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ -الذين أضلوهم-، ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾}[العنكبوت:١٣].

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدَى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أجُورِ مَنْ تَبِعَه، لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أجُورِهِمْ شَيئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثَام مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيئًا». رواه مسلم.

- وعن أَبي العباس سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ يوم خيبَر: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رجلًا يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيهِ، يُحبُّ اللهَ وَرَسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رسولِ الله - ﷺ - كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: «أينَ عَلِيُّ ابنُ أَبي طالب؟» فقيلَ: يَا رسولَ الله، هُوَ يَشْتَكي عَيْنَيهِ. قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْه» فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رسولُ الله ﷺ في عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرِىءَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يكُن بِهِ وَجَعٌ، فأَعْطاهُ الرَّايَةَ. فقَالَ عَليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُول اللهِ، أُقَاتِلُهم حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فهذه الأحاديث في فضل الدعوة إلى الخير، والتذكير به، والحظ عليه، وأن الإنسان تكون له همة في ذلك يرجو ثواب الله تعالى، ويغتنم فرصة الحياة قبل نفاذها وقبل مفاجأة الأجل، وفي نفس الوقت أن الإنسان ينهى عن الشر، ويبتعد عنه، ويحذر أن يكون داعيًا إليه، أو مروجًا له، أو دالًا عليه.

فإن من دعا إلى خير كان له مثل أجور من تبعه، ومن دعا إلى شر كان عليه مثل آثام من تبعه، وأصل الحديث هذا: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ بعد أن دعا النبي ﷺ للتجهز للجهاد فجاء وقال: يا رسول الله ما عندي شيء ما عندي راحلة، ولا عندي أثاث، ولا عندي كذا، لضيق ذات اليد، فقال رجل من الصحابة: يا رسول الله أنا أدله على فلان، أن فلانًا كان قد استعد لذلك، فمرض، فقال النبي ﷺ له: اذهب إلى فلان، وأقرئه مني السلام، وقل له يعطيك ما تجهز به، وأخبر ﷺ أنهما في الأجر سواء، وهو الحديث الذي وقفنا عليه، فقال الرجل لما جاءته الرسالة الشفوية من النبي ﷺ قال

لامرأته: أعطيه ما تجهزت به، ولا تحبسي منه شيئا، فوالله لا تحبسي منه شيئا فيبارك لكِ فيه. فأعطته كامل الجهاز من جهة العدد، والعدة، والذخيرة، والراحلة، والمئونة، وغير ذلك.

وفي الحديث الثاني: أن النبي ﷺ لما أجرى الله تعالى على يديه صلح الحديبية والذي كان فتحًا في الإسلام قال الله تعالى فيه للنبي ﷺ والمسلمين: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح:١].

فكان من مقدمات هذا الفتح الموافقة على الصلح، مع ما فيه من البنود التي فيها ضيم على المسلمين، لكن جعل الله فيه بركة ومنافع، ومن ذلك أن من شاء أن يدخل في الإسلام يدخل ما يؤذى ولا شيء، ومن شاء أن يدخل في حلف قريش يدخل ما يؤذى ولا شيء، وقال الله تعالى فيه: ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ [الصف:١٣] يعني غنيمة قد أحاط الله بها ما بعد جاءت لكن كتبها الله لكم، وهي "خيبر" عوضهم الله بها، مع أنهم نالوا في صلح الحديبية خيرا كثيرا فإنهم بايعوا بيعة الرضوان، وقال النبي ﷺ: «**مَن بايع بيعة الرضوان يدخل الجنة**»، وأخبر الله تعالى أن يد الله تعالى فوق يدي نبيه ﷺ في مبايعته، فغنموا غنيمة عظيمة جدا، لكن الدنيا ما حصل شيء فلذلك عوضهم الله غنيمة خيبر، ولذلك النبي ﷺ ما جاء ليحضر خيبر إلا أهل الحديبية، ومن جاء ضيفا على أهل الإسلام، فحاصر النبي ﷺ خيبر.

وكان علي رضي الله عنه اشتكى رمدًا في عينيه، واعتذر إلى الله تعالى، وإلى الرسول ﷺ، وعذره الله تعالى ورسوله ﷺ، وانطلق النبي ﷺ إلى خيبر وحاصرها أياما، حتى نزلوا على الصلح، لأن خيبر فيها أهل اليهود وفيها أناس نزحوا إليها ممن خرج من بني قينقاع، ومن غيرهم، فصار فيها من عتاة أهل الكفر اليهود، فلما إنه طال الحصار وخشي النبي ﷺ على المسلمين أنهم يسهموا ويضجروا وتوالت هذه مع صلح الحديبية جاءته البشرى من الله جل وعلا على أن غدًا هو موعد الفتح، والله تعالى لا يخلف وعده، لكن ننتبه للمقادير، كيف تجري المقادير، فقال النبي ﷺ في تلك الليلة: «**لأعطين الراية**» العلم يعني علم الجهاد الذي يميز فراق المجاهدين المهاجرين والأنصار، وغيرهم، كلٌ له راية، وهذه راية النبي ﷺ: «**رجلا يحب الله ورسوله**»، وكل المؤمنين يحبون الله ورسوله جعلنا الله وإياكم من أحباب الله ورسوله.

والخبر الثاني: قوله ﷺ: «**يحبه الله ورسوله**»، هذا الشاهد، لأن الإنسان قد يدعي ويزعم أنه يحب الله ورسوله، ومحبته ناقصة، لكن كونه يحبه الله ورسوله دليل محبته لله ورسوله كاملا، يفتح الله على

يديه فصار فيه ثلاثة بشارات: تزكية لهذا الشخص بأنه يحب الله ورسوله، وأن محبته لله تعالى ورسوله كاملة.

والثالثة: أنه يحبه الله ورسوله.

ومعنى هذا: أنه يموت على الإسلام، بل على أعلى درجات المسلمين. والرابعة: إنه يفتح الله على يديه تحقق المطلوب والنصر، فلذلك الصحابة رضي الله عنهم أهمهم الشأن، كل واحد يقول: لعله أنا، ويدعون الله عز وجل، ويتضرعون إليه، وهم على نياتهم، وعلى حسبتهم، لكن فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، فعلي رضي الله عنه كان قد تخلف في المدينة وعذره الله ورسوله، ولكن لم تطب نفسه خصوصا بعد طول الحصار، فعزم على أن يخرج من المدينة وهو لا يبصر الطريق، لكنه يعرفه لكثرة تردده فيه، وخرج، ومشى من المدينة إلى خيبر، مسافة تزيد عن سبعين كيلوا، فكل يمكن أن يكون هو من يعطى الراية إلا علي رضي الله عنه لأنه في المدينة معروف يعني، ومعذور.

فكانت المفاجأة ما سبقت به المقادير أن قال النبي ﷺ كلهم غدوا الصبح الفجر يعني لعله أن يعطى كل واحد يقول: أنا لعله من نصيبي ومن حظي، رجاء لله تعالى، وبذلوا الأسباب ودعوا، فقال النبي ﷺ: أين علي بن أبي طالب؟ وإذا السؤال مفاجئ، قال يا رسول الله: هو يشتكي عينيه في المدينة، فتسامع الناس وقال منهم من قال أنه جاء البارحة وصل، فوصل الخبر إلى النبي ﷺ فقال: أرسلوا إليه، وجيء به يقاد تمسك يده، فلما وقف بين يدي النبي ﷺ بصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، يعني استجاب الله تبارك وتعالى دعوة نبيه ﷺ في هذا الرجل الصالح، والله تعالى أمره إذا أراد شيئا فإنما يكون له كن فيكون.

من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقما، اللهم ربنا الذي أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل من رحمتك في الأرض، أنزل شفاء من شفاءك وعافية من عافيتك على هذا الداء فيبرأ، أو هذا المريض فيبرأ**».

وكان من دعاء النبي ﷺ الذي علمه أصحابه أنه يقول: «**بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من كل شر نفسٍ أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك**».

وكان يعلمهم أيضا يقول: «بسم الله، بسم الله، بسم الله» ثلاث مرات ثم يقول للمريض: «أعيذك بعزة الله وقدرته من شر ما تجد وتحاذر» سبع مرات يرددها، ويتفل معها مع الدعاء هذا لابد من هذا كما قال ﷺ: «بسم الله ربنا بريقة بعضنا، وكلام ربنا، وتربة أرضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا»، فرقى علي رضي الله عنه فبرأ حالًا، فانتهت المهمة الأولى أنه هو الذي يعطى الراية وهذا قدر، لأن الجيش بأكمله ما كُتبت له الراية وله أجره وهذا الرجل الغائب كُتبت له الراية، ليش؟ لأنه ما طابت نفسه أن يتأخر، ولأنه بذل ما يستطيع مع المشقة، مما يدل على الرغبة الصادقة، ولأن الله تعالى يسر له الطريق، وجاء في الموعد المحدد، وهذا دليل أن الإنسان يبذل الدعاء مع الدعاء، الدعاء سبب من الأسباب، لكن أيضا الأسباب التي يعطي بها الله الرزق، ويرفع بها البلاء، ويصرف بها الداء الذي في الطريق.

فإن الله تعالى يرفع البلاء الحاضر الواقع ويصرف الذي في الطريق، وقال النبي ﷺ: «الدعاء والبلاء يعتلجان»، يعني يتصارعان. «بين السماء والأرض»، فالنتيجة ايش؟ «فيغلب الدعاء البلاء» هذا خبر الصادق المصدوق ﷺ. فأعطاه الراية وقال: انفذ على رسلك. يعني امشي على هوينك بطمأنينة وتقدم إلى آخر مكان تستطيع الوصول إليه إثبات للشجاعة، والمعنوية، وإعلاء همة الجيش، وإرهاب أهل الكفر «حتى تنزل بساحتهم»، فلما أخذ الراية وقالوا: لا تلتفت، وقف ولم يلتفت قال يا رسول الله: على ماذا أقاتلهم؟، يكونوا مثلنا؟ وهذا يعني ما هو دقيق هذا لأنه كيف يكون مثلنا وهو توا دخل الإسلام لا يمكن، فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام»، أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويصوموا رمضان، ويحجوا البيت، مع ما يتعين لهذا مثل الطهارة للصلاة، وابتداء الصوم، ونهاية الصوم، وما يصام عنه، وغير ذلك، يشرح لهم حتى يكونوا على بَينة، ليش؟ لأنهم إذا دخلوا في الإسلام على جهل ثم ما فهموه أو ما استوعبوه أو استنكروه وارتدوه عنه فيكون كفرهم أغلظ وأكبر ردة يقتلون قتل، إن لم يرجعوا يقتلون، فقال له: «ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم ما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه» حتى يكونوا على بَينة يدخلوا الإسلام على بَينة ما هو ... (١٧:٤٠) عندك سواق أو شغالة ورغب في الإسلام تقول: لقنوه الإسلام، لقنوه الإسلام، ما هو بصحيح خلوه يفهم، يفهم الوضوء، يفهم الغسل من الجنابة، يفهم تحريم الفواحش الزنى واللواط، يفهم تحريم الربا، يفهم وجوب الصلاة خمس مرات في اليوم

بشرائطها، يفهم الصيام متى الصيام الواجب، متى الحج، هذه فريضة اليوم والليلة الصلاة، الزكاة، والصوم فريضة العام، والحج فريضة العمر، فأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا من هؤلاء**» كانوا خلقًا كثيرا لأنهم أهل مزارع، وعوائل، وعندهم من حل عليهم ممن رُحل من المدينة، أو ارتحل من اليهود الكفار الذين خانوا الله ورسوله فصارت بؤرة يجتمع فيها هؤلاء، وخطر على الإسلام وأهله.

«**فوالله**» يقسم النبي ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**»، من الذهب والفضة الذي على وجه الأرض، لأن حمر النعم هي الإبل الحمراء الكريمة في سلسلتها، الجميلة، السمينة، الغالية على أهلها، فكانت عند العرب أنفس من الذهب والفضة خيرٌ لك من حمر النعم، فما قال: نقاتلهم حتى يكونوا مسلمين، لا، أخبرهم عن الإسلام، وما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه.

والثانية: احرص على هدايتهم أكثر من إقامة الحجة عليهم، أو من قتالهم بشأن الغنيمة، لا، الإسلام ما يقاتل الكفار من شأن الغنيمة، الغنيمة تأتي هبة من الله عز وجل نقاتلهم من شأن أن يقبلوا الحق لسعادتهم دنيا وآخرة ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

فإذا لم يقبلوا فإنهم يُقاتلون، ليش؟ لأنه إذ ذاك سنة سبع ما كانت فُرضت الجزية على أهل الكتاب والمجوس، ما فيه إلا الإسلام أو القتال، ولو كانت الجزية مفروضة لقال لهم: الجزية، يعطوها عن يدٍ وهم صاغرون، يعني ضريبة حولية على هؤلاء تقوي المسلمين وتسد حاجاتهم، وتكون عُدةً للجهاد في سبيل الله، وهم يطمئنون ويكونون في رعاية المسلمين، ويتعرفون على الإسلام عن كثب، عن قرب، ويُعجبهم هَدي المسلمين، فيكون أدعى لإسلامهم حتى الجزية وسيلة للإسلام، فالجهاد وسيلة للإسلام، والجزية وسيلة للإسلام، هكذا.

والشاهد من الحديث: قول النبي ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدا خير لك من حُمر النعم**»، الإنسان يخرج من بيته يأخذ حاجة من البقالة أو من الدكان ويجد عامل نظافة كافر فيعرض عليه الإسلام، والإسلام كذا وكذا وأنا سأعطيك مكافأة إذا أسلمت، من الكسبان؟ هو كسبان وأنت كسبان، فتكون على هدايته أحرص منك على إقامة الحجة عليه، أو إبراء ذمتك أنت منه، فهذا صيد يومي ونحن ابتلينا الآن بفتح حدودنا لجميع أهل الأرض، إلا ما استثني، فهذه فرصة للدعوة إلى الله ما

كانت توجد هذه في المكتب، في الحكومة، في مكتب الشركة، في السوق، في كذا، في كذا، في كذا، في كذا.

قلت لكم أمس: إن أحد يتقاعد ويقال له تقاعدت مبكر ووراك يقول أنا عندي دخل عندي دكاكين حلاق ولا عندي كذا، يعين على معصية الله، وأنت تهدي إلى الله بالدعوة إلى الله، أيهما الرابح؟ انظر الفرق، الهمم فقط يعني، والتفكير الذي في الرأس، أول شيء شكر الله على أن هداك للإسلام، وجعل تنشأ بين أبوين مسلمين، وفي مجتمع مسلم تظهر فيه شعائر الملة في اليوم خمس مرات، وتُقام فيه الحدود، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر، ويكف الأشرار عن الأخيار، و الناس في مصالحهم وأمنهم وأرزاقهم، ما هي نعم مثال الشكر؟

أولها: نعمة الهداية للإسلام، وأنك لو جاءك الموت في أي ساعة في سبيل الجنة ليس في سبيل النار، وأنقذت واحد في سبيل النار يعتق الله بكل عضو منه عضو منك من النار أنت فدية لك، ما تحرص؟، فهذه ثمرة الدعوة إلى الله عز وجل، ولك مثل أجره ما عمل سبح الله، هلل الله تعالى، كبر الله تعالى، استغفر، تاب، أمر بمعروف، نهى عن منكر، صلى، صام، تصدق، دعا غير الإسلام، أول من يُسلم زوجته، وأولاده، ووالداه، أنت سبب كم يحصل لك من الأجر؟

فكون الإنسان يصبح ويمسي ما في رأسه وقاموسه الدعوة إلى الله والله غبن، غبن الفاحش، لا سيما مع تيسر السبل أقلها تقول هذا في المكتب التعاوني راح يعلمونك على الإسلام، وسترغب إن شاء الله، ولك عندي مكافأة إذا أسلمت؟ صدقك، بعض الناس يمشي بالشارع وهو يأكل إما سندويتش ولا فشار ولا شيء، أعطي عامل النظافة شويه من اللي معك قل له أنت مسلم ولا لا والله كأنك مسلم الظاهر أنك بتسلم إن شاء الله ترى عندي لك مكافأة لو أسلمت، إذا بغيت تسلم علمني هذا التلفون، ما هي دعوة إلى الله؟ «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحد خيرٌ لك من حمر النعم**».

«**مَن دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا**».

«**مَن سن في الإسلام سُنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء**».

في واحد يقتدي بك بالدعوة إلى الله عز وجل، فهذه فُرص، هذه فرص تُضيع الآن والله العظيم أنه غبن واحش، لأن الوسائل متيسرة، ولأن النعم متوفرة، ولأن الشكر واجب، ولأن العقوبة إن كانت على النِعم فوالله إنها خطيرة، افهموا هذا وبلغوا غيركم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

١٧٦ - وعن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن فتىً مِنْ أسلم، قَالَ: يَا رَسُول الله، إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ معِي مَا أتَجَهَّز بِهِ، قَالَ: «ائتِ فُلاَنًا فإنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ» فَأتَاهُ، فقَالَ: إنَّ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُقْرِئُكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: أعْطني الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ، فقَالَ: يَا فُلاَنَةُ، أعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلا تَحْبسي مِنْهُ شَيئًا، فَواللهِ لاَ تَحْبِسين مِنْهُ شَيئًا فَيُبَارِكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم.

باب في التعاون على البر والتقوى

- قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

- وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

- وعن أَبي عبد الرحمان زيد بن خالد الجهني ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا في أهْلِهِ بِخَيرٍ فَقَدْ غزَا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالتعاون هو التساعد والتكاتف، والذي أمر الله تعالى به هو التعاون على البر أي على الطاعة على المعروف، على ما عُرف بالشرع الحكيم،، والعقل السليم حُسنه، فيُعين على الخير يعني، والتقوى هي ترك الشر، والشر هو ما دل الشرع على قبحه، وهكذا العقل السليم من الهوى دل على قبحه وأنه شر وضرر ونقص وشؤم، فأمر الله تبارك وتعالى عباده عامة والمؤمنين خاصة بالتعاون على طاعته، وترك التعاون على معصيته، بل نهى عن التعاون على معصيته، وقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة:٩].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾ [البقرة:١٨٩].

فدل ذلك على وجوب الإعانة على الخير، ووجوب ترك الإعانة على الشر، وأن الإنسان لا يكون مؤمنًا حقا إلا إذا قام بهذا الواجب أعان على الخير بحسب المناسبة، والداعي، وترك التعاون والإعانة على الشر، لأن الإنسان مبتلى بالخير وضده ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء:٣٥]، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢].

فيعين الإنسان على حسن العمل ولا يعين على سوء العمل، ولا يعين على معصية الله عز وجل لا بترك واجب ولا بفعل محرم، ويعين على مصالح ومنافع الناس التي لا تعارض الشرع - التي تعارض

الشرع لا يعين على ما يزعمه الناس أنه مصالح ومنافع وهي ضد الشرع، لا، يُنظر في هذه المصالح والمنافع فإن كانت موافقة للشرع، وأقل الأحوال أنها لا تعارض الشرع ولا تخالفه فيُعين عليها، وإن كانت تخالف الشرع لا ما يعين، فإن النبي ﷺ أخبر أنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق جل وعلا، وقال: «إنما الطاعة في المعروف».

وقال عن ولاة الجور: أنهم يعانون على طاعة الله ولا يعانون على معصية الله، ويُصبر على جورهم طاعةً لله تعالى، وتحقيقًا للمصلحة العظمى والكبرى، لأنهم إذا نوزعوا سلطانهم وقعت الفتنة العامة، وزال الأمن العام، وشقي الناس، تعطل دينهم وتعطلت دنياهم وبالتالي شُغلوا عن آخرتهم، ولهذا في هذه الآية التي سمعتم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ على الطاعة والمعروف، ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ ترك السيئات والمخالفات ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ يعني على الإثم فيما بينك وبين الله عز وجل من معصية، ولا على الإثم الذي فيه جناية على غيركم، فلا تتعاونوا على معصية الله بأنفسكم، ولا على جنايةٍ على غيركم، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ اتصفوا بتقوى الله في سائر الأحوال، وتقوى الله عز وجل واجبة على العبد ما فيها خيار في كل مقامٍ وحال بحسب ذلك المقام والحال، فإن أُذن للصلاة في التقوى التطهر والسعي إلى الصلاة، وإن كان في صحبة الوالدين فالتقوى البر والإحسان وكمال الأدب والخدمة حُسن الخدمة، وإن كان مع الزوجة فالعشرة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

ما تدروا عن عواقب الأمور، وهكذا مع الجار وكف الأذى والإكرام والإحسان، وهكذا عند دخول المسجد ومراعاة أذكار الدخول، وعند الخروج مراعاة أذكار الخروج لا تدخل ولا تخرج إلا بعد الفراغ من الذِكر، وهكذا عند دخول المنزل نفس الشيء اذكر وأنت تدخل، واذكر وأنت تخرج، وهكذا عند بداية الطعام ابتدأ بذِكر الله عز وجل، واشكر الله على نعمته، وإذا فرغت فاحمد الله على نعمته، واسأل الله أن يسيغه وينفعك به، وهكذا في كل المقامات حتى إنه إذا عصفت الريح ما يكون عادي عندك، فتقول: «اللهم إني أسألك خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به».

وفي رواية: «ما أُمرت به»، «وأعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به»، أو: «ما أُرسلت به»، إذا سمعت صوت الرعد فتقول: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، اللهم لا تقلتنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك.

وهكذا في كل مقام اذكر ما حق الله عليك، فإن كان واجبا فأدي منه ما استطعت، وإن كان مستحبا فلا يفوتك، وإن كان حراما إياك إياك أن تباشره، أو تعين عليه، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

وذكر النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآية السورة العظيمة سورة {العصر}، التي أقسم الله تعالى وهو البار الصادق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء:١٢٢]. بالعصر والعصر هو الزمان الذي هو عمر الدنيا، وعمر الإنسان منها، وجزء اليوم الذي يعيشه الإنسان، لأن كل هذه من آيات الله جل وعلا، والله تعالى إذا أقسم بشيء، فإنما ينبه عباده على أن هذا المقسم به أول شيء أنه من دلائل وجوب عبادته، وإفراده بالإلهية، وأن هذا من آيات استحقاقه للعبادة ودلائل وبراهين استحقاقه للعبادة سبحانه، وأنه من نعمه على خلقه، وأنه سيُسأل الإنسان عنه، ويكفي في العصر الذي هو الجزء الأخير من النهار أنه وقت شيخوخة النهار وقرب زواله، وهذا يذكرك أنت بنفسك، فأنت قد تشيخ وقد أنك تموت قبل أن تشيخ، فإذًا تذكر هذا الجزء من النهار عظة، وبعده الظلمة، والظلمة تُذكر بظلمة القبر، فالعصر يُذكر بقرب ووشك نهاية العمر، والظلمة بعده ظلمة الليل تُذكر بظلمة القبر.

واليقظة بعد النوم إن أيقظك الله تُذكر بالبعث بعد الموت، ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس:٥٢] ظانين أنهم نائمين وهم كانوا في البرزخ وكان المؤمنون ينعمون، والكفار والفجار يعذبون، لكن هالهم حدث القيامة فنسوا كل ما مر بهم، ما هو لسهولته لا لخطورة حدث القيامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج:١-٢].

وقال عن يوم القيامة: أنه ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر:١٠].

فلذلك أقسم الله بالعصر، ليش؟ ليُنبه أن هذا من دلائل وجوب توحيده، وإفراده سبحانه بعبادة ما شرع، والخضوع والذل له رغبة ورهبة، وحبا وتعظيما له جل وعلا، وفي ذلك التنبيه على أن هذا حظك من الدنيا، وأنت لا تدري هل لك حظ بعد يومك هذا ولا لا، الذي مضى تعلمه أنت والله يعلمه وهو خزانة للأعمال، وتستنفذ به الأعمار وتستدنى به الآجال انتبه فقد تكون في آخر لحظات عمرك، فلذلك استحق أن يُقسم به.

والثالثة: التنبيه على أن هذا الزمن الذي أعطاك الله إياه من نعم الله عليك، ليش؟ لتؤدي وظيفة العبودية ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وأنك مسؤول عن هذا هذه العبودية وهي العمل، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٣]، ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف:٧].

فينبه الإنسان لهذا، ولهذا أقسم الله بالعصر، على ماذا أقسم؟ عل أن أكثر الناس خاسر لأنهم غافلون ومتغافلون عما خُلقوا له، فظنوا أن الدنيا مرتفع فقط وصاروا كالبهائم، الكفار ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد:١٢].

هؤلاء الخاسرون، ومن أشبههم من فساق المسلمين وهم الفجار، فجنس الإنسان خاسر إلا من تحرز من الخسارة، بماذا؟ بأربعة أشياء:

الإيمان بالله جل وعلا عن علم ما هو عن ظن وخرس، لا عن علم، وعمل صالحا لله تعالى عمل بشرع الله تعالى محتسبا، مصيبا للسُنة، يعني مخلصا لله تعالى يبتغي وجهه، ومتبعا للنبي ﷺ في الأداء والكيفية، فيكون على الشرع في أصل المشروعية، ويكون مخلصا له في القصد والنية، ويكون متبعا للسُنة في الأداء والكيفية، هذا العمل الصالح لا يكون صالح إلا بهذا، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يكثر أن يقول: **"اللهم اجعل عملي كله صوابا، واجعله كله لك خالصا، ولا تجعل فيه لأحد غيرك شيئا"**.

فلما سئل الفضيل بن عياض عن معنى قول الله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك:٢]، قال: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا فضيل ما أخلصه؟ قال: ما أُبتغي به وجه الله جل وعلا، وما أصوبه؟ قال: ما

كان على الشرع وتُحريت به السُنة، فلا ينجو من الخسارة أبدا إلا من آمن بالله عن علم، وعمل بعلمه لله جل وعلا صالحا يبتغي به وجه الله جل وعلا ويتحرى به السُنة، وخص من العمل الصالح نوعين:

الأول: أن يوصي نفسه، وغيره بالحق، بدين الله جل وعلا، ونسأل أنفسنا هل هذا يهمنا يوميا هذا ولا لا؟ أكثر الناس دينهم على الإلف والعادة ما هو عن نية وحسبة ولا عن علم وبَينة، فهذه الوصية بالحق الوصية بدين الله.

والثانية: أن توصي نفسك وغيرك من قريبٍ أو بعيد بالصبر على ذلك، فتصبر على طاعة الله جل وعلا، وحُسن أداءها فلا تملها وتتركها، وتصبر عن معاصي الله جل وعلا فلا تحملك الشهوة والشيطان الغرور والنفس الأمارة بالسوء وقرناء السوء على معصية الله فترتكبها، وإن وقعت في شيء من ترك مأمور أو فعل محظور فبادر بالتوبة إلى الله عز وجل من جميع الأمور.

والثالث: أن تصبر على أقدار الله المؤلمة، ما يصيبك الله عز وجل به من البلايا بالخير وضده ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

فيختبرنا الله عز وجل بذلك، يُهيأ لنا الخير وييسر أسبابه هل نقبله ولا لا؟ وهل نخلص لله فيه ولا لا؟ ويهيئ لنا الشر وتعرض لنا أسبابه هل نتركه لله عز وجل خوفا منه أم لا؟ أنت مبتلى من حين تستيقظ إلى أن تنام، فكن وقافا مع نفسك لله جل وعلا التقوى في كل مقام بحسبه في كل مقام وحال بحسبه، هكذا ينبغي للمسلم، ولذلك نص الله تعالى على التواصي بالحق التواصي بالدين، بالمصلحة الكاملة، أو الراجحة، والتواصي بالصبر على ذلك كله، ومن ذلك حُسن التعامل مع الخلق، ومن ذلك الرفق في النصيحة، ومن ذلك حُسن التعامل مع الناس ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:٨٣].

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩٦].

يعني إذا وقعت «**ادفع بالحسنة السيئة تمحها**». يقول النبي ﷺ: «**إذا وقعت في سيئة بادر بالتوبة منها**»، هكذا ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:٨٣]، فيكون الإنسان هذا الأصل عنده وهذا المنهاج ولا

يغيب عن باله هذا الشيء، ليش؟ لأنك متعبد أنت عبد لله جل وعلا في كل لحظة من لحظاتك، أتدرون أن الفقهاء رحمهم الله من فقههم نصوا على مسألة تافهة عند الناس قالوا: أنه إذا قعد على حاجته للبول، أو الغائط يتكأ على رجله اليسرى ما يتكأ على اليمنى تكريما لليمنى، وهذا يحتمل أمرين:

- يحتمل إنه التكريم لليمنى، وإهانة اليسرى، لأن اليسرى للأذى ونحوه، واليمنى للخير ونحوه، ويحتمل إنه في إعانة على تسهيل خروج الخارج، وانقضاء الحاجة بيُسر، والفراغ من هذه الحاجة، ليش؟ لأنها قد تعرض لك في الصلاة، ولذلك النبي ﷺ كان إذا أُذن للصلاة قام هو ومن حضر فالتمسوا الماء، ما يروحون للمسجد إلا على طهر، ليش؟ لأن المشي إلى الصلاة صلاة، فإذا ما كنت على طهر ما يُكتب لك صلاة، هذه الحاجة الأولى.

- **الثانية:** كان ﷺ يُمهل بعد الأذان وقتا كافيا بحسب أحوال الناس، ليش؟ ليعتصر المعتصر، من هو المعتصر؟ الذي يحتاج إلى قضاء الحاجة حتى لا يسبقه الحدث وهو يصلي من ريح، أو خروج خارج من غائط أو بول.

لأن الإنسان قد يكون عنده علة في المخرج فنفس الشيء، فيحتاج إنه يتهيأ قبل الصلاة، ويكون متحفظا إن احتاج إلى ذلك حتى ما تضيع صلاته، «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**». ولا تقبل صلاة بغير طهور. فهذه سُنة النبي ﷺ، ولذلك جُعل أقل الوقت بين الأذان والإقامة المغرب عشر دقائق، وبقية الأوقات عشرين دقيقة، والفجر خمسة وعشرين دقيقة، وترى هذا هو الأقل فمعناه أنه يحتمل الزيادة لأن الناس تختلف ظروفهم، عد جماعة المسجد كل واحد تجد عنده مشكلة صحية من نظر العينين وسمع الأذنين إلى البلع إلى النفس إلى حركة البطن إلى المخرج ضعف في الناس ضعف إلى الله عز وجل، فبعد ساعة تجده تهيأ قبل الوقت حتى يتهيأ.

ولذلك كان ﷺ يُمهل حتى يتوضأ المتوضأ ويعتصر المعتصر ويفرغ للحاجة اليوم الناس أهل غروب وسواني يطوون أجهزة الغروب والسواني حتى لا تأكلها الجرذان والثعالب، وأهل الماشية أنت في عموم ماشيتهم، وغير ذلك، خصوصا العشاء يمهلهم لأن فيهم وقت أكثر من غيره، وهكذا الفجر، وخصوصا في الصيف مظنة قِصر الذي هو قصر الليل وطول النهار، فينبغي أن يراعى هذا ولا يكون الناس فيهم حماقة وجرأة على الشرع ما يبالون بالشرع ولا شيء، أهم شيء ساعتنا بالدقيقة

وين تروح؟ طول وقتك وأنت ساهي في دنياك، وأنت في بيت الله الملائكة تصلي عليك، وتدعو لك، والدعاء مستجاب، ودعوة المسلمين تعمك في المسجد.

والله يذكرك فيمن عنده، وانتظارك للصلاة صلاة، وانتظار للصلاة يأذن للرباط في سبيل الله كأنك في حرب، ليش تستعجل بالخروج؟ حتى يخرج واحد ومعه الجوال ويفشي أسراره في المسجد أنا أسمعهم، مجرمون هذا ولا ايش، ويطلع يدور على المسجد حتى تفوته الصلاة أنا رأيتهم بعيني تفوته الصلاة وهم مجنون، ويشير بيده والناس ما يدرون أنه يشير بيديه لأن السلك خفي سلك السماعة، يظهر الإنسان العاقل بصورة المجنون علشان ايش؟ ايش يفوتك من الدنيا الذي ما حصلته بعمرك الماضي إن يسره الله في المستقبل فهو متيسر اتق الله، اتق الله، قدم تقوى الله على كل أمرك.

فينبغي أن الناس يتنبهون ويعوون، وأن المواعظ تؤثر فيهم كل يوم بزيادة عمل، وإنابة لله عز وجل، ومحاسبة للنفس عن سوء العمل، وشكر لنعمة الله عز وجل، ويتواصون بالحق، ويتواصون بالصبر، ويتواصون بالمرحمة، ويتواصون بحُسن الجوار، ويتواصون بحُسن التعامل، ويتواصون بالمصالح الكاملة والراجحة، ويتواصون بترك المفاسد الكاملة والراجحة، يعين بعضهم على بعض يعين بعضهم بعضا على هذه الأمور، وهذا دين الله، الدين جعله الله تحصيل لمصالح الدنيا والآخرة، وتوقيا للشر، والشؤم في العاجلة والآجلة، وما نقص من الدين والله العظيم إنه نقص في الدنيا ونقص في الآخرة خذوها مني ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [الطلاق:٤].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾ [الطلاق:٥].

﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ۝٦٣﴾ [مريم:٦٣].

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ۝٧٢﴾ [مريم:٧٢].

لا تكن من الظالمين، فيعتبرون الناس، أما أن تمر عليهم الخطب والمواعظ والدروس ولا يغيروا من أحوالهم شيء، لأنهم على روتين الحياة وعلى الإلف فهذا نقص في العقل، وهذا ضعف في

الإيمان، وهذا غرور في الدنيا، وهذا غفلة عن الأجل، وهذا من فعل الكفار والتشبه بهم، أي لحظة يطلع عليك طارئ ..... (٢٥:٥٩) بل المرض ولا تستطيع لا تصلي ولا تذكر ولا تعقل حتى، محروم، استعمل نعمة الله عليك في العصر في العمر، هذا هو الذي أقسم الله به: {والعصر}، لأن العصر هو الدهر كله هو العمر عمر الإنسان حظه من الدنيا، وهو حظك من الأسبوع، حظك من الشهر، حظك من اليوم نفس الشيء، لا تدري هل تدرك مثله ولا لا، اختم بخير، وإن ختم الله لك بأن أحياك فيه نعمة جديدة من الله عليك اشكر كن أشكر من أمس، لا تكن غافلا جاهلا، كل أمورك على العادة والإلفة.

حتى إن الناس أنا أسوي وأسوي وعندي مشاريع وعندي كذا ولا يقول إن شاء الله! ضامن الحياة!، ما رأيتم الناس والحوادث على الطرق جنائز، يقول النبي ﷺ: «**إذا أراد الله أن يقبض روح عبدٍ في أرض جعل له فيها حاجة**»، والله تعالى قال للحجاج الذين قدموا من آفاق الدنيا لطاعته قال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣]، - هذه أيام التشريق في الحج ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة:٢٠٣]، - المتعجل والمتأخر ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾،- زيادة تأكيد ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة:٢٠٣].

مثلما جُمعتم في هذا المكان للحج وتتفرقون منه والله ما تدرون تفرقكم هو إلى بيوتكم وأهلكم، ولا إلى قبوركم ومصارعكم، فاستعدوا للقاء الله، ربما أن الإنسان راح لأهله ولا يقوم إلا للقيامة بس، ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يس:٥٣-٥٥] تمتعوا بنعيم عملهم الصالح، والآخرون أشقياء، ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٥٩-٦١].

الشيطان هو الذي يطلعك من المسجد، هو الذي يؤخرك عن المسجد، هو الذي يبرر لك هذا الإمام .... ، هذا الإمام كذا، هذا الإمام كذا، حتى إنك تغفل هو الذي يجعل الجوال يتصل عليك

يدخل عليك في المسجد في عبادتك والناس يتزينون بالجوالات الآن، كل هذا حرص على الدنيا لكن الدين يضيع ما يخالف، ولهذا ترن الأجراس في المسجد كأنهم في كنيسة وبعضهم يتأنى ما يريد بعد، وربما يطلع ويقرأ وهو يصلي فتبطل صلاته إذا قرأ، قرأ غير العبادة وغير القرآن وغير الأذكار المشروعة، يريد أن يطمئن أن لا يفوته شيء من الدنيا إنا لله وإنا إليه راجعون، فلنتق الله في أنفسنا، ولنتعاون على البر والتقوى، ولنتناهى عن الإثم والعدوان، ولنتواصى بالحق وبالصبر وبالمرحمة، ولنقبل على ربنا قبل مفاجئة الأجل.

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**ما من أحد يحضره أجله إلا تمنى الفسحة، فإما محسن ليزداد، وإما مسيئا ليستعتب**".

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:١٠-١١].

حتى لو أُخرتم الله يدري ستطيعونه أو تعصونه؟ فربما يقسم عُمر العاصي ويمهل المطيع، ولذلك البار بوالديه يزيد عمره ويبارك له في عمره، وهكذا.

١٧٩ - وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رَسُول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟» قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنتَ؟ قَالَ: «رَسُول الله»، فرفعت إِلَيْه امرأةٌ صبيًا، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أجْرٌ». رواه مسلم.

١٨٠ - وعن أَبي موسى الأشعري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النَّبيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنَّه قَالَ: «الخَازِنُ المُسْلِمُ الأمِينُ الَّذِي يُنفِذُ مَا أُمِرَ بِهِ فيُعْطيهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أحَدُ المُتَصَدِّقين». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية: «الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ» وضبطوا «المُتَصَدِّقَينِ» بفتح القاف مَعَ كسر النون عَلَى التثنية، وعكسه عَلَى الجمعِ وكلاهما صحيح.

باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم

عن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ في الله، نَادَاهُ مُنَادٍ: بِأَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا». رواه الترمذي.

وعن أَبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن مجالسة الصالحين مما تزيد الإيمان، وكان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يقول بعضهم لبعض: **اجلس بنا نؤمن ساعة.**

وإذا اجتمعوا وأرادوا أن يتفرقوا -الاثنان والثلاثة وأكثر- لم يفترقوا حتى يقرأ أحدهم على الآخر سورة العصر، لما فيها من الوصاة بالإيمان والعمل الصالح، والقيام بواجب النصيحة والمرحمة والدعوة إلى الله تعالى إلى غير ذلك، ولهذا في الحديث؛ أن المسلم إذا زار أخاه في الله زيارة يتقرب به إلى الله، ليست لأغراض دنيوية؛ فإنه يُنادى من السماء «أَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ»، هذه بشارة، البشارة الثانية: «تَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا»، وبشارة ثالثة جاءت في حديثٍ آخر: «أن عبدًا من عباد الله زَارَ أَخًا لَهُ في الله، فَأَرْصَدَ الله تَعَالَى فِي مَدْرَجَتِهِ -في طريقه- مَلَكًا - في صورة إنسان-، فَلَمَّا مر به سأله: أَيْنَ تذهب؟ قَالَ: في زيارة أخي فلان في الله. قَالَ: هَلْ لَكَ نِعْمَةٍ -أو له نعمة- تَرُبُّهَا عَلَيك؟ -يعني أحسن إليك في شيء تكافئه بها؟- قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في الله تَعَالَى، فَقَالَ: فإِنِّي رَسُول الله إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».

فبكم تُشترى محبة الله –جل وعلا–، فهذا دليل على أن الإنسان يحرص دائمًا على صحبة خواص الصالحين، لأنهم يعلمونه ما جهل، ويذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، فيكون أسوة صالحة له في عبادة الله تعالى والبُعد عن التمطي والكسل والخمول، فهذا ينبغي للإنسان أن يُعنى به، ولذلك؛ جاء الكتاب والسنة بضرب الأمثال لتقريب الأمور المعنوية بالحسية حتى يفهمها الناس، مثل ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس:٢٤]، للتزهيد في الدنيا، ومثل قوله ﷺ: «**مَثَل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا**» وذكر أنواع الأرض، وهذا مثَل لاستقبال الناس للعلم الذي جاء به النبي ﷺ والسنة، الهُدى هو العلم، فمن الناس مَن يقبله ويتفعل معه وينتفع به وينفع غيره به؛ كالأرض الطيبة، ومنهم مَن يحفظه ويستفيد منه؛ لكن لا يبلغ غيره، وهذا كالأرض التي أمسكت الماء فزرع الناس وانتفعوا، ومنهم مَن لم يرفع بالعلم رأسًا ولا بالعمل رأسًا، فهذا كمثَل الأرض التي لا تنبت كلئًا ولا تمسك ماءً، فلذلك النبي ﷺ قال: «**مثَل الجليس الصالح كحامل المسك**» والمسك نوع من الطيب خاص، له ميزة، يؤخذ من نوع من الغزلان، يُحجر دمه في رقبته، ويُربط على هذا الشيء المحجور مدة معينة، ثم يكاد ينفصل من الجلد، ويكون هذا الدم الذي فيه أطيب الطيب، هو المسك، فيقول أن بائع المسك بائع الطِيب الطَّيب؛ إذا جلست انتفعت منه بإحدى ثلاثة:

- إما أن يُحذِيَك، يعني هو يبدأك بالمعروف، يُحسن إليك ويُهدي إليك طِيبًا.
- وإما أن تبتاع منه بمالك أنت.
- وإما تكتسب منه ريحًا طيبًا، لأنه يفتح أوعيته ويبيع على هذا ويعطي هذا وكذا وكذا، فتكتسب ريحًا طيبة.

هذا مثَل للجليس الصالح، لأنك ما تفلس منه، تحصل خيرًا دينيًا ودنيويًا وسمعةً طيبة، ولا تتضرر بوجه من الوجوه.

أما جليس السوء والإنسان الغافل: المُخلِد إلى الدنيا المُعجب بدنياه الغافل عن ذكر الله تعالى؛ فهذا خطير عليك، فإنه كنافخ الكير، والكير؛ آله من جلد، تُجعل على شكل منفاخ، فينفخ بها لإشعال

الضوء، ينتفع منه الحداد وينتفع منه كذا وينتفع منه صاحب البيت وغير ذلك، ولكنه يضرك أنت إذا جالسته، فهو يصبغك من ريحه ونتنه وصنعته، كنافخ الكير، ما تستفيد منه، تتضرر وأنت ما تستفيد لأنك لست صاحب صنعة ولا لك حاجة، مثل هذا لا تجالسه، يكفيك هذا المثَل.

فلهذا الإنسان يعتني بصُحبة الأخيار، ممن عندهم علم ومَن عندهم عمل صالح، ومَن يحبون الاستزادة من العلم والعمل الصالح، وممن لهم سمت ووقار وهيئة، بحيث أن الإنسان ينشط بصحبتهم ويتعلم أمورًا كثيرة في دينه ودنياه، ما يتضرر، فلذلك الإنسان يحرص أن يصطفي له أخًا في الله أو أكثر حتى ينتفع، وأقل الأحوال تثبيت الإيمان وهو خيرٌ كثير، وزيادة الإيمان وهذا فضل من الله -جل وعلا-، والاستفادة من مصالح الدين والدنيا والآخرة، جلعنا الله وإياكم من الأخيار وخواص الإخوان في الله المحبين في الله، الذين يحبهم الله ﷻ ويهيئ لهم جنته، ويبشرون في الدنيا قبل الآخرة بهذا المآل الكريم والأجر العظيم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وَعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قالَ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاك». مُتَّفقٌ عَلَيهِ.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ لِجبريل: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورنَا أكثَر مِمَّا تَزُورَنَا؟» فَنَزَلَتْ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم:٦٤]. رواه البخاري.

وعن أَبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قالَ: «لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ». رواه أَبُو داود والترمذي.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه الأحاديث؛ كسابقتها، في الحظ على صُحبة أهل الخير والتقوى والاقتران بهم وتبادل الزيارات فيما بينهم، بإثبات الأخوة الإيمانية وللتحاب في الله –جل وعلا-، ولطلب ثواب ذلك، والحذر مما يؤدي إلى نقص الإيمان، أو الجفا والقطيعة بين أهل الإيمان، كلٌ بحسبه، بين الأرحام وبين الجيران وبين أهل العلم وبين أهل المال والإحسان، حتى يتحقق التعاون على البر والتقوى، والتناهي عن الإثم والعدوان، ومعصية النبي ﷺ وكذلك يؤمر بالمعروف ويُقبل ويُنهى عن المنكر ويُستجاب للناهي، ومثل ذلك النصيحة، في كتاب الله تعالى، لله تعالى ولكتابه ولنبيه ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

فإذا حصل التواد والتحاب والتآخي في الله والتزاور في الله قويت هذه الأمور ونشط أهلها وإذا ضعُفت أو عرض لها ما يُذهبها؛ انقطع التعاون وانقطع الناس من الخير، صارت الوسائل والأسباب متاحة لزيادة الشر والفتنة بين الناس، ومن أخص الأمور الزواج، ولذلك أخبر النبي ﷺ الحديث الصحيح الذي سمعتم، أن الناس عادةً يحصل الزواج بينهم، زواج الرجل بالمرأة، لأغراض يشتركون فيها، لأجل: حسَبِها ونسَبِها، ولأجل: مالِها، ولجمالِها، ولدينِها، فهذه أولويات الناس في الزواج، أحدٍ يطلب المرأة لشرف حسَبِها ونسَبِها، شرف أصولها وأهلها حتى يرتفع بذلك، وقد يطلبها لأجل أن

يرتفق بمالها أو وظيفتها إن كانت موظفة، وهكذا في نفس الأمر الجمال مطلوب، وهذه مطالب أهل الدنيا في الجملة، الأخيار وغيرهم، لكن طلب المرأة لدينها، أو المرأة للزوج لدينه؛ هذا قليل بين الناس مَن يعتني به، ربما يكون مدعىً في أول الأمر ثم يتكشف أن الدين هو أدنى شيء في نفوس الناس، وهذا غلط، النبي ﷺ قال: «**إذا جاءكم مَن ترضون دينه وخُلُقه فزوجوه، إلا تفعلوا؛ تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير**».

ينبغي لمن يريد الزواج من الرجال؛ أن يتحرى عن المرأة الصالحة أول شيء، فإذا وجدها صالحة؛ فالأمور الثانية؛ يتغاضى فيها ويتسامح فيها، وإلا يكون هو الأصل الصلاح، ثم ينظر في بقية الأمور، وهكذا المرأة أو ولي المرأة إذا جاءه الخاطب ينظر في الأمرين، الأصل: الدين والخُلُق، لأنه قد يكون بعض الناس متدينًا لكن لا خُلق له، فيه سفاهة، فيه سوء خُلق، فيه لؤم، هذا ما يصلح حتى لو كان متدين، يكون أحد عنده خُلق؛ يُحسن التعامل والكلام وفيه جود وكرم وكذا وكذا، لكنه لا دين له، فهذا ليس برغبة، فأول ما يُنظر؛ الدين، ثم يُنظر في الخُلق، ثم يُنظر في بقية الأمور، من جهة الخاطب وللمخطوبة، لأن الصُحبة والعشرة يُفترض فيها الدوام، ولأن الزواج يُطلب لمقاصد مثل ما منها الاستمتاع؛ فمنها الإعانة على الدين ومنها الإعانة على مصالح الدنيا، ومنها مراعاة صلة الرحم والقرابة، وأن القريبة نسَبًا تكون أصدق من جهة التعامل مع زوجها وأغير عليه وهكذا.

وهكذا يُفترض في الخاطب، أنه إذا كان قريبًا يكون أصدق في طلب مقاصد الزوجية، ويكون في الغيرة كذلك وحسن التعامل ومراعاة حق الرحِم، ومراعاة النسب، فهذه أمور تنبغي، ما يكون الزواج بحسب الهوى والعواطف، هذا ليس بشيم، وسرعان ما يفشل، يكون بدل ما يراد منه الخير؛ يكون ضد هذا، يسبب نقص في الدين؛ وفتنة في الدنيا.

ولهذا يُشرع في هذا الزواج أمور: منها السؤال العام، عن خصائص الرجل ومميزاته، وعن خصائص المرأة ومميزاتها، فيُنظر في المرضي من هذا؛ توفره وكماله، ويُنظر في غير هذا؛ ليُحذر حتى لا يقع في ورطة أو أشبه وكذا، وإذا أراد الإنسان الزواج أو التزويج؛ يسأل ويستخير وينظر في الأوصاف قبل أن يعطي كلمة أو تؤخذ منه، حتى يكون الطرفان على بيِّنه من هذا الشيء، هذا أمر استهان به بعض الناس، صاروا لا يبالون، حتى أدى الأمر إلى تعطيل الزواج من جهة أنهم يؤخرونه بالتسويف، وربما

يشترطون شروطًا خيالية مثالية، ثم يُضحي الرجل بلا امرأة ويعزف عن الزواج، والمرأة كذلك تقول أكمل دراستي وأريد كذا وكذا ثم يفوت القطار وتبقى، هذه مصيبة، مشكلة، هذه من المشاكل الاجتماعية القائمة اليوم، ومن ذلك أنه تكثُر نسبة الطلاق، لأن الناس يعتمدون في هذا على التجارب، وهذا غلط، أوثق العقود وأعظم الشروط؛ ما تُستحل به الفروج، ما يكون على وجه التجديد أو يكون على وجه الاحتياط، والأخذ بأسباب النجاة وتجنب أسباب الفشل، لأنه يطلق في اليوم الأول أو في الأسبوع الأول أو في الشهر الأول، أو بعد سنة أو بعد ما يكون بينهما أولاد وغير ذلك، فتنقلب المودة عداوة، فيؤدي هذا إلى التقاطع ونقص الدين وفتنة في الدنيا، هذا ما ينبغي ولا يليق بالعقلاء، الجرأة عليه، يقول النبي ﷺ: «**أحق الشروط أن توفوا به؛ ما استحللتم به الفروج**»، والله ﷻ نبه على هذا الأمر كيف يُتساهل فيه: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء:٢١].

والنبي ﷺ خطب في عرفات في حجة الوداع قال: «**إنكم إذا أخذتم النساء بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله**» (١١:٢٥) فانكحوهن، وأنكحوا ونحو هذا، بحيث أنه يُعرف قيمة هذا العقد وأنه عقد وثيق، وأنه يُسئل عنه الإنسان يوم القيامة، بل في الدنيا والآخرة، ومَن أساء وظلم؛ لحقته التبعة.

وأنا أعرف أن لحقت التبعة الناس وهم في الحياة قبل الممات، لما حصلت الزواج والتزويج وكذا؛ يصير بعض الآباء من جهة الزوج أو الزوجة يتكاثرون الزوج على الزوجة أو العكس، ثم يسعون في الفراق، ويطالبون بشبه ودعاوى باطلة، والله لقد رأيتهم الأبوين افترقا وعاش كل واحد منهما عشرين أو ثلاثين سنة قبل موته، كل واحد وحدة، من شؤم التدخل في هذه الأمور، فلا يُستهان بهذا، هذا أمر عظيم، لأنه تعدي على حرمات الله وعلى حقوق عباده، ويؤدي إلى التقصير في أمور شرعية لها شأنها ومنزلتها في الإسلام، وقد يؤدي والعياذ بالله إلى الفتنة في الدين أو الجناية من أحد الطرفين على الآخر في الدنيا، تصير مسائل كبيرة وخطيرة، ويُشرد الأطفال وتقطع الأرحام، ويحصل الفساد وسوء الظن، إلى غير ذلك، ينبغي العناية بهذا الجانب، يكون الناس يتروون في هذا الموضوع ويتثبتون، وتُخلص النيات وتراعى مقاصد الزواج والتزويج، يكون الدين أهم شيء عند الناس، أنه يحصل إعانة واستعانة على إقامة الدين، وعلى صلاح البيت في داخلة، يكون البيت مدرسة مباركة،

ويكون الزواج وشيجة وصلة، صلة رحم وأداء حق، وحسن معاملة، وتعاون على مقاصد الدنيا والآخرة.

أما أنه يُبتذل بهذه الطريقة التي عليها كثيرٌ من الناس؛ هذا غلط، هذه من أسباب التهاون بالاختيار أولًا، أنه تُغلب فيه العواطف أو مقاصد الدنيا أكثر، ويُهمل الجانب الديني، وتُهمل المقاصد، هذا غلط وخطر كبير، وإذا وقعت مشكلة بين الزوجين يسعى كل الأطراف التي لها علاقة بالزوجين؛ في لم الشمل والإصلاح، والله تعالى قال: وابعثوا ﴿ فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾ [النساء:٣٥].

ومن أهم الأمور؛ كتمان الأسرار، وأنها ما تشاع لا عند القرابة ولا عند البعيدين، ومن أهم الأمور في هذا؛ أنه ما كل مَن ادعى الإصلاح الأسري أو التخصص في هذا الجانب؛ يؤخذ بقوله، أو أعطى سعرًا زهيدًا وشيء، لأنه قد يُفسد أكثر مما يصلح، وقد يطمع في المرأة ويفرق بين الزوجين، وهذه بعد لها سلبياتها التي ذاق الناس مرارتها، لا يستعمل الطيش والعواطف، ولا يدخل سوء الظن ويُحكم به على النيات والمقاصد، ولا يُهمل الجانب الديني، فما يبتغيه الناس في الزواج؛ يؤخذ محل عناية.

وأخص الأمور؛ الأمور الدينية، بأنه إذا تحققت صارت البركة، لأن الحياة الزوجية أسرار، ليست بالكلام، وليست بالمظهر، وليست بالصورة، ولذلك النبي ﷺ قال: «**إذا خطب أحدكم امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما**» أن يؤلف بينهما يعني، والتأليف بينهما يحتاج زمن، ما يحتاج أسبوع أو شهر أو سنة أو سنتين، لا، زمن وصبر ومصابرة وحسبة ونية صالحة وعناية بدراسة المشاكل إذا وقعت وتحري أفضل السبل لحلها والمحافظة على أسرار الناس وأسرار البيوت وأسرار الزوجية، لأن هذه الأمور الآن استُهين بها وتُجرئ عليها، فصارت سبب في انتهاك الحرمات وتضييع الحقوق وإشاعة الأسرار وإشاعة العداوة والبغضاء بين الزوجين وذويهما، صرف مصائب.

حتى أن نسبة فشل الزواج والطلاق؛ ربما جاوزت إلى ٣٠ أو ٤٠٪، وهذا خطير جدًا، خطير جدًا، وكونه يُكره الزواج بسبب سوء التصرف؛ هذا بعد إساءة إلى الشرع، ويؤاخذ الله عليه، وربما يكون من الحقوق التي لا يغفرها الله ﷻ حتى يغفر أهلها، فهذا موضوع جدير بالعناية والاهتمام، مع حسن النية ومراعاة مقاصد الشرع ومراعاة مصالح الناس في الدنيا، أنها تتحقق على أفضل الوجوه وأكملها قدر

المستطاع والإلحاح على الله ﷻ بالدعاء بالتوفيق والتسديد والإعانة، ولم الشمل وستر الشعث والنصيحة إذا ابتُلي الناس بهذا بالخلاف، أنه يكون فيه النصيحة، وأداء للأمانة، وبُعدًا عن التحريش وتكبير الأمور، وبُعدًا عن الحكم على مقاصد الناس وما في صدورهم، هذا ما يعمله إلا الله، يكون في هذا عناية، بقدر ما يستحق الأمر، لأنه أمر كبير وخطير، ولا يكون فيه تهاون بأمر عظَّم الله شأنه وذكَّر عباده بما يلزم له، وحذرهم مما يؤدي إلى فشله، وأن هذا من الدين الذي تجري فيه المقاصة، للمظلوم من الظالم في الدنيا قبل الآخرة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

باب فضل صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

درس اليوم إن شاء الله في بيان فضل الصلاة، في المساجد مع الجماعة في حق الرجال، وأن ذلك الفضل؛ عظيم وكبير جدًا، ومع هذا يتهاون به كثيرٌ من الناس، فأول ذلك؛ قول الله –جل وعلا-: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة:١٨].

فعسى هنا؛ إيجاب، فهي شهادة من الله –جل وعلا- أن الذي يصلي في المسجد مع الجماعة مهتدي، شهادة من الله –جل وعلا- ما هي من الخلق، -جعلنا الله وإياكم من الهداة المهتدين.

الأمر الثاني: قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧]، وأخبر –سبحانه وتعالى- أنه يجزيهم أحسن الذي عملوا وأنه يرزقهم بغير حساب، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور:٣٨]، ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾، فهذا ثناء من الله –جل وعلا-، على أهل المساجد، ووعد من الله بالجزاء الحسن، وأنه لا يعلم قدره إلا الله –جل وعلا-، أن هذا من الرزق الذي لا يخطر على بال المسلم، لا يحتسبه -لا يقدره بقدر-، فإنه أعظم من كل ما يقدره، وأن هذا من رزق الله –جل وعلا- بغير حساب، فضل ومنة، جاء في الحديث الصحيح: «**سبعة يظلهم الله في ظله** –يعني في ظل عرشه- **يوم لا ظل إلا ظله**، منهم: **رجل قلبه معلق بالمساجد**»، ما يخرج من المسجد إلا على النية الصالحة والعزم؛ أن يعود إليه، إن أمهله الله وفسح في أجله، وهذه كرامة من الله –جل وعلا-.

جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**أن الله يتبشبش بالذي يستوطن المسجد كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليه من بعد غيبة طويلة**»، وهذا دليل للرضا من الله –جل وعلا- وكرم الجزاء.

وجاء في هذا؛ ما صح عن النبي ﷺ: «أن المساجد مما يحُط به الخطايا ويرفع به الدرجات، وأنه من الصدقات»، كل خطوة يُكتب للإنسان بها صدقة، والصدقة حسنة مضاعفة إلى عشر أمثالها، وتُرفع له درجة ويُحط عنه خطيئة، بذهابه للمسجد ورجوعه إلى أهله، كان رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ لا يُعلم أحد أبعد منه منزلة من المسجد، فكان يأتي ماشيًا، فقيل له لو اشتريت حمارًا تركبه في الرمضاء في الليلة الظلماء، قال: ما أحب أن لي ذلك، إني أحب أن يُكتب لي ممشاي إذا جئت المسجد، ورجوعي إذا رجعت منه إلى أهلي، فقال النبي ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله»، هذا دليل أن الإنسان يحتسب رجوعه من المسجد؛ كما يحتسب ذهابه إلى المسجد، وهذا أجر عظيم، أقرب الناس منزلة من المسجد؛ مَن يمشي للصلاة الواحدة مائتي خطوة، مائة في الذهاب ومائة في الإياب، يكون له في اليوم ألف خطوة، وهذه ما هي سهلة، يُكفَّر عنه ألف خطيئة، ويُكتب له ألف حسنة، ويُرفع له ألف درجة، ما ينبغي للمسلم أن يستهين بهذا أبدًا.

وأبلغ من هذا أيضًا؛ جاء عن النبي ﷺ قال: «المصلي في المسجد؛ زائر الله، وحقٌ على المزور أن يُكرم زائره» والله تعالى أكرم الأكرمين، فالمصلي في المسجد مع الجماعة يرجوا كرامة الله –جل وعلا- موعود بها، والله تعالى لا يخلف وعده في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، والإنسان إذا عُمِّر ما عُمِّر وهو على هذا المنهج؛ حصل على أجر لا يمكن حصره، لا يحصره ولا يحصيه إلا الله –جل وعلا-، ولذلك أخبر النبي ﷺ: «أن أفضل مسلم في الإسلام؛ مَن يعمَّر في الإسلام» وقال: «خيركم مَن طال عمره وحسُن عمله»، جاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد؛ بالنور التام يوم القيامة»، وهذا يحتاج الإنسان إليه؛ يوم تكوَّر الشمس ويخسف القمر، ويكون الورود على النار من فوق الصراط، ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾، إيش بعد هذا؟ ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ [الحديد:١٢]، جعلنا الله وإياكم من الفائزين بهذا، هذه بشارة مربوطة بهذا، ودليلها المقدم لها هو النور التام يوم القيامة، والنور يكون في القلب في الدنيا، ويكون الوجه في الدنيا.

ولذلك كان النبي ﷺ إذا خرج من للمسجد يقول: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل عن يميني نورًا وعن شمالي نورًا، ومن بين يدي نورًا، ومن خلفي

نورًا، ومن فوقي نورًا، وأعطني نورًا» يعني كمل لي النور من جميع الجهات، لذلك النبي ﷺ قال عبارة جميلة جدًا: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد؛ بالنور التام يوم القيامة»، وإذا كانت الشوارع منارة مثل الآن؛ هذا زيادة نور وخير، ما ينقص من أجر المسلم، أو مشى في النهار، الله يعطيه نورًا.

كذلك جاء في الحديث الصحيح وانتبهوا لهذه، قال ﷺ: «مَن غدا إلى المسجد أو راح»؛ -والمراد بالغدو؛ الذهاب للمسجد، سواء كان أول النهار أو لا، والرواح كذلك الرجوع من المسجد أول النهار أو آخر النهار، «مَن غدا إلى المسجد أو راح؛ أعد الله له نُزلًا في الجنة»، النزل ما هو؟ الضيافة، المنزل والكرامة، المنزل الفسيح الكريم، والكرامة من الله ﷻ، كل وقت، أن يُجعل لك كرامتين، في ذهابك للمسجد ورجوعك من المسجد، كم يجتمع لك إذا عمُرت؟ لو ما تعمر إلا يومك هذا، فكيف إذا مَنَّ الله عليك فسح الأجَل ومكنك من صالح العمل، ينتبه الإنسان لهذا، كرامة وضيافة من الله –جل وعلا–، لا يستهين المسلم بهذا، الشيء الأخير: أن الإنسان إذا جاء وصلى في المسجد؛ سواءً انتظر الصلاة وهذا أكمل ما يكون، لأن الملائكة يصلون عليه، ما دام ينتظر الصلاة، ويشترك في دعوة المسلمين في المسجد، والله يُثني عليه من فوق سبع سماوات، وهو في صلاة، ما دامت الصلاة هي تحبسه، هذا أجر عظيم وخيالي، ما يمكن العقل يتصوره، أبدًا، فكيف يتكاسل الإنسان ويصلي مع امرأته وهي معذورة من الإتيان للمسجد، يصلي في البيت.

ينبغي للإنسان أن يخجل من الله ويستحي، استحيوا من الله حق الحياء، جاء عن النبي ﷺ في الحديث: «استحي من الله كما تستحي من رجل ذي هيئةٍ من عشيرتك» رجلٌ وقور شيخ كبير سن صاحب عبادة وطاعة مهاب له وقار، وهذا من باب التقريب، تقريب المعاني، والله أعظم –سبحانه وتعالى–.

فينبغي للإنسان ما يتهاون في الإتيان للمسجد، ويجعله على المزاج والمجاملة، إن صار عنده واح راح وياه ولا ما راح، ما هو صحيح، هذا غلط، والآجال مغيبة، ولا تأتي في الغالب إلا فجأة، وأقرب ما يكون الأجَل؛ عند طول وفسحة الأمل، هذا أخطر شيء، مَن يأبى كرامة الله –جل وعلا–!، ضيافة في الجنة، كم من الإنسان يتعب ويبني بيته في هذه الدنيا، وقد يتركه من أول ليلة، وأنا أعرف أناس بنوا

قصورًا وتكلفوا فيه ولا باتوا فيه إلا ليلة واحدة فقط، وتظن قصرك في الجنة مثل قصرك في الدنيا؟ لا، شتان، فينبغي للمسلم أن يجاهد نفسه على الإتيان للمسجد، وآخر شيء أن الله ضمن لك السبق، إنك عند الله تعالى مكتوب أنك من السابقين والمسارعين للخيرات، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦١].

لأنك أنت سابق أدنى شيء في إحدى الحالتين بنيتك لو حيل بينك وبين المسجد، أنت ناوي تروح المسجد، وتُكتب عند الله من السابقين، إن جمع الله لك بين النية والعمل للوصول للمسجد؛ فأنت من السابقين من الجهتين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣].

المغفرة والجنة؛ أعظم أسبابها بعد التوحيد الصلاة الفريضة، وما يُلحق بها من السنن، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران:١٣٦]، مَن القائل؟ هو الله –جل وعلا–، ومَن المادح للأجر؛ هو الله –جل وعلا–، يقول: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾، ما تستطيع تتصور هذا الأجر أنت، ويكفيك النص بالمغفرة والجنة، وليست واحدة، جنات تجري من تحتها الأنهار، وخلود دائم، لا يبلى الشباب ولا يهرم الجسد، ولا يتكدر الإنسان، ولا يخاف، ولا يبلى ثوبه ولا شيء، فانظروا إلى هذا الوعد الكريم من الله –جل وعلا–، أعظم الخيرات بعد التوحيد؛ الصلاة الفريضة، فلا ينبغي للمسلم أن يفرط في هذا.

ولذلك النبي ﷺ وهو الأسوة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ مرِض واشتد مرضه، وكل ما أخذ شيء قال: «**أصلى الناس؟**» قالوا: لا يا رسول الله هم ينتظرونك، يقول: «**ضعوا لي ماءً في المخضب**» المخضب: إناء، أو طشت، وفي رواية: «**مَن سبع قِرَب لم تُحلل أوقيتهن**» بارد يعني، من أجل الحمى، فيضعون الماء، وضعوه للمرة الأولى، فلما قام ﷺ ليغتسل؛ أغمي عليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من شدة الحرارة، فغفا ما شاء الله ثم أفاق، قال: «**أصلى الناس؟**» قالوا: لا يا رسول الله هم ينتظرونك، والناس عكوف في المسجد، قال: «**ضعوا لي ماءً في المخضب**» فوضعوا ماءً ثانيًا، لأن ذاك سخن، فقام ﷺ ليغتسل، فأغمي عليه ﷺ، فلما أفاق بعد بُرهة من الزمن؛ قال: «**أصلى الناس؟**» قالوا: لا يا رسول الله هم

ينتظرونك، والناس عكوف في المسجد، قال: «**ضعوا لي ماءً في المخضب**» فوضعوا الماء، هذه الثالثة، فلما قام ليغتسل ﷺ، أغمي عليه، ما شاء الله من وقت، فلما أفاق؛ قال: «**أصلى الناس؟**» قالوا: لا يا رسول الله هم ينتظرونك، قال: «**مروا أبا بكرٍ فليصلي بالناس**» فأرسل إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، نائبًا عن النبي ﷺ.

وهذه إشارة من النبي ﷺ إلى أولويته بالخلافة بعد النبي ﷺ، واستدل بهذا الصحابة رضي الله عنهم ومَن اتبعهم، أهل السنة والجماعة، فلما أفاق النبي ﷺ؛ جيء به يُهادى بين العباس وعلي رضي الله عنهما بين الرجلين، حتى أقيم إلى جانب أبي بكر الصديق، عن يسار أبي بكر، فصار النبي ﷺ يؤم أبا بكر رضي الله عنه، وأبو بكر يؤم الناس، يبلغ عن النبي ﷺ، انظروا المحاولة هذه، مَن تطيب نفسه يتخلف عن الجماعة وهو يعلم هذا الحادث، هذه الحادثة الثابتة في الصحيحين وغيرهما من دواوين السنة، كيف تطيب؟

هل رأيتم أحد خرج من قبره ليصلي؟! أبدًا، مَن مات انقطع عمله، ولذلك الحسن البصري رحمه الله من التابعين لما حضره الموت؛ قال: اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإني لم أُصب بمثلها قط، المصيبة أين؟ ما هي بالمصيبة الموت في حد ذاته، لا، المصيبة الانقطاع من العمل بالموت، فتنتظر حتى تنقطع عن بالموت؟ يعني العمل؟ صلي مع الجماعة، واحرص وجاهد، والله تعالى يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩]، وعد من الله ﷻ ﴿ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ ﴾ [الروم:٦]، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

موصوف بالإحسان وأنت مجاهد، ما تجاهد نفسك على الصلاة في المسجد؟ والسلف يجاهدون أنفسهم على القتل في سبيل الله؟ يبذلون (١١:١٨) في سبيل الله؟ كيف تعجز، فينبغي للإنسان أن يذكر هذا الشيء، فكرامات المصلي في المسجد مع الجماعة كثيرة، ومن ذلك أنه حتى لو فاتته الصلاة يُكتب له أجر الجماعة، لأنه أدرك الجماعة، ليش؟ لأنه بنيته جاء، فترضى؟ واللي يصلي مع الجماعة؛ تُكتب له الصلاة بسبع وعشرين مرة، وأقله خمس وعشرين مرة، ترضى بصلاة واحدة وتترك خمسة وعشرين سبعة وعشرين؟ من هو هذا؟ وايش حسابه في موازين الآخرة، ما عنده حساب هذا، غلط، وهذه حماقة وجهالة، وظلم للنفس وإساءة إليها، وقدوة سوء لغيرك، خصوصًا من أهلك ومَن يُحسن

الظن بك، ترضى أن تكون فيك صفة المنافقين؟ إذا قاموا للصلاة ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء:١٤٢]، ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة:٥٤].

فينبغي للإنسان أن يهتم بهذا الشيء تدرون أن النبي ﷺ استغفر لأهل الصف الأول ثلاث مرات؟ واستغفر لأهل الصف الثاني مرتين، جاء في النص هذا، نص، ما تريد استغفار النبي ﷺ لك؟ والله أمر نبيه أنه يستغفر للمؤمنين، ما ترضى أن ينطبق عليك وصف المؤمنين وأن تنال استغفار النبي ﷺ؟ النبي ﷺ استغفر لأمته، لكن هذا استغفار معلق على عمل، أحققت العمل أنت؟ كيف يفوتك استغفار النبي ﷺ؟ فينبغي للإنسان أن يهتم بهذا، ولو ما في هذا إلا أنك تدرك الجماعة، الزم الجماعة، ولذلك بعض الناس إذا دخل والإمام ساجد أو جالس ينتظر، يشوفه يقوم للركعة الأخيرة ولا، هذا غلط، ادخل معهم تدرك الجماعة، يعني تدرك فضل الجماعة، ما أدركت الركعة لكن تدرك فضل الجماعة، ادخل لو تيجي في التشهد الأخير؛ دعوة واحدة فقط تدركها، قدر دعوة، ما هو بشرط أنك تدعو بعد، قدر دعوة فقط، أعوذ بالله من عذاب جهنم وعذاب القبر، وتقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، لا تفوتك الجماعة وأنت واقف محروم بين الناس، هذا تفريط وجهل، (٢١:٠٢)، الإنسان يسأل وينتبه لهذا الشيء.

ومثل بعض الناس يدخل و(٢١:١٣) جاءت الإقامة يقف، كأنه عمود، ليس تقف؟ صل، ولو أقيمت الصلاة وخفت أن تفوتك الركعة بفوت الركوع؛ اقطع الصلاة، معذور أنت في الحالة هذه، ولك أجر صلاة كاملة، أما تجلس تنتظر وتتفرج وتنتظر ساعة وتعد على الإمام؟ غلط هذا، تفويت، ادخل في الصلاة، ماذا لو أنه جاءك الأجل وأنت واقف، لا دي ولا دي، ينتبه الإنسان لهذه الأشياء، بعض الناس يتهاون بأشياء يظنها يسيرة وهي خطيرة وكبيرة، والمصيبة فيها عظيمة، حرمان وفوات أجر، بالإمكان تحصيله بعملٍ يسير، يراعي الإنسان هذه الحسابات، تكون حسابات أخروية ما هي دنيوية.

وبعدين الناس ما يعدلون، حتى في الدنيا، يجتهدون في أمر الدنيا والمال أكثر ما يجتهدون في أمر الدين، غلط، وحماقات، وجهالة، فهذا أمرٌ لابد من التفطن له والعناية به، وليبلغ الشاهد منكم

الغائب، علموا أولادكم وإخوانكم وجيرانكم، ومَن تلتقون به ويجمعكم به مجلس، اجعلوا هذا موضع تذكرة، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥].

وأول مَن ينتفع بالذكر أنت إذا ذكَّرت، يجعلك الله تتذكر، بكلامك أنت، وتستحي إنك تخالف، إنك تقول ما لا تفعل، لم تقولون ما لا تفعلون، تكون أنت أبدر الناس لفعل ما تقول، تحقيقه، فهذه مهمات يا إخواني، لابد من العناية بها والصدق فيها، والإخلاص لله تعالى فيها، وتحري سنة النبي ﷺ فيها، ويحتسب الإنسان أن يكون أسوة لغيرة فيها حسنة، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان:٧٤].

الإنسان يسُن سنة حسنة في الإسلام، لا يسُن سنة سيئة، قد يجي واحد حديث عهد بالإسلام ويراك؛ ويقلدك طول عمره، لك مثل أجره، واحد شاب صغير أول مرة يأتي إلى المسجد، طفل يراك على هذه الصورة وهذه الحالة الطيبة؛ ويأخذها عنك طول عمره، لك مثل أجره، ما ينبغي التساهل والتهاون، أنت مرآة لغيرك، كن دعاية للإسلام، وسيلة دعوة للإسلام، لا تكون وسيلة دعاية لمعصية من المعاصي، مثل اللي يدخنون في الشارع أمام الناس، يصيرون دعاية لشركات التدخين، لوحات مجانية لشركة التدخين، يكونون أسوة سيئة عليهم مثل وزر مَن عمل مقتديًا بهم متذكرًا بهم للسيئة.

كن أسوة حسنة لغيرك، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾، «**مَن سن في الإسلام سنةً حسنة؛ فله أجرها وأجر مَن عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا**»، «**مَن دل على هدى فله مثل أجور مَن تبعه**» ينبغي للإنسان أن يكون له حسبة في كل شيء، ولا يصير غافل، ولا يصير متساهل، ولا يصير ناسي، كل هذه ما هي من أوصاف المتقين، المتقون أولوا الألباب، أولوا النهى، العقول الذاكرة، والنفوس الخيرة، والقلوب الصالحة، هكذا ينبغي للإنسان.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا هداةً مهتدين، والله أعلم. وصل الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فكان الدرس الماضي؛ بشأن العناية بالصلاة مع الجماعة في المساجد، وأن الإنسان يجاهد نفسه على هذا، حتى تكون المواظبة على الجماعة سجية له، كان السلف الصالح –رحمة الله علينا وعليهم-؛ لهم نهج سديد في هذا، فتمضي على الواحد الأشهر بل والسنون المتوالية ما فاتته صلاة الجماعة، يقول السلف: أن من أربعين سنة؛ ما نظرت إلى قفا رجل في المسجد، -يعني أنه في الصف الأول-، من حرصه، ويقول آخر: أنه ما فاتته صلاة كذا في سنة، والمعنى؛ أنه ما فاته شيء من الصلاة، ما هو بالصلاة كلية، لا، شيء من الصلاة، يعني ما يتأخر إلى قُرب الإقامة، من شدة العناية بها، لأن الصلاة أعظم أعمال المؤمنين بعد التوحيد، ولأنه أول ما يحاسب عليه العبد؛ فيما بينه وبين الله –جل وعلا-، فإن وجِدت تامة؛ كُتبت تامة، وإن وجِدت ناقصة؛ قال الله تعالى للملائكة (٠١:٥٦): انظروا لعبدي هل من نوافل؟ فيُتم بها ما انتقص من فريضته، ثم يكون هذا هو المعيار والميزان، كل فريضة تُكمَّل من نافلتها.

وسُئل النبي ﷺ عن مسألة، فقال: «**ما أجد فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذة؛ من يعمل مثقال ذرة خيرا يره**»، يجده يوم القيامة، موفرًا مضاعفًا، «**ومَن يعمل مثقال ذرة شرا يره**» يجده يوم القيامة محسوب عليه، مدون عليه، ويجزى به إلا أن يتوب أو يمُن الله عليه بالعفو، هذه مثاقيل الذرات، والذرة؛ قيل أنها هي النملة الصغيرة الحمراء، وقيل أنها هي الهبات –الحبيبة البيضاء التي تكون في شعاع الشمس- إذا سقط في غرفة مظلمة، تشاهدون فيها حبيبات بِيض صغار جدًا، هذه هي الذرة، فهذا المقدار مدون لك وعليك، إن كان خيرًا فلك، وإن كان غير ذلك فعليك، إلا أن تتوب من الشر أو يعفو الله عنك.

والمكلف ابن آدم؛ جعل الله له أعمالًا صالحة يومية، يعني برنامج يومي يعتاده، لكن بحسبه، ما هو بالعادة والروتين، يعني حسبة وإخلاص ورجاء لله تعالى ورغبة فيما عنده وخوفًا من مغبة التهاون بذلك، وكثير من الناس يأخذون الأمور الدينية والتي عليها الجزاء على أساس الإلف والعادة والمجارات، ويفوتونها بعض الناس لأدنى وأوهى سبب، وهذا خطأ.

الحياة محدودة نَفسٌ معدود وأمدٌ محدود، والنَفَس المعدود ينتهي، والأمد المحدود ينتهي، ثم يُفضي المرء إلى ما قدم، من هذا؛ تكميلًا لدرس أمس؛ المشي إلى الصلاة بسننه وآدابه، الإنسان يكون له حسبة في كل جزئية، ما هو مجرد الذهاب، لا، جزئية في الذهاب، فأول ذلك؛ أن الإنسان يتحرى الوقت، وأنا والله أدركت أناس أنهم يتابعون الوقت بالدقائق والثواني، يقولون: لا الساعة ما هي مضبوطة هذه، من شدة الحرص على الصلاة في المسجد، بالثواني، وأقلهم الذي إذا فرغ من وضوءه أذَّن المؤذن، لكن ما يفكر أنه إذا أُذِّن للصلاة يتوضأ، لا، هذا أول شيء، والمعنى؛ أنه ما يخرج من بيته إلا متطهرًا، ليش؟ لأن المشي للصلاة صلاة، فإن كان متطهرًا؛ كُتبت له هذه الصلاة، المشي يُكتب له صلاة كأنه في المسجد، وإن كان غير متطهر؛ ما يُكتب له هذا، بعض الناس يخرج من بيته ويقول أتوضأ من حمامات المسجد، هذا مظهر من مظاهر التهاون، ومن مظاهر الجهل، يكون الإنسان ما يعتني بأمر دينه، فما علم به وما لم يعلم؛ سأل عنه، حتى ما تضيع عليه الفرص.

وأبلغ شيء؛ قول النبي ﷺ في هذا: «**إن الذي يخرج من بيته للمسجد متطهرًا إنه مثل الحاج المحرم**» الإحرام شرط من شروط الحج والعمرة، ولا لا؟ الطهارة للصلاة شرط من شروطها، بكِّر بهذا الشرط، واجعله في بيتك، ومن ذلك أنك تكون أسوة لآل بيتك، تنهضهم للصلاة الرجال والنساء، الذكور الإناث، يتعودون منك الهمة والرغبة في الخير، ويألفون هذا منك لو تساهلوا اليوم؛ يذكرونه بعد وقت، إذا كبروا وعقلوا ذكروا، وأخذوه أسوة منك، يحتسب الإنسان ينبغي أن الإنسان يهتم بهذا، هذا الأمر الأول.

الثاني: أنه يلبس أحسن ملابسة للصلاة مثل الجمعة، الجمعة؛ صلاة أسبوعية وهذه صلاة يومية، وقتية، خمس مرات في اليوم، يصير الإنسان يعتني بنظافة هندامه، وحُسن مظهره لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ -يستر عوراتكم- ﴿ وَرِيشٗا ﴾ -يعني جمالًا وزينة-، ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ [الأعراف:٢٦]، لما ذكر اللباس المادي، الحسي، ذكر اللباس المعنوي وهو لباس التقوى، لباس التقوى هو الزاد للآخرة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

فيكون الإنسان عنده عناية ينظر في الثوب، الشماخ، هل يحتاج إلى طِيب، هل هو نظيف، هل فيه بُقع أو كذا، إذا وسع الله عليكم فأوسعوا، والنبي ﷺ في أول أمره؛ كان ما عنده إلا ثوب واحد، يُغسل وهو في البيت، ما عليه الثوب، عليه إزار فقط، وربما أنه يصيبه شيء من الجنابة فيُغسل بأول الوقت، فيخرج به وبُقع الغسل في ثوبه ظاهرة، المعنى، ولما أن النبي ﷺ أوسع الله عليه؛ أمر الصحابة أنهم يعتنوا بهذا، وأن الإنسان يكون عنده ثوب لجُمعته، وثوب لصلاته العادية، والناس اللي عندهم الأعمال الآن؛ هندسة أو غيره أو احتاج إلى ثوب خاص يأخذون ثوب خاص لهذا، يصير الإنسان عنده عناية بهذا، لأن هذا من الزينة، ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف:٣١]، يعني عند كل صلاة، والزينة حسية ومعنوية، زينة الحسية هي الثوب والستر، والمعنوية هي الوقار والسمت والخشوع وكذا.

الثالث: إذا خرج من البيت سواء للصلاة أو لغيرها؛ يقول الذكر المشروع، يُقدم رجله في الخروج، يقول: بسم الله خرجنا وبسم الله ولجنا وعلى الله ربنا توكلنا، اللهم إني أسألك خير المخرج وخير المولج، سواءً خرجت للصلاة أو لغيرها، ضروري هذا، والثاني: أن يقول: بسم الله، -ثلاث جُمل-، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له كُفيت وهُديت ووقيت، يتحقق له المراد، ويقول الشيطان، بل يتنحى الشيطان عنه، ويقول لشيطانٍ مثله؛ ابعد عنه، كيف لك بشخصٍ قد كُفي وهُدي ووقي، ما لك عليه سبيل.

الرابع: يقول: «**اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضل**، -أضِل أنا بنفسي عمدًا، أو يضلني أحد- **أو أذِل أو أُذَل** –أذِل بكلمة، أو تذِل بقدم في حفرة-، **أو أظلِم** –أتعدى على غيري-، **أو أُظلَم** –يتعدى علي غيري-، **أو أجهَل** –أتصرف بجهل وجهالة وجناية- **أو يُجهل علي**».

وجاء في حديثٍ آخر؛ أنه يقول: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك، أني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعة، خرجت طلب رضاك والجنة واتقاء سخطك والنار، وأن تغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

ويقول: «**اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، ومن بيدي نورًا، ومن خلفي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحت نورًا**»، ويقول: «**اجعل في شعري نورًا، وفي عصبي نورًا، وفي لحمي نورًا، وفي دمي نورًا**» أن النور يخالطك حتى في بدنك، والنور هذا هو العلم، وهو الخشية والتقوى، هو الإيمان، هو صالح العمل، فهو على نورٍ من ربه، يريد أن يكون على نورٍ من الله –جل وعلا–، كذلك إذا مشى إلى المسجد؛ لا يمشي مشية المتماوت المتردد يقف ويلتفت، لا، لأن هذا المظهر ما هو ذكر العبودية ولا هو من سمات أولي الألباب والنهى، ولا يُسرع، يقول النبي ﷺ: «**إذا أقيمت الصلاة**» يعني لو قُدِّر أن تقام الصلاة وأنت في الطريق، «**فلا تأتوها وأنتم تسعون**» مسرعين، «**بل ائتوها وأنتم تمشون، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاقضوا**»، وفي رواية: «**فأتموا**»، وهذه هي الرواية الثابتة، والمعنى؛ أن ما أدركه اللي يتأخر بالمجيئ للمسجد مع الإمام؛ هو أول صلاته، وما يقضيه بعد التسليم هو آخر صلاته، هذه فائدة.

ونهى النبي ﷺ: أن الإنسان يأتي إلى المسجد وهو فيه رائحة تؤذي المصلين والملائكة المقربين، حتى لو هي مباحة وحلال، فقال: «**مَن أكل ثومًا أو كراثًا؛ فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»، كان إذا وجد ريح الثوم أو البصل من الشخص في المسجد؛ أمر به النبي ﷺ أن يُخرج للبقيع، تعزيرًا له، والعجيب أنه يخرج للبقيع جهة المقبرة، حتى يصير عنده تذكرة وعِظة، فيصير الإنسان يمشي بسمت ووقار، ولا يقف ولا يلتفت، ولا يمزح في الطريق وهو جاي للمسجد، ليش؟ لأنه في صلاة، فإنه يمشي إلي الصلاة في صلاة، يُكتب له صلاة، ولهذا قال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره**» يعني من شدة حرارة الماء أو برودته، أو ألم في الإنسان في جسمه أو في عضو من أعضاءه، يتحمل احتسابًا، «**وكثرة الخُطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**» مثل الرباط في سبيل الله على الثغور، وأنت مطمئن وآمن في المسجد وفي الطريق، يكون الإنسان يمشي بسكينة ووقار، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**وعليكم السكينة والوقار**» يعني الزموا السكينة والوقار.

فالسكينة تكون في الحركة، والوقار في المظهر، بحيث أن الإنسان يُهاب وهو يمشي، يُعرف من هيئته وطريقته أنه جاد وحريص على أمر دينه، مثل أو أشد من حرصه على أمر دنياه، ونهى النبي ﷺ عن تشبيك الأصابع في ثلاثة مواضع، وأنت في الطريق إلى المسجد، وأنت في انتظار الصلاة، وأنت بعد الصلاة، في وقت الذكر المتمم للصلاة، حتى إنك تنتهي من هذا وآخر ما تقرأ قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس، فيصير الإنسان له عناية في هذا، وإذا وصل المسجد؛ يُعنى بالدخول، مثل ما قدم رجله في الخروج من البيت، رجله اليسرى، يُقدم رجله اليمنى في دخول بيته، وهكذا المسجد يُقدم اليمنى في دخول المسجد واليسرى في الخروج من المسجد، والثانية: أنه عند الدخول؛ ما يرغب أن أحد يزاحمه، فضلًا أنه يقدمه على نفسه، لأن هذا عبادة، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين:٢٦].

ادخل تحصل ثانية فقط في المسجد؛ خير لك من الدنيا وما فيها، والناس الآن يصير واحد عنده خلق وسعة صدر في الدخول للمسجد، وعنده عجلة وشغل في الخروج، لكن لو يصير فيه زحام بالشارع وهو يسوق السيارة؛ كان يحرص أنه ما يلتفت لا يمين ولا يسار، لا يجيه أحد يعرض له يستحي أنه يحتاج يقدمه عليه، ويبدو أنه ما شاف أحد، أهم شيء يتجاوز هذه العقبة، انظروا كيف الفرق بين أمر الدين والدنيا عند بعض الناس، يصير حريص على دخول المسجد هو، الشيء الثاني: أنه يقول الذكر عند دخول المسجد، ومن ذلك يقول: «**بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم افتح لي أبواب رحمتك**»، قدم اليمين وقال الذكر هذا، وطلب فتح باب الرحمة، لأنه جاي يطلب الرحمة، لكن إذا أراد الخروج يقدم اليسرى، يجعل اليمنى باقية في المكان في المسجد آخر شيء ولو ثانية واحدة، لأنه طالع للدنيا والفتنة، ويقول مثل هذا: «**بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم افتح لي أبواب فضلِك**».

كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:١٠]، ويقول: «**اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم**»، أو «**أعوذ بك من الشيطان الرجيم**».

وفي رواية أخرى: «**وأعوذ بك من شر الخلق**»، لأنك بتطلع تتعامل مع الخلق، والناس ما هم سواء، ما تبتلى بجاهل يجهل عليك، أو بجهل منك أنت تجهل به على غيرك، هكذا، إذا دخل المسجد؛ يكون معنى أصلًا أصالةً أنه وراء الإمام، إذا فيه مكان، لقول النبي ﷺ: «**ليليني منكم أولو الأحلام والنهى**»، يعني الرجال البالغون العقلاء، الذين يسددون الإمام لو التبس عليه القراءة، أو سهو، بحيث إذا سبحوا وإذا هو يثق بهم، لأنهم أهل حسبة وأهل متابعة وعناية بالصلاة وخشوع وحضور تام، فيكون الإنسان يحرص على هذا، وابدأ الصف أصلًا من وراء الإمام ثم عن اليمين، يمين الإمام وهو في الصلاة، إلى أن يزيد عن ثُلث الصف أو نصفه، ثم اليسار كذلك، ثم طرف الصف الأيمن ثم طرف الصف الأيسر، ما لم يطل الصف عرفًا، يعني صف المسجد، ما هو بصف مصلى العيد، لأن أحيانًا مصلى العيد يصير طويلًا، ما هو معقول يعني، لكن هذا مسجد.

وقال ﷺ: «**ألا تصفُّون كما تصُّف الملائكة عند ربها**» قالوا: وكيف تصُّف الملائكة عند ربها؟ قال: «**يتمون الصف الأول فالأول ويتراصون في الصف**»، ولذلك النبي ﷺ كان يقول: «**استووا، اعتدلوا، استقيموا، تراصوا**» هذه كلمات التي يقولها لتسوية الناس في الصلاة، فيكون له عناية بمكانة، الصف الثاني: نفس الشيء، يبدأ من وراء الإمام بنفس الطريقة، لو يصير مائة صف، ثم الجهة اليمنى من الإمام ثم الجهة اليسرى ثم الطرف الأيمن ثم الطرف الأيسر، وهكذا، إذا دخل؛ يحرص على أن يشرع في الصلاة، إن كانت سنة راتبة مثلًا قبل الفجر قبل الظهر، أو مثل الراتبة قريبة منها في الفضل مثل المغرب، لأن النبي ﷺ دخل مسجد بني زُريق وإذا هم يتسننون قبل المغرب، فقال: «**صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب**».

قال أنس رضي الله عنه كان مرافقًا للنبي ﷺ: **فرأيت القوم بعد ذلك يبتدرون السواري**، الأعمدة، والشيء القائم في المسجد يصلون إليها سترة، حتى يُخيل للداخل؛ أنهم قد فرغوا من صلاة المغرب ويصلون السنة الراتبة بعدها، من شدة العناية، وكل صلاة قبلها صلاة، فإن لم تكن السنة الراتبة ولا التي تليها في الفضل؛ فهي تحية مسجد، مثل العصر، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**رحِم الله امرأً صلى قبل العصر أربعًا**».

وقال ﷺ: «**بين كل أذانين صلاة**» الأذان الأول المراد به؛ الإشعار بدخول وقت الصلاة والدعوة إلى الصلاة.

والخامس: الإشعار بأوان القيام للصلاة، الشروع فيها، «**بين كل أذانين صلاة**» وهذه تنطبق على العشاء خاصة، أنه فيه صلاة قبل العشاء، اللي بعدها سنة راتبة، لكن هذه لا، هذه نافلة، تحية المسجد هذه لها خصوصية، قال ﷺ: «**لا يجلس أحدكم حتى يصلي ركعتين**»، حتى قطع الخطبة، رأى إنسان دخل وجلس، قال: «**أصليت يا فلان؟**» قال: لا، قال: «**قم فصلي ركعتين وتجوز فيهم**» فتحية المسجد مؤكدة إلى حد أن بعض أهل العلم قال بوجوبها، والمعنى؛ إذا لم تكن فيه سنة راتبة أو شبه راتبة، هذا المعنى، وإلا فهي نافلة مطلقة، ويحرص على أنه يصلي، لو قُدر أنه أقيمت الصلاة وهو في الصلاة؛ إن كان يغلب على ظنه أنه يدرك الركوع فإنه يُتم الصلاة، وإن كان خشي فوات الركعة بفوات الركوع؛ فإنه يقطعها، وهو معذور ويُكتب له أجر صلاته.

الأخير من هذا؛ أنه لو قُدر أنه فاته شيء من الصلاة فإنه إذا جاء وجدهم في التشهد الأخير قبل التسليم بثانية واحدة، يدخل مع الجماعة، لأن هذه الجماعة المعتمدة، جماعة الإمام الراتبة، هذه أفضل من عدة صلوات خمس وعشرين أو سبع وعشرين في جماعة أخرى، حتى جماعة أخرى، لخصوصية هذه، يُدركها ويُكتب له أجر الجماعة، حتى لو أنه سلم الإمام قبل دخوله يُكتب له الأجر، ليش؟ لأنه جاء من أجل جماعة، فيعطيه الله على نيته، والله تعالى بيَّن لنا سعة فضله، قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة:٧]، وقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، وأخبر النبي ﷺ أنه يضاعف له الأجر، وفي الحديث الآخر: «**مَن هم بحسنة فلم يعملها؛ كُتبت له حسنة كاملة، فإن عملها كُتبت له عشر حسنات**»، والمعنى؛ مضاعفة، «**ومَن همَّ بسيئة فلم يعملها؛ كُتبت له حسنة**»، يقول الله تعالى: «**إنما تركها من جرَّائي**» من أجلي يعني، «**فإن همَّ بها وعملها؛ كُتبت سيئة واحدة**» ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: تبًا لمن غلبت آحاده عشراته، ايش الآحاد؟ السيئات، التي تكتب واحدة، ايش العشرات؟ الحسنات التي تكتب مضاعفة إلى عشرة وأزيد، فإذا غلبت الآحاد من كثرتها الحسنات؛ برأيه مغبون، كيف تغلب السيئة وهي آحاد؟ الحسنات وهي

عشرات وهي المضاعفات، وتكتب بمجرد الهم، حسنة كاملة، وتضاعف بالشروع، فهذه فرص ما ينبغي أنك تفوتها.

الأمر الأخير: أنه يغتنم ويغتبط بكونه جاء قبل إقامة الصلاة، ليش؟ لأنه يحصل على الفوائد:

الأولى: أنه في صلاة.

الثانية: أن الملائكة تصلي عليه هو، والمعنى تستغفر له وتدعو له، تقول: اللهم اغفر له اللهم تب عليه.

الثالثة: أنه يشترك في دعوة المسلمين.

الرابعة: أنه يفتح الله عليه باب الذكر أو باب الدعاء، والدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة، والذكر كذلك، الذكر يرفع العمل الصالح، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، فغنيمة، يقرأ القرآن، الحرف الواحد عشر حسنات، مضاعفة، ألم؛ ثلاثة حروف فيها ثلاثون حسنة، فكيف لو قرأ عشرين آية خمسين آية مائة آية، وأعلى شيء؛ اللي يقرأ مائة آية، يكون من المقنطرين، أخذ الأجر بالقناطير، وعشر آيات فيها خير له، فيقرأ قدر المستطاع، يذكر قدر المستطاع، يدعو قدر المستطاع، ما يتشاغل بشيء، إلا بشيء فيه مصلحة، سلام، يسلم عن يمينه ويساره، أو بحث في مسألة فقهية، سؤال عن شيء مهم، ضروري هذا الإنسان يحتاجه، لكنه ما يخرج للدنيا، وهو ينتظر الصلاة، لا، يكون كله في الدين، وهذا الانتظار الذي قبل الصلاة، أما بعد الصلاة؛ لو أنه تحدث في أمر الدنيا الأمر واسع، لكنه قد ما تدعو له الملائكة، لما فتح باب الدنيا، قد، هذه أمور ينبغي التفطن لها.

ومن المهمات: أن الإنسان إذا أقبل على الناس يسلم عليهم، أول ما يصل الصف، ويردون عليه، ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء:٨٦]، أو ردوا على الأقل، أن تردها، وإذا زدت؛ قال السلام عليكم، قلت: وعليكم السلام ورحمة الله، أحسن، قلت: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته؛ أحسن، تدعو له بالمغفرة نفس الشيء، هذا شيء.

الثاني: إذا قمت لا تفارق حتى تسلم، قال النبي ﷺ: «**ليست الأولى بأولى من الآخرة**» الآخرة عند القيام من المجلس، يدل هذا على العناية بالآخرة، وأنت إذا قمت؛ تقول: سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، من قبيل نفسك، فإن كان فيه خير؛ كانت كالطابع عليه، إشارة بالقبول، وإن كان فيه شيء من الخلل أو اللغط؛ كانت كفارة له.

وقبل ما تخطو؛ تقول: السلام عليكم ورحمة الله، وبركاته مثلًا، اللي يمكنك، فيه آداب تتردد علينا باليوم، تتكرر باليوم، فكون الإنسان ما يأخذ منها إلا ثنتين أو ثلاث أو خمس؛ غبن، لأنه بالإمكان، لئن فرارًا كرارًا في الجهاد في سبيل الله، ولا أنت مريض تحت الأجهزة في المستشفى، ولا عندك شغل مهم تخشى التفريط فيه، (١٥:٣٠) ولله الحمد، تام وصحة وعافية، وأنت على خير، واللي ما يُدرك كله لا يُترك جُله، تحرص أن يكون نصيبك وافر، ليش الواحد يهتم بتوفير المال وأنه يصير أكثر الناس هذا، وأمر الحسنات والسلامة من الخطيئات ومغفرة الزلات يصير ثانوي عند الإنسان، إن تيسر وإلا ما يلزم، ما هو صحيح هذا، معادلة فيها تهاون وفيها غفلة، فلا ينبغي هذا من المؤمن.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا هداةً مهديين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد.

هو الشيخ العالِم الرباني عبد الله بن صالح بن محمد القصير رحمه الله تعالى، نشــأ على ملازمة أهل العلم، فكان شــابًّا مع العلماء، ونشأ مع العلماء، ومات من العلماء. توفاه الله وقد بلغ من العمر ٧٥ سنة.

أخذ العلم عن كبار العلماء، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، إذ لازمه قرابة ٣٠ ســنة، كمــا كانت له علاقة وثيقة ممتدة مع الشــيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله لأكثر من ٥٠ سنة، وأخذ كذلك عن: الشــيخ صالح البليهي، والشــيخ صالح الخريصي، والشــيخ صالح الســكيتي، والشــيخ صالح الأطرم، والشــيخ علي الضالع وغيرهم من العلماء.

وكان رحمــه الله كثير العلم، كثير العبادة، حريصًا على الدعوة إلى التوحيد والســنة ومنهج الســلف الصالح، مــع العناية بالتحذير مــن الجماعات والأحــزاب الضالة، وقد مكث في ذلــك أكثر من ٥٠ ســنة، فكان الإمام الخطيب، والداعية، والمعلّم، والمرشد.

كما اســتمر رحمه الله في خطابــة المسجد لأكثر من ٥٠ ســنة، وفي إمامة المسجد لأكثر من ٤٥ ســنة، وقد كان من عنايتــه بالتوحيد أنه شرح كتاب التوحيد لأكثر من ٥٠ مرة.

وله رحمه الله تعالى نتــاجٌ علميٌّ غزير؛ فقد خلّف أكثر من ٣٠ كتابًا مؤلَّفًا، وأكثر من ٣٠٠ مقــالٍ محرَّرًا، وأكثر من ١٠٠٠ خطبةٍ محرَّرة، وأكثر من ٤٠٠٠ مادةٍ صوتية، وغير ذلك من الآثار العلمية النافعة، رحمه الله رحمةً واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.